نوادر المخطوطات

بتحقيق

عبد السلام هارون

الأستاذ المساعد بجامعة فؤاد
كلية دار العلوم

الطبعة الأولى

1

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

نوادر المخطوطات
١

بتحقيق
عبد السلام هارون
الأستاذ المساعد بجامعة فؤاد
كلية دار العلوم

المجموعة الأولى

١ — الرسالة المصرية ، لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى المتوفى سنة ٥٢٨
٢ — كتاب المردفات من قريش ، لأبى الحسن على بن محمد المدائنى المتوفى سنة ٢٢٥
٣ — كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء ، صنعة محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥
٤ — تحفة الأبيه ، فيمن نسب إلى غير أبيه ، لمجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادى المتوفى سنة ٨١٧

[الطبعة الأولى]

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٧٠ هـ — ١٩٥١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذه المكتبة العربية التى كانت منار الثقافة الإنسانية دهراً طويلا ، ولا تزال تشع من نورها وضيائها على جنبات الدنيا ، وتتغلغل تغلغلا عميقاً فى زوايا الحضارات على شتى أصولها . هذه المكتبة لم تلق بعد ما تستوجب من عناية ، ولا ما تستحق من خدمة واجبة وكنت ولا أزال أتحدث بجهد إخواننا فى العلم المستشرقين ، الذين بادروا إلى إنقاذ الكنز فكان لهم بذلك فضل التنبيه .

وكان مما صنع الله لهذه الكنوز أن قيَّض لإثارتها ، ونفض غبارها، طائفةً ممن نصبوا أنفسهم لهذا العمل الجهد الشاق ، يبغون بذلك الإسهامَ فى نشر العلم ، وفى بيان أمجاد الغابرين من الأجداد ، وتوطيد الصلة بين علمهم الأصيل ومعارفنا المستحدثة وأذكر فى طليعة هؤلاء الناشرين الرجل العبقرى المرحوم « السيد محمد أمين الخانجى» ، الذى أمد المكتبة العربية بعدد هائل من المطبوعات العربية التى لو لم تمتد يده إليها لبقيت إلى الآن مطمورة فى النسيان . وأذكر معه العلامة المحقق الجليل المغفور له «أحمد زكى باشا» ، وهو أول عربى أشاعَ أساليبَ النشر الحديثة ونظم الطبع الجديدة فى كتبنا هذه العربية ؛ فلهما من الله الرحمة والجزاء لقاء ماقدما من فضل عظيم .

وإنه لما يثلج الصدر أن تتجه جامعاتنا المصرية اتجاهاً جديداً إزاء طلابها المتقدمين للإجازات العلمية الفائقة ، إذ توجههم إلى أن يقدموا مع رسالاتهم العلمية تحقيقاً لمخطوط يمت بصلة إلى موضوع الرسالة ، وعسى أن يأتى اليوم الذى يكون فيه هذا الأمر ضريبة علمية لابد من أدائها .

وكان مما صنع لىَ الله أن ألفيت نفسى فى أطراف ميدان النشر العلمى أكافح فيه والسلاح ضعيف ، فما أزال أجمع سلاحًا إلى سلاح ، وأقتحم الصعاب إثر

الصعاب ، وإنا فيما بين ذلك أستلهم الله العون والتوفيق ، فيمدنى بسَيْب منه وفيض كريم ، وكلما ظننت أنى قد رويت غلة النفس زاد مابى من ظمأ إلى مزاولة هذا الجهاد الصادق .

وقد رأيت أن همة الناشرين المحققين تتجه فى أغلب ماتتجه إلى المخطوطات ذات الشهرة الظاهرة ، وإلى ما جلَّ مقداره من كتب السلف ، مُغْفلين فى أكثر الأمر هذه الرسائل الصغيرة . وقديماً كان الناس كذلك ، إنما يروقهم مايملأ أبصارهم، ومايروعهم بجسامته وعِظَمه ، ورب أسد مَزِير فى أثواب رجل نحيف!

فصحَّ منى العزم على أن أكشف عن طائفة من هذه الكتب الصغيرة غطاءها ، وأقدم منها إلى جمهرة الباحثين مادة نادرة . وأن أجعل هذا فى مجموعات متتالية متسلسلة الأرقام والصفحات . وسيتكون من كل أربع مجموعات مجلد يقع فى نحو خمسمائة صفحة ، تنتهى بفهرس عام لما فيها من الرسائل

هذا وليس يفوتنى أن أذكر أن هذا العمل قد لقى منذ اللحظة الأولى فى التفكير فيه ، ترحيباً بالغاً من رجال العلم ، ووجدت فاتحةَ معاونةٍ جميلة من الأصدقاء الغُيُر ، إذ تكرم الأخ العلامة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع المكّى فبادر بإرسال مخطوط نادر نفيس نسخه بقلمه مقابلا على أصله ، هو « كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار ، وما فيها من المياه » لعرام بن الأصبغ السُّلَمىّ . وسيظهر إن شاء الله فى المجموعة الثانية من نوادر المخطوطات .

وإنى إذ أسجل لهذا الصديق شكراً عظيما على ما أسدى لمرتقب إن أجد لهذا العمل التعاونى صدًى عند من تضم مكتباتهم أمثال هذه الكتب الصغيرة النادرة .

واللهَ أسأل العونَ ، ولزام الصواب ، وصالحَ التوفيق ؟

القاهرة فى ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ عبد السلام محمد هارون

نوادر المخطوطات

المجموعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذه المكتبة العربية التى كانت منار الثقافة الإنسانية دهراً طويلا، ولا تزال تشع من نورها وضيائها على جنبات الدنيا، وتتغلغل تغلغلا عميقاً فى زوايا الحضارات على شتى أصولها. هذه المكتبة لم تلق بعد ما تستوجب من عناية، ولا ماتستحق من خدمة واجبة. وكنت وما أزال أتحدث بجهد إخواننا فى العلم المستشرقين، الذين بادروا إلى إنقاذ الكنز، فكان لهم بذلك فضل التنبيه.

وكان مما صنع الله لهذه الكنوز أن قيَّض لإثارتها، ونفضِ غبارها، طائفةً ممن نصبوا أنفسهم لهذا العمل المجهد الشاق، يبغون بذلك الإسهامَ فى نشر العلم، وفى بيان أمجاد الغابرين من الأجداد، وتوطيد الصلة بين علمهم الأصيل ومعارفنا المستحدثة. وأذكر فى طليعة هؤلاء الناشرين الرجل العبقرى المرحوم «السيد محمد أمين الخانجى»، الذى أمد المكتبة العربية بعدد هائل من المطبوعات العربية التى لو لم تمتد يده إليها لبقيت إلى الآن مطمورة فى النسيان. وأذكر معه العلامة المحقق الجليل المغفور له «أحمد زكى باشا»، وهو أول عربى أشاعَ أساليب النشر الحديثة، ونُظم الطبع الجديدة، فى كتبنا هذه العربية؛ فلهما من الله الرحمة والجزاء لقاء ماقدما من فضل عظيم.

وإنه لما يثلج الصدر أن تتجه جامعاتنا المصرية اتجاهاً جديداً إزاء طلابها المتقدمين للإجازات العلمية الفائقة، إذ توجههم إلى أن يتقدموا مع رسالاتهم العلمية تحقيقاً لمخطوط يمت بالصلة إلى موضوع الرسالة. وعسى أن يأتى اليوم الذى يكون فيه هذا الأمر ضريبة علمية لابد من أدائها.

وكان مما صنع لىَ الله أن ألفيت نفسى فى أطراف ميدان النشر العلمى أكافح فيه والسلاح ضعيف، فما أزال أجمع سلاحًا إلى سلاح، وأقتحم الصعاب إثر

الصعاب ، وأنا فيما بين ذلك أستلهم الله العون والتوفيق ، فيمدنى بسَيْب منه وفيض كريم ، وكلما ظننت أنى قد رويت غلة النفس زاد ما بى من ظمأ إلى مزاولة هذا الجهاد الصادق .

وقد رأيت أن همة الناشرين المحققين تتجه فى أغلب ما تتجه إلى المخطوطات ذات الشهرة الظاهرة ، وإلى ما جلَّ مقداره من كتب السلف ، مُغْفلين فى أكثر الأمر هذه الرسائل الصغيرة . وقديماً كان الناس كذلك ، إنما يروقهم ما يملأ أبصارهم ، وما يروعهم بجسامته وعِظَمه ، ورب أسد مَزير فى أثواب رجل نحيف !

فصحَّ منى العزم على أن أكشف عن طائفة من هذه الكتب الصغيرة غطاءها ، وأقدم منها إلى جمهرة الباحثين مادة نادرة . وأن أجعل هذا فى مجموعات متتالية متسلسلة الأرقام والصفحات . وسيتكون من كل أربع مجموعات مجلد يقع فى نحو خمسمائة صفحة ، تنتهى بفهرس عام لما فيها من الرسائل .

هذا . وليس يفوتنى أن أذكر أن هذا العمل قد لقى منذ اللحظة الأولى فى التفكير فيه ، ترحيباً بالغاً من رجال العلم ، ووجدت فاتحةَ معاونةٍ جميلة من الأصدقاء الغُيُر ، إذ تكرم الأخ العلامة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع المكىّ فبادر بإرسال مخطوط نادر نفيس نسخه بقلمه مقابلا على أصله ، هو : « كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار ، وما فيها من المياه » لعرام بن الأصبغ السُّلَمىّ . وسيظهر إن شاء الله فى المجموعة الثانية من نوادر المخطوطات .

وإنى إذ أسجل لهذا الصديق شكراً عظيما على ما أسدى ـ لمرتقب أن أجد لهذا العمل التعاونى صدًى عند من تضم مكتباتهم أمثال هذه الكتب الصغيرة النادرة .

والله أسأل العونَ ، ولزام الصواب ، وصالحَ التوفيق .

القاهرة فى ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ — عبد السلام محمد هارون

الرسالة المصرية

لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى

٤٧٠ — ٥٢٨

مقـــــدمة

نزح كثيرون من رجال الأندلس إلى الشرق طلباً للعلم أو المال أو الجاه، أو رغبة فى أداء فريضة الحج، وكان من أولئك النازحين إلى مصر رجلٌ جَمَع إلى الأدب الحكمة، وإلى الطب التنجيمَ والموسيقى والرياضةَ، والبراعة فى علم الحِيَل. هذا الرجل هو أبو الصَّلت أُمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت، المولود فى مدينة دانية، من بلاد الأندلس سنة ٤٧٠ هـ.

قدِمَ أبو الصلت إلى الإسكندرية ومعه أُمّه ـ فيما يروى ابن خَلِّكان ـ سنة ٤٨٧، أى فى أيام الخليفة الفاطمى المستنصر بالله أبى تميم معدّ بن الظاهر بالله علىّ بن الحاكم بأمر الله؛ ووزيرُه إذ ذاك والقائمُ بأمر دولته الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى الأرمَنى.

وكان يأمُل أبو الصلت من وراء رحلته هذه بسطةً فى العيش، وثَرَاءً من المال، كما أشار إلى ذلك فى صدر رسالته. ويبدو أنه ظل دهراً خاملا يتحيَّن الفرص، إلى أن أتيح له أن يتَّصل بأحد المقرَّبين إلى الوزير الأفضل[1]، فى أيام الخليفة الآمر[2]، وذلك الرجل هو تاج المعالى مختار[3]، فخدمه بصناعَتَى الطب

(١) بدأت وزارة الأفضل للمستنصر الفاطمى سنة ٤٨٧ بعد وفاة أبيه بدر الجمالى، ثم وزر للمستعلى بالله أحمد سنة ٤٨٨، ثم للآمر بأحكام الله سنة ٤٩٦. وقد استبد بهؤلاء الخلفاء جميعاً إلى أن تمكن منه الآمر ودبر مقتله، فقتل سنة ٥١٥. النجوم الزاهرة (٥ : ٢٢٢).

(٢) هو الآمر بأحكام الله منصور بن المستعلى بالله أحمد بن المستنصر بالله. ولد فى سنة ٤٩٠ واستخلف وله خمس سنين، وقيل سنة ٥٢٤. انظر النجوم الزاهرة (٥ : ١٧) والخطط المقريزية عند ذكر «الجامع الأقمر».

(٣) معجم الأدباء (٧ : ٥٤).

والتنجيم، فأعجب به، ووصفه بحضرة الأفضل وأثنى عليه، وكان كاتبُ الأفضل ينفَس عليه ذلك، ويخشى بأس تاج المعالى، وحدث أن تتابعت من تاج المعالى السقطات فأدى ذلك إلى أن يقبض عليه الأفضل ويعتقله، فيجد كاتب الأفضل الفرصة سانحة للقضاء على أبى الصلت، فيختلق له ما يدفع الأفضل إلى أن يلقى به فى سجن المعونة[١] بمصر، مدة ثلاث سنين وشهر[٢]، بعد الذى دبَّج فيه من المدائح والشعر[٣].

ويروى ابن أبى أصيبعة فى طبقات الأطباء: أن دخول أبى الصلت إلى مصر كان فى حدود سنة ٥١٠ هـ، وأنه حبس فى الإسكندرية فى خلافة الآمر بأحكام الله ووزارة الأفضل[٤]. فإن صحت هذه الرواية كانت سنداً فى أن أبا الصلت ورد مرة أخرى بعد وفاة ولى نعمته أبى الطاهر يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس[٥] المتوفى سنة ٥٠٩، وهى سنة خروجه من مصر.

---

(١) ذكر المقريزى هذا السجن عند ذكر الدار المأمونية المنسوبة إلى المأمون البطائحى. قال: «وكان بجوار الدار المأمونية حبس المعونة». ثم قال: «ولم يزل هذا الموضع سجناً مدة الدولة الفاطمية، ومدة دولة بنى أيوب، إلى أن عمره الملك منصور قلاوون قيسارية أسكن فيها العنبرانيين فى سنة ٦٨٠». وقال: «وكان حبس المعونة هذا يحبس فيه أرباب الجرائم ... وأما الأمراء والأعيان فيسجنون بخزانة البنود». والدار المأمونية هى المعروفة بالمدرسة السيوفية.

(٢) وقد روى المقرى فى نفح الطيب (١ : ٥٣٠ ليدن) رواية عجيبة: أن عمر أبى الصلت ٦٠ سنة، منها ٢٠ فى أشبيلية، و ٢٠ فى أفريقية عند ملوكها الصنهاجيين، و ٢٠ فى مصر محبوساً فى خزانة الكتب.

(٣) انظر بعضها عند ابن أبى أصيبعة (٢ : ٥٣، ٥٦).

(٤) ذكر ابن أبى أصيبعة سبب حبسه فى الإسكندرية: أن الأفضل طلب إليه أن يعمل الحيلة فى رفع مركب غارق فى البحر، فاجتهد أبو الصلت، ولكنه حينما قارب النجاح خانه جده، فهبط المركب إلى قعر البحر، بعد ما كبد الدولة خسائر فادحة، فحبسه الأفضل لذلك.

(٥) ملك أبو الطاهر يحيى بن تميم، المغرب سنة ٥٠١ واستقر فى ملكه إلى أن توفى سنة ٥٠٩. انظر تاريخ طرابلس الغرب لابن غلبون (ص ٣٩ — ٤٠).

ضاق أبو الصلت ذرعا بمصر ، وما لقى فيها من الخيبة والعنت . قال القفطى [1] :

« ودخل مصر فى أيام أفضلها فلم ينل منه إفضالا ، وقصده للنَّيل فلم يجد لديه نوالا » . فحينئذ شد رحاله إلى المغرب فى سنة ٥٠٦ ، واستماد صلته بحضرة أبى الطاهر يحيى بن تميم بن باديس ، الذى وضع له هـذه « الرسالة المصرية » يصف له فيها ما عاينه فى مصر وما عاناه ، وتناول فى هذه الرسالة القيمة :

١ ـ الوصف البلدانى للديار المصرية و نيلها .

٢ ـ ثم أخذ فى تصوير جمال ربوعها ومغانيها تارة بالشعر وأخرى بالنثر .

٣ ـ وعقَّب على ذلك بالكلام فى سكانها وأجناسهم ومذاهبهم وأخلاقهم وعقائدهم ، منذ عهد الفراعنة إلى ظهور الإسلام .

٤ ـ وتحدث بعد ذلك فيما تحتويه من الآثار العجيبة ، كالهرمين والبرابى .

٥ ـ وذكر عواصم مصر فى القديم والحديث .

٦ ـ وقدامى العلماء من اليونان والروم ، مستطرداً بذلك إلى ندرة من لقيه بمصر من المشتغلين بالعلم والحكمة والطب .

٧ ـ وعجب من جهل من لقى بها من الأطباء ، ونوه بفضل بعض الأطباء البارعين .

٨ ـ وتحدث فى ولوع المصريين بأحكام النجوم وكثرة استعمالهم لها ، وأورد فى ذلك نوادر وطرائف .

٩ ـ ثم عرّج على ذكر من لقيه بها من الأدباء والظرفاء .

فهذه الرسالة تضرب بأسباب إلى علوم وفنون شتى، وتعدّ اليوم كما عدت

(١) انظر أخبار العلماء للقفطى (ص ٥٧) طبع السعادة .

بالأمس ، وثيقة يرجع إليها البلدانى ، والمؤرخ ، وباحث الآثار ، والاجتماعى ، والحكيم ، والطبيب ، والمنجم ، والأديب .

* * *

هذه الرسالة الصغيرةُ الحجم العظيمة القدر كانت متعارَفة متداوَلةً بين كبار العلماء والمؤرِّخين ، ثم أضحت نادرةً مجهولة ، إلى أن تمكَّن المغفور له العلامة أحمد تيمور باشا ــ طيب الله ثراه ــ من اقتنائها فى مكتبته الخاصة ، وهى برقم ٦٠١ أدب . وعلى هذه النسخة الوحيدة فى العالم ــ كما يتَّضح من مراجعة فهارس بروكلمان[1] ــ أعتمِدُ فى نشر هذه الرسالة الفريدة ، التى أورد طرفاً منها ياقوت فى « إرشاد الأريب » ، والعماد فى « الخريدة » ، والقفطى فى « إخبار العلماء » ، وابن أبى أُصيبعة فى « عيون الأنباء » ، والأسعد بن ممَّاتى فى « قوانين الدولة » ، والمقَّرى فى « نَفح الطيب » ، والمِقريزى فى « الخطط » ، والأدفوى فى « الطالع السعيد » ، والسُّيوطى فى « حسن المحاضرة » ، كما سيتضح لك عند تحقيق نصوصها .

ولأبى الصلت غير الرسالة المصرية « كتاب الحديقة » على أسلوب « يتيمة الدهر » للثعالبى ، وقد نقل منه العماد فى « الخريدة » . وله أيضاً « الأدوية المفردة » وهو محفوظ فى مكتبة بودليان ؛ و « رسالة فى العمل بالأسطرلاب » فى برلين وليدن وبودليان ، و « تقويم الذهن » فى المنطق ، بمكتبة الإسكريال ، و « أوراق من كتاب فى الفلك » بالإسكريال ، و « كتاب فى المعانى المختلفة للفظة نقطة » فى مكتبة ليدن ، و « قصيدة » بمكتبة برلين .

---

(١) انظر بروكلمان (١ : ٤٨٦ — ٤٨٧) وملحقه الأول (ص ٨٨٩) . على أننى عثرت فيما بعد على قطعة من الرسالة المصرية فى دار الكتب المصرية برقم ٣٥٤ تاريخ ، سأنبه على موضع بدئها ونهايتها فى الحواشى .

وقد صنف معظم هـذه الـكتب وهو فى اعتقال الأفضل بمصر، كما نص ابن خلكان .

* * *

انتهت أيام أبى الصلت فى المهدية ، وقد اختلف المؤرخون فى سنة وفاته، فقيل سنة ٥٢٠ وقيل سنة ٥٢٨[١] .

وإليك الرسالة :

---

(١) انظر ترجمته عند ياقوت (٧ : ٥٢) وابن خلـكان (١ : ٨٠) والقفطى (٥٧) والمقرى (١ : ٥٢٠) وابن أبى أصيبعة (٢ : ٥٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصّلت رحمه الله تعالى :

كنت إبانَ عصرُ الشباب مونقٌ، وغصن الصِّبا مورق .

إذْ لِمّتِي مسودةٌ ولماء وجهي رونق(١)

ممن سامحه الدهرُ بغفلة من غفلاته، وتجافَى له عن غفوةٍ من غفواته، فعاش آمِنَ السِّرْب، سائغَ الشِّرب، لا يتفرّغ من أدبٍ يرود رياضه، ويرِدُ حِياضَه، إلا إلى طربٍ يعمُرُ ميدانَه، ويسحب ذيولَه وأردانه . ثم تلوّن فقلب لى ظهر مِجَنِّه، وسقانى دُرْدِيّ دنِّه، فتدارك ما أغفلَه، واستردّ ما بذلَه، واضطرِرْتُ إلى مفارقة الوطن، والخروج عن العطن، فتماسكت إشفاقا من مفارقة أولِ أرضٍ مسّ جلدى ترابها، وشُدَّتْ علىّ التمائم بها(٢) . وجاءت أمورٌ لا تطاقُ كِبار، فلما لم يمكن القرار، ولم يبقَ إلا الفِرار، قلت : ليس لى إلا أن أرمىَ بنفسى كلّ مرمًى، وأطرحَها كلّ مَطْرَح .

لأبلغَ عُذراً أو أنالَ رغيبةً ومُبلغُ نفسٍ عذرَها مثلُ مُنجِحِ(٣)

وسكنت إلى البيت المشهور :

---

(١) اقتبسه من قول أبي الطيب المتنبي وتصرف فيه :

ولقد بكيت على الشباب ولمتي مسودة ولماء وجهي رونق

(٢) اقتباس من قول رقاع بن قيس الأسدى :

بلاد بها نيطت على تمائمي وأول أرض مس جلدى ترابها

اللسان (نوط) وأمالي القالي (١ : ٨٣) .

(٣) اقتبسه كذلك من قول عروة بن الورد ، ورواه أبو تمام فى الحماسة (١:١٨٨) :

ومن يك مثلي ذا عيال ومقتراً من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذراً أو يصيب رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

تلقَى بكلِّ بلادٍ إن حللتَ بها أهلاً بأهلٍ وأوطاناً بأوطانِ[١]

وإن كان يقول العامّة : ليس بين بلد وبلد نسب ، فخير البـلاد ماحملك . فجعلت أستقرِى البـلادَ لأتيمَّمَ أوفقَها للمُقام ، وأعونَها على مقارَعة الأيام . فكانت مصرُ مما وقع عليـه اختيارى ، وصدَّقَتْ حسنَ ظنى قبل اختبارى ، وسرتُ قاصداً إليها أعتسِف المجاهل والتنائف ، وأخوضُ المهالك والمتَالف . فطوراً أمتطى كلَّ حالكة الإهاب[٢] ، مسودَّة الجِلباب ، ثابتةٍ كصِبغة الشباب ، قد فُسِح ميدانُها ، ووُضع براحة الرِّيح عنانُها ، فجرت جرىَ الطِّرف الجموح ، وفاتت مدى الطَّرف الطموح ؛ وطوراً كلَّ نقِبِ الأياطل ، كالهياطل[٣] ، سَبْط المشافر جعد الأشـعار ، أحتذى العقيقَ ، أو الصِّنو الشقيق ، إن علا قلتَ ظليمٌ خاضب ، وإنْ هوَى قلت شهابٌ ثاقب ، يصـل الذَّميل بالوِخاد[٤] ، ويلتهـم التهائم والنِّجاد . فكم جِزْعِ وادٍ جزَعتُه ، وجلبابِ ليـل ادَّرعته ، وكم برٍّ خرقت مخارمه وفجاجَه ، وبحرٍ شققت غواربَه وأمواجه ، وليس لى غيرَ مصر مقصدٌ ، ولا وراءها مذهَب ، ولا دونها للغنى متطلَّب .

وكم فى الأرض من بلدٍ ولـكن عليكِ لشقوتى وَقَع اختيارى

فلما تغمَّرتْ ركابى من النـيل ، واستَذْرَت بظلِّ المقطم ، ألقيتُ عصا التَّسيار ، واستقرَّت بى النَّوى ، وخَفَّت ظهورهن من الرِّحال ، وأرحتُهنَّ من الحَلِّ والتَّرحال ، وقلت : ضالّتى المنشودة ، وبُغيتى المقصودة ، هاهنا ألبثُ وأقيم .

---

(١) البيت من أبيات فى الحماسة (١ : ٩٨) . وقبله :

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة نزوع نفس إلى أهل وأوطان

(٢) يعنى السفينة .

(٣) إنما نقبت أياطله من إدمان السـير . والنقب ، هنا : تنفط الجلد . والهياطل : جمع هيطل ، وهو الذئب ؛ يشبه به الفرس فى شدة العدو . وفى الأصل : « نقب الأياطيل كهياطيل » .

(٤) المسموع فى مصدر وخد هو الوخد والوخدان .

فلا أبرح ولا أريم، « بلدةٌ طيِّبة وربٌّ غفور » . وحيث التفتَّ فروْضةٌ وغدير، وخورنقٌ وسدير، وظِلٌّ ظليل، ونسيم عليل .

وكم تمنّيت أن ألقى بها أحداً   يُسلِي من الهم أو يُعدِي على النُّوَب[١]
فما وجدتُ سوى قوم إذا صدَقوا   كانت مواعيدهم كالآل فى الكذب[٢]
وكان لى سببٌ قد كنت أحسَبنى   أحظَى به فإذا دائى من السَّبب
فما مقلِّمُ أظفارى سوى قلمى   ولا كتائبُ أعدائى سوى كتبى[٣]

ولم تطُلْ مدة اللَّبث حتى تبيّنْتُ بما شاهدتُه أنى فيها مبخوسُ البضاعة، موكوس الصناعة، مخصوصٌ بالإهانة والإضاعة؛ وأنّ عيشَها الرغدَ، مقصورٌ على الوغد، وعقابَها المرّ، موقوف على الُحرّ، فلو تقدّمتُ فعلمت ذلك لخفَّ عنها مركَبى[٤] وصرفت إلى سواها وجهَ مطابى، ولكان لى فى الأرض مرمًى شاسع، ومُنتابٌ واسع، بل تثبَّطت، حتى تورّطت، حتى عومِلت بما يُعامَل به ذوو الجرائر والذنوب، وجرَعت من المذلة بأوفى ذَنوب . هذا مع ما حبَّرته من المِدَح التى اشتهرت شهرةَ الصبَّاح، وهبَّت هبوبَ الرياح، ولهِج بها الحادى والملاّح[٥] .

فسار بها من لا يسير مشمِّراً   وغنَّى بها من لا يغنِّى مغردَا

إلاّ أنّ الله جلت آلاؤه، وقدُّست أسماؤه، تدارك برحمته فأزال تلك المحنة بالمِنْحة، ونسخ تلك النقمة بالنعمة، وختم بالوصول إلى حضرة الملك الأجلّ أبى الطاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس، الذى لم تزل حضرته مصَاد

(١) فى الأصل : « من النوب »، صوابه فى ياقوت (٧ : ٨٠) والقفطى (٥٧) وابن أبى أصيبعة (٢ : ٦٠) . وقد اقتبس هذه الأبيات من شعر له قديم ، كما يفهم من رواية ابن أبى أصيبعة .

(٢) فى الأصل : « كالألف » ، صوابه فى ياقوت والقفطى وابن أبى أصيبعة .

(٣) فى الأصل « كتائب أعوانى » ، والصواب من المراجع .

(٤) فى الأصل : « نخف » .

(٥) انظر مديحه للأفضل فى ابن أبى أصيبعة (٢ : ٥٦) .

العُناة[1] ، ومَراد العُفاة ، ومجتمَع الفضائل ، ومنتجَع الأفاضـل ، ومشرعَ الجود ، ومشعَر الوفود . فلما استترت بجناحه ، واستظهرت باستماحه ، أعذب لى بسماحة الدهر جناه ، واعتـذر لى مما جناه ، فـكفّ دونى كفّه ، وصرف عنى صَرفه .

كريم رفضت الناس لما بلغته … كأنهـمُ ما خفّ من زاد قادم

فـكنت فيما مضيت عليه ، وآلت حالى إليه ، من إشراقها بعـد الأفول ، وإيراقها بعد الذبول ، كنصل أهمَلَ أمرَه ، من جهل قدره ، ولما وقع إلى الخبير به صان صفحتَه وحدَّه ، وحلَّى حمائله وغِمدَه ، ثم ادَّخره فيما يدّخر وأعدَّه ، فإن انتضاه ، يوماً ارتضاه ، وإن جرَّده ، أحمَدَه ، وإن هزّه ، سرّه فى الضريبة حزّه . ولـكن أبى الله أن يكون الفضل إلا لمن نشأ فى مغارسه ، ونجم فى منابته ، وربِىَ فى حجره ، وغُذِى بدَرّه .

فلم أستسغْ إلاَّ نَداه فلم يكن … ليعدِلَ عندى ذا الجنابَ جنابُ
فما كلُّ إنعام يخفُّ احتمالُه … وإن هَطلت منه علىّ رباب[2]
ولـكن أجلُّ الصنع ما جلَّ ربُّه … ولم يأتِ بابٌ دونه وحِجاب
وما شئت إلا أن أدُلَّ عواذلى … على أنَّ رأيى فى هواكَ صواب[3]
وأعلِمَ قوماً خالفونى فشرَّقوا … وغرّبتُ أنى قد ظفرت وخابوا

والأَولى أن أضربَ عمّا سلف ، وأتركَ مافرَط ، وآخذَ فيما أجريت إليه وقصدته ، ونحوته واعتمدته ، ممّا آثرت به الحضرة السامية[4] ـ أدام الله

(١) المصاد : موضع الصيد . والعناة : جمع عان ، وهو الأسير .
(٢) الرباب : سحاب يركب بعضه بعضاً ، الواحدة ربابة . وفى الأصل : « لدى ولامنه على » ، صوابه من ياقوت (٧ : ٥٩) ، وقافيته فيه « سحاب » .
(٣) البيت وتاليه للمتنبى فى ديوانه (١ : ١٢٧) برواية العكبرى .
(٤) فى الأصل : « الشامية » .

سموّها ـ من وصف ما عاينتُه من أرض مصر وعاينته ، والاقتصارِ على الذى رأيته دون مارويته ، فليس من يقول : علمتُ هذا من طريق العلم والسماع ، كمن يقول : تحققتُه بالمشاهدة والاطلاع ، فإنّ ذا اللب الأمينَ لا ينخدع بمحال ، ولا يرضى بانتحال .

* * *

وأنا أبتدئ بذكر هـذه البلاد وموقعها فى المعمورة ومجرى النـيل منها ، وغَنائه فيها ، وأشفع ذلك بنبذ من ذكر أحوال أهلها فى أخلاقهم ، وسِيَرهم وعاداتهم ، وما يتصل بذلك وينجرُّ معه ، ويجىء بسببه ، ويدخل فى تضاعيفه . وهأنذا آخذ فى ذلك ، وبالله أستعين ، وعليه التوكل .

* * *

[1]أرض مصر بأسرها واقعةٌ من المعمورة فى قسمى الإقليم الثانى والإقليم الثالث ، ومعظمها فى الثالث .

وحكى المعتنون بأخبارها وتواريخها أن حدها فى الطول[2] من مدينة برقة التى فى جنوب البحر الرومى ، إلى أيلة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين . ومسافة ذلك قريبٌ من أربعين يوما .

قالوا: وحدُّها فى العرض من مدينـة أسوان وما سامتها من الصعيد الأعلى المتاخم لأرض النوبة ، إلى رشيد[3] وما حاذاها من مساقط النيل فى البحر الرومى ، ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوماً . ويكتنفها من مبدئها فى العرض إلى منتهاها جبلان [أحدهما فى الضـفة الشرقية من النيل ، وهو المقطم ، والآخر فى الضـفة الغربية منه . والنيل منسرب فيما بينهما . وهما[4]] أجردان غير شامخين ، يتقاربان

(١) الـكلام من هنا إلى كلمة « الاستقامة » نقله المقريزى فى (١ : ١٥ ـ ١٦) .
(٢) هذا تسجيل تاريخى بلدانى لما كانت عليه حدود مصر فى عهده .
(٣) فى الأصل : « لأرض الشام ورشيد » ، صوابه من الخطط .
(٤) التـكملة من الخطط .

جدًّا فى وضعيهما ، من لدنْ مدينة أسوان إلى أن ينتهى إلى الفسطاط ، فثَمَّ تتسع مسافةُ ما بينهما وتنفرج قليلا ، ويأخذ المقطم منهما مشرقا والآخر مغربا على وِرابٍ فى أخذيهما[١] وتفريج[٢] فى مسلكيهما ، فتتسع أرض مصر من الفسطاط إلى ساحل البحر الرومى الذى عليه الفرماء[٣] وتنيس ودمياط ورشيد والإسكندرية ، وهناك تنقطع فى عرضها الذى هو مسافة [ما بين] أوغلها فى الجنوب و [أوغلها] فى الغرب والشمال . وإذا ما مُسحت بالطريق البرهانية فى طريق هذه المسافة [من الأميال[٤]] لم تبلغ ثلاثين ميلا[٥] ، بل تنقص عنها نقصاً ماله قدر ، وذلك لأن فضل ما بين عرض أسوان التى هى أوغلها فى الجنوب وعرض مدينة تنيس التى هى أوغلها فى الشمال ، تسعة أجزاء ونحو سدس جزء من الأجزاء التى بها تحيط الدائرة العظمى ، [وهى[٦]] ثلثمائة وستون جزءا . وليس بين طوليهما فضلٌ يقع بسببه فى هذا الحساب مالَه قدرٌ يعتدّ به . فإذا ضاعفنا هذا العدد بما يخصُّ الدرجةَ الواحدة من محاذاة ذلك من الأميال ، وذلك ستة وخمسون ميلا وثلثا ميل على مادل عليه البرهان ، كان ذلك[٧] نحو خمسمائة وعشرين ميلا بالتقريب ، وذلك مسافة سير عشرين يومًا أو قريب من ذلك[٨] . وفى هذه المدة من الزمان يقطع السُّفَّار أبدا ما بين هذين البلدين بالسير المعتدل فى أكثرَ من ذلك قليلا ، لما فى الطريق من التعريج وعدم الاستقامة[٩] .

---

(١) فى الخطط : « مأخذيهما » .
(٢) فى الأصل : « وتعريج » ، صوابه فى الخطط .
(٣) فى الأصل : « الهرمان » ، وتصحيحه من الخطط .
(٤) هذه التكملة والتى قبلها من الخطط .
(٥) فى الأصل : « يوماً » ، ووجهه ما أثبت من الخطط .
(٦) ليست فى الأصل .
(٧) فى الأصل : « من ذلك » .
(٨) نقل عنه فى النجوم الزاهرة (١ : ٣٦) أنها ثلاثون يوما
(٩) إلى هنا ينتهى نقل المقريزى .

وليس تشتمل أرضُ مصر بعد الفسطاط الذى هو مقرُّ الملك وكرسىُّ الدولة، على مدائنَ لها قدرٌ فى كثرتها ولا فخامتها ، لكن أجلُّ مدائنها وأفخرها أما فى الجهة الشمالية من الفسطاط فالإسكندرية وتنيس ودمياط ، وأما فى الجهة الجنوبية إلى أقصى الصعيد فقوص وقفط . فهذه صفة أرض مصر على الجملة .

* * *

[١]وأما النيل فينبوعه من وراء خط الاستواء، من جبل هناك يعرف بجبل القمَر ، فإنه يبتدئُ بالتزيُّد فى شهر أبيب[٢] ، الذى هو بالرومية يولية[٣] . والمصريون يقولون : « إذا دخل أبيب ، كان الماء دبيب » . وعند ابتدائه فى التزيد[٤] تتغير جميعُ كيفياته وتفسُد ، والسّبب الموجب لذلك مُرورُه بنقائع مياهٍ آجنة[٥] يخالطها فيجتلبها ، ويستخرجها معه ويستصحبها ، إلى غير ذلك مما يحتمل[٦] . فتصير مثل الحال التى وصفه بها الأمير تميم بن المعز لدين الله :

أما ترى الرعدَ بكى فاشتكى والبرقَ قد أومض فاستضحكا[٧]
فاشربْ على غيمٍ كصِبْغ الدُّجى أضحكَ وجهَ الأرضِ لمّا بكى[٨]
[وقد حكى العودُ أنينَ الهوى لكنّه جوَّدَ فيما حكى][٩]

(١) من هنا يبتدئ نقل آخر للمقريزى فى (١ : ٥٩) .
(٢) فى الخطط : « التزايد » . والتزيد والتزايد بمعنى .
(٣) ما بعد « أبيب » ليس فى الخطط . وفى الأصل : « قوليه » .
(٤) فى الخطط : « التزايد » .
(٥) فى الأصل : « بنقاء مع مياه آجنة » ، والصواب فى الخطط .
(٦) الكلام والشعر بعد هذا لم يورده المقريزى .
(٧) فى الأصل: «الجو من إظلامه قد اشتكى»، ولا يستقيم به الوزن، إذ هو من السريع. وأثبت ما فى ديوان تميم الورقة (١٢٠) من مصورة دار الكتب ذات الرقم (١٦٠٢٥ ز) ، وهذه الرواية هى التى ذكرها الثعالبى فى يتيمة الدهر (١ : ٣٤٩) الطبعة الأولى .
(٨) فى الأصل : «يشبه التحقيق كصبح» تحريف، وأثبت ما فى الديوان ويتيمة الدهر .
(٩) إثبات هذا البيت من ديوان تميم .

وانظرْ لماء النيل في مدِّه كأنماه صُندل أو مسْكا

أو كما قال غيره من أهل العصر ، من قصيدة يصف فيها أرض مصر :

ولله مجرى النيل منها إذا الصَّبا أرتنا به في مرِّها عسكرًا مَجْرا(١)

فشَطٌّ يهزُّ السمهريّةَ ذُبَّلا وموجٌ يهزُّ البيضَ هنديّةً بتِرا

إذا مَدَّ حاكَى الورد غضًّا وإن صفا حكى ماءه لونا ولم يَعدُه نشرا(٢)

وهذا نظير ما أنشدنيه عبد الله بن سريّة لنفسه :

راقني النهرُ صفاءً بعد شوقٍ لصفائه

كانَ مثلَ الورد غضًّا ثم قد صار كمائه

ولأبي بكر الصَّنَوبرىّ(٣) في مثل هذا المعنى :

ولقد طربتُ إلى الفُرا تِ بكلِّ ذى كرمٍ ومجدِ

والشمسُ عند غروبها صفراءُ مذهبةُ الفِرِنْدِ

والماء حاشيتاه خضـ ـراوانِ من آسٍ ورَنْد(٤)

تحبوه أيدى الريح إن هبّت على قربٍ وبُعدِ

بطرائفٍ من فضةٍ وطرائفٍ من لازَوَرد

والسفن كالطير انبرت في الجوّ من مَثْنَى وفرد

حتّى إذا جزرَ الفرا تُ مضى وأعقبه بمدّ(٥)

(١) يقال للجيش العظم : مجر ، لثقله وضخمه .

(٢) حكى ماءه ، أي أشبه ماء الورد في لونه . وفي الأصل : «حكى ماؤه نافلم» تحريف .

(٣) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن بن المرار ، المعروف بالصنوبرى الحلبي . قال السمعاني في الورقة (٣٥٥) : نسبة إلى الصنوبر . وانظر تعليلا آخر في مختصر تاريخ دمشق (١ : ٤٥٦) . ووفاته سنة ٣٣٤ هـ . كما في شذرات الذهب . وانظر فوات الوفيات (١ : ٧٧) .

(٤) الرند : شجر من أشجار البادية طيب الرائحة ، ويقال للآس « رند » . وفي الأصل : « وورد » ، ولا وجه له .

(٥) في الأصل : « بورد » ، ووجهه ما أثبت .

أبصرته وكأنه ملقًى عليه رداء وردِ
متململاً كالصبِّ أو ذِنَ من أحبّته بصَدِّ
وكأنَّما بحشاه ما بحشاىَ من قلقٍ ووَجد

وقال تميم المعز، وأحسن التشبيه(١):

يوم لنا بالنيل مختصَرُ وبكلِّ يومِ مسرةٍ قِصَرُ
والسُّفْنُ تصعدُ كالخيول بنا فيه وجيشُ الماء ينحدرُ
فكأنَّما أمواجُه غُرف وكأنما داراته سُرر

وقال محمد بن الحسن:

النهر مكسوٌّ من الأزهار بردًا أنيقًا مثل ثوب . . .
. . . . يجرى بمسك أو بذوب نضار(٢)
وإذا استقام رأيت صفحةَ مُنْصُل وإذا استدارَ رأيت عَطف سِوار

وقال أبو الحسن محمد بن الوزير، فى تدرُّج زيادة الماء إصبعاً إصبعاً، ومنفعةِ ذلك التدرُّج:

أرى أبدًا كثيرًا مِن قليل وبدرًا فى الحقيقة مِن هِلال
فلا تعجبْ فكلُّ قليلِ ماء بمصرَ مسبِّب لخليج مالِ
زيادةُ إصبعٍ فى كلِّ يوم زيادةُ أذرع فى حُسن حال

فإذا كان فى الخامسَ عشرَ ذراعًا وزاد من السادسَ عشر إصبعاً واحدة كُسِر الخليج(٣).

ولكسره يوم معدود، ومَقام مشهود، ومُجتمَع غاصٌّ، يحضُره العامّ والخاص. وإذا كُسِر فتحت التُّرع ـ وهى فوّهات الخلجان ـ ففاض الماء

(١) الأبيات التالية لم أجدها فى ديوان تميم.
(٢) فى الأصل: «يجرى لسك ذوب نضار».
(٣) فى الأصل: «نفعت نفعاً عظيما»، وأثبت ماعند المقريزى فى (١ : ٥٩).

وساح، وعم الغيطانَ والبطاح[١]، وانضمّ الناسُ إلى أعلى مساكنهم من الضِّياع والمنازل، وهى على آكام وربًى لا ينتهى إليها الماء، ولا يتسلط السيل عليها، فتعود عند ذلك أرض مصر بأسرها بحرًا غامرًا لما بين جبليها المكتنفين لها. وتثبت على هذه الحالِ ريثما يبلغ الحدَّ المحدود، فى مشيئة الرب المعبود. وأكثر ذلك يحوم حول ثمانيةَ عشرَ ذراعًا، ثم يأخذ عائدًا فى منصبِه، إلى مجرى النيل [ومسربه، فينضب أوّلاً عما كان[٢]] من الأرض مشرفًا عاليًا، ويصير فيما كان منها متطامنًا[٣]، فيترك كلَّ قرارة كالدرهم، ويغادر كلَّ تلعة كالبُرد المسهَّم. وفى هذا الوقت من السنة تكون أرض مصر أحسن شىء منظرًا، ولا سيما متنزَّهاتها المشهورة، ودياراتها المطروقة، كالجزيرة، وبركة الحبَش[٤] وماجرى مجراها من المواضع التى يطرقها أهل الخلاعة، ويتنابهاذو والأدب والطرب.

واتَّفق أن خرجنا فى مثل هذا الزمانِ إلى بركة الحبَش، فافترشْنا من زهرها أحسنَ بساط، واستظللنا من دوحها بأوفى رواق، وطلعت علينا من زُجاجات الأقداح شموسٌ فى خِلَع البدور، ونجومٌ[٥] بالصفاء تنور، إلى أن جرى ذهبُ الأصيل على لجين الماء، ونشِبت نار الشفق بفَحمة الظلماء، فقال فى ذلك بعضُنا[٦]

---

(١) فى الخطط: «وغمر القيعان والبطاح».

(٢) مكان هذه التكملة التى أثبتها من الخطط بياض فى الأصل.

(٣) بدل هذه الجملة فى الأصل «... متحفظ ... نسطاميا»، ولا كماله وصوابه من الخطط.

(٤) كانت فى ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين النيل والجبل. وسميت بركة الحبش نسبة إلى قتادة بن قيس بن حبشى الصدفى، ممن شهد فتح مصر، وكانت له حدائق بجوار هذه البركة تعرف بالحبش فنسبت البركة إليها. وهذه البركة موقعها اليوم منطقة الأراضى الزراعية التابعة لزمام قرية دير الطين، وجزء عظيم من الأراضى الزراعية التابعة لقرية البساتين. انظر الخطط (٢ : ١٥٢) والنجوم الزاهرة (٥ : ١٤).

(٥) فى الأصل: «وجوم».

(٦) يعنى نفسه. وجاء فى الخطط (٢: ١٥٥): «وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب: «وخرجت مرة حيث بركة الحبش التى يقول فيها أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى عفا الله عنه». وأنشد الأبيات التالية. وجاء فى (٢ : ١٦٠): «بئر أبى سلامة وتعرف ببئر الغنم، وهى من قبلى النوبية، وموضعها أحسن موضع فى البركة، وهى التى عنى أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بقوله». وأنشد الأبيات، ورواها ياقوت فى ترجمة أمية منسوبة إليه.

لله يومى ببركة الحبشِ والأفْق بين الضياء والغَبَشِ
والنيلُ تحت الرياح مضطربٌ كصارم فى يمينِ مرتعشِ
قد نسجتها يدُ الغمام لنا فنحن من نَسجها على فُرُش
ونحن فى روضة مفوّفة دُبِّج بالنَّور عِطفها ووُشى[(١)]
فعاطِنى الراحَ، إنَّ تاركها من سورة الهم غير منتعش
وسقّنى بالكبارِ مترعةً فهنَّ أروى لشدّة العِطش[(٢)]
فأثقلُ الناس كلُّهم رجلٌ دعاه داعى الصبا فلم يَطِش[(٣)]

وقال أيضاً :

علِّلْ فؤادَك باللذات والطَّربِ وباكِرِ الرَّاحَ بالغايات والنُّخَبِ
أما تَرى البِركة الغنَّاء لابسةً وشْياً من النَّورحاكته يدالسُّحُبِ
وأصبحَتْ من جديدالنَّبْت فى حُلَل قدأبرز القَطرُ منها كلّ محتجِبِ
من سَوسنٍ شرقٍ بالطَّلّ محجِرُه وأقحوانٍ شهىِّ الظَّلْم والشنَبِ
وانظر إلى الورد يحكى خدّ محتشمٍ من نَرجس ظلَّ يُبدى لحظَ مرتقِبِ
والياسمينَ وقد أربَى على درر والراح من دُرَر تطفو على ذهب
كم مرّة قد شفَينا فيه غُلّتنا بجاحمٍ من فم الإبريق ملتهِبِ[(٤)]
شمسٌ من الراح حيَّانا بها قمرٌ موفٍ على غصُن يهتزّ فى كُثُب
أرخى ذوائبَه، وانهزّ منعطفاً كصَعدة الرمح، فى مسودّة العَذَب
فاطربْ ودونكهافاشربْ فقد نغبت على التصابى دواعى اللهو والطرب

ومما يتعلّق بوصف النيل من أبياتٍ له كتبها إلى الأفضل ليلة المِهرجان :

(١) فى الأصل : « ذبح بالقطر » ، صوابه من الخطط ومعجم الأدباء .
(٢) فى الأصل : « لعل أروى » . وفى معجم الأدباء : « فهن أشفى » .
(٣) فى الأصل : « يدعوه داعى الصبا » ، وأثبت ما فى الخطط ومعجم الأدباء .
(٤) فى الأصل : « علتنا » بالمهملة .

أبدعتَ للناس منظرًا عجبًا   لا زِلت تُحيي السرورَ والطربا
ألّفت بين الضِّدَّينِ مقتدرًا   فمن رأى المـاءَ خالطَ اللهبا
كأنَّما النيل والشموعُ به   أفقُ سماءٍ تألّقت شهبا
قد كانَ من فضّةٍ فصار سماً   وتحسبُ النارَ فوقه ذهبا

وقد تعاور الشعراء . . . . . شعاع على صبح . ومن مايح ما قيل فى ذلك قول بعض أهل العصر ، وهو أبو الحسن على بن أبى البشر الكاتب :

شربْنا معْ غروبِ الشمس شمساً   مشعشعةً إلى وقت الطلوع
وضوء الشمع فوق النيل باد   كأطراف الأسنة فى الدُّروع

وأنشد أبو منصور الثعالبي (فى يتيمة الدهر) لمنصور بن كيغلغ[1] :

قام الغلامُ يديرها فى كفه   فحسبتُ بدر التمِّ يحمل كوكبا
والبدر يجنح للأفول كأنه   قد سَلّ فوق الشطّ سيفاً مذهباً[2]

وأنشد فيه[3] للقاضى أبى القاسم على بن إبراهيم بن أبى الفهم التنوخى :

أحسِنْ بدجلةَ والدُّجى متصوّبُ   والبدر فى أفق السماء مغرّبُ
فكأنها فيه بساطٌ أزرقٌ   وكأنه فيها طراز مُذهبُ[4]

وقال ابن وكيع التِّنِّيسى :

غديرٌ يدرِّج أمواجَه   هبوبُ الشمال ومَرّ الصَّبا
إذا الشمسُ من فوقه أشرقَتْ   توهّمتَه جوشناً مُذهبا

---

(١) فى الجزء الأول من يتيمة الدهر (ص ٦٥) . وقبل البيتين :
عاد الزمان بمن هويت فأعتبا   ياصاحبي فسقيانى واشربا
كم ليـلة سامرت فيه بدرها   من فوق دجلة قبل أن يتغيبا

(٢) فى الأصل : «فوق اللحظ» ، وفى اليتيمة : « فوق المـاء » . وانظر ماسيأتى فى شعر ابن التمار الواسطى .

(٣) أى فى هذا المعنى أو فى كتاب يتيمة الدهر . انظر اليتيمة (١ : ٦٥) .

(٤) فى الأصل : « وكأنه فيه طراز » ،والوجه ما أثبت من اليتيمة .

وقال بعض أهل العصر من قصيدة :

باطى نهر كان الر وهو اللجين به ذوبا[١]
إذا حمشته الصبا رأيته كأنه زردًا مذهبا .

وقال أبو عُبادة البحترىّ يصف بِركة :

إذا علتها الصبا أبدت بها حُبُكا مثلَ الجواشن مصقولاً حواشيها[٢]
إذا النجُوم تراءت فى جوانبها ليلاً حسبتَ سماء رُكِّبت فيها

وقد أحسن عبدُ الله بن المعتز فى قوله :

وتبدّى لهن بالنجف المُقـ ـفِر ماء صافى الجمام غرىّ[٣]
فإذا قابلته دُرَّةُ شمس خلتَه كُسِّرت عليـه الحلىّ[٤]

وقال ابن التَّمّار الواسطى يصف ضوءَ القمر على دجلة :

قف فانتصف من صُروف الدهر والنُّوَبِ واجمعْ بكأسك شملَ اللهو والطَّربِ
أمَا تَرَى الليـلَ قد ولّتْ عساكرُه مهزومةً وجيوشُ اللهو فى الطلب
والبدرُ فى الأفق الغربىِّ تحسبه قد مدَّ جسراً على الشَّطّين من ذهب

وقال محمد بن عبد الله السَّلامى :

ونهرٍ تمرح الأمواجُ فيـه مِراحَ الخيل فى رَهَج الغـبار
إذا اصفرَّت عليـه الشمس خِلْنا نميرَ المـاء يُمزج بالعُقـار

* * *

وأمّا سكّان أرضِ مصرَ فأخلاطٌ من الناس مختلفةُ الأصناف[٥] : من قِبط وروم وعَرَب وبربر وأكرادٍ ودَيلم وحُبشان وأرمن[٦] ، وغيرِ ذلك من

(١) كذا ورد البيتان على مابهما من تحريف .
(٢) البيتان من قصيدة له يمدح فيها المتوكل ويصف بركته . الديوان ٣١٩ .
(٣) الغرى : البارد ، يقال غرى الغدير : برد ماؤه .
(٤) فى ديوان ابن المعتز ٦١ : « فإذا ضاحكته » .
(٥) فى الخطط (١ : ٤٨): « مختلفو الأصناف » .
(٦) هذه الكلمة ليست فى الخطط .

الأصناف والأجناس على حسب اختلافاتهم ، وقالوا : إن السبب فى اختلافهم، والموجب لاختلاطهم، اختلاطُ المالكين لها ، والمتغلِّبين عليها ، من العمالقة واليونانيين والروم والعرب وغيرهم ، فلهذا اختلطت أنسابُهم فاقتصروا من التعريف بأنفسهم على الانتساب إلى مواضعهم[١] ، والانتماء إلى مساقطهم ومواقعهم .

وحكى جماعةٌ من المؤرخين أنهم كانوا فى الزمن السالف عُبَّادَ أصنام، ومدبرى هياكل ، إلى أن ظهر دينُ النَّصرانية وغَلب على أرض مصر فتنصَّروا، وبقُوا على ذلك إلى أن فتحها المسلمون فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فأسلم بعضُهم وبقى بعضٌ على دين النصرانية ، ومذهبهم مذهب اليعاقبة .

وأما أخلاقهم فالغالب عليهم اتّباع الشهوات ، والانهماكُ فى اللذات، والاشتغال بالتُّرَّهات ، والتصديقُ بالمحالات ، وضعفُ المرائروالعزَمات ، إلى غير ذلك مما حكاه أبوالحسين على بن رضوان فى ذلك واقتصَّه ، وأورده من الأمور الطبيعيةوموجبه[٢] ، وكفى به حَكَماً منصفاً ، وشاهدًا عدلاً .

وحكى الوصيفىُّ فى كتابه الذى ألَّفه فى أخبار مصر أنَّ أهلَها فى الزمن السابق كانوا يعتقدون أنَّ هذا العالم ، الذى هو عالمُ الكون والفساد أقام برهةً من الدهر خالياً من نوع الإنسان ، عامرًا بأنواع أُخَر غير الإنسان ، وأن تلك الأنواعَ مختلفةٌ على خِلق فاذَّة[٣] ، وهيئات شاذَّة ، ثم حدث نوعُ الإنسان فنازَعَ تلك الأنواعَ فغلبها واستولى عليها ، وأفنى أكثَرَها قتلاً ، وشرَّد ما بقى منها إلى القفار ، وأن تلك المشرَّدة هى الغيلان والسَّعالى وغير ذلك ، مما حكاه من اعتقاداتهم المستحيلة ، وتصوُّراتهم الفاسدة، وتوهُّماتهم النافرة . إلا أنَّه يظهر من

---

(١) فى الخطط : « على الإشارة إلى مواضعهم » .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة .

(٣) الفاذة : المنفردة . وفى الحديث : « هذه الآية الفاذة » ، أى المنفردة فى معناها .

أمرهم أنه كان فيهم طائفة من ذوى المعارف والعلوم ، خصوصاً بعلم الهندسة والنجوم[١] . ويدلُّ على ذلك ما خلفوه من الأشغال[٢] البديعة المعجزة ، كالأهرام والبَرابى، فإنها من الآثارالتى حيَّرت الأذهان[٣] [الثاقبة، واستعجزت الأفكار الراجحة]، وتركت لها شغلاً بالتعجُّب منها، والتفكُّر فيها . وفى مثلها يقول أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرى فى قصيدته التى يرثى بها أباه[٤] :

تضلُّ العقولُ الهِبْرزِيَّاتُ رشدَها ... ولا يسلمُ الرأى القويم من الأَفْنِ

وقد كان أربابُ الفصاحة كلَّما ... رأوا حَسَناً عدُّوه من صَنعة الجنّ

وأىُّ شىء أعجبُ وأغرب بعد مقدورات الله ومصنوعاته، من القدرة على بناء جسم [جَسِيم[٥]] من أعظم الحجارة، مربع القاعدة مخروط الشكل، ارتفاع عموده ثلثمائة ذراع ونحو سبعةَ عشر ذراعاً[٦] يحيط به أربعة سطوح مثلثات متساويات الأضلاع، طول كلِّ ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا[٧] وهو مع هـذا العِظم[٨] ، من إحكام الصَّنعة وإتقانها[٩] ، فى غايةٍ من حسن التقدير بحيث لم يتأثَّر[١٠] إلى هلمَّ جرّا[١١] بعصف الرياح وهَطْل السحاب،

---

(١) فى الخطط (١ : ١١٨) : « وخصوصاً علم الهندسة والنجوم » .

(٢) فى الخطط : « من الصنائع » .

(٣) فى الأصل : « الآثار البعيدة من الأذهان»، صوابه من الخطط .

(٤) فى سقط الزند (١ : ١٩٦) بشرح التنوير .

(٥) هذه من الخطط .

(٦) فى الخطط : « تسعة عشر ذراعا » . والذراع يذكر ويؤنث .

(٧) فى النجوم الزاهرة (١ : ٩٨) نقلا عن أبى الصلت : « وسبعون ذراعاً » .

(٨) فى الأصل : « مع هـذا الطول منه » وكتب إزاءه : « فى العظم » بدلا من « الطول منه » . وأثبت ما فى الخطط .

(٩) بدله فى الخطط : « وإتقان الهندام » .

(١٠) فى الأصل : « وهو لايتأثر » ، وأثبت ما فى الخطط .

(١١) كذا ورد فى الأصل والخطط . ولعلها : « إلى اليوم وهلم جرا » .

وزعزعة الزلازل . وهذه صفة كلٍّ واحد من الهرمين المحاذيين للفسطاط من الجانب الغربي ، على ما شاهدناه منهما[١] .

وقال بعضهم وقد ذكر عجائب مصر : «وما على وجه الأرض بَنِيَّة إلا وأنا أرثِي لها من الليل والنهار ، إلا الهرمين فإني أرثي لليل والنهار منهما » .

وهذانِ الهرمان[٢] لهما إشرافٌ على أرض مصر وإطلالٌ [على] بطائحها، وإصعادٌ على ذُراها . وهما اللذان أراد أبو الطيب المتنبي بقوله :

أين الذي الهرمانِ من بُنيانه ... ما قومُه ، ما يومُه ، ما المصرع[٣]
كنا نظنُّ ديارَه مملوءةً ... ذهبًا فمات وكلُّ دار بلقعُ[٤]
تتخلَّف الآثارُ عن أربابها ... حيناً ويُدركُها الخراب فتَتْبع[٥]

واتّفق أن خرجنا يوماً إليهما ، فلما أطفنا بهما واستدرنا حولهما كثُر تعجبنا منهما ، فتعاطينا القولَ فيهما ، فقال بعضنا[٦] :

بعيشك هل أبصرتَ أعجَبَ منظراً ... على طُول ما أبصرتَ من هرمَيْ مصر[٧]
[أنافا عِناناً للسماء وأشرفَا ... على الجوِّ إشرافَ السِّماك أو النَّسرِ[٨]

(١) في الأصل : « منها » ، والصواب في الخطط .
(٢) في الأصل : « أرثي لليل والنهار منها على وهذان الهرمان من أعظمها. » وأثبت الصواب من الخطط .
(٣) من قصيدة له في ديوانه (١: ٤٠٥) بشرح العكبري، يرثي بها أباشجاع فاتكا .
(٤) هذا البيت لم يورده المقريزي ، وهو هنا في غير موضعه الطبيعي . وموضعه في الديوان بعد بيت يتلو الثالث هنا ؛ لأن ضمير « دياره » عائد إلى أبي شجاع في البيت المشار إليه ، وهو :

لم يرض قلب أبي شجاع مبلغ ... قبل الممات ولم يسعه موضع

(٥) في الخطط : « عن سكانها » . وفي الديوان : « عن أصحابها » .
(٦) في بدائع البدائه ١٣٦ أن الذي قال الشعر هو أبو الصلت نفسه .
(٧) بعد هذا في الأصل بياض بقدر صفحتين ، وقد وقفت لسد هذا الفراغ مما نقله المقريزي في الخطط (١ : ١١٨ ـ ١١٩) : ووضعت هذا السقط بين معقفي التكملة : [ ] .
(٨) في بدائع البدائه : « أنافا بأكناف السماء » .

وقد وافيا نشزاً من الأرض عالياً   كأنهما نَهْدانِ قاما على صدر[١]

وزعم قومٌ أن الأهرام قبور ملوكٍ عظام ، آثروا أن يتميَّزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم ، كما تميّزوا عنهم فى حياتهم ، وتوخَّوا أن يبقى ذِكرُهم بسببها على تطاول الدهور ، وتراخى العُصور .

ولما وصل الخليفة المأمونُ إلى مصر[٢] أمر بنقْبِها ، فنُقِب أحدُ الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جُهد شديد، وعناء طويل ، فوجدوا داخله مهاوِىَ ومراقىَ يهول أمرها ، ويعسُر السلوكُ فيها ، ووجدوا فى أعلاها بيتاً مكعباً ، طول كل من أضلاعه نحوٌ من ثمانية أذرع ، وفى وسطه حَوْض رُخام مطبَق ، فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غيرَ رِمّة بالية ، قد أتت عليها العصور الخالية ، فعند ذلك أمر المأمون بالكفِّ عن نقب ماسواه . ويقال: إن النفقة على نقبه كانت عظيمة ، والمؤونةَ شديدة .

ومن الناس مَن زعم أن هرمس الأوّل ، المدعو بالمثلّث بالنبوة والملك والحكمة ، وهو الذى يسميه العبرانيون خنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شِيث بن آدم عليه السلام ـ وهو إدريس عليه السلام ـ استدلَّ من أحوال الكواكب على كَون الطُّوفان يعمُّ الأرض ، فأكثَرَ من بُنيان الأهرام ، وإيداعِها الأموال وصحائف العلوم ، وما يُشفِق عليه من الذَّهاب والدُّروس، حفظاً لها ، واحتياطاً عليها . ويقال : إنّ الذى بناها ملك اسمه سوريد بن سهلوق بن سرياق . وقال آخرون : إن الذى بنى الهرمين المحاذيين للفسطاط شدّاد بن عاد ، لرؤيا رآها . والقِبط تنكر دخول العمالقة بلد مصر ،

(١) بعده فى بدائع البدائه : « وصنع أبو منصور ظافر الحداد :

تأمل هيئة الهرمين وانظر   وبينهما أبو الهول العجيب
كعماريتين على رحيل   بمحبوبين بينهما رقيب
وفيض البحر بينهما دموع   وصوت الريح بينهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب   تخلف فهو محزون كئيب »

(٢) كان ذلك فى سنة ٢١٧ كما فى كتب التاريخ .

وتحقق أن بانيهما سوريد[١] ، لرؤيا رآها ، وهى أنّ آفة تنزل من السماء ، وهى الطوفان . وقالوا إنه بناهما فى مدة ستة أشهر ، وغشّاهما بالديباج الملون ، وكتب عليهما :

« قد بنيناهما فى ستة أشهر ، قل لمن يأتى من بعدنا يهدمهما فى ستمائة سنة ، فالهدم أيسر من البنيان ، وكسوناهما الديباج الملون فليكسُهُما حصراً ، فالحصر أهون من الديباج » .

ورأينا سطوحَ كلٍّ واحد من هذين الهرمين مخطوطةً من أعلاها إلى أسفلها بسطور متضايقة متوازية ، مِن كتابةِ بانيها ، لا تُعرف اليومَ أحرفُها ، ولا تُفهَم معانيها . وبالجملة الأمر فيها عجيب ، حتى إنّ غاية الوصف لها والإغراق فى العبارة عن حقيقة الموصوف منها ، بخلاف ما قاله على[٢]] بن العباس الرومى ، وإن تباعد الموصوفان ، وتباين المقصودان ، إذ يقول :

إذا ما وصفتَ امرأ لامرئٍ ... فلا تغلُ فى وصفه واقصدِ
فإنّك إن تغلُ تغلُ الظنو ... نُ فيه إلى الغَرض الأبعدِ
فيصغر من حيث عظّمته ... لفضل المَغيب على المشهد

وكذلك أمر البرابى ، كبربا إخميم ، وبربا سمنود[٣] ، وبربا دندرا[٤] ، فإن فيها من الإحكام وجودة الشكل وحسن التصوير ، ما يدلُّ على أن عُمَّارها

(١) فى النجوم الزاهرة : « سويرد وقيل سويد » .
(٢) إلى هنا ينتهى السقط الذى نبهنا عليه فى الحاشية ٧ من صفحة ٢٦ .
(٣) فى الأصل : «سمندو» ، صوابه من المقريزى عند ذكر البرابى ، وقال ياقوت : « كورة السمنودية كان فيها بربا وكانت إحدى العجائب . قال القضاعى : ذكر عن أبى عمرو الكندى أنه قال : رأيته وقد خزن فيه بعض عمالها قرظاً ، فرأيت الجمل إذا دنا من بابه وأراد أن يدخله سقط كل دبيب فى القرظ ، ولم يدخل منه شى إلى البربا . ثم خرب عند الخمسين وثلثمائة » .
(٤) فى الأصل : « ديدار » وإنما هى « دندرا ، أو دندرة ، أو « أندرا » كما فى معجم البلدان . وفى بربا دندرة يقول المقريزى : وهو بربا عجيب ، فيه ثمانون ومائة كوة تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ، ثم الثانية حتى تنتهى إلى آخرها ، ثم تكر راجعة إلى موضع بدئها » . وأنشد ياقوت فى مطلع أبيات :

إن قاض بدندرا ... قال بيتين سطرا

ذوو عقول راجحة ، وأنّه قد كانت لهم بالحكمة عنايةٌ بالغة ، لاسيما بصناعتى الهندسة والنجوم .

وقال بعضُ أهلِ العناية بأخبار الأمم وتواريخهم : كان بمصرَ بعد الطُّوفان علماء بضروب الحكمة ، من العلوم الرياضيّة والطبيعية والإلهيّة ، ومتحقِّقون بعلم المَرَايا المحرِقة ، وبالطِّلَّسمات والنِّيرنجيات وغير ذلك .

والمُلك بمصرَ من قديم الزمان بمدينة منف ، وهى فى غربى النيل ، على مسافة اثنى عشر ميلا من الفسطاط . ولما بنى الإسكندرُ مدينةَ (الإسكندرية) منذ نحو ألفِ سنة وأربعمائة سنة وأربعين سنة ، رَغِبَ الناسُ فى عمارتها[1] ، وكانت دارَ العلم ، وَمَقرَّ الحكمة ، إلى أن تغَلَّب عليها المسلمون فى خلافة عمرَ بنِ الخطاب ، رضوان الله عليه ، واختط عمرو بن العاص مدينته المعروفة (بالفسطاط) فانسرب أهلُ مصرَ وغيرُهم من العرب والعجم إلى سكناها ، فصارت قاعدةَ ديارِ مصر ومركزَها إلى وقتنا هذا .

فيقال إنّ من قدماء أهل العلم بها هرمس الثالث[2] ، وكان فيلسوفاً جوّالا فى البلاد ، طوّافاً فى المدائن ، عالماً بنُصبتها[3] ، وطوالعها وطبائع أهلها ، وله تصانيف جليلة مفيدة فى فنون من الحكمة .

ومنهم ديوفنطس[4] صاحب المقالات الموضوعة فى علم العدد وخواصه على طريق الجبر والمقابلة .

---

(١) فى الأصل : « وأعجب فى عمارتها » ، صوابه من المقريزى (١ : ١٣٥) .

(٢) فى الأصل : « هرمس الثانى » ، والصواب ما أثبت من عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة (١ : ١٧) حيث ذكر الهرامسة الثلاثة ، وقال فى هرمس هذا : « وأما هرمس الثالث فإنه سكن مدينة مصر ، وكان بعد الطوفان » . وأما هرمس الثانى فهو كلدانى من أهل بابل . وهرمس الأول مصرى كان قبل الطوفان ، وهو عند العرب إدريس عليه السلام .

(٣) فى الأصل : « بنصبها » ، وفى عيون الأنباء : « عالماً بنصبة المدائن وطبائعها » .

(٤) ذكره ابن أبى أصيبعة فى (١ : ٢٤٥) فى أثناء ترجمة «قسطا بن لوقا» ، قال : « كتاب فى ترجمة ديوفنطس فى الجبر والمقابلة » : وذكره أيضاً عرضاً فى ترجمة ابن الهيثم (٢ : ٩٨) .

ومنهم الإسكندرانى[١] صنف كتاب الأفلاك ، وكتاب القانون فى تقويم الكواكب .

ومنهم روسم[٢] صاحب التصانيف فى الكيميا .

ومنهم أنقلاؤس الإسكندرى[٣] وأصحابه، الذين اختصروا كتب جالينوس فى صناعة الطب ، وألفوها على طريق المسألة والجواب ، يدلُّ حسن اختصارهم لها على وفور علمهم ، وفَضل معرفتهم .

ومنهم واليس[٤] صاحب الكتاب المعروف بالبريدج الرومى ، المصنَّف فى المواليد وما يتقدمها من المدخل إلى علم أحكام النجوم . ويقال إنه الذى استخرج بطول التحرِّى[٥] ومواصلة العَناء ، جدودَ المصريين .

فهؤلاء هم المشهورون من أهل الحكمة بمصر فى ذلك الزمان . وأما زماننا هذا فقد دثر منها كلُّ علم وامّحى رسمُه ، وجُهل اسمه ، ولم يبق إلا رَعاع وغُثاء وجَهَلة دهماء ، وعامّة عمياء ، وجُلُّهم أهلُ رعانة[٦] ولهم خبرةٌ بالكيد والمكْر ،

---

(١) لعله « أوطيمن الإسكندرانى » . قال القفطى فى أخبار الحكماء (٥٠) : « كان عالماً بالرياضة محققاً للأرصاد خبيراً بعمل آلاتها » . اجتمع هو وميطن على الرصد بمدينة الإسكندرية من الديار المصرية ، ورصدا وأثبتا ما تحققاه ، وتداوله العلماء بعدهم إلى زمن بطليموس القلوذى الراصد بالإسكندرية . « وكان زمنهما قبل زمانه بخمسمائة وإحدى وسبعين سنة » .

(٢) ذكره القفطى فى ص ١٢٧ ، بلفظ « روشم » قال : « روشم المصرى ، هذا الرجل كان بمصر قبل الإسلام ، وهو قيم بعلوم الكيمياء وأصولها وتفصيلها وإحكام أمر تركيبها ... وله فى ذلك كتب جليلة مشهورة عند علماء هذا النوع يتنافسون فى تحصيلها ، والظفر بها » .

(٣) ترجم له القفطى فى (٥١ — ٥٢) وابن أبى أصيبعة فى (٥ : ١٠٣ ـ ١٠٤) .

(٤) ذكره القفطى فى (١٧٢) قال : « فاليس المصرى ، وربما قيل واليس الرومى ، كان حكيما فاضلا فى الزمن الأول بعلوم الرياضة وأحكام النجوم . وله فى ذلك المؤلفات الجميلة المشتملة من هذا النوع على المقاصد الجليلة . وهو مؤلف الكتاب المشهور بين أهل هذه الصناعة ، المسمى بالبريدج الرومى » .

(٥) فى الأصل : « التجربة » .

(٦) المعروف فى هذا المصدر : الرعن ، والرعونة .

وفيهم بالفطرة قوةٌ عليه وتلطُّف فيه وهدايةٌ إليه، لِمَا فى أخلاقهم من المَلَق والسياسة[١] التى أربَوا فيها على كلِّ مَن تقدَّم وتأخَّر، وخُصُّوا بالإفراط فيها دون جميع الأمم، حتَّى صار أمرهم فى ذلك مشهوراً، والمثلُ بهم مضروبا.

وفى خبثهم ومكرهم يقول أبو نواس[٢]:

مَحَضتكمُ يا أهل مصرَ نصيحتى ألاَ فخُذُوا من ناصحٍ بنصيب[٣]
رَماكم أميرُ المؤمنين بحيَّـةٍ أكولٍ لحيَّات البلاد شَروب
[ولا تثِبوا وثبَ السَّفاة فتركبوا على حدٍّ] حامى الظهر غيرِ ركوب[٤]
فإن يك باقى إفك فرعون فيكم فإن عصا موسى بكف خصيب

* * *

وأما حالُ المنتسبين إلى العلم منهم فأنا ذاكرٌ منها ما وقفت عليه، وكشفت بالمحنة عنه. كنت فى أول جلوسى بها شديدَ العناية بكتب جالينوس وبقراط، باحثاً عن مُشكلها، فاحصاً عن مستغلِقها، فحرَصت كلَّ الحرص، وجَهدت كلَّ الجهد على أن أجدَ من أهل هذه الصناعة مَن أستفيد منه وأستزيد بمذاكرته وأقدح خاطرى بمفاوضته، فلم أجدْ غيرَ قومٍ طبع الله على قلوبهم وأعمى أبصارَهم، وطمس أفهامَهم، وحال بين الحكمة وبينهم، فكانوا وإيّاىَ، كما قال الشاعر:

قومٌ إذا جالستُهمْ صدئتْ بقربهم العقولْ
لا يُفهمونى قولَهــم ويدقُّ عنهم ما أقول
فهمُ كثيرٌ بى كما أنِّى بجمعهم قليـل

(١) فى الخطط (١ : ٤٩) : «الملق والبشاعة».
(٢) الأبيات الأربعة فى ديوانه (١٠٣ — ١٠٤) يمدح بها الخصيب أمير مصر.
(٣) فى الديوان : «منحتكم يا أهل مصر».
(٤) التكملة من الديوان (١٠٣)، وموضعها بياض فى الأصل. حامى الظهر: هو البعير الذى حمى ظهره فيترك فلا ينتفع منه بشىء ولا يمنع من ماء ولا مرعى. وفى الأصل: «حانى الظهر» صوابه من الديوان. والبيت لم يرد فى الخطط.

وقد تخلَّقوا بكثرة الخِلاف، وقلة الإنصاف، ولزموا البُهْتَ والمعاندة، والشغَب والمكابرة، وجهلهم بصناعة الكتب وخلوّهم من أداتها، وعدمَهم لعددها وآلاتها، وإهمالَهم لشرائطها، وإغفالَهم للوازمها، وقصورَ أذهانهم عن إدراك دقائقها، وبُعدَ عقولهم عن تصوُّر حقائقها، ولم يعلموا أنَّ الطبيبَ محتاج إلى أشياء تعينُه فى صناعته، وتفتح له مغالقَها، وتوضّح مُشكلها، وتشرح مشتبِهها، وتبيّن له مستعجِمَها، وتذيقه بردَ اليقين[1]، وتجلو عن عين بصيرته ظُلَم الشُّكوك والظُّنون، وهى العلوم الطبيعية التى تعرّفه مبادِئها وأوائلها، وتعطيه استقُصّاتها وعناصرَها[2]، والقوانينُ القياسية التى تسدِّد ذهنَه نحوَ الصواب فيما يلتمس علمَه، ويتطأّب فهمَه، وتعرِّفه كيف يُحيل[3] مطلوباتها إليه، ويبنى قياساتِه عليها، وكيف يتطرّق من جليِّها إلى خفيِّها، ويستدلّ بظاهرها على غائبها، ويأمن الزّلَل، ووقوعَ الخطل والخلل، ويحقّق الأسباب والعلل.

ولا بدَّ لمن أراد أن يكون طبيبا كاملا، وحكيما فاضلا، من النظر فى العلوم الرياضية، ولا سيما النجوميّة منها والموسيقاوِيّة. وأولى الناس بأن يكون على هذه الصِّفة أطباء الملِك التُّبَّعى الألمعىّ، الذى إنما يستعمل الطبيب والمنجِّم على جهة الاستظهار، لا على جهة الافتقار والاضطرار. وكيف ونظرُه الأعلى، وقِدحُه المعلَّى، وسهمُه الأسدُّ، وباعه الأمَدّ. ومن كان مثلَه - ولا مثلَ له فى تطبيق المفاصل، وإصابة الشواكل - لخليقٌ به أن يَختار، ولا يُختار، ويستبدّ، ولا يستمدّ.

---

(١) فى الأصل: «برد النفس»، والوجه ماأثبت.

(٢) الأستقص، ويقال الأسطقس، هو الشىء البسيط الذى منه يتركب المركب، كالحجارة والقراميد والجذوع التى يتركب منها القصر، وكالحروف التى منها يتركب الكلام، وكالواحد الذى يتركب منه العدد. والأسطقسات الأربعة هى النار والهواء والماء والأرض. انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى (٨٢).

(٣) فى الأصل: «يحلل».

هيهاتَ أن يأتِي الزمانُ بمثله   إنَّ الزمان بمثـــله لبخيلُ

فلمَّا [لم] يأخذوا نفوسَهم بالإتقان لما قد سَلَف تعديدُه ، بل استطالوه ، واستبعدوا الأمدَ إليـه ، ورأوا أنَّ غرضَهم من صناعة الطب الذى هو عندهم وبحسب رأيهم ، التكسُّبُ بما يتمُّ لهم بأقربَ ممَّا شَرَطه الأوائل متناوَلاً ، وأسهلَ مراما ، لم يحفظوا[١] غيرَ أسماء أدويةٍ قليلة العـدد يصرِّفونها فى مداواة كلِّ مرض دونَ إعمالِ فـكرِهم فى حقيقة نوعه وسببه ، ومقتضيه وموجِبِه .

وقد ذمَّ جالينوسُ من فِرَق الطبِّ الثلاثِ الفرقةَ الحِيَليّة[٢] ، لحذْفِها جميعَ لوازم الصناعة الطبية ، واقتصارِها فى المداواة على النَّظر فى المرض ، هل من جنس الاستفراغ فيقابل بالإمساك ، أو من جنس الإمساك فيقابل بالاستفراغ ، دون الفحص عن أمر المِزاج والسنّ والسجيَّة ، والبلد والعادة والماهيَّة . فما ظنكَ بجالينوسَ لو شاهدَ هؤلاءِ الذين لا يثبُتون على نِحلة ، ولا ينتسبون إلى فرقة ، فإن برئْ على أيديهم عليلٌ فبُرؤُه على جهـة الاتِّفاق ، وإن هلَك فبالواجب والاستحقاق ، وهم كما قال الشاعر فى مثلهم :

وطبيبٍ مجرِّب ما له بالـ   ـنُّجح فى كلِّ مايجرب عادهْ
مرَّ يومًا على عليلٍ فقلنا   قَرَّ عيناً فقد رُزِقْتَ الشَّهاده

وكما قال الآخر فى بعض حكمائنا المشهورين عند العوامّ بالحذق والتقدم :

قل للوَبَا أنت وابنُ زُهر   قد جُزتما الحدَّ والنهايهْ
ترفَّقا بالورَى قليـــلا   فى واحدٍ منكما كفايهْ

أو كما قال بعضُ أهل العصر أيضاً فيهم :

وطبيبٍ مُشـــعبِذٍ يمزُج الطبَّ بالرُّقَى

(١) فى الأصل : « فلم يحفظوا » .
(٢) فى الأصل : « الفرق الجبلية » .

ما رأيناه قط طبَّ عليلاً فوُفِّقا
بل عَدِم الصِّحَّةَ فى الجسمِ والقلبِ والبقا
ذو صفاتٍ تُغادِر الجسمَ مما به لَقَى
عادمًا للحَراكِ والحسِّ والخِفَّة والنقا[1]
قد سقاه بها الحِمامَ ولم يَدرِ ما سَقَى

وقال آخر :

ما خَطَرَ النبضُ على باله   يومًا ولا يَعرف ما الماء[2]
بل ظنَّ أن الطبَّ دُرّاعةٌ   ولحيةٌ كالقطن بيضاء[3]

* * *

ومن ظَريف ماسمعتُه أنَّه كان بمصرَ منذُ عهدٍ قريب رجلٌ ملازمٌ المارَستان يُستدعَى للمرضى كما تستدعَى الأطبَّاء ، فيدخلُ على المريض فيحكى له حكاياتٍ مضحكة ، وخُرافاتٍ مسلِّية ، ويُخرج له وجوهاً مضحكة ، وكان مع ذلك لطيفاً فى إضحاكه وبه خبيراً ، وعليه قديراً ؛ فإذا انشرح صدرُ المريض وعادت إليه قوَّتُه تركه وانصرف ، فإن احتاجَ إلى معاودة المريض عاده إلى أن يبرأ ، أو يكون منه ما شاء الله .

فليت أطبَّاء عصرنا هذا بأسرِهم قدَروا على مثل هذا العلاج الذى لامضَرّة فيه ولا غائلةَ له ، بل أمرُه على العليل هيِّن ، ونفعُه ظاهر بيِّن ؛ كيف لا وهو ينشِّط النفس ويبسط الحرارةَ الغريزية ، ويقوِّى القوى الطبيعية ، ويقوِّى البدن على دفع الأخلاط الرديَّة المؤذية والفضول ، مع الاستظهار بحفظ الأصول .

وأكثر أطبائها المبرزين[4] نصارى ويهود ، وفى ذلك يقول بعضهم :

---

(١) موضع هذه الكلمة بياض فى الأصل .
(٢) يعنى اختبار ماء المريض ، وهو بوله .
(٣) الدراعة ، كرمانة : جبة مشقوقة المقدم .
(٤) فى الأصل : « المزبرقين » .

أقول للمسلمين طرًّا تبغون فى طبِّنا[1] اشتهارا
هيهـات حاولتمُ محالا كونوا إذاً هوداً أو نصارى

[2] وأشبَهُ مَن رأيتُه منهم وأدخلُهُ فى عِداد الأطباء، رجلٌ من اليهود يدعى أبا الخير سلامةَ بن رَحمون ، فإنه لقى أبا الوفاء[3] المبشِّر بن فاتك[4] ، فأخذ عنه شيئاً من صناعة المنطق تخصَّص به وتميَّزَ عن أضرابه ، وأدرك أبا كثير بن الزفان[5] تلميذ أبى الحسن على بن رِضوان[6] ، وقرأ عليه بعضَ كتبِ جالينوس، ثم نصبَ نفسَه لتدريس جميعِ كتب المنطق ، وجميع كتب الفلسفة الطبيعية والإلهية ، وشرح بزعمه وفسَّر ولخص ، ولم يكن بذاك[7] فى تحصيله وتحقيقه ، واستقصائه عن لطيف العلم ودقيقه ، بل كان يَكثُرُ[8] كلامُه فيضلّ ، ويُسرع جوابُه فيَزِلّ . ولقد سألتُه فى أول لقائى واجتماعى به ، عن مسائلَ استفتحت مباحثته[9] بها مما يمكن أن يفهمها مَن لم يمتدَّ بعد فى العلم باعُه، ولم يكثر تبحُّره واتساعُه، فأجاب عنها بما أبانَ عن تقصيره ونطق بعجزه ، وأعربَ عن سوء

---

(١) فى الأصل : « طبها » .

(٢) النص التالى نقله القفطى فى إخبار العلماء (١٤٢ – ١٤٣) ، وكذلك ابن أبى أصيبعة (٢ : ١٠٦) .

(٣) بعدهذه تبتدئ القطعة المحفوظة بدار الكتب رقم ٣٥٤ تاريخ من الرسالة المصرية وسأشير إليها فى التعليقات برمز « ق » .

(٤) ترجم له القفطى (١٧٦ – ١٧٧) وقال : « هـذا رجل أصله من دمشق وموطنه مصر، وهو من الحكماء الأماثل فى علم الأوائل ... وكانت له ابنة عمرت بعده وروت بالإسكندرية أحاديث نبوية . وكان فى آخر المائة الخامسة للهجرة » .

(٥) عند القفطى : « الكثير البرقانى » ، تحريف . وأبو كثير كنية له واسمه أفرائيم ابن الزفان ، قال ابن أبى أصيبعة فى (٢ : ١٠٥) : « إسرائيلى المذهب ، وهو من الأطباء المشهورين بديار مصر » . وقد اشترى منه الأفضل بن أمير الجيوش عشرة آلاف مجلد من كتبه ، كان قد ساوم عليها بعض العراقيين .

(٦) انظر ترجمته عند ابن أبى أصيبعة (٢ : ٩٩) .

(٧) ق وابن أبى أصيبعة : « ولم يكن هناك » . وعند القفطى: «ولم يكن هنالك » .

(٨) فى الأصل : « تراه يكثر » ، وأثبتنا ما فى سائر المصادر .

(٩) فى الأصل : « استقبحت مباحثه بها » ، صوابه فى سائر المصادر .

تصوّره وفهمه . وكانَ مثَله فى عِظَم دعاويه، وقصورِه عن أيسر ماهو متعاطيه[١] كقول الشاعر :

يشمِّر لِلُّجِّ عن ســاقه   ويغمره الموجُ فى السّاحلِ

أو كما قال آخر :

تمنيتمُ مائتَىْ فارس   فردّكمُ فارسٌ واحدُ[٢]

وكان[٣] بمصر طبيب من أهل أنطاكية يسـمى « جرجس » ، ويلقب بالفيلسوف ، على نحو ما قيل فى الغراب : أبو البيضاء ، وفى اللديغ : سليم ، وقد تفرغ للتولُّع [بأبى الخير سلامة بن رحمون اليهودى الطبيب المصرى[٤]] والإزراء عليه ، وكان يزوِّر فصولا طبِّية وفلسفية يُبْرزها فى مَعارض ألفاظ القوم ، وهى مُحالٌ لا معنى لها ، وفارغة لا فائدة فيها ، ثم يُنفِذها[٥] إلى مَن يسأله عن معانيها، ويستوضحُه أغراضَها ، فيتكلّم عليها ويشرحها بزعمه دون تيقظ[٦] و[لا[٧]] تحفظ، بل باسترسالٍ واستعجال ، وقلّةِ اكتراثٍ وسوء اهتبال، فيُؤخذ منه[٨] ما يُضحَك منه ويشرح الصَّدر .

[وأنشِدت[٩]] لجرجسَ هذا فيه ، وهو من أحسنِ ما سمعته فى هجو طبيب مشؤوم[١٠]، وأنا متّهِم له فيه :

---

(١) فى الأصل : « نشر ما هومتعاطيه » ، صوابه فى سائر المصادر .

(٢) إلى هنا ينتهى نقل القفطى فى ١٤٢ — ١٤٣ . وانظر البيان (١ : ٢٤٩) .

(٣) النص التالى نقله القفطى فى ١٠٩ وابن أبى أصيبعة فى(٢ : ١٠٦ — ١٠٧) .

(٤) التكملة من القفطى، وبدلها عند ابن أبى أصيبعة : « بابن رحمون » .

(٥) ق فقط : « ثم ينفذبها » .

(٦) ق فقط : « تيقن » .

(٧) هذه من القفطى وابن أبى أصيبعة .

(٨) القفطى وابن أبى أصيبعة : « فيوجد فيها عنه » .

(٩) هذه من ق والقفطى وابن أبى أصيبعة .

(١٠) كلمة « مشؤوم » ومابعدها ساقط من ق . وفى نسخة الأصل : « ومن أحسن ماقيل فى ذم الطبيب الجاهل » .

إنَّ أبا الخير على جهله ... يخفُّ فى كفّته الفاضلُ
عليله المسكينُ من شُومه ... فى بَحرِ هُلْكٍ ما له ساحلُ
ثلاثةٌ تدخل فى دفعة ... طلعتُه والنعشُ والغاسل

ولبعضهم :

لأبى الخير فى العِلا ... جِ يدٌ ما تقصِّرُ
كلُّ من يستطبُّه ... بعد يومين يُقبَر
والذى غاب عنكمُ ... وشهدناهُ أكثر[1]

ومما قيل فيه :

جنونُ أبى الخير الجنونُ بعينه ... وكلُّ جنونٍ عندَه غايةُ العقلِ
خُذوه فغُلّوهُ وشُدُّوا وَثاقَه ... فما عاقلٌ من يستهين بمختلِّ
وقد كان يؤذى الناسَ بالقول وحدَه ... فقد صار يؤذى الناسَ بالقول والفعل

وأما المنجِّمون الآن بمصر فهم وأطباؤهم كما قُدَّ الشِّراكُ من الجلد ، بل كما حُذِيت النّعلُ بالنعل ، لا يتعلّق أمثلُهم من علم النجوم بأكثرَ من زايجة يرسُمها[2] ومراكزَ يقوِّمها . فأما الإمعان والتبحُّر فى معرفة الأسباب والعلل[3] ، والمبادى

---

(١) فى نسخة الأصل : « وسمعنا بوصفه » . وأثبت ما فى ق وابن أبى أصيبعة . ولم يرو القفطى هذه الأبيات .

(٢) جاء فى « مفاتيح العلوم » للخوارزمى ١٢٧ : « الزايجة هى صورة مربعة أو مدورة تعمل لمواضع الكواكب فى الفلك لينظر فيها عند الحكم لمولد أو غيره . واشتقاقه بالفارسية من زائش ، أى المولد ، ثم أعربت الكلمة فاستعملت فى المولد وغيره » . وجاء فى معجم استينجاس (٦٠٨) : « زايجة astronomical tables » أى الجداول الفلكية . وفى نسخة الأصل : « زايرجة »، وأثبت ما فى ق . والزايرجة ، هى — كما ذكر ابن خلدون فى المقدمة — فرع من فروع علم السيميا ، يمكن بها استخراج الأجوبة من الأسئلة بارتباط بين الكلمات . فمن الزايرجة المنظومة يستطاع معرفة الأجوبة بطرق خاصة، وحساب معين يدخل فيه الجمع والطرح والضرب . وهناك كلمة أخرى مماثلة ، وهى الزيج ، وتجمع على أزياج . والزيج : صناعة حسابية بقوانين عددية يمكن بها معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية والمستقبلة ، وهو الدستور لما يسمى عند الفلكيين بالتقويم .

(٣) هذا ما فى ق . وفى نسخة الأصل : « ومعرفة الأسباب والعلل » .

الأُوَل، فليس منهم مَن يرقَى إلى هذه الدرجة، ويسمُو إلى هذه المرتبة، ولا يحلِّق في هذا الجوّ، ويستضيء بهذا الضوء[١] إلا أبو الحسن على بن النضر[٢] المعروف بالأديب، رضى الله عنه، من أهل صعيدِ مصرَ الأعلى، فإنه كان من الأفاضل [الأعيان[٣]]، المعدودين من حسنات هذا الزّمان[٤]. وسنذكره فيما نستأنفه إن شاء الله تعالى.

* * *

وأما الطائفة المقلِّدة التي حظُّها من المعارف القُشور دون اللبوب[٥]، والظواهر دون البواطن، والأشباح دون الأرواح، فأمْثَلُ مَن بها منهم الآنَ رجلٌ يعرف برزقِ الله النحاس[٦]، فإنّ له في فروع هـذه الصناعة بعضَ دُرْبة وتجربة، وبتجريباتها[٧] بعض خبرة، وهو أكبر المنجِّمين بها وكبيرهم الذي علمهم، وأميرهم الذي يلوذون به[٨]، فجميعُهم إليه منسوب، وفي جريدته مكتوب، وبفضله معترِف، ومن بحره[٩] مغترِف، وهو شيخ مطبوع بتطايَب ويتخالع[١٠].

ومن حكاياته الظريفة عن نفسه قال: سألتنى امرأةٌ مصرّية أن أنظرَ لها في مسألة جُمَّليَّة تخصُّها، فأخذتُ ارتفاعَ الشمس للوقت، وحقّقت درجة الطالع والبيوتَ الاثنى عشر ومركزَ الكواكب، ورسمتُ ذلك كلَّه بين يدىَّ

(١) في الأصل: «ولا يحلق» و «لايستضيء»، وأثبت ما في ق.
(٢) في الأصل: «ابن النصر» بالصاد المهملة. وأثبت ما في ق.
(٣) هذه من ق.
(٤) ق: «من حسنات الزمان».
(٥) في اللسان: «ولب الجوز واللوز ونحوهما: ما في جوفه، والجمع اللبوب». ق: «اللباب»، وما أثبت من الأصل أوفق.
(٦) في الأصل: «بن النحاس»، وصوابه في ق والقفطى ١٢٧.
(٧) في الأصل: «وبجزئياتها»، وأثبت ما في ق. وعند القفطى: «وبتجرباتها».
(٨) ق: «الذى نوه بهم وقدمهم». وعند القفطى: «وكبيرهم الذى علمهم السحر» فقط.
(٩) في الأصل: «ومن علمه»، وأثبت ما في ق.
(١٠) يتخالع: يظهر الخلاعة. وفي الأصل: «يتخالق»، صوابه في ق

فى تخت الحساب[١]، وجعلت أتكلّم على بيتٍ بيت منها على العادة، وأنا فى خلال ذلك أتحسّس أمرَها[٢] وهى ساكتة لاتَنبِس، فوجِمْتُ لذلك وأدركَتْنى فترةٌ عظيمة، وألقتْ إلىّ درهما[٣]. قال: فعاودتُ الكلام وقلت: أرى عليكِ قَطْعاً فى بيت مالِك[٤] فاحتفِظى واحترزى! فقالت: الآن أصبتَ وصدقت، قد كان والله ما ذكرت. قلت: وهل ضاع لك شىء؟ قالت: نعم، الدرهمُ الذى ألقيتُه إليك! وتركَتْنى وانصرفت.

* * *

والمصريُّون أكثرُ الناسِ استعمالاً لأحكام النجوم وتصديقاً لها وتعويلا عليها، وشغفاً بها وسكوناً إليها، حتّى إنه قد بلغَ من زيادة أمرهم فى ذلك إلى أن لا يتحرّكَ واحدٌ منهم حركةً من الحركات الجزئية التى لا تُحصَر فنونُها ولا تحصَّل أجزاؤها وأنحاؤها، ولا تُضبط جهاتها، ولا تقيّد غاياتها[٥]، ولا تعدُّ ضروبها إلا فى طوالعَ يختارونها، [ونُصب يعتمدونها[٦]].

ولقد شهدتُ يوما رجلاً من الوقّادين فى أتُّون الحمّام[٧]، يسأل رزق الله المذكور عن ساعةٍ حميدة لقصِّ أظفاره، فتعجّبت من سموّ همّته على خساسة قدره[٨] ووضاعة مِهنته.

ومن الحكايات العجيبة فى فرط استعمالهم لأحكام النجوم وعنايتهم بها،

(١) هذا ما فى ق، وفى الأصل: «فى النخت».
(٢) ق: «أتحسس لها».
(٣) القفطى: «وكانت قد ألقت إلى درهما».
(٤) هذا ما فى ق والقفطى، وفى الأصل: «ضياع بيت مالك»،
(٥) ق: «ولا تقدر أساليبها».
(٦) هذه من ق.
(٧) ق: «أتون حام».
(٨) ق: «مع خساسة قدره».

ما شهدتُ بالصعيد الأعلى . وذلك أنَّ بعضَ الولاة حبس رجلاً من [بعض[(١)]] أهل تلك الناحية كان ينظرُ فى علم النجوم ، وشَفَعَ[(٢)] إليه فيه مَن يكرُم عليه ، فشفَّعه فيـه ، وأمر بإطلاقه وكان من الحبس فى عذابٍ واصب ، وجَهد ناصب ، فلما أتَوْه وقالوا له : انطلِقْ لشأنك[(٣)] ، أخرَجَ من كُمِّه أصطرلاباً فنظر فيـه ثم أخذ طالعَ الوقت فنظر فيه ، فوجده مذموماً ، فسألهم أن يتركوه مكانَه[(٤)] إلى أن يتَّفِق وقتٌ يصلح للخروج من السجن ، فعادوا إلى الوالى فأخبروه بخبره[(٥)] ، فضحِك منه وتعجَّب من جهله ، وفساد عقله ، وأجابه إلى سؤاله ، وترَكه على حاله ، وأطال مدَّه اعتقاله .

وفيا أوردْته من أخبار الأطباء والمنجمين الآن بمصرَ كفايةٌ وبلاغ ، إلى أن أنتصبَ له انتصاباً ثانياً ، فأقول فيه قولا شافياً .

* * *

وأما الآن فإنى ذاكرٌ على الشرط من لقِيتُه من أدبائها وظرفائها، وفضلائها فى الأدب وعلمائها .

وأولاهم بالتقديم ، وأحقهم بالحظ الأوفر من التعظيم « القاضى أبو الحسن على ابن النضر[(٦)] » المعروف بالأديب ، ذو الأدب الجم والعـلم الواسع ، والفضل البارع . وله فى سائر أجزاء الحـكمة اليد الطولى ، والرتبة الأولَى . وقد كان ورد الفسطاط يلتمس من وزيرها الملقب الأفضل تصرفاً وخدمة فخاب فيـه أمله ،

---

(١) هذه من ق .
(٢) ق : « فشفع » .
(٣) ق : « لسبيلك » .
(٤) فى الأصل : « أن يصبروا عليه » ، وأثبت ما فى ق .
(٥) فى الأصل : « خبره » ، وأثبت ما فى ق .
(٦) فى الأصل : « النصر » بالمهملة ، تحريف صوابه فى ق والخريدة (٢ : ١٩٥) من مخطوطة دار الكتب رقم (١٠٠٩٨ ز) والطالع السعيد للأدفوى . حيث ذكر أنه كان أحد عمال الديار المصرية فى زمن الأفضل شاهنشاه .

وضَاع رجاؤه ، وأخفق سعيُه ، فقال من قصيدةٍ يعاتب فيها الزمان ، ويشكو الخيبة والحرمان :

بيْن التعزُّزِ والتذلُّلِ مسلكٌ   بادى المَنار لعينِ كلٍّ موفَّقِ
فاسلُكه فى كلِّ المواطن واجتنبْ   كِبر الأبىّ وذِلّةَ المتماِّقِ
ولقد جلبتُ من البضائع خيرَها   لأجَلِّ مختارٍ وأكرم مُتَّقِ[(١)]
ورجوتُ خَفضَ العيش تحت رِواقه   لا بدّ إن نفقَت وإن لم تنفُقِ[(٢)]
ظنًّا شبيهاً باليقين ولم أَخَلْ   أنّ الزمان بما سقانى مُشْرِقى
ولِعائبى بالحرص قول بيّن   لو كنتَ شِمتَ سحابهُ لم تطرقِ[(٣)]
ما ارتَدْتُ إلاّ خيرَ مرتادٍ ولم   أصِلِ الرجاءَ بحبل غير الأوثَقِ[(٤)]
وإذا أبَى الرزقَ القضاءُ على امرئٍ   لم تُغنِ فيه حيلةُ المسترزِقِ
ولَعَمرُ عادية الخطوب وإنْ رمت   شملى بسهم تشتُّتٍ وتفرُّقِ[(٥)]
لأقارِعنّ الدّهرَ دون مروءتى   وحُرِمتُ عزَّ النصرِ إن لم أصدُقِ[(٦)]

وله فى سَفرته هذه[(٧)] وقد قوى يأسُه من بلوغ أمله ونيل بُغيته ، وعَزَم على الصَّدَر[(٨)] عن الفُسطاط إلى مستقرِّه ، يحضُّ على الزَّهادة ، ويحرِّض على القَناعة

---

(١) فى الأصل :

ولقد جلبت من البضائع جلها   من كل مختار وأكرم ما انتقى

[وأثبت مافى ق والخريدة والطالع السعيد . بيدأن الكلمة الأخيرةفى الطالع السعيد: «موثق».

(٢) ق : « ووجدت ». وكلمة « رواقه » هى فى الأصل : « ظلاله » ، وأثبت مافى ق والخريدة . وفى الطالع السعيد : « تحت ردائه » ، تحريف .

(٣) فى الأصل : « ولعائنى » صوابه فى ق . وفى الخريدة : « ولعاتبى ».

(٤) ق : « بغير حبل الأوثق » ، وفى الخريدة : «بحبل غير موثق » .

(٥) فى الأصل : « رمت حظى »، صوابه فى ق والخريدة .

(٦) فى الأصل : « لأصبرن اليأس » ، صوابه فى ق والخريدة .

(٧) فى الأصل : « وله من قصيدة غير هذه » وأثبت مافى ق والخريدة .

(٨) ق : « الصدور » ، وهما صحيحان ، يقال صدر يصدر صدراً وصدوراً .

ويذمّ الضّراعة ، ويتأسّف على إذالة خدّه ، وإراقة ماء وجهه :

لَهفى لمالِ قنــــاعةٍ لو أنّنى   متّعت فيه بعزّة المتملّكِ
ولِـكنزِ يأسٍ كنتُ قد أحرزتُه   لو لم تَعِثْ فيـه الخطوبُ وتَفتِكِ
آليتُ أجعلُ ماء وجهى بعده   كدمٍ يُهِلُّ به الحجيجُ بمَنْسِكِ
وأخٍ من الصبر الجميل قطعتُه   فى طاعة الأمَل الذى لم يُدرَكِ
يا قاتلَ الله الضرورة حالةً   أىَّ المسالكِ بالفَـتى لم تَسلكِ[1]
كم بات مشكوٌّ إليه [تحيفت   حلقاته قرعا] براحةِ ممسكِ[2]
وفمٍ على قدم رمت ، ونواظر   كُحِلت محاجرُها بموطئ سُنبُكِ[3]
ومُسربَلٍ بالصبر والتقوى دعت   فأجابها فى مِعرَض المتنسِّـكِ[4]
ظلّت تصرِّفه كتصريف العصا   رأسَ البعير لمبرك عن مَبرَكِ

وله إلى رئيس كان يكلّفه زيارته ويقعد عن ذلك تماظما وتـكبراً :

أكبرتَ نفسَك أن تسعى مصادفةً   وسُمتَنيه لقـد كلّفتَنى شَطَطا[5]
لا تـكذبنّ فما كنّا لنُوجِب مِن   حقٍّ وأنت تراه عنك قد سقطا
لو بعتُك النفس بيعًا كنت تملكُها   به لـكان عليك العَدل مشترَطا[6]
فهل سبيلٌ إلى أن لا تواصلنى   ولا تكلِّف مثلى هذه الخططا[7]
عسى صحيفةُ ما بينى وبينك أن   تُطوَى وما ضمِّنتْ غيرَ الذى فرطا[8]

---

(١) هذا ما فى ق والخريدة ، وفى الأصل :

يا قاتل الله الضرورة لنها   سلـكت مهالك بالفتى لم تسلك

(٢) فى الأصل : « لم يأت » ، وصواب البيت وتـكملته من ق والخريدة .

(٣) هذا البيت ساقط من الأصل .

(٤) فى الأصل : « ومسربل بالنصر » ،صوابه فى ق والخريدة .

(٥) فى الأصل والخريدة : « مصارفة » بالراء ، وأثبت ما فى ق .

(٦) ق والخريدة : « به على لـكان العدل » .

(٧) فى الأصل : « ولاتـكلف مثلى الطرق والخططا » ،صوابه فى ق والخريدة .

(٨) فى الأصل : « وما قد من أمرنا فرطا »، صوابه فى ق والخريدة .

وله[١] فى صدر رسالة :

أتى كتابُك عن سُخط فآنَسَنى بما تضمَّن أُنس العين بالوسن[٢]

قرأتُه فجرت فى كلِّ جارحة منّى معانيه جرىَ الماء فى الغُصُن[٣]

فما أقول بعثتَ الروح فيه إلى قلبى ولكنْ بعثتَ الروح فى بدنى

وله فى شدّةٍ أصابته :

يا مستجيبَ دعاء المستجير به ويا مفرِّج ليلِ الكُربة الداجى

قد أُرتجت دوننا الأبوابُ وامتنعت وجَلَّ بابُك عن منعٍ وإرتاج

تخافُ عدلَك أن يجرى القضاء به ونرتجيك فكنْ للخائف الراجى[٤]

ومن شعرائها المشهورين أبو الطاهر بن إسماعيل بن محمد المعروف بابن مكنسة[٥] ، وهو شاعر كثير التصرُّف ، قليل التكلُّف ، مفتَنٌّ فى وشْىِ[٦] جِدِّ القريض وهزله، وضارب بسهم فى رقيقه وجزله. وكان فى رَيعان شبيبته، وعُنفوان حداثته ، يعشق غلاماً من أبناء عسكريّة المصريين ، يدعى عز الدولة فائق ، وهو الآن بمصر من رجال دولتها المعدودين وأكابرها المقدمين . ولم يزلْ مقيما على عِشقه له، وغرامه به إلى أن محا محاسنه الشَّعر، وغيَّر معالمَه الدّهر. ولم يزل مُعزُّ الدولة[٧] هذا متعهِّداً له محسناً إليه، مشتملا عليه ، إلى أن فرّق الدهر بينهما . وكان فى أيام أمير الجيوش بدر الجمالى منقطعاً إلى عاملٍ من النصارى يعرف بأبى مليح ،

(١) بعد هذه الكلمة فى الأصل بياض بقدر صفحتين من الأصل ، وقد أمكننى سد هذه الثلمة من ق والخريدة . والقدر المشترك بين ق والخريدة ينتهى إلى كلمة « الراجى » ختام الأبيات الجيمية التالية ، ثم تنفرد « ق » بإتمام النقص الذى سأنبه على نهايته .

(٢) فى الخريدة : « فأبأسنى » ، تحريف صوابه فى ق والطالع السعيد. وصدره فى الطالع السعيد (٢٢٢) : « وافى كتابك » .

(٣) فى الطالع السعيد : « نفخت الروح » .

(٤) إلى هنا ينتهى القدر المشترك من التكملة بين ق والخريدة ، ثم تنفرد « ق » .

(٥) ترجم له ابن شاكر فى الفوات (١ : ٢٦) وقال: « توفى فى حدود الخمسمائة » .

(٦) فى الأصل : «وعى» .

(٧) سبق قريباً بلفظ « عز الدولة فائق » وهكذا وردا بالأصل .

وأكثرُ أشعاره فيه ، فلما انتقل الأمر إلى الأفضل تعرّض لامتداحه ، فلم يقبله ولم يقبل عليه، وكان سبب حرمانه ماسبق لأبى مليح ومراثيه ميتاً، لاسيما قوله :

طُوِيت سماء المكرما ... تِ وكُوِّرت شمسُ المديحِ
ما كان بالنكس الدنى ... من الرجال ولا الشحيح
كفَر النصارى بعد ما ... عقدوا به دين المسيح

وكفَله عزُّ الدولة بن فاتك ، وقام بحاله إلى أن مات .

ولم يُقبل الأفضلُ على أحدٍ من الشعراء كإقباله على رجل من أهلِ مَعرّة النعمان[١] يدعى أبا الحسن على بن جعفر بن النون[٢] فإنه أفاض عليه سحائبَ إحسانه ، وأدرّ له حَلوبةَ إنعامه ، ولقّبه بأمين [الملك[٣]] وأدناه واستخلصه ، ولم يكن شعرُه هناك[٤] بل كان متكلَّفاً متعسَّفاً ، ولست أعرف أحداً من أهل تلك البلاد يَروِى له بيتاً واحداً فما فوقَه ، لمنافرة الطِّباع كلامَه ، ونُبوِّ الأسماع عن طريقته . وقد كان أمَرَه الأفضلُ يوما أن يصِف مجلساً عُبِّيَت فيه فواكه ورياحين ، فقال من مزدوجته[٥] يصف الأُترجَّ المصبَّع :

كأنّما أُتْرُجُه المصبَّعُ ... أيدى جُناةٍ من زُنُودٍ تقطَعُ

فغلِط ولم يفطَن ، وأساءَ أدبه ولم يشعر ؛ لأنه قصد مدحَ الأترجّ فقزَّز نفس الملك منه وصرفها عنه ، ولو قصد ذمه لما زاد على ما وصف به من الأيدى المقطوعة من زنودها .

والبليغ الحاذقُ من إذا وصَفَ شيئاً أعطاه حقَّه، ووفّاه شرطَه ، ووصفه بما

(١) إلى هنا ينتهى السقط الذى نبهت عليه فى أول الصفحة السابقة .
(٢) ق : « النوين » .
(٣) هذه من ق .
(٤) فى الأصل : « هناك بالجيد » صوابه ، فى ق ، وكلمة « بالجيد » مقحمة .
(٥) فى الأصل : « مزدوجات » صوابه فى ق .

يناسبه في حالتَيْ مدحه وذمّه ، ويضع كلّ شيء في مكانه في نثره ونظمه[١] .

فأين هذا الشاعر في أدبه وحذقه بالصناعة[٢] وفطنته ، من أبي علي الحسن ابن رشيق ، وقد أمره المعزّ بن باديس أن يصف أترجّة [مصبّغة[٣]] كانت بين يديه[٤] ، فقال مرتجلاً على البديهة :

أترجّة سَبِطة الأطرافِ ناعمةٌ تَلقى العيونَ بحُسنٍ غير مبخوسِ[٥]
كأنّها بَسطت كفًّا لخالقها تدعو بطول بقاء لابن باديس

ولو أنّ ابن الرومىّ قصد مَدح الوَرد بقوله :

يا مادحَ الورد ما ينفك من غَلَطِه[٦] أما تأمّلتَه في كفّ ملتقطِه
كأنّه سُرم بغلٍ حين يُبرِزُه عند الخِراء وباقي الرّوث في وسطه

لكان غالطا أو جاهلا أو غافلا ، بل قال ذلك حين قصد ذمّه وأراد تخسيسه . فانظر هذا التشبيهَ الذي لم يُسمع أعجبُ منه . فلعن الله شيطانه[٧] !

وكذلك عبد الله بن المعتز في قوله يصف القمرَ من أبيات :

وباتَ كما سرَّ حُسّادَه إذا رام قُرباً من النوم شذّ[٨]
تفزّزهُ سروات البَعوضِ في قمر مثل ظهر الجرَذْ[٩]

وقول ابن المعتز في التمر من أبيات :

يا سارقَ الأنوارِ من شمس الضحى يا مُثْكلي طيبَ الكرى ومُنَغِّصي

(١) ق : « من نثره ونظمه » .
(٢) ق : « ومعرفته بالصناعة » .
(٣) هذه من ق .
(٤) في الأصل : « كانت في يده » ، وأثبت ما في ق .
(٥) مبخوس : منقوص . وفي الأصل « منحوس » ، صوابه في ق .
(٦) هذا ما في ق . وفي الأصل : « من غلط » .
(٧) هذا ما في ق . وفي الأصل : « فلعن الله ذلك » .
(٨) في ديوان ابن المعتز (٢ : ١١٦) : « كما سر أعداءه » .
(٩) في الأصل : « فمن قمر » ، صوابه من الديوان .

أمّا ضياء الشمس فيك فناقصٌ ... وأرى حرارة نارها لم تنقُص
لم يظفر التشبيهُ فيك بطائل ... متسلّخاً بَهَقاً كجلد الأبرص[(١)]

وهـذا بابٌ لو استقصيناه لطال واتسع[(٢)]، فلنتركْه ولنصلْ من حبلنا ما انقطع[(٣)].

* * *

وقال إسماعيل بن مكنسة[(٤)] من قصيدة :

أعاذلُ ما هبّت رياحُ ملامةٍ ... بنار هوًى إلا وزادت تضرُّما
فـكِلْنى إلى عين إذا جفّ ماؤها ... رأتْ من حقوق الحبّ أن تذرِف الدّما
فـكم عَبرةٍ أعطت غرامى زِمامَها ... عشـيّةَ أعملنَ المطىَّ المزمَّما
وعَين حماها أنْ يُلمَّ بها الـكرى ... أحاديثُ أيام تقضَّين بالحمى
ولله قلبٌ قارعتْه همومُه ... فلم يبق حَدٌّ منه إلا تثلما[(٥)]

وله من أخرى :

دقّت مَعاقد خصرِه فـكأنّها ... مشتقّة من عهده وتجلُّدى[(٦)]
وتجعّدَتْ أصداغُه فـكأنّها ... مسروقة من خَلقه المتجعِّدِ[(٧)]

[ومنها[(٨)]] :

---

(١) فى الديوان : « منك بطائل » . وفى الأصل : « بتسلخ » ، صوابه فى ق . وفى الديوان : « مسلخ » .
(٢) هذا ما فى ق . وفى الأصل : « لو استقصيته لاتسع » .
(٣) هذا ما فى ق . وفى الأصل : « من غرضنا ما انقطع » .
(٤) ق : « أبو الطاهر بن مـكنسة » ، وكلاهما صحيح .
(٥) فى الأصل : « مثلما » ، وأثبت ما فى ق والخريدة (٢ : ٣٠١) .
(٦) فى الأصل : « من قده » ، صوابه فى ق وفى الخريدة (٢ : ٢٩٩) « من تيهه » ، وليست بشىء .
(٧) فى الأصل : « من شعره » ، وأثبت ما فى ق والخريدة ،
(٨) هذه من ق .

ما باله يجفو وقد زَعَم الورى … أنّ الندى يختصُّ بالوجه الندِى(١)
لا يخدعنَّك وجنـــةٌ محمرّة … رقّت ففى الياقوت طبع الجلمدِ

وله من قصيدة :

وعَسكرىٍّ أبداً حيثما … تلقاه يلقاكَ بكلِّ السّلاحْ
حاجبُه قوس وأجفانُه … نَبلٌ وعِطفاه تثنّى الرّماح
[راح وفعلُ الراح فيه كما … يفعل بالغصن نسيمُ الرياح(٢)]

أغار فى هذا البيت الأخير على خالدٍ الكاتب فى قوله :

رأتْ منـه عينى منظرينِ كما رأت … من الشّمس والبدر المنيرِ على الأرضِ(٣)
عشيَّةَ حَيَّـــانى بوردٍ كأنه … خدودٌ أضيفَت بعضُهن إلى بعض(٤)
[وناولنى كأساً كأنَّ مزاجها … دموعىَ لما صدَّ عن مقلتى الغمض(٥)]

* * *

وراحَ وفعلُ الرّاح فى حركاته … كفعل نسيم الرِّيح فى الغصن الغضِّ

وأما البيت الذى قبله(٦) فقد تداولَه الشعراء . ومن مليح ما وقع فيه قولُ بعضِ أهل العصر :

بى مِن بنى الأصفر ريمٌ رمى … قلبى بسهم الحوَر الصائب
سهمٌ من اللحظ رمتنى به … من كَثَب قوسٌ من الحاجب
كأنما مقلتـــه فى الحشى … سيفُ علىّ بن أبى طالب

وله فى ورق كاغد أهدى إليه :

---

(١) كلمة « يجفو » ساقطة من الأصل . وإثباتها من ق والخريدة .
(٢) البيت ساقط من الأصل ، وإثباته من ق والخريدة (٢ : ٣٠١) .
(٣) فى الأصل : « كأنما هو الشمس » ، وأثبت ما فى ق والخريدة .
(٤) فى الأصل : « على بعض » ، وأثبت ما فى ق .
(٥) هذا من الخريدة فقط .
(٦) يعنى قوله :
حاجبه قوس وأجفانه … نبل وعطفاه تثنى الرماح

أهدى لنـــا ورقًا أرَ قَّ من الشراب المستحيلِ
خَلَقًا تمـــزقه الخطو ط كأنه عِرضُ البخيل
لا بالصَّبيغ ولا الصَّقيـ ـل ولا العريض ولا الطويل
إلاّ بياضًــا خلته وضَحًا على جسم نحيل(١)

وقد استوفى بعضُ أهل العصر هذا المعنى ، فقال يذكر رزْمة كاغد أخرجت إليه من خزانة السلطان، تستعمل فى ديوان الإنشاء ، وكان بعض كتّاب الديوان يسرق الكاغد ، فسَلِمت تلك الرِّزمةُ منه لدمامتها وخِسّة ثمنها :

وكاغدٍ يشبه حالاتِنا فى كلِّ معنى ويحاكيها
جُنِّس للخطِّ به صورة لا شىءَ فى القبح يدانيها(٢)
ينفُذ فى صفحته كلُّ ما ترسُمه أقلامُنا فيهـــا
نُودِعهُ مكنونَ أسرارِنا وهو إلى الألحاظ يُفشيها
مختلفُ الأجزاء مستخشَنٌ تلمَسهُ الكفُّ فيُدميها
كجِلدة الأبرصِ فى لونه وصفًا على الحق وتشبيها
لوكان خُلقًا كان مستبشَعًا أوكان خَلقًا كان تشويها
يعثِّر الأقلامَ حتّى تُرى مفلولةً فيه مواضيها(٣)
يتركها تشبهُ أعجازُها فى عدم البَرْى هَواديها(٤)
من بعد ما ضاهَى بأطرافها أطرافَ سُمر الخطِّ باريها(٥)

---

(١) هذا البيت ساقط من ق .
(٢) فى الأصل : « فيهامايدانيها » ، صوابه من ق
(٣) يقال أعثره إعثاراً وعثّره تعثيراً . وفى الأصل : « بغير الأقلام » وأثبت مافى ق.
(٤) الكلمة الأولى ساقطة من الأصل ، كما سقطت كلمة « البرى » ونصف الكلمة التى بعدها ، وإتمامه من ق . وفى ق : « فى قدم البرى » ، ووجهه ما أثبت من الأصل . وهواديها بمعنى أوائلها ، أى رءوسها .
(٥) ورد البيت فى الأصل مبتوراً ، منتهياً بكلمة « أطراف » وإتمامه من ق .

وتفعل الأنملُ في جريها كالـــبرْق . . . بها[١]
وكم غدَا يسلُبها جاهداً مَن كان بالنفس يفدِّيها
يقول مَن يبصر أطباقَه شَلَّت يدٌ بانت تعبِّيها
قد عَبِث السوسُ بأوساطِها وقرَّض الفـأرُ حواشيها[٢]
لو عُرِضت رِزمتُهُ لم تجد مشتريًا في الخَلْق يشريها
لو بَذَل الفَلسَ بها غالطًا أُوسِـعَ تضييعًا وتسفيها[٣]
لا يرزأ السّارقُ منها ولا يغتالها من حيلة فيها[٤]
تُحْصِي الحصى مستوفيًا عدَّه من قبل أن تُحْصَى مساويها[٥]
من ذمَّ ذا نقصٍ وذا خسّةٍ فهو بذاك الذمِّ يعنيها[٦]

وقال أبو الطاهر[٧] :

قلتُ إذ عقربَ الدلا لُ على خده الشَّعَرْ
هـــذه آيةٌ بها ظهر الحسنُ وانتشر
ما رُئي قبلَ صُدغه عقربٌ حلّت القمر[٨]

هذا معنًى مليح ولـكنّه سرقه من بيتين أنشدَنيهما بمصر رجل يسمى أبامحمد التـكريتيّ ، من تلاميذ أبي حامد الغزالى، لأبى حامد ، ولم أسمعها من غيره :

---

(١) كذا جاء البيت فى الأصل ، وهو ساقط من ق .
(٢) فى الأصل : « بأطرافها » ، والوجه ما أثبت من ق .
(٣) تضييعا كذا وردت .
(٤) فى الأصل: «نعبا لها» صوابه فى ق. و «من حيلة» هى فى الأصل و ق: «فى حيلة» .
(٥) مستوفياً عده ، مـكانها بياض فى الأصل ، وإثباتها من ق .
(٦) كلمة « وذا خسة » موضعها أبيض فى الأصل ، وإثباتها من ق .
(٧) هو أبو الطاهر إسماعيل بن محمد ، المعروف بابن مكنسة ، وقد سبق التنبيه على اسمه فى ص ٤٣ .
(٨) فى الخريدة (٢ : ٣٠٢) : « ما رئى قط قبل ذا » .

حلّت عقاربُ صُدغه في خدّه قمراً فجلّ بها عن التشبيه[١]
ولقد عهدناه يحلُّ ببُرجها فمن العجائب كيف حلّت فيه

وقال أبو الطاهر أيضا من قصيدة وقد عزم عليه بعضُ الأمراء في الخروج[٢] معه إلى الشام لقتال الغُزّ[٣]، أوّلها :

غير عاصٍ عليكِ تقويمُ عُودى فانقُصى من ملامتى أو فزيدى[٤]
قل لمولاى إذ دعانى لأمر قمتُ فيه له مقامَ العبيد
ضعفَتْ حياتى وقلَّ غنَائى ودنت غايتى ورَثَّ جديدى[٥]
أنا مالى وللشآم وإنى لأرى نار حربها فى وَقود
بلدٌ جِنُّهُ عفاريةُ الغُزِّ وأرضٌ وحوشُها من أُسود[٦]
والجِفار التى تقول إذا ما قيل هَلاّ امتلأْت: هل من مزيد[٧]
وكأنْ بى على بعيرٍ ترانى آخرَ الناس فى لفيف الحُشود[٨]
أسودَ الوجه ناظراً فى أمور معضِلاتٍ من الحوادث سُودِ

(١) وكذا روى فى وفيات الأعيان ، فى ترجمة أبى حامد الغزالى . وفى الخريدة وق : « ويجل به عن التشبه » . قال ابن خلكان : « ورأيت هذين البيتين فى موضع آخر لغيره » .

(٢) ق : « فى المسير » . (٣) فى اللسان والقاموس أن « الغز » جنس من الترك . وانظر ابن الأثير (٩ : ١٤١ ــ ١٤٧) .

(٤) فى الأصل : « غير عاض » صوابه من الخريدة (٢ : ٣٠٨) . وفى ق : «عاس» يقال عسا إذا اشتد .

(٥) الغناء ، بالفتح : النفع . وفى الأصل: « عنائى»صوابه فى ق والخريدة (٢: ٣٠٨).

(٦) فى الأصل : « حنة » صوابها فى ق والخريدة . والعفارية بياء قبل الآخر : جمع عفرية ، وهو العفريت . وفى الأصل : « عفاربه » وفى ق والخريدة : « عفارته » صوابهما ما أثبت . انظر اللسان (عفر ٢٦٣) .

(٧) الجفار : جمع جفرة بالضم ، وهى الحفرة الواسعة المستديرة . وفى الأصل و ق : « الذى يقول » صوابه فى الخريدة . وفى الخريدة : « قيل امتلأت هل مزيد » ، وفى ق : « قيل هل امتلأت » ولا يستقيم الوزن بأحدهما . والوجه ما أثبت .

(٨) فى الأصل : « وكأنى على »، وأثبت ما فى ق والخريدة .

وإذا قيل في غدٍ يلتقى النا سُ فلا تنسَ فهو بيت القصيد
حيثُ لا ناظرى تراه حديداً حينَ يبدو له بريقُ الحديد
حيثُ لا يُتَّقى لسانى ولا يَثْـ ـنِى عنانَ المغير عنِّى نشيدى[1]
إنّ رأيى إذا يُسدَّد نحوى سهمُ رامٍ لغير رأيٍ سديد[2]
فإذا ما قُتِلتُ كنت خليقاً بدخولى جهنّماً وخلودى
فأقلنى عثارَها وابقَ للمجـ ـد وكبتِ العدى وغَيظِ الحسود[3]

وقال من قصيدة فى طريقة أبى الشَّمَقْمق[4] :

أنا الذى حَدَّثكم عنه أبو الشّمقمقِ
وقال عنِّى إننى كنتُ نديمُ المتَّقى
وكنت كنت كنت كنـ ـتُ من رماة البُندق
حتّى متى أَلْقى كذا تيساً طويلَ العنق[5]
بلحيةٍ سابلة وشارب محلَّق[6]
[يا ليتَها قد خُلِقت من وجه شيخٍ حَلَقى[7]]

وقال[8] مِن أخرى :

عشتُ خمسين بل تزيـ ـدُ رقيماً كما ترى

(١) ق : « رأس البعير عنى » ، وفى الخريدة : «زمام البعير» .
(٢) ق والخريدة : «إذا تسدد نحوى» ، يقال سدده فتسدد .
(٣) ق والخريدة : « وابق للحمد » .
(٤) ق : «أبو الرقعمق» ، وهو شاعر آخر وليس مراداً. أما أبو الشمقمق فهو مروان ابن محمد وكان معاصراً لبشار وأبى نواس. وترجمته فى « تاريخ بغداد» ٧١٢٨ وابن خلكان فى تضاعيف ترجمة يزيد بن مزيد. ولم يفرد له ترجمة. وأما أبو الرقعمق فهو أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكى ، وترجم له الثعالبى فى اليتيمة (١ : ٢٣٨) وابن خلكان فى الوفيات (١ : ٤١) .
(٥) ق والخريدة : « حتى متى أبقى » .
(٦) فى اللسان : « يقال سبل سابل » . وفى الخريدة : « بلحية مسبلة » .
(٧) البيت من ق والخريدة . والحلقى : المأبون ، وجاءت فى أصلها : « حاق » محرفة.
(٨) فى الأصل : « وقوله » ، صوابه فى ق .

أحسبُ المُقْـــلَ بندقاً وكذا المِلحَ سكّرا(١)
وأظنُّ الطويلَ من كلِّ شيءٍ مدوّرا
قد كبِرْ بِرْ بِبِرْ بِبِرْ تُ وعقلى إلى ورا
عجباً كيفَ كلُّ شيءٍ أراه تَغـــيَّرا
لا أرى البَيض صار يُو كل إلاّ مقشَّـــرا
وإذا دقَّ بالحـــجا ر زجاجٌ تكسرا
وإذا مات ميِّت لا يشـــمَّنَّ عنبرا(٢)

* * *

ومن شـعراء المصريِّين زماننا هـذا من يقول ــ وهو أبو مشرف الدجرجاوى(٣) ، وهو منسوب إلى دجرجا ، وهى ضيعة(٤) بالصعيد الأعلى :

قاضٍ إذا انفصل الخَصمان ردَّهما إلى الخِصام بحكمٍ غيرِ منفصلِ
يبدِى الزّهادةَ فى الدنيا وزُخرفِها جَهراً ويَقبل سراً بَعرَةَ الجمل

ومنهم من يقول ، وهو أبو الحسن علىّ بن البرقي ، من أهل قُوص :

رمانى الدهرُ منه بكلِّ سهمٍ وفاجأنى ببينٍ بعدَ بين(٥)
وجمَّع فى فؤادى كلَّ حُزنٍ وفرَّق بين أحبابى وبينى
فنى قلبى حرارةُ كلِّ قلب وفى عينى مدامعُ كلِّ عين

وله من أبيات :

ولى سَنَةٌ لم أدر ماسِنَةُ الـكرى كأنَّ جفونى مسمعى والـكرى العذلُ(٦)

(١) المقل : ثمر الدوم . وفى الأصل : « البقل » ، وفى ق والخريدة : « المصل » والوجه ما أثبت . وفى الأصل : « سكرا . وأحسب الملح سكرا » ، صوابه فى ق والخريدة .

(٢) البيت ساقط من ق والخريدة . وفى الأصل : « لايسمن »، تحريف .

(٣) قال ياقوت ، عند الكلام على دجرجا: «قدخرج منها شاعر متأخر يعرفه المصريون يقال له (أبو) المشرف. وله شعر جيد » وفى الأصل: « الدجرجراى » صوابه فى ق والخريدة .

(٤) فى الأصل : « إلى ضيعته دجرجرا وهى » ، صوابه فى ق .

(٥) فى ق ركب صدر هذا البيت على عجز تاليه فصارابيتاً واحدا. وكذا جاء فى الطالع السعيد للأدفوى ٢١٩

(٦) فى الأصل : « وبين جفوتى » صوابه فى ق والخريدة والطالع السعيد . والـكلمة الأخيرة من البيت ساقطة من الأصل وإثباتها من النسخ الثلاث .

ومنهم من يقول ، وهو أبو محمد عبد الله بن الطباخ الكاتب ، يهجو رجلاً أوقَصَ . أُنشِدتُهما لأبى الحسن [على بن[١]] الصوفى الحنبلى[٢] :

قَصُرت أخادِعُه وغاض قذالُه فكأنه متوقِّع أن يُصفَعا[٣]
وكأنه قد ذاق أوّل دِرّة وأحسّ ثانية لها فتجمَّعا

ومنهم من يقول ، وهو أبو عبد الله محمد بن مسلم الكاتب :

تعسَّفها الحادى وقد هَجَر الفلا ومرّ عليها الخِمْسُ يتبعه العِشْر[٤]
وأنحلها لفحُ الهجير كأنّه هوًى وهو قلبٌ قد أضرّ به الهجر

ومنهم من يقول ، ولا أتحقّق اسمه ، فى رجلٍ يلقب بالرشيد[٥] :

شتّان ما بين الرشـ يد وبين هارونَ الرشيد
هـــــذا يعزِّر بالجلو د وذا يعزِّز بالجنود[٦]

ومنهم من يقول ، وهو محمود بن ناصر الإسكندرى[٧] كاتب القاضى ابن حديد ، فى طبيبٍ أعلَمَ مشوّه الخلق :

صدبقنا المستطِبُّ نادرة قد أخذت منه أعينُ الناس[٨]
أنيابُ غول ومِشفرا جملٍ ورأسُ بغل وذَقن نِسناس

ومنهم من يقول ، وهو أبو نصر ظافر بن قاسم المعروف بالحداد[٩] من أهل الإسكندرية ، وكتب إلىَّ بها فى رسالة :

---

(١) هذه من ق . (٢) ق : « الجبلى » .
(٣) فى الأصل : « وغاب قذاله » ، وأثبت ما فى ق .
(٤) فى الأصل : « تعشقها » ، صوابه ما فى ق .
(٥) فى الأصل : « يسمى هارون الرشيد » ، وأثبت ما فى ق .
(٦) التعزير : ضرب للتأديب دون الحد . وهذا هو الوضع الصحيح للبيت كما فى الأصل . وجاء على العكس فى ق وليس بشىء :

هـذا يعزز بالجنو د وذا يعزز بالجلود

(٧) ق : «الإسكندرانى » .
(٨) فى الأصل : « قد أخذتها من أعين الناس » ، صوابه فى ق والخريدة .
(٩) ترجم له ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » ، وياقوت فى « إرشاد الأريب » وذكر أنه توفى سنة ٥٢٩ .

وما طائرٌ قصَّ الزمانُ جَناحَه فأعدَمَه وكراً وأفقَدَه إلفا
تذَكَّر زُغباً بين أفنانِ أيكةٍ خوافى الخوافى ما يَطرن بها ضعفا
إذا التحف الظّلماءَ ناجى همومَه لترجيع لحنٍ كاد من رِقّة يخفى[1]
بأشوقَ منى إذْ أطاعت بكَ النوى هوائيةٌ مائية تسبق الطرفا
تولّت وفيها منك ما لو أقِيسُه بما هى فيه كان فى فضله أوفى[2]

وقال أيضاً :

رَحَلوا فَــلولا أنَّنى أرجو اللِّقا لقضَيتُ نحبى[3]
والله ما فارقتُــكم لـكنَّنى فارقتُ قلبى[4]

ومنهم من يقول، وهو أبوالقاسم بن رشد[5] المصرى :

وكم قائلٍ لىَ سافِرْ إلى بلادِ العراق تَقَعْ فى الرَّخاء[6]
لعمرى لقد صدقوا قد وقعـ ـتُ وسط الرخاء بتقديم خاء

ومنهم من يقول ـ وهو الناجى المصرى ـ يهجو حمّاما :

إنَّ حمامَنا الذى نحنُ فيــه هو فى حاجةٍ إلى حَمّامِ
قد دَخلنا ونحن أولاد سامٍ وخرجنا ونحن أولاد حامِ

وقال بعضُ أهل العصر فى هذا المعنى :

حمّامنا هذا أشدُّ ضرورةً ممن يحلُّ به إلى حمّامِ
تبيضُّ ألوان الورى فى غيرِه ويُعيرها هذا ثيابَ سُخام
قد كنتُ من سامٍ فحين دخلته لَشقاء جَدّى ردَّنى من حام[7]

ومنهم من يقول، وهو أبوالحسن مروان بن عثمان :

تمــكَّنَ منى السُّقم حتَّى كأننى توهُّم معنًى فى خفىِّ ســـؤالِ

(١) ق : « من دقة » . (٢) ق : « كان فى وصفه وفى » .
(٣) ق : « أرجو الإياب قضيت نحبى » . (٤) ق : « والله ما فارقتهم » .
(٥) فى الأصل : « بن زبيد » وأثبت ما فى ق .
(٦) ق : « الرخا » بالقصر ، وكذا « خا » بالقصر فى البيت التالى .
(٧) فى الأصل: « دخلتها » ، صوابه فى ق والخريدة (٢ : ٣٠٥) .

[ولوسامحت عيناه عينيَّ فى الكرى   لأشكَلَ من طيف الخيال خيالى[1]]
سمحتُ بروحى وهى عندى عزيزةٌ   وجُدت بقلبى وهو عندىَ غالى
وقد خفتُ أن تقضى علىَّ منيَّتى   ولم أقضِ أوطارى بيوم وصال[2]
وهوَّنَ ما ألقى من الوَجد أنه   صدودُ دلالٍ لا صدودُ مَلال
فلو كان ذاك الصدُّ منه ملالةً   شددت عن الدنيا مطىَّ رحالى[3]

هذا من قول العباس بن الأحنف :

لو كنتِ عاتبةً لسكَّنَ لوعتى   أملى رضاك وزرتُ غير[4] [مراقب
لكن صددتِ فلم تكنْ لىَ حيلة   صدُّ الملول خلاف صَدّ العاتب

ولمروان :

ما بالُ قلبك يستكينُ   أبِه غرام أم جنونُ[5]
بَرَحَ الخفاء بما تُجِـ   نُّ ، فأذهب الشكَّ اليقين
حتَّى متى بين الجوا   نح والضلوع هوًى دفين
وإلى متى قلبُ المتـ   ـيم فى يد البلوى رهين
يا ماطلى بديونِ قا   بى آنَ أن تُقضَى الديون
شخَصَت له فيك العيو   نُ وقسِّمت فيك الظنون
وسلبتَ ألبابَ الورى   بلواحظٍ فيها فتُون
وقَوامِ أغصان الريا   ض وأين تدركُكَ الغصون
الحسنُ فى الأغصان فـ   ـنٌّ وهو فى هذا فنون

---

(١) البيت من الخريدة (٢ : ٢٠٣) .
(٢) فى الأصل : « منية »، وأثبت ما فى ق والخريدة .
(٣) هذا البيت ساقط من ق .
(٤) بعد هذا بياض فى الأصل بقدر نحو صفحتين ، وقد أكملته من ق والخريدة (٢ : ٢٠٤) ،والقدر المشترك بينهما فى التكملة هو السطر الأخير فقط مما وضع بين معكفين ، وأما سائر التكملة فهو من الخريدة فقط .
(٥) يجوز فى رويه الإسكان والتحريك .

من أين للأغصان ذا ... ك الغُنْجُ والسحر المبين

أم ذلك الورد الجنِ ... يّ بخدِّه واليــاسمين

ومنهم من يقول ، وهو أبو إسحق إبراهيم بن الأشعث] :

إذا حلَّ محمودٌ بأرضٍ فإنه ... يفجِّر فيها من نَدَى كفِّه عينا(١)

فتُنبت نوراً مشبهاً لِهباته ... يُرى وَرَقًا بعض وبعض يُرى عينا(٢)

وله فى غلامٍ مليح أسمر :

يا ذا الذى يُنفق أموالَه ... فى حبِّ هـذا الرشـأ الفائق(٣)

ما الذهب الصامتُ مستكثراً ... إذهابُه فى الذَّهب الناطق(٤)

ومنهم من يقول فى معشوقٍ له تمتام ، وهو محمود بن إسماعيل بن حميد الدِّمياطى :

تمتمةٌ تمَّ غرامى بها ... وعارضٌ عرّضنى للسَّــقام

ووَفرةٌ همِّى بها وافر ... وحاجبٌ حجَّب عنِّى المنام(٥)

وله من أبيات يصف الخمر :

وبتُّ ليلِى أرى النار التى سجدت ... لها المجوسُ من الإبريق تسجد لى

هذا ـ أطال الله بقاء الحضرة السامية ـ ما أملاه الخلَد ، على اليد ، فى مدة متقاربة الطرفين ، ضيقة مابين الحاشيتين . فإن تراخت المدة استدركت الفائت(٦) واستلحقت الناقص ، إن شاء الله تعالى .

نجزت يوم الثلاثاء تاسع عشر ذى القعدة عام ١٠٩١ بأدرنة .

---

(١) فى الأصل : « غيثاً »، صوابه فى ق والخريدة . والعين فى هذا : الينبوع الجارى .

(٢) فى الأصل « غيثا »، صوابه فى ق والخريدة . والورق : الفضة ، تقال بفتح الراء وكسرها ، وفتح الراء هنا أوفق للصناعة . والعين فى هذا البيت بمعنى الذهب . وفى ق والخريدة: « يرى ورقا بعضاوبعضا يرى » وتقرأ : « يرى » بهذه الرواية على أنها مضارع أرى .

(٣) ق : « الأسمر الفائق » .

(٤) فى الخريدة : « مستنكرا » ، وفى الأصل : « ذهابه »، وأثبت ما فى ق والخريدة (٢ : ٢٠٥) .

(٥) فى الأصل: «الملام»، صوابه فى ق. (٦) فى الأصل: «الفائق»، صوابه فى ق.

كتاب المُردفات من قريش

لأبي الحسن على بن محمد المدائنى

١٣٥ — ٢٢٥

رواية أبى الحسن على بن محمد بن عبيد الكوفى ، عن أبى القاسم عبد الله بن محمد ، عن أبى جعفر أحمد بن الحارث ، عن المدائنى

مقـــــدمة

هذه الرسالة القيِّمة الطريفة فى موضوعها ـ وهو موضوعٌ حيوى اجتماعى فيه الإوضاح عن كثير من غوامض الحياة الاجتماعية فى الصدر الأول من الإسلام ـ صنعها راويةٌ جليـل من رواة الأخبار ، يعـدُّ فى الصدر من رجالات التأليف فى العصر العباسى ، هو أبو الحسن المدائنى على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف .

وأبو الحسن هذا بصرى سكن المدائن ، ثم انتقل عنها إلى بغداد فلم يزل بها حتى وافاه الأجل . وكان مولًى لعبد الرحمن بن سَمُرة القرشى ، وهذا يكشِف لنا القناع عن سرٍّ تأليفه لهذه الرسالة يتناول فيها أخبارَ النساء المردِفات من قريش .

وكان أبو الحسن ميّالا إلى التأليف فى أخبار العرب وأنسابهم وأيامهم ، عالماً بالفتوح والمغازى ، وكان لما أنعم الله به عليه من عمر مديدٍ جاوز التسعين ، أثرٌ عظيم فى ضخامة مكتبته التى أخرجها للناس ، وتناولها ابنُ النديم فى الفهرست بالسرد ، فأربت على (مائتين وأربعين مصنفاً) يلمح القارئُ فى عنواناتها جلالَ علم هذا الرجل ، واتساعَ معارفه ، وتبحُّرَه فى فنون التأليف و لرواية .

ولد أبو الحسن سـنة ١٣٥ وترعرع فى كنف مولاه عبد الرحمن بن سمرة القرشى ، وعندما انتقل إلى بغداد وصَلَ حبلَه بإسحاق بن إبراهيم الموصلى فكان لا يفارق منزلَه . ومما هو جدير بالذكر أن أبا الحسن أغمض إغماضته الأخيرة فى منزل صاحبه إسحاق الموصلى فى سنة ٢٢٥ ، وكان إسحاق يبر أبا الحسن برًّا ظاهراً ، ويروى أن يحيى بن معين سأله مرة وقد جاز عليه وهو على حمار فاره : إلى أين يا أبا الحسن ؟ فقال : إلى هذا الـكريم الذى يملأُ كمى من أعلاه إلى أسفله دنانير ودراهمَ . يعنى إسحاق الموصلى .

هـذه المـكتبة المدائنية التى ابتلعتها أحداث التاريخ فيما طوت من كنوز

الثقافة العربية، يقف الباحثُ من بعدها موقف الحسرة والأسى، وهو إنما يستروح بشيء من العزاء حينما يلمح بعض هـذه الآثار فى مقتبسات المؤلفين الذين رووا من تلك الكتب أطرافاً ، وفى طليعتهم أبوالفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى . واليوم نظفر بعزاء جديد حين ننشر على هذا الملأ من المتأدبين والعلماء قطرة من نبع آثار المدائنى ، هى تلك الرسالة التى تزدان بها المكتبة التيمورية التى حفظ فيها المغفور له العلّامة أحمد تيمور باشا كثيراً من نفائس الإنتاج العربى ، وهى فى صحبة مجموعة تشتمل على ١١ رسالة رقمها ٨٠ مجاميع ، وعليها خط المغفور له الشيخ طاهر الجزائرى . وقد جعل عنوان هذه الرسالة : « رسالة المتزوجات من قريش » .

وهذا العنوان موضع نظر ، فإن « المتزوجات » من قريش لايحصيهنّ العدّ، وليس يخطر ببال مصنِّف أن يضع فى ذلك كتابا ، فإن الزواج أمر عام جدًّا ليس له طابَع من الغرابة يسترعى النظر والاهتمام ، فهذه الكلمة محرفة لاريب . وحين ننظر إلى موضوع الكتاب نجد أنه يتناول النساء القرشيات اللاتى أردفن زوجا بعد زوج ولم يكتفين بزوج واحد ، لظروف متباينة ساقتهن إلى ذلك أو ساقت ذلك إليهن .

ثم نعود بعد ذلك إلى ثَبَت كتب المدائنى فنجد بين كتب مناكح الأشراف وأخبار النساء كتاب « المردفات من قريش » ، فكلمة « المردفات » التى يراد بها اللائى أردفن زوجا بعد زوج ، هى الكلمة التى تصحح كلمة « المتزوجات » وهى الكلمة التى تنطبق على موضوع الكتاب أتمَّ الانطباق .

وتبدأ سلسلة رواية هذه النسخة بأبى الحسن على بن محمد بن عبيد الكوفى صاحب ثعلب المولود سنة ٢٥٤ والمتوفى سنة ٣٤٨ ، وتنتهى بتلميذ المدائنى وراويته أحمد بن الحارث بن المبارك الخزاز المتوفى سنة ٢٥٧ . وهذه هى الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد قال : أنبأنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز، قال: أنبأنا أبو الحسن المدائني عليّ بن محمد، قال :

١ — تزوّج أمَّ كلثوم بنت على بن أبى طالب عليهما السلام، عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه، وقُتِل عنها فخطبها سعيدُ بن العاص فقالت : إن مثلى لا تزوّج نفسى، فائت أهلى . فأتى الحسنَ بن على عليهما السلام فخطبها فقاربه . فبعث إليها سعيدٌ بمائة ألف، وكلم الحسنُ الحسينَ فأبى . وقد كان الحسن وعد سعيداً وعداً، فأتاه سعيدٌ وحده فقال : أين أبو عبد الله ؟ قال الحسن : لم يحضرْ ولن يخالفنى إذا فعلت . فقال سعيد : إنى أكره أن أدخل بينكم بشىء تكرهونه . فرجع ولم يرجع فى المال ولم يطلبه . ثم تزوّجها عونُ بن جعفر، ثم تزوّجها محمد بن جعفر . وقد ولدت لعمرَ زيداً ورقيّة، فتزوّج رقيَّة إبراهيم بن نعيم النَّحَّام[1]، وماتت هى وابنها زيد فى يوم واحد .

٢ — حدثنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال :

أمُّ كلثوم بنت عقبة بن أبى مُعيط تزوّجها زيد بن حارثة، ثم خَلَف عليها الزبير بن العوّام فحملت . وكان الزبير شديداً على النساء، فأقام عندها سبعة أيام فولدت له ابنة، وقالت له حين ضربها المَخَاض : طيِّبْ نفسى بتطليقة . فطلَّقها وخرج إلى الصلاة، فلحقه رجلٌ فقال : قد ولدت أمُّ كلثوم . فقال : خدعَتْنى خدَعَها الله ! ولم يكن له عليها رَجعة . وخطبها فأبت أن تزوّجه . ويقال : أتى النبي عليه الصلاة والسلام فأخبره فقال : «قد مضى فيه القرآن، ولكن إن شئت خطبتها إلى نفسها » . قال : لا ترجع إلىَّ أبداً .

وابنتها من الزبير زينب . ثم تزوّجها عبد الرحمن بن عوف بعد زيد ثم

(١) انظر خبر زواج إبراهيم بن نعيم النحام فى الأغانى (٤ : ١٤٦) والمعارف ص ٨٠ .

الزبير . فولدت لعبد الرحمن محمداً وإبراهيم وحميداً وإسماعيل ، ثم تزوّجها عمرو ابن العاص فأخرجها معه إلى مصر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجَها معه فى بعض مغازيه تُداوى الجرحى وضَرَب لها بسهم ، فقالت يوما لخبّاز عمرو[١] : لاتهيِّئْ له اليوم طعاما فإنى قد هيأت له غَداءه . ودعا عمرو بالغداء ، فقال الخبّاز : أرسلت إلىَّ أمُّ كلثوم : لا تَكلَّفْ شيئًا فقد هيأت له غداءه . قال : فغدِّنا فتغدَّى ، فلما فرغوا وخرج مَن حضر قال لأم كلثوم : لا تعودى فإنى لم أتزوجك لتطعمينى ، وإنما تزَوّجتُك لأطعمك . فماتت عنده .

٣ — أحمد قال : أنبأنا أبوالحسن قال : كانت هندُ بنت عتبةَ بن ربيعة أمُّ معاوية ، عند الفاكه بن المغيرة ، فقتل عنها بالغُمَيصاء[٢] فى الجاهلية ، ثم خَلَف عليها حفصُ بن المغيرة ، فمات عنها ، فتزوجها أبوسفيان بن حرب .

٤ — عاتكة ابنة زيد بن عمرو بن نُفَيل ، أنبأنا أبوالحسن عن جويريةَ ابن أسماء وعامر بن حفص قالا :

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل، أمها ميمونة بنت الحضرمى بن الصعبة[٣] كانت عند عبد الله بن أبى بكر بن أبى قحافة فأحبها ، فكان ربّما ترك الصلاة جماعة ، فأمره أبو بكر رضى الله عنه بطلاقها وقال : قد فتَنَتك عن دينك ، وشغَلَتْك عن معيشتك . فطلّقها . فطلّقَها ، وقال :

ولم أر مِثلى طلَّقَ اليومَ مثلَها ولا مثلَها فى غير جُرْمٍ تُطَلَّقُ
لها خُلقٌ سمْحٌ ورأىٌ ومَنصِبٌ وخَلقٌ سَوىٌّ فى الحياء ومَصْدَقُ[٤]

(١) يطلق الخباز على من كان يشرف على إعداد الطعام وطهيه . انظر التحقيق فى حواشى الحيوان (٥ : ٤٥٧) .

(٢) الغميصاء : موضع فى البادية بالقرب من مكة .

(٣) فى الإصابة ٦٩٥ من قسم النساء ، أن أمها أم كريز بنت عبدالله بن عمار بن مالك الحضرمية .

(٤) المصدق : الصدق . وفى الأصل : « فى الحياة » ، وفى الأغانى (١٦ : ١٢٨) : « فى حياء » .

أعاتكُ لا أنساكِ ما هبّت الصَّبَا وما ناح قُمْرِئُ الحمامِ المطوّقُ
أعاتكُ لا أنساكِ ما حجَّ راكبٌ وما لاح نجمٌ فى السماء محلِّقُ
أعاتكُ قلبى كلَّ يومٍ وليلةٍ إليكِ بما تُخفى النّفوسُ معلَّقُ
ولولا اتِّقاء اللهِ فى حقِّ والدٍ وطاعَتُه ما كان منّا التفرّقُ

فبلغ أبا بكر شعرُه فأمره فراجعها ، وكانت عنده حتى مات شهيداً ، أصابه سهم فى حصار الطائف فانتقض به جُرحه فمات ، فقال لعاتكة حين احتُضِر : لك حديقة من مالى ولا تزوَّجى . ففعلت ذلك . وقال حين راجعها :

أعاتكُ قد طُلِّقْت عنى بِغُصَّةٍ وراجَعْت للأمر الذى هو كائنُ(١)
كذلكِ أمرُ الله غادٍ ورائحٌ على النَّاس فيه أُلفةٌ وتباينُ
وقد كان قلبى للتفرُّق طائراً وقلبى لما قد قرَّب اللهُ ساكنُ
أعاتكُ إنِّى لا أرى فيك سَقْطةً وإنك قد حلَّت عليك المحاسِنُ(٢)
وإنّك ممن زيّن اللهُ أمْرَهُ وليس لما قد زيّن الله شائنُ(٣)

فمات عبد الله وترك سبعة دنانير ، فقال أبو بكر : إنا لله ، كيف يصبِرُ ابنى على سبع كَيّاتٍ(٤) . ولما مات عبد الله قالت عاتكة :

فجعتُ بخير النَّاس بعد نبيِّهم وبعد أبى بكرٍ وما كان قَصَّرا
وآليتُ لا تنفكُّ عينى سخينةً عليكَ ولا ينفكُّ جلدِىَ أغبَرا
مَدَى الدهر ماغنّت حمامةُ أيكةٍ وما طرَدَ الليلُ الصَّباحَ المنوَّرا
فلله عينا مَن رأى مثلَه فتًى أكرّ وأحمَى فى الجهاد وأصبرا
إذا شَرَعتْ فيه الأسنّةُ خاضَها إلى الموت حتّى يترك الرُّمحَ أحمرا

(١) فى الأغانى : « فى غير ريبة * وروجعت » .
(٢) فى الأغانى : « سخطة * وإنك قد تمت » .
(٣) فى الأغانى : « وجهه * وليس لوجه زانه الله » .
(٤) يعنى بذلك جزاءه على ما اكتنز من الدنانير . (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم).

فخطبها عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه فقالت : إنِّى قد جعلت على نفسى مالا أقدر [معه] على التزويج . فقال : استفتى ابنَ أبى طالب رضى الله عنه . فاستفتته فقال : ردِّى عليهم ما أخذْتِه منهم وتزوَّجى . فردّت الحديقة، فتزوّجها عمر رضى الله عنه، فلما دخل بها أوْلَمَ ، فدنا علىٌّ رضى الله عنه من خِدرها وقال :

فآليتُ لا تنفكُّ عينى سخينةً عليكَ ولا ينفكُّ جلدِىَ أغبرا !

فبكت ، فقال عمر : ما أردتَ إلا أن تُفسِد علينا أهلنا(١) . ويقال قال هذه المقالةَ لها عبد الرحمن بن أبى بكر . فلما قتل عمر قالت :

فَجَّعنى فيروزُ لا دَرَّ درُّهُ بأبيضَ تالٍ للقُرآنِ مُنيبِ
رؤوفٍ على الأدنى غَليظٍ على العدى أخى ثقةٍ فى النّائباتِ نجيبِ
متى ما يقُلْ لا يُكذِب القولَ فِعْلُه سريعٍ إلى الخيرات غيرِ قَطُوبِ

وقالت :

عينُ جُودِى بعــــبرةٍ ونحيبِ لا تملِّى على الإمام النَّجيبِ
فجعتْنى المنونُ بالفارس المُقْـ ـدِمِ يومَ الهِياجِ والتذبيبِ(٢)
عِصمةِ النّاس والمعين على الدّهـ ـرِ وغيثُ المنتاب والمحروبِ
قل لأهل الضَّرّاءِ والبأس مُوتُوا قد سقَتْه المنونُ كأسَ شَعُوبِ

فخطبها طلحة بن عُبيد الله ، فمشى فى أمرها هَبَّار بن الأسود فأفسد عليه ، فتزوجها الزبير بن العوام ، فنهاها عن الخروج إلى المسجد فقالت : أتنهانى عن الخروج إلى الصلاة وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله » . فأعرض عن ذلك أياماً ثم قعد لها فى طريقها ليلاً ، فلما مرّت به ضرب عجيزتَها بيده ــ وكانت عظيمةَ العجيزة جميلة ــ فرجعتْ إلى بيتها واسترجعت وقالت : سوءة ، إنا لله . وتركت الخروج ، فقال لها الزبير : مالكِ تركت

(١) فى الأصل : « أهلها » .
(٢) التذبيب: إكثار الذب والدفع . وفى الأغانى : « التلبيب » .

الصلاة فى المسجد ؟ قالت : قد فسد الناسُ أبا عبد الله ! فقتل عنها فقالت :

غدرَ ابنُ جُرموزٍ بفارس بُهمَةٍ   يوم اللِّقاء وكان غير معرِّد
يا عمرُو لو نبّهتَه لوجدْتَه   لا طائشاً رَعِشَ الجَنان ولا اليدِ
شلّتْ يمينُك إن قتلت لمسلماً   حلّت عليك عقوبةُ المتعمِّدِ[1]
كم غمرةٍ قد خاضَها لم ينهه   عنها طرادُكَ يا ابن فَقْع القَرْدَدِ

ثم خطبها على بن أبى طالب رضى الله عنه فقالت : إنّى أشفق عليك من القتل ، لم أتزوّج رجلا إلا قتل فتزوّجها محمد بن أبى بكر فخرجت معه إلى مصر فقُتل ومُثِل به ، فقالت :

إن تقتلوا أو تَمْثُلوا بمحمّد   فما كان من شأنِ النِّساء ولا الحُمرِ[2]

فتزوجها عمرو بن العاص .

أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن ، عن أبى مقرر ، عن محمد بن عمرو ، أن ابن أمية بن خلف[3] رأى رؤيا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافة أبى بكر فقصها فقال : رأيت أن هذا الرجل قد هلك ، وأنت مكانه ، فبعثْتَ إلى هذه المرأة فتزوجتها — يعنى عاتكة بنت زيد — فدخلْتُ عليك وأنت عروس وعلى باب بيتك ستر . فقال عمر : بل يُبقى الله خليفة رسول الله . فلما توفى أبو بكر أرسلَ إليها فخطبها .

٥ — سكينة ابنة الحسين عليه السلام ، أمها الرباب بنت امرئ القيس الكلبية[4] تزوجها عبد الله بن الحسن وهو أبو عُذرتها ، فمات — ويقال قتل مع الحسين — فتزوجها مصعب بن الزبير فولدت له ابنةً ، فأرسل إليها : سمِّيها زَبراء

(١) انظر خزانة الأدب (٤ : ٣٤٨ — ٣٥٢) فى الكلام على هذا البيت .
(٢) يقال مثل به يمثل مثلا مثل قتل يقتل قتلا ، ومثل به تمثيلا ، إذا نكل به .
(٣) هو ربيعة بن أمية بن خلف ، كما فى طبقات ابن سعد ٨ : ١٩٤ . وانظر خبر ربيعة هذا فى الأغانى ١٣ : ١٠٧ .
(٤) انظر خبر تزويج الرباب للحسين بن على فى الإصابة ٤٨٤ ، قسم النساء .

قالت : أسمّيها باسم إحدى أمهاتى . فسمّتها خديجة أو فاطمة . فماتت ابنتها من مصعب وهى صغيرة ، فحملها مُصعبٌ إلى العراق فقتل عنها .

وقال ابن قيس الرقيّات حين تزوّج مصعبٌ سكينة ـ ويقال قالها الحارث ابن خالد المخزومى حين خرج مصعب بعائشة بنت طلحة :

رحل الأميرُ بأحسن الخلق وغدا بلبِّكَ مطلعَ الشَّرْقِ[1]
وبدَتْ لنا من تحت كِلَّتها كالشَّمس أو كغمامة البَرْقِ
وتَنُو فتُثْقلها عجيزتُها مَشْىَ النَّزيف ينوء بالوَسْقِ[2]
فظلِلْتَ كالمقمورِ خُلعتَه هذا الجنونُ وليسَ بالعِشْقِ[3]
ماصبَّحتْ زوجًا بغُرّتها إلا غدَا بكواكب الطَّلْقِ

وتروى هذه الأبيات لرجل من ثقيف قالها فى امرأةٍ من ثقيف .

وخطب سُكينةَ عبدالملك بن مرْوان فقالت أمها : والله لاأزوجهامنه أبدًا وقد قتل ابنَ أختى ـ تعنى مصعبًا[4] ـ فتزوجها عبدالله بن عثمان بن عبدالله ابن حكيم بن حزام ـ وأم عبدالله بن عثمان رملةُ ابنة الزبير بن العوّام ـ فولدت له سكينةُ ابنًا يقال له قُرَين ، وحكيما ، وابنة ويقال ابنتين . فمات عنها فتزوّجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ، فأصدقها صداقا كثيراً ، فقال

---

(١) فى الأصل : « بليل » ، صوابه من ديوان ابن قيس الرقيات ١٠١ . وفى الأغانى (٣ : ١٠٣) : « وغدوا بلبك » .

(٢) الديوان ١٠٣ : «نهض الضعيف» . والوسق ، ستون صاعا ، أو حمل بعير .

(٣) الخلعة ، بضم الخاء وكسرها : خيار المال ، لأنه يخلع قلب الناظر إليه . وفى الأغانى: « مهجته » . (٢٠)

(٤) هو مصعب بن الزبير ، وكان عبد الملك قد سار إلى العراق ، فالتقى مع مصعب بمسكن ، من أرض العراق ، فقتل مصعب سنه ٧٢ . وفى ذلك يقول عبيد الله بن قيس الرقيات :

إن الرزية يوم مسـ ـكن والمصيبة والفجيعه
بابن الحـوارى الذى لم يعده يوم الوقيعه

عبد الملك : إنا تزوجْنا أحسابنا فلِمَ نغرِقُ فى الصداق ، طلِّقها . فطلقها ، فقال أيمن بن خُريم :

نـكحت سُـكينةُ فى الحساب ثلاثةً فإذا دخلتَ بها فأنتَ الرابعُ
إنَّ البَقيعَ إذا تتابعَ زرعُه خابَ البقيعُ وخابَ فيه الزارعُ(١)

فتزوّجها زيد بن عمرو بن عثمان ـ وأمه أم ولد ـ فأصدقها صداقاً كثيراً ، واشترطتْ عليه أن لا يعصى لها أمراً ولا يُغيرَها ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، ولا يمنع أحداً يدخل عليها ، وأن يقيمها حيث خُلَّتُها أمُّ منظور(٢) . فتزوَّجَها على هذه الشروط ، فقال له سليمان بن عبد الملك : يا زيدَ بنَ عمرو ، إنك شرطت لسكينة أن لا تطأ جارية ، وعندك أمثالُ المها ، وأنا أعلم أنك لا تصبر وأنك قد وطئت بعضهن ، وشرطت لها شروطاً لا تستطيع أن تفىَ بها ، وقد حرمت عليك سكينة . فطلَّقَها زيد فتزوّجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فأبى أهلها أن يرضَوا ، فخاصموه وتحاكموا إلى إبراهيم بن هشام ، فقال له : انطلقْ فادخل على أهلك ، فإن حالَ بينك وبينها أحد فامنعه . وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف شرساً كثير الشرّ ، فجاء فى رجال من بنى زُهرة ، فأعانه قوم من قريش ، وجاء بنو هاشم وبنو أميَّة وأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان مواليَه وغلمانه فى السلاح ، فقيل للوالى : إن لم تمنعهم تقاتلوا . فأرسل فردّ الفريقين ، وكتب إلى هشام فكتب إليه هشام : خيِّروها ، فإن اختارته فاحملها إليه . فاختارت نفسها ، وأتى الخبرُ إبراهيمَ فأتاها فقال : أنا خيرُ الناس لكِ . قالت : ماتقول ، يا بأبى؟! فعلم أنها تهزأ به ، فانصرف فخيَّروها فاختارت نفسها ، فجاء علىُّ بن حسين بن حسين عليهم السلام فحملها .

وكانت سكينة تقول لزوجها زيد بن عمرو بن عثمان : اخرج إلى مكة وأخرج

---

(١) البقيع : الأرض الواسعة ، ولا تسمى بقيعاً إلا وفيها شجر .
(٢) فى الأصل : «أن يقفها حيث جلتها أم منظور» ، صوابه من الأغانى (١٤ : ١٦٣).

معك أشعب . فيُخرجه ويخرجُ من أرادت ، فإذا قضوا حجهم ورجعوا فكانوا فى نصف الطريق قالت : يا ابنَ عثمان، ارجع إلى مكة . فيقول : نعم . فإذا صَرفوا الإبل إلى مكة قال لها : ياسكينة ما أستطيع أن أخالفك وقد انصرف الناس، فإن رأيتِ أن تمضى معهم . فتقول : نعم فتمضى معهم يومهم ذلك ، ثم تقول : يا ابن عثمان ، ارجعْ ! فيقول : نعم . فتفعل ذلك مراراً ، ومع هذا مواتاةٌ منها وقرّةَ عينٍ وشفقةٌ ونصيحة ، وإنما كان ذلك كله منها مزاحاً لتسرَّه ثم ترجع إلى مايريد . فعتب عليها يوما فى بعض الأمر فصارمَها وخرج إلى قصر له فى ماله . قال أشعبُ : فدعتنى ليلة بعد العِشاء فقالت : ويلك ، هل لك أن تأتىَ ابن عثمان فتعلم لى علمَهُ أيةً خرج وأخذ . قلتُ : لا أستطيع أن أذهب هذه الساعة . قالت : فإنى أعطيك ثلاثين ديناراً . قلت : ادفعيها إلىّ . فأعطتنى ثم مضيتُ فانتهيتُ إلى القصر بعد ما هزيعٍ من الليل، وليس على باب القصر أحد، فدخلت الدار فإذا هو بين يديه مصباح ، قد نزل عن فرُشه وهو ينكتُ فى الأرض ، فسمع حِسّى أو رأى خيالى فقال : إن فى الدار إنساناً فانظروا من هو . فجاؤونى فرأَوْنى فقالوا : شعيب[1] . فدعا بى فقال : ويلك يا شعيب ما قصتُك ؟ قلت : أرسلتنى سُكينة . قال : ولم ؟ قلت : ذكرتْ منك ما ذكرتَ منها فأرسلتنى أعلمُ لها علمك . قال: ويحك،غننى فإن جئتنى بما فى نفسى فلك حلتى الطبرّية[2] فقد أخذتها بثلثمائة[3] . فغنّيته :

عُلِّقَ القلبُ بعضَ ما قد شجاه   من حبيبٍ أمسى هواناً هَواهُ

---

(١) يعنون أشعب ، وهو ترخيم ، كما قالوا فى أحمد: حميد ، لغير نداء.

(٢) الطبرية : نسبة إلى طبرستان . وفى الأصل : « الصبرية » بالصاد ، تحريف . وجاء فى كتاب (التبصر بالتجارة) للجاحظ ٢٢ بتحقيق العلامة حسن حسنى عبدالوهاب باشا: «وخير الطيالسة الرويانية الطبرية» . وفى الحيوان (٣ : ٢٧) : « قال لأحمد بن رياح : اشتريت كساء أبيض طبريا بأربعمائة درهم » .

(٣) أى ثلاثمائة درهم . انظر ما سبق .

ما ضِرارى نفسى بهِجران من لَيْـ سَ مسيئاً ولا بعـيداً نَوَاه

قال : ماعدوتَ ما فى نفسى . وأعطانى حلته ، فرجعت إلى سُكينة وهى جالسة تنتظر رجوعى ، فأخبرتها عنه وعن حاله التى رأيت عليها وما قلت وما صنع . قالت : فأين الحُلة ؟ قلت : معى . قالت : أفتريد ياشعيب أن تلبس حُلة قد لبسها ابن عثمان وتسلبه إياها ، لا ولا كرامة . قلت : والله لألبسنها . قالت : فأنا أشتريها منك . فاشترتها بمائة دينار ، ويقال بثلاثين ديناراً .

وكان تزويجُ إبراهيم بن عبد الرحمن بها أنها مكثت حيناً بعد زيدٍ لا تخطب، فقالت لها مولاة لها : جعلت فداك، لا أرى أهل المدينة يذكرونها . قالت : أما والله لأجعلنّ لهم حديثاً . فأرسلت إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وكان شرساً كثير الشر ، فقالت له : كيف أنت إن تزوّجتك ؟ قال : تجدينى خير الناس

وكانت ظريفة فقيل لها : ياسُكينة ، أختك ناسكة وأنت مزّاحة . قالت : إنكم سميتموها باسم جدّتها المؤمنة ، وسميتمونى باسم جدّتى التى لم تدرك الإسلام[1] .

ويقال إنها لما زُفت إلى زيد حُملت ، قالت لمولى لها كان يمشى مع دابتها يقال له بخة : ويلك ما لك . وقالت لرجل : قوّم هذا الأديم .

وذكرَ الفرزدق سكينة وشبَّب بها وعمرُ بن عبد العزيز على المدينة ، فأخرجه منها ونفاه . فقال جرير فى ذلك :

نفاكَ الأغرُّ ابنُ عبد العزيز بحقِّك تُنفَى من المسجدِ[2]

---

(١) أختها فاطمة بنت الحسين بن على ، سميت باسم جدتها فاطمة بنت الرسول زوج على ابن أبى طالب . ومما هو جدير بالذكر أن اسم سكينة بنت الحسين ، هو آمنة ، وأما سكينة فلقب لها . وسميت آمنة باسم جدتها آمنة بنت وهب أم الرسول صلوات الله عليه . انظر الأغانى (١٤ : ١٥٨) .

(٢) وكذا رواية النقائض ٧٩٨ . وفى الأغانى (١٩ : ٥٢) : « ومثلك ينفى » .

وطافت سكينة بنت حسينٍ رضى الله عنه، فلما انتهت إلى الركن اليمانى أعيتْ فى أول طواف، ونظر إليها العرْجىُّ فقال :

يقعُدنَ فى التَّطوافِ آونةً   ويطُفْنَ أحياناً على فَترِ
حتى استلَمْنَ الركنَ فى أُنُفٍ   من ليْلهنَّ يطأْن فى الأزْرِ
ففرَغْنَ فى سبعٍ وقدجُهِدَتْ   أحشاؤهن مَوَائلَ الخُمْرِ

فسمعت شعرهُ امرأةٌ ووصفته لها، فحفظت الشعر فأخبرتها، قالت : «لوأن الجمال طُفن سبعاً لجهدت أحشاؤهن» .

وقال أبو دَهْبَل يمدح عبدالله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ـ وهو زوج سكينة، ولدت منه قُريشاً، وحكيما، وابنة . وأمُّ عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم رملة ابنة الزبير ـ فقال :

أكرم بنسلٍ منكَ بين محمدٍ   وبين عَلِيٍّ فاسمعنَّ كلامى
وبين حكيم والزُّبير فلا أرى   لهم شبهاً فى مُنْجِدٍ وتَهامِ
نمطتْ به بيضاء فرعُ نجيبةٍ   حَصَانٌ وبعض الوالدِينَ عُرام،(١)

٦ — أخبرنا أحمد قال : أنبأنا أبوالحسن قال : أمُّ إسحاق بن طلحة بن عبيد الله كانت عند الحسن بن علىٍّ بن أَبى طالب رضى الله عنه، فولدت له طلحة، فلما حضرته الوفاة أمر أخاه الحسين بن علىَّ أن يتزوَّجها، فتزوَّجها فولدت له فاطمة بنت الحسين . فقُتل الحسين فتزوَّجها محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر، فولدت له آمنة .

٧ — أحمد قال: أنبأنا أبو الحسن قال : ميمونة ابنة عبد الرحمن بن عبدالله ابن عبدالرحمن بن أبى بكر، كانت عند عبد العزيز بن الوليد، فولدت له عبدالملك، وعتيقاً، ثم خلف عليهامحمدبن الوليد، ثم خلف عليهاهشام بن عبدالملك .

(١) العرام : الأذى . وفى البيت إقواء .

٨ — عائشة ابنة طلحة . أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن عن سحيم بن حفص قال : تزوَّج عائشة ابنة طلحة عبدُ الرحمن بن أبى بكر، وهو أبو عُذْرتها، فولدت له أولاداً ، فابنها طلحة الذى يقول له الشاعر :

يا طَلْحَ إن كنتَ أعطيتنى جُماليّةً تستخفُّ الضِّفارا(١)
فما كان نفعُك لى مرَّةً ولا مرَّتين ولكنْ مِرارا
أبوك الذى بايعَ المصطفى وسارَ مع المهتدِى حيث سارا

قال أبو الحسن : عن سحيم، صارمت عائشة زوجَها، وكان فى خُلُقها زَعارة ، خرجت وهى مصارِمَةٌ له فى مِلحفة فمرَّت فى المسجد حتى دخلت حُجرة عائشة ، فرآها أبو هريرة رضى الله عنه فسبَّح وقال : كأنها من الحور . فمكثت عند عائشة قريبًا من أربعة أشهر ، فأرسلت عائشة إلى ابن أخيها : إنى أخاف عليك الإيلاء إن تمّتْ أربعة أشهر ، فضُمَّها إليك . وكان يلقى منها البلاء ، فقيل له طلقها ، فقال :

يقولون طلِّقْها ، وأصبحَ ثاويا مقيما عليك الهمُّ ، أحلامُ نائمِ
وإنَّ فراق أهلَ بيتٍ أودُّهم لهم زُلفةٌ عندى لإحدى العظائمِ
فكيف بِصَفوِ العيشِ من بعد بَينِهم وسُخْطُهُمُ يوما على الأنف خاطِمى

وخطبها مصعب بن الزبير فقالت : إن تزوَّجته فهو علىَّ كظهر أمى . ثم سألت أهل المدينة فقالوا : أعتقى رقبة وتزوّجيه . فتزوّجها فأصدقها خمسمائة ألف ، وأهدى لها خمسمائة ألف . فقال أنس بن أبى أنس بن زُنيم :

بُضْعُ الفتاةِ بألفِ ألفٍ كاملٍ وتبيتُ ساداتُ الجنود جياعا
لوْ لأبى حفصٍ أقولُ مَقالتى وأبثُّه ما قد رأى لارتاعا(٢)

---

(١) الضفار ، بالفتح : مايشد به البعير من شعر مضفور .
(٢) فى الأصل : « لولا أبو حفص » ، تحريف .

فبلغ الشعرُ عبد الله بن الزبير فقال : إن مصعباً قدّم خيره ، وأخّر أيره . وبلغ الكلامُ عبد الملك بن مروان فقال : لكن عبد الله قدّم أيره وأخّر خيره .

أحمد قال : قال أبو الحسن : قال الشعبي : كان يجالسنا أيام الفتنة رجل فقلت : من أنت ؟ قال : مولى عائشة بنت طلحة ، خطبها مصعب بن الزبير وتزوّجها فأحبها ، وكانت خطبة جميلة من امرأة في أذنها عِظَم ، وفي ساقها حموشة[(١)] وقال قوم : في قدمها عِظَمٌ . فأغارها مصعب يوماً فسمّته .

أنبأنا أحمد قال : قال أبو الحسن : عن عليّ بن مجاهد عن الشعبي قال : قال الشّعبي : أخذ بيدي مصعب فمضى وأنا معه حتى دخل منزله ويده في يدي فرفع ستراً فإذا عائشة ، فإذا أحسن الناس وجهاً ، فأعرضت وخلاّني ودخل ، فرجعت ثم رحت إليه بالعشيّ وهو جالس فأشار إليّ بيده فقال : رأيت ذاك الإنسان ؟ قلت : نعم . فقال : أفرأيت مثله ؟ فقلت : لا . قال : تلك ليلى التي يقول فيها الشاعر :

وما زلتُ من ليلى لَدُنْ طرَّ شاربي ... إلى اليوم أُخفِي حبَّها فأُباطِنُ[(٢)]
وأحملُ في ليلى لقابي ضَغينةً ... وتُحمَلُ في ليلى عليَّ الضغائنُ

ياشعبيُّ رأيتَ عائشة وما بدٌّ لك إذ رأيتها من صلة . ثم قال لابن أبي فروة : أعط الشعبيَّ عشرة آلاف درهم وعشرين ثوباً . فقتل عنها مصعب فخطبها بشر ابن مروان . وقدِم عمرُ بن عبيد الله بن مَعْمر من الشام فنزل إلى الكوفة ، فبلغه أن بشراً خطب عائشة فأرسل إليها : « أنا خير لك من هذا المبْسور[(٣)] ، وأنا ابن عمِّك وأحقُّ بك ، وإن تزوّجت بك ملأت بيتك خيراً ، وملأت حِرَكِ أيراً » . فبنى بها بالحيرة فمهدت له فرُشاً سعة عرضها أربع أذرع ، فأصبح ليلة بنائها عن

(١) الحموشة : الدقة ، وفي الأصل : « جوسة » ، محرفة .
(٢) البيتان لكثير عزة كما في الأغاني (٢ : ١٣٣) وروايته : « وأداجن » .
(٣) المبسور : من به الباسور .

تسعة[١] . وكان عمر غايظاً أحمر يحتجم كل سبعة أيام ، فأخرجها معه إلى فديك[٢] .
ولها يقول الشاعر :

انعَمْ بعَيْشَةَ عيشاً غير ذى رَنَقٍ   وانبِذْ برَمْلَةَ نبْذَ الجورب الخلَقِ

وقال آخر :

من يجعَل الدِّيباج عِدْلاً للزِّيقْ

ـ أراد الريح ، وهو ريح الخميس[٣] ـ

بين الحَوارِيِّ وَبين الصِّدِّيقْ

فمات عنها فبكته ، فعلموا أنها لا تزَوّج .

أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن ، عن سحيم بن حفص قال : قالت رملة بنت طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى لمولاة عائشة : أرينى عائشة متجردة ، ولك ألفا درهم . فقالت لمولاتها : إنَّ رملة جعلت لى ألفى درهم إن رأتك متجردة . قالت : فإنى أتجرد لها فأعلميها . وتجردت وجعلت تغتسل مدبرة ومقبلة ، ورملة تنظر إليها ، ثم لبست ثيابها فأعطت رملةُ مولاتَها ألفى درهم ثم قالت : وددتُ أنى أعطيتك أربعة آلاف ولم أرَها .

قال أبو الحسن : عن أبى عمرو طارق بن المبارك قال : قال عمر بن ربيعة لعائشة بنت طلحة يشبّب بها :

أصبح القلبُ فى الحبال رهيناَ   مُقْصَداً يوم فارق الظّاعنينا
لم يرُعنى إلا الفتاةُ وإلا   دمعُها فى الرّداء سَحًّا سَنينا[٤]
عجّلت حُمّةُ الفراق علينا   برحيلٍ ولم تخف أن تبينا
أنتِ أهْوَى العبادِ قُرْباً وَوُدًّا   لو تُواتِينَ عاشقاً محزونا

(١) الذراع يذكر ويؤنث .
(٢) فديك ، بالتصغير : موضع ، ولم يعينه ياقوت ولا صاحب القاموس .
(٣) كذا وردت هذه العبارة محرفة . والخميس : ضرب من ضروب اليمن .
(٤) السنين ، بفتح السين : المسنون المصبوب .

قادهُ الطرف يوم مرَّ إلى الحيـ ـن جهاراً ولم يخف أن يَحينا
وجلا بُرْدُ بِرْكةٍ جَنَديٌّ ضوءَ وجْهٍ يُضيء للنَّاظرينا(١)
فإذا ظبيةٌ تراعي نعاجاً ومَهاً يُبهجُ المناظرَ عِينا
قلت : من أنتمُ فصدّتْ وقالت : أمُبِدٌّ سؤالُك العالمينا(٢)
قلتُ : باللهِ ذي الجلالة لمّا إذ تبلتِ الفُؤاد أنْ تصدُقينا(٣)
أيُّ مَنْ تجمعُ المواسمُ أنتمْ فَأَبيني لنا ولا تَكْذِبينا
نحن من ساكني العراق وكُنّا قبلها قاطنين مَكّةَ حِينا
قد صدقناكِ إنْ سألتِ فمن أنـ ـتِ،عسى أن يجُرَّ شأنٌ شؤونا(٤)
قد نرى أننا عرفناكِ بالنَّعـ ـت بظَنٍّ وما قتَلْنا يقينا(٥)
بسواد الثَّنيَّتين ونحرٍ قد نَراهُ لناظرٍ مُسْتَبينا

فكانت عائشة تقول : والله ما قلت له هذا وما كلمته قط .

أنبأنا أحمد قال أنبأنا أبو الحسن عبد الله بن فائد قال : دخلت عائشة بنت طلحة بمكة على الوليد بن عبد الملك فحدثته وقالت يا أمير المؤمنين ، مُر لي بأعوان . فصيَّرَ إليها قوماً يكونون معها ، فحجت ومعها ستون بغلاً عليها الهوادج والرحائل ، فقال عروة بن الزبير :

عائشُ يا ذاتَ البِغال السِّتّينْ أكلَّ عامٍ هكذا تحجّين(٦)

٩ — ابنة محمد بن عروة بن الزبير . أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال :

---

(١) البركة ، بالكسر . ضرب من برود اليمن . والجندي : نسبة إلى الجند بالتحريك ، وهو موضع باليمن . والبيت لم يرو في ديوان عمر . انظر ص ٦٩ .

(٢) لما ، هنا بمعنى إلا . (٣) قال ابن الأعرابي : يبدهم : يفرق القول فيهم . وأنشد :

بلغ بني عجب وبلغ مأربا قولا يبدهم وقولا يجمع

انظر اللسان (٤ : ٤٥) . وفي الأصل : « مبذ » ، وهو على الصواب في الديوان .

(٤) في الأصل : « قد سألناك إذ سألت » ، والوجه ما أثبت من الديوان .

(٥) هو من قول الله : « وما قتلوه يقينا » . وفي الأصل والديوان : « وما قتلنا يقينا » .

(٦) انظر الأغاني (١١ : ٦٠) .

ابنة محمد بن عروة بن الزبير كانت عند الحكم بن يحيى بن عروة ، وعند أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فتزوجها محمد بن عمران بن طلحة ، ثم راجعها الحكم ابن يحيى بن عروة ، ثم طلقها ــ وكان قاضياً على المدينة ــ واشترطت عليه أن عطاءه ما عاشت وغلة أرضه وبُضع بناته إليها ، تزوجهنَّ من شاءت ، ولا يغير عليها ، فإن فعل فأمرها بيدها .

١٠ ــ أحمد قال : انبأنا أبوالحسن : أم سلمة ابنة عبد الرحمن بن سهيل ابن عمرو ، كانت عند الحجاج بن يوسف ، فطلقها فتزوجها الوليد بن عبدالملك ، فأعجلها سليمان وعليها درع فأدخله من وراء الثوب ، ثم طلقها فتزوجها هشام ابن عبد الملك

١١ ــ أحمدقال: أنبأنا أبوالحسن قال : ربيحة بنت محمدبن علىبن عبدالله ابن جعفر ، تزوجها يزيد بن عبدالملك ، ثم تزوجها أبوبكر بن عبدالملك ، فقتله عبدالله بن على وتزوجهاصالح بن على ، فطلقها فتزوجها إسحاق بن إبراهيم بن حسن ابن حسن بن على عليهم السلام . وقوم ينكرون تزويج يزيد بن عبدالملك ربيحة .

١٢ ــ أحمد قال : أنبأنا أبوالحسن قال: سحيقة[1] ابنة محمد بن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، تزوَّجَها إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبد الله ، فولدت له ابنة ، ففارقها فتزوجها إسماعيل بن إبراهيم ابن عبدالله بن جعفر ، فتوفى عنها ، فراجعها إسماعيل بن إبراهيم بن محمدبن طلحة ، ثم طلقها فتزوجها عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

١٣ ــ أحمد قال : أنبأنا أبوالحسن قال : أم إسحاق بنت طلحةبن عبدالله كانت عند الحسن بن على ، فولدت له طلحة بن الحسن ، فمات عنها وأوصى الحسين بتزوجها ، فتزوجها الحسين ، فولدت له فاطمة بنت حسين ، فقُتل عنها ،

---

(١) اشتقاق اسمها من السحيقة ، وهى المطرة العظيمة .

فتزوجها ابن أبى عتيق – وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر – فولدت له آمنة . ويقال تزوجها قبل ابن أبى عتيق تمام بن العباس بن عبد المطلب فهلك عنها فتزوجها ابن أبى عتيق .

١٤ — أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : ميمونة بنت عبد الرحمن ابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر ، كانت عند عبد العزيز بن الوليد ابن عبد الملك ، فولدت له عبد الملك وعتيقاً . وكان عبد الملك من رجالهم ، فمات فرثاه بعض الشعراء من كلب ، فقال :

إنِّى رأيتُ بَنِى أُمِّ البنينَ لهُمْ　　مجدٌ طويلٌ وفى أعمارهم قِصَرُ(١)
ماتَ الهمامُ أبو مَرْوانَ فاختشعَتْ　　كلْبٌ لذاك وذلَّتْ بعدَهُ مُضَرُ

ولعتيق يقول الشاعر :

ذهبَ الجودُ غيرَ جودِ عتيــقِ　　ابن عبد العزيز مِنْ ميمونه
بنتِ قَرْمٍ قد مُهِّدتْ من قريشٍ　　وأبَى اللهُ أن تكونَ هجينَهْ

ثم تزوجها محمد بن الوليد ، ثم تزوجها سليمان بن عبد الملك ، ثم تزوجها هشام بن عبد الملك . ويقال : لم يتزوجها سليمان .

١٥ — أنبأنا أحمد قال: أنبأنا أبو الحسن قال: حفصة بنت عمران بن إبراهيم ابن محمد بن طلحة بن عبيد الله ، تزوجها القاسم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو أبو عُذْرِها ، ثم خلف عليها هشام بن عبد الملك ، وكان القاسم شديد الغيرة ، فسمع يوماً كلامها ، أو رآها مشرفة ، فدخل عليها فضربها ، فأثر السوط بها ،

---

(١) أم البنين هذه هى بنت عبد العزيز بن مروان ، وهى كذلك زوجة الوليد بن عبد الملك . انظر الأغانى (٤ : ١٥٦ ساسى) . وأشهر من سمى بهذا الاسم من نساء العرب أم البنين زوج مالك بن جعفر بن كلاب . وفيها يقول لبيد :

* نحن بنو أم البنين الأربعه *

انظر المعارف ٤٠ مصر . ومنهن أم البنين زوج على بن أبى طالب ، ولدت العباس وجعفراً وعبد الله . انظر المعارف ٣٩ .

فطلقها فتزوجها هشام ، فقالت له أم حكيم[١] : قل لها تريك ظهرها . فقال لها فأبت وقالت : ما تريد من ظهرى ، كنت عند رجل كريم غيور خير منك أمّاً وأباً وبيتاً ، غار فضربنى ضربة فصار فى ظهرى أثر . فطلقها فتزوجها محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، ثم تزوجها عثمان بن عُروة بن الزبير .

١٦ — أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : أم كلثوم ابنة عبد الله بن جعفر ، تزوجها القاسم بن محمد بن جعفر بن أبى طالب ، فولدت له فاطمة ، ثم تزوجها الجرّاح أو الحجاج[٢] ، فولدت له ابنة ، فطلقها ، فتزوجها أبان بن عثمان ابن عفان .

١٧ — أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : أم القاسم ابنة الحسن بن الحسن بن علىّ ، تزوجها مروان بن عثمان بن عفان ، فولدت له محمداً ، ثم خلف عليها على بن حسين بن حسن بن على ، ثم تزوجها الحسن بن عبدالله بن عبيدالله ابن العباس .

١٨ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : رملة ابنة محمد بن جعفر بن أبى طالب تزوجها سليمان بن هشام ، فطلقها فتزوجها أبو القاسم بن الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، فقتله عبدالله بن على فتزوجها إسماعيل بن على أو صالح .

١٩ — أحمدقال : أنبأنا أبو الحسن قال: قريبةُ بنت أبى أمية بن المغيرة[٣] . كانت عند عمر بن الخطاب ، فرجعت إلى الكفار ، فلما أسلمت تزوَّجها معاوية

---

(١) هى أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن العاص بن أمية . وهى زوج عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . الأغانى (١٥ : ٤٦ — ٤٧) وسيفرد لها المدائنى حديثاً فى رقم ٢٥ .

(٢) ذكر أبو الفرج فى (١٠ : ١٠٥) خبر خطبة الحجاج بن يوسف لها . وأما الجراح فلعله الجراح بن حصين والى وادى القرى من قبل عبدالله بن الزبير ، وكان قد أنهب تمر الوادى فجعل عبد الله يخفقه بالدرة ويقول : « أكلت تمرى وعصيت أمرى » . انظر الاشتقاق ٢٤٣ .

(٣) قريبة ، بفتح أوله ويقال بالتصغير . وهى أخت أم سلمة زوج الرسول الكريم . واسم أبيها حذيفة وقيل سهيل ، وكان يلقب « زاد الركب » : كان إذا سافر لا يتزود معه أحد لجوده وكرمه . انظر الإصابة ٨٨٧ ، ١٣٠٢ من قسم النساء .

ابن أبي سفيان ، فقال له أبوه : أتزوّج ظعينةَ أميرالمؤمنين ؟ انزل عن ثَقَله[١] . فطلقها فتزوجها عبدالرحمن بن أبي بكر، فولدت له محمداً . فكانت عائشة عمته ، وأم حبيبة خالته، فكان يدخل عليهما .

٢٠ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : أسماء بنت عميس ، كانت عند جعفر بن أبي طالب[٢] ، فولدت له عبد الله ، ومحمداً ، وعونا ، فتزوجها أبو بكر، فولدت له محمداً ، فتزوجها علىّ عليه السلام ، فولدت له يحيي[٣] ، فقال لها علي : احكمى بين بنيك . فقالت : أما بنو جعفر فبنو الطيار فى الجنة[٤] ، وأما ابن أبي بكر فابن الصديق ، وإنَّ ثلاثة أنت أخسُّها لخيارٌ . فقال علي لابنه : يا بُنيَّ قد فَسْكَلَتْ أباك[٥] .

٢١ — قال : وكانت عائشة بنت طلحة عند عمر بن عبد الله بن عبد الله ابن معمر ثماني سنين ، ومات سنة اثنتين وثمانين ، فبكته قائمةً . أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن ، عن سحيم بن حفص ؛ قال : أتاها مصعب وهى نائمة متصبحة[٦] ، ومعه ثماني حبات لؤلؤ قيمتها عشرون ألف دينار ، ونثر اللؤلؤ فى حجرها ، فقالت : « نومتى كانت أحب إلىَّ من هذا اللؤلؤ ! » . وولدت عائشة لعبد الله بن عبد الرحمن أولاداً . وجمع مصعب بينها وبين سكينة ، ومات مصعب عن سكينة وعائشة وأم حبيب بنت عبد الله بن عامر[٧] .

---

(١) العرب تقول لكل شيء نفيس خطير مصون : ثقل . والثقل أيضاً : المتاع والحشم .

(٢) وقد هاجرت معه إلى الحبشة ، فولدت له هناك أولاده ، وقد تزوجت أبا بكر بعد ما قتل عنها جعفر . الإصابة ٥١ من قسم النساء .

(٣) فى الإصابة أنها ولدت له عوناً ويحي .

(٤) الطيار لقب جعفر. انظر تعليل هذا اللقب فىالإصابة ١١٦٢ والحيوان (٣:٢٣٣).

(٥) فسكلته ، بفتح الفاء والكاف وسكون السين : أى أخرته وجعلته كالفسكل بالكسر ، وهو الفرس الذى يجىء فى آخر خيل السباق .

(٦) المتصبحة : التى تنام الصبحة ، وهى نومة الغداة .

(٧) هذه الفقرة من أولها إلى هنا ، هى فى الأصل بعد الفقرة رقم ٢٤ وقد أعدتها إلى موضعها .

أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن عن أبى إسحاق بن ربيعة قال : قال سَلم بن قتيبة : رأيت عائشة بنت طلحة بمكة فى المسجد ، فسلمتُ عليها وانتسبت لها ، فبكت وقالت : يرحم الله المصعب . فأرادت النهوض فأخذت امرأتان بيديها - وعندها نسوة - فاعتمدت على المرأتين ، فما كادت أن تستقل [حتى] خذَلها وركاها ، فقالت إحدى المرأتين : إنا بك لمتعبات . وكانت مديدة الجسم كثيرة اللحم .

٢٢ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : ابنة طلحة بن عمر بن عبيد الله كانت عند الحسن بن الحسن بن على ، فكان يقول له : إنها[1] حملت وولدت وهى ما تكلمنى وإنها لمصارِمة لى .

٢٣ — امرأة [من] آل أبى بكر : أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : تزوج موسى بن عبد الله بن الحسن امرأة من ولد أبى بكر فغضبت يوماً فأمرت جوارىَ فأمسكنه وضربنه ، فأفلت وخرج ، فلقيه أخوه إبراهيم فقال : مالك ؟ قال : ضربتنى ابنة أبى بكر . قال : خذ السوط فوالله لئن لم تضربها لا كلمتك . فدخل وقام إبراهيم على الباب وقال للجوارى : يافواسق ، والله لئن منعته واحدة منكن لأدخلن عليكن . وقال لموسى : اضرب وأوجعها . فقال موسى لامرأته :

إنِّى زعيم أن أجىءَ بضرَّةٍ ... مقابَلَةِ الأجداد، طيِّبَةِ النَّشْرِ[2]
إذا انتسبت فى آل شيبان فى الذُّرى ... وتَغْلِبَ لم تُقرِرْ بفضل أبى بكرِ
تحكَّمُ أحياناً علينا وتارةً ... تبَدَّى كقَرْنِ الشمس أو صورةِ البَدْرِ[3]

---

(١) فى الأصل : « بما حملت » . ولم تذكر النسخة شيئاً عن تزوجها بغير الحسن كما ترى .

(٢) المقابل : الكريم النسب من قبل أبويه جميعاً .

(٣) قرن الشمس : أولها عند الطلوع . وفى الأصل : « لقرن الشمس » .

٢٤ — امرأة من تيم . أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : وكانت عند يحيى بن عبد الله بن الحسن امرأة من بنى تيم ، فخاصمته إلى جعفر بن سليمان بالمدينة ، فقضى عليها وقال : اذهب بها حيث شئت .

٢٥ — قال : وكانت أم حكيم ابنة يحيى بن الحكم عند سليمان بن عبد الملك، ثم يزيد بن عبد الملك ، ثم هشام بن عبد الملك[١] .

٢٦ — قال : وتزوّج عبد العزيز بن الوليد أم خالد بنت عبد الله بن أسيد، فغلبته على أمره كله ، وكان يقال : عبد العزيز بن الوليد سيد الناس ، إلا أن أم خالد قد غلبته على أمره . فأمره الوليد فطلقها .

٢٧ — أم عمرو ابنة عبد الله بن خالد . قال : أم عمرو بنت عبد الله بن خالد بن أسيد ، كانت عند سليمان عبد الملك ، فقدم خالد وعبد الله ، فوصل خالداً وفضله على عبد الله ، فقالت أم عمرو : عبد الله أكرم من خالد وفضلته عليه ! فقال : ويحك، إنى أعرف أن عبدالله أسنهما ولكن خالداً كان خاصتى، وكان له عندى يد وأنا صعلوك ، فإنما فضلته لذلك .

٢٨ — قال : أنبأنا أبو الحسن قال : كانت دجاجة ابنة أسماء بن الصلت السلمى عند عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، فولدت له عبد الله بن عامر[٢] . ثم تروّجها عمير الليثى فولدت عبيد بن عمير الفقيه المحدث[٣] ، ثم تزوّجها الأسود فولدت له عبد الله بن الأسود . فكان يقال لها أم العبادلة[٤] .

* * *

(١) وقد تزوجت أيضاً عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، كما فى الأغانى (١٥ : ٤٧) .

(٢) فى الإصابة ٣٩٢ من قسم النساء « أن النبى صلى الله عليه وسلم وجد عند عمير خمس نسوة ، فطلق منهن دجاجة بنت أسماء ، فخلف عليها عامر بن كريز ، فولدت له عبد الله ابن عامر » .

(٣) فى الأصل : « عبيد الله بن عمير » ، والصواب « عبيد » كما أثبت . انظر الإصابة ٦٢٣٨ وتهذيب التهذيب ، والمعارف ٣١ ، ١٩٢ . وأبوه عمير بن قتادة الليثى . كان عبيد قاضى أهل مكة ، وتوفى سنة ٦٨ .

(٤) هذا على التغليب ، وإلا فإن ولد عمير الليثى هو عبيد بن عمير كما مضى فى التنبيه السابق. والفقرة التالية صلة للفقرة ٣١ .

أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن عن سحيم بن حفص[1] قال : كان مصعب ابن الزبير لا يصل إلى عائشة إلا بشدة ، ولا يقدر عليها إلا بيلاء حتى يخرق ثيابها ويضربها ، فشكا ذلك إلى عبد الله بن أبي فروة كاتبه ، فقال له : أفتأذن لى فى الحيلة ؟ قال : نعم ، اصنع ما شئت فإنها أفضل ما نلت من الدنيا . فأتاها ليلا فاستأذن عليها ، فقالت له : هذه الساعة ! قال : نعم ، ففزعت – ومعه أسودان – فقالت له مولاة لها : ما شأنك ؟ قال : شؤم مولاتك ، قالت : وما لها ؟ قال : أمرني هذا الفاسق الفاجر ، أسفكُ مَن خلق الله لدمٍ حرام وأقتَلُه للناس ، أن أحتفر بئراً وأدفنها فيه حية . وقد والله حرَصت أن يُعفيني من هذا ، فأمر بقتلى . قالت : فأنظرنى أذهب إليه . قال : لاسبيل إلى ذلك ، وقال للأسودين : احفرا . فبكت عائشة ورأت الجد ، وقالت : يا ابن أبي فروة ، إنك لتقتلني ! قال : ما منه بد ، وإنى لأعلم أن الله سيخزيه ، ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب . قالت : فأى شىء أغضبه ؟ قال : فى امتناعك عليه ، وقد ظن أنك تبغضينه وأنك تَتَطَلَّعين إلى غيره ، فقد جنَّ . فقالت : أذكِّرك الله إلا عاودته . قال : أخاف أن يقتلني . فبكت وجواريها فقال : قد رققت وأنا أغرر بنفسى فما أقول ؟ قالت : اضمن عنى أنى لا أعود أبداً[2] . قال : فأعطيني مواثيق . فأعطته ، فقال للأسودين : مكانكما . وأتى مصعباً فأخبره ، فقال : استوثق منها بالأيمان . فأتاها فقال : هذا الفاسق قد سكن بعض السكون وسكن شيطانه ، فاحلفي لى أن لا تخالفيه ، فوثقت له ، وصلحت لمصعب .

نجز الكتاب والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) هو أبو اليقظان عامر بن حفص ، وسحيم لقبه ، وبلقبه هذا يذكره الجاحظ فى مواضع كثيرة من البيان ، والمدائنى فى كتبه يذكره بثمانية ألقاب وأسماء . انظر الفهرست ٩٤ ليبسك و ١٤٨ مصر . قال ابن النديم : كان عالما بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب ، ثقة فيما يرويه . وتوفى سنة ١٩٠ . وانظر الحيوان (٢ : ١٥٥ س ٩) .

(٢) أى لاتعود إلى ما كان منها من التأبى والنشوز .

كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء

صنعة محمد بن حبيب

٠٠٠ — ٢٤٥

مقدمة

يضم هذا الكتاب النفيس طائفة من شعراء العرب الذين عرفوا بنسبتهم إلى أمهاتهم ، وهو ضرب من التأليف طريف ، يعالجه إمام من أئمة الأخبار والأنساب ورواية الشعر ، هو محمد بن حبيب بن جعفر . قال ياقوت : من علماء بغداد باللغة والشعر والأخبار والأنساب، ثقة مؤدِّب ، ولا يعرف أبوه، وحبيب أمه . روى كتب الكلبي وقطرب، وكانت أمه مولاة لمحمد بن العباس الهاشمي . وقال ابن النديم مرة : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو . ثم روى عن عبد العزيز الهاشمي قال : كان محمد بن حبيب مولى لنا – يعني لبني العباس بن محمد . وكانت أمه حبيب مولاة لنا . روى عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة وأبي اليقظان، وله مصنفات أشهرها نقائض جرير والفرزدق، توفي بسامرا سنة ٢٤٥ . انظر ابن النديم ١٥٥ وبغية الوعاة . ومن نسبه تدرك سر اهتمامه بهذا البحث .

ومن هذا الكتاب نسختان في دار الكتب المصرية : إحداهما برقم ٦ مجاميع ش ، رمزت إليها بحرف (ا)، والثانية برقم ٧٥ ش أدب ، وهي نسخة (ب) .

وقد قمت بنشر هذا الكتاب من قبل في مجلة المقتطف (مايو سنة ١٩٤٥) ونشره من قبلي المستشرق الكبير الأستاذ (ج . ليفي دِلَّافيدا) الأستاذ بجامعة بنسلفانيا ، في مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية بالعدد ٦٢ ص ١٥٦ — ١٧١ سنة ١٩٤٢ ، ولم أكن قد علمت بأنه سبقني في النشر ، وتكرّم ، حفظه الله ، فأرسل إليّ في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٥٠ مستخرجا من نسخته مع خطاب رقيق ينوّه فيه في تواضع العالم بأن نسختي تعدّ ممتازة من كافة النواحي، حتى إنه ليشعر بأن عمله غير متكافئ مع عملي في نسختي التي أخرجتها (Votre édition du Mannusiba ... est excellent sous tous les rapports, et rend la mienne à peu prés inutile.)

وإني لأسجل مجاملته هذه تذكاراً لتواضعه ، وإجلالاً لُخلقه العلمي الرصين .

كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء

صنعة محمد بن حبيب وتصنيفه ، من رواية عثمان بن جنى رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين

قرأت على أخى محمد قال : سمعته يُقرأ على أبى عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة[1] قال : قرأت على ثعلب[2] قال : قال أبو جعفر محمد بن حبيب :

ذكر من نسب إلى أمه من الشعراء :

١ — (ابن شَعُوب) أمه شَعُوب من بنى خزاعة ، واسمه عمرو بن سُمَىّ ابن كعب بن عبد شمس بن مالك بن جَعْوَنة بن عُويرة بن شِجْع بن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة . وهو الذى يقول :

ما ذا بالقليب قَليب بدرٍ ... من القَينات والشَّرْب الكرامِ
وماذا بالقليب قَليب بدرٍ ... من الشِّيزى تكلَّلُ بالسَّنامِ
تحييّ بالسلامة أمُّ بكرٍ ... وما لى بعد قومى من سَلامِ
يخبّرنا النبىّ بأن سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهامِ

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليم بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة العتكى الأزدى الواسطى ؛ أبو عبد الله الملقب نفطويه. كان عالما بالعربية واللغة والحديث ، أخذ عن ثعلب والمبرد ، وكان فقيها على مذهب داود الظاهرى رأساً فيه ، وكان بينه وبين ابن دريد منافرة ، وهوالقائل فيه :

ابن دريد بقره ... وفيه عى وشره

وله من التصانيف : إعراب القران . المقنع فى النحو . الأمثال . المصادر . أمثال القرآن وغيرها. ولدسنة ٢٤٤ وتوفى سنة ٣٢٣. انظر إرشاد الأريب ، وبغية الوعاة، وابن النديم ٧٨.

(٢) هوأحمد بن يحيى بن يسار الشيبانى البغدادى ، أبو العباس ثعلب ، إمام الكوفيين فى النحو واللغة ، لازم ابن الأعرابى بضع عشرة سنة ، وسمع من محمد بن سلام الجمحى ، وسلمة ابن عاصم ، وخلف ، وروى عنه اليزيدى ، والأخفش الأصغر ، ونفطويه ، وأبو عمر الزاهد وكان بينه وبين المبرد منافرات . وأشهر تصانيفه كتاب الفصيح . ولد سنة ٢٠٠ وتوفى سنة ٢٩١ . انظر بغية الوعاة ، وابن النديم ١١٠ — ١١١ .

وله شعر كثير ، قاله وهو كافر ، ثم أسلم بعد .

٢ — و (ابن أمِّ حَولىّ) من بنى الحارث بن همّام ، شاعر أغار على بنى يربوع ، فلحقه منهم قوم ، فقاتلهم حتى أحرز غنيمته ، وقال :

نحن بنى الحارث قد آليـنا لا يُؤخذُ النهبُ الذى حوينا
أبالصِّـياح عوّلوا علينا إنا إذا صـيح بنا أبَيْنا
لا نجعلُ الطَّعْنَ بنَقْـدٍ دَيْنا

٣ — و (عَطّاف بن بَشّة[1] الشيبانى) ، قال لخاله عدىّ بن ضبّ :

عدىَّ بن ضبٍّ من تكن أنتَ خالَهُ أخا أمّه تُدلجْ بلؤمٍ ركائبُـه

وقال :

وطالبِ وترٍ قد أتى الليلُ دونَه وماسَبْقُ وترٍ أدرك اليومَ أوغَدَا

وقال :

أنا ابن الذى لم يُخْزِنى فى حياته ولم يُخْزِه عنـد الوفاة بلائيا

٤ — و (ابن طوعة) الشيبانى ، واسمه ناصر بن عاصم[2] وأمه «طوعة» ، أمَة أو أخيذة من آل ذى الجدّين ، قال[3] :

تعطفَ اللوم على عَطّافِ بين بنى الحارثِ والأحلافِ

٥ — و (ربيعة بن غزالة) الـكندى[4] شاعرٌ حليف بنى شيبان ، وأمه غزالة ، قال :

---

(١) فى معجم المرزبانى ٢٩٩ : « نشة » بالنون .

(٢) فى المؤتلف ١٤٨ أن ابن طوعة الشيبانى من آل ذى الجدين . وفصل بينه وبين ابن طوعة الفزارى ، ونسب هذا الفزارى نصر بن عاصم بن عقبة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى . وقد جعلهما ابن حبيب هنا واحداً . وانظر ألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٢٣ .

(٣) يهجو عطاف بن نشة الشيبانى كما فى المؤتلف ١٤٨ .

(٤) اسمه ربيعة بن عبد الله بن ربيعة بن سلمة بن الحارث بن سوم بن عدى بن أشرس ابن شبيب بن السكون ، شاعر جاهلى أدرك الإسلام فأسلم . وينسب أيضاً « السكونى » بفتح السين نسبة إلى السكون بن أشرس بن ثور بن كندة . انظر الاشتقاق ٢١١ والمؤتلف ١٢٥ والإصابة ٢٧٢٧ وألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٤٠ .

كأنى إذ وضعت الرحل فيهم بمكة حيث حَلَّ بها هشام[١]

٦ — (وابن حَجلة الأسدى) وهى أمه، واسمه عبد بن مُعَرِّض، أحد بنى ثعلبة بن سعد بن دُودان من بنى أسد، شاعر، وهو الذى يقول:

مَنَ أُخطَتُه ولادتنا فإنا ولدنا سيِّد الناس الوليدا[٢]

٧ — و(السِّندرىّ بن عَيْساء[٣] الجعفرى)، وهى أمه، أَمَة لشريح بن الأحوص بن جعفر[٤]. وهو الذى يقول:

هل فيكم يوم كيوم جبله يوم أتتنا أسدٌ وحنظله
والمِلِكان والقطينُ أزفلَه[٥] نعلوهم بقُضُب منتخَله
لم تعْدُ أن أفرشَ عنها الصَّقله[٦]

وقال:

أنا لمن يسأل عنى السِّندَرِى أنا الغلام الأحوصىُّ الجعفرى

٨ — و(حبيب بن خُدرة الهلالى) خارجى[٧]، كان مع شبيب، وذُكر أنه أدرك الحكمين، وبقى حتى أدرك الضحاك الذى أُخذ بالكوفة. وقال:

نهيتُ بنى فِهر غداة لقيتهمْ وحَىَّ نُصيب والظنون تطاعُ

(١) ا: «بها شآم»، تحريف.

(٢) أخطته، هى أخطأته، سهل همزتها ثم عاملها معاملة المعتل بحذف الألف للجازم ب: «أخطأته» تحريف، صوابه فى ا. وانظر ص ٧٩ س ٧.

(٣) عيساء، مؤنث الاعيس، وأصله فى الإبل الأبيض يخالط بياضه شقرة، وبه سميت المرأة، وفى ا: «عبساء» بالموحدة، تحريف، وقد جاء على الصواب الذى أثبت فى كتاب ألقاب الشعراء الملحق بكتاب أسماء المغتالين من الأشراف لمحمد بن حبيب، المحفوظ فى دار الكتب المصرية برقم ٢٦٠٦. انظر منه ص ١٣٤ وكذا الأغانى (١٥ : ٥٣).

(٤) فى المؤتلف ١٢٥ أنه السندرى بن يزيد بن شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب. وهو ينسب أيضاً «الكلابى». وفى الأغانى أن «عيساء» اسم جدته.

(٥) الأزفلة: الجماعة من الناس.

(٦) أى لم تجاوز أن أقلم عنها الصقلة. والرجز منسوب فى اللسان (٨ : ٢٢١) إلى يزيد بن عمرو بن الصعق، وفى معجم البلدان إلى رجل من بنى عامر.

(٧) فى القاموس: «حبيب بن خدرة تابعى».

فقلت لهم إن الجريبَ وراكساً بها نعمٌ يرعى المُرارَ رتاعُ[١]
ولـكن فيه السم إن ريعَ أهله وإن يأته قومٌ هناك يراعُ

وقال :

تفرقتم أن تذكوا الحىّ بيضـة فظلّ لكم يومٌ إلى الليل أشنع[٢]

وقال :

أصاح ترى برَيقًا هبّ وهنا يؤرّقنى وأصحـــابى هجودُ

٩ — و (ابن عَيزارة الهذَلى) ، وهو قيس بن خويلد[٣] ، شاعر . قال :

لعمركَ أنسَى روعتى يوم أقْتُدٍ وهل تتركَنْ نفسَ الأسيرالروائعُ

وقال :

يا حار إنى يا ابن أمِّ عميدُ كمدٌ كأنى فى الفؤاد لهيدُ

١٠ — و (قُطبة بن الزّبَعرى) ، وهى أمُّه . وهو قطبة بن زيد بن سعد ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن كنانة بن [القين بن] جسر ، شاعر . قال :

حميتُ القوم قد علمت معـدٌّ ومَن للقوم ِ من مولًى وجارِ
حبوتُ بها قضاعة إنّ مثلى حقيقٌ أن يذبّ عن الذمارِ
ولستُ كمن يغـمّز جانباه كغمز التّين تجنيه الجوارى

وكان قطبة سيِّد قضاعة فى الجاهلية وأوّل الإسلام .

١١ — و (قيس بن الُحدَادية[٤]) وهى أمه ، من محارب ، حضرمية ، وله

---

(١) الجريب : واد كانت به وقعة لبنى سعد بن ثعلبة . وفى الأصل : « الحريب» بالحاء تحريف ، وقد أنشد هذا البيت ياقوت ونسبه إلى عمرو بن شأس الـكندى . وعجزه عنده : « به إبل يرعى المرار » .

(٢) صدر البيت محرف ، وموضع كلمة : « تذكوا » بياض فى ب .

(٣) هو قيس بن خويلد بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة ، أخذته فهم وأخذ تأبط شرا سلاحه ، ثم أفلت قيس، وأنشد أبياتاً رواها المرزبانى فى المعجم ٣٢٦ . وأولها هذا البيت الذى رواه ابن حبيب .

(٤) هو شاعر جاهلى فاتك صعلوك خليع ، خلعته خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على نفسها بخلعها إياه ، فلا تحتمل جريرة له ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه . وهوقيس =

شعر . قال ابن الأعرابى : حُداد من كنانة . وهو الذى يقول[1] :

أنا الذى أطرَدَه مواليْه وكلُّهم بعد الصَّفاء قالِيْه

١٢ — و (عمرو بن الصماء الخزاعى) له شعر ، قال فى حرب بينهم وبين كنانة :

إلاّ تعاجلْنى المنية أستقد مقاد جيادى من عُميرٍ ومعبد
ولو أدركتْ خيلى عُميراً ومعبدا ونُعمان ما آبوا بناقلةٍ بعدى
لكانوا لأطراف القنا أو لنازعوا إلى الحىّ أعناق المطىِّ المعضَّدِ[2]

١٣ — و (عياض بن أم شهمة[3] الخزاعى) إسلامى ، قال :

هاجتك أطلالٌ ومُبترَكٌ قفرُ خلا منذ أجلى أهلُها حِججٌ عشرُ[4]

١٤ — و (العريان بن أم سهلة النبهانى) وهو من طيِّئ . قال :

لمن الديار غشيتها برماح فعَمايتَين فجانب السِّرداحِ
فجنوب فيحان كأن رسومها حُللٌ يمانيةٌ على ألواحِ

١٥ — و (ابن السَّجراء) من حُرقة جهينة . قال : وحُرقة هم بنو خميس ابن عامر بن مودوعة من جهينة ، كانوا حلفاء للحُصين بن الُحمام السهمىِّ من بنى سهم بن مرة ، وبَشامة بن الغدير السهمى . قال ابن سجراء يوم دارة موضوع :

= ابن منقذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر بن صالح بن حبشية بن سلول . انظر الأغانى (١٣ : ٢ — ٨) . وبنو حداد بضم الحاء وتخفيف الدال . انظر الاشتقاق ٢٧٧ ، وقد نسبه « قيس بن عمرو بن منقذ » . وفى ألقاب الشعراء لابن حبيب أن أمه من محارب بن خصفة . انظر ص ١٣٩ .

(١) قاله فى الوقعة التى قتل فيها ، وهو يشير إلى ما كان من خلع قومه إياه .

(٢) ب : « كأطراف القنا » . وقد اختلفت ضروب الأبيات فأتى أوسطها صحيحا بين ضربين مقبوضين .

(٣) فى معجم المرزبانى ٢٦٩ : « عياض بن أم سهمة » بالسين المهملة .

(٤) فى الأصل : « حاجتك » ، محرف . وفى المرزبانى : « ومنزلة قفر » .

لما أتانا جمعُ قيس وواجهت ... كتائب خرس بينهنّ زفيفُ
فلما عَلَت دعوى خميس بن عامر ... وقد كلّ مولانا وكاد يحيفُ
همـمنا به ثم ارعوينا حفيظة ... فذلّ بنا غاشٍ وعزّ حليفُ

١٦ — و (حميد بن طاعة السَّكُونى[١]) قال :

ولما استقلّ الحىّ فى رونق الضحى ... قبضنَ الوصايا والحديث المجمجما
وكان لُموحٌ من خَصَاص ورقبَةٌ ... مخافةَ أعداء وطَرفاً مقسّما
ولما لحقنا لم يقل ذو لُبانةٍ ... لهمٍّ ولا ذو حاجة ما تيمما
من البيض مِكسال إذا ما تلبّست ... بعقل امرئٍ لم ينجُ منها مسلّما

وقال لعمر بن الخطاب :

إنك مسترعًى وإنا رعيَّةٌ ... وإنك مدعوٌّ بسيماك يا عمرْ
لدى يوم شرٍّ شرُّه لشراره ... وخيرٌ لمن كانت معائشه الخِيَرْ[٢]

وقال :

ما إن رأينا مثلك ابن الخطابْ ... أبرَّ بالدين وبالأحسابْ
بعد النبى صاحب الكتاب

١٧ — و (ابن الدُّمَينة الخثعمى)، واسمه عبد الله، وله شعر كثير[٣] .

١٨ — و (يزيد بن ضَبَّة) أمه ضَبَّة[٤]، وأبوه مِقْسَم، وهو كثير الشعر، وهو مولى لثقيف، وهو الذى يقول :

---

(١) جعله الآمدى فى ص ١٤٩ : « الشكوى » ، نسبة إلى « شكو » بفتح الشين وسكون الكاف ، وهو أبو بطن .

(٢) ا : « معائيشه ». معائيش : جمع معيشة ، وفيها شذوذان : همز الياء الأولى ، وإلحاق الياء الثانية ، وإلحاقها مذهب للكوفيين يجيزونه . وأثبت ما فى ب .

(٣) ديوانه مطبوع . وانظر الأغانى (١٥ : ١٤٤ — ١٥٠) .

(٤) فى ا : « ضنة » ، بالنون، وفى ب : « ضنة » لكن أصلحت فى النسخة فجعلت : « ضبة » بالباء .

مشىُ البرىّ مع المقارف تهمة ويُرَى البرىّ مع السقيم فيُلطخُ

وهو الذى يقول :

صـبا قلبي إلى هند وهنـد مثلها يصبى

١٩ — و (ابن الطَّثْرِية[1]) وهو ابن عبيد بن عمرو بن الحارث بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم[2] ، وهو الذى يقول :

ألا عتبت علىَّ وصرَّمتنى وأعجبها ذوو اللمم الطوالِ

فإنى يا ابنةَ السعدىّ أربِى على فعل الوَضِىّ من الرجالِ

٢٠ — و (ابن فسوة) وهو عتيبة بن مرداس الكعبى[3] . وإنما قيل له ابن فسوة لأنه نزل بهم رجل من عبد القيس يقال له ابن فَسوة ، فكان يعيَّر به ، فقال له مرداس : أنا أشترى منك هـذا الاسم بكبش . فاشتراه ، فقال : [أخو[4]] عتيبة :

حوّل مولانا عليـنا اسم أمه ألا رُبَّ مولًى ناقص غير زائد

٢١ — و (ابن الهيجُمانة العبسى) لم نعرفه ، وذُكر أن الهيجمانة بنت العنبر ابن عمرو بن تميم .

٢٢ — ومن شعراء ربيعة (ابن أم الحزنة العبدى) ، وأم حزنة أمه ، وهو ثعلبة بن حزْن بن زيد مناة بن الحارث بن ثعلبة بن سُليمة بن مالك بن عامر

---

(١) الطثرية : أمه ، من بنى الطثر ، بالفتح ، وهم حى من اليمن ، قال ابن خلكان : « الطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة » . وضبطها صاحب القاموس بالتحريك ، والوجه الإسكان كما جاءت مضبوطة به فى نسخة ليدن من الشعراء . انظر شرح الحيوان (٦ : ١٣٧) .

(٢) كذا ورد فى النسختين ، وهذا النسب يخالف ما فى كتب التراجم ، فلعل فى الكلام سقطاً .

(٣) فى الأغانى (١٩ : ١٤٣) وكذلك ألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٢٨ — ١٢٩ « عيينة » . ويدل على صواب ماهنا قول ابن قتيبة فى الشعراء : « هو عتيبة ويقال عتبة » .

(٤) التكملة من كنى الشعراء لابن حبيب ص ١٢٩ .

ابن الحارث بن أنْمار بن عمرو بن وديعة بن لُكيز بن أفصى بن عبد القيس . وله شعر كثير .

٢٣ — و (عمرو بن مبردة) ، عبدى[1] .

٢٤ — و (ابن الذيبة) وهى أمه ، امرأة من فهم ، واسمه ربيعة بن عبد ياليل ، واسم الذيبة قِلابة ، فلقبت الذيبة ، وهو الذى يقول :

إنى لمن أنكرنى ابن الذيبْه   كريمة عفيفة منسوبه

٢٥ — و (شبيب بن البرصاء[2]) ، وهى أمه . وهو شبيب بن زيد بن جمرة[3] بن عوف بن أبى حارثة ، وأمه القِرضابة بنت الحارث بن عوف بن أبى حارثة ، وأختها عمرة بنت الحارث أم عقيل بن علَّفَة[4] . وهو الذى يقول :

قامت وأعلَى خلقها فى ثيابها   قضيبٌ وما تحت الإزار كثيبُ

وقال :

لا خير فى العيدان إلاّ صلابها   ولا ناهضات الطير إلاّ صقورُها

تبيَّنُ أدبارُ الأمور إذا انقضت   وتقبل أشباهاً عليك صدورُها

٢٦ — وبعض (بنى أم قرفة) . وأم قرفة اسمها فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارى ، وأبوهم مالك بن حذيفة بن بدر تزوج ابنة عمه .

---

(١) ذكره المرزبانى فى المعجم ٢٤٠ وقال : « هو أحد بنى محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس .. وهو إسلامى ، أنشد عبد الملك بن مروان لما استبق بنوه فسبق مسلمة ـ وكان ابن أمة ـ :

نهيتكم أن تحملوا هجناءكم   على خيلكم يوم الرهان فتدركوا »

(٢) قال ابن دريد : « كان النبى صلى الله عليه وسلم خطب البرصاء إلى أبيها : ، فقال: إن بها سوءاً — وهو كاذب — فرجع فوجدها برصاً ». وسماها ابن حبيب فى ألقاب الشعراء ١٣٢ « أمامة بنت الحارث بن عوف » .

(٣) ويقال : « حمزة » ويقال : « خمرة » . انظر حواشى الاشتقاق ١٧٦ ، وفى ألقاب الشعراء ١٣٢ : « حيوة » .

(٤) فى الأصل : علقمة » ، وهو تحريف . انظر حواشى الاشتقاق .

٢٧ — و(ابن ميادة المرى) من بنى غيظ بن مرة، واسمه الرماح بن الأبرد ابن ثَوْبان[١] . كثير الشعر . وهو الذى يقول :

اعرنزِمى ميَّـــاد للقوافى واستسمِعيهنّ ولا تخافى[٢]

وقال :

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليـلة بحرَّة ليـلَى حيثُ ربَّتَنى أهـلى
وهل أسمعنّ الدهر أصوات هَجمةٍ تطالع من هَجل قريب إلى هجل[٣]

يقال ربيْت الصـبى أربه ربا فأنا رابٌّ وهو مربوب ، وربّيته أربّيه تربيـة فأنا مربّ وهو مربّى، وربّتُّه أربّته تربيتاً فأنا مربّت وهو مربَّت . ويقال رَبِيت فى بنى فلان ، وربوت فيهم ، وتربيت ، وتربّت ، كله فصيح مقبول .

٢٨ — و (بَشَامة بن الغدير) وهى أمه، وهو بشامة بن عمرو بن هلال[٤] ابن واثلة بن سهم بن مرة. كثير الشعر ، وهو الذى يقول :

فإنكم وعطـــايا الرها ن إذ جرَّت الحرب جُلاًّ جليلا
كثوب ابن بيض وقاهم به فسدعلى السالكين السبيلا[٥]

٢٩ — وأخوه (أسعد بن الغدير) شاعر ، وهو خال أبى سلمى[٦] زهير ابن أبى سلمى الشاعر .

---

(١) فى الأغانى : «أبرد بن ثوبان»، وفى المؤتلف: «أبرد بن ثريان»، وفى معجم البلدان: «والرماح ابن يزيد وقيل ابن الأبرد » . وفى ألقاب الشعراء ١٣٢: « الرماح بن الأبرد بن مرداس » .

(٢) الاعرنزام : الاجتماع والتقبض . وفى الأصل : « اعز ترحى » ، والصواب فيما أثبت كما صححت بذلك فى ب . وفى ا : « واستسمعهن » ، محرفة .

(٣) فى معجم البلدان (٣ : ٢٦٠) : « من هجل خصيب » . وروى ياقوت هذين البيتين فى خمسة أبيات قالها ابن ميادة حين استخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك فاستقدمه وأقام عنده دهراً ثم اشتاق إلى وطنه .

(٤) فى الأصل : « ملاك »،والصواب ما أثبت .وانظر المؤتلف ٦٦ ، ١٦٣ والمفضليات (١ : ٥٣ طبع المعارف) :

(٥) انظر شرح البيتين فى المفضليات (١ : ٥٨) .

(٦) أبو سلمى كنية زهير بن أبى سلمى ، كما فى كنى الشعراء لابن حبيب ص ١٣٢ من مصورة دار الكتب . وقد زاد الشنقيطى كلمة : « أبى » قبل « زهير» فلم ينتبه إلى ما ذكرت.

٣٠ — و (زُميل بن أم دينار) أبوه أُبَيّ بن عبد مناف ، من مازن ابن فزارة ، وهو قاتل ابن دارة . وابن دارة اسمه سالم بن مسافع بن يربوع . هو دارة القمر ، سمى دارة ، شبه بدارة القمر لحسنه ، وهو من بنى عبدالله بن غطفان . وزميل الذى يقول :

أبلغ فزارة أنى قد شَرَيت لهم   مجد الحياة بسيفى بيع ذى الخلقِ

وقال :

أنا زميـل قاتل ابن داره   وكاشف المخزاة عن فزاره
ثم جعلت عقـله البِكاره

٣١ — و (قَعْنَب بن أم صاحب الفزراى[١]) ، وهو الذى يقول :

لو كنت أعجب من شىء لأعجبنى   سَعْىُ الفتى وهو مخبوء له القدرُ

وهو الذى هجا الوليد بن عبد الملك فقال :

فقدت الوليــــد وأنفاً له   كَشِيلِ البعير أبى أن يبولا

٣٢ — و (ابن أم حزنة[٢]) وأم حزنة أمه ، وهو ثعلبة بن حزن بن زيد مناة بن الحارث بن ثعلبة بن سُليمة[٣] بن مالك بن عامر بن الحارث بن [أنمار ابن عمرو بن] وديعة بن لـكيز بن أفصى . شاعر ، وهو الذى يقول :

نهيتكم أن تحملوا هجناءكم   على خيلـكم يوم الرهان فتُدرَكوا

٣٣ — و (بشر بن شلوة التغلبى) وشلوة أمه . وهو بشر بن سوادة[٤] . وهو الذى يقول فى يوم ذى قار ، وكان مع الفرس :

---

(١) هو قعنب بن ضمرة ، أخو بنى سحيم بن عمرو بن خديج من عوف بن ثعلبة بن بهثة كما فى ألقاب الشعراء ص ١٣٣ . وقيل : أحـد بنى عبد الله بن غطفان ، وكان فى أيام الوليد ابن عبدالملك . انظر شرح التبريزى للحماسة (٤ : ٢٤) .

(٢) هذا تكرار لما سبق فى رقم ٢٢ .

(٣) كذا ضبطت فى الأصل بالضم . وفى الاشتقاق ٢٩٢ بفتح السين .

(٤) انظر المؤتلف ٦٠ . وضبطت « شلوة » فى الأصـل هنا بالفتح . وقال ابن حبيب فى ألقاب الشعراء ١٣٦ : « أخو بنى مالك بن بكر بن حبيب » .

لما سمعت نداء مُرّة قد علا وابنَيْ ربيعة فى الغبار الأقتم

٣٤ — و (ابن الواقفية[1] السدوسى) ينسب إلى أمّ من أمهاته، وهو عبد الله بن عبدالعزى كايب[2] بن الحارث بن سدوس، شاعر. قال:

أتانى عن أبى بكر ألوكٌ يخب بها المبيِّن والنذيرُ

وقال:

ألمّ خيالُ العامرية موهناً خيال بأعلى حضرموت غريبُ
أرى المرء أمسى للحوادث غاية نوائبه تغتاله فتصوبُ

وقال يهجو ابن عَنَمة الضبى[3]:

إن الشاعر الضبىّ عبد كزائدة النعامة مستعارُ

وقال يمدح الحوفزان[4]:

لمن الديار بجانب الغمر آياتهنّ كواضح السطرِ
يا حارِ أعطاك الإله كما أثنى عليك أخو بنى جسرِ
فلأنت أكسبهم إذا افتقروا ولأنت أجودهم إذا تثرِى

٣٥ — و (ابن دغماء العجلى) أمه دغماء بنت مرة، أخت جَعْونة بن مرة، وهو الذى يقول لسويد بن حطان، وكان سويد الضبعى نزل فى بنى عجل

(١) فى الأصل: «الرافقية» تحريف، وهى بالواو نسبة إلى بنى واقف، وهم بطن من الأنصار، وواقف لقب مالك بن امرئ القيس. انظر القاموس (وقف) والاشتقاق ٢٦٦. وانظر ابن قتيبة فى المعارف ص ٥٠.

(٢) كذا فى الأصل. ولعله: «من بنى كليب بن الحارث بن سدوس».

(٣) هو عبد الله بن عنمة بن حرثان بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد ابن ضبة. «وعنمة» بفتح العين المهملة والنون والميم. وفى ا: «غنمة» محرف. قال البغدادى: «الظاهر أنه من المخضرمين». الخزانة (٣ : ٥٨).

(٤) الحوفزان لقب له، واسمه الحارث بن شريك بن مطر، قالوا: «وإنما سمى الحوفزان لأن قيس بن عاصم اقتلعه عن سرجه بالرمح. وكل ما قلعته من موضعه فقد حفزته». الاشتقاق ٢١٥.

فانتسب إلى مرة أبى جعونة[١] فقال : أنا سويد بن حِطّان بن مرة ، فقال ابن دغماء :

لعمرك ما أدرى وإنى لسائل سويد بن حِطّان يمتّ وما أدرى
سـوى أنـكم دُرِّبتم فجريتم على دُرْبة والضب يُختَل بالتمرِ[٢]
فـما أنتم منا ولا نحن منـكم دعاوة كـذب أنتمُ آخرَ الدهر

فغضب جعونة خال ابن دغماء ، فقال :

إنّ ابن دغماء الذى حُدِّثته بيض الدجاج لا يحسُّ له أب
إلاّ الرماد فإنها اعتركـت به بين الرماد وبين أمك تنسب[٣]

٣٦ — و (عبد المسيح بن عَسَلة الشيبانى) ، أمه عسلة بنت عامر بن شراكة من غسان ، إليها ينسبون[٤] وهو شاعر ، قال :

يا كعب إنك لو قصرت على حسن النِّدام وقلة الجرمِ
لصحوت والنمرى يحسبها عم السماك وخالة النجمِ[٥]

٣٧ — وأخوه (حرملة بن عسلة) ، قال له المنـذر بن ماء السماء : اهج الحارث بن أبى شمر . فقال :

ألم تر أنى بلغت المشـيـ ـب فى دار قومى عفًّا كسوبا[٦]

---

(١) فى الأصل : « مرة بن أبى جعونة » ، وكلمة « بن » مقحمة .

(٢) رواه الجاحظ فى الحيوان (٦ : ٦٢) : « يحبل بالتمر » ، وقال : « فجعل صيده بالتمر كصيده بالحبالة » . والضب والعقرب يعجبان بالتمر عجباً شديداً .

(٣) مما يزعم العرب أن بيض الطير يتولد حيناً من التراب ومن الريح . قال الجاحظ فى الحيوان : (٣ : ١٧١) . « والبيض الذى يتولد من الريح والتراب أصغر وألطف ، وهو فى الطيب دون الآخر . ويكون بيض الريح من الدجاج والقبج والحمام والطاوس والإوز » .

(٤) أما أبوه فهو حـكيم بن عفير بن طارق بن قيس بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بنى على بن بـكر بن وائل . انظر المؤتلف ١٥٧ وشرح الأنبـارى للمفضليات ٥٥٦ وما ورد من التحقيق فى المفضليات (٢ : ٧٨ طبع المعارف) .

(٥) انظر لفهم هذا البيت ما ورد فى جو المفضليات . وفى الأصل : « والنمرى يحسبه * عم السماك وخاله النجم » ، وهو تحريف .

(٦) رواية الخزانة (٤ : ٢٣) : « بلغت المشيبا * وفى دار قومى » .

وأنَّ الإلٰه تنصَّفْتُه   بألاَّ أعقّ وألاَّ أحوبا
وألاَّ أكافر ذا نعمةٍ   وألاَّ أخيب به مستثيبا
وغسّان حىٌّ همُ والدى   فهل ينسينّهم أن أغيبا
فآثرْ بها بعض من يعتريك   فإنّ لها من معدٍّ كليبا

فانبرى عمارة بن العيّف العبدىّ[1] من سُليمة بن عبد القيس، وهم حلفاء فى بنى شيبان فى بنى سعد، فقال :

لاهُمّ إنّ الحارث بن جبله   عقَّ أباه ظالما وقتله
وأىَّ فعلٍ سيِّئٍ لا فعله[2]

٣٨ — و (عِتبان بن وَصيلة) وهى أمه[3]. وهو عتبان بن شراحيل بن شريك بن عبد الله بن الحصين بن أبى عمرو بن عوف بن مرة بن ذُهل ابن شيبان .

٣٩ — و (عمرو بن الإطنابة) وهى أمه[4]، وهو الذى يقول :

---

(١) ينسب الرجز أيضا إلى « شهاب بن العيف » ، وفى نسخة البغدادى من كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء : « عامر بن العيف » . (انظر الخزانة ٤ : ٢٣١) .

(٢) انظر رواية الرجز وتمامه فى الخزانة .

(٣) عتبان، بكسر العين، ووصيلة بفتح الواو . انظر الاشتقاق ٢١٦ . وفى معجم المرزبانى ٢٦٦ : « عتبان بن أصيلة ،ويقال وصيلة، الشيبانى. وأصيلة أمه، وهى من بنى محلم » . وأورد من شعره قوله لعبد الملك بن مروان :

فبلغ أمير المؤمنين رسالة   وذو النصح لو يرعى إليه قريب
بانك إلا ترض بكر بن وائل   يكن لك يوم بالعراق عصيب
فإن يك منكم كان مروان وابنه   وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فمنا سويد والبطين وقعنب   ومنا أمير المؤمنين شبيب

وللبيت الأخير قصة يتداولها الرواة .

(٤) عمرو بن الإطنابة شاعر جاهلى . وأمه الإطنابة بنت شهاب بن زبان، من بنى القين ابن جسر، وأبوه عامر بن زيد مناة بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج. انظر المرزبانى ٢٠٣ والكنى والألقاب لابن حبيب ١٣٩ . وأصل الإطنابة سير يشد فى وتر القوس العربية لتحزق به . الاشتقاق ٢٦٨ .

قرت أحسابُنا كرمًا فأبدت لنا الضراء عن أُدُمٍ صحاحِ
ولم يُظهر لنا عُقرات سوء جمودُ القطر أو بكْءُ اللقاحِ

فى ختام نسخة (ا) نجز الكتاب والحمد لله رب العالمين . نقلت جميعه من نسخة نقلت جميعها من خط أبى الفتح عثمان بن جنى ، وصححها رضى الدين الشاطبى رحمهما الله .

وفى نسخة (ب) : « قال فى أصل هذا : نجز الكتاب ... الخ » ، وزاد : ونجزت هذه النسخة فى يوم الاثنين المبارك ١٤ صفر الخير سنة ١٣٠٠ بالمدينة المنوّرة . رحم الله كاتبها ومستنسخها والمسلمين أجمعين .

تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه

لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزاباذى

٧٢٩ — ٨١٧

مقـــــدمة

هذا الكتاب يشبه فى موضوعه الكتاب السابق لهذا، ويمتاز بأنه لم يختص بذكر الشعراء فحسب ؛ بل هو عام فى ذلك . ومؤلفه فى غنًى عن التعريف، فهو صاحب أكثر المعجمات العربية تداولا ، وهو القاموس المحيط ، وهو أبوطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزاباذى ، نسبة إلى فيروزاباذ ، قرية بفارس[1] ، منها والده وجده. وأما هو فقد ولد بكارزين من بلاد فارس سنة ٧٢٩، ثم أخذ عن مشايخ العلم بالعراق ومصر والشام والروم والهند ، ثم دخل زبيد سنة ٧٩٦ فتلقاه سلطان اليمن الأشرف إسماعيل ، وولاه قضاء اليمن كله ، واستمر بزبيد عشرين سنة، وتوفى بها سنة ٨١٧ . وانظر ترجمته فى (الشقائق النعمانية ١: ٩٢ وبغية الوعاة ١١٧ وروضات الجنات ٤ : ٢٠٧ ومفتاح السعادة ١ : ١٠٣) .

وأصل هذه النسخة التى ننشرها نسخة الشنقيطى التى كتبها بقلمه سنة ١٣٠٤ وهى محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٣٨ أدب ش). ومن الكتاب نسخة أخرى بمكتبة الجزائر برقم ٤٦ .

ويقارب هذا الكتاب فى تسميته وموضوعه كتاب آخر محفوظ بالخزانة التيمورية برقم ١٤٠٧ تاريخ تيمور ، وهو (تذكرة الطالب النبيه بمن نسب إلى أمه دون أبيه) لأحمد بن خليل اللبودى ، وهو تهذيب كتاب آخر، لجلال الدين ابن خطيب داريا . وتقع هذه التذكرة فى ٨٩ صفحة ، وقد وجدت معظم ما به من الأسماء قد تكفل به ابن حبيب ومجد الدين الفيروزاباذى .

---

(١) هى بكسر الفاء وآخرها ذال معجمة ، كما فى معجم البلدان ، قال البشارى: « ومعنى فيروزاباذ أتم دولة » .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عددَ خلقِهِ وزنةَ عرشِهِ ورضى نفسِهِ ومدادَ كلماته ، والصّلاة والسّلام على أشرف مخلوقاته ، ملءَ أرضه وملءَ سماواته ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأزواجه وذُرّياته .

وبعـدُ يقول محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادى نَعشه الله من عثراته ، وحجز بحفظِهِ وكِلاءته بينه وبين زَلاّته : هذا كتابٌ وضعتُه فى ذكر من نُسِب إلى اثنين من آبائه وأمّهاته ، أو إلى غير أبيـه ثم جدّاته ، [أو] أجنبيّ ممن رباه أوتبنّاه أوغير ذلك من حالاته ، وذلك لمّا رأيت قراء الحديث تَزِلُّ مفاصلهم(1) فيلحنون فى ذلك وأخواته ، فأفردته فى جزء راجياً أن يكون لوجه الله تعالى بَحْتاً لرَوْمِ مَرْضاتِهِ(2) ، وأسميته « تحفة الأبيـه(3) فيمن نُسِب إلى غير أبيـه » ، ورتّبته على الهجاء المشرقىّ لصَفَاءِ أضَاتِهِ(4) ، وقدّمتُ ذِكرَ سـيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم محمدٍ عليه أفضل صلواتِ الله وأشرفُ تسليماته ، تشريفاً للتأليف ، ولئلاّ يندرجَ اسمُه الشريفُ بين الكتاب حيث يقتضيه ترتيبُ كلماتِهِ :

سيدنا محمد بن عبـد الله بن عبد المطّلب بن هاشم ، خاتم النبيّين وأشرف المخلوقين ، ورسولُ ربّ العالمين ، صلى الله تعالى عليه وسلم أبد الآبدين . قيل نَزَعَ فى الشَّبَه إلى أبى كبشة أحد أجداده ، فقالوا له ابن أبى كبشة . فى صحيح البخارى ، فى حديث هرقل : « فقال أبو سفيانَ بنُ حرب لمّا قرأ هِرَقْلُ كتابَ النبى صلى الله

---

(1) المفاصل : جمع مفصل ، كمنبر ، وهو اللسان .

(2) البحت : الخالص . والروم : الطلب .

(3) الأبيه : وصف ، من أبه للشىء وبالشىء من باب منع وفرح ، أى فطن له . ولم يذكر المصنف فى قاموسه ولا صاحب اللسان أيضاً هذا الوصف .

(4) الأضاة : المستنقع من سيل أو غيره .

تعالى عليه وسلم : لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبى كَبْشة[1] ، إنّه يخافه مَلِكُ بنى الأصفر » .
واختلف العلماء فى ذلك ؛ فقيل أبو كبشة كُنْيَةُ زوجِ حليمةَ السعدية التى أرضعت النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم ، فهو أبوه من الرّضاعة ، واسمه الحارث ابن رِفاعة السعديّ ، قاله أبو الحسن عليّ بن خلَف بن بَطّال . وقيل هو كنية وهب بن عبد مناف جدِّ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قِبَل أمّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف جدّ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، لأنه كان نَزَع إليه فى الشبه . وقال ابن الكلبيّ فى جمهرة النسب : أمُّ وهبٍ جدِّ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قَيلة بنت أبى قَيلة ، وهو وَجْز بن غالب بن الحارث بن عمرو بن حُوَىّ ابن مِلْكان بن أفصَى بن حارثةَ بن خُزاعة . تقول خُزاعة : أبو كبشة هو أبو قَيلة . وقيل أبو كبشة : رجلٌ من خُزاعة خالفَ قريشاً فى عبادة الأوثان وعَبَدَ الشِّعْرَى العَبُور ، فشبَّهوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به ، ومعناه أنه خالفهم كما خالفهم أبو كبشة . وقيل : كان أبو كبشة عمَّ ولدِ حليمةَ السعديّة . قال الزُّبير بن بَكّار : ليس مرادُهم عَيْبَ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وإنما مرادُهم مجرَّد التشبيه . وقال غيره : هذا منهم إيذاء للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأقبح ما كانوا يدْعونه به من الكُنَى والأسماء .

ونسبَ بعضُ المُحْدَثين المولَّدين النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم إلى أمّه آمنة ، فقال :

صلَّى الإله على ابن آمنةَ التى ... جاءت به سَبْطَ البَنان كريما
قُل للذين رجَوْا شفاعةَ أحمدٍ ... صلُّوا عليه وسلِّموا تسليما

حرف الألف

١ — إبراهيم بن عُلَيَّة ، سيأتى ذكره عند ذكر أبيه إسماعيل بن علية .

---
(١) أمر ، كفرح : كثر ، وقوى .

٢ — إبراهيم بن هَرَاسة، بفتح الهاء والراء المخففة والسين المفتوحة، وهى أمُّه. والهَرَاسة فى الأصل : واحدة الهَرَاس كسحاب ، وهو شجر ذو شوك . وقال أبو عمرو: يقال له ثمر مثل ثمرِ النَّبق، وفيه شوك . قال النابغة الجعدىّ رضى الله عنه :

وخيـــلٍ يطابقْنَ بالدارعِينَ طِبَاقَ الكلاب يَطَأْن الهَرَاسا

الواحدة هَرَاسة . وبه سمِّيت المرأة هَرَاسـة . وهو أبو إسحاق إبراهيم بن سَلَمة الكوفىّ ، متروك الحديث تكلَّم فيه أبو عُبَيدٍ وغيره . فإذا كتبتَ إبراهيم ابن سلمة ، ابن هَرَاسـة أعربتَ الابن الثانى إعرابَ إبراهيم وكتبته بالألف ، وكذا فى جميع ما أتلوه عليك من هذا النحو .

٣ — أحمد بن تَيْمِيَّة ، هى أمّ أحـدِ أجداده الأبعدين ، وهو أحمـد بن عبد الحليم بن عبد السـلام بن أبى القاسم بن محمد بن تيميَّة الحرانىّ ، الحافظ المشهور ، الذى لم يلحق شأوَه فى الحفظ أحدٌ من المتأخِّرين.

٤ — أحمد بن الخاضِبَة(١) .

٥ — إسحاق بن راهَوَيْه بفتح الهاء والواو ثم ياء مثناة تحتية ، ويقال بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء ، وهذه قليلة ، وهما لغتان فى كل اسم خُتِم بوَيْه كسيبوَيْه وعَمْرويْه وبحرويْه وغيرهما، ويجوز فيه البناء والإعراب: هذا راهَوَيْهِ ورأيت راهويهِ ومررت براهويْهِ . وهـذا راهويْهٌ ورأيت راهويْهاً ومررت براهوَيْهٍ . ولك أن تمر به غير منصرف فتقول : هذا راهويْهُ ورأيت راهويْهَ ومررت براهَوَيْهَ . وهذا عن الجَرمى ، ونقله ابن مالكٍ عن المتأخِّرين . ولم يذكر سيبويه إلا البناء . وعلى قول من يعربه تجوز تثنيتُه وجمعه ، فتقول هٰذان راهويهان وهؤلاء راهويهون . وعلى قول الجمهور تقول : هذان ذوَا راهويهِ وهؤلاء ذوُو راهويه . وراهويه لقب أبيه إبراهيم لأنه وُجد فى الطريق . وأصله

(١) فى الأصل : « الخاصة » ، صوابه من تذكرة الطالب ، مخطوط التيمورية . وهو والد أبى بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقى بن منصور الدقاق ، الحافظ البغدادى . انظر تذكرة الحفاظ ٤ : ٢٢ .

راهَوِىّ أى طريقىّ . ورَاهْ بالعَجَمىّ : الطريق . وهو أبو يعقوب إسحاق بن مخلد بن مسكين بن إبراهيم بن مطَر الحنظلىّ المروَزىّ النيسابورىّ ، أحد الأئمّة الحفاظ . قال أبوداود : تغيّر قبل أن يموت بخمسة أشهر ، وتوفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وهو ابن سبع وسبعين سنة .

٦ — إسماعيل بن عُلَيَّة بضم العين المهملة وفتح اللام والياء المثناة التحتية المشددة ، وهى أمه وقيل جدته أمّ أمّه . وهو أبو بِشْر إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسم ـ كمنبر ـ الأسدىّ ، أسدِ خُزَيمة ، مولاهم البصرىّ . وأصله من الكوفة ، وهو أحد أئمة الحديث والفقه ومن كبار الصالحين[1] . وأما ابن عُلَيَّة الذى يعزو إليه كثيرٌ من الفقهاء فهو ابن ابنه .

٧ — أيوب بن القِرِّيَّة ، بكسر القاف والراء المشددة والمثناة التحتية آخره هاء ، وهو لقب أمّه واسمها جُمّاعة مثل رُمّانة ، بنت جُشَم بن ربيعة بن زيد مَنَاةَ ، وهو أيوب بن زيد بن قيس بن زُرارة بن سَلَمة بن جُشَم بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناةَ ، بن القِرِّيَّة . وهو أحد الفصحاء المشهورين بالحفظ ، صحب بنى مروان والحجاجَ بن يوسف . والقِرِّيَّة : حوصلة الطائر . ونقل أيوبُ الكتبَ القديمةَ إلى العربية ، وقتلَهُ الحجّاج .

حرف الباء

٨ — بُدَيْل بن أمّ أَصْرَم ، بضم الباء على زنة زُبَير ، واسم أبيه سلَمة . وبُديل ابن سلمة بن أم أَصْرَم صحابىٌّ كان بمصر ، روى عنه علىُّ بن رباح . وقيل : هو بديل بن ميسرة ، بدل سلمة .

٩ — بشير بن الخَصاصِيَة ، بفتح الخاء وتخفيف الياء المثناة من تحت ، على زنة كَراهيَة وطَواعية . وبعض المحدّثين شدّدها ، وهو لحن لأنه ليس فى كلام العرب فعاليّة بالتشديد ، وإنما هى بالتخفيف قاطبة ، ككراهِيَة وطَواعية وعَلانية ورفاهِيَة

---

(١) ترجم له بإسهاب فى تهذيب التهذيب .

وأخواتها . والخصَاصيةُ هي أمّ بشير، واسم أبيه معبد . وكان اسم بشير رحم بن مَعبَد بن شراحيل السَّدوسيّ، فغيّره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمّاه بشيراً . وأمّه الخصاصيَةُ من الأزد . وكان بشير يعرف بها ، وروى بشيرٌ أحاديث .

١٠ — بشير بن عقْربَةَ . عقربةُ أمّه . والعقربة في كلام العرب : المرأة العاقلة الخدوم . وبشير صحابيّ ، ولم أقف على اسم أبيه . وكنيتُه أبو اليمان ، نزل الشّامَ ، روى حديثاً واحدا ، وهو « من قامَ بخطبة لا يلتمس بها إلا رياءً وسُمعة وقفَهَ الله عزّ وجلَّ يومَ القيامة موقفَ رياءٍ وسُمعة » . روى عنـه عبدُ الملك بن مروان، وعبد الله بن عوفٍ الـكناني .

١١ — بِلال بن حمامة ، مؤذِّن رسـول الله صلى الله تعالى عليـه وسلم، وحمامة بالفتح والتخفيف : اسم أمّه . واسمُ أبيه رَباح ، بفتح الراء والباء الموحّدة وبحاء مهملة . ويكنى أبا عبدالله ، وقيل أبا عمر، وقيل أبا عبد الرحمن . مولى أبي بكرٍ الصّدّيق رضي الله تعالى عنـه ، ومن مولَّدي السراة[1] ، وشهِد بدراً . وكان تِرْب أبي بكر رضي الله تعالى عنه . مات بدمشق ودفن بالباب الصغير . قال ابن زبر : مات بداريّا[2] وحُمِل على الرِّقاب ، فدفن بمقبرة باب كيسان . وقيل مات بحلَب ودُفِن بباب الأربعين .

حرف الجيم

١٢ — جُبَيْر بن بُحينة ، صحابي . وبُحَينة بضم الباء وفتح الحاء المهملة ثم مثناة تحتية ساكنة ونون مفتوحة وهاء ، وهي لقبُها ، واسمها عبدة . وكذلك أخواه عبد الله ومالك . وأبوهُم مالك بن القِشْب بكسر القاف . وسيعاد كلٌّ واحدٍ في بابه إنْ شاء الله تعالى .

١٣ — جعفر بن عُقاب . شاعر ، وعُقابُ أمّه . وهو جعفر بن عبـد الله ابن قَبيصة .

---

(١) السراة ، بالفتح : جبال وأرض حاجزة بين تهامة واليمن .

(٢) داريا : قرية من قرى دمشق ، ينسب إليها الداراني .

١٤ — الحارث بن مالك بن البَرْصاء، صحابى . والبَرْصاء اسم أمِّ أبيه، وهى لقبها، واسمها عَبْدة، واسم أبيه مالك بن قيس اللَّيثىّ . روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يومَ فتح مكة : « لا تُغزَى مكةُ سوى اليوم[1] » . وفى رواية « بعد اليوم » . والحديث الآخر « إنه ليس أحدٌ يلقى اللهَ وقد اقتطع مالَ امرئٍ مسلم بيمينه إلا ... » ، قال إسحاق بن إبراهيم أحدُ رواة هذا الحديث : إنّ سفيان كَنَى عنه[2] ، إنّما هو النار .

حرف الخاء

١٥ — خُفَاف، بضم الخاء وفتح الفاء على زنة غُراب، بن نَدْبة بفتح النون وسكون الدال المهملة وفتح الباء الموحدة، وهى أمُّه، واسم أبيه عُمَير بن الحارث ابن الشَّريد . وكنيةُ خفافٍ أبو خُراشة بضم الخاء، صحابىّ .

حرف الذال

١٦ — ذُو الخِرَق بن شُعَاث الشاعر، بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء بعدهما قاف . وشُعاث بالشين المعجمة المضمومة وعين مهملة بعدها ألف وثاء مثلثة، واسم أبيه نُبَاتة .

حرف الراء

١٧ — رافع بن غُنجُدة، بضم الغين المعجمة والجيم بينهما نون، وقيل عَنْجَرة بالعين المهملة المفتوحة والجيم والراء، وقيل عنترة، والأول أصح . وغُنْجُدة أمُّه أو جدته، واسم أبيه عبد الحارث.

١٨ — الرمّاح بن ميّادة بفتح الميم والمثناة التحتية المشدّدة، وهى اسم أمّه، وكانت أمةً سوداءَ راعية . وهو الرمّاح بن أَبْرَد بن ثَوْبان بن سُراقة بن حَرْمَلة

---

(١) فى الإصابة ١٤٧٤ : « لا تغزى مكة بعد اليوم إلى يوم القيامة » .

(٢) أى عن ما بعد « إلا » .

ابن سَلْمَى بن ظالم بن جَذِيمة بن يربوع بن غَيْظ بن مُرّة بن عوف بن سعد ابن ذبْيان ، وكنيته أبو شرحبيل ، وهو شاعر مشهور .

حرف الزاى

١٩ — زياد بن هِنْداية ، بكسر الهاء وسكون النون بعدها ألف وياء مثناة تحتية مفتوحة ، وهى أمُّه ، وكانت سوداء . واسمه زيادُ بن حارثة بن عوف بن قَتِيرة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أُسامة بن سَعد بن شَبيب ابن السَّكون . وكان فارساً مشهوراً . قال ابنُ الأعرابىّ : وقال ابن الكلبىّ هو زياد بن عوف بن حارثة ، وهو الذى أَسَرَ الُحصَين ذا الغُصَّة . وكان يقول : « لو أرسلتُ فَرَسِى أزاهيقَ عُرْياً لأسَرَ ذا الغُصّة » . وأزاهيق : اسمُ فرسِه .

حرف السين

٢٠ — سعد بن حَبْتَة ، بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح المثناة الفوقية ، وهى أمُّه . وهى حَبْتَةُ بنت مالك رضى الله تعالى عنها . وهو سعد بن بَحِير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة . هذا هو الصَّحيح المشهور ، وقيل فيه بُجَيْر بالجيم مصغرا . وهو صَحابىٌّ . وأبو يوسفَ بن إبراهيم القاضى من ذُرِّيَّة سعد بن عوف(١) بن بُجَير بالجيم ، والأول أصح .

٢١ — سَعْد بن الحنظلية وهى أمّ جَدّه ، وهو سعد بن عُقَيْب بالقاف مثل زُبَيْر ، وقيل عُميت بالميم والمثناة آخره مثال حُميد ، وقيل سعد بن الرَّبيع بن عمرو بن عدىّ . ويكنى أبا الحارث الحارثىّ الصحابىّ .

٢٢ — سعد بن خَوْلَةَ . خَوْلة أمُّه ، وهو سعد بن خَوْلىّ . وبعضهم يجعل ابن خَوْلة غير ابن خَوْلىّ . ولم يعرف اسم أبيه ، وهذا هو الأصح .

٢٣ — سُلَيْك بن سِنان بن سُلَكة ، كهُمَزة . وسُلَكة أمّه ، وهو من

(١) كذا وردت فى الأصل ، وإنما هو سعد بن بجير . الإصابة ٣١٣٤ وتاريخ بغداد ٧٥٥٨ .

الشُّعراء والعَدَّائين، ومن اللُّصوص الفُتاك، وكان يُعرَف بُسلَيْك المَقانب .

٢٤ — سُوَيْد بن كُرَاعَ . وكُرَاعُ أمّه ، وهى غير مصروفة . وهو سويد ابن عمرو بن كُرَاع ، وهو شاعرٌ معروف .

٢٥ — سَهْلُ بن الحنظلية الحارثىّ . والحنظلية هى أمُّ أبيه ، وهو سَهْل بن عمرو بن عدىّ بن زيد بن جُشَم بن حارثة ، صحابى .

٢٦ — سَهْل بن البيضاء . البيضاء لقبُ أمّه، واسمها دَعْدُ بنت جَحْدم، بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة وفتح الدال اليابسة . وهو سهل بن وهب بن ربيعة ، صحابى .

٢٧ — سُهَيْل بن البيضاء ، أخو سَهْل .

حرف الشين

٢٨ — شُرَحْبيل بن حَسَنَة . وهو شُرَحبيل بن عبد الله بن المُطَاع أخو عبد الله وعبد الرحمن . وحَسَنَةُ أمُّه ، وهى عَدَوْلية : نسبةٌ إلى عَدَوْلَى قرية بالبحرين . وهى مولاةُ مَعْمَر بن حبيب . وشُرحبيل من الصَّحابة .

٢٩ — شَرِيك بن السَّحْماء ، بفتح الشين المعجمة وسكون الحاء المهملة : وهو شَرِيك بن عَبَدَة بالتحريك ، ابن مغيث ، أخو البَرَاء بن مالك لأمّه . وهو أوّلُ مَن لاعَنَ فى الإسلام . وبعضهم يجعل شَرِيكَ بن السَّحماء غيرَ شَريك بن عَبَدة ، والأوّلُ أصحّ .

حرف الصاد

٣٠ — صَفْوان بن البيضاء ، والبيضاء لقبُ أمّه ، واسمها دَعْد . وهو سَهل وسُهَيل . وهو صفوان بن وهب ، وقد تقدّم .

حرف العين

٣١ — عاصم بن بَهْدَلة ، أبو بكر الأسدىّ ، من القرّاء ، وبَهْدلة أمّه . وهو عاصم بن أبى النَّجُود . والبَهْدَلة : الإسراع والخِفة فى المشى . والبَهدل : جِرو الضَّبُع (١) .

---

(١) فى الأصل : « خرو الضبع » ، تحريف .

٣٢ — عبد الله بن أُبَيّ ابن سَلول المُنافق . سَلول أمُّه .

٣٣ — عبد الرحمن بن حَسَنَة، أخو عبد الله وشُرَحبيل، وهو عبد الرحمن ابن عبد الله بن المُطَاع . وحَسَنَةُ مولاةُ مَعْمَر بن حبيب ، عَدَوْلية .

٣٤ — عبدُ الله بن أمِّ حرام . وهو عبد الله بن عمرو بن قيس . وفيه اختلاف .

٣٥ — عبد الله بن بُحَينة ، وهو عبدُ الله بن مالك الأزديّ . وقد تقدَّم ذكر بُحَينة عند ذكر أخيه جُبَير . واسمها عَبَدة بنت الحارث بن عبد المطلب ، وهى أمُّ أبيه .

٣٦ — عبد الله بن حَسَنة ، أخو عبد الرحمن وشُرَحبيل ، وهو عبد الله ابن المُطَاع .

٣٧ — عُمَر بن اللَّتَبيَّة . وقيل ابن الأُتْبيَّة(٢) . قيل الأوّل الصحيح. والأوّلُ قول ابن دريد ، والثانى قولُ الكلبيّ والمعوَّل على قوله أكثر .

٣٨ — عمرو بن الفَغْواء أخو علقمة ، صحابيان .

٣٩ — علقمة بن الفَغْواء ، صحابيّ ، وقيل ابن أبى الفغواء ، وهو عَلْقمةُ بن عُبَيدٍ الخزاعىّ . والفغواء ، بالفاء والغين المعجمة : لقب أمِّه . والفغا : مَيَل فى الفم .

٤٠ — عمرو بن شَعْواء اليافعىّ صحابى . شعواء أمُّه ، ولم أقفْ على اسم أبيه . والشَّعواء بالشين المعجمة والعين المهملة : المنتشرة الشعر ، ومنه شجرة شَعْواء : منتشرةُ الأغصان . وغارةٌ شَعْواء : متفرِّقة .

٤١ — عوف بن عفراء ، وهو عوف بن الحارث بن رِفاعة النَّجّارى . وهى

---

(١) فى الأصل : « ابن اللبنية وقيل ابن الأبية » . صوابه من تذكرة الطالب ، قال : « عده الصغانى فى نقعة الصديان فى الصحابة الذين نسبوا إلى أمهاتهم » وذكره فى الإصابة ١٩٣١ باسم « عبد الله » . وفى القاموس (لتب) : « وبنو لتب ، بالضم : حى ، منهم عبد الله بن اللتبية » .

عفراء بنت عُمَيد بن ثعلبة. وقيل فيه عَوْذٌ، وعَوْفٌ أكثر.

حرف اللام

٤٢ — لوط بن هاران بن تارَح، ابنُ أخي إبراهيم(١). هاران هو أخو إبراهيم.

حرف الميم

٤٣ — مالك بن بُحَيْنة، وبُحيـنة لقبُها واسمها عَبَدة. وهو مالك بن القِشْب بكسر القاف.

٤٤ — مالك بن نُمَيلة، نُمَيلة أمُّه. وهو مالك بن ثابتٍ المُزَنيّ الصحابي.

٤٥ — محمد بن الحنفيَّة، هو محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما. والحنفيَّة أمُّه(٢).

٤٦ — محمد بن حَبيب الأديب. حبيبُ اسم أمِّه، ولم أقف على اسم أبيه.

٤٧ — محمد بن عائشة، وهو محمَّد بن حَفْص.

٤٨ — محمد بن عثمان، وهو محمد بن خالد.

٤٩ — محمد بن شَرَفَ القَيْرَوانيّ. شرفُ اسم أمِّه، ولم أقف على اسم أبيه.

٥٠ — محمد بن القُوطِيَّة، بضم القاف وكسر الطاء وفتح المثناة التحتية المشددة، وهي أمُّه، نُسِبت إلى قُوط بن حام بن نوح. وهو أبو السُّودانِ والهند والسِّند. وهو محمد بن عُمَر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مُزاحمٍ الأندلسيّ الإشبيلي الأصل، القُرطُبي المولد. كان من أعلم أهل زمانه، ماهراً باللغة

(١) لعله يريد أنه يقال لوط ابن أخي إبراهيم، فينسب إلى غير أبيه.

(٢) هي خولة بنت قيس بن مسلمة بن عبد الله بن ثعلب، أو بنت قيس بن جعفر بن قيس، أو خولة بنت إياس بن جعفر، ونسبتها إلى بني حنيفة باليمامة، وقيل كانت أمة لبني حنيفة سندية سوداء. انظر اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء، بتحقيق الدكتور الشيال، والإصابة ٣٥٥ من قسم النساء والمعارف ٩١.

والعربية، حافظاً للحديث والفقه والشِّعر، لا يُلحَق شأْوُه. وكان متنسِّكاً متعبِّداً.

حكى أبو بكر يحيى بن هُذيلٍ التميمىّ، أنه توجَّهَ يومًا إلى ضيعة له بسفح جبلِ قُرطبة، وهو من بِقاع الأرض الطيِّبة المونِقة، وصادفَ ابنَ القوطيّةِ صادراً عنها. قال: فلما رآنى عرَّج علىّ واستبشّ بلقائى، فقلت له على البديهة مداعباً:

من أين أقبلت يا مَن لا شبيهَ له ... ومَن هو الشَّمسُ والدُّنيا له فَلَكُ

فتبسَّم وأجاب بسرعة:

مِن مَنزلٍ يُعجبُ النُّسَّاكَ خَلْوَتُه ... وفيه سِتْرٌ عن الفُتَّاكِ إن فَتَكوا

قال: فما تمالكت أن قبّلت يدَه. مات فى سنة سبع وستين وثلاثمائة.

٥١ — محمد بن ماجه(١)، ماجه اسم أمه وهو محمد بن يزيد بن ماجه، وترجمته مشهورة. الإمام أبو عبد الله الحافظ القزوينىّ أحد أصحاب الكتب الستَّة ودواوينِ الإسلام.

٥٢ — مسعود بن العجماء، العجماء اسم أمِّه. وهو مسعود بن الأسود ابن حارثة صحابىّ.

٥٣ — مُعاذ بن عَفراء، عفراء أمُّه، وهو مُعاذ بن الحارث بن رفاعة النجّارى صحابىّ.

٥٤ — معوِّذ بن عَفراء، أخو معاذ. وعفراء هى بنت عُبيد بن ثعلبة صحابىّ.

٥٥ — مَعقِل بن أم مَعقِل، وهو معقل بن أبى الهَيثم، ويقال له مَعْقِل بن أبى مَعقِل الأسدىّ.

٥٦ — المِقْداد بن الأسود، هو الأسود بن عَبد يغوث، وهو رجل زُهرىٌّ

(١) جرى القدماء على نطق أمثال هذه الأسماء بالهاء الساكنة، ونحوها «سيده» و«منده». ولست أرى مسوغا لهذا الالتزام مادامت تدخل فى نطاق التعريب.

ربّى المقـدادَ وتبنّاه فنُسِب إليـه . وهو المقداد بن عَمْرو بن ثعلبة بن مالك الـكندىّ .

حرف الواو

٥٧ — ورقة بن نوفل بن عبد العُزّى ، ابنُ عمِّ خديجة رضى الله تعالى عنها . نَوْفَلٌ هو عمُّ خديجة رضى الله تعالى عنها .

حرف الياء

٥٨ — يحيى بن الحنظليّة . الحنظليّة أمُّه ، ولم أقف على اسم أبيه ، وهو ممّن بايع تحت الشجرة .

٥٩ — يَعْلَى بن سَيَابة ، وهى اسم أمِّه ، وهو يعلى بن مُرّة الثّقفى[1] .

٦٠ — يعلَى بن مُنْيَة[2] وهى أمُّه ، وقيل جدّته أمُّ أبيه ، وهو يعلى بن أُمَيّـة بن عبدة[3] التميمىّ المـكى حليف قريش ، ومن مُسْـلِمَة الفتح ، وقُتل فى صفين ، رضى الله تعالى عنه .

٦١ — يُونس بن حبيبَ الأديب الشاعر ، حبيبُ أمُّه ، ولم أقف على اسم أبيه ؛ وفيه ستُّ لغات مشهورات : تثليث النون، مع الهمز وتركه .

والحمد لله رب العالمين ، والصـلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين ، محمد حبيب رب العالمين ، وعلى آله وصحابته والتابعين .
كتبه لنفسه محمد محمود ، ابن التلاميد الزكزى ، لطف به آمين .

---

(١) فى الإصابة ٩٣٦٠ : « قال ابن حبان : من قال فى يعلى بن مرة يعلى بن سيابة فقد وهم . ثم قال : يعلى بن سيابة يقال إن له صحبة » .

(٢) فى الإصابة ٩٣٦٠ : « يعلى بن منية ، بضم الميم وسكون النون ، وهى أمه وقيل أم أبيه ، جزم بذلك الدارقطنى . وقال : هى منية بنت الحارث بن جابر » .

(٣) فى الإصابة : « ابن أبى عبيدة » .

فهرس المجموعة الأولى

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبى وشركاه - خلفاء

نوادر المخطوطات

٢

بتحقيق
عبد السلام هارون

المجموعة الثانية

الطبعة الثانية

١٣٩٢ هـ = ١٩٧٣ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبى وشركاه - خلفاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

هذه هى المجموعة الثانية من (نوادر المخطوطات) التى ألتمس من الله الأيد والعون على أن أمضى فى إخراجها ، مغتبطا بما ظفرت به وما أرجوأن أظفر به ، من تقدير العلماء والأدباء لهـذه الفـكرة التى تحاول ملء فراغ كان يتخلل المـكتبة العربية المنشورة .

وتلقيت رسائل من أطراف العالم العربى والإسلامى ، فيها ثناء وفيها رغبات عاجلة ، واقتراحات لنشر كتب ورسائل معينة ، وسأتخذ من هـذه الرغبات وهذه الإرشادات نبراساً لى فيما أنا آخذ بسبيله .

وتفضل زميلنا وصديقنا الأستاذ الناقد المحقق (الدكتور شوقى ضيف) فـكتب فى مجـلة الثقافة (بالعـدد ٦٣٤) مقالا نفيسا عرف فيـه تعريفا صادقا بـ(نوادر المخطوطات) وبرسائل المجموعة الأولى . وروى نصا نادراً عن ابن سعيد (فى المغرب) فى شأن أبى الصلت ، أنه « كان قد خرج من إشبيلية ، فصحب بالمهدية ملوكها الصنهاجيين وتوجه فى رسالة إلى مصر فسجن بالقاهرة فى خزانة البنود ، وكان فيها خزائن من أصـناف الـكتب ، فأقام بها نحو عشرين سـنة ، فخرج منها وقد برع فى علوم كثيرة من حديثـة وقديمة . . . وإنما حبسه المصريون لأن صاحبه الذى أرسـله وهو يحيى بن تميم بن المعز بن باديس - كان قد قطع هو وأبوه اسم الخليفة الفاطمى من الخطبة واستقلا عن مصر . فلم يكرم المصريون رسوله ، بل حبسوه إهانة له وإزراء عليه » .

وعقد كذلك موازنة بين ما ورد فى كتاب « المردفات من قريش » وما ورد فى كتاب « المحبر » لابن حبيب فيما يشبه هذا الموضوع .

وتمكن — حفظه الله — من تكملة عبارة وردت ناقصة فى الأصل فى ص ٢٢ : « وقد تعاور الشعراء . . . الشماع على صبح . . . » ، إذ وجدها فى الخريدة : « وقد تعاور الشعراء وصف وقوع الشماع على صفحات الماء » .

وورد فى ص ٢٣ بيتان أشرت إلى أنهما محرفان فوجد صوابهما فى الخريدة :

بشاطئ نهر كأن الزجاج وصفو اللجين به ذوبا
إذا جمشته الصبا بالضحى توهمته زردا مذهبا

فإلى الصديق (الدكتور شوقى ضيف) أزجى صادق الشكر وعظيم التقدير .

وكنت قد اعتزمت أن أنشر فى هذه المجموعة (كتاب عرام بن الأصبغ فى أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى) ، ولكنى علمت أن العلامة (عبد العزيز الميمنى الراجكوتى) قد قام بنشر هذا الكتاب من قبل ، فآثرت أن أؤجل صنعه إلى أن أطّلع على نسخته .

وفى النية أن تشتمل المجموعة الثالثة من (نوادر المخطوطات) على (رسالة ابن غرسية فى الشعوبية) والردود عليها .

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ؟

القاهرة فى ٣٠ رجب سنة ١٣٧٠ عبد السلام محمد هارون

كتاب خطبة واصل بن عطاء

١٣١ — ٨٠

مقـــدمة

واصل بن عطاء – تلقيبه بالغزال — هو والجاحظ — عبقرية واصل — لثغته — الراء من أكثر الحروف دورانا فى العربية — الجاحظ يعقد فصلا للثغة — شهرة لثغة واصل — علة تجنبه للراء — نماذج لمجانبته الراء مما ذكره الجاحظ — نماذج مما ذكره غير الجاحظ — حادث خطبة واصل — تاريخ الخطبة — خطبة واصل فى التاريخ — قيمة هذه الخطبة — شبهها ببعض خطب عصره — ابن زيدون وواصل بن عطاء — نص الخطبة .

واصل بن عطاء :

ليس أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال ، مولى بنى ضبة أو بنى مخزوم ، فى حاجة إلى أن نسهب فى التعريف به ، فإنه رأس المعتزلة ، وأول إمام قوى دفع مذهب الاعتزال ، وكوّن الفرقة الأولى من فرق المعتزلة العشرين (١) .

ولم يختلف المؤرخون أنه ولد بمدينة الرسول، سنة ثمانين للهجرة، وأنه نزح إلى العراق وأقام بها ، ولزم الحسن البصرى يحضر مجالسه ويقبس من علمه ، إلى أن كان ما كان من قول واصل وصاحبه عمرو بن عبيد بالمنزلة بين المنزلتين ، فكان ذلك سبباً للقطيعة بين الحسن ، وبين واصل وزميله ، وانتقل ميدان الرأى من مجلس العلم إلى الرأى العام ، فكان للاعتزال أنصاره الذين ينضوون تحت لوائه ، وصار مذهباً من المذاهب القائمة .

تلقيبه بالغزال :

وقد اختلف الناس فى تلقيب واصل بالغزال، فمنهم من زعم أنه كان غزالا، وأصح القولين أنه إنما لقب بذلك لأنه كان يكثر الجلوس فى سوق الغزالين إلى

(١) هى الواصلية ،والعمرية،والهذيلية،والنظامية،والأسوارية،والإسكافية،والجعفرية، والبشرية، والمعمرية ، وأصحاب عيسى بن صبيح ، والثمامية،والهشامية، والجاحظية،والخياطية، والكعبية ، والصالحية ، والخابطية ،والحديثية ، والشحامية ، والبهشمية .

أبى عبد الله مولى قطن الهلالى(١) . ويذكرون أنه كان يلازم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء ممن يتردد عليهم ، فيجعل صدقته لهن(٢) . ويذكرون من أمثال ذلك فى النسبة بعض الأعلام كخالد الحذّاء ، قيل إنه سمّى بذلك لأنه تزوج امرأةً فنزل عليها فى الحذّائين فنسب إليها(٣) . وهشام الدستوائى إنما قيل له ذلك لأن الإباضية كانت تبعث إليه من صدقاتها ثياباً دستوائية فكان يكسوها الأعراب الذين يكونون بالجناب(٤) .

هو والجاحظ :

وبدهى أن الجاحظ لم يدرك واصل بن عطاء ، لأن مولد الجاحظ كان فى سنة ١٥٠ ووفاة واصل كانت فى سنة ١٣١(٥) .

لكن الجاحظ قد أدرك رجلا له صلة بواصل بن عطاء ، هو جعفر بن أخت واصل ، عرفه الجاحظ ، وسمع منه إنشاداً لشعر رواه فى كتاب الحيوان(٦) ، كما روى عنه شيئاً من الدُّعابة فى البيان(٧) .

والجاحظ يعجب بواصل وبصحة عقله ، فهو يقول فى كتاب الحيوان(٨) عند الكلام على الجن : « لأنهم لم يسلَّطوا على الصحيح العقل . ولو كان ذلك

(١) البيان ١ : ٣٣ والكامل ٥٤٦ ليبسك .
(٢) الكامل وابن خلكان فى ترجمة واصل .
(٣) أى إلى قطيعة الحذائين . البيان ١ : ٣٣ والسمعانى ١٦٠ .
(٤) البيان ١ : ٣٣ .
(٥) لسان الميزان فى ترجمة واصل ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣١٣ ومسالك الأبصار (القسم الثانى من الجزء الثامن ص٤٩٦ من مصورة دار الكتب رقم٢٥٦٨ تاريخ) وعيون التواريخ لابن شاكر الكتبى مخطوطة دار الكتب المصرية فى وفيات الأعيان ١٣١ ، وكذا شذرات الذهب لابن العماد فى تلك السنة ، وفوات الوفيات فى ترجمته . وفى أصل معجم الأدباء ٧ : ٢٢٥ مرجليوث ، أنه توفى سنة إحدى و (بياض) ومائة . والذى فى وفيات الأعيان أنه توفى سنة ١٨١ . وهو خطأ ظاهر
(٦) الحيوان ٧ : ٢٠٤ ــ ٢٠٥ . (٧) البيان ٢ : ٢٣٤ .
(٨) الحيوان ٦ : ١٦٠ .

إليهم لبدءوا بعلي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وبأبي بكر وعمر في زمانهم وبغيلان والحسن في دهرهما، وبواصل وعَمرو في أيامهما .

عبقرية واصل :

ويبدو أن واصلا كان على جانب عبقري من الذكاء وجرأة العقل والقلب. يقول المبرد[1] : « وحُدِّثت أن واصل بن عطاء أبا حذيفة أقبل في رفقة فأحسوا الخوارج، فقال واصل لأهل الرفقة : إن هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني وإياهم . وكانوا قد أشرفوا على العطب، فقالوا : شأنك . فخرج إليهم فقالوا: ما أنت وأصحابك ؟ قال : مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله وليعرفوا حدوده . فقالوا : قد أجرناكم . قال : فعلمونا . فجعلوا يعلمونه أحكامهم وجعل يقول : قد قبلت أنا ومن معي . قالوا : فامضُوا مصاحَبين فإنكم إخواننا . قال : ليس ذلك لكم . قال الله تبارك وتعالى : « وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجِرْه حتى يسمعَ كلام اللّهِ ثم أبلغه مأمنه » ؛ فأبلغونا مأمننا . فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا: ذاك لكم . فساروا بأجمعهم حتى بلغوهم المأمن .

وهذا الخبر على به من أثر الصنعة يطوي وراءه اعترافاً بعبقرية هذا الرجل وزعامته الفطرية . على أن شيئاً مما ذُكِر ليس يعنينا لذاته، وإنما ليلقي ضوءاً على حياة هـذا الرجل الذي هو رأس من رؤوس المعتزلة الذين قامت دعوتهم على المناظرة والمجادلة الملحة ، والتي اعتمدت في أكثر ما تعتمد على الخطابة وعلى البيان ، وعلى الجرأة في مواقف المخاصمة والمنازعة .

لثغة واصل :

ولكلٍّ حسناء ذامُها ، فهذا الخطيب واصل ، مع ما رزقه الله من بيان وحسن تصريفٍ للقول، كان صاحب عاهة منطقية عُرِف بها وذاعت بين الناس،

---

(١) الكامل ٥٢٨ ليبسك. وقد روى هذا الخبر موجزا ابن قتيبة في عيون الأخبار ١ : ١٩٦ .

وهى لثغة شنيعة كانت تقع له فى حرف الراء فتحرجه فى ذلك أيما إحراج فيتأتى لها بمجانبتها إلى سواها من الحروف ، ويحمل على نفسه فى هـذا الأمر ويجهدها فيوفق توفيقاً بالغاً .

قال أحد معاصريه[1] :

ويجعل البر قمحاً فى تصرفه ... وجانب الراء حتى احتال للشعر[2]

ولم يطق مطراً والقول يعجله ... فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطر

قال الجاحظ : وسألت عثمان البرى : كيف كان واصل يصنع فى العدد ، وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين ، وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر وجمادى الآخرة ورجب ؟ فقال : مالى فيه إلا ما قال صفوان :

ملقن ملهم فيما يحاوله ... جم خواطره جواب آفاق

الراء من أكثر الحروف دورانا :

وقد لحظ الجاحظ ، وهو صادق فيما فطن له ، أن الراء من أكثر الحروف دوراناً فى الكلام العربى ، قال[3] : أنشدنى ديسم قال : أنشدنى أبو محمد اليزيدى :

وخلة اللفظ فى الياءات إن ذكرت ... كخلة اللفظ فى اللامات والألف

وخصلة الراء فيها غير خافية ... فاعرف مواقعها فى القول والصحف

يزعم أن هذه الحروف أكثر تردداً من غيرها ، والحاجة إليها أشد .

ثم قال الجاحظ : « واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم ، فإنك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد » .

---

(١) البيان ١ : ٢١ .

(٢) من أسماء الشعر مما ليس فيه الراء «السبد» بالتحريك ، و «الهلب» بالضم ، و «اللمة» : مازاد على الجمة ، و «الخصلة» بالضم : ما اجتمع من الشعر كذلك . انظر المخصص ١ : ٦٢ ــ ٦٩ .

(٣) البيان ١ : ٢٢ .

وهذه براعة عجيبة للجاحظ : أن يتجه فكره فى عصره إلى مثل هذه الطريقة التى لم تشهر ولم يعرف الاتجاه إليها فى البحوث اللغوية والأدبية إلا منذ عهد قريب :

الجاحظ يعقد فصلا للثغة :

هـذه اللثغة الشنيعة التى كانت تقع لواصل ، هى أقوى الدوافع التى دعت الجاحظ ـ وهو الذى نصب نفسه مِدرهاً للمتكلمين والمعتزلة بوجه خاص ، أن يعقد فى كتابه فصلا طويلا فى اللثغة[1] يبين فيـه أنها تقع فى أربعـة حروف ، وهى القاف والسين واللام والراء ، ولكلٍّ من هذه الحروف ضروب من اللثغ ولا سيما الراء فإن لها ضروباً أربعة ، إذ تقلب ياءً كما يقال فى عمر عَمْى ، أو عيناً كما يقال عمغ ، أو ذالا فتقول عمذ ، أو ظاء فتقول عمظ ، ثم يخص ضربا لهـا خامساً بالذكر لا يصوَّر بالكتابة ، وإنما سبيله المحاكاة والنطق ، وهذا الضرب هو الذى كان يعرض لواصل بن عطاء ، ولسليمان بن يزيد . قال الجاحظ فى تلك اللثغة : « فليس إلى تصويرها سبيل » .

وقد وجدت برهان الدين الوطواط فى كتابه غرر الخصائص[2] يزعم أن لثغة واصل كانت بالظاء أخت الطاء ، على حين لم يعيّن الجاحظ نوعها ، وكأنها كانت حرفاً بين حرفين ، أو مزيجاً من حروف . ولو كانت حرفاً واحداً لعينه الجاحظ ، وهو من أقرب الناس به عهداً ، وأخبرهم به علما .

شهرة لثغة واصل :

قلت : إن لثغة واصل كانت أمراً متعالما ، ذكرها كلٌّ من ترجم له ، ونطقت بها آثار الشعراء . فهذا أبو محمد الخازن يقول من قصيدة مدح بها الصاحب إسماعيل بن عباد[3] :

---

(١) البيان : ٣٤ ـ ٣٧ . (٢) غرر الخصائص ص ١١٤ .

(٣) وفيات الأعيان ، ترجمة واصل ، وكذا مسالك الأبصار ، وقد سبقت الإشارة إليه .

شم ، تجنّب « لا » يوم العطاء كما تجنّب ابن عطاء لفظة الراء

وقال الأرَّجانى :

ذا متعاضٍ أخفى اختلالى عن الرا ئى كإخفاء واصل للراءِ(1)

وقال : فيما رواه ابن شاكر فى عيون التواريخ ، وليس فى ديوانه :

هجر الراء واصل بن عطاء فى خطاب الورى من الخطباء
وأنا سوف أهجر القاف والرا ء مع الضاد من حروف الهجاء

وقال آخر فى محبوبٍ له ألثغ :

أعدْ لثغةً لو أن واصل حاضر ليسمعها ما أسقط الراء واصل(2)

وقال آخر :

أجعلت وصلِى الراء لم تنطق به وقَطعتنى حتى كأنك واصلُ

وقال آخر :

فلا تجعلنّى مثـــل همزة واصلٍ فتلحقنى حذفاً ولا راء واصلِ(3)

علّة تجنّب واصل للراء :

هـذه العيوب اللسانية التى منها اللَّثغ تعرِض لـكثير من النـاس من يوم خَلَق اللهُ الدُّنيا إلى يومنا هـذا ، والناسُ متفاوتون فى أقدارها من الشـناعة ، ويكادون يتّفقون على الرضا بها مع طول العهد ، وألاّ يحاوِلوا تغيير ما صنع الله ، وإن كان العلم الحديث فى وقتنا هذا يحاول أن يخفّف من حِدّتها ، وأن يأخذ بها إلى غير سبيلها ، ولـكنّا لم نسمع فيما يروى التاريخ من محاولة عنيدة للهرب من هذا العيب ، كتلك المحاولة التى أرادها واصل ، وقَسَرَ نفسَه عليها ، وذلك باجتثاث

(1) فى ديوان الأرجانى ١٣ : « عن الرأى » ، وهو تحريف . وأراد بالاختلال الخلة والحاجة.
(2) كذا عند ابن خلـكان . وفى غرر الخصائص ١١٤ : « ولثغته لو أن واصل حاضر » .
(3) هذه رواية ابن خلـكان ، ولم ينسب البيت . وقد وجدته منسوبا إلى الزمخشرى فى المضنون به على غير أهله ١٢١ طبع ١٩١٥ : « فيسقطنى وصل » .

الداء من أصله ، وهو التحرُّز من ذلك الحرف الذى يحمل تلك الشناعة ، وهو حرف الراء .

ويوضّح الجاحظ علّة التجاء واصل إلى مجانبة الراء بقوله[١] : « ولما علم واصل بن عطاء أنه ألثغ فاحِش اللثغ ، وأن مخرج ذلك منه شنيع ، وأنه إذ كان داعية مقالةٍ ورئيس نِحلة ، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل ، وأنه لا بد له من مقارعة الأبطال ومن الخطب الطوال ، وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة ، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعَة ، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق ، وتكميل الحروف وإقامة الوزن ، وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة كحاجته إلى الفخامة والجزالة ، وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب وتثنَى إليه الأعناق ، وتزيَّن به المعانى ، وعلم واصلٌ أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة ، كنحو ما أعطى الله تبارك وتعالى نبيه موسى عليه السلام من التوفيق والتسديد . . . . ومن أجل الحاجة إلى حسن البيان وإعطاء الحروف حقها من الفصاحة ــ رام[٢] أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه ، وإخراجها من حروف منطقه ، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ، ويناضله ويساجله ، ويتأتَّى لستره والراحة من هجنته ، حتى انتظم له ماحاول ، واتَّسق له ماأمَّل . ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مثلا ، ولطرافته مَعلما ، لما استجزنا الإقرار به والتوكيد له . ولست أعنى خطبه المحفوظة ، ورسائله المخلدة ، لأن ذلك يحتمل الصنعة ، وإنما عنيت محاجّة الخصوم ، ومناقلة الأكفاء ، ومفاوضة الإخوان » .

---

(١) البيان ١ : ١٤ ــ ١٥ .
(٢) هذا جواب « لما » التى فى أول النص .

نماذج لمجانبته الراء مما رواه الجاحظ :

ويذكر نموذجاً من مجانبته الراء إذ يقول[١] : وكان واصل بن عطاء قبيح اللثغة شنيعها ، وكان طويل العنق جداً ، ولذلك قال بشار الأعمى :

مالى أشايع غزّالا له عنق كنِقنقِ الدوِّ إن ولَّى وإن مَثَلا
عنقَ الزرافة مابالى وبالكم أتكفرون رجالاً أكفروا رجلا

فلما هجا واصلا وصوّب رأى إبليس فى تقديم النار على الطين ، وقال :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

وجعل واصلاً غزّالا ، وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : وعلى أيضاً ؟ فأنشد :

وما دون الثلاثةِ أمَّ عمرو بصاحبك الذى لاتصبَحينا

قال واصل عند ذلك : « أما لهذا الأعمى الملحد المشنّف المكنّى بأبى معاذ من يقتله ، أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية ، لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه ، ويقتله فى جوف منزله ، وفى يوم حفله ، ثم كان لايتولّى ذلك منه إلاّ عقيلى أو سدوسى » .

قال إسماعيل بن محمد الأنصارى ، وعبد الكريم بن روح الغفارى : قال أبو حفص عمر بن أبى عثمان الشمرى : ألا تريان كيف تجنّب الراء فى كلامه هذا ، وأنتما للذى تريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه ، لاتظنان به التكلف مع امتناعه من حرف كثير الدوران فى الكلام ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول بشار وابن برد والمرعث ، جعل المشنف بدلاً من المرعث ، والملحد بدلا من الكافر ، وقال : لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية ، ولم يذكر المنصورية ولا المغيرية لمكان الراء ، وقال : لبعثت إليه من يبعج بطنه ولم يقل لأرسلت إليه ، وقال : على مضجعه ، ولم يقل : على فراشه[٢] .

(١) البيان ١ : ١٦ – ١٧ . (٢) نحو هذا فى كامل المبرد والوفيات نقلا عنه .

نماذج مما ذكره غير الجاحظ :

ويسجل له ابن شاكر فى عيون التواريخ[١] احتيالاً آخر الراء ، فقد ذكر أنه امتُحِن حتى يقرأ سورة براءة ، فقرأ من غير فكر ولا روية : « عهد من الله ونبيه إلى الذين عاهدتم من الفاسقين . فسيحوا فى البسيطة هلالين وهلالين » .

ويذكر ابن العماد الحنبلى[٢] أنه دفعت إليه رقعة مضمونها : « أمر أمير الأمراء الكرام أن تحفر بئر على قارعة الطريق فيشرب منها الصادر والوارد »، فقرأ على الفور : « حكم حاكم الحكام الفخام ، أن ينبش جُبٌّ على جادّة الممشى فيستقى منه الصادى والغادى » .

وهذه الرواية توحى بأن واصلاً كان يشعر بتلك العاهة شعوراً مستبدا تجعله يتجنبُ الوقوع فى أشراكها، وتوحى أيضاً بأن القوم كانوا يداعبونه على ضوئها ، ويتحينون الفرص للتندُّر به وبها[٣] .

---

(١) مخطوطة دار الكتب المصرية ، حوادث سنة ١٣١ .

(٢) شذرات الذهب حوادث سنة ١٣١ .

(٣) من طرائف الأدب العربى صور يجرى فيها الشعراء على نهج من يعجبون به من أصحاب اللثغ . روى ابن شاكر وابن خلكان قول أبى نواس :

وشادن سألته عن اسمه ‏ ‏ فقال لى باللثغ عباث
بات يعاطينى سخامية ‏ ‏ وقال لى قد هجم الناث
أما ترى حثن أكاليلنا ‏ ‏ زينها النثرين والآث
فعدت من لثغته ألثغا ‏ ‏ فقلت أين الكاث والطاث

وروى ابن شاكر فى عيون التواريخ لعين بصل — وهو شاعر عامى أمى، ترجم له فى فوات الوفيات ، واسمه إبراهيم بن على —:

يقول وقد داومت تقبيل ثغره ‏ ‏ بلثغته : حثى أخذت منافقى
ثكرت بحثو الخندريس وكاثنا ‏ ‏ تحث وثكرى قد أزال وثاوقى

وروى ابن خلكان للخبز أرزى :

فى فمه درياق لدغ إذا ‏ ‏ أحرق قلبى شدة اللدغ
إن قلت فى ضمى له أين هو ‏ ‏ تفديك روحى قال لا أدغى

حادث خطبة واصل :

كان ذلك حفلا جامعاً حُشِد له أقدر الخطباء وأبرعهم براعة ، وكان ذلك بالعراق ، إذ اجتمع عِلْيَةُ القوم والناسُ ليشهدوا حفلا عنــد عبد الله بن عمر بن عبد العزيز[1] والى العراق ، تبارى فيه هؤلاء الخطباء ، وهم خالد بن صفوان ، وشبيب بن شيبة ، والفضل بن عيسى ، وواصل بن عطاء ، وتناوبوا القول على المنبر على هذا النظام ، فانتزع خالد وشبيب والفضل قبله إعجاب القوم انتزاعا ، فهـم كانوا سادة الخطباء فى ذلك الزمان ، وهم كانوا قد أعدُّوا خطبهم من قبل وحبَّروها ونمقوها، وما إن فرغ الثلاثة حتى نهض واصل يَهدِر ، وبداهته تغلى ، بخطبة ارتجلها ارتجالا ، واقتضبها اقتضاباً ، وأطال فيها إطالة[2] ، وحرص كل الحرص على أن ينزع الراء منها ، ففاق إعجابُ الناس والوالى بواصل بن عطاء إعجابَهم بالثلاثة قبله ، وأظهر الوالى الصِّلات ، فأجزل صلاتِ الثلاثة قَبله ، ثم ضاعف لواصلٍ الصلة تقديراً لعبقريته الخطابية النادرة .

وقد سجّل شاعران معاصران لواصل هذا الحادث تسجيلا صادقاً ، أحدهما بشار ، يقول فى كلمة له :

---

(١) عبد الله هذا هو صاحب نهر ابن عمر ، حفره بالبصرة. انظر معجم البلدان . وكان واليا ليزيد بن الوليد بن عبد الملك على العراق ، ولاه إياها بعد عزل منصور بن جمهور ، وذلك سنة ١٢٦ . وقد ظل فى ولايته على العراق فى فترة مملوءة بالفتن والأحداث حتى قبض عليه يزيد بن عمر بن هبيرة ، من قبل مروان بن محمد آخر الأمويين ، وذلك فى سنة ١٢٩ . وكانت وفاته فى سنة ١٣٢ كما فى النجوم الزاهرة . وأما يزيد بن الوليد هذا فهو الذى كان يقال له « يزيد الناقص » لنقصه أعطية الجند ، وهو الذى ثار على ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخليفة الماجن ، ودعا إلى خلعه ، فاستجابت له اليمن وبايعوه ، وقتلوا الوليد، وذلك فى جمادى الآخرة من سنة ١٢٦ وتوفى يزيد فى السنة نفسها فى ذى الحجة. تاريخ الطبرى حوادث ١٢٦ ــ ١٢٩ ويذكر الطبرى فى تاريخه ٩ : ٤٦ والمسعودى فى مروج الذهب ٣ : ٢٣٤ أن يزيد بن الوليد كان يذهب إلى قول المعتزلة .

(٢) قال الجاحظ : لأنه كان مع ارتجاله الخطبة التى نزع منها الراء كانت مع ذلك أطول من خطبهم .

أبا حذيفة قد أوتيت معجبةً   في خطبة بدهتْ من غير تقدير
وإن قولاً يروق الخالدَينِ معا   لمسكت مخرسٌ عن كل تحبير[(١)]

وقال بشار أيضاً :

تكلّفوا القول والأقوام قد حفلوا   وحبّروا خطباً ناهيك من خطب
فقام مرتجلاً تغلي بداهته   كمِرجل القين لما حُفّ باللهب
وجانبَ الراء لم يشعر بها أحد   قبل التصفح والإغراق في الطلب

وقال أيضاً :

فهذا بديهٌ لا كتحبير قائل   إذا ما أراد القول زوّره شهراً

والشاعر الآخر المعاصر هو صفوان الأنصاري ، يقول في كلمة له :

فسائلْ بعبد الله في يوم حفلِهِ   وذلك مقام لا يشاهده وغدُ
أقام شبيباً وابن صفوان قبله   بقول خطيبٍ لا يجانبُه القصد
أقام ابن عيسى ثم قفّاه واصل   فأبدع قولاً ما له في الورى نِدٌّ
فما نقصته الراء إذ كان قادراً   على تركها واللفظ مطّرد سَرْد
ففضّل عبد الله خطبةَ واصلٍ   وضوعف في قَسم الصلات له الشُّكْد
فأقنع كلَّ القوم شكر حبائهم   وقلل ذاك الضعف في عينه الزهدُ

تاريخ الخطبة :

ويمكننا أن نعين تاريخ هذا الحفل الذى خطب فيه واصل أنه كان ما بين جمادى الآخرة من سنة ١٢٦ إلى سنة ١٢٩ كما يتضح من التحقيق الذى أشرت إليه فى الحواشى قريباً ، إذ أنه المدة المقدورة التى قضاها عبد الله بن عمر بن

(١) يعنى بالخالدين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة ، كما فى حواشى أبى ذر الخشنى على البيان والتبيين ، وهذا على ما يسمونه التغليب .

عبد العزيز فى ولاية العراق . والأرجح أنه كان فى الشهور الأولى من هذه الفترة حيث كان المألوف والمتبع أن يجتمع الناس للاحتفاء بالوالى وتكريمه .

خطبة واصل فى التاريخ :

اكتسبت خطبة واصل هذه شهرة تاريخية ، وليس من أديب شادٍ إلا وهو يعرف هذه الشهرة . ولسنا نجد فى الكتب المطبوعة نصاً كاملا محققا لخطبة واصل ، إلاّ ماورد محرفاً منقوصاً فى كتاب مفتاح الأفكار، للشيخ أحمد مفتاح ، وأدبيات اللغة العربية[1] . والمؤرخون الذين ترجموا لواصل يذكرون فى ثبت كتبه القليلة « كتاب خطبة واصل » . وأقدم من ذكرها ابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ فى الفهرست[2] ، ذكرها فى ثبت مرويات أبى الحسن على بن محمد المدائنى . وبدهى أن المؤرخين لم يَعْنُوا بكلمة « كتاب » تلك الصورة التى نعرفها من الضخامة ، وإنما يعنون معناها اللغوى البحت ، وهو المكتوب مهما يكن مقداره .

ولقدقام الأستاذالكبير «أحمدزكى صفوت» الأستاذ بكلية دارالعلوم ، بعمل تأليفى ضخم ، ضمّ به أشتات خطب العرب فى كتابه جمهرةخطب العرب ، ووقع تحت يده الكثير من أمهات كتب الأدب المخطوط منها والمطبوع، فظفر بنصوص نادرة لخطب المشارقة والمغاربة، ووقع تحت عينه كثير مماغاب عن أبصار غيره ،ولكنه لم يظفر — حفظه الله — بنص هذه الخطبة إلا فى كتاب مفتاح الأفكار[3] . وعند ما قمت بتحقيق كتاب البيان والتبيين حاولت أن أعثر على هذا النص مخطوطاً ، فلم أجد إلا خبراً فى « مخطوطات الموصل » للدكتور داود جلبى ، إذ ورد فى ص٢٠٨ أن نسخة من هذه الخطبة محفوظة فى مكتبة مدرسة النبى شيث

---

(١) مفتاح الأفكار ٢٧٠ — ٢٧١ طبع ١٣١٤ وأدبيات اللغة العربية ٢١٢ — ٢١٤ طبع ١٩٠٦م .
(٢) الفهرست ١٥٢ .
(٣) جمهرة خطب العرب ١ : ٤٨٢ — ٤٨٤ .

بالموصل ، فطلبت إلى أحد العراقيين من طلبتى بكلية الآداب بجامعة فاروق حينما كنت أقوم بالتدريس فيها، أن يستنسخ لى صورة منها فلم يوفق . وعندما أوشكت أن أتم طبع نسختى من البيان والتبيين وقفت على شريط منه من مخطوطات تركيا التى اجتلبها معهد المخطوطات بالجامعة العربية ، وهى نسخة مكتبة (فيض الله) ، فحصلت على صورة منه ، ووجدت فى نهاية النسخة ورقة ملحقة ، بها نص كامل لخطبة واصل ، بخط كاتب النسخة ، وهو محمد بن يوسف اللخمى، كتب النسخة سنة ٥٨٧ وقرأها على الإمام أبى ذر الخشنى ، فكان سرورى بهذا النص النادر أشد من سرورى بتلك النسخة العتيقة من كتاب البيان والتبيين . ولكنى مع ذلك لم أقنع بهذا الظفر ، فجعلت أقلب فى كتاب مسالك الأبصار، وهو من أكبر الموسوعات الأدبية التاريخية الجديرة بالنشر، فوجدت نسخة من الخطبة بها قليل من التحريف ، فاعتمدت على هاتين النسختين فى نشر هذه التحفة ، التى يضاعف من سرورى أن أكون أول ناشر لها نشراً علمياً مقروناً بدراسة أدبية تاريخية .

قيمة خطبة واصل :

تستمد خطبة واصل قيمتها من الظروف التى أحاطت بها ، وقد سردتها فى تضاعيف مامضى من الكلام . ولسنا بحاجةٍ إلى أن نعيد القول فى أن خطبة طويلة تقال ارتجالا واقتضاباً فى مقام رهيب ، ويقتدر صاحبها على الاستغناء عن حرف هو من أكثر الحروف دورانا فى الكلام[1] على حين أنها خطبة تتسم بطابَع دينى، وتقتبس فيها معانى القرآن وأساليبه ونصوصه، فلا يفر صاحبها من أن يزوّد خطبته بذلك الزاد ، ولكنه يفرُّ فى حذق من ألفاظ معينة إلى مرادف لها ـ كل أولئك إنما ينبئ عن قدرة فنية لاتتأتى إلا للأفذاذ من الخطباء ، فهو

(١) حفظ لنا التاريخ بعض الخطب التى نزعت منها حروف معينة ، كخطبة أحمد بن على بن الزيات المالقى المتوفى سنة ٧٢٨ فقد نزع منها (الألف)، أولها : « حمدت ربى جل من كريم محمود ، وشكرته عز من عظيم معبود » ، ولكنها لم تكن مرتجلة كخطبة واصل . انظر الإحاطة ١ : ١٥٤ وجمهرة خطب العرب للأستاذ صفوت ٣ : ٢٢٦ .

حين يريد أن يقول « أعوذ بالله القوى من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم » يقول : أعوذ بالله القوى ، من الشيطان الغوى ، بسم الله الفتاح المنان » . وإذا أراد أن يتلوَ سورة كاملة من الكتاب قرأ سورة الإخلاص لخلوّها جميعها من الراء . وحين يريد أن يقتبس من القرآن الكريم : « وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما » يقول : « لا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ما خلق » . وإذا أراد أن يقول : « لا يعزب عنه مثقال ذرة » قال : « مثقال حبة » ، وإذا أحب أن يقتبس من قوله تعالى : « أصبحوا لا تَرَى إلا مسا كِنَهم[١] » قال : « أصبحوا لا تعاين إلا مسا كنهم » . وإذا طلب أن يقول : « فبلغ رسالته » قال : « فبلغ مألَكته » . . . . إلى كثير من أشباه هذا .

والخطبة كذلك تقدم لنا نموذجا من خطب القرن الثانى الهجرى ، من الخطب التى تجنَّبت السياسة والدعوة السياسية ، وتجنّبت فتن المذاهب والدعوة المذهبية ، فهى نموذج لخطب الوعظ الخالص[٢] . ابتدأها بحمد الله والثناء عليه[٣] ، ثم ثنّى بالشهادتين فى إسهاب طيّب ، وعقّب على ذلك بالصلاة على الرسول الكريم مثنياً عليه ، ثم حثّ على التقوى والطاعة ، ومال بعد ذلك إلى التحذير من مفاتن الدنيا والتهوين من شأن من أطاعتهم الدنيا وأغدقت عليهم ثم صاروا من بعدُ هاماً وأحاديث . ثم دعا لنفسه والناس أن يكونوا ممن ينتفع بالموعظة الحسنة ، ثم نوّه بفضل القرآن وتلا ماتيسَّر له منه ، بعد أن أجرى الاستعاذة والبسملة أيضاً على أسلوبه الذى يجانب الراء .

---

(١) هذه إحدى القراءات فى الآية ، وهى الخامسة والعشرون من سورة الأحقاف . انظر كتب القراءات والتفسير فيها .

(٢) كان واصل كما يروون على جانب من الزهد والتقوى ، روى له الجاحظ فى البيان ٣ : ١٩٦ قوله : « المؤمن إذا جـاع صـبر ، وإذا شبع شكر » . وروى صاحب الأغانى ٣ : ٤٠ : « كان واصل بن عطاء يقول : إن من أخدع حبائل الشيطان وأغواها ، لحبائل هذا الأعمى الملحد » ، يعنى بشاراً وما كان يقول من غزل ومجون فاجر .

(٣) كان هـذا أمراً محتما فى كل خطبهم فى ذاك العصر ، وكانوا يعدون الخطبة الخالية من هذا أمراً شنيعاً ، حتى لقد سموا خطبة زياد التى لم يلتزم فيها ذلك خطبة بتراء .

وشيء آخر يلمع لنا من ثنايا الخطبة ، فهذه الخطبة التي هي أشبه ماتكون بخطبة تقال في يوم الجمعة قد قيلت في مناسبة رسمية كما يقولون ، وكان من المتوقع فيها أن يثني القوم على الأمير ويذكروا فضله وآلاءه ، وينوّهوا بيُمْن عهده وازدهار أيامه، ولكن يبدو أن الطابع الديني كان غلاّباً في ذلك الزمان ، والرهبة الدينية كانت لاتزال في قوّتها وسلطانها ، فإن القوم كانوا ينتهزون مختلف الفرص ليقوموا بواجب التذكير والوعظ ، والإرشاد والهداية .

والناظر في خطب هذه الفترة يجد شبهاً كبيراً بين هذه الخطبة وخطبة عمر ابن عبد العزيز[1] ، وكذا بينها وبين خطبة سليمان بن عبد الملك[2] ، اجتمع فيها كلها التحذير من مفاتن الدنيا ، وتصوير نهاية الأحياء في ذل وهوان ، كما اشتملت على التنويه بفضل القرآن والحث على اتّباع آيِه وهديه ، كما اتفقت في الأسلوب المبني على المزاوجة ، وظهور السجع اليسير في غير ماتعمُّل .

ابن زيدون وواصل بن عطاء :

هما موقفان تاريخيان ، أما موقف واصل فقد أُلقِيَ الضوء عليه ، وأما موقف ابن زيدون فهو ذلك الموقف البياني الحرج الذي وقفه عند منصرَف الناس وعظمائهم وكبرائهم من جنازة ابنته التي واراها التراب ، إذ نهض ونهض معه بيانُه يشكر لهذا بقولٍ غيرِ مايقوله لذاك ، فيقولون : إنه ماأعاد في ذلك الوقت عبارة لأحد . وهو عجيب حقا في ذلك الظرف الذي يغيض معه البيان ، ويهرُب اللسان .

قال الصفدي : « وهذا من التوسع في العبارة ، والقدرة على التفنن في أساليب الكلام[3] ، وهو أمر صعب إلى الغاية ، وأرى أنَّه أشقّ مما يحكى عن واصل بن عطاء ، أنه ماسُمِعت منه كلمة فيها راء ، لأنه كان يلثغ بحرف الراء لثغة

(١) عيون الأخبار ٢ : ٢٤٦ .
(٢) عيون الأخبار ٢ : ٢٧٤ .
(٣) نفح الطيب ٢ : ٢٨٣ طبع ليدن . وقد نص المقري أنه نقل كلام الصفدي ملخصاً .

قبيحة . والسبب فى تهوين هذا الأمر وتهويله أن واصل بن عطاء كان يَعدِل إلى مايرادف تلك الكلمة مما ليس فيه راء ، وهذا كثير فى كلام العرب ، فإذا أراد العدول عن لفظ فرسٍ مثلا قال: جواد أو سابح أو صافن ؛ أو العدول عن رمح قال : قناة أو صعدة أو يزَنَى أو غير ذلك ؛ أو العدول عن لفظ صارم قال: حسام أو لهذم أوغير ذلك . وأما ابن زيدون فأقول فى حقه: أوّل ما كان فى تلك الجنازة وهو وزيرٌ ألفُ رائسٍ ممن يتعيّن عليه أن يتشكّر له ويُضطَرّ إلى ذلك، فيحتاج فى هذا المقام إلى ألف عبارةٍ مضمونها التشكُّر . وهذا كثير إلى الغاية من محزونٍ . فَقَدَ قطعةً من كبده »

والناقد يقف فى الموازنة بين الموقفين فى شىء من الحيرة ، ثم يجزم بأن المقايسة بينهما مقايسة مع الفارق كما يقولون ، فإن موقف واصل واضح ، ظروفه معينة ونصوصه حاضرة ، ولا كذلك موقف ابن زيدون فقد يكون تطرقت إليه المبالغة فى الرواية . ولم يذكر الرواة لنا شيئاً من تلك الأقوال التى غابَرَ بينها ، ولم يذكروا لنا عددها ، وقد تكون قليلة العدد ولكنها المهارةُ التى أديرت بها تخيل للسامع أنها مئات العبارات ، فإن السامع لا يكاد يعى وعيا تاما ما سمعه منذ لحظات إلا إن وقف موقف التسجيل والانتباه المتفرغ . على أن احتمال الإعداد والتهيئة فيها قريب ، وليس كذلك خطبة واصل التى اتفق الرواةُ وسجّل الشعر أنها كانت وليدة ارتجالٍ وبداهة .

ومهما يكن فإن غايتنا من هذا التقديم المسهب أن نُظفِر الأدباء الذين لبثوا دهراً فى لهفة دائبة إلى قراءة خطبة واصل محققة ، بنصها الكامل فيما يلى :

هذه خطبة واصل بن عطاء

التى جانب فيها الراء

الحمد لله القديم بلا غاية ، والباقى بلا نهاية ، الذى علا فى دنوّه ، ودنا فى علوّه ، فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان ، ولا يؤوده حفظ ما خَلَق ، ولم يخلقه على مثالٍ سبق ، بل أنشأه ابتداعا ، وعدّله اصطناعا ، فأحسن كلَّ شىء خلقه وتمم مشيئته ، وأوضح حكمته ، فدلّ على ألوهيّته ، فسبحانه لا معقّب لحكمه ، ولا دافع لقضائه تواضع كلُّ شىء لعظمته ، وذلّ كلُّ شىء لسلطانه ، ووسِعَ كلَّ شىء فضلُه ، لا يعزُب عنه مثقال حبّةٍ وهو السميع العليم . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا مثيل له[١] ، إلٰها تقدست أسماؤه ، وعظمت آلاؤه ، علا عن صفات كلِّ مخلوق ، وتنزّه عن شبه كل مصنوع ، فلا تبلغه الأوهام ، ولا تحيط به العقول ولا الأفهام ، يُعصَى فيحلُم ، ويُدعَى فيَسمع ، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون . وأشهد شهادةَ حقٍّ ، وقولَ صدق ، بإخلاص نية ، وصِدق طويّة[٢] ، أنَّ محمد بن عبد الله عبده ونبيه ، وخالصتُه وصفيّه ، ابتعثه إلى خلقه بالبيِّنات[٣] والهدى ودين الحقّ ، فبلّغ مألُكَتَه[٤] ، ونصح لأمّته ، وجاهد فى سبيله ، لا تأخذه فى الله لومةُ لائم ، ولا يصدُّه عنه زعم زاعم ، ماضياً على سنّته ، موفياً على قَصْده ، حتى أتاه اليقين . فصلَّى الله على محمد وعلى آل محمد أفضل وأزكى ، وأتم وأنمَى ، وأجل وأعلى صلاةٍ صلاّها على صفوة أنبيائه ، وخالصة ملائكته ، وأضعافَ ذلك ، إنه حميد مجيد .

أوصيكم عبادَ الله مع نفسى بتقوى الله والعمل بطاعته ، والمجانبة لمعصيته ،

---

(١) لامثيل له ، ساقطة من مفتاح الأفكار والأدبيات والجمهرة . وفى مسالك الأبصار : « لا شريك له » ، تحريف . (٢) فى مسالك الأبصار وجميع المطبوعات: «وصحة طوية». (٣) فى المفتاح والأدبيات وجمهرة خطب العرب: «بالبينة». (٤) المألكة: الرسالة .

فأحضُّكم[١] على ما يدنيكم منه ، ويُزْلفكم لديه ، فإنَّ تقوى الله أفضل زاد ، وأحسن عاقبةٍ في معاد . ولا تلهينَّكم الحياة الدنيا بزينتها وخُدَعها، وفواتن لذَّاتها، وشهوات آمالها ، فإنها متاعٌ قليل ، ومدة إلى حين ، وكلُّ شيء منها يزول . فكم عاينتم من أعاجيبها، وكم نصبَتْ لكم من حبائلها، وأهلكت ممن جَنَح إليها واعتمد عليها ، أذاقتهم حُلوا ، ومزجت لهم سمًّا . أين الملوك الذين بَنَوا المدائن، وشيدوا المصانع ، وأوثَقُوا الأبواب ،وكاثَفُوا الحجاب ،وأعدُّوا الجياد، وملكوا البلاد، واستخدموا التلاد، قبضتهم بمِخْلبها[٢]، وطحنتهم بكلكلها ، وعضَّتهم بأنيابها وعاضَتهم من السعةِ ضيقا ، ومن العز ذُلاًّ[٣] ، ومن الحياة فناء، فسكنوا اللُّحود، وأكلهم الدود، وأصبحوا لاتُعايِنُ[٤] إلامساكنهم، ولاتجد إلامعالمهم، ولا تُحِسُّ منهم من أحدٍ ولا تسمع لهم نَبْسا . فتزوّدوا عافاكم الله فإن أفضلَ الزاد التقوى ، واتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تُفلحون . جَعَلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه، ويعمل لحظِّه وسعادته ، وممَّن يستمع[٥] القولَ فيتّبع أحسنَه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب . إن أحسن قَصَص المؤمنين ، وأبلغ مواعظ المتقين كتابُ الله ، الزكية آياته ، الواضحة بيناته ، فإذا تلى عليكم فاستمعوا له[٦] وأنصتُوا لعلكم تهتدون[٧] .

أعوذ بالله القوى، من الشيطان الغوىّ، إن الله هو السميع العليم. بسم الله الفتاح المنان[٨] . قل هو الله أحد[٩] ، الله الصمد، لم يلدْ ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

---

(١) في المسالك والمطبوعات : « وأحضكم». (٢) في جميع المطبوعات : «بعجملها» ، تحريف .
(٣) في المسالك : « ومن العزة » .
(٤) في المسالك والمطبوعات : « لا ترى »، تحريف .
(٥) في المسالك : « يسمع » .
(٦) في المسالك : « فاسمعوا له » ، وفي المطبوعات : « فأنصتوا له واسمعوا» .
(٧) في المطبوعات : « لعلكم تفلحون » .
(٨) بسم الله الفتاح المنان ، ساقطة من المسالك ومن جميع المطبوعات .
(٩) ما بعده إلى تمام السورة ساقط من المسالك .

نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم ، وبالآيات والوحى المبين ، وأعاذنا وإياكم من العذاب الأليم . وأدخلنا وإياكم جنات النعيم[١] . أقول ما به أعِظُكم ، وأستَغْفِرُ الله لى ولكم .

(١) إلى هنا ينتهى النص فى جميع المطبوعات .

كتاب أبيات الاستشهاد

لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازى

٠٠٠ — ٣٩٥

مقدمة

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازى ، إمام لغوى جليل ، وأديب ذو زعامة أدبية ، وشاعر رقيق الشعر ، ومؤلف صاحب ابتكار وتجديد فى التأليف .

فهو بين اللغويين فى رتبة أصحاب الصحاح من المحدثين ، لا يورد فى كتبه إلا ما صح من لغات العرب ، وهو صاحب « المجمل » ذى الشهرة الذائعة ، وهو صاحب « مقاييس اللغة » الذى يقوم ناشر نوادر المخطوطات بتحقيقه ، وهو المعجم اللغوى الذى لم يؤلف قبله ولا بعده فى موضوعه ، وهو القياس اللغوى . ونظير هذا المعجم الفذ فى ندرته معجم « أساس البلاغة » للزمخشرى ، الذى لم يؤلف قبله ولا بعده فى موضوعه ، وهو مجاز اللغة . وهذان المعجمان مفخرتان من مفاخر التأليف الشرقى الإسلامى .

وهو بين أدباء عصره ، إذ يتنازعه بلاط آل بويه ، وحضرة الصاحب بن عباد ، ويجتذبه آل العميد ، معترف له بالزعامة الأدبية ، يقول فيه الصاحب بن عباد : « شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف ، وأمن فيه من التصحيف » . ويروى له الثعالبى فى يتيمة الدهر رسالة قيمة فى النقد (١) كما يروى ياقوت مساجلة أدبية بينه وبين عبد الصمد بن بابك (٢) .

وقد أوردت فى مقدمة مقاييس اللغة طائفة من مختار شعره تنبىء عن رقة وشاعرية ممتازة ، كما أوردت له نحو أربعين مصنفاً تدل عنوانات كثير منها على ابتكاره وتجديده فى التصنيف والتأليف . ولكنى لم أذكر بينها « أبيات الاستشهاد » إذ لم أكن قد عثرت عليها بعد ، ولم يذكرها أحد من مؤلفى التراجم ولا واضعى فهارس المصنفات قديمها وحديثها . وقد يكون هو كتاب « ذخائر الكلمات » الذى ورد فى مقدمة مقاييس اللغة ص ٢٩ .

ومهما يكن فإن موضوع هذا الكتاب واضح ، وهو ذكر الأبيات التى تصلح للتمثل بها فى مضارب مختلفة ، أو هو الأمثال الشعرية مع ذكر مضاربها . وقد ساق ذلك فى أسلوب أدبى . ويبدو أنه كان لابن فارس عناية خاصة بالأمثال ، إذ وضع كتاباً آخر سماه « أمثلة الأسجاع » .

وأصل أبيات الاستشهاد نسخة فذة فى العالم ، مودعة فى الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ٤٤٥ أدب ، وهى رديئة الخط تقع فى نحو اثنتى عشرة صفحة ، عانيت كثيراً فى قراءتها وفى نسبة أبياتها التى قضى الذوق الأدبى لابن فارس أن يجردها من نسبتها ، فوفقت فى أكثر ذلك وغاب عنى نسبة القليل .

---

(١) يتيمة الدهر ٣ : ٢١٤ ــ ٢١٨ . (٢) انظر نهاية ترجمته فى معجم الأدباء .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام أبو الحسن أحمد بن فارس النحوى اللغوى :

بلغنا أنّ رجلا من حَمَلة الُحجّة ، ذا رأيٍ سديد ، وهمة بعيدة ، وضِرس قاطع(١) ، قد أعدَّ للأمور أقرانها(٢) ، بلسانٍ فصيح ، ونَهْج مليح ، وكان إذا رأى ذا مَودَّةٍ قد حال عما عهدَه ، أنشدَه :

ليس الخليلُ على ما كنتَ تَعهدُه   قد بَدَّل الله ذاكَ الِخلَّ ألوانا

وإذا رأى محدِّثَه [عابساً] أنشد :

يا عابساً كلَّما طالعتُ مجلسَه   كأنَّ عَبستَه من ذَرق حَمَّاءِ(٣)

وإذا رأى واحداً يُحْسِن(٤) عند الإحسان عليه ، ويُسِىء القولَ إذا شُغل عن الإحسان إليه أنشد :

هو كالكلب إذا ما أشبعتَه   طاب نفساً وإذا ما جاع هَرّْ

وإذا رأى رجلاً راضيا بقليلٍ يصونُ وجهَه عن السؤال أنشد :

وإنَّ قليلاً يستر الوجه أن يُرَى   إلى الناس مبذولاً لَغيْرُ قليلِ

وإذا حُجِب عن باب دار قد أحسن إليه صاحبُها أنشد :

إنى رأيت بباب دارك جفوةً   فيها لُحسنِ فَعالكم تكدير(٥)

---

(١) ذو ضرس قاطع ، أى ماض فى الأمور نافذ العزيمة .

(٢) الأقران : جمع قرن ، بالتحريك ، وهو الحبل يجمع به البعيران ، أو جمع قرن بالكسر ، وأصله كفء الإنسان فى الشجاعة ، أو الكفء مطلقا .

(٣) الذرق : النجو . والحماء : الاست . وفى الأصل : « ذوق حما » .

(٤) فى الأصل : « يحسن به » .

(٥) لجحظة البرمكى كمافى ديوان المعانى ١ : ١٦٣ برواية : « لكن رأيت » . وقبله :

الله يعلم أننى لك شاكر   والحر للفعل الجميل شكور

وإذا رأى بشاشةً فى وجه مُضِيف أنشد :

يُسَرُّ بالضَّيف إذا رآه سُرور صادٍ وَرَدَ الماءَ

وإذا رأى رجلاً مقِلاًّ سخيّا أنشد :

وليس الفتى المعطى على اليُسرِ وحدَه
ولكنّه المعطِى على اليسر والعسرِ

وأبلغ منه قوله :

ليس العطاء من الكريم سماحةً حتى يجودَ وما لديه قليلُ[1]

وإذا شم رائحةً كَريهة من جليسه أنشد :

لَقوسُ سليمٍ حين يُرسِل سهمَه أشدُّ على الآناف من قَوس حاجبِ[2]

وإذا رأى أناساً لا خير فيهم أنشد :

لا تَلُمِ الأبناء فى فِعالِهمْ لو سادَ آباؤُهُمْ سادوا

وإذا عارضه فى كلامه أحدٌ أنشد :

ويعترض الكَلاَمَ وليس يدرى أسَعدُ اللهِ أكثرُ أم جُذامُ[3]

---

(١) لمقنع الكندى. حماسة أبى تمام ٢ : ٣٤٣ والمضنون به على غير أهله ٥٦ . وإنشاده فيهما :
ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل

(٢) قوس حاجب مضرب المثل فى العزة، وهو حاجب بن زرارة التميمى ، ومن خبر قوسه أنه أتى كسرى فى جدب أصاب قومه بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يأذن له ولقومه فى دخول الريف من بلاده حتى يحيوا ويمتاروا ، فقال لهم كسرى : إنكم معشر العرب قوم غدر ، فإذا أذنت لكم أفسدتم بلادى وأغرتم على رعيتى . فقال حاجب : أنا ضامن للملك ألا يفعلوا . قال : فمن لى بأن تفى ؟ قال : أرهنك قوسى . فضحك من حوله ، فقال كسرى إنه لا يتركها أبدا ، وقبلها منه وأذن له فى دخول الريف . انظر ثمار القلوب للثعالبى ٥٠١ .

(٣) سعد الله، هم بنو سعد بن بكر الذين استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وظئره حليمة السعدية منهم ، وهم مخصوصون من بين قبائل العرب بالفصاحة وحسن البيان، وفيهم يقول رسول الله : « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ، ونشأت فى بنى سعد بن بكر ، فأنى يأتينى اللحن » . وجذام قبيلة أخرى، قال الأصمعى : من أمثال العرب : أسعد الله أكثر أم جذام . =

وإذا جالس قوماً ليلةً مجالسةَ أهلِ الأدب ثم جاء الفجر أنشد :

جِئْنَا بأنعم ليـــلة وألذِّها لو لم تَنغَّصْ بالفراق من الغدِ

وإذا وعده رفيقٌ له بالسفر فى غد أنشد :

لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً به إن كان ترحالُ الأحِبّةِ فى غدِ (١)

وإذا تألم من عشيرهِ وصديقه أنشد :

ولى صاحبٌ مرُّ المذاق كأنما أضمُّ إلى نحرى به حدَّ مُنصُلِ (٢)

وإذا عاتب ذا قرابةٍ له أنشد :

بم استجزت اطِّراحى والصَّريمةَ لى وأنت لحمى وإن لم تَدْعَ لى ودَمِى (٣)

وإذا عاتب مَن أخلف وعده أنشد :

سألتك حاجةً فوعدتَ فيها جميلك ثم نِمت عن الجميل

وإذا لم يعجبه إنسان أنشد :

قد رأيناك فما أعجبتنا وبلوناك فلم نرضَ الخُبُرْ (٤)

= وهما حيان بينهما فضل لا يخفى إلا على جاهل لا يعرف شيئا . وقال أبو عبيد : يروى عن جابر بن عبد العزيز العامرى » وكان من علماء العرب ، أن هذا المثل قاله حمزة بن الضليل البلوى، لروح بن زنباع الجذامى :

لقد أفحمت حتى لست تدرى أسعد الله أكثر أم جذام

الميدانى ٢ : ١٤٧ وثمار القلوب ٢١ . وأنشد فى ثمار القلوب للصاحب إسماعيل بن عباد :

كتبت وقـد سبت عقلى المـدام وساعدنى على الشرب الندام
وأسرفنا فما ندرى لسكر أسعد الله أكثر أم جذام

(١) البيت للنابغة الذبيانى ، من قصيدته التى مطلعها :

من آل مية رائح أو مغتدى عجلان ذا زاد وغير مزود

والرواية المشهورة : « إن كان تفريق الأحبة » .

(٢) المنصل ، بضم الميم مع ضم الصاد وفتحها : السيف .

(٣) الاستجازة : أن يعد الأمر جائزا مقبولا . وفى الأصل : « استخرت » تحريف . والصريمة : القطيعة .

(٤) الخبر بالضم : الاختبار والعلم بالشىء ، وضم الباء للشعر . والبيت فى محاضرات الراغب ١ : ١٣٥ . ومع هو قصة فيه ٢ : ٨٩ .

وإذا هجاه أحدٌ أنشد :

وما كلُّ كلبٍ نابحٍ يستفزّنى ... ولا كلما طَنَّ الذباب أُراعُ(١)

وإذا أحسّ بتقصيرٍ فى سياسة أمير لرعيته، نسب الأمْرَ لوزيره، [و] أنشد :

إذا غَفَلَ الأمير عن الرعايا ... فإنَّ العتب أولى بالوزيرِ
لأنَّ على الوزير إذا تولى ... أمورَ الناس تذكير الأمير

وإذا ذُكِر له كبرُ سنه أنشد :

إنَّ الحسام وإنْ رثَّتْ مضاربُه ... إذا ضربتَ به مكروهةً فَصَلا(٢)

وإذا أثنى على محسن أنشد :

فعاجُوا فأثنَوا بالذى أنت أهلُه ... ولو سكتوا أثنَتْ عليك الحقائب(٣)

وإذا رأى من والٍ إساءةً عَلَى من وَلِىَ عليه أنشد :

وكنا نستطبُّ إذا مَرِضنا ... فصار سَقامُنا بيد الطبيب(٤)

---

(١) البيت فى مجالس ثعلب ٤١٣ ومحاضرات الراغب ١ : ١٣٥ بدون نسبة أيضا .

(٢) رثت مضاربه: أخلقت وتثلمت. مكروهة، أى ضربة مكروهة شديدة. ويقال للسيف الذى يمضى على الضرائب الشداد لا ينبو عن شىء منها « ذو الكريهة » .

(٣) البيت لنصيب، كما فى البيان ١ : ٨٣ ومجموعة المعانى ٩٦ والوساطة ١٥٠ والكامل ٤ : ١٠ ليبسك . قال المبرد : « وقد فضل نصيب على الفرزدق : أنشدنى — وإنما أراد أن ينشده مدحاً له — فأنشده :

وركب كأن الريح تطلب عندهم ... لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الريح وهى تلفهم ... إلى شعب الأكوار ذات الحقائب
إذا آنسوا نارا يقولون ليتها ... وقد خصرت أيديهم نار غالب

فأعرض سليمان كالمغضب، فقال نصيب: يا أمير المؤمنين، ألا أنشدك فى رويها ما لعله لا يتضع عنها . فقال : هات . فأنشده :

أقول لركب صادرين لقيتهم ... قفاذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبرونى عن سليمان إننى ... لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وانظر زهر الآداب ٢ : ٤١ ، ٤٣ والعمدة ١ : ٤٤ .

(٤) يستطب : يستوصف الدواء الذى يصلح لدائه .

وإذا حضر أناسٌ على أمرٍ ذى بال أنشد :

أقول لفتيان كرام تروَّحوا ... على الجُرد فى أفواههن الشكائم[1]
قَفُوا وَقعةً مَن يَحْىَ لمْ يَخزَ بعدها ... ومن يُخْـتَرَمْ لم تتَّبعه المَلاَوِمُ[2]

وإذا سُرَّ بلقيا صديقٍ له أنشد :

ياخَلاص الأسير يافرحة الأو ... بة يازورةً على غـــير وعدِ

وإذا أعار أخاً له دفترا فابطأ عليه بردِّه أنشد :

تعجيل ردِّ الـكتب مما به ... يَستكثِرُ العـــلمَ أخو العلم
وحبسُها يمنـــع مِن بذلها ... مع الذى فيـــه من الظلم

وإذا عاد مريضاً ذا مودَّةٍ صادقة أنشده :

نفسى ونفسك إن أبلتَ من سقم ... أبلتُ منه وإن أضناكَ أضنانى

وإن امرؤ جزِعَ على فائتٍ أنشده :

فلا تـكثِرنْ فى إثرِ شىء ندامة ... إذا نزعته من يديك النَّوازِعُ[3]

وإذا عُوتِب على إهانته للمال وكثرةِ بذلِه أنشد :

كيف يَستطيع حِفظ ماجمعت كـــفَّاه مَن ذاق لذة الإنفاق

---

(١) البيتان من مقطوعة رواها ابن الشجرى فى الحماسة ٤٨ وأبو الفرج فى الأغانى ١٨ : ١٠٩ والقالى فى الأمالى ١ : ٢٥٨ والبكرى فى التنبيه ٨١ . رووا جميعا عن المفضل الضبى أنه قال : كنت مع إبراهيم بن عبد الله بن عبد الله بن الحسن بباخمرى ، فى اليوم الذى قتل فيه فلما رأى البياض يقل والسواد يكثر قال لى : يامفضل، أنشدنى شيئا يهون على بعض ما أنا فيه . فأنشدته . . . ــ وأنشدوا الأبيات ــ قال : فرأيته يتطالع على سرجه ثم حمل حملة كانت آخر العهد به . تروحوا : ساروا فى الرواح . الجرد : جمع أجرد وجرداء » ، وهو الفرس القصير الشعر . والشكائم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس . وفى الأصل : « فى أعناقهن » ، صوابه فى الحماسة والأغانى ومجموعة المعانى ٣٩ .

(٢) الوقعة والوقيعة : القتال وصدمة الحرب . ويقال اخترمته المنية من بين أصحابه: أخذته من بينهم .

(٣) البيت للبعيث ، كما فى لباب الآداب ٤٢٤ . وأبيات قصيدته فى أمالى القالى ١ : ١٩٦ وسمط اللآلىء ٤٧٠ ــ ٤٧١ ومعجم البلدان (القعاقع) .

وإذا مشى لأخ فى قضاء حاجة ووَفَى بحقِّه أنشد :

حقوقٌ لإخوانى أريد قضاءها كأنِّىَ مالم أقضهن مريضُ

وإذا أثنى على إنسان ورأى منه شُروداً[1] ونُفرةً أنشد :

بطىءٌ عنك ماالستغنيتَ عنه وطلّاعٌ عليك مع الخطوب[2]

وإذا أراد شيئاً عاناه ليلاً أنشد :

واللَّيل يقظانُ والكواكبُ فى الآ فاق حَيرى كاللؤلؤ البَدَدِ[3]

وإذا استبطأ صديقاً له وعاتَبَه على قعودِه عنه أنشد :

وإنى إذًا أدعوك عند مُلمةٍ كداعية بين القُبورِ نَصِيرَها[4]

وإذا ذمّ أخاً له فى إساءته إلى إخوانه أنشد :

أصبح أعداؤه على ثقــةٍ منــه وإخوانُه على وجلِ

وإذا شكا من جارٍ له هَجْره أنشد :

دنَت بأناس عن تناء زيارة وشطّ ببكرٍ عن دنوٍّ مزارُها

وإنَّ مقيماتٍ بمنقَطَع الثَّرَى لأقرَبُ من ليلَى وهاتيك دارُها[5]

وإذا تذكر أياما مضت وكان يشكوها وهو اليوم يتمنَّاها أنشد :

سَقياً ورَعياً لأيَّامٍ مضت سلَفاً بكيتُ منها فصِرتُ اليومَ أبكيها[6]

كذاك أيامُنا لا شكَّ نندبُها إذا تقضَّت ونحن اليوم نشكوها

---

(١) فى الأصل : « سرورا » ، تحريف .

(٢) البيت لإبراهيم بن العباس الصولى، كما فى الأغانى ٩ : ٢٤ ومجموعة المعانى ٥٦ . وقبله :

ولكن الجواد أبا هشام وفى العهد مأمون المغيب

(٣) البدد : المتفرق .

(٤) البيت لإبراهيم بن العباس الصولى ، كما فى المعانى ١٥١ والمحاضرات ١ : ١٣٢ وقبله:

دعوتك عن بلوى ألمت ضرورة فأوقدت من ضغن على سعيرها

(٥) لإبراهيم بن العباس الصولى . الوساطة ١٨٣ ومحاضرات الراغب ٢ : ٣١ .

(٦) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولى فى مجموعة المعانى ١٠٢ .

وإذا عاتب أخاً له هجره ، أنشد :

تَلَجِّين حَتَّى يذهبَ الهجرُ بالهوى ... وحَتَّى تكاد النَّفسُ عنكِ تطيبُ[(١)]

وإذا عوتب فى خصلةٍ أو بادرةٍ بدرت منه ، أنشد :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمُّهُ ... على شَعث أىُّ الرجالِ المهذَّبُ[(٢)]

وإذا قيل له : قد أسنّ فلان وكبر ، أنشد :

لم ينتقص منى المَشِيبُ قُلامةً ... الآنَ حين بدا ألَبُّ وأكيَسُ[(٣)]

وإذا فسَدَ[(٤)] عند أخٍ له صحةُ ودِّه إياه ، أنشد :

قل ما تشاء ليُؤتَى ... وما كرهتَ ليُكرَه
فإنّ ذلك أولى ... بما تشاء وأشبه[(٥)]

وإذا مات له ولدٌ ، أنشد :

كلّ لسانى عن وَصفِ ما أجدُ ... وذقت ثكلاً ما ذاقه أحدُ
ما عالج الحزنَ والحرارةَ فى الأحشاء من لم يمت له ولدُ

وإذا حثّ إنساناً على الإحسان وخوّفه صروفَ الدّهر ، أنشد :

بيننا حرمةٌ وعهدٌ وثيقُ ... وعلى بعضنا لبعضٍ حقوقُ
فاغتنمْ لذّة الحفاظِ فما يد ... رى مُطيق لها متى لا يطيقُ

---

(١) اللجاجة : التمادى فى الشىء وعدم الانصراف عنه ، أراد تلجين فى الهجر . وفعله من باب فرح وضرب . وفى الأصل : « تلحين » تحريف ، صوابه فى ديوان ابن الدمينة ١٢ . وقصيدة البيت فيه طويلة جدا .

(٢) البيت للنابغة الذبيانى فى ديوانه ١٤ . الشعث : الفساد . واللم : الإصلاح . وكان حماد الراوية يقدم النابغة ، فقيل له : بم تقدمه ؟ فقال ، باكتفائك بالبيت من شعره ، بل بنصفه ، بل بربعه ، نحو :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

كل نصف يغنيك عن صاحبه . وقوله « أى الرجال المهذب » ، ربع بيت يغنيك عن غيره .

(٣) أى أنا الآن أعظم لبا وأكثر كيسا وفطانة .

(٤) فى الأصل : « فزد » .

(٥) فى الأصل : «بنا معا وأشبه» .

وإذا رأى خليلاً له قد حَفَّت به أربابُ الحاجات وكان أمرهُ فى الأوّل أقرب، أنشد :

حَيَّاك مَن لم تكن تُرجَى تحيَّتُه ... لولا الحوائجُ ما حَيَّاكَ إنسانُ

وإذا رأى أحداً غَضِب من أمرٍ ولم ينفَعْه غضبُه، أنشد :

غضِبَتْ تميمٌ أن تُقَتَّلَ عامرٌ ... يوم النِّسار فأُعتِبوا بالصَّيلَمِ (١)

وإذا رأى السلطانَ عَزَم على الغَزْو ونهض إلى العدوّ، أنشد :

يومانِ يومُ مقاماتٍ وأنديةٍ ... ويومُ سيرٍ إلى الأعْدا وتأويبِ (٢)

وإذا رأى أمراً مُعضِلاً وصبَر عليه وعُوتب فى ذلك، أنشد :

ومِن خير مافينا من الأمر أننا ... متى نلق يوما موطنَ الصَّبرِ نصبرِ

وإذا قال له أخ: إنّه اشتاقَ له اشتياقاً شديداً، أنشد :

فلما توافَقْنا عرفت الذى به ... كمثلِ الذى بى حذوكَ النَّعلَ بالنَّعلِ (٣)

---

(١) لبشر بن أبى خازم الأسدى فى المفضليات ٢ : ١٤٦ واللسان (عتب ، صلم) . والنسار: أجبل متجاورة كان عندها ذلك اليوم . وكانت ضبة حالفت بنى أسد على بنى تميم، وكانت معهم فى الحلف طيء وعدى ، وقد تحالفوا على أن يقاتلوا العرب ثلاث سنين ، وأرسلت تميم إلى بنى عامر بالنسار فخالفوهم ، فقالت بنو أسد لضبة : بادروا بنى عامر بالنسار قبل أن تصير إليهم بنو تميم ، ففعلوا فقتلوا منهم مقتلة عظيمة . انظر النقائض ٢٣٨ ــ ٢٤٥ ، ١٠٦٤ ــ ١٠٦٧ والعقد وكامل ابن الأثير والعمدة . أعتبوا : عبارة تهكم ، والإعتاب : الإرضاء ، ويروى : « فأعقبوا » أى كانت عاقبتهم الصيلم ، وهى الداهية .

(٢) البيت لسلامة بن جندل السعدى فى ديوانه ص ٨ والمفضليات ١ : ١١٨ . والمقامات: جمع مقامة ، وهى المجلس ، وبالضم : جمع مقامة بمعنى الإقامة . والأندية : الأفنية ، جمع ندى ، والندى والنادى سواء . يريد بيوم المقامات والأندية مواقف الخطابة والمفاخرة ونحوها . والتأويب : سير يوم إلى الليل ، أو الإمعان فى السير الشديد . وكذا وردت الرواية فى الأصل وفى الديوان والمفضليات : « إلى الأعداء تأويب » .

(٣) البيت من قصيدة هى من عيون شعر جميل فى أمالى القالى ٢ : ٧٤ . والرواية « الذى بها » كما فى الأمالى ومحاضرات الراغب ١ : ٤٥ . فقد يكون ابن فارس أبدل الإنشاد ليوافق الاستشهاد ، أو هو تحريف ناسخ .

وإذا مرَّ بأطلالٍ خلت من سُكّانها وعَفَت وبقِيَ أثرُها ، أنشد :

لخولة أطــلالٌ ببرقة ثَهمدِ تلوح كباقى الوَشْمِ فى ظاهرِ اليدِ[1]

وإذا حضر مجلساً لمناظرة وسُئِل عن حَلّه فيه بعده أنشد :

ولو شهدت أمُّ القُدَيدِ طعاننا بمَرْعَشَ خَيلَ الأرْمنيِّ أرنّتِ[2]

وإذا قيل له: رأيناكَ أعرضتَ عن فلانٍ إعراض مسالمةٍ،أنشد :

ولقـد أجمَعُ رِجلَيَّ بهـا حذرَ الموتِ وإنّى لَفَرُورُ[3]

وإذا استُشيِر فى أمر ذى لَبْس أيُقدِم عليه أم يُحجِم عنه،أنشد :

مكانَكِ حتَّى تنظرى عمَّ تنجلى عَمايَةُ هـذا العارضِ المتألّقِ

وإذا أكثَرَ من ذكر أخٍ له غائبٍ وقيل له فى ذلك ، أنشد :

أرِيدُ لأنسى ذِكرَها فكأنّمَا تُمَثَّلُ لى ليلَى بكلِّ سبيلِ[4]

وإذا قال له صديق:تناسيتَنى كأنك لم تعرِفْنى،أنشد :

تسلَّتْ عَمَاياتُ الرِّجالِ عن الصِّـبا وليس فُؤادِى عن هواها بمُنسلِى[5]

وإذا حضر رئيسٌ من الرؤساء وأراد مدْحَه،أنشد :

لو نال حىٌّ من الدُّنيا بمكرمة أفقَ السَّماءِ لنالت كفُّه الأفقا[6]

---

(١) البيت هو مطلع معلقة طرفه بن العبد .

(٢) لسيار بن قصير الطائى فى ديوان الحماسة ١ : ٤٥ . أم القديد، قيل هى امرأته . ومرعش: مدينة بين الشام والروم . والأرمنى : منسوب إلى أرمينية . أرنت : أعولت وصاحت .

(٣) لعمرو بن معد يكرب فى الحماسة ١ : ٥٢ وأمالى القالى ٣ : ١٤٧ . أجمع رجلى بها ، أى بالفرس ضمهما عليها استدرارا للجرى . لفرور ، المعنى أنه يفر إذا كان فى الفرار الحزم . وبعده :

ولقد أعطفها كارهــة حين للنفس من الموت هرير

(٤) لكثير عزة . أمالى القالى ٣ : ١١٩ والوساطة ١٦٠ ، ١٧٠ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٥ وديوان المعانى ١ : ٢٧٤ .

(٥) لامرئ القيس فى معلقته . وفى البيت قلب ، أى تسلت الرجال عن عمايات الصبا أى جهالاته وظلماته . ويقال انسلى انسلاء : زال حبه من قلبه ، أو زال حزنه .

(٦) البيت لزهير فى مدح هرم بن سنان . ديوانه ٥٥ .

وإذا عاتب أخاً له على هجرانه إياه، أنشد :

طوى البين أسبابَ الوصال وحاولت   بكُنْهِك أسبابُ الهوى أن تُخَذِّما(١)

وينشد أيضاً فى مثل ذلك :

وكان يزورنى منه خيالٌ   فلما أن جفا منع الخيالا

وإذا رأى رجلاً يُثْنِى على أخيه ويحضر له محضرا جميلا، أنشد :

قوم لهم عرفت معدٌّ بفضلها   والحقُّ يعرفه ذوو الألباب(٢)

وإذا قيل له : قد أقررتَ لمناظرك، أنشد :

أُحِسُّ بالفضل فى غيرى فأُنكِرُه   ما ينكِر الفضلَ إلا كلُّ منقوصِ

وإذا رأى رجلاً ينتقص فاضلاً، أنشد :

ما ضرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتَها   أم بُلتَ حيث تناطَحَ البحرانِ(٣)

وإذا أقصاه رئيسٌ بعد إنانته(٤)، أنشد :

يا أفضلَ النّاسِ إنى كنتُ فى نَهَرٍ   أصبحت منه كمثل المفرد الصادِى

وإذا كلّفه امرؤٌ شيئاً لم يكن عنده بالمرضىّ، أنشد :

لم أكُنْ من جُناتها علم اللّـــهُ وإنى بحرِّها اليومَ صالِى(٥)

---

(١) التخذيم : التقطيع . وفى الأصل : « تخدما » ، تحريف .

(٢) البيت للبيد بن ربيعة ، وهو آخر ديوانه المطبوع فى فينا سنة ١٨٨٠ . والرواية فيه : « عرفت معد فضلها » .

(٣) البيت من قصيدة للفرزدق فى ديوانه ٨٨٢ يذكر فيها تفضيل الأخطل إياه ، مادحا فى ذلك بنى تغلب ، ويهجو جريرا . وقبل البيت وهو مطلع القصيدة :

يا ابن المراغة ، والهجاء إذا التقت   أعنـاقه وتماحك الخصمان

وتغلب ابنة وائل هم قوم الأخطل . تناطح البحران : تقابلا . انظر الحيوان ١ : ١٣ والبيان ٣ : ٢٤٨ والخزانة ٢ : ٥٠١ .

(٤) كذا وردت هذه الكلمة مهملة الحرف الذى بعد الألف الثانية .

(٥) البيت للحارث بن عباد ، قاله فى يوم قضة . انظر العقد والخزانة ١ : ٣٠٣ وأمالى القالى ٣ : ٢٦ والأغانى ٤ : ١٤٤ .

وإذا رأى أمراً فظيعاً تَقضَّى ثم تجدّد مثله، أنشد :

إذا لهبٌ من جانب باخَ شرُّه ... ذكا لهب من جانبٍ فتضرَّما(١)

وإذا حضر مَحفِلاً من محافل النَّظَر وكلَّمه خصمٌ فدفعه، وانبرى له خصمٌ آخر، أنشد :

إذا مادفعنا هَؤُلا جاء هؤلاَ ... إلينا فكلٌّ بالعداوة مولعُ

وإذا كثُر الصُّياحُ فى المحفِل ،أنشد :

يأيُّها الراكبُ المزجِى مطيّتَه ... سائلْ بنى أسدٍ ماهذه الصوتُ(٢)

وإذا قيل له: كثُر أخصامك ،أنشد :

تفور علينا قِدرُهم فنُديمُها ... ونفثؤها عنا إذا حَمْوُها غلا(٣)

وإذا بدأه سائلٌ بالسؤال مناظِراً له ،أنشد :

قرِّبا مَرْبَطَ النَّعامة منّى ... لقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ(٤)

وإذا نُعِى له حميمٌ أو ذو مودّة ،أنشد :

لَيس عُدم الأموال عُدماً ولكن ... فَقْدُ من قد رزِئتَه الإعدامُ(٥)

---

(١) باخ : سكن وفتر .

(٢) لرويشد بن كثير الطائى. الحماسة ١ : ٤٧ واللسان (صوت) . المزجى : السائق ، وقد أنث الصوت . وفى اللسان : إنما أنثه لأنه أراد به الضوضاء والجلبة . ويصح أن يراد بالصوت ما يبلغه عنهم .

(٣) البيت للنابغة الجعدى ، كما فى مقاييس اللغة (دوم،فور ، فثأ) واللسان (فثأ ، دوم) . يقال أدام القدر إدامة ، إذا سكن غليانها بالماء . وكذلك فثأها : سكن من غليانها . والحمو والحمى: شدة الحرارة . ورواية المقاييس واللسان : « حميها » .

(٤) للحارث بن عباد ، كما سبق فى « لم أكن من جناتها » . المربط، بفتح الباء وكسرها: موضع ربط الدابة . والنعامة : اسم فرسه . عن حيال : أى بعد حيال . والحيال : ألا تحمل الناقة . عنى أن الحرب هاجت بعد سكون .

(٥) لأبى دواد الإيادى . العمدة ١ : ٦١ والوساطة ٤٧ ، وبه قيل إن أبا دواد أشعر الناس . ويروى : « لاأعد الإقتار عدما » .

وإذا حضر حَضرةَ ملكٍ وبالغ فى الثناء عليه، أنشد :

وأنّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ   إذا طلعَتْ لم يبدُ منهن كوكبُ(١)

وإذا فَخَر بمن تقدّم من العلماء والكبراء، أنشد :

ترى الناس ما سِرنا يسيرون خلفنا   وإن نحنُ أومأْنا إلى الناس وقَّفوا(٢)

وإذا أثنى على رجلٍ معطاء، أنشد :

ليس يعطيك للرجاء وللخو   فِ ولكن يَلَذُّ طعمَ العطاءِ(٣)

وإذا قصد امرأً فى حاجةٍ وكرّر الزيارة له ولم يرَ ما يحبُّه، أنشد :

كفى طلباً لحاجةِ كلِّ حرٍّ   مداومةُ الزِّيارةِ والسَّلامِ

وإذا أخذ إنسانٌ يتَّهم أحداً غيره أنشد :

رأيت الحربَ يجنيها رجالٌ   ويصلَى حرَّها قومٌ براءُ(٤)

قلت : وينشد فى ذلك أيضاً قولَ القائل :

لم أكن من جناتها   . . . (البيت المتقدم)

---

(١) للنابغة الذبيانى من قصيدة فى ديوانه ١٢ يعتذر فيها إلى النعمان ويمدحه . ورواية الديوان : « لأنك شمس » . وقبله :

ألم تر أن الله أعطاك سورة   ترى كل ملك دونها يتذبذب

(٢) للفرزدق فى ديوانه ٥٦٨ وأمالى القالى ٣ : ١١٩ . وفى الأمالى عن طلحة بن عبد الله قال : « لقى الفرزدق كثيراً بقارعة البلاط وأنا معه ، فقال : أنت يا أبا صخر أنسب العرب حيث تقول :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما   تمثل لى ليلى بكل سبيل

فقال له كثير : وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول :

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا   وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا »

ثم قال : « وهذان البيتان لجميل ، سرق أحدهما كثير ، والآخر الفرزدق » .

(٣) البيت لبشار بن برد، من قصيدة يمدح فيها عقبة بن سلم . ديوانه ١ : ١٠٧ — ١١٣ . وقبله ، كما فى الديوان والأغانى ٣ : ٤٣ :

إنما لذة الجواد ابن سلم   فى عطاء ومركب للقاء

(٤) أنشده فى اللسان (برأ) برواية : « يجنبها رجال » . وبراء مثلثة الباء، فهى بالفتح مصدر سمى به ، وفى التنزيل : « إننى براء مما تعبدون » . وبالكسر : جمع برىء ، كظريف وظراف . وبالضم جمع لا واحد له ، نحو تؤام وظؤار .

وينشد فى ذلك أيضاً :

وحمّلتنى ذنبَ امرىءٍ وتركتَه كذى العُرِّ يكوى غيرُه وهو راتعُ(١)

وإذا عارضه معارضٌ فى علّة بلا علم، أنشد :

أخو عدىٍّ أمسى يُساجِلُنى مالعدىٍّ وما لذا العملِ

وإذا ذكر قوماً أشحّاء، أنشد :

دراهمهم لاتُستطاع كأنَّها فريسةُ ليثٍ أحرزتها مخالبُه

وإذا قيل له: أرَضيتَ بكذا وأنت أعلى منزلة منه ؟! أنشد :

وما كنت أخشى أن أرى العَيرَ مركبى ولكنَّ من يمشى سيرضى بمارَكبْ

وإذا زار مريضاً، أنشد :

ونعود سيِّدَنا وسيّد غيرِنا ليت التشكّىَ كان بالعُوّادِ(٢)

وإذا حذّر ناسا عدوًّا غفلوا عنه، أنشد :

بنى أميّةَ إنى ناصحٌ لكمُ فلا يبيتَنَّ فيكم آمنًا زفرُ(٣)

---

(١) للنابغة الذبيانى فى ديوانه ٥٤ من قصيدة يمدح فيها النعمان ويعتذر إليه ويهجو مرة ابن ربيعة . العر ، بضم العين : قروح مثل القوباء تخرج بالإبل متفرقة فى مشافرها وقوائمها يسيل منها الماء الأصفر فتكوى الصحاح لئلا تعديها المراض . وأما أبو عبيدة فيقول : إن هذا لا يكون، وإنما هو على جهة المثل . وقال ابن دريد : ومن رواه بالفتح فقد غلط ، لأن الجرب لا يكوى منه .

(٢) لكثير عزة ، قاله فى عيادته عبد الملك بن مروان . عيون الأخبار ٣ : ٥٠ . وبعده:

لو كان يقبل فدية لفديته بالمصطفى من طارفى وتلادى

لكن فى الشعر والشعراء ٤٩٧ أنه دخل لعيادة عبد العزيز بن مروان . على أن البيت قد روى فى قصيدة لجرير فى ديوانه ١٢٢ يقوله فى عبد العزيز بن الوليد عبد الملك ، وكان الوليد كتب إلى أجناد الشام أن يدعوا لعبد العزيز بن الوليد ، ودعا هو له فى مسجد دمشق فى جماعة الناس ، وكان عليلا .

(٣) للأخطل فى ديوانه ١٠٣ والحيوان ٥ : ١٦٣ . وزفر هذا ، هو ابن الحارث الكلابى ، كان قد خرج على عبد الملك بن مروان وظل يقاتله تسع سنين ثم رجع إلى الطاعة. الكامل ٥٣٣ ليبسك والجهشيارى ٣٥ . وكان زفر من التابعين ، سمع عائشة ومعاوية شرح شواهد المغنى ٣١٥ .

وإذا ذَكَر صديقاً له بنقضه العهدَ، أنشد :

ألم ترَ ما بيني وبين ابن خالد　　　من العهد قد بالت عليه الثعالب [١]

وإذا هدّده عدوٌّ أو توعّده أنشد :

فإنّ قناتنا يا عَمرُو أعيَتْ　　　على الأعداء قبلَكَ أن تلينا [٢]

وإذا شُكِيَ أخٌ له جَنَى عليه، أنشد :

بل جناها أخٌ عليَّ كريمٌ　　　وعلى أهلها بَرَاقِشُ تجنِى [٣]

وإذا رأى ذا بشاشةٍ وظاهره يبدى خلافه، أنشد :

يُبدِى البشاشةَ حين تبصره　　　وله إليك عقاربٌ تَسرِى

وإذا أساء إليه صديقٌ وحلُم هو عنه، أنشد :

فلا تُوبِسوا بيني وبينكم الثّرى　　　فإنّ الذى بيني وبينكُم مُثْرِى [٤]

وإذا ذُكِر رجلٌ ببُعد الغَور، أنشد :

ولم يَخْشَوْا مصالته عليهم　　　وتحت الرَّغوة اللبنُ الصريحُ [٥]

---

(١) فى الأصل : « بنى خالد »، تحريف .

(٢) لعمرو بن كلثوم فى معلقته . وعمرو فى هذا البيت هو عمرو بن هند . والعرب تستعير للعز اسم القناة .

(٣) لحمزة بن بيض فى اللسان (برقش) . وبراقش : اسم كلبة نبحت على جيش مروا ولم يشعروا بالحى الذى فيهم الكلبة ، فلما سمعوا نباحها علموا أن أهلها هناك، فعطفوا عليهم فاستباحوهم ، فقيل فى المثل : « على أهلها تجنى براقش » . وقبل هذا البيت :

لم تكن عن جناية لحقتنى　　　لا يسارى ولا يمينى جنتنى

(٤) لجرير فى ديوانه ٢٧٧ والمقاييس (ثروى) واللسان (ثرا) . قال أبو عبيدة : «من أمثالهم فى تخوف الرجل هجر صاحبه : لا توبس الثرى بينى وبينك». ويقال : الذى بينى وبين فلان مثر ، أى إنه لم ينقطع .

(٥) من أبيات فى مجالس ثعلب ٨ — ٩ بنسبتها إلى رجل من سليم. ونسب فى البيان ٣ : ٣٣٨ إلى أبى محجن الثقفى ، وليس فى ديوانه . ونسب فى اللسان (فصح) إلى نضلة السلمى . المصالة : مصدر ميمى من صال يصول . والرغوة ، مثلثة الراء . والصريح : الخالص. أى إنما تعرف الأشياء بالتكشيف عن بواطنها . وأنشده فى المقاييس (فصح) : « اللبن الفصيح » ، وهو الذى أخذت عنه الرغوة .

وإذا عزَّى إنساناً وآساه، أنشد :

لــكلِّ همٍّ من الهموم سَعَهْ   والمُسْى والصُّبح لابقاء معَه[1]

وإذا كاتَمَ إنساناً وأضمر له مايعرفه من التلوُّن، أنشد :

فإنَّ الله لايخفَى عليه   علانيةٌ تُراد ولا سِرارُ

وإذا رأى إنساناً تغيَّرت عن غِنًى حالُه[2] أنشد :

إنَّ الفتى يُقتِرُ بعد الغنى   ويَغتنِى من بعد مايَنْتَقِر[3]

وإذا قيل له: مضَى فلانٌ وورث وارثه مالَه، أنشد :

قد يَجمَعُ المالَ غيرُ آكِلِه   ويأكل المالَ غيرُ من جَمعه[4]

وإذا رأى رجلاً أثنى على آخَرَ وهو لايعرفُه، أنشد :

لاتحمدنَّ امرأً حتى تجرِّبه   ولا تذمنَّه من غير تجريبِ[5]

وإذا نُعِيَ له رجلٌ عظيم الشأن. أنشد :

لما أتى خبَرُ الزُّبيرِ تواضعَتْ   سُورُ المدينةِ والجبالُ الخُشَّع[6]

---

(١) للأضبط بن قريع ، وهو أحد المعمرين من العرب . كتاب المعمرين للسجستانى ٨ ومجالس ثعلب ٤٨٠ والأمالى ١ : ١٠٧ والأغانى ١٦ : ١٥٤ وحماسة ابن الشجرى ١٣٧ والخزانة ٤ : ٨٩ والمثل السائر ١ : ٢٦٠ .

(٢) فى الأصل : « تغيرت عن حاله » .

(٣) البيت لعمرو بن أحمر ، من أبيات له فى اللسان (رنا) وطبقات ابن سلام ١٩١ ، أقتر : قل ماله .

(٤) للأضبط بن قريع . انظر الحاشية الأولى .

(٥) لأبى الأسود الدؤلى . حماسة البحترى ٣٧٠ .

(٦) البيت لجرير فى ديوانه ٣٤٥ والخزانة ٢ : ١٦٦ من قصيدة يهجو فيها الفرزدق ورهطه بنى مجاشع الذين منهم عمرو بن جرموز قاتل الزبير بن العوام . وكان ابن جرموز قد قدم على أمير المؤمنين على وهنأه بالفتح وأخبره بقتله الزبير ، فقال له على : أبشر بالنار ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بشر قاتل ابن صفية بالنار. وفى ذلك يقول ابن جرموز:

أتيت علياً برأس الزبير   وقد كنت أحسبها زلفه

فبشر بالنار فى قتله   فبئس بشارة ذى التحفه

ثم إن ابن جرموز جاء إلى مصعب بن الزبير وكان واليا على العراق من قبل أخيه عبد الله فقال : اقتلنى بالزبير ! فكتب فى ذلك إلى أخيه ، فكتب إليه عبد الله : أنا لا أقتله بالزبير =

وإذا جَهِل عليه جاهلٌ وللجاهل عدوٌّ حاضر لايجترئُ عليه، أنشد :

جهلاً علينا وجبنا عن عدوِّكُمُ لبئست الخَلّتان الجهلُ والجُبْنُ[1]

وإذا مات له خليلٌ يعزُّ عليه فقده، أنشد :

ألا ليَمُتْ مَن شاء بعدك إنّما عليك من الأقدار كان حِذاريا[2]

وإذا قيل له: استتر لك فلانٌ وخَدعَك، أنشد :

وقد كنت مجرور اللِّسانِ ومُفْحَمًا فأصبحت أدرى اليوم كيف أقولُ[3]

وإذا ذكر إخوانَه الذين سلفوا، أنشد :

أولئك إخوانُ الصَّفاء رُزِئتُهم وما الكفُّ إلا إصبعٌ ثم إصبعُ[4]

وإذا نُجِب ابنُ امرئٍ بعد موته، أنشد :

لعمركَ ما وارَى الترابُ فَعالَه ولكنّه وارى ثيابًا وأعظُما[5]

= ولا بشسع نعله . فلم يقتله . والنحويون يجعلون هذا البيت شاهدا لاكتساب بعض الأسماء التأنيث من بعض ، لأن السور هنا بعض المدينة . وذهب أبو عبيدة أن « السور » جمع سورة بالضم، وهى كل ماعلا، فلا شاهد فى البيت. الخشع، أى التى صارت خاشعة لاطئة بالأرض لموته.

(١) البيت لقعنب بن أم صاحب ، فى حماسة أبى تمام ٢ : ١٨٨ والبحترى ٣٩٢ .

(٢) فى الأصل : « حذارى » ، صوابه فى اللسان (ملا) ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٢٩. وقبله ، وهو فى رثاء يزيد بن مزيد الشيبانى :

وقد كنت أرجو أن أملاك حقبة فحال قضاء الله دون رجائيا

وانظر العقد : ٢ : ٢٨٧ طبع لجنة التأليف .

(٣) البيت للفقيمى، وهو قاتل غالب أبى الفرزدق. البيان ٣: ٢١٤، ٢٢٦ ومحاضرات الراغب ٢ : ٧٤ . وفى الأصل : « محزوز » صوابه فى البيان . وفى المحاضرات : « محرور » محرفة أيضاً . وأصل المجرور الفصيل يشق لسانه لئلا يرضع ، يقال جر الفصيل وأجره . قال عمرو بن معد يكرب :

فلو أن قومى أنطقتى رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت

(٤) البيت لأبى حناك البراء بن ربعى الفقعسى، فى الحماسة ١ : ٣٥١ والمضنون به على غير أهله لعز الدين الزنجانى ٣٤٤ طبع ١٣٣١ . وقبله :

أبعد بنى أمى الذين تتابعوا أرجى الحياة أم من الموت أجزع

ثمانية كانوا ذؤابة قومهم بهم كنت أعطى ما أشاء وأمنع

(٥) أنشده أبو تمام فى الحماسة ١ : ٣٨٣ ولم ينسبه . وقبله:

إذا ما امرؤ أثنى بآلاء ميت فلا يبعد الله الوليد بن أدهما =

وإذا رأى رجلا يتكلَّف مالا يستطيعه أنشد :

* إذا لم تستطع شيئاً فدعه[١] *

وإذا استحقره قومٌ وتعرَّضوا لأكبرَ منه، أنشد :

* ذبابٌ طار فى لَهَواتِ ليث *

وإذا تجاهل عليه متجاهلٌ، أنشد :

إنا لتُوزَنُ بالجبال حلومُنا وَيَزِيد جاهلنا على الجُهّالِ[٢]

وإذا نُعِىَ له رئيسٌ من رؤساء مَحلّته أو عشيرته، أنشد :

إذا شذّ منا سيِّد قام سيِّدٌ قؤولٌ لماقال الكرام فعول[٣]

وأنشد أيضاً :

إذا قمرٌ منَّا تغوَّرَ أو خبا بدا قمرٌ من جانب الأفق يلمع[٤]

وإذا مطل إنسانٌ ووَعَد بعدُ، أنشد :

فإنْ يك صدرُ هذا اليومِ ولَّى فإن غدا لناظره قريبُ[٥]

= فما كان مفراحا إذا الخير مسه ولا كان منانا إذا هو أنعما

ونادى المنادى أول الليل باسمه إذا أجحر الليل البخيل المذمما

(١) لعمرو بن معد يكرب فى الحيوان ٣ : ١٣٨ وحماسة البحترى ٣٧٥ والأغانى ١٤ : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣١ . وعجزه :

* وجاوزه إلى ما تستطيع *

(٢) لحسان بن حنظلة بن أبى رهم الطائى فى الحماسة ٢ : ٣١٧ ومجموعة المعانى ٤٥ . وهو فى ديوان الفرزدق ٧٣٠ . ونسب فى الخزانة ٣ : ١٠٧ والنقائض ٢٨٤ إلى الفرزدق أيضاً . وفى المؤتلف للآمدى ١٢٤ أنه للمراهب الطائى، وهو حنظلة والد حسان المتقدم ، وأن الفرزدق قد سرقه وأدخله فى قصيدته .

(٣) للسموأل بن عاديا ، من أبيات فى الحماسة ١ : ٢٧ — ٣١ والحيوان ٦ : ٤٢٣ والبيان ٤ : ٦٨ والقالى ١ : ٢٦٩ . والرواية فى الحماسة والقالى : « إذا سيد منا خلا قام سيد » .

(٤) البيت لأبى يعقوب الخريمى فى الحيوان ٣ : ٩٤ والوساطة ١٥٩ .

(٥) فى الأصل : « للناظرين » تحريف . والبيت لقراد بن أجدع ، كما فى أمثال الميدانى ٢ : ٦٣ . لناظره : أى لمنتظره.

وإذا رأى قومًا ذوِى صُوَر ولا أحلامَ لهم، أنشد :

لا بأسَ بالقومِ من طولٍ ومن عظَمٍ جِسمُ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ[(١)]

وإذا اقتضَى صديقًا وعدًا، أنشد :

قضَى كلُّ ذى دينٍ فوفى غريمَه وعزّةُ ممطولٌ معنًّى غريمُها[(٢)]

وإذا شيّع فريقين وأخذَ كلُّ واحد غيرَ طريق الآخر، أنشد :

فريقانِ منهم سالكٌ بطنَ نخلةٍ وآخرُ منهم سالك نجد كبكبِ[(٣)]

وإذا لم يزُره أخوه زاره هو، وأنشد :

أزوركمْ لا أكافيكمُ بجفوتِكم إن المحبَّ إذا لم يُزَرْ زارا[(٤)]

وأنشد أيضًا فيه :

وما كنتُ زوّارًا ولكنّ ذا الهوى إذا لم يُزَرْ لابد أنْ سيزورُ[(٥)]

وإذا وصفَ رجلاً بالعِفّة والإعراض عن الزِّنا، أنشد :

والله لو كانت الدنيا وزينتُها فى بطن راحتِهِ يوما لألقاها

وإذا قيل له : إن أمثالك قليل، أنشد :

وما ضرّنا أنا قليل وجارُنا عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليلُ[(٦)]

---

(١) البيت لحسان بن ثابت فى ديوانه ٢١٤ من قصيدة يهجو بها بنى الحارث بن كعب. وانظر الحيوان ٥ : ٢٢٩ والخزانة ٤ : ٥٣ ـ ٥٦ وسيبويه ١ : ٢٥٤ . الأحلام : العقول.

(٢) البيت لكثير عزة فى حماسة ابن الشجرى ١٥٤ والأغانى ٨ : ٣٥ ، ٣٦ ومحاضرات الراغب ١ : ٢٢٩ .

(٣) لامرئ القيس فى ديوانه ٧٧ ومعجم البلدان ، رسم (كبكب) .

(٤) البيت للعباس بن الأحنف فى ديوانه ٧٣ وخاص الخاص ٩٣ ومحاضرات الراغب ١ : ٣٠٥ برواية : « نزوركم لا نكافيكم » . وفى الأصل هنا : « لأكافيكم » ، تحريف. وبعده فى الديوان :

ستقرب الدار شوقا وهى نازحة من عالج الشوق لم يستبعد الدارا

وفى محاضرات الراغب ٢ : ١٥ : « يقرب الشوق دارا » .

(٥) للأحوص ، الكامل ٣٢١ ليبسك . وقبله :

أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما درت حيث أدور

(٦) للسموأل بن عاديا . انظر ما سبق فى ص ١٥٥ .

وإذا وَلِيَ رجلٌ ولاية وأُثنِيَ عليه بها، أنشد :

وإذا الدرُّ زان حُسنَ وجوهٍ   كان للدُّرِّ حُسنُ وجهِك زينا[١]

وكان يتمثَّل لمناظره ويعرِّض له أنّه لم يَبلُغِ المَبلغَ بقول الشاعر :

لا تحسب المجدَ تمرًا أنت آكلُه   لن تبلغ المجد حتّى تلعق الصَّبِرا

وإذا ذكر له رجلٌ مضى فذلّت أتباعُه وبنو عمِّه بعد عِزٍّ ، أنشد :

فتى كان مولاه يحلُّ بنَجوةٍ   فحلَّ الموالى بعده بمَسيلِ[٢]

وإذا رأى إنسانًا منسور[٣] له مطلا ودفاعا، أنشد :

لقد جررتِ لنا حبلَ الشَّموسِ فلا   يأسًا مبينًا نرى منكمْ ولا طَمَعا[٤]

وإذا رأى رجلاً همُّه نفسهُ لا غيره، أنشد :

دعِ المكارمَ لا ترحَلْ لبُغيتِها   واقعُدْ فإنَّك أنت الطاعم الكاسى[٥]

---

(١) أنشده الجاحظ فى البيان ١ : ١٩٥ والجرجانى فى الوساطة ٢٠٢. وقبله أو بعده :

وتزيدين أطيب الطيب طيبا   أن تمسيه أين مثلك أينا

وقال خالد بن عبد الله القسرى لعمر بن عبد العزيز : من كانت الخلافة زانته فإنك قد زنتها ، ومن كانت شرفته فإنك قد شرفتها ، فأنت كما قال القائل :

وإذا الدر زان حسن وجوه   كان للدر حسن وجهك زينا

فقال عمر : أعطى صاحبكم مقولا ولم يعط معقولا . عيون الأخبار ١ : ٩٣ .

(٢) النجوة : المكان المرتفع . والمسيل : موضع السيل . والبيت لعقيل بن علفة فى الحماسة ١ : ٤١٠ . وقبله :

لتغد المنايا حيث شاءت فإنها   محللة بعد الفتى ابن عقيل

(٣) كذا وردت هذه الكلمة . ولعلها « يسرّ » ، أى يضمر .

(٤) البيت للقيط بن يعمر الإيادى ، من قصيدة له هى أول مختارات ابن الشجرى ، ينذر فيها قومه غزو كسرى إياهم ، وكان لقيط كاتبا فى ديوان كسرى ، فلما رآه مجمعا على غزو إياد كتب إليهم بهذا الشعر، فوقع الكتاب بيد كسرى فقطع لسان لقيط وغزا إيادا. الشموس بفتح أوله : النفور من الدواب الذى لا يستقر لشغبه وحدته .

(٥) البيت للحطيئة فى ديوانه ٥٤ من قصيدة يهجو بها الزبرقان بن بدر. الطاعم الكاسى: ذو الطعام والكسوة ، أو هو المطعم المكسو ، كما فى قول الله : « عيشة راضية » ، أى مرضية ، انظر اللسان (كسا) .

وإذا لاجّه[١] إنسان وطاوَلَه ، أنشد :

إذا ما تحدّثتُ في مجلسٍ تناهَى حديثي إلى ما علمتُ[٢]

وإذا رأى امرأً تأمّل حاشيةَ زائرِهِ وغاشِيَتِه[٣] ، أنشد :

وإذا ما جهلتَ ودَّ صديقٍ فاعتبر ما جهلتَ بالغِلمانِ
إنَّ وجهَ الغلامِ يخبر عمَّا في ضمير المولَى من الـكِتمانِ

وإذا رأى رجلاً انتمى إلى قومٍ غير كرام ، أنشد :

فغضَّ الطَّرفَ إنك من نُميرٍ فأصلهم ومَنْبِتُهم لئيمُ[٤]

وإذا سبَرَ حال صديقٍ له فلم يحمَدْه ، أنشد :

وما كلُّ إخوانِ الفتى طوعَ همِّه ولا كلُّ عودٍ نابت بنُضارِ[٥]

وإذا توعَّده من لا يصدق في وَعْدِهِ ، أنشد :

فانظر إلى كفٍّ وأسرارِها هل أنت إن أوعَدتني ضائري[٦]

وإذا نُعِيَ له شخص ، أنشد :

على صخرٍ وأيُّ فتًى كصخرٍ ليومِ كريهةٍ وسِداد ثَغْرِ[٧]

---

(١) الملاجة : التمادي في الخصومة . في الأصل : « الملاحة » ، تحريف.

(٢) البيت ليزيد بن الوليد بن عبد الملك ، كما في عيون الأخبار ٢ : ١٢٥ . وبعده :

ولم أعـد علمي إلى غيره وكان إذا ما تناهى قصرت

(٣) غاشية الرجل : من ينتابه من زواره وأصدقائه .

(٤) كذا ورد إنشاده . والمعروف بيت جرير في ديوانه ٧٥ :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

(٥) النضار : شجر الأثل ، وهو أجود الخشب للآنية والأقداح .

(٦) البيت للأعشى في ديوانه ١٠٧ واللسان (سرر) والمقاييس (سر) . والأسرار : خطوط باطن الراحة ، واحدها سر .

(٧) البيت ملفق من بيتين ، أحدهما للخنساء في رثاء أخيها صخر ، وهو كما في الديوان ٢٣ وحماسة البحتري ٤٢٨ :

على صخر وأي فتى كصخر لعان عائـل غلق بوتر

والآخر للعرجي في نزهة الألباء ١١٣ واللسان (سدد) :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

وقد يقع التلفيق في استشهادات ابن فارس . انظر المقاييس (شنأ ، عاق ، فأو) .

وإذا رأى رجلاً اتُّهم بدِعوة، أنشد :

زَنيمٌ تداعاه الرِّجالُ زيادةً كما زيد في عَرض الأديم الأكارعُ[(١)]

وإذا رأى عدوًّا مُخاشِنا ، أنشد :

بنى تماضِرَ إنِّى لا أحبكما ولا ألومكما إلاّ تُحِبَّانى

وإذا قعد عن صديقٍ بعُذْر ، أنشد :

فلا بأس بالهجر الذى ليس عن قلا إذا شَجَرت عهدَ الحبيبِ شواجرُ[(٢)]

وربما وصل حديثَه عن الزمن الأول بقوله :

إذِ الناس ناسٌ والزمان بغِرَّة وإذ أمُّ عمّارٍ صديقٌ مُساعِفُ[(٣)]

وإذا ذُكر رجلٌ بجودٍ وسَماحة ، أنشد :

يومان يومٌ يفيض نائلُه وخير يوم ما يُقِيتُ غدا[(٤)]

وإذا خبِّر أنّ ولدَ رجلٍ نَجُب ، أنشد :

وهل يُنبِتُ الخطىَّ إلا وشيجُه وتُغرسُ إلاّ فى منابتها النخلُ[(٥)]

وإذا أسعفَه رجلٌ فى أمره ، أنشد :

أناة امرئٍ يأتى الأمورَ بقدرةٍ متى ما يَرِدْ لم يعىَ بالأمر مصدرا

---

(١) البيت للخطيم التميمى ، جاهلى . ويروى لحسان بن ثابت ، كما فى اللسان (زنم) والكامل ٥٦٧ ليبسك . ورواه ابن فارس فى المقاييس (زنم) بدون نسبة . والزنيم المستلحق فى القوم وليس منهم . الأديم : الجلد . وفى الكنايات للجرجانى ١٥ : « ويكنون عن الدعى بأكارع الأديم . قال الفرزدق :

وأنت زنيم فى كليب زيادة كما زيد فى عرض الأديم الأكارع »

(٢) فى الأصل : « بالهجران » ولا يستقيم به الوزن ، و« عن قلا » : عن بغض قلاه يقليه ويقلوه. وفى الأصل : « عرقلا » ، تحريف. ويقال شجر الشىء : صرفه ونحاه .

(٣) يفهم من صنيع اللسان (سعف) أنه لأوس بن حجر . ولم أجده فى ديوانه .

(٤) أقاته : أعطاه قوته. ولعل الكلام : « وخير يوميه » .

(٥) البيت لزهير بن أبى سلمى فى ديوانه ١١٥ . الخطى : الرماح المنسوبة إلى الخط ، وهى جزيرة بالبحرين . والوشيج : القنا الملتف فى منبته ، الواحدة وشيجة . أى لا تنبت القناة إلا القناة ، ولا تغرس النخلة إلا بحيث يكون نباتها وصلاحها .

وإذا مرَّ بدار صديقٍ له، أنشد :

ألا حيِّ الدِّيارَ بسعد إنِّى ... أحبُّ لحبِّ فاطمةَ الدِّيارا[١]

وإذا حضر مجلسَ مناظرةٍ وطُلِب منه الكلامُ، جثا على ركبتيه وأنشد :

ولا يُنجِى من الغمرات إلاَّ ... بَرَاكاء القِتالِ أو الفِرارُ[٢]

وإذا ناظره فتى شابٌّ، أنشد:

كيف ترجونَ سِقاطى بعد ما ... جَلَّل الرأسَ مشيبٌ وصلَعْ[٣]

وإذا زاحمه خصماؤه وكثرُوا عليه ، أنشد :

إذا اجتمعوا علىَّ نخلِّ عنهم ... وعن أسدٍ مخالبه دوَامِ

إذا اجتمعوا علىَّ نخلِّ عنهم ... وخِربانٍ تصيد حُبارَياتِ[٤]

وإذا قيل له : إن فلاناً فى فضله فُضِّلَ عليه مَن دونَه ، أنشد :

كم قد رأينا من أسد ... بالت على رأسه ثعالب[٥]

وإذا قيل له أيضاً، أنشد :

صرتُ كأنِّى ذبالة نُصِبت ... تُضىء للناس وهى تحترقُ[٦]

وإذا استطال الليل ، أنشد :

أقول وليلتى تزدادُ طولاً ... أما لليلِ ويحكمُ نهارُ[٧]

---

(١) البيت لجرير فى ديوانه ٢٨٠ ومعجم اللسان (سعد) . وأنشده ابن فارس فى مقاييس اللغة (سعد) مع نسبته .

(٢) لبشر بن أبى خازم فى اللسان ومقاييس اللغة (برك). وهو ختام قصيدة له فى المفضليات ٢ : ١٤٥ . والبراكاء : الثبات فى الحرب والجد ، واصله من البروك .

(٣) لسويد بن أبى كاهل اليشكرى فى المفضليات ٢ : ١٩٨ . سقاطى : فترتى وسقطى. ويروى : « لاح فى الرأس » .

(٤) فى الأصل : « وحريان تصيد حباريان». الخربان بكسر الخاء: جمع خرب بالتحريك وهو ذكر الحبارى : ضرب من الطير .

(٥) كذا ورد صدر هذا البيت .

(٦) للعباس بن الأحنف فى ديوانه ١١١ والكامل ٥١٨ ليبسك ومحاضرات الراغب ١ : ٩ وديوان المعانى للعسكرى ١ : ٢٦٣ . الذبالة : الفتيلة التى تسرح فى المصباح . وقبل البيت :

أحرم منكم بما أقول وقد ... نال به العاشقون من عشقوا

(٧) البيت لبشار ، فى المختار من شعر بشار ص ٧ برواية : « أما لليل بعدهم نهار » .

وإذا مرضَ وعاده عُوَّادُه، أنشد :

وهل هى إلا علّةٌ بعد علّةٍ ... إلى العلة الكبرى وتلك هى التى

وإذا رأى رجالاً لا حَمِيَّة ولا مَنْعَة فيهم ، أنشد :

إذا ماعُدّ مثلُكم رجال ... فما فضلُ الرِّجالِ على النساءِ

وإذا اشتكى إليه إنسان إقلالاً [أنشد] :

إذاشئتَ أن تحيا غنيًّا فلا تكن ... بمنزلة إلا رضيتَ بدونها

وإذا رأى ذا ضغن صاحَبَ آخر، أنشد :

إذا أنت لم تستمَ وصاحبت مُسقِما ... وكنت له خِدْناً فأنت سقِيمُ

وإذا دخل عليه ثقيل، أنشد :

أيا جبلَىْ نُعمانَ باللهِ خلِّيا ... نسيمَ الصَّبا يخلُصْ إلىَّ نسيمُها[1]

وإذا جاد عليه بنزر يسير، أنشد:

توتيك نَزْراً قليلا وهى خائفة ... كما يخاف مَسِيسَ الحيَّةِ الفَرِق[2]

وهذه جمعيةٌ لم أظفر بمثلها ، فرحِمَ اللهُ مَن فَهِمها وحفظها ، وأوردَ كلَّ بيتٍ فى محلِّه ، ليجلَّ عند خِلِّه .

---

(١) البيت لمجنون ليلى، فى الأغانى ١ : ١٧٠/ ٥ : ٣٤ وحماسة ابن الشجرى ١٦٨، وهو فى أمالى القالى ٢ : ١٨١ بدون نسبة . وفى الأغانى ـ ونحوه فى حماسة ابن الشجرى : أن أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادى القرى قبل توحشه ليمتاروا خوفا عليه أن يضيع ويهلك فروا فى طريقهم بجبلى نعمان ، فقال له بعض فتيان الحى : هذان جبلا نعمان . وقد كانت ليلى تنزل بهما . قال : فأى الرياح يأتى من ناحيتهما ؟ قالوا : الصبا . قال : فو الله لا أريم هذا الموضع حتى تهب الصبا. فأقام ومضوا فامتاروا لأنفسهم ثم أتوا عليه فأقاموا معه ثلاثة حتى هبت الصبا ثم انطلق معهم . ففى ذلك يقول :

أيا جبلى نعمان بالله خليا ... نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها
أجد بردها أوتشف منى حرارة ... على كبد لم يبق إلا صميمها
فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت ... على نفس محزون تجلت همومها

(٢) البيت لابن هرمة . المختار من شعر بشار ٩٦. وصدره فيه : « تبدى بذاك سرورا وهى مشفقة كما يهاب » . فى الأصل: « وهى جائعة » ، صوابه ماأثبت. المسيس: المس. والفرق: الخائف الفزع .

رسالة فى أعجاز أبيات تغنى فى التمثيل عن صدورها

لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد

٢١٠ — ٢٨٥

مقدمة

وهذا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الأزدى البصرى النحوى الأديب الأخبارى، صاحب « الكامل » الذى يقول فيه ابن خلدون : « وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة : وهى كتاب الكامل للمبرد ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى ، وماسوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها » .

وكان الناس بالبصرة يقولون : « مارأى المبرد مثل نفسه » . ولما صنف أستاذه المازنى كتاب الألف واللام سأل المبرد عن دقيقه وعويصه فأجاب بأحسن جواب ، فقال له : قم فأنت المبرد ، بكسر الراء ، أى المثبت للحق، فغيره الكوفيون وفتحوا الراء .

وقد دلنى على كتابه هذا الصديق الكريم الأستاذ محمد بن تاويت الطنجى، فأسجل له هنا صادق الشكر .

وهذا الكتاب يشبه الكتاب السابق فى موضوعه، إذ هو فى الأمثال الشعرية، وإن اختلف الأسلوبان والمنهجان ، فإن أبا العباس لم يذكر هنا مضارب الأمثال كما ذكرها ابن فارس، ولم يذكر من الأبيات إلا أعجازها المغنية عن صدورها ، وليس هذا الأمر بالهين فى التأليف ، ومع أن أبا العباس قد ذكر نسبة معظم هذه الأعجاز فإنه اقتضانا البحث عن صدور هذه الأعجاز عند التحقيق .

وأصل هذا الكتاب مخطوطة فى دار الكتب الأزهرية برقم ٧٣٢٣ أباظة. وهو فى مجموعة تشمل بعض الكتب النفيسة ، منها قواعد الشعر لثعلب ، وفحولة الشعراء للأصمعى ، وشجر الدر فى متداخل اللغة لأبى الطيب اللغوى .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : هـذه أعجاز بيوت تغنى فى التمثيل عن صدورها .

قال أنس بن مدركة[1] الخثعمى ، وكنيته أبو سفيان[2] :

* لشىء ما يسوَّد من يسودُ[3] *

امرؤ القيس : * وكل غريبٍ للغريب نسيبُ[4] *

وقال : * وبالأشقَينَ ما كان العِقابُ[5] *

وقال : * والبرُّ خـير حقيبةِ الرَّحلِ[6] *

النابغة : * ولا قرار على زأر من الأسد[7] *

وقال : * وذلك من تلقاء نفسك رائع[8] *

---

(١) ومثله فى الأغانى ٧ : ١٦١ / ٩ : ١٦ والعينى ٤ : ٢٩٩ وحماسة ابن الشجرى ٤٩ . وفى الحيوان ١ : ١٨ / ٣ : ٨١ و ٤٦٩ والاشتقاق ٣٠٦ وشرح الحماسة للتبريزى ٢ : ١٩٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٢٨ وكتاب البسوس ٦ ومعجم البلدان (أيك ، صيدة) : « أنس بن مدركة » .

(٢) فى الأصل: « أبو الحسن » صوابه من كتاب كنى الشعراء لابن حبيب الملحق بكتاب أسماء المغتالين له ، مصورة دار الكتب المصرية ، ، وكذا الخزانة ١ : ٤٧٨ .

(٣) صدره : * عزمت على إقامة ذى صباح *

(٤) صدره . * أجارتنا إنا غريبان ها هنـــا *

انظر معجم البلدان (عسيب) والشعر والشعراء ٦٩ .

(٥) صدره : * وقاهم جـــدهم ببنى أبيهم *

ديوان امرئ القيس ١٦٠ .

(٦) صدره : * الله أنجـح ما طلبت به *

والبيت يروى لامرئ القيس بن عابس الكندى . الأغانى ٣ : ٩٤ .

(٧) صدره : * نبئت أن أبا قابوس أوعدنى *

(٨) صدره : * مقالة أن قد قلت سوف أناله *

وقال : * إذًا فلا بسطت سوطى إلىّ يدى[١] *

وقال : * وليس وراء الله للمرء مذهبُ[٢] *

وقال : * لمبلغك الواشى أغشُّ وأكذبُ[٣] *

وقال : * ولكن ما وراءكَ يا عصامُ[٤] *

وقال : * وهل يأثَمَنْ ذو إمَّة وهو طائع[٥] *

وقال : * سَبْقَ الجوادِ إذا استولى على الأمَدِ[٦] *

أنس بن أبى إياس[٧] : * وشـــديد عادة منتزعهْ[٨] *

زهير بن أبى سلمى : * وكانوا قديماً من مناياهم القتلُ[٩] *

وقال : * ولا محالةَ أن يشتاقَ من عشقا[١٠] *

---

(١) صدره : * ما قلت من سيء مما أتيت به *

(٢) صدره : * حلفت فلم أترك لنفسك ريبة *

(٣) صدره : * لئن كنت قد بلغت عنى خيانة *

(٤) صدره : * فإنى لا ألام على دخول *

وكان النابغة قد وفد على النعمان ليعوده ، وأراد الدخول فمنعه حاجب النعمان عصام بن شهبر . أى لا ألام على ترك الدخول إليه لأنى محجوب منه ، لغضبه على وخوفى إياه على نفسى . ويروى: « فإنى لا ألومك » .

(٥) صدره : * حلفت ولم أترك لنفسك ريبة *

(٦) صدره : * إلا لمثلك أو من أنت سابقه *

(٧) هو أنس بن زنيم بن محمية بن عبد بن عدى الكنانى ، وذكره صاحب المؤتلف ٥٥ . وانظر الحيوان ٥ : ٢٥٥ .

(٨) صدره كما فى مجموعة المعانى ١٧٣ :

* لا تهنى بعد إكرامك لى *

وقبله : سل أميرى ما الذى غيره عن وصالى اليوم حتى ودعه

ونسب البيت فى زهر الآداب ١ : ٢٥٣ إلى أبى الأسود الدؤلى .

(٩) صدره * فإن يقتلوا فيشتفى بدمائهم *

أى هم أشراف دماؤهم دواء من داء الكلب ، أو هم أشراف إذا قتلوا رضى بهم من قتلهم بهم يدرك ثأرة ويشتفى . من مناياهم القتل ، أى لا يموتون على فرشهم .

(١٠) صدره : * قامت تبدى بذى ضال لتحزننى *

وقال : * على آثار مَن ذهَبَ العفاء(١) *

عنترة : * والكفر مَخبثة لِنفس المُنعِمِ(٢) *

لبيد : * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذرْ(٣) *

وقال : * ومِن الأرزاء رزء ذو جَلَلْ(٤) *

طرفة : * ويأتيك بالأخبار من لم تزوِّدِ(٥) *

أبو خراش : * وإنما نوكَّل بالأدنَى وإنْ جلَّ ما يمضِى(٦) *

أبو ذؤيب : * والدهرُ ليس بمُعتِبٍ مَن يجزعُ(٧) *

وقال : * وإذا تُرَدُّ إلى قليل تَقنعُ(٨) *

حميد بن ثور : * وحسبك داءً أن تَصِحَّ وتَسلما(٩) *

أبو الأسود : * وما كل مؤتٍ نصحه بلبيب(١٠) *

القطامى : * وقد يكون مع المستعجل الزللُ(١١) *

عروة بن الورد : * ومبلغ نفسٍ عُذرَها مثلُ مُنجِحِ(١٢) *

جرير : * ليت التشكِّيَ كانَ بالعُوَّادِ(١٣) *

---

(١) صدره : * تحمل أهلها عنها فبانوا *

(٢) صدره : * نبئت عمرا غير شاكر نعمتى *

(٣) صدره : * إلى الحول ثم اسم السلام عليكما *

(٤) صدره : * وأرى أربد قد فارقنى *

(٥) صدره : * ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا *

(٦) صدره : * على أنها تعفو الكلوم وإنما *

(٧) صدره : * أمن المنون وريبها تتوجع *

(٨) صدره : * والنفس راغبة إذا رغبتها *

(٩) صدره : * أرى بصرى قد رابنى بعد صحة *

(١٠) صدره : * وما كل ذى نصح بمؤتيك نصحه *

(١١) صدره : * قد يدرك المتأنى بعض حاجته *

(١٢) صدره : * ليبلغ عذرا أو يصيب رغيبة *

(١٣) صدره : * ونزور سيدنا وسيد غيرنا *

وانظر ما سبق من تحقيق هذا البيت في كتاب ابن فارس ص ١٥١ .

وقال : * رأيت المرء يلزم ما استعادا[(١)] *

ومثله : * وكل امرئٍ جارٍ على ما تعوّدا[(٢)] *

الحطيئة : * ولا ترى طارداً للحرّ كالياسِ[(٣)] *

وقال : * لا يذهبُ العُرف بين الله والناسِ[(٤)] *

وقال : * ومن يسوّ بأنف الناقة الذّنبا[(٥)] *

دريد بن الصمة : * يضَع الهِنـــاء مواضعَ النُّقْبِ[(٦)] *

مالك بن الريب : * وكل بلادٍ أُوطِنت كبلادِ[(٧)] *

سالم بن وابصة : * إن التخلق يأتى دونه الخلق[(٨)] *

ابن الزِّبَعْرَى : * وعدلنـــاه ببدرٍ فاعتدل[(٩)] *

---

(١) صدره : * تعود صالح الأعمـال إنى *
والاستعادة هنا بمعنى التعود ، كما فى اللسان (عود) .

(٢) هذا تنظير فى الاستشهاد، والبيت لم يرد فى ديوان جرير ، فلعله استشهاد بشعر غيره .

(٣) صدره : * أزمعت ياسا مريحا من نوالكم *

(٤) صدره : * من يفعل الخير لايعدم جوازيه *

(٥) صدره : * قوم هم الأنف والأذناب غيرهم *

(٦) صدره : * متبذلا تبـدو محاسنه *
الهناء : القطران تهنأ به الإبل ، أى تطلى . والنقب : جمع نقبة ، وهى القطع المتفرقة من الجرب فى جلد البعير . وكانت الخنساء قـد خرجت فهنأت ذودا لهـا جربى ، ثم نضت عنها ثيابها واغتسلت ، ودريد يراها ولاتراه ، فقال فيها هذا الشعر ، وأوله كما فى الأمالى ٢ : ١٦١ :

حيوا تماضر واربعوا صحبى   وقفوا فإن وقوفكم حسبى

(٧) صدره : * وفى الأرض عن ذى الجور منأى ومذهب *
ونسبة البيت إلى مالك بن الريب غريبة ، فإن أبا تمام رواه فى الحماسة ١ : ٢٧٨ للفرزدق من أبيات ، وهى فى ديوان الفرزدق ١٩٠ . ونسب فى حماسة البحترى ١٨٠ إلى رجل من تميم . والفرزدق تميمى .

(٨) صدره : * عليك بالقصد فيما أنت فاعله *
ونسبته إلى سالم بن وابصة تطابق مافى الحماسة ١ : ٢٩٥ . ونسب فى حماسة البحترى ٣٥٨ إلى ذى الإصبع العدوانى . وصدره فى الأخيرة :

* اعمد إلى الحق فيما كنت فاعله *

(٩) كذا فى الأصل . ورواية السيرة ٦١٦ جوتنجن والحيوان ٥ : ٥٦٥ : « وعدلنا ميل بدر » ، وصدره فى السيرة :

* فقتلنا الضعف من أشرافهم *

=

الأخطل : * والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبرُ[١] *

يزيد بن مفرغ : * والحـــــر تكفيه الملامه[٢] *

عَبْدة بن الطبيب : * وفىّ لمصـــلح مُستمتَعُ[٣] *

وقال : * والعيش شُحٌّ وإشفاق وتأميلُ[٤] *

وقال : * أعرافُهنَّ لأيدينـــا مناديلُ[٥] *

عمر بن أبى ربيعة : * إنمـا العاجز مَن لا يســـتبدّ[٦] *

وقال : * حسَنٌ فى كلِّ عينٍ من يودّ[٧] *

وقال : * وجوهٌ زهاهَا الحسنُ أن تتقنعا[٨] *

وقال : * وحديث النفس قدما وَلوعُ[٩] *

العُدَيل بن الفرخ : * وما على الحرِّ إلا الحلفُ مجتهدا *

الحارث بن وعلة : * والقـــول تحقره وقد يَنْمِى[١٠] *

= وفى الحيوان : * وقتلنـــا الضعف من ساداتهم *

(١) صدره : * حتى استكانوا وهم منى على مضض *

(٢) صدره : * العبـــد يقرع بالعصـــا *

(٣) هو بتمامه كما فى المفضليات ١ : ١٣٤ :

أبنى إنى قد كبرت ورابنى   بصرى وفى لمصلح مستمتع

(٤) صدرة : * والمرء ساع لأمر ليس يدركه *

(٥) صدره : * ثمت قمنا إلى جرد مسومة *

(٦) صدره : * واستبدت مرة واحـده *

وقبله : ليت هندا أنجزتنا ماتعد   وشفت أنفسنا مما نجد

(٧) كذا بالياء ، وتقرأ بالبناء للمفعول . ويروى بالتاء . وصدره :

* فتضاحـــكن وقد قلن لهـــا *

(٨) صدره : * فلما تواقفنا وسلمت أشرقت *

(٩) صدره : * إن همى قـد نفى النوم عنى *

(١٠) صدره : * أن يأبروا نخـلا لغـيرهم *

وقبله فى الحماسة ١ : ٦٥ :

لا تأمنن قوما ظلمتهم   وبدأتهم بالشتم والرغم

الخنساء : * كأنه علم فى رأسه نارُ[١] *

الأسود بن يعفر : * والدهر يُعقِب صالحاً بفسادِ[٢] *

عبد الله بن معاوية : * ولكن عين السخط تبدى المساويا[٣] *

نُصيب : * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائبُ[٤] *

قَعنب بن أمِّ صاحب : * زَكِنت منهم على مثل الذى زَكِنوا[٥] *

ابن الدمينة : * على ذاك قرب الدار خير من البعدِ[٦] *

الطائية[٧] : * وكيف بتركى يا ابن أمِّ الطبائعا *

أشجع بن عمرو : * ما أخَّر الحزمَ رأىٌ قدم الحذَرا[٨] *

---

(١) صدره : * وإن صخرا لتأتم الهداة به *

(٢) صدره : * فإذا وذلك لا مهاه لذكره *
وهو آخر قصيدة له فى المفضليات ٢ : ١٥ — ٢٠ .

(٣) صدره : * وعين الرضا عن كل عيب كليلة *

(٤) صدره : * فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله *
انظر ماسبق من التحقيق فى كتاب ابن فارس ص١٤٢ .

(٥) صدره : * ولن يراجع قلبى حبهم أبدا *

(٦) صدره : * وقد زعموا أن المحب إذا دنا *

(٧) هى غنية بنت عفيف بن عمرو بن عبد القيس ، وهى أم حاتم ، كانت من أسخى النساء وأقراهن للضيف ، وكانت لا تليق شيئا تملكه ، فلما رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها ، فمكثت دهرا لا تصل إلى شىء ولا يدفع إليها شىء من مالها ، حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من إبلها ، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها كل سنة تسألها ، فقالت لها : دونك هذه الصرمة فخذيها ، فقد والله مسنى من ألم الجوع ما آليت معه ألا أمنع الدهر سائلا شيئا . ثم أنشأت تقول :

لعمرى لقدماً عضنى الجوع عضة فآليت ألا أمنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائمى اليوم أعفنى فإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا
فماذا عسيتم أن تقولوا لأختكم سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا
ولا ما ترون الخلق إلا طبيعة فكيف بتركى يا ابن أم الطبائعا

انظر الأمالى ٣ : ٢٣ .

(٨) صدره كما فى عيون الأخبار ١ : ٣١ :

* رأى سرى وعيون الناس هاجعة *

ابن أبى عيينة : * فالصبر من كلِّ أمرٍ فائتٍ خلفُ *

البكرى(١) : * إن بنى عمِّكَ فيهـم رماحُ(٢) *

أبو حفصٍ الشطرنجى : * لو صح منك الهوى أرشدتَ للحيلِ *

دعبل : * ضحك المشيبُ برأسـه فبكى(٣) *

دعبل : * كان يُنهَى فنَهَى حيث انتهى *

المعكى : * حلّمنى قـلة أكفائى *

محمود : * فاصبر فإن الدهر لا يصـبر *

عباس بن الأحنف : * من عالج الشوقَ لم يستبعد الدارا(٤) *

آخر : * والمشربُ العذبُ كثير الزحام(٥) *

آخر : * إن النَّدَى حيث ترى الضِّغاط(٦) *

آخر : * من فاته العين لم يستبعد الأثرا(٧) *

---

(١) فى البيان والتبيين ٣ : ٢٣٤ ومعاهد التنصيص ١ : ٢٧ أنه حجل بن نضلة .

(٢) صدره : * جاء شقيق عارضا رمحه *

(٣) صدره : * لا تعجبى يا سلم من رجل *

(٤) سبق فى حواشى كتاب ابن فارس ص١٥٦ . وصدره كما فى ديوان العباس ٧٣ :

* ستقرب الدار شوقا وهى نازحة *

وفى محاضرات الراغب :

* يقرب الشوق دارا وهى نازحة *

(٥) صدره : * يزدحم النـاس على بابه *

وهو بدون نسبة فى عيون الأخبار ١ : ٩٠ .

(٦) هذا ليس عجزا من أعجاز الشعر ، بل هو شطر من أشطار الرجز . والرجز فى البيان ١ : ١٧٧ والحيوان ٥ : ٤٥٤ . وأنشد الجاحظ الشطر فى البخلاء ٢٠٣ وابن قتيبة فى عيون الأخبار ١ : ٩١ . والضغاط بالكسر : الزحام .

(٧) أى من فاته عن شئ فإنه يقنع بتتبع أثره . وأما من فاز بعين الشيء فإنه لا يهتم بتتبع أثره ، كما جاء فى أمثالهم للرجل يترك شيئا يراه ثم يتبع أثره بعد فوت عينه : « تطلب أثرا بعد عين » . وصدره كما فى مجالس الزجاجى ١٢٣ :

* أظل من حبها فى بيت جارتها *

آخر : * أنّ السلامة منها تَركُ ما فيها[١] *

آخر : * وما لا ترى مما بقى اللهُ أكثرُ *

آخر : * وإن الصِّبا لَلعيشُ لولا العواقبُ *

آخر : * سَقَطَ العَشاء بهِ على سِرْحان[٢] *

آخر : * إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصارا[٣] *

آخر : * ناب وقد تَقطعُ الداويّةَ النابُ *

آخر : * أذِن الخِوانُ برغم أنف الحاجِبِ[٤] *

آخر : * لا يحسنُ البرُّ إلا بعد إنصافِ *

آخر : * لا خير فى لذة من بعدها النـار *

آخر : * والهجر خيرٌ من الفراقِ *

---

(١) لسابق البربرى ، كما فى محاضرات الراغب ١ : ٢٥١ . وسابق البربرى هذا شاعر أموى . ترجم له فى الخزانة ٤ : ١٦٤ . وصدر البيت :

* النفس تكلف بالدنيا وقد علمت *

(٢) قيل إن السرحان هنا الذئب ، وأن رجلا خرج يلتمس العشاء فوقع على ذئب فأكله الذئب . وقيل سرحان رجل من غنى كان يقال سرحان بن هزلة ، وكان بطلا فاتكا يتقيه الناس ، فقال رجل يوما : والله لأرعين إبلى هذا الوادى ولا أخاف سرحان بن هزلة . فورد بإبله ذلك الوادى فوجد به سرحان وهجم عليه فقتله وأخذ إبله ، وقال :

أبلغ نصيحة أن راعى أهلها ... سقط العشاء به على سرحان

سقط العشاء به على متقمر ... طاق اليدين معاود لطعان

وفى اللسان (قمر) أن هذا الشعر لعبد الله بن عنمة الضبى .

(٣) أنشد هذا العجز فى أمثال الميدانى ١ : ٢٧ وقال : « يضرب مثلا للمدل بنفسه إذا بلى بمن هو أدهى منه وأشد » .

(٤) قيل إن البيت لبشار ، وقيل هو لغيره . عيون الأخبار ١ : ٨٦ . وفيه :

تأبى خلائق خالد وفعاله ... إلا تجنب كل أمر عائب

فإذا أتيت الباب وقت غدائه ... أذن الغداء برغم أنف الحاجب

وفى محاضرات الراغب ١ : ٣١٠ : « وإذا حضرنا الباب عند غدائه » .

آخر : * فبينما العسر إذْ دارت مياسير[(١)] *
آخر : * وتَعلَمُ قومى حين أنزعُ من يَرمِى *
آخر : * لـكلِّ أناسٍ من بعيرهم خُبُرْ[(٢)] *
آخر : * كَـفًّا مطلَّقـــةٍ تفتُّ اليَرمعا[(٣)] *
آخر : * إنَّمَا الجودُ للمقِـــلِّ المُواسِى *
آخر : * قد ذلَّ مَن ليس له ناصر[(٤)] *
آخر : * ذهب القضاء بحيـــلة الأقوامِ *

(تمت والحمد لله وحده)

---

(١) صدره : * فاستقدر الله خيرا وارضين به *
وللشعر قصة فى عيون الأخبار ١ : ٢ : ٣٠٥ . وانظر مجالس ثعلب ٢٦٥ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٣٩ ونزهة الألبا ٣٤ والمعمرين ٤٠ والعقد ١ : ٣٨١ بولاق ودرة الغواص ٣١ وأسد الغابة ٣ : ٣٥١ . ونسب الشعر فى المختار من شعر بشار ٢١٣ إلى نويفع بن لقيط الفقعسى ، وفى شرح شواهد المغنى ٨٦ لعثير بن لبيد العذرى ، أو حريث بن جبلة ، وفى تاج العروس (دهر) لأبى عيينة المهلبى .

(٢) يضرب فى معرفة كل قوم بصاحبهم . ويروى : «فى جميلهم» : مصغر جمل. البيان ١ : ٢٣٨ / ٣ : ٣٠٠ والميدانى ٢ : ١١٤ ــ ١١٥ واللسان (جمل) .

(٣) اليرمع : حجارة لينة رقاق بيض تلمع . وأنشد هذا العجز فى اللسان (رمع) . وقال الميدانى فى أمثاله فى باب الكاف : « يضرب للرجل ينزل به الأمر يبهظه فيضج ويجلب فلا ينفعه ذلك » .

(٤) من بيتين فى اللسان (عمر) وسمط اللآلى ١٧٤ والتنبيه على أمالى القالى ٣٠ . وهما:

قامت تبـكيه على قبره   من لى من بعدك ياعامر
تركتنى فى الدار ذا غربة   قد ذل من ليس له ناصر

كتاب العصا(*)

لأبى المظفر أسامة بن منقذ

٤٨٨ — ٥٨٤

(*) عثرت قريباً على مخطوط لكتاب العصا محفوظ بمكتبة خدابخش بتمنه، ومنه نسخة مصورة بمعهد إحياء المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية، أرشدنى إليها الأخ الأستاذ رشاد عبد المطلب. وهذه النسخة تدل بصفة قاطعة على أن نسختنا هذه ما هى إلا مختصر متواضع لكتاب العصا .

وقد أجريت فى هذه الطبعة الثانية مقابلة على هذا المخطوط فى هذه المواضع المختارة، مشيراً إلى المخطوط بالرمز (خ) . وعسى أن أوفق إلى نشر هذا المخطوط مستقلا بعد دراسته وتحقيقه بعون الله .

مقـــــدمة

أسامة بن منقذ[1] :

فى قلعة شيزر ، على بعد خمسة عشر ميلا من الشمال الغربى لحماة ، ولد الأمير أبو المظفر أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى الشيزرى ، الملقب مؤيد الدولة مجد الدين ، وذلك فى يوم الأحد ٢٨ من جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ ، وهذا العام هو الذى ألقى فيه البابا (أوربانوس الثانى) خطابه محرضاً المسيحيين على انتزاع بيت المقدس من أيدى المسلمين . وعاش أسامة حياته الطويلة المعمرة معاصراً للحروب الصليبية إلى أن نال صلاح الدين الأيوبى انتصاراته الفاصلة فى تلك الحروب ، ثم قضى أسامة نحبه فى ليلة الثلاثاء ٢٣ من رمضان سنة ٥٨٤ .

نشأ أسامة فى كنف أبويه وعمه وجدته فى أسرة جل رجالها فرسان محاربون فشب على الفروسية والجرأة النادرة وممارسة الصيد ، وملاقاة الأسود ، وعنى أبوه بتثقيفه ، فكان يحضر له كبار الشيوخ يقبس هو وإخوته منهم العلم ، فكان شيخه فى الحديث أبا الحسن على بن سالم السنبسى ، وفى الأدب أبا عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن المنيرة ، كما قرأ النحو عشر سنين على سيبويه زمانه أبى عبد الله الطليطلى النحوى . وسمع منه الحافظ أبو سعد السمعانى صاحب كتاب الأنساب (٥٠٦—٥٦٢) والحافظ ابن عساكر (٤٩٩—٥٧١) والعماد الأصبهانى (٥١٩—٥٩٧) والحافظ عبد الغنى المقدسى (٥٤١—٦٠٠) .

وخرج أسامة من شيزر سنة ٥٣٢ فأقام بدمشق نحواً من ثمانى سنين فى رعاية صديقه معين الدين أنر ، وزير شهاب الدين محمود ، حتى نبت به دمشق

(١) ترجم له ابن عساكر فى تاريخ دمشق والسمعانى فى الأنساب فى رسم (الشيزرى) وابن خلكان فى الوفيات ، وأبو شامة فى الروضتين ، وابن الأثير ، وصاحب النجوم الزاهرة والذهبى فى تاريخ الإسلام ، وياقوت فى إرشاد الأريب ، والعماد الأصبهانى فى الخريدة ، كما ترجم هو لنفسه فى كتاب الاعتبار . وانظر دائرة المعارف الإسلامية ، ومقدمة الأستاذ الكبير الشيخ أحمد شاكر للباب الآداب ، والدكتور فيليب حتى لكتاب الاعتبار . وقد اختصه صديقنا الأستاذ محمد حسين مراقب الفهارس بدار الكتب المصرية بدراسة شاملة تعد أوسع وأغزر ما كتب فى أسامة .

فسار إلى مصر فدخلها يوم الخميس فى الثانى من جمادى الآخرة سنة ٥٣٩ فلقى فيها إكراما من الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله عبد المجيد بن المنتصر العلوى . ثم ولى الخلافة ابنه الأصغر الظافر بأمر الله أبو منصور إسماعيل من سنة ٥٤٤—٥٤٩ وكان وزيره على بن السلار الملقب بالملك العادل . وهذا أرسل أسامة فى سفارة حربية سياسية إلى الملك العادل نور الدين بن زنكى .

وبعد حروب ووقائع استدعاه على بن السلار إلى مصر فمكث بها إلى سنة ٥٤٩ ، ثم غادرها مكرهاً بعد اغتيال الخليفة الفاطمى الظافر الذى حدثت فى عهد خلافته أحداث وفتن قتل فى أثنائها الخليفة ووزيره، وذهب المؤرخون أن لأسامة يداً فى قتلهما . وأما أسامة فإنه يحاول تبرئة نفسه من ذلك[1] .

ورجع أسامة من مصر إلى دمشق فأقام بها ردحا من الزمن ، ثم رحل بأهله وولده إلى حصن كيفا وأقام بها إلى أن استولى صلاح الدين الأيوبى على دمشق سنة ٥٧٠ . وكان لأسامة ولد يدعى « أبا الفوارس مرهف بن أسامة » وكان ذا منزلة عالية عند صلاح الدين ، فظل يصنع لأبيه عند السلطان حتى استدعاه إلى دمشق وهو شيخ قد تخطى الثمانين ، فحاز إعجاب صلاح الدين وتقديره وجعله من خاصته بمنزلة المؤامر المستشار . وظل أسامة فى دمشق حتى وافته منيته .

مؤلفاته :

ألف أسامة فى ضروب شتى من العلم ، وأشهر كتبه كتاب (الاعتبار) ألفه وهو ابن تسعين ، وقد نشر مرتين إحداهما بتحقيق درنبورغ ، والأخرى بتحقيق الدكتور فيليب حتى . وكتاب (لباب الآداب) ألفه وهو ابن إحدى وتسعين ، وأول ناشر له هو الصديق الجليل الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر . و (البديع) فى نقد الشعر . و (الشيب والشباب) عارض به الشريف المرتضى، قال فيه أسامة : « فمن وقف عليه من الفضلاء عرف ما بينه وبين كتاب الشهاب فى ذكر الشيب والشباب تأليف المرتضى رضى الله عنه، وعلم أن الفضل المقدم فى البيان لا فى التقدم

(١) الاعتبار ٦ ـ ٢٩ .

فى الزمان(١) » . و (ديوان أسامة) وقد صنعه بنفسه كما نص فى كتاب العصا .
ومنه نسخة قديمة تاريخ كتابتها سنة ٦٨٨ دخلت فى خزانة دار الكتب المصرية فى ديسمبر سنة ١٩٤٧ برقم ٦٨٧٧ ز ، وصورت منها صورتان شمسيتان اعتمدت على إحداهما فى معارضة شعر أسامة .

كتاب العصا :

على أن الذى يعنينا الآن من مؤلفات أسامة هو كتاب العصا . وليس هذا العنوان من ابتداع أسامة، فإنه يذكر لنا فى مقدمة كتابه هـذا ، الباعث له على هذا التأليف، وهو قصة قصها عليه والده جاء فيها على لسان أبى يوسف القزوينى مخاطبا أبا الحسن بن بوين حين أمسك من كتبه كتاباً يسمى « العصا » لمؤلف ضاع اسمه. « ما أحوجك أن يكون مافى يدك فوقها » . قال أسامة(٢) : « ولى منذ سمعت هذا نحو من ستين سـنة أتطلب كتاب العصا بالشام ومصر والعراق والحجاز والجزيرة وديار بكر فلا أجـد من يعرفه . وكلما تعذر وجوده ازددت حرصا على طلبه ، إلى أن حدانى اليأس منه على أن جمعت هذا الكتاب وترجمته بكتاب العصا ، ولا أدرى أكان ذلك الكتاب على هـذا الوضع أم على وضع غيره . . . ولا أرتاب أن مؤلف ذلك الكتاب وقع له معنى فأجاد فى تنميته وتأليفه ، وأنا فاتنى مطلوب ففزعت إلى تجويزه وتلفيقه » . ويدور فى خلدى أن ذلك الكتاب الذى ظل أسامة يبحث عنه دهراً إنما هو « كتاب العصا » للجاحظ، وهو من مشتملات كتاب البيان والتبيين وأن أسامة إنما التبس عليه الأمر فظن ذلك الكتاب الذى دار حوله الحديث كتاباً مستقلا لمؤلف آخر غير الجاحظ ، على حين عرف هو كتاب العصا للجاحظ ، وقرأه واقتبس منه كثيراً فى كتابه هذا .

وهـذا الكتاب الذى ضمنه الجاحظ الجزء الثالث من البيان والتبيين إنما كان محوره مزاعم الشعوبية الذين ذكروا فى مثالب العرب أنهـم يعتمدون فى خطبهم على العصا ويتكئون على القوس ، « وليس بين الكلام والعصا سبب ،

(١) لباب الآداب ٣٧٧١ . (٢) فى مقدمته لكتاب العصا .

ولا بينه وبين القوس نسب ، وهما إلى أن يشغلا العقل ويصرفا الخواطر ويعترضا على الذهن أشبه ، وليس فى حملهما ما يشحذ الذهن ، ولا فى الإشارة بهما مايجلب اللفظ . . . وحمل العصا بأخلاق الفدادين أشبه، وهو بجفاء العرب وعنجهية أهل أهل البدو ، ومزاولة إقامة الإبل على الطرق أشكل ، وبه أشبه(١) » .

وقد انبرى الجاحظ لهم فى إسهاب جميل معلنا مزية العصا ومحاسنها ، فهو يسوق الأخبار والأشعار ، ويزجى الأمثال واللغات ، والبراهين والحجج على عظم شأن العصا وكريم فضلها ، وشدة الحاجة إليها ، وقيامها مقام سائر السلاح فى القتال .

وقد نهج أسامة فى صدر كتابه هذا منهجاً مقارباً لمنهج الجاحظ، ولكن تآليف أسامة تأبى إلا أن تحمل طابع تأليفه ، وهو العناية الظاهرة بسرد ما يعرض له فى حياته من أحداث وما يتلقفه من أخبار ، ولا سيما أخبار الصالحين والزهاد(٢) ، وكذا أخبار الإفرنج وإبداء رأيه فى أخلاقهم وسياستهم .

وهو لاينسى أن يوشع تأليفه هـذا بعرض طائفة من أشعاره ، كما صنع فى كتابه الاعتبار ، وكتاب لباب الآداب .

ومما هو بالذكر جدير أن كتاب العصا قد أدى إلينا من شعر أسامة ثروة لا يستهان بها، وهى تسعون بيتاً زائداً على شعر ديوانه الذى سبقت الإشارة إليه، كما أدى إلينا نصا نادراً لأبى العلاء المعرى ، هو نموذج من كتاب (القائف) الذى طوته أحداث الزمان .

نسخة كتاب العصا :

هذه النسخة هى إحدى نسخ ثلاث معروفة :

الأولى نسخة ليدن رقم ٣٧٠ وعليها تاريخ ١٠٩٤ . ومن هذه النسخة نشر درنبورغ Derenbourg مقتطفات منها مع أخرى من ديوان أسامة بعنوان (Anthologie de textes Arabes inédits par Ousama et sur Ousama) وذلك فى باريس سنة ١٨٩٣ .

---

(١) البيان ٣ : ١٢ .
(٢) انظر قصة جرار، وقصة حسن الزاهد.

والثانية نسخة الأمبروزيانا بميلان، ورقمها ١٢٥ H وتاريخ نسخها سنة ١٠٦٧.

والثالثة نسختنا هذه ، وربما كانت تمت بسبب إلى إحدى النسختين السابقتين فإنها مكتوبة بخط حديث في كراسة حديثة أكل الفأر بعض أطرافها . وقد أمكنني عند التحقيق سد تلك الثغرات والإشارة إليها في مواضعها ، وهي ثغرات قليلة[1] .

وهذه النسخة هي التي تفضل الأستاذ الكبير (الدكتور أحمد أمين بك) فأشار على أن أقوم بتحقيقها ونشرها، وثنى بإرسالها إلى في صحبة رسول كريم ، فكان ذلك إسهاما كريما في (نوادر المخطوطات) . فإليه أزجى أجل الشكر وصادق الثناء.

وبدا لي بعد ما استنسخت صورة من هذا الكتاب وعارضتها بالأصل أن أقترح على حضرته إهداء الأصل إلى دار الكتب المصرية في عهد مديرها الكاتب الكبير (الأستاذ توفيق بك الحكيم) صاحب (العصا) ، فوافق هذا الاقتراح منه مناسبة أدبية موفقة . وقد حفظت هذه النسخة بدار الكتب برقم ١٩٨١٣ ز .

العصا لا القضا :

وكان صديقي العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر في مقدمته لكتاب (لباب الآداب) لأسامة قد أشار إلى كتاب العصا، واستظهر أن يكون صوابه «القضا» لا العصا، وبعد فترة من الزمن حين وقعت نسخة كتاب العصا إلى الأستاذ الكبير أحمد أمين بك كتب مقالا في مجلة الثقافة[2] يقطع الشك باليقين في تسمية هذا الكتاب ، ويعين أن اسمه « العصا » لا القضا ، وعرف بالكتاب تعريفاً في مقاله هذا ، وعرض طائفة من مشتملاته ، وقد أخبرني ـ حفظه الله ـ في لقاء قريب ، أن نسخته هذه وقعت إليه منذ نحو ثماني سنوات في أوراق وكتب اشتراها من مكتبة المرحوم (السيد محمد أمين الخانجي[3]) .

وإليك نص كتاب العصا :

---

(١) أشير إلى ذلك بوضعه بين علامتي التكملة [ ] .

(٢) نشر أيضا في فيض الخاطر ٤ : ١٤٣ ـ ١٤٧ .

(٣) هذا ما ذكره لي المغفور له الأستاذ أحمد أمين، وحين اطلع على هذا الأخ السيد محمد نجيب أمين الخانجي أخبرني أن شراء هذه المخطوطة كان منه لا من والده الذي توفي سنة ١٣٥٨هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه البررة المتّقين، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، صلاةً دائمة إلى يوم الدين.

وبعد فإنّ النفس ترتاح لما سمعت، وتُلحّ في الطَّلب إذا مُنِعت. وكان الوالد السعيد مجد الدين أبو سلامة مرشد بن علي بن مقلَّد بن نصر بن منقذ رضي الله عنه، حدّثني أنّه لما توجه إلى خدمة السلطان مَلِكْشاه[1] رحمه الله، وهو إذ ذاك بأصفهان قصد القاضي الإمام الصدر العالم أبا يوسف القزويني رحمه الله، عائداً ومسلِّماً، بمعرفة قديمة كانت بينهما، ويَدٍ كانت عنده للجدّ سديد الملك ذي المناقب أبي الحسن عليّ بن مقلّد رحمه الله. وذاك أن القاضي المذكور سافر إلى مصر في أيام الحاكم صاحب مصر، فأحسن إليه وأكرمه ووصله بصلات سنية، فاستعفى منها وسأله أن يجعل صلته كتباً يقترحها من خِزانة الكتب، فأجابه إلى ذلك، فدخل الخزانة واختار منها ماأرادهُ من الكتب، ثم ركب في مَركَب وتلك الكتبُ معه، يريد بلاد الإسلام التي في الساحل، فتغيّر عليه الهواء فرمى بالمركب إلى مدينة اللاذقية وفيها الروم، فبعِلَ بأمره[2] وخاف على نفسه وعلى مامعه من الكتب، فكتب إلى جدي سديد المُلك رحمه الله تعالى كتاباً يقول فيه: «قد حصلت بمدينة[3] اللاّذقية بين الروم، ومعي كتب

---

(١) هو السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان بن محمد بن داود بن ميكائيل، جلال الدولة أبو الفتح السلجوقي، ثالث ملوك السلاجقة، تولى الملك بعد أبيه ألب أرسلان سنة ٤٦٥، وتوفى سنة ٤٨٥ هو ووزيره نظام الملك الحسن بن إسحاق، صاحب المدرسة النظامية.

(٢) بعل بأمره: برم وضجر فلم يدر كيف يصنع فيه.

(٣) هذا مافي خ. وفي الطبعة الأولى: ع [ند].

الإسلام ، وقد وقعت لك رخيصا فهل أجدك حريصا » . فسيّر إليه من يومه ولدَه عمى عِزّ الدولة أبا المـ[رهَف[1]] نصراً رحمه الله ، وسيّر معه خيلا كثيرا من غلمانه وجنده ، وظَهراً لركوبه وحمل أثقاله ، فأتاه وحَمَله وما معه فأقام عند جدّى رحمه الله مدّة طويلة ، وكانت له بالوالد رحمه الله عنايةٌ وإلف ، فلما اجتاز ببغداد قصده ليجدِّد به عهدا ، فحدثنى رحمه الله قال :

دخلت عليه ومعى الشيخ أبو الحسن على بن البُوَين الشاعر ، وهو كاتب كان لجدّى رحمه الله ، فوجدته قد بلغ من العمر إلى ماغيَّرَ ما كنت أعرفه فيه ، ونسى كثيراً مما كان يذكره ، فلما رآنى عَرَفنى بعد السُّؤال ، لأنَّه فارقَنى وأنا صبىٌّ ورآنى وأنا رجل ، فاستخبرنى عن طريقى ، فعرَّفته توجُّهى إلى دَرْكاه السُّلطان[2] ، فقال : تبلِّغ خواجا بُزُرْك نظام الدِّين[3] سلامى ، وتعرفه إن الجزء الأول من التفسير الذى قد جمعته قد ضاع ، وهو تفسير « بسم الله الرحمن الرحيم » واسأله أن يأمر باستنساخه من النسخة التى فى خزانته وينْفُذه لى . وكان جَمَع تفسير القرآن فى مائة مجلد ، وكان لضعفه وكبره مستنداً بين الجالس والمستلقى على فراش له ، وحوله كتب كثيرة ، وهو يكتب ، فسلَّم عليه الشيخ أبو الحسن بن البُوَين كاتب الأمير سديد الملك . قال : البوين أى شىء هو ؟ لعن الله البُوَين ! ثم فكّر هنيهة وقال : أنت الشاعر النحوى الكاتب ؟ قال : نعم . فأنشد :

قالوا الشُّلامىُّ فقلت اطبِقى ذا مِحلبانُ الضَّرع لبّانُ[4]

ثم عاد إلى حديثه معى فلمح الشيخَ أبا الحسن وقد أخذ كتاباً من تلك

---

(١) التكملة من خ والنجوم الزاهرة ٥:١٦٣ . وهو أبو المرهف نصر بن على بن مقلد ابن نصر بن منقذ . وقد تولى شيزر سنة ٤٧٩ وتوفى سنه ٤٩٢ .

(٢) الدركاه : القصر ، فارسيته دركاه ، ومعناه الباب والسدة والدار ، مركب من «در» أى باب ، ومن « كاه » أى محل ، الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ٦٢ .

(٣) كذا فى الأصل . وفى الألفاظ الفارسية المعربة ٢٢ : « البزرك فارسى محض ، ومعناه المعظم ، لقب به الوزير نظام الملك » . وانظر كتاب الاعتبار ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٤) محلبان ، عنى به المبالغة من الحلب ، ولم أجده فى معجم .

الكتب التى حول فراشه فقال : يدخل الإنسان وينبسط ويقرأ ماعنده[1] من الكتب ، أى إنِّى من أهل العلم ، ماأحوجك أن يكون مافى يدك فوقها ! فألقاه من يده ، وكان الكتاب كتاب العصا .

ولى منذ سمعت هذا نحو من ستين سنة أتطلب كتاب العصا بالشام ومصر والعراق والحجاز والجزيرة وديار بكر فلا أجد من يعرفه، وكلَّما تعذَّره وجودُه ازددت حِرصاً على طلبه ، إلى أن حدانى اليأس منه على أن جمعت هذا الكتاب وترجمته بكتاب العصا . ولا أدرى أكان ذلك الكتاب على هذا الوضع أم على وضعٍ غيره . على أنِّى قد بلَّغت النفس مُناها ، وكانت حاجةً فى نفس يعقوب قضاها . ولا أرتاب فى أن مؤلِّف ذلك الكتاب وقَع له معنًى فأجاد فى تأليفه وتنميقه ، وأنا فاتنى مطلوب ففرغت إلى تجويزه وتلفيقه[2] . وكتابى هذا وإن كان خالياً من العلوم التى يتجمَّل [أصحاب[3]] التصانيف بها، ويرغب أولو الفضل فى طلبها ، فما يخلو من أخبار وأشعار تميل النفوس إليها، ويحسن موقعُها ممن وقَف عليها . وقد افتتحته بذكر عصا موسى عليه السلام ، ثم ذكر عصا سليمان بن داود عليه السلام، ثم أفَضْت فى ذكر الأخبار والأشعار التى يأتى فيها ذكر العصا . ولا أدّعى أنى أتيت على ذكر العصا فيما جمعته ، وإنما أدرت منه ماحفظتُه وسمعته . وبالله عزّ وجل أعو[ذ] وأعتصم، من أن تكتب يدى مايؤثم وَيَصِم[4] . ومن رحمته تعالى أطلب الصفح والغفران ، عن اشتغالى بالترهات عن تلاوة القرآن ، وهو سبحانه أقرب م[دْعوّ] ، وأكرم مرجوّ .

---

(١) كذا : ولعله يريد « مايلقاه فى مجلسه » .

(٢) فرغ إلى الشيء: عمد له وقصد. وفى حديث أبى بكر : « افرغ إلى أضيافك »، أى اعمد واقصد . والتجويز : الإنفاذ والإمضاء ، وليس ما يضطرنا إلى تصحيحها لتكون : « تحويره » .

(٣) ليست فى الأصل.

(٤) يصم ، من الوصم ، وهو العيب.

فصل فى تسمية العصا

قال أبو بكر محمد بن دريد رحمه الله[١] : إنما سميت العصا عصا لصلابتها، مأخوذ من قولهم عَصّ الشىء وعَصَا وعسا[٢]، إذا صلُب. واعتصَت النواة، إذا اشتدّت. فإنما العصا مثل يضرب للجماعة. يقال شقّ فلان عصا المسلمين والجماعة. وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إياك وقتيل العصا[٣] » يريد المفارق للجماعة فيقتل. وألقى الرجل عصاه، إذا اطمأنّ مكانَه. ويقال عصا وعصوان، والجمع العُصِىّ[٤]، وأعصَى الكرمُ، إذا خرجَ عيدانُه[٥]. وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : «لا ترفع عَصاكَ عن أهلك » يراد به الأدب. ويقال لعظام الجناح عِصِىّ. وعَصَوت الجرح، إذا داويته[٦]. والعصيان : خِلاف الطاعة. قال دريد بن الصمة :

فلما عَصَونى كنتُ منهمْ وقد أرى غَوايتَهم وأنى غير مهتدِ[٧]

وقد سمِّيت الهراوة، وجمعها[٨] هَراوَى. قال ابن فارس فى كتاب مجمل اللغة: هَرَوته بالهِراوة، إذا ضربتَه بها.

قال العباس بن مِرداس السُّلَمى أبياتاً ذكر فيها الهراوة أنا ذاكراها ومورِدُها لحسنها وجزالتها، وهى من مختار الشعر. وقد اختارها أبو تمام حبيب ابن أوس الطائى فى حماسته فى باب الأدب[٩]، وهى :

---

(١) لم أجد كلامه هذا فى الجمهرة ولا فى الاشتقاق.

(٢) يقال أيضا : « عسِى » كرضى.

(٣) فى الأصل : « وقتل العصا ». وهو من حديث صلة بن أشيم، رواه فى نهاية ابن الأثير واللسان (عصـا) باللفظ الذى أثبته. وقالا : معناه إياك أن تكون قاتلا أو مقتولا فى شق عصا المسلمين.

(٤) يقال بضم العين وكسرها.

(٥) فى القاموس واللسان : « خرج عيدانه ولم يثمر ».

(٦) فى الأصل : « أى داويته »، وأثبت ما فى خ.

(٧) من قصيدة فى الأصمعيات ٢٣ ــ ٢٤ والحماسة ١ : ٣٣٦.

(٨) فى الأصل : « وأصلها ».

(٩) الحماسة ٢ ــ ٢٠.

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وفى أثوابه أسـد مَزِيرُ(١)
ويعجبك الطَّرير فتبتليه ... فيخلف ظنَّك الرجلُ الطريرُ(٢)
فما عِظَمُ الرِّجالِ لهم بفخرٍ ... ولكن فخرهم كرم وخِيرُ(٣)
ضِعافُ الطير أطولها جسوما ... ولم تَطل البُزاة ولا الصُّقورُ(٤)
بغاث الطَّير أكثرها فراخاً ... وأمُّ الصقر مِقلاتٌ نَزُورُ(٥)

— بغاث الطير : صغارها ، وفيها ثلاث لغات : ضم الباء وفتحها وكسرها. والمقلات : التى لا يعيش لها ولد —

لقد عظُم البعيرُ بغير لبٍّ ... فلم يستغن بالعظَم البعيرُ
يصرِّفه الصبىّ بكلِّ وجهٍ ... ويحبسه على الخَسْف الجريرُ(٥)

— الجرير : حبل يكون فى رأس البعير —

وتضربه الوليـدةُ بالهَراوَى ... فلا غِيَرٌ لديه ولا نكيرُ
فإن أكُ فى شرارِكم قليلاً ... فإنِّى فى خيارِكم كثير

ذكر أبو هلال العسكرى اللغوى رحمه الله فى كتاب الأوائل قال : أول من خطب على العصا وعلى الرَّاحلة قس بن ساعدة الإيادى ، فممَّا ورد عنه من خطبه قوله(٦) :

أيها الناس : اسمعوا وعُوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكلُّ ماهو آتٍ آت . ليلٌ داج ، وسماء ذاتُ أبراج ، ونجوم تَزهَر ، وبحارٌ تزخر ، وجبال

---

(١) المزير ، الشديد القلب القوى النافذ . وفى الأصل: « يزير » ، صوابه ، فى الحماسة واللسان ومقاييس اللغة (مزر) ومجالس ثعلب ١٦٢ . ورواه ثعلب: « الرجل الضعيف » .

(٢) الطرير : الشاب الناعم ذو الرواء والمنظر . هذا البيت يروى أيضاً للمتلمس ، وليس فى ديوانه . انظر اللسان (طرر) .

(٣) الخير، بالكسر: الكرم والشرف. (٤) فى الأصل: «يطل»، وأثبت مافى خ.

(٥) الوجه: الجهة . والخسف : الذل.

(٦) انظر البيان والتبيين ١ : ٣٠٨ — ٣٠٩ والأغانى ١٤ : ٤٠ ومجمع الأمثال للميدانى عند قولهم : (أبلغ من قس) .

مُرساة ، وأرضٌ مُدحاة ، وأنهارٌ مجراة . مابال الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضُوا فأقاموا ، أم تُركوا فناموا . يقسم قسٌّ بالله قَسَماً لا إثم فيه: إن لله ديناً هو أرضَى وأفضل من دينكم الذى أنتم عليه . إنكم لتأتون من الأمر منكرا .
ثم أنشأ يقول :

فى الذاهبين الأولـيـن من القرون لنا بصائر
لمـا رأيت مـوارداً للقوم ليس لهـا مصادر
ورأيت قومى نحـوَها يمضى الأصاغر والأكابر
لا يَرجع المـاضى إلـىّ ولا من الباقين غابر
أيقنت أنِّى لا محـا لة حيث صار القوم صائر

قال المؤلف ــ أطال الله بقاءه ــ العرب تقول : فلان ممن قُرِعت له العصا ، إذا كان يرجع إلى الصواب ، وينقاد إلى الحق ، ويستقيم عِنْدَ زَيغه[(1)] إذا نُبِّه . وتقول : فلان صلب العصا ، إذا كان ذا نجدةٍ وحزامة . وتقول إذا تفرقت الخلطاء واختلفت آراء العشيرة ومَرِج الأمر : انشقت العصا . وتقول للمسافر إذا آب واستقرّت به داره : ألقى عصا التسيار ، « فألقت عصاها » .

قرع العصا

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « [ما] قرعت عصاً على عصا إلا فرِح لها قوم وحزن آخرون » .

قال الحجاج بن يوسف الثقفى فى بعض خطبه[(2)] : « والله لأعصبنكم عصب السَّلَمَة ، وألحونَّكم لحو العصا، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل. يا أهل العراق،

(1) الزيغ: الميل عن الحق، فى الأصل : « عند ربعه » ، صوابه من خ .
(2) جمع أسامة هنا بين نصين لخطبتين من خطب الحجاج ، أولاهما فى البيان ٢ : ١٣٨ والعقد ٤ : ١١٥ وابن أبى الحديد ١ : ١١٤ والطبرى ٧ : ٢١٢ . وإعجاز القرآن ١٢٤ . والأخرى فى البيان ٢ : ٣٠٧ والكامل ٢١٥ ليبسك والعقد ٤ : ١١٩ وصبح الأعشى ١ : ٢١٨ وعيون الأخبار ٢ : ٢٤٣ وابن الأثير ٤ : ١٥٦ .

يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوى الأخلاق. إنى والله سمعت لكم تكبيراً ليس بالتكبير الذى يراد به الله فى الترغيب، ولكنه التكبير الذى يراد به الترهيب. يا عبيد العصا وأشباه الإماء[١]، إنما مثلى ومثلكم ما قاله ابن برّاقة الهمدانى[٢]:

وكنت إذا قومٌ غزونى غزوتُهم ... فهل أنا فى ذا يالَ همدان ظالم[٣]
متى تجمع القلبَ الذكىَّ وصارمًا ... وأنفاً حميًّا تجتنبك المظالم

والله لا تقرع عصًا على عصا إلا جعلتُها[٤] كأمسِ الدّابِر.

وقال وعلة بن الحارث بن ربيعة[٥]:

وزعمتَ أنَّا لا حلومَ لنا ... إن العصا قرعت لِذى الحلم[٦]
أقتلتَ سادتنا بغير دمٍ ... إلا لتُوهِنَ آمن العصم[٧]

وقال كثيِّر بن عبد الرحمن الخزاعى:

وقد قرع الواشون فيها لك العصا ... وإن العصا كانت لذى الحلم تقرعُ

ذو الحلم: عامر بن الظَّرب العَدْوانى[٨]، وكان حَكَماً للعرب يُرجَع إلى حكمه ورأيه، فكبر وأفناه الكِبَر والدهر وتغيّرت أحواله، فأنكر عليه الثانى من ولده أمراً من حكمه فقال له: إنك ربّما أخطأتَ فى الحكم ويُحمَل عنك. فقال: اجعلوا لى أمارةً أعرفها، فإذا أخطأتُ وقرِعَت لى العصا رجعتُ إلى الحكم. فكان يجلس أمام بيته يحكم ويجلس ابنُه فى البيت ومعه العصا، فإذا زلّ وهفا

(١) فى البيان: «وأولاد الإماء».

(٢) هو عمرو بن براقة، أو ابن براق، كما ذكر صاحب الأغانى ٢١ : ١١٣ وهو أحد عدائى العرب، ذكره تأبط شرا فى قصيدته الأولى من المفضليات:

ليلة صاحوا وأغروا بى سراعهم ... بالعيكتين لدى معدى ابن براق

(٣) هذا ما فى خ و البيان، وفى الأصل: «ياهل».

(٤) فى الأصل: «جعلها» صوابه فى خ.

(٥) كذا فى النسختين، والصواب: «الحارث بن وعلة» كما فى البيان ٣ : ٣٨ والحماسة ١ : ٦٤.

(٦) فى البيان والحماسة: «وزعمتم ألا حلوم لنا».

(٧) العصم: جمع أعصم وعصماء، وهو الوعل بإحدى يديه بياض.

(٨) انظر للخلاف فى «ذى الحلم» أمثال الميدانى فى (إن العصا قرعت لذى الحلم) والمعمرين للسجستانى ٤٥.

قَرعَ له الجفنةَ بالعصا . وإياه عنى المتلمس بقوله :

لذى الحلم قبل اليوم ما تُقرع العصا وما علِّمَ الإنسانُ إلا ليعلما

(صلب العصا) يقال فلان صلب العصا ، إذا كان جلدا قويا على السفر والسَّيْر . قال الراعى يصف راعيا :

صلب العصا بضربِهِ دمّاها(١) إذا أراد رشداً أغواها(٢)

قوله بضربِهِ أى بِسَيْرِهِ . قال الله تبارك وتعالى : «وإذا ضَرَبتُم فى الأرض» : سافرتم . وقوله « دمّاها » أى تركها كالدُّمى ، واحدتها دمية ، وهى الصور [فى] المحاريب . وقوله « أغواها » أى رعاها الغواء(٣) ، وهو نبت تسمن عليه ا[لإبل] .

وقال [أبو(٤)] المجشِّر الضبى :

فإن تَكُ مدلولاً على فإننى كريمك لا غُمرٌ ولا أنا فانِ(٥)

وقد عجمتنى العاجماتُ فأسارت صليبَ العصا جَلدا على الحدثان(٦)

صبوراً على عضِّ الخطوب وضَرمِها إذا قَلَّصَتْ عن الفم الشفتانِ(٧)

---

(١) فى اللسان (دمى) : « برعيه دماها» .

(٢) الرشد ، هنا : حب الرشاد . انظر كتاب الإنصاف والتحرى فى تعريف القدماء بأبى العلاء ٥٦٤ .

(٣) لم أجد من ذكر هذا النبات . وفى خ : « الغوى » ولم أجده كذلك .

(٤) هذه التكملة من حماسة ابن الشجرى ٦٠ واللسان (أبى) . وذكر كلاهما أنه شاعر جاهلى .

(٥) رواه فى اللسان (دلل) . وفى الأصل : « فإن يك » تحريف . يقال : مادلك على ، أى ما جرأك على . كريمك ، هى فى اللسان : « لعهدك » ، ولعل هذه « كعهدك » . الغمر ، بتثليث الغين : الذى لا تجربة له . وفى الأصل و خ : « غم » ، وصوابه من اللسان . والفانى : الشيخ الكبير .

(٦) عجمته العاجمات : خبرته . وفى حماسة ابن الشجرى : « لقد عجمتنى النائبات » ، أسأرت : أبقت .

(٧) الضرس : العض بالأضراس ، ومثله التضريس . قال الأخطل :

كلمح أيدى مثاكيل مسلبة يندبن ضرس بنات الدهر والخطب =

(انشقت العصا) العرب تقول : فلان يشقُّ العصا ، إذا كان لا يدخل تحت حُكم ولا طاعة مخالفاً لأمر الآمرين . ويستعمل شقُّ العصا فيمن يتفرق عنه أحبابه، ويظعن عنه أصحابه فيظهَرُ مكنونُ سرِّه، ويبوحُ مخفيّ أمره[1]، لضرورة البين الداعية إلى ذلك .

قال أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعرىّ فى كتابه المسمى بالقائف[2]: « مر ركبٌ بشجرةٍ مُورية[3] ، فاقتضبَ إنسانٌ منهم عصا ثم شقّها ، ثم جعل يقتدِح قريباً من الشجرة فأورى الزند فقالت الشجرة : ياهـذا ما أسرع ما ظهر سرُّك ، وسوف ترغب الرَّكبَ فى اتخاذ زنادٍ منى ، فأحورُ عِيداناً فى أيدى القوم . فقال : لاتلمْنى ، المغرورة ، أظهرَتْ سرِّى ضرورة » .

وقال قيس بن ذَرِيح :

إلى الله أشكو نِيةً شقّت العصا ... هى اليومَ شتَّى وهى أمسِ جميعُ[4]

مضى زمنٌ والناس يستشفعون بى ... فهل لى إلى لُبنَى الغداةَ شفيعُ

وأول هذه القصيدة :

سقَى طللَ الدارِ الذى أنتمُ بها ... حَناتِمُ وبلٍ صيِّفٌ وربيعُ[5]

= وقال زهير :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

وفى الأصل: « وصربها »، صوابه فى حماسة ابن الشجرى . وروى بعده فى الحماسة :

وقبلك ما هاب الرجال ظلامتى ... وفقأت عين الأشوس الأبيان

(١) باح الشىء يبوح : ظهر . والمخفى ، المستور المكتوم ، يقال خفيته وأخفيته .

(٢) ذكره أبو العلاء فى تصانيفه التى ألفها، وقال: « كتاب القائف على معنى كليلة ودمنة ألفت منه أربعة أجزاء ثم انقطع تأليفه بموت من أمر بعمله ، وهو عزيز الدولة » . انظر تعريف القدماء بأبى العلاء .

(٣) مورية : تورى النار ، أى تخرجها . وفى الأصل : « موزية » .

(٤) قصيدة هذه الأبيات تختلط أبياتها بشعر المجنون اختلاطا، وتروى حينا للمجنون، وحينا لقيس . القالى ١ : ١٣٦ ــ ١٣٧ والحيوان ٥ : ١٩٣ ــ ١٩٤ وعيون الأخبار ١ : ٢٦١ والأغانى ٨ : ١٢٦ وحماسة ابن الشجرى ١٥٧ ــ ١٥٨ .

(٥) الحناتم : سحائب سود ، الواحدة حنتمة . الصيف : المطر الذى يجىء فى الصيف . والربيع : أول مطر يقع بالأرض أيام الخريف ، كما فى اللسان .

قال المؤلّف أطال الله علاه : وقد صرّعت هـذه الأبيات جميعًا وأثبتها في ديوان شعري، وأنا ذاكر تصريع هذين البيتين لما فيهما من ذكر العصا .

قال غفر الله له :

أيرجو لى اللاحى من الحبّ مخلَصا[(١)] وقلبى إذا ما رضـته بالأسى عصا
ولو أن ما بى بالحصى فلَق الحصى إلى الله أشـكو نيةً شقّت العصا
هى اليوم شتّى وهى أمسِ جمـيع
أطاعت بنا لبنى افتراءَ التكذُّبِ وصدَّ التجنِّى غير صدِّ التجنُّب[(٢)]
فيالكَ من دهرٍ كثيرِ التقلب مضى زمنٌ والنـاس يستشفعون بى
فهل لى إلى لُبنَى الغـداةَ شفيع

وقال المؤلِّف أطال الله بقاءه أيضًا أبياتًا فى ذكر العصا ، وهى :

رمتـنا الليالى بافتراقٍ مشـتِّتٍ أشتَّ وأنأى من فراق المحصَّب[(٣)]
تخالفت الأهواءُ وانشـقَّت العصا وشعَّبنا وشكُ النوى كلَّ مَشْعَب[(٤)]
وقد نثر التوديعُ من كلِّ مقـلةٍ على كل خـدٍّ لؤلؤاً لم يثقَّبِ

المصراع الثانى من البيت الأول من قصيدة لامرئ القيس بن حجر الكندى، واسمه حُندج[(٥)]، والحُندُجة : الرملة الصغيرة[(٦)] . وأول القصيدة :

(١) فى الأصل : « من الذنب »، والوجه ما أثبت من الديوان ٣٦٤ .
(٢) فى الديوان : « غير صد التعتب » .
(٣) ديوان أسامة ٦٠ ومسالك الأبصار ج ١٠ ص ٥٠ مصورة دار الكتب المصرية.
المحصب : موضع رمى الجمار بمنى .
(٤) فى الديوان والمسالك : «وشعبهم» .
(٥) عرف امرؤ القيس بلقبه هـذا : امرؤ القيس . واسمه حندج بن حجر بن عمرو ابن الحارث. ويكنى أبا وهب وأبا الحارث، ويلقب أيضا بذى القروح. والقيس فى اللغة: الشدة. وقيل هو اسم صنم ، قالوا : ولهذا كان يكره الأصمعى أن تروى :
* يا امرأ القيس فانزل *
وكان يرويه : « يا امرأ الله » . شرح أبى بكر لديوان امرئ القيس .
(٦) وقيل الرملة العظيمة ؛ وقيل رملة طيبة تنبت ألوانا من النبات .

خليلى مُرَّابى على أمّ جُندبٍ   نقضٍّ لُبانات الفؤادِ المعذَّب

ومنها البيت :

فلله عيـنا من رأى من تفرقٍ   أشتَّ وأنأى من فراق المحصَّب (١)

وقال أبو الحسن مِهيار بن مَرْزَوَيه الدَّيلمى ، من جملة قصيدةٍ له :

ماقصُرت يدُ الزَّمان شدَّ ما   تَطُول فى نقصِى وفى نقضِ مرر (٢)

عصًا شـظايا ومشيب رَائعٌ   ومنزل ناء وأحباب غُدُر (٣)

وصاحبٌ كالداء إن أخفيته   غوَّر وهو قاتلٌ إذا استتر (٤)

وقال المؤلف أطال الله بقاءه :

زدنى جوًى يا حُبَّهم وأضِلَّنى   يا مرشدى عن مَنهج السُّلوانِ

لا تنهَنِى عنهـم فإنَّ صـبابتى   لا تستطيع تطيع من ينهانى (٥)

أحببتهم أزمانَ غصنى ناضرٌ   حتَّى عسَا وعَصَى بَنانَ الحانِى (٦)

فارجع بيأسك لستَ أول آمرٍ   شقَّ الغرامُ عصاه بالعِصيان (٧)

---

(١) فى شرح الديوان : « المحصب من فارقه لا يرجع إليه . وقال ابن السيرافى : المحصب : الموضع الذى يرمى فيه بحصى الجمار ، ثم كانت تجتمع العرب من الأماكن المختلفة فيرى وينظر الرجل إلى وجوه النساء فربما هوى الرجل منهم بعض من هوى من النساء ، فإذا تم حجهم مضوا فى طرق شتى » .

(٢) ديوان مهيار ١ : ٤١٣ من قصيدة كتب بها إلى أبى القاسم هبة الله بن على بن ماكولا وفى الديوان : «ياقصرت» فيـكون هذا دعاء عليها . وفى الديوان أيضا : « فى ثلمى » . والمرر : جمع مرة ، وهى الطاقة من طاقات الحبل ، كناية عن الشدة . وأراد نقض مررى . فحذف ياء المتـكلم . وفى الديوان : « المرر » .

(٣) رائع ، هى فى الأصل « زائع » صوابه فى خ . وفى الديوان : « ومشيب عنت » .

(٤) غور ، من قولهم غور الماء فى الأرض: ذهب فيها وسفل . وفى الديوان : « عور » بالمهملة . وفى الأصل : « وهو قائل » ، صوابه من خ و الديوان .

(٥) كذا فى فى خ و ديوان أسامة ٥٤ . وفى الأصل : « لا تنه عنهم » ، تحريف .

(٦) البنان : الأصابع ، أو أطرافها . والحانى : الذى يحاول أن يحنيه ويلويه .

(٧) فى الأصل : « أول امرئ »، تحريف صوابه فى خ .

وقال أيضًا :

كم ذا التجنى وكثرةُ المِلَل   لا تأمنوا من حوادث المَلَلِ
ولا تقولوا صبٌّ بنا كلِفٌ   فأوّلُ اليأس آخر الأمَلِ
ولستُ ممن يريد شقَّ عصًا   الذَّنبِ ذنبي والحب شُفِّع لى(١)
هبونى أخطأت عامداً فهبوا   خجلةَ عذرى ما كان من زَلَلِى(٢)

وقال امرؤ القيس بن حُجر الكندى :

إذا ما لم تكنْ إبلٌ فمِعزَى   كأنَّ قرون جلتها العصىُّ
فتملأُ بيتنا أقِطا وسَمْنًا   وحسبك من غنًى شِبَعٌ ورِىُّ

أى كفاك . وكذلك حسبك الله ، أى كفاك .

العرب تقول : « طارت عصا بنى فلانٍ شِققا » . وقال الأسدى :

عِصىُّ الشملِ من أسدٍ أراها   قد انصدعت كما انصدع الزُّجاجُ

ويقال : « فلان شقَّ عصا المسلمين » ، ولا يقال شقَّ ثوبًا ولا غير ذلك مما يقع عليه اسم الشق(٣) .

(ألقى العصا) يقال ألقى عصا التسيار، إذا أقام وترك السفر . وكأنَّ العرب عنَتْ بقولها « ألقى عصاه » أى وصل إلى بغيته ومُراده ، أو وطنه ومَرَاده ، وراحته ، ومظنة استراحته . قال الأصمعىّ — واسمه عبد الملك بن قريب — قصيدةً مدح بها جعفر بن يحيى البرمكى ورحل إليه فمات قبل أن يصل إليه، وذكر فيها العصا ، وهى قصيدة طُولى أنا موردٌ منها نبذةً لأجل العصا ، وهى :

خطَّت إليها مناقيلَها   وألقت عصا السَّفَرِ السُّفَّرُ(٤)

---

(١) فى الديوان ٤٠ : « يشفع لى » .
(٢) فى الأصل : « حجلة عذرى » ، صوابه من الديوان .
(٣) الكلام من « العرب تقول » إلى هنا ، مقتبس من البيان والتبين ٣ : ٣٩ـ٤٠ .
(٤) المناقيل : جمع منقل بفتح الميم وكسرها ، وهو الخف ، وزيادة الياء فى مثل هذا الجمع جائز عند الكوفيين اطرادا . والسفر هنا : جمع سافر ، وهو الذى خرج إلى السفر ، مثل راكم وركم . ومع قياسيته لم أجده فى المعاجم . وفى الأصل : « المسفر » ، وأثبت ما فى خ .

وقال راشد بن عبد الله[١] :

وخبَّرها الرُّوَّادُ أنْ ليس بينها ... وبين قرى نجرانَ والدَّربِ كافرُ[٢]

فألقت عصاها واستقرَّت بها النَّوَى ... كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ[٣]

وقال آخر[٤] :

فألقت عصا التَّسيار عنها وخيَّمتْ ... بأجباءِ عذبِ الماءِ بيضٍ محافرُه[٥]

الجَبَا : ماحول البئر ، مفتوح الجيم مقصور ، وجمعه أجباء ممدود . وقوله « بيض محافره » يريد أنه [لم][٦] يُحفَر في أرض سَوداء ، ولا من دمن ، بل هى أرض صلبة .

وقوله : « خيمت » ، أى اتخذت [خيمةً][٧] فأقامت .

روى أن قتيبة بن مسلم[٨] لما تسنَّم منبر خراسان سقط القضيبُ من يده فتطيَّر له صديقه ، وتشاءم[٩] عدوُّه ، فعرف ذلك قتيبة ، فحمد الله تعالى عليه ثم قال : ليس كما سرَّ العدُوَّ وساء الصديق ، بل كما قال الشاعر :

فألقت عصاها واستقرَّ بها النَّوَى ... كما قر عيناً بالإياب المسافرُ

قال المؤلف أطال الله بقاءه : قال جدِّى الأمير سديد الملكِ والمناقب أبو الحسن

---

(١) كذا . وفى البيان ٣ : ٤٠ نسبة البيت الثانى إلى مضرس الأسدى ، وفى اللسان (عصا) نسبته إلى عبد ربه السلمى ، أو سليم بن ثمامة الحنفى ، أو معقر بن حمار البارقى . ونسب البيت الثانى فى المؤتلف للآمدى ٩٢ إلى معقر بن حمار .

(٢) الكافر ، هنا : المطر ، كما فى اللسان (كفر ، عصا) عند إنشاد البيت .

(٣) النوى : الوجه الذى ينويه المسافر ، وهى مؤنثة . وكذا ورد البيت فى البيان والمخصص ١٢ : ٦١ / ١٥ : ١٧٢ / ١٦ : ١١٠ وفى اللسان (عصا) : «واستقر» . وترك تأنيث الفعل فى مثل هذا جائز . وفى اللسان (نوى) : «واستقر» أيضا ، وهذا لا يتفق مع الغرض الذى سيق له الاستشهاد .

(٤) هو مضرس الأسدى ، كما فى البيان ٣ : ٤٠ .

(٥) فى البيان : « بأرجاء » .

(٦) كلمة « لم » من خ . (٧) التكملة من خ .

(٨) الخبر فى عيون الأخبار ٢ : ٢٥٩ ومحاضرات الراغب ١ : ٧٠ .

(٩) خ : « تشأم » ، وكلاهما صحيح ، من التشاؤم .

عليّ بن مقلد رحمه الله ، يخاطب بعض ولاة حلب :

خيّمتَ في حلبِ العواصِمِ بعدما   قلّدتَ خوفَكَ نازحَ الأقطارِ
لاتَرضَها دار الثَّواء ولا تقلْ   في مثلها تُلقَى عصا التَّسْيارِ
استحي من أجداث قومك أن ترى   عرْض البسيطة وهي دارُ قرارِ

قال المؤلف أطال الله بقاءه : حدثني من أثق به في شوال سنة سبع وستين[(١)] وخمسمائة بحصن كَيفا[(٢)] قال : كان في خدمة الأمير نجم الدولة مالك بن سالم صاحب قلعة جَعْبَر[(٣)] رجلٌ عوّاد يقال له أبو الفرج حدثني قال : كنت يوماً في مجلس الأمير نجم الدولة وهو يشرب إلى [أن[(٤)]] سكر ، وانصرفت إلى منزلي ، فما كان أكثر من مُضيٍّ ساعتين من الليل إذْ وافاني رسوله فقال : الأمير يَستدعِيك . فقلت : مازلتُ حتّى سكر ! قال : هو أمرني بإحضارك . فمضيت معه فرأيت الأميرَ جالساً ، فقال : ياأبا الفرج ، بعد انصرافكم نِمت فرأيت إنساناً يغنّيني صوتاً حفظته ثم أُنسِيته ، وأريد أن تذكُره لي . فقلت : يامولاي ، اذكر لي منه كلمة . فقال : ماأذكرُ منه شيئاً ولكن اعرضْ عليّ مايحضرك . فعرضت عليه أصواتاً كثيرة وهو يقول : ماهذا الصوتُ الذي أُريتُه[(٥)] ! ثم قال : انصرفْ وأفكرْ لعلك تذكره . فانصرفت وأصبحت من بكرةٍ طلعت إلى خدمته فقال : ياأبا الفرج ، أيُّ شيء كان من الصوت ؟ قلت : يامولاي ، لا يعلم الغيبَ إلا الله سبحانه وتعالى . قال : والله لئن لم تذكره لأخرجنّك من القلعة . فقلت : والله يامولاي ماأدري ، ماأذكُرُ[(٦)] من صوتٍ سمعته ولا ذَكَرْتَ لي منه كلمة واحدة ؟! فقال خذوه وأخرجوه . فأخرجوني إلى « البُلَيل[(٧)] » فأقمت فيه يوماً

(١) هذا ما في خ . وفي الأصل : « تسع وستين » .
(٢) مدينة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر .
(٣) قلعة جعبر ، على الفرات مقابل صفين التي كانت بها الوقعة . وكانت تعرف أولا بدوسر ، فتملكها رجل من بني نمير يقال له جعبر بن مالك ، فغلب عليها فسميت به .
(٤) التكملة في خ . (٥) هذا ما في خ . وفي الأصل : « رأيته » .
(٦) في الأصل : « ما أذكره » ، صوابه في خ .
(٧) في الأصل : « البليل » صوابه في خ . وفي القاموس أن البليل كزبير شريعة صفين .

ثم ردّنى وعدت فى الخدمة كما كنت . فأنا يوماً فى المجلس أغنّى إذ قال لى بعض الفراشين : على الباب رجلٌ يطلبك . فخرجت إليه فرأيت رجلاً عليه عمامة مطلَّسة كعمائم المغاربة، فسلم علىّ وقال : قد قصدتك لتتوصَّلَ لى فى الحضور بمجلس الأمير فأنا رجلٌ مغنّ . فدخلت وأعلمته به فقلت : يامولاى ، إن كان مجيداً سمعتَه واستخدمته ، وإلا وهبتَه شيئاً وانصرَف . فأذن له فدخل فسلّم وجلس فشد عودَه وغنّى :

وخبّرها الروّاد أن ليس بينها وبين قُرى نجران والدربِ كافرُ
فألقت عصاها واستقرَّت بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

فقال الأمير : لا إله إلا الله ، هذا والله الصوت الذى رأيته فى منامى وطلبته منك . فعجبت أنا ومن حضر لهذا الاتفاق

(عصا الأعرج) . وقال المؤلف أطال الله بقاءه فى أعرج بيتين على سبيل الرياضة ذكرهما وإن لم يكن فيها ذكر العصا :

عابوا هوَى شادنٍ فى رجله قصرٌ من سكر ألحاظه فى مشيه تَمَلُ(١)
وما هوَى خوط بانٍ ماسَ من هيفٍ عيبٌ ، وإنْ كان عيباً فهو محتمَل

فصل

قال المؤلف أطال الله بقاءه : زرت المقدس فى سنة اثنتين وث[لاثين](٢) وخمسمائة ، وكان معى من أهله من يعرِّفنى المواضع التى يصلّى فيها ويتبرك [بها(٢)]، فدخل بى إلى بيت جانبَ قبَّة الصخرة فيه قناديلُ وستور ، فقال لى : هذا بيت السلسلة . فاستخبرته عن السلسلة فقال لى : هـــذا بيتٌ كانت فيه على عهد بنى إسرائيل سلسلة، إذا كان بين اثنين من بنى إسرائيل محاكمة ووجبت اليمينُ على أحدِهما دخلا هذا البيت، فوقفا تحت السلسلة، واستحُلِف المدَّعَى عليه، ثم يمد يده

(١) البيتان فى ديوان أسامة ص ١٩١ .
(٢) التكملة من خ . وكذا التكملة التالية .

فإن كان صادقا أمسك السلسلة ، وإن كان كاذباً طالت عن يده فلا يصل إليها . فأودعَ رجلٌ من بنى إسرائيل جوهراً عند رجل ، ثم طلبه منه فقال: أعطيتك إياه. فقال : تحا كمنى إلى السلسلة . فمضى المستودع فأخذ عصاً فشقها وحفر فيها للجوهر وتركه فيها، ثم ألصقها عليه ودهنها ، وأخذها في يده ودخل مع خصمه بيت السلسلة فقال للخصم : أمسِكْ عنّى هذه العصا . فَمَسَكها ثم حلف له أنه سلّم الجوهرة إليه ومدّ يده فأمسك السلسلة ثم عاد أخذ العصا وخَرَجا ، فارتفعت السلسلة من ذلك اليوم .

ولم أر هذا الحديث مسطوراً ، وإنما أوردته كما سمعته .

قال المؤلف أطال الله بقاءه : كان عندنا بشيزر رجلٌ زاهد من خيار المسلمين ، اسمه جَرّار[١] ، رحمه الله ، وكان منقطعا على مسجد على جبل جريجس لا يخرج منه إلاّ على صلاة الجمعة ، وكنت أزوره فيه وأتبرّكُ به . فحدّثنى بعض من كان يخالطه أنه قال : أردت زيارة الشيخ يٰس رحمه الله ـ وأظنه كان بمَنبِج ـ فخرجت أنا ورفقةٌ لى ، وفى نفسى أن أطابَ منه عصاً ، فلما صرنا بالقُرب من مَنبِج ومعنا فضلة من زادنا فتحنا رُجْمَ حجارة[٢] ودفنّاها فيه ثم رددنا عليه الحجارة ، ودخلنا على الشيخ رحمه الله فأقمنا عنده ما أقمنا ، ثم ودّعناه وعزمنا على المسير ، فأحضرَ لنا زاداً وقال : احملوا هذا فإنّ زادكم أكلَه الثّعلب . وأحضر عصاً وأخرج من تحت عمامته طاقيّة[٣] وقال لى : خذ هذه العصا وهذه الطاقية . فودّعنا وانصرفنا وأنا مسرورٌ بالعصا والطّاقية، ونحن

---

(١) فى خ :« حريجس » .

(٢) الرجم ، بالضم : جمع رجمة ، وهى حجارة ضخام مجموعة .

(٣) يراد بالطاقية ضربٌ من القلانس تدار عليه العمامة، وهى وإن كانت عربية اللفظ فإنها لم تذكر فى المعاجم . كأنها منسوبة إلى الطاق ، وهو ضرب من الثياب ، الطيلسان ، أو الأخضر منه . وقد استعمل الفرس هذا اللفظ . وفسره استينجاس فى المعجم الفارسى الإنجيزى ٨٠٦ — ٨٠٧ بقوله A fillet' especially one worn onder the head-dress أى عصابة تلبس تحت لباس الرأس .

تعجّب من قوله عن الزاد . فلمّا صرنا إلى الموضع الذى فيه الزّادُ طلبناه فلم نجِدْه ، وإذا الوحشُ قد أكلته، فسِرْنا ثم افترقنا ورَكِبَ كلٌّ(١) منّا قصْدَه، فوصلت إلى أرض شَيزَر، وإذا الفرنج قد أغاروا على البلَد، وهم منتشرون فيما بينى وبين قصدِى ، فوقَعَ فى نفسى أنْ أخرجت الطاقيّة من تحت عمامتى ووضعتُها على رأس العصا ومشَيت على الطّريق ، والفرنج عن يمينى وشمالى وبين يدىّ والعصا فى يدى وعليها الطاقية ، فلا والله ما عارضَنى منهم أحد ، كأنّ الله سبحانه وتعالى أعمى أبصارهم عنّى ، فما نالنى منهم سُوءٌ حتّى وصلتُ إلى مأمَنى .

* * *

قال المؤلف أطال الله بقاءه : ولعلّ من يقف على هذا الحديث يدفعُه ويكذّبه . وقد جَرى بشيزر ما هو أعجبُ من هذا ، وأنا حاضر نَزَلَ الفرنج علينا فى بعض السّنين ، وكان الماء بيننا وبينهم ، وهو إذْ ذاك زائدٌ لا يمكن خَوضُه، فما كان لنا إليهم سبيلٌ ولا لهم إلينا، فلما تبيّنوا ذلك انتشروا فى الأرض ودخلوا فى البساتين يَرعَون خيلَهم ، فجاء نفرٌ منهم إلى بستانٍ على جانب الماء ومعهم خيلُهم، فتركوها ترعى فى قصيل من البستان(٢) وناموا ، فتجرّد رجالٌ من أصحابنا وسَبَحوا إليهم ومعهم سيوفُهم، فقتلوا منهم وجرحوا بعضَهم، وانتشر الصّياح فى الفرنج وهم فى خِيَمهم ففزِعوا وجاءوا مثلَ السّيل، كلٌّ من ظفروا به قتلوه، وانتهى بعضُهم إلى مسجدٍ مما يليهم يعرف بمسجد أبى المجد بن سُمَيَّة، ونحن نراهم ولا سبيلَ لنا إليهم، وفى المسجد [رجلٌ(٣)] يُعرَف بحسنٍ الزاهد رحمه الله، واقفٌ يصلّى على سَطحه وعليه ثياب سودٌ صوفًا، وبابُ المسجد مفتوح، فجاء الفرنج وترجّلوا ودخلوا المسجد، ونحن نقول: الساعةَ يَقتُلون الشّيخ .

(١) خ : « كل رجل » .

(٢) القصيل : ما اقتصل واقتطع من الزرع أخضر . ولم يظهر فى الأصل إلا « قصد » . وفى خ : « فصيل »، صوابهما ما أثبت .

(٣) ليس لها موضع فى الأصل ، وإثباتها من خ كما توقعت فى الطبعة الأولى .

فلا والله ماقطَعَ صلاتَه ولا تحرّكَ من مُصلاَّه ، ونحن نظنُّ أنّهم يرونه كما نراه ، إلاَّ أنَّ الله سبحانه وتعالى أعمى أبصارَهم عنه ، وحماه من كَيدِهم ، وخرجوا من المسجد بأجمعهم وانصرفوا ، والشيخ رحمه الله فى مُصلاَّه كما كان . وما العِيان كالإخبار والسَّماع .

* * *

قال المؤلف أطال الله بقاءه : حضرت بدِمشق وقد وقع بين العُميان وبين رجلٍ كان يتولّى وقفَهم يعرف بابن البعلبكّىّ خُلْف ، فنقُوا فيه صاحب دمشق شِهابَ الدين محمود بن تاج الملوك بُورِى رحمه الله(١) عدّة مرار ، فقال للأمير مجاهد الدين بُوزَان(٢) بن ما مين : أى مجاهدَ الدين، باللهِ(٣) خلِّصْنى منهم، واجمَعْهم وأحضِرْ نائبَهم فى الوقف وافصِلْ حالهم . فقال : السَّمع والطاعة . وقال لى مجاهد الدين : تفضَّلْ واحضُر معنا . فاجتمعنا فى إيوانٍ كبير فى دار ، وحضر النائب ابنُ البعلبكى ونائبٌ كان قبله يقال له ابن الفرّاش ، وحضر العُميان فى نحوٍ من ثلاثمائة رجل، فحملوا أقدمَهم(٤) ودخلوا الإيوان، كلُّ واحدٍ وعصاه معه فى يده وضَعَها إلى جنبه ، ثم تجارَوا الحديثَ(٥) ، فكان بعضُهم هواه مع النائب الأول ابن الفراش ، وبعضهم هواه مع ابن البعلبكى . فتنازعوا وتخاصموا ساعةً ولا يتدخَّل بينهم لعلوّ أصواتهم وكثرتهم ، ثم تواثبوا فارتفع فى الإيوان نحوٌ من ثلاثمائة عصا فى أيدى عُميان(٦) لا يَدرون مَن يَضرِبون . وعلا الضَّجيجُ والصِّياح حتَّى ندِمْتُ على حضورى . فتلطَّفنا الأمر حتّى سكنت الفتنة بينهم ، ومَشَّينا(٧) أمرَهم على ما أرادوا ، وما صدّقنا أنهم ينصرفون .

---

(١) قتل سنة ٥٣٣ فى مؤامرة لجماعة من الأمراء . النجوم الزاهرة .
(٢) رسمت فى خ « بزان » .
(٣) هذا ما فى خ . وفى الأصل : « تالله » .
(٤) فى الأصل : « قدامهم » ، وأثبت ما فى خ .
(٥) تجاروا فى الحديث : جروا فى المناظرة والجدال . وفى الأصل : « تحاوروا » ، وأثبت ما فى خ .
(٦) فى الأصل : « العميان » ، وأثبت ما فى خ .
(٧) فى الأصل : « ومشيا » صوابه فى خ .

العصا فرس جذيمة الأبرش (١)

قال المؤلف أطال الله بقاءه : ومع ما أوردته فيه من قول أصحاب السِّيَر وأسمار الشعراء فلا يحقِّق ذلك(٢) مَنْ مارسَ الحروبَ وعرَّف مكايدها ، واتّقاء الرجال التغرير ، والتخوّفَ من سوء عواقب الحيلة وضعفِ المكيدة . والحزمُ فى الحرب أبلغ من الإقدام . وقد حاربتُ الفرنج فى مواقفَ ومواطن لا أحصى عددَها كثرةً فما رأيتهم قطُّ كسرونا فلجُّوا فى طلبنا ، ولا يَزيدون خيلهم عن الخبب والنَّقَل ، خوفاً من مكيدةٍ تتمُّ عليهم . فكيف يحكم مَن فى رأسه لبٌّ على نفسه حتّى يَدخُل فى غرارةٍ مشدودة عليه(٣) أوفى تابوت(٤) ، وكيف يَخفَى الرَّجُل إذا رُبطَت عليه غرارة .

وخطر لى أن قلت عند انتهائى إلى هذا الموضع أبياتاً أنا ذاكرها ، وهى :

لو سرتَ فى عرض البسيطة طالبا رجلاً خبيراً بالحروب مجرّبا(٥)
عانَى الحروب مجاهراً ومُخاتِلاً طفلاً إلى أن عاد هِمًّا أشيبا
قتلَ الأسودَ ونازلَ الأبطالَ فى الـ ـهيجاءِ واقتاد الكمىَّ المِحْرَبا(٦)

---

(١) وهى التى قيل فيها المثل : « إن العصا من العصية » ، وجذيمة الأبرش هنا ، هو جذيمة بن مالك الأزدى ملك الحيرة ، وقد نجا قصير بن سعد اللخمى على فرسه هذه فأخذ بثأره وقتل الزباء ، فى حديث طويل . اللسان (عصا) والخيل لابن الكلبى ٣١ وحلية الفرسان نشرة الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ١٥٩ .

(٢) أى لا يعده حقا .

(٣) يشير إلى ما صنعه عمرو بن عدى بمشورة قصير، من حمله الرجال على الإبل فى غرائر ليتمكنوا من دخول مدينة الزباء . انظر مجمع الأمثال فى (خطب يسير فى خطب كبير)، والأغانى ١٤ : ٧١ ومروج الذهب ٢ : ٩٦ .

(٤) فى الأصل: « وفى تابوت » ،والوجه ماأثبت من خ .

(٥) هذه الأبيات مما لم يرو فى ديوان أسامة .

(٦) قال أسامة بن منقذ : وقد شهدت قتال الأسد فى مواقف لا أحصيها ، وقتلت عدة منها لم يشركنى أحد فى قتلها، فما نالنى من شىء منها أذى . الاعتبار ١٣٤ نشرة فيليب حتى .

لم تَلقَ مثلى من يكاد يُريه حُسـ ـنُ الرأيِ ما قد كان عنه مغيَّبا
وأرى مسير الألفِ تطلب وِترها ضِمنَ الغرائر فرية وتـكذُّبا[(١)]

فصـــــل

قال الفرزدق فى قصيدة مدح بها هشام بن عبد الملك[(٢)] :

رأيت بنى مروان جلَّت سيوفُهم عَشاً كان فى الأبصار تحت العمائم[(٣)]
عصا الدين والعودَين والخاتم الذى به الله يعطى ملـكَه كلَّ قائم

ـ عصا الدين : السيف . والعودان : العصا والمنبر ـ

رأيت الغِشاوات انجلَتْ حين أعطِيتْ هشاماً عصا الدين الذى لم يُخاصم[(٤)]

فصـــــل

قال معن بن أوس المزنى :

إذا اجتمع القبائل كنتَ رِدفاً أمام الماسحين لك السبالا[(٥)]
فلا تُعطَى عصا الخطباء فيهـم وقد تُـكفَى المقادةَ والمقالا

وقال آخر فى عصا الخطابة :

إذا اقتسم الناسُ فضلَ الفخارِ أطَلْنا إلى الأرض ميل العصا[(٦)]

---

(١) الألف ، يعنى ألفا من الجنود .
(٢) قالها وهو محبوس . ديوان الفرزدق ٨٤٥ ـ ٨٤٧ .
(٣) جلت ، من التجلية ، وهى الإجلاء والطرد .
(٤) هذا البيت لم يرو فى قصيدة الفرزدق . وفى الأصل : « تخاصم » ، صوابه فى خ .
(٥) البيتان فى ديوان معن بن أوس ، رواية القالى ، ص ٢٥ ليبسك ١٩٠٣ . وهما فى البيان ١ : ٣٧٢ / ٣ : ١٠ . السبال : جمع سبلة ، وهو مقدم اللحية. ومسح اللحى كناية عن التهدد والتوعد ، أو هو تأهب للكلام . انظر تفسير البغدادى فى الخزانة ١ : ٥٢٥ لقول الشماخ :

أتتنى سليم قضها بقضيضها تمسح حولى بالبقيع سبالها

(٦) البيان ١ : ٧٢ / ٣ : ٨ .

تقول العرب(١) : ما تزال تحفظ أخاك حتى يأخذ القناة فعند ذلك يفضحك أو يمدحك . تقول : إذا قام الخطيب والقناة بيده فقد قام المقام الذى يخرج منه(٢) مذموما أو محمودا .

وقال جرير بن عطية :

مَنْ للقناة إذا ماعَىَّ قائلها ... أم للأعِنَّة ياعمرو بن عمار(٣)

عن عبد الله بن رؤبة بن العجاج قال : سأل رجلٌ رؤبةَ عن أخطب بنى تميم ، فقال : خِداش بن لبيد بن بَيْبَة بن خالد . يعنى البَعِيث الشاعر . وإنَّما قيل له البعيث لقوله :

تبعَّث منى ما تبعَّث بعد ما ... أُمِرَّتْ حبالى كلَّ مِرَّتِها شَزْرا(٤)

قال أبو اليقظان : كانوا يقولون : أخطب بنى تميم البَعِيث إذا أخذ القناة فهزّها ثم اعتمد بها على الأرض ثم رفعها . يريد بالقناة العصا .

قال يونس : لئن كان مغلَّبا فى الشعر لقد غُلِّب فى الخطب(٥) .

العرب تقول: اعتصَى بالسيف، إذا جعل السيف عصاً . وقال عمرو بن الإطنابة :

وفتًى يضرب الكتيبةَ بالسَّيْـ ... ـفِ إذا كانت السيوفُ عِصِيا(٦)

وقال [عمرو بن(٧)] محرز :

نزلوا إليهم والسيوفُ عصيُّهم ... وتذكَّروا دِمَنًا لهم وذُحولا

---

(١) هو قول أبى المجيب الربعى ، كما فى البيان ١ : ٣٧٣ / ٢ : ١٠ .
(٢) فى البيان : « الذى لابد من أن يخرج منه » .
(٣) نبهت فى البيان أن صواب روايته: «ياعتب بن عمار». انظر ديوان جرير ٢٣٦_٢٣٧.
(٤) البيان١: ٣٧٤ / ٣: ١٠ .
(٥) انظر البيان ١ : ٣٧٤ / ٢ : ٣١٢ / ٣ : ١١ .
(٦) البيان ٣ : ٧٧ والأغانى ١٠ : ٢٨ .
(٧) التكملة من الأغانى ١٠ : ٢٨ ولم ترد فى الأصل ولا فى خ.
(٨) الدمن : جمع دمنة ، وهو الحقد القديم . والذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر .

فصل جامع

قال عمرو بن بحر الجاحظ: الدليل على أن [أَخْذَ][1] العصا مأخوذ من أصل كريم، ومعدِنٍ شريف، اتِّخاذُ سليمان بن داود عليهما السلام العصا لخطبته وموعظته، ومقاماته، وطول صلواته وتلاوته وانتصابه. فجعلها لتلك الخصال [جامعة[2]]. وقولُ الله عزّ وجل: (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دابّة الأرض تأكلُ مِنسأَتَه). والمنسأة هي العصا. وقال أبو طالب حين قامَ بذمِّ الرجل[3] الذي ضرب أبا نبقة[4] (وفى نسخة أبا نيقة) واسمه علقمة[5]، حين تخاصما:

أمن أجل حبلٍ ذى زمامٍ ضربتَه بمنسأةٍ قد جاء حبل وأحبُلُ[6]

و (المحجنة[7]): العصا المعوَّجة. وفى الحديث المرفوع أنه صلى الله عليه وسلم طافَ بالبيت يستلم الأركان بمحجنِه[8]. وفى الحديث أن أبا بكر رضى الله عنه أفاض من جَمعٍ وهو يخرِش بعيره بمحجنه[9].

والعرب تقول: «لو كان فى العصا سير» للمقلّ والضعيف. قال أبو تمّام حبيب بن أوسٍ الطائى:

---

(١) التكملة من البيان ٣ : ٣٠ .

(٢) التكملة من البيان . (٣) خ : « يذم الرجل » .

(٤) الذى فى نسخ البيان والتبيين : « الذى ضرب زميله » . انظر ٣ : ٣٠ .

(٥) أبو نبقة ، ورد اسمه فى السيرة ٧٧٥ فيمن قسم لهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى مقاسم خيبر . وترجم له ابن حجر فى الإصابة ١١٣٦ فى باب الكنى . والذى فى الإصابة أن علقمة هو والد أبى نبقة ، واسم أبى نبقة عبد الله بن علقمة بن المطلب بن عبد مناف . وقد ورد ذكر علقمة بن المطلب بن عبد مناف فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٦٦ .

(٦) البيت فى البيان ٣ : ٣٠ وليس فى ديوان أبى طالب مخطوط الشنقيطى بدار الكتب. وهو مع بيتين آخرين فى اللسان (نسأ) . ورواية اللسان والبيان : « أمن أجل حبل لا أباكَ »

(٧) يقال محجن ومحجنة .

(٨) كذا فى خ والبيان ٣ : ٨٥ واللسان . وفى الأصل : « بمحجنة » .

(٩) جمع ، هى المزدلفة . وفى خ : « بمحجنة » . وخرشه : ضربه بالمحجن يجتذبه إليه ، و فى خ : «يحرش» بالحاء المهملة ، ومعناه حك فى غاربه ليمشى .

يا لك من هِمّةٍ ورأى   لو أنه فى عصاك سَـيرُ[1]
ربَّ قليل أجدى كثيراً   كم مطرٍ بدؤه مُطيرُ
صبراً على الحادثات صبراً   ما فعل الله فهو خـيرُ

وتقول العرب : قد أقبل فلان و [لانت[2]] عصاه ، إذا أصابه السُّوَاف — وهو ذَهاب المال وموته — فرجع وليس معه إلا العصا ، فإنه لا يفارقها إن كان معه إبل أوْ لا . قال حُمَيد بن ثور[3] :

واليوم يَنْتَزِعُ العصا من ربِّها   وَيلُوكُ ثِنْىَ لسانِهِ المنطيقُ[4]

قيل : كانت العرب تقاتل بالعصىّ ، فلهذا قال الأعشى ميمون بن قيس ابن جندل :

لسنا نُضارِب بالعصـــىِّ ولا نقاذِف بالحجاره[5]
إلا بكلِّ مهـــندٍ عَضْب من البيض الذِّكاره[6]
قَضِم المضـاربِ باترٍ يشفى النفوسَ من الحراره[7]

وقال جندلُ الطُّهوىّ :

حتّى إذا دارت عصانا تجرى[8]   صاحت عصىٌّ من قناً وسِدرِ[9]

تقول العرب : « العصا من العُصَيّة والأفعى من الحية » . تريد أن الأمر الكبير يحدث من الصغير[10] .

---

(١) الأبيات مما لم يرو فى ديوان أبى تمام . وهى فى البيان ٣ : ٦٧ . ورواية الأولى :
* مالك من همة وعزم *
(٢) الكملة من البيان ٣ : ٥٢ .   (٣) خ : « حميد بن سعيد » .
(٤) فى البيان ٣ : ٥٣ « تنتزع العصا » ، وفى مجالس ثعلب ١١٩ واللسان (نطق) : « والنوم ينتزع » .
(٥) ديوان الأعشى ١١٥ والبيان ٣ : ١٥ .
(٦) الذكارة ، بالكسر : جمع ذكر . والذكر من الحديد : أيبسه وأشده .
(٧) القضم : الذى تكسر حده مما طال عليه الدهر وكثر به الضراب .
(٨) فى البيان ٣ : ١٥ : « رحى لاتجرى » ، يعنى رحى الحرب .
(٩) قال أبو منصور : القناة من الرماح : ما كان أجوف كالقصبة .
(١٠) خ : « عن الصغير » .

والعرب تسمِّى الصغيرَ الرأسِ: رأسَ العصا . وكان عمر بن هبيرة[1] صغير الرأس ، فقال فيه سويد بن الحارث :

[من مبلغٌ رأسَ العصا أن بيننا ضغائن لاتنسى وإن قدُم الدهرُ
وقال آخر[2]] :

[من مبلغٌ رأسَ العصا أن بيننا ضغائن لاتُنْسى وإن هى سُلَّتِ
رضيتَ لقيسٍ بالقليل ولم تكن أخاً راضياً إنْ صدر نعلِك زلّت

أى لم تكن قيس ترضى لك بالقليل .

وقال أبو العتاهية فى والبة بن الُحباب وقومه وكانت رءوسهم صغارا :

رءوس عصىٍّ كن فى عود أثلةٍ لها قادحٌ يَفْرِى وآخر مخربُ[3]

وفى حديث زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد[4] رضى الله عنها وقد تكلَّم أبوطالب وذكر رغبته فيها فقال قائلٌ منهم[5] : « ابن أخيك الفحل لايُقرع بالعصا أنفُه » . وذلك أنّ الفحل اللئيم إذا أراد الضِّرَاب فى الإبل ضربوا أنفَه بالعصا .

وفى خطبة الحجاج : « والله لأعصبنّكم عَصْبَ السَّلمة ، ولأضربنّكم ضرب غرائب الإبل » . وذلك أنّ الأشجارَ تُعصَب أغصانها لتجتمع ، ثم تُخبَط بالعصا ليسقُطَ ورقها وهشيمُ العِيدان لتأكلَه الماشية .

---

(١) عمر بن هبيرة بن سعد بن عدى بن فزارة ، ولى العراقين ليزيد بن عبد الملك ست ستين وكان يكنى أبا المثنى . المعارف ٢٨٦ .
(٢) هذه التكملة من البيان ٣ : ٤١ .
(٣) القادح : أكال يقع فى الشجر والأسنان . انظر البيان ٣ : ٤١ .
(٤) الخبر يروى فى زواجه من خديجة، كما فى اللسان (قدع ، قرع)، ويروى فى زواج من أم حبيبة .
(٥) القائل فى خبر خديجة هو ورقة بن نوفل أو عمرو بن أسد بن عبدالعزى، كما فى اللسان، وفى خبر أم حبيبة أبو سفيان بن حرب ، كما فى البيان ٣: ٤٤ . وفى خ: « قائلهم » .

قال المؤلف أطال الله بقاءه : زرتُ قبر يحيى بن زكريا عليهما السلام بقريةٍ يقال لها سَبَسْطِيَّة[١] من أعمال نابُلس ، فلما صلّيت خرجت إلى ساحة بين يدى الموضع الذى فيه القبر محوّط عليها ، وإذا بابٌ مردود ففتحته ودخلت ، وإذا كنيسةٌ فيها نحو من عشرة شيوخ رءوسهم مكشوفة كأنها القُطن المندوف ، وقد استقبلوا الشّرقَ وفى صدورهم عصىٌّ فى رءوسها عوارض معوجّة على قدر صَدْر الرجل ، وهم مُعتمِدون عليها ، وشيخٌ بينَ يدَيهم يقرأ[٢] ، فرأيت منظراً يرقّ له القلب، وساءنى وآسفنى إذْ لم أر فى المسلمين مَن هو على مثل اجتهادهم . فمضَتْ على ذلك مدّة فقال لى يوماً مُعين الدين أُنَر[٣] رحمهُ الله وأنا وهو نسير عند دار الطّواويس : اشتهى أنزلُ أزور المشايخ . قلت : الأمر كذلك . فنزلنا ومشينا إلى منزل عرضى[٤] طويل ، فدخلناه وأنا أظن أنْ ما فيه أحدٌ ، وإذا فيه نحو من مائةِ سَجّادة وعلى كل سَجّادةٍ رجلٌ من الصوفية عليهم السكينة ، والخشوعُ عليهم ظاهر . فسرّنى ما رأيت منهم، وحمِدت الله عزّوجلّ، إذ رأيت فى المسلمين مَنْ هو أكثر اجتهاداً من أولئك القسوس، ولم أكن قبل ذلك رأيت الصوفيَّة فى دارهم ، ولا عرفتُ طريقَتَهم .

ويقال «يوم أطول من ظل القناة، وأحرُّ من دمع المِقْلات» قال عبد الله ابن الدُّمينة[٥] :

ويوم كظلِّ الرمح قصَّر طولَه دمُ الزِّقِّ عنا واصطفاق المَزَاهر[٦]

---

(١) سبسطية كأحمدية: بلد من عمل نابلس، فيه قبر زكريا ويحيى عليهما السلام. وضبطه ياقوت بفتح أوله وثانيه وتسكين ثالثه وكسر رابعه وتخفيف خامسه ولم يظهر فى الأصل إلا « بطية » ، وتصحيحه من خ.

(٢) فى الأصل : « وينتح بين أيديهم بقراء » ، والصواب من خ .

(٣) كذا ورد مضبوطا ؛ ويضبط أيضا بضم النون . انظر النجوم الزاهرة : ٢٨٦ . وكان معين الدين وزيراً لحاكم دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بورى ، وتوفى سنة ٥٤٤ كما فى النجوم الزاهرة .

(٤) كذا فى الأصل و خ. والمراد عريض .

(٥) الصواب يزيد بن الطثرية كما فى الحيوان ٦ : ١٧٩ .

(٦) دم الزق ، عنى به الخمر فى حمرتها. والمزاهر: جمع مزهر، وهو العود الذى يضرب به .

ويقال رجُل كالقناة، وفرسٌ كالقناة . قال عروة بن الورد(١) :

متى مايجئْ يوماً إلى المـال وارثى ... يجدْجمعَ كفٍ غيرِ ملأى ولاصِفْرِ(٢)

يجد فرساً مثــل القناةِ وصارماً ... حُساما إذا ما هزَّ لم يرض بالهَبرِ(٣)

ويقال للرجل إذا لم يكن معه عصا: باهل؛ وناقة باهِلٌ إذا كانت بغير صِرار(٤) .

فصــــل

في بديع ماجاء في عصا الـكبر :

وقال المولى مؤيّد الدَّولة مؤلِّف هذا الـكتاب أطال الله بقاءه في المعنى :

أسفى على عصر الشباب تصرَّمت ... أيامُـــه لا بل على أيامى(٥)

لم أبكه أسـفاً على مرح الصِّـبا ... ووصالِ غانيةٍ وشُربِ مُدام

لـكن على جَلَدِى وخوضى معركاً ... يرتاع فيه الموتُ من إقدامى

بيدَى حسامٌ كلّما جرّدتُه ... يومَ الوغى أغمدتُه فى الهــام

ولصدرِ مُعتدِلِ الـكعوب حطَمته ... فى صدر كبشِ كتيبةٍ قمقام(٦)

ونزَالِ فُرسانِ الهياجِ وكلُّهم ... فَرِقٌ لهول تقحُّمى ومُقامى(٧)

ولقتلىَ الأُسدَ الضَّوارىَ نحطُها ... كالرَّعد قعقعَ فى مُتون غمام(٨)

تَلقى إذا لاقيتَها أســداً له ... بأسٌ يُبيح به حِمَى الأجسام(٩)

---

(١) الصواب أنه حاتم الطائى. ديوانه ١٢١ والحماسة ٢: ٣٧٤. والبيتان فى البيان ٣: ٥٩ بدون نسبة .

(٢) جمع الـكف، بالضم، هو قدر أن تجمع أصابعها وتضمها . يقول : لا يجد عندى الوارث كثيرا ولا قليلا، بل شيئا بين بين .

(٣) الهبر : قطع اللحم . يقول : يأبى إلا أن يخالط العظم .

(٤) الصرار : خيط يشد فوق خلفها لئلا يرتضعها ولدها. البيان ٣ : ٧٤ .

(٥) هذه الأبيات مما لم يرو فى ديوان أسامة . تصرمت: تقطعت .

(٦) الـكبش : الرئيس والقائد . والقمقام : السيد الواسع الفضل .

(٧) الفرق : الخائف الفزع .

(٨) النحط : صوت معه توجع .

(٩) خ : « حمى الآجام » جمع أجمة ، وهى الشجر الـكثيف الملتف .

لو أنَّ عينَ أبى زُبَيدٍ عايَنَتْ … فَتَكاتِهِ لأقرَّ بالإحجام[1]
لحملتُ من بعد الثَّمانينَ العصا … متيقِّنا إنذارَها لِحِمامى

وقال أيضاً أطال الله بقاءه فى المعنى :

مع الثَّمانينَ عاثَ الضَّعفُ فى جُلَدِى … وساءَنى ضعفُ رجلى واضطرابُ يدى[2]
إذا كتبت فخطِّى جِدُّ مضطربٍ … كخَطِّ مرتعشِ الكفين مرتعدِ[3]
وإن مشيت وفى كفِّى العصا ثقُلت … رجلى كأنى أخوض الوحلَ فى الجَلَدِ[4]
فاعجَبْ لضعف يدى عن حملها قلماً … من بعد حَطْم القنا فى لَبَّة الأسد
فقُلْ لمن يتمنَّى طولَ مدّته … هذِى عواقبُ طول العمر والمددِ

قال المؤلف أطال الله بقاءه : دخل علىَّ بالموصل سنة ست وعشرين وخمسمائة رجلٌ من أهل الموصل نَصرانىٌّ يعرف بابن تَدرُس[5]، وهو شيخ كبير يمشى على عصا ليسلم علىّ ، وأنشدنى والعصا بيده قبل السلام :

أحمَدُ الله إذْ سَلِمتُ إلى أن … صرت أمشى وفى يدى عُكَّازه
نعمةٌ ليتنى بقِيت عليها … حذرًا أن أُشال فوق جِنَازه[6]

وقال آخر :

عصيت العصا أيَّام شَرخ شبيبتى … فلما انقضى شَرخ الشباب أطعتُها
أُحمِّلُها ثقلى ويحسب كلُّ مَن … رآها بكفّى أننى قد حملتها

(١) أبو زبيد الطائى ، حرملة بن المنذر، كان نصرانيا مخضرما ، وكان أوصف الناس للأسد ، وصفه بحضرة عثمان بن عفان وصفا مرعبا ، فقال له عثمان : اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين. انظر الشعر والشعراء ٢٦٠ والأغانى ١١ : ٢٣ ـ ٣٠ والمعمرين ٨٦ والجمحى ١٣٢ والخزانة ٢ : ١٥٥ ـ ١٥٦ .

(٢) هذه الأبيات مما لم يرو أيضا فى ديوان أسامة . وقد أنشدها فى الاعتبار ١٦٣ . وانظر ابن خلكان ١ : ٦٣ والمسالك ١٠ : ٥٠٠ مصورة دار الكتب .

(٣) فى الأصل والمسالك : «لخط مرتعش» ، والوجه ما أثبت من خ والاعتبار .

(٤) الجلد : الغليظ من الأرض .

(٥) خ : « بابن مرزينا » .

(٦) فى الأصل : « خالداً لا أشال » ، وأثبت ما فى خ .

وقال المؤلِّف رحمه الله(١) :

حملَتْ ثِقلِيَ في السهل العصا … ونبَتْ بي حين حاولت الحزْونا(٢)

وإذا رجــلِيَ خانتني فلا … لوم عندي للعصا في أن تَخُونا(٣)

قال المؤلف : وأنشدني العميد أبو الحسن علي بن أبي الآمال بالموصل في سنة ست وعشرين وخمسمائة ، ولم يُسمِّ القائل :

مازلت أركب شاكلاتِ الربرب … حتَّى مشَيت على العصا كالأحدب(٤)

وتزلّ رجـلي كلَّما ثبَّتها … فـكأنني أمشي الوحَى في الطُّحلب(٥)

أأزيد ثالثة وأنقص عن مَـدَى … مشي اثنتين لقد أتيتُ بمعجب

والليثُ لو بلغت سِنُوه سِنِيَّ أو … قارَبْنَهَا ، أمْسَى فريسةَ ثعلب(٦)

قال: وأنشدني القاضي الرشيد أحمد بن الزبير بمصر سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، للشاعر المعروف بابن المكربل(٧) :

تقوّس بعد طول العمر ظهري … وداستني الليالي أيَّ دوسِ

فأمشي والعصا تمشي أمامي … كأن قَوامها وترٌ لقوس

قال المؤلف رحمه الله : أنشدني الخطيب مجد الدين أبو عمران موسى ابن الخطيب قدوةِ الشريعة يحيى الحِصْكَفِي(٨) رحمه الله ، بظاهر مَيّافارِقين في شعبان سنة إحدى وستين وخمسمائة :

---

(١) كذا في الأصل . وفي خ : « أطال الله بقاءه » هنا وفي سائر المواضع .

(٢) في الأصل ، خ: «ونبت بي حين حاولت الحرونا»، صوابه في الديوان ٣٢٣ . والحزون: جمع حزن ، بالفتح ، وهو ما غلظ من الأرض .

(٣) في الأصل : « في العصا أن تخونا » ، ولا يستقيم به الوزن، وصوابه في خ الديوان .

(٤) شاكلة الشيء : جانبه .

(٥) في الأصل: « في الطلب »، وأثبت ما في خ.

(٦) في الأصل : « سنوه سنتي أوقاربت » ، صوابه في خ .

(٧) خ : « بالمكربل » .

(٨) نسبة إلى حصن كيفا ، وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. ويحيى هذا، هو أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسن الحصكفي الخطيب، ترجم له في خريدة القصر ، وسرد طائفة من خطبه وأشعاره .

كبرتُ إلى أن صرتُ أمشي على العصا
لتجبر ما أعرَى الزّمان من الوَهن (١)
يقولون ماتَشْـكى وهل من شكاية
أشدَّ على الإنسانِ من كبر السنّ (٢)

قال : وأنشدنى أيضاً لبعضهم :

[حملتُ العصا لا الضّعف أوجب حملها عَلَيّ ولا أنّى تحنَّيتُ مِنْ كِبَرْ]
ولكننى ألزمت نفسِيَ حَمْلها لأُعلِمهاَ أن المقيم على سفرْ

قال : وأنشدنى بها الموفّق نصر بن سلطان لبعضهم :

كل أمرٍ إذا تفكرت فيه وتأملته تراه طريفا
كنت أمشى على اثنتين قويا صرت أمشى على ثلاث ضعيفا

قال المؤلف رحمه الله :

إذا تقوّس ظهر المرء من كبر فعاد كالقوس يمشى والعصا وتر (٣)
فالموت أروح شىء يستريح به والعيش فيه له التعذيب والضرر (٤)

وقال أيضاً فى المعنى (٥) :

إذا عاد ظهر المرء كالقوس والعصا له حين يمشى وهى تقدمه وترْ
وملّ تكاليف الحياة وطولَها وأضعفه من بعد قوّته الكبر
فإن له فى الموت أعظمَ راحةٍ وأمناً من الموت الذى كان ينتظر

وقال المؤلف رحمه الله :

حنانِيَ الدهر وأفنتْنى الليالى والغِيَرْ
فصرتُ كالقوس ومِن عصاى للقوس وتر

(١) فى الأصل : « ليخبر ما أعدى الزمان على الوهن »، صوابه فى خ .
(٢) شكيت ، لغة فى شكوت .
(٣) فى الأصل و خ : « فعادة القوس » ، صوابه من الديوان ٣١٨ .
(٤) فى الديوان : « أروح آت » .
(٥) الأبيات التالية فى ديوانه ٣١٩ .

أهدج فى مشي وفى خطوى فتورٌ وقِصر
كأنـنّى مقيــدٌ وإنما القيدُ الـكبر
والعمر مثل الماء ، فى آخره يأتى الـكدرْ

وأنشدنى الأمير السيد شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين العلوى الحسينى ، بالموصل فى شوال سنة خمس وستين وخمسمائة ، لبعض المغاربة :

ولى عصاً فى طريق السَّير أحمدها بها أقدِّم فى تأخـيرها قدمى
كأنها وهى فى كفِّى أهشُّ بها على ثمانين عاماً لا على غنمى
كأننى قوسُ رامٍ وهى لى وترٌ أرمى عليها رِماء الشَّيب والهرم

قال المصنف رحمه الله : وحدثنى الشريف الإمام شمس الدين أبو المجد على ابن على بن الناصر[1] للحق الحسينى الحنفى بالموصل، فى شهر رمضان سنة خمس وستين وخمسمائة قال : خرج خواجا بُزُرك[2] وفى يده عصا ، وهو ينشد هذين البيتين:

بعد الثمانين ليس قوه لهفى على قوّة الصَّبوّه[3]
كأنى والعصـا بكفِّى موسى ولـكن بلا نبوّه

قال: وأنشدنى أيضاً قال: أنشدنى والدى أبو الحسن على قال: أنشدنى والدى أبو طالب يحيى قال: أنشدنى والدى الأمير أبو شجاع وقدعلت سِنُّه وحَمَل العصا :

أهدى لىَ الدهرُ رجلاً منه ثالثةً ما كان أحسَنَنى أمشى بثنتينِ
أمشى بها وهى تمشى بى معاونةً ما كان أحسنَنى أمشِى بلا عَونِ

(١) خ : « الناصر الحق » .
(٢) هو نظام الملك الطوسى الحسن بن على بن إسحاق. انظر ما سبق فى صفحة ١٨٦، ١٨٧ .
(٣) هذان البيتان نسبا إلى نظام الملك ، كما فى وفيات الأعيان. وهذه النسبة لا تستقيم، والشعر نفسه يأباها فإن نظام الملك ولد سنة ٤٠٨ وقتل سنة ٤٨٥ ، أى إنه لم يصل إلى الثمانين. والصواب نسبتها إلى أبى الحسن محمـــد بن أبى الصقر الواسطى ، كما فى الوفيات فى ترجمة نظام الملك . وابن أبى الصقر هـــو محمد بن على بن الحسن ، ولد سنة ٤٠٩ وتوفى سنة ٤٩٨ . ورواية ابن خلـكان : «قد ذهبت شِرة الصبوه». وكلمة « الصبوة » لم أجد لها سندا فى المعاجم، وفيها « الصبو » بدون هاء .

هديَّةً كنت آباها فصيَّرها ... إلىَّ بالرغم منى قُرَّةَ العينِ
بانَ الشباب وجاء الشَّيب يَصحبه ... ياليتها صحبةٌ تبقى بلا بَينِ

وقال المؤلف رحمه الله :

ويحَ السِّنينَ ومرِّها ... ماذا بنا هى فاعله
جعلت عصاىَ ولم تكن ... شُغلى لِكَفِّىَ شاغله
محمولة هى فى المجا ... ز وفى الحقيقة حامله
والعمرُ ألجأنى إلي ... ها والقُوَى المتخاذله
والنَّفس عما سوف تل ... قَى حين تُسْلَمُ غافله
وجميعُ مكروهاتِها ... فى العيشة المتطاوله

قال المؤلف رحمه الله(١) .

قصَّر خطوى وحَنَى صعدتِى ... مُزَوِّرٌ دهرٍ خائن خابلِ(٢)
وصار كفِّى مالكاً للعصا ... من بعد حمل الأسمر الذابل
أمشى بضعفٍ وانحناء على ... عصاىَ مشىَ الصائد الخاتل
كأنَّنى لم أمش يوم الوغى ... إلى نِزال البطل الباسل
ولم أشُقَّ الجيش لا أختَشِى ... من الردَى كالقدرِ النازل
فانظرْ إلى مافعل العمرُ بى ... من طُوله لم أحظَ بالطَّائل
يا حسرتا إنِّى غداً ميِّت ... على فراشى مِيتةَ الخامل
هلاّ أتانى الموتُ يومَ الوغى ... بين القنا والأسلِ الناهلِ

وقال أيضاً(٣) :

نظَرَتْ إلى ذى شيبة مُتهدِّمٍ ... أفناهُ ما أفنَى من الأعوام(٤)
يمشى وتَقدُمُه العصا وقد انحنى ... فكأنها وترٌ لقوس الرامى

---

(١) الأبيات التالية مما لم يرد فى ديوانه .

(٢) فى الأصل : « وقنا صعدتى . . . خاتل »، صوابه فى خ .

(٣) وهذه الأبيات أيضا مما لم يرد فى ديوانه .

(٤) فى الأصل : « أفنى وكم أفنى »، صوابه فى خ .

ورأتْ سِماتِ الأريحيَّة والنَّدَى … ودلائلَ المعروف والإقــدام
واستَخبرَتْ عنِّى فقلت لها امرؤ … نائى المواطن من كرام الشّام
نَبَت الديارُ به وضاق فسيحُها … عنـه ففارقَها بغَـير مَلام
قالت من أىِّ الناسِ أنت فقلت مِن … أولاد مُنقِذَ فى ذُرَّى وسَنام
من معشر أبدًا تروح رماحُهم … بدم العِدَى مخضوبة الأعلام
تحمى البلادَ سيوفُهم وتبيح ما … تحميه دونهم سيوفُ الحامى
النازلين بكلِّ ثغر خائف … والآمنين مَعَـرَّةَ الجُرّام(١)
وإذا أناخ السائلون بجوِّهم … عادُوا ثِقالَ الظَّهر بالإنعام(٢)
كم فيهم عند الحقوقِ إذا عَرَتْ … من باذلٍ متبرِّع بسَّام(٣)
تُغنى يداه إذا هما هَمَتَا ندًى … فى المَحْل عن صوب الغمام الهامى
يتهلَّلون طلاقةً ويخافهــم … لسُطاهمُ الآسادُ فى الآجام(٤)
قالت فأين همُ فقلتُ أبادَهمْ … دهرٌ وهــل باقٍ على الأيام
ووددْت لو ناهَلْتهم كأسَ الردى … ووَرَدْتُ قبلَهمُ حياض حِمامى
لحياةُ مثلى بعــد عزٍّ باذخ … ومعاشرٍ غُلبٍ ومالٍ نام
ونفاذِ أمرٍ لا يُرَدّ ، يُطيعه … فيما قضى العاصِى من الأقوام(٥)
لأشَدُّ مِن غُصص الحِمام وراحتى … بالموت غايةُ مُنيَتى وَمرامِى(٦)
فبكت بزفرة مُوجَع لو صادفت … حجرًا لذاب من الزَّفير الحامى

وقال أيضاً :

حَمَلْتُ ثقلى بعد ما شبتُ العصا … فتحملَتْه تحمُّــل المتكارِهِ

(١) المعرة: الأذى والجناية . والجرام: جمع جارم ، وهو الجانى. وفى الأصل : « الحرام ».
(٢) الجو : ما انخفض من الأرض . وفى الأصل : « بنحوهم » ، صوابه فى خ .
(٣) فى الأصل : « متترع » ، صوابه ما أثبت من خ .
(٤) السطا ، أراد بها السطوات .
(٥) أى إن العاصى يخضع له. وفى الأصل: « مطيعه فيما قضى القاضى » ، صوابه فى خ.
(٦) فى الأصل : « لاشك » ، صوابه فى خ .

ومشت به مشىَ الحسير بوِقره   لا يستقل مقيَّدا بعِثاره[١]
ما آدها ثِقلى ولكن ثقل ما   أبقى الشباب علىَّ من أوزاره[٢]
ورجاىَ معقودٌ بمن أعطى أخا السَّبعين عهدة عتقه من ناره

وقال أيضاً[٣] :

غَرِضتُ من الحياة فكلُّ عمرى   تصرَّم بالحوادث والخطوب[٤]
فما ظفرت يدى بسرورِ يومٍ   بغير هموم حادثةٍ مَشُوبِ
صِباً كالسُّكر أعقبه شباب   تقضَّى بالوقائع والحروب
ووافى بعده شيبٌ بَغيض   فلا سَقياً لأيام المشيبِ
أرانى طِيب لذّاتى ولهوى   يعدُّ من الجهالة والعيوبِ
وأدّانى إلى كبرٍ وضعف   وأدواء خَفِينَ على الطبيب[٥]
إذا رُمتُ النُّهوض ظننتُ أنّى   حملت ذُرى الشّناخب من عسيب[٦]
فإن أنا قمت بعد الجهد أمشى   فمشيى حين أعجل كالدَّبيب
تسيِّرنى العصا هَوناً وخلفى   مسيرُ الموت كالرِّيح الهَبوب
وأفنَى الموتُ إخوانى وقومى   وأترابى فها أنا كالغريبِ
وفيما قد لقيت ردًى وموتٌ   ولكن ليس قلبى كالقلوب

(١) فى الأصل : « بعشاره » ، صوابه من خ والديوان ٣٢٣ .
(٢) كلمة « على » ليست فى الأصل ، وإثباتها من خ والديوان .
(٣) الأبيات التالية مما لم يرد فى ديوانه .
(٤) يقال غرض غرضا، من باب تعب: أى أدركه الملال والضجر. وفى الأصل: «غوضت» ، صوابه فى خ . وقال أسامة أيضا فى ديوانه ٤٦ :

غرضت من الهجران والشملُ جامع   ولم يتعمدنا بفرقتنا الدهر

(٥) فى الأصل : « وأدواء جفين » ، صوابه فى خ .
(٦) ظننت ، هى فى الأصل : « هممت » . صوابه فى خ . والشناخب : جمع شنخوب ، وهو رأس الجبل وأعلاه . وعسيب : جبل بعاليه نجد .

وقال أيضاً :

إنْ ضعفتْ عن حمل ثِقْلى رجلى ... ورابنى عِثارُها فى السهل[(١)]
أَمْشى كما يمشى الوَجى فى الوحلِ ... مشىَ الأسير مُوثقاً بالكِبْل
فالعصا عندىَ عُذرُ المُبْلى[(٢)] ... إن عَجَزت أو ضَعُفَت عن حَملى

وقال أيضاً وكتب بها فى كتاب إلى ولده الأمير عضد الدين أبى الفوارس مرهف إلى مصر يطلب منه عصاً من آبنوس[(٣)] :

أريد عصاً من آبنوسٍ تُقِلُّنى ... فإن الثمانين استعادت قُوَى رِجْلى
ولو بعصا موسى اتّقيتُ لآدها ... على مابها من قُوّةٍ حَمْلُها ثِقْلى
ولكن تمنّينا الرّجاء بباطلٍ ... وكم قَدْرُ ماتُرجى المنايا وكم تُمْلى[(٤)]
إذا بلغَ المرءُ الثمانين فالرّدَى ... يناديه بالتّرحال من جانب الرّحلِ

وقال أيضاً[(٥)] :

لما بلغت من الحياة إلى مَدَى ... قد كنت أهواهُ تمنيّت الرّدَى
لم يُبقِ طولُ العمر منى مُنّةً ... أَلقَى بها صَرْفَ الزّمانِ إذا اعتدى
ضَعُفَت قوايَ وخاننى الثِّقتانِ من ... بصرى وسمعى حين شارفتُ المَدَى
فإذا نَهَضتُ حسبت أنّى حاملٌ ... جبلاً وأمشى إن مشَيت مقيَّدا
وأدبُّ فى كفِّى العصا وعهدتُها ... فى الحرب تحمل أسمرًا ومهنّدا
وأبيت فى لِيَن المِهاد مسهَّدًا ... قلقاً كأننِيَ افترشت الجَلْمَدا
والمرءُ ينكَس فى الحياةِ وبينما ... بلغَ الكمالَ وتمَّ عادَ كما بدا

وقال أيضاً[(٦)] :

ألوم الرّدَى كم خضته متعرِّضاً ... له وهو عنِّى معرِضٌ متجنِّبُ

---

(١) فى الأصل : «ورداسنى»، صوابه فى خ والديوان ٣٢٠ .
(٢) يقال أبلاه عذراً : أداه إليه فقبله .
(٣) الأبيات التالية ليست فى ديوانه.
(٤) فى الأصل : «ترجى» وأثبت ما فى خ .
(٥) الأبيات التالية ليت فى ديوانه .
(٦) الأبيات التالية لم ترد فى ديوانه . وقد وردت ما خلا البيت الرابع فى كتاب لباب الآداب ص ٢٢٦ .

وكم أخذت منّي السُّيوفُ مآخذا ... حِمامٍ ولكنَّ القضاءَ مغيَّبُ
إلى أن تجاوزْتُ الثمانينَ وانقضت ... بُلَهنِيةُ العيش الذى فيه يُرغب[١]
وأصبحت أستهدِي العصا فتميلُ بى ... لضعفى عن قصدى كأنِّيَ أنكَبُ[٢]
فمكروهُ ما تَخشى النُّفوسُ من الرَّدَى ... ألذُّ وأحلى من حياتى وأعذب[٣]

وقال أيضاً[٤] :

قد كان كفِّى مألَفاً لمهنَّدٍ ... تُعرَى القلوبُ له وتُفرَى الهامُ[٦]

— قوله « تُعرَى » من العُرَواء ، وهى الحُمَّى[٧] —

ولأسمرٍ لدنِ الكعوب وحازَه ... حيث استمرَّ الفِكرُ والأوهامُ
يتزايل الأبطال عنِّى مثلَ ما ... نَفَرت من الأسَد الهَصُورِ نعامُ
فرجَعتُ أحمِلُ بعد سبعينَ العصا ... فاعجَبْ لما تأتى به الأيّام
وإذا الحِمامُ أبَى معاجلَةَ الفتى ... فحياتُه لا تُكذَبَنَّ حِمامُ[٨]

قال مؤيِّد الدولة مؤلِّفُ هذا الكتاب ، رحمه الله[٩] : هذا آخرُ ما قلته وجمعته ، وألّفته ورصَفته، فى ذكر العصا. وبه نجز الكتاب، بعون الملك الوهّاب.

---

(١) البلهنية : سعة العيش ورخاؤه ونعمته .
(٢) الأنكب : الذى كأنما يمشى فى شق ، أى جانب .
(٣) فى لباب الآدب : « وأطيب » . (٤) الأبيات التالية مما لم يرو فى ديوانه .
(٥) فى الأصل : « تفدى القلوب » صوابه فى خ .
(٦) فى الأصل : « الحماء » .
(٧) فى الأصل : « قوله تفدى من الفداء وهو الحماية»، والصواب ما أثبت من خ. يقال عرته الحمى : أخذته بعروائها ، وهى الرعدة ، يقال عرى فهو معرو .
(٨) فى الأصل : « وإذا الحمام أتى » ، صوابه فى خ .
(٩) « قال المولى مؤيد الدولة مؤلف هذا الكتاب أطال الله بقاءه، وحرس نعماءه » .

رسالة التلميذ

لعبد القادر بن عمر البغدادى

١٠٣٠ — ١٠٩٣

مقدمة

عبد القادر البغدادى :

فى سنة ١٠٣٠ وفى مدينة بغداد، ولد عبد القادر بن عمر البغدادى، وبغداد يومئذ فى محنة قاسية بين الدولة الصفوية وعلى رأسها الشاه عباس، والدولة العثمانية.

وفى سنة ١٠٤٨ حين حمى وطيس القتال حول بغداد وتدفقت إليها جيوش مراد الرابع العثمانى فانتزعتها من الإيرانيين، حينئذ رحل عبد القادر إلى دمشق فكان شيخه فيها محمد بن يحيى الفرضى، ولكنه لم يستقر بها عامين حتى شد رحاله إلى القاهرة فدخلها سنة ١٠٥٠ وكان شيخه فيها شهاب الدين الخفاجى، كما كان من شيوخه يس الحمصى، والنور الشبراملسى، والبرهان إبراهيم المأمونى. وبموت الخفاجى سنة ١٠٦٩، انتقلت معظم كتبه إلى عبد القادر، وضم إليها بعد ذلك كتباً أخرى جليلة الشأن. وفى سنة ١٠٧٧ وهى السنة التى تولى مصر فيها إبراهيم باشا كتخذاء، اتصل به عبد القادر فأحله محلا كريماً، وكان سميره ونديمه، وظل ملازما له إلى انتهاء مدة ولايته سنة ١٠٨٥ فرجع معه إلى ديار الروم، واتصل حبله هناك بالوزير أحمد باشا الكوبريلى فألف باسمه (شرح قصيدة بانت سعاد)، ثم بالسلطان محمد بن السلطان إبراهيم، فتوج باسمه كتابه الكبير (خزانة الأدب)، وظل فترة من الزمن مضطربا بين الشام والروم، ثم عاد من طريق البحر إلى مصر ولم تطل مدته بها حتى توفى فى سنة ١٠٩٣[1].

التلميذ :

كلمة ضعيفة الصلة بالأصول العربية فى مادتها، لذلك صرح بعض اللغويين القدماء، وفى مقدمتهم ابن دريد فى الجمهرة ٢ : ٣٧ وابن فارس فى مقاييس اللغة ١ : ٣٥٣، والجواليقى فى المعرب ٩١، والخفاجى فى شفاء الغليل بأنها ليست عربية الأصل.

---

(١) انظر خلاصة الأثر للمولى المحبى ٢ : ٤٥١ — ٤٥٤ ومقدمة الأستاذ محب الدين الخطيب لخزانة الأدب التى اضطلعت بأكبر عبء فى تحقيقها من سنة ١٣٤٧ — ١٣٥١.

ومهما يكن فإن هذه الكلمة سامية الأصل ، ومأخذها إما أن يكون من العبرية ، وإما أن يكون من السريانية . وذهب معاصرنا اللغوى الفاضل (الأب مرمرجى الدومنكى) أن أصلها الأول من العربية نفسها[1] وذلك بناء على القاعدة التى ينصرها ، وهى قاعدة (الثنائية) التى ترجع أصول الكلمات إلى أصل ثنائى تتفرع منه الثلاثيات فما فوقها ، فهو يقول إن الأصل الثنائى للكلمة موجود فى العربية وهو «لد» الدالّ على الشدة ، ومنه اشتق «لدم» الدال على الضرب ، ثم قلب إلى « لمد » بمعناه ، ثم اشتق منه التلميذ .

وأنا أرى أن هذه المحاولة البارعة يمكن إجراؤها فى كثير من الكلمات المعربة . فنستطيع أن نرد كثيرًا من الكلمات المعربة والدخيلة إلى أصل عربى، وهو لا يستقيم.

وقد تضمن مقاله النفيس، مقارنة ممتعة بين اللغات السامية فى مادة هذه الكلمة .

(فى السريانية) : « لْمَدْ » : جمع ، ضم ، أضاف . « تَلْمَيْذْ» : هذّب ، علم ، أرشد . « تَلْمِيذَا » : طالب علم ، متعلم .

(فى الأرمية) : « تَلْمِيذَا » طالب علم .

(فى المندائية) : « تَرْميدا » : تلميذ .

(فى العبرية) «لاَمَدْ» : ضرب بالسياط ، عاقب ، روّض . « مَلْمَيْدْ » : مهماز يضرب به للترويض ، خاصة للحيوانات . « تَلْمُود » : تعليم ، نظرية . « تَلْمِيدْ » : متعلم ، دارس .

(فى الحبشية) : « لَمَد » : تعود، آلف، واظب . « لَمُودْ » : متعوّد ، أليف . « لِمَاد » عادة ، طبع . « تِلْمِيذ » طالب علم ، دارس .

(فى الأكدية) : « لَمَادُو » : تعلّم ، عرف . « لَمَادُوتو » : تعلُّم ، عرفان . « مُلَمِّدُو » : معلم ، أستاذ . « تَلْمِيدُو » : دارس ، طالب علم .

---

(١) مجلة الثقافة العدد ٦٤٢ إبرايل سنة ١٩٥١ . والمقال كتب بمناسبة مقال قبله للأستاذ الجليل أحمد عبد الغفور عطار ، عنوانه (التلميذ فى لغة العرب) نشر فى مجلة الثقافة العدد ٦٣٤ فبراير سنة ١٩٥١ .

(فى العربية) : « لَمَدَ » : تواضع له بالذلّ . « لَمْدَه » : لدمه (بالقاب) — « تلمّذَ له ، وتتلمذ » : صار له تلميذا، تخرج عليه . «التلميذ» : المتعلم العلم أو للمهنة.

رسالة التلميذ :

كنت قد نشرت هذه الرسالة أول مرة فى مجلة المقتطف (عدد مارس ١٩٤٥) — وقد رأيت إعادة نشرها فى (نوادر المخطوطات) لندرتها، ولما ثار حولها وحول موضوعها فى هذه الأيام من بحث جديد .

وقد ذكر البغدادى فى صدر رسالته أنه لم يجد كلمة « التلميذ » فى الجمهرة ، والصحاح ، والمحكم ، والعباب ، والقاموس . فعقب عليه الأستاذ المحقق (أحمد عبد الغفور عطار) فى مجلة الثقافة ، بأنها وجدت فى جميع هذه الكتب ، ولكن فى غير مظنها، أى فى مادة (تلم)، وأما صاحب العباب فإنه لم يذكر هذه الكلمة لأن تأليفه إنما وصل إلى مادة (بكم) ولم يتم تأليف معجمه . وزاد على ذلك أن الكلمة وردت فى مادة (تلم) من المجمل والمقاييس لابن فارس والتهذيب للأزهرى والمخصص ١٢ : ٢٥٧ والقرطين لابن مطرف الكنانى ، وشفاء الغليل للخفاجى .

ولكنه قد غاب عن الأستاذ الباحث عطار ، أن البغدادى لم يعنِ بكلامه فى صدر رسالته أنه لم يجد الكلمة فى تلك الكتب، بل أراد أنه لم يجدها فى مادتها التى يتوقعها فيها الباحث وهى (تلمذ) ، بدليل أن البغدادى نفسه أورد فى رسالته نصوصاً من الصحاح والقاموس والتهذيب من مادة (تلم) وفيها ذكر التلميذ والتلاميذ .

أصول رسالة التلميذ :

أصول هذه الرسالة ثلاث نسخ محفوظة بدار الكتب المصرية : إحداها برقم ٦ مجاميع ش ، والثانية برقم ١٨١ مجاميع ، والثالثة برقم ١٢٢ مجاميع . وقد رمزت إلى هذه النسخ بالرموز : ا ، ب ، ج على التوالى . وأصح هذه النسخ وأكملها هى نسخة ب ، وكل ما أثبته بين علامة الزيادة فهو منها .

وفى الخزانة التيمورية نسخة بخط المغفور له العلامة أحمد تيمور باشا كتبها بخطه سنة ١٣٢٢ . وهذه رسالة التلميذ :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين .

[أما بعد] فهذه كلمات ذكرتها لمعنى التلميذ، فإنى لم أجد هذه الكلمة مذكورة فى كتب اللغة المتداولة، المدوَّنة [لبيان] الجليل والحقير، وذكر النقير والقِطْمير، كالجمهرة لابن دريد، والصّحاح للجوهرى، والمحكم لابن سيده، والعباب للصاغانى، والقاموس لمجد الدين الفيروزابادى، وغيرها، إلاّ فى لسان العرب لابن مكرَّم، فإنه أورده فى مادة (تلمذ) وقال : « التلاميذ : الخدَم والأتباع، واحِدُهم تِلميذ »، مع أنّها كلمة متداولة بين العام والخاص، وكثيرة الاستعمال فى تآليف العلماء الأعلام .

وكان الباعث لهذا أنى لما قرأت كتاب مغنى اللبيب، ووصلت إلى قوله فى الباب الخامس «حُكِى لى أنّ بعض مشايخ الإقراء أعرب لتلميذه بيتَ المفصّل[1]» رأيت شارحه الفاضل إبراهيم بن الملاّ الحلبى[2] قال : « التلميذ : القارئ على الشيخ . ولم أقف عليه فى شىء من كتب اللغة المتداولة كالصحاح والقاموس وغيرهما» اه .

فحينئذٍ تتبعت بطون الدفاتر، من مصنفات الأوائل والأواخر، حتى رأيته فى كتاب النبات لأبى حنيفة الدينورى، فإنه ساق[3] فيه شعراً للبيد بن ربيعة العامرىّ الصحابى وفيه هذا البيت :

فالماء يجلو متونهنّ كما ... يجلو التلاميذُ لؤلؤاً قَشِبا[4]

وقال بعد إنشاد الأبيات : «التلاميذ غلمان الصنَّاع . والقَشِب والقشيب : الجديد، والجمع القُشُب» .

---

(١) المفصل للزمخشرى فى النحو . انظر شرح ابن يعيش ٢ : ٩٤ . والبيت هو :

لايبعد الله التلبب والغا ... رات إذ قال الخميس : نعم

(٢) هو إبراهيم بن الملا محمد الحلبى المتوفى سنة ٩٧٩ . ذكره فى كشف الظنون. وفى ا، ح : « حلبى » موضع . « الحلبى » تحريف . (٣) ا، ح : « سابق »، والصواب فى ب.

(٤) ديوانه ١٤١ بشرح الطوسى، وفيه: «التلاميذ غلمان الصاغة .. التلاميذ فارسى» .

ورأيته أيضاً فى شعر أمية بن أبى الصلت، وهو شاعر أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يوفَّق للإيمان به. وغالب شعره فى الوعظ وتذكير الآخرة وقصص الأنبياء، وهو مما لا يكاد يُقضَى العجب منه. قال فى قصيدة:

والأرض مَعقِلُنا وكانت أمَّنا فيها مقامتُنا وفيها نولدُ
وبها تلاميذ على قُذفاتها حُبِسوا قياماً فالفرائص تُرْعَدُ(١)

قال شارح ديوانه: «التلاميذ الخدم، يعنى الملائكة».

وقال أيضاً فى قصيدة أخرى:

صاغ السماء فلم يخفض مواضعَها لم ينتقص علمَه جهلٌ ولا هَرَمُ
لا كشِّفت مرةً عنَّا ولا بليت فيها تلاميذ فى أقفائهم دَغَمُ(٢)

وقال شارحه هنا أيضاً كذلك.

ورأيت فى المقامة الأولى من المقامات الحريرية قوله: «فوجدته محاذياً لتلميذ، على خبز سميذ، وجدى حنيذ، وقبالتَهما خابيةُ نبيذ(٣)». قال شارحه الشريشى: «التلميذ متعلم الصنعة، والتلميذ الخادم، والجميع التلاميذ». وأنشد بيت لبيد المتقدم، ثم قال: «وطلبة العلم تلاميذ شيخهم» اهـ.

وإهمال داله لغة فيه، قال أمية بن أبى الصلت فى القصيدة الدالية التى تقدم إنشاد بيتين منها:

فمضى وأصعد واستبدَّ إقامةً بأولى قوًى فمبتَّل ومُتلمَدُ

قال شارحه: «يريد متلمَد، أى خادم من التلاميذ. وتُلمِد: جُعل للخدمة. «متلمِد» بكسر الميم. وأراد بأولى قوى: الملائكة الذين يحملون العرش. وقوله: «فمضى» يعنى الله عزّ وجل. واستبدّ، يعنى لا يستشير أحداً، يقال استبدّ

(١) القذفات بضم الذال وفتحها: جمع قذفة، بالضم، وهى الناحية. وقذفات الجبال وقذفها: ما أشرف منها. (٢) الدغم: السواد.

(٣) هذا سهو من البغدادى، فإن الشريشى فى هذا الموضع لم يقل إلا: «تلميذ، متعلم الصنعة». انظر الشريشى ١: ٢٩ س ١. وأما الكلام الذى نقله البغدادى بعد فهو تعليق على قول ابن الحريرى: فالتفت إلى تلميذه وقال عزمت عليك بمن تستدفع به الأذى، لتخبرنى من ذا». انظر الشريشى ١: ٣٠.

فلان برأيه ، إذا لم يستعن أحداً على ما يريد . والمبتَّل : المفرد اهـ .

ويؤخذ منه أن تاءه أصلية ، ووزن تلميذ فِعليل ، وأن له فعلاً متصرفاً هو تلمذه كدحرجه ، بمعنى خدمه ، يتلمذه كيدحرجه ، تلمذة وتِلماذا ، كدَحْرَجَةً ودِحْراجاً ، فهو متلمذ كَمُدَحْرِج بمعنى خادم ، وذاك متلمَذ أى جعل خادماً[١] .

وإطلاق التلميذ على المتعلم صنعة أو قراءة ، لأنه فى الغالب يخدم أستاذه .

وقول الناس : « تلمَّذ له » و « تلمَّذ منه » بتشديد الميم ، خطأ ، لأنهم توهَّموا أن التاء زائدة ، وليس كذلك ، وصوابه « تلمَّظ له » و « تلمظ منه[٢] » بالظاء المشالة المعجمة . ولمَّظه أى أطعمه وأذاقه . والتلمظ : تتبُّع اللسانِ بقية الطعامِ فى الفم . وقد يكنى به عن الأكل ، استعير للتعليم شيئًا فشيئًا .

والتلميذ يجمع على تلاميذ ، فإنَّ فِعليلا يجمع على فَعَاليل ، كبرطيل وبراطيل ، وعفريت وعفاريت ، وقنديل وقناديل ، وإصليت وإصاليت ، وإبريق وأباريق ، ومنديل ومناديل . وأما قولهم فى جمعه « تلامذة » فعلى توهم أنه اسم أعجمى[٣] ، فإن الهاء فى الجمع تكون فى أحد ثلاثة مواضع : (أحدها) الاسم الأعجمى المعرب ، سواء كانت للتعويض عن مَدّةٍ نحو أستاذ وأساتذة ، أم لا نحو موزج وموازجة ، وكيلجة وكيالجة . (ثانيها) للتعويض عن ياء النسب فى المفرد ، نحو أشعثى وأشاعثة ، ومهلبى ومهالبة ، وأزرقى وأزارقة . (ثالثها) للتعويض [إما] عن ألف خامسة جوازاً نحو حبنطى وحبانطة ، وعفرنى وعفارنة ، وإما عن [عينٍ[٤]] مضاعفة نحو جبار وجبابرة . وفى غير هذه المواضع الثلاثة قليل نادر كفحولة وحجارة .

قيل : وقد يرخم التلاميذ فى الشعر على تَلَام ، كقول الطرِمَّاح :

تتقى الشمس بمدريَّةٍ كالحماليج بأيدى التلام

(١) الأولى من تلمذه بمعنى خدمه ، والأخيرة من تلمذه أى جعله خادماً .

(٢) هذه فتوى لغوية للبغدادى . ولنا يستعمل هذا التعبير ، ولا أظنه سائغاً .

(٣) كأن البغدادى يذهب إلى أنه عربى .

(٤) كتبت كلمة عين فى ا ، حـ لكن جعل فوقها خط ، والصواب إثباتها.

والحماليج: منافخ الصاغة الطوال، واحدها حملوج. شبه قرن البقرة الوحشية بها.

قال الجواليقى فى المعرّبات[1] : «التلام أعجمى معرب ، قيل هم الصاغة ، وقيل غلمان الصاغة، وقيل هم التلاميذ» . وأنشد هذا البيت .

وأنشد ابن برى فى حاشية الصحاح قول غَيلان بن سلمة الثقفى[2] أيضاً :

وسربال مضاعفة دِلاص قد أحرزَ شكَّها صُنعُ التّلامِ

وروى : « التلام » فى البيتين بفتح التاء وكسرها . أما الفتح فعلى أنه مرَخَّم التلاميذ ضرورة . وقد اقتصر عليه صاحب الصحاح ، وقال : « التلام التلاميذ سقطت منه الدال » .

وصاحب الصحاح تابع فى هذا لأبى على ، قال فى المسائل العسكرية[3] :

ومن قبيح الضرورة قول الشاعر :

* مثل الحماليج بأيدى التلامْ *

قالوا : يريد التلامذة ، فحذف . وقد أعلمتك أن ذلك يكون على الترخيم فيما تقدم . إلا أنه قد جاء من هذا النحو ما لا يكون فى الترخيم كقوله[4] :

* دَرَس المَنَا بِمُتَالعٍ فأبانِ *

قالوا : يريد : المنازل . ومثل ذلك ما أنشدوه لأبى دُوادٍ[5] الإيادى :

* فكأنما تذكى سنابكها حُبَا[6] *

قيل يريد الحباحب، أى نار الحباحب . وفى التنزيل: «فالموريات قَدحًا» . انتهى كلامه .

---

(١) المعرب للجواليقى طبع دار الكتب ص ٩١ .

(٢) شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. الإصابة ٦٩١٨ والأغانى ١٢: ٤٣ ـــ ٤٧.

(٣) المسائل العسكرية لأبى على الفارسى المتوفى سنة ٣٣٧ . نقل منها البغدادى نصوصاً جليلة فى مواضع شتى من الخزانة . انظر ١ : ٩ ، ١٤ / ٢ : ٦٢ ، ٢٧٥ ، ٤٠٢ ، ٥٢٢ / ٣ : ٤٦ / ٤ : ٦٧ ، ٧٣ ، ٥٨٢ ، ا ، حـ « مسائل العسكرية » تحريف .

(٤) هو لبيد بن ربيعة. والبيت مطلع قصيدة له فى ديوانه طبع فينا ١٨٨٠ وعجزه :

* وتقادمت بالحبس فالسوبان *

(٥) ا ، حـ : «لأبى دؤاد » بالهمز . (٦) روى البيت فى اللسان ١ : ٢٨٨ هكذا :

يذرين جندل حائر لجنوبها فكأنها تذكى سنابكها الحبا

وأما الكسر فعلى أنه جمع «تلم» بكسر فسكون، بمعنى الغلام. قال ابن مكرّم[١]: فمن[٢] رواه: التلامى، بفتح التاء وإثبات الياء، أراد التلاميذ، يعنى تلاميذ الصاغة. هكذا رواه أبو عمرو، وقال: حذف الذال من آخرها[٣]. ومن رواه: التلام، بكسر التاء، فإنّ أبا سعيد قال: التلم الغلام. قال: وكلُّ غلامٍ تِلمٌ، تلميذاً كان أو غير تلميذ، والجمع التلام. وقال ابن الأعرابى: التلام: الصّاغة، والتلام: الأكرة» اهـ.

وأقول: «الصاغة» تصحيف من الصناع[٤] لوقوعه فى صحبة الحماليج. ويدفعه البيت الثانى[٥].

وقال صاحب القاموس: «التلم، بالكسر: الغلام، والأكّار، والصائغ أو منفخهُ الطويل. وكسحاب: التلاميذ، حذفت ذاله. ولم يذكر الجوهرى غيرها، وليس من هذه المادة [و] إنما هو من باب الذال» اهـ.

أقول: أما قوله: «الأكّار والصائغ» فأخذه من قول ابن الأعرابى، على أن الصاغة والأكرة بالتحريك جمع صائغ وأكّار.

وأما قوله: «أو منفخه» فقد أخذه من قول بعضهم، وقد غلط فيه.

نقل الأزهرى عن الليث أن بعضهم قال: التلام الحماليج التى ينفخ بها. قال: وهذا باطل[٦].

والعجب من صاحب القاموس، أنه اعترض على صاحب الصحاح فى ذكره التلام فى باب الميم، مع أنه أثبته مثله، ولم يذكره فى باب الذال.

[انتهت الرسالة]

---

(١) فى لسان العرب مادة تلم. (٢) فى الأصل: «ومن»، وصواب النص من اللسان.

(٣) أسقط البغدادى هنا قول ابن منظور: «كقول الآخر:

لها أشارير من لحم تتمره ... من الثعالى ووخز من أرانيها

أراد من الثعالب، ومن أرانبها». وهذا البيت لأبى كاهل اليشكرى كما فى اللسان ٥. ١٦١.

(٤) حـ فقط: «فى الصناع». (٥) يشير إلى بيت غيلان بن سلمة.

(٦) فى اللسان: «قال أبو منصور — وهو الأزهرى — قال الليث: إن بعضهم قال التلاميذ الحماليج التى ينفخ فيها. قال: وهذا باطل ما قاله أحد».

فهرس المجموعة الثانية

صفحة

نوادر المخطوطات

٣

بتحقيق
عبد السلام هارون

المجموعة الثالثة

الطبعة الثانية

١٣٩٢ هـ = ١٩٧٣ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبى وشركاه - خلفاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذه هى المجموعة الثالثة من (نوادر المخطوطات)، وهى وثيقة هامة تقدم إلى خاصة الأدباء والباحثين مادة غزيرة فى ناحية مغلقة من نواحى الأدب العربى، وتعرض لوناً من ألوان الحياة الثقافية والاجتماعية والدينية فى بلاد الأندلس فى القرنين الخامس والسادس.

وقد كان للصديق الفاضل «الدكتور شوقى ضيف» فضل تعريفى برسالة ابن غَرسِيَّة التى لم أكن أعرف عنها إلا الاسم فحسب، وقد عثر عليها فى أثناء تفتيشه لذخيرة ابن بسام[1].

وعند مارجعت إلى الذخيرة وجدت النص، فيها مضطربا شديد التحريف، فبحثت عن مرجع آخر يسعف فى تحقيق هذا النص، فساقنى المطاف إلى فقر متناثرة نشرها المستشرق الألمانى الكبير إجنتز جولد تسيهر Ignaz Goldziher فى أثناء بحثه فى (الشعوبية عند مسلمى الأندلس) الذى قدمه إلى مؤتمر المستشرقين الثانى عشر بمدينة روما فى أكتوبر سنة ١٨٩٩ ونشره فى مجلة الجمعية الألمانية الشرقية[2].

وقد رأيت أن أطلع على البحث المكتوب باللغة الألمانية، فاتصلت بالصديق الفاضل «الدكتور عبد الحليم النجار» الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة، الذى كان له فضل إمدادى بترجمة دقيقة لهذا البحث استوجبت جزيل شكرى وعظيم التقدير.

---

(١) القسم الثالث من مخطوطة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٢٢ ص ٢١٩ — ٢٣١.

(٢) Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft المجلد ٥٣ ص ٦٠١ — ٦٢٠ ليبسك ١٨٩٩.

وكان فى النية أن أنشر هذه الترجمة النفيسة فى هـذه المجموعة، ولـكنى وجدت فيما بعدأن نطاق المجموعة يضيق عن استيعاب نص هذا البحث المسهب، فآثرت أن أوجزها إيجازاً، وأن ألحقها بنهاية هذا التقديم .

وقد دلنا جولد تسيهر على مخطوط فى مكتبة الإسكوريال برقم (٥٣٨) يتضمن هذه الرسالة وبعض الردود عليها . وهومخطوط نادرمكتوب بخط مغربى مجهول التاريخ وإن كان يبدو عليه سمة القدم، كتب فى صدره :

« الحمد لله . مجموع فيه مبايعة على بن أبى طالب أبا بكر الصديق رضى الله عنه وتفسير ألفاظها لغة، ومكاتبات الأمير على بن يوسف بن تاشفين، ومخاطبة الراهب الفرنسى وجوابه للإمام أبى الوليد الباجى، ومكاتبات أهل سبتة لأهل الجزيرة الخضراء، ومضحكات وغرائب. بالله يثق وعليه يتوكل ويعتمد مالكه محمد ابن يوسف بن محمد. وفيه المراسم الجدلية ومسائل من أصول الفقه. والحمد لله وحده ».

وهذه العنوانات هى بعض ماورد فى مجموعة الإسكوريال، وهناك عنوانات أخر لرسائل كثيرة تضمنها هذا المجموع النادر .

وبذلك اجتمع لنا نصان يسعفان فى نشر هذه الرسائل النادرة .

نص الذخيرة ونص مجموعة الإسكوريال

أما نص الذخيرة[١] فإنه يشتمل على رسالة ابن غرسية، ورسالتين أخريين هما:

١ — رد أبى جعفر أحمد بن الدودين .

٢ — ثم رد أبى الطيب بن من الله القروى .

وأما نص المجموعة فإنه يشتمل على الرسالة وعلى ردود أربعة، وهى :

١ — رسالة أبى يحيى بن مسعدة .

٢ — ثم رسالة لم يصرح باسم كاتبها، وأرجح أنه أبو يحيى .

٣ — ثم رسالة أبى جعفر بن الدودين .

---

(١) مما يجدر ذكره أن جولد تسيهر لم يطلع على هذا النص، ولم يشر إليه فى بحثه . وكان ذلك سببا فى عثرته التى أشرت إليها فى ص ٢٤٢ .

٤ — ثم رسالة أبى الطيب بن من الله القروى .

ومما هو جدير بالذكر أن صاحب مجموعة الإسكوريال قد نقل الرسالتين الأخيرتين من الذخيرة ولم يصرح بذلك ، فإننا نجد نص رسالة أبى جعفر بن الدودين هو نص الذخيرة ، لا يفترقان إلا فى القليل .

ونلقى صدر رسالة أبى الطيب فى المجموعة هو عبارة ابن بسام وسجعه فى الذخيرة بالحرف الواحد : « وممن رد عليه وأجاد ، ما أراد ، أبو الطيب بن من الله القروى برسالة طويلة أثبت منها بعض الفصول ، تخفيفاً للتثقيل » .

ثم نرى توافقاً تاماً فى تقسيم فصول الرسالة وفقرها ، إذ يبدو لنا أن هذا النص مؤلف من فصول مختارة من الرسالة ، وليس نصًّا كاملا .

ثم نطالع هذه العبارة فى الورقة (١٥١) : « قال صاحب الكتاب : وبين أبو الطيب بطلان كلامهم فى احتجاج طويل ، تركته تخفيفاً للتثقيل » . وهذه هى عبارة الذخيرة بنصها . وصاحب الكتاب هو ابن بسام صاحب الذخيرة بلا ريب .

فلأن نص مجموعة الإسكوريال أعظم قيمة من حيث هى أقدم خطًّا ، وأصح متناً ، وأكثر استيعاباً فى النص ، واشتمالا للردود — جعلتها أصلا فى نشر هذه المجموعة ، وجعلت نص الذخيرة للمقابلة والاستعانة فى التحقيق .

أبو عامر بن غرسية :

أفرد له على بن سعيد صاحب المغرب المتوفى سنة ٦٨٥ ترجمة خاصة(١) قال فيها :

« أبو عامر بن غَرسِيَة(٢) من عجائب دهره ، وغرائب عصره ، إن كان نصابه

---

(١) المغرب ٤ : ٢٣٦ مخطوطة دار الكتب ٢٧١٢ تاريخ .

(٢) غرسية تعريب « جارسيا » : Garcia ومعناه فى الأسبانية ذو الحيلة ، أو الثعلب أو الماكر ، كما ورد فى معجم المجمع العلمى الأسبانى (Dicionario de la LinguaEspañola) وهو علم شائع فى بلاد الأندلس تسمى به كثير من ملوكهم وأمرائهم وفرسانهم . وذكر ابن حزم فى جمهرة الأنساب ٦٧ ؛ تحقيق بروفنسال : « غرسية » ملك البشاكسة الذى زفت إليه أورية بنت قسى ، فولدت له « موسى بن غرسية » . ومن أبرز علماء المشرقيات الأسبانيين المعاصرين صديقنا الأستاذ « إميليو جارسيا جوميز » : Emilio Garcia Goméz الأستاذ

فى العجمية ، فقد شهدت له رسالته المشهورة بالتمكن من أعنة العربية ، وهو من أبناء نصارى البشكنس[١] ، سبى صغيراً وأدبه مجاهد مولاه ، ملك الجزر ودانية . وكان بينه وبين أبى جعفر بن الخراز صحبة أوجبت أن استدعاه من خدمة المعتصم ابن صمادح ملك المرية ، ناقداً عليه ملازمة مدحه وتركه ملك بلاده » .

ثم قال : ومن شعره :

إن أصلى كما علمت ولكـ ـن لسانى أعز من سحبان
وأنا من خير الملوك بصدر هل ترى بالقناة صدر السنان

ويحمل هذا النص :

١ — أن مولد أبى عامر كان ببلاد البشكنس . ويفهم ذلك أيضاً من نصوص البلوى فى كتابه ألف باء ١ : ٣٥٠ .

٢ — وأنه انتقل إلى دانية من أعمال بلنسية فى سباء وقع عليه وهو صغير ، حيث ربى فى كنف أبى الجيش مجاهد العامرى[٢] .

= بجامعة مدريد . ومما يجدر ذكره أن هناك عالما جليلا من علماء الأندلس يشترك مع أبى عامر فى الكنية ، وهو أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن بشر بن غرسية القرطبى المالكى ، ويعرف أيضاً بمولى بنى فطيس ، ولاه متولى قرطبة على بن محمود الحسنى القضاء سنة ٤٠٧ وتوفى فى شعبان سنة ٤٢٢ وله ثمان وخمسون . ذكره الذهبى فى سير النبلاء (القسم الأول من الجزء ١١ مصورة دار الكتب رقم ١٢١٩٥ ح) . قال الذهبى : « ولم يجئ بعده قاض مثله » .

(١) البشكنس أو البسك: Basques ويسميهم المسعودى «الوشكنس» هم قوم يسكنون مابين جنوب فرنسا والشمال الشرقى من أسبانيا مما يجاور خليج « بسكاى » . ويتميزون عن جيرانهم بلغتهم غير الآرية ، ولهم ميل إلى الأخذ بالخرافات والمحافظة على القديم ، وهم ذوو حماسة وكبر وتمسك بالمعتقدات الدينية والمبادئ الأخلاقية ، تبلغ عدتهم نحو ٦٠٠ ألف منهم ١٢٠ ألفا فى الأقاليم الفرنسية . انظر المعلمة البريطانية ، وكذا :
Great encyclopedia of univeal krsnowlages

(٢) هو أبو الجيش ، الموفق مجاهد بن عبد الله العامرى ، مولى عبد الرحمن الناصر ابن المنصور محمد بن أبى عامر . نشأ بقرطبة ، ولما جاءت الفتنة وتغلبت العساكر على النواحى بذهاب دولة بنى أبى عامر ، قصد إلى الجزائر التى فى شرق الأندلس فغلب عليها وحماها ، ثم حاول الاستيلاء على سردانيه فنجح ثم صدته الروم ، ثم استولى على دانية وما يليها ، وتوفى سنه ٤٣٦ . جذوة المقتبس ٣٣١ — ٣٣٢ تحقيق محمد بن تاويت .
وفى المغرب ٤ : ٢٢٦ : « وكان جليل القدر ، له غزوات فى النصارى فى البحر =

٣ — ويبدو أن أبا عامر كان له شأن عظيم فى دولة مجاهد ، الأمر الذى حمله على أن يستدعى صديقه أبا جعفر بن الخراز لينضم إليه فى خدمة مولاه مجاهد . كما يفهم من نص لابن الأبار[١] أنه كان لابن غرسية ولد سماه «أبا جعفر أحمد» كان له مؤدب خاص من بين العلماء ، وهو « أبو العباس الجريرى » . قال : « وسكن دانية وكان بها يؤدب أبا جعفر أحمد بن أبى عامر بن غرسية الكاتب » . فهذا دليل على أنه كان من خواص الدولة ، ودليل أن عمله الرسمى كان الكتابة .

٤ — ويفهم أيضاً من هذا النص ومن ترجمة مجاهد التى سقتها من قبل أن ابن غرسية وجد فى كنف مجاهد مرعى صالحاً لشعوبيته ، إذ أن مجاهداً كان مولى من موالى الروم ، وهم مظنة البعد عن العصبية العربية .

وفى ذلك يقول أبو يحيى بن مسعدة فى أواخر رسالته :

أيا عبد عبـــد ألا تستحى ولا لك دون النهى زاجر

فهو يعيره بأنه مولى مولى .

بل يبدو أن « مجاهداً العامرى » كان مأوى وملاذاً للشعوبيين ، فكما نشأ ابن غرسية فى بلاطه ، نجد عالماً آخر لائذاً بكنفه ، وهو اللغوى ابن سيدة صاحب المخصص جاء فى سير النبلاء[٢] فى ترجمته : « كان شعوبياً يفضل العجم على العرب » ثم قال : « وكان منقطعاً إلى الأمير مجاهد العامرى » .

٥ — وهو يحاول أن يجتذب صديقه أبا جعفر بن الخراز من كنف ملك عربى ، هو المعتصم بالله أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبى[٣] ، وكان المعتصم

= مشهورة ، ومن أعظم مافتحه جزيرة سردانية الكبيرة ، وكان محباً للعلماء محسنا لهم ، كثير التولع بالمقرئين للكتاب العزيز حتى عرف بذلك فى بلده ، وقصد من كل مكان ، وشكر فى الأقطار بكل لسان ، وقد أثنى عليه ابن حيان فى كتاب المتين بهذا الشأن . وقد وفد عليه أفذاذ الشعراء كإدريس بن اليمان ، وجلة العلماء كابن سيدة » .

ومما يجدر ذكره أن مجاهدا كان « رومى » الأصل . انظر المعجب للمراكشى ص ٤٨ طبع السعادة . وانظر أخباراً أخرى لمجاهد مع العلماء فى جذوة المقتبس ١٧٢ ، ١٧٣، ٢٩٣

(١) فى المعجم ص ٢٩٩ .

(٢) سير النبلاء ج ١١ القسم الثانى ص ١٨٠ مصورة دار الكتب .

(٣) انظر ترجمته فى قلائد العقيان ٤٧ ، ووفيات الأعيان ، والحلة السيراء ١٧٢ . وكانت وفاته سنة ٤٨٤ . وتجيب : بطن من كندة .

ملكا على المرية ، وهى مدينة كبيرة من كورة ألبيرة من أعمال الأندلس، وكانت هى وبجانة بابى الشرق .

٦ — وهو فى ذلك يعتب عليه ، لتركه مدح مجاهد واقتصاره على مدح ابن صمادح ، كما يفهم من نص المغرب مقرونا إلى نص ابن بسام التالى .

تاريخ الرسالة:

مما لا يتطرق إليه الشك أن الرسالة كتبت فى حياة مجاهد ، مولى أبى عامر ابن غرسية، بعد استيلائه على « دانية » . وتمتد حياة مجاهد السياسية ما بين سنتى ٤٠٦ و٤٣٦ . وكانت دانية آخر ما استولى عليه من البلاد ، وفيها وطد ملكه[١] .

أبو جعفر بن الخراز:

نص المغرب فى ترجمته لأبى عامر بن غرسية[٢] يعين أن الذى أرسل إليه أبو عامر رسالته هو « أبو جعفر بن الخراز » .

وكذلك نص ابن بسام فى الذخيرة يقول إن أبا جعفر بن الخراز هو الذى أرسلت إليه الرسالة . قال ابن بسام فى صدر ترجمته لأبى جعفر أحمد بن الدودين البلنسى[٣] :

« وأخبرنى برسالته التى رد فيها على أبى عامر بن غرسية، وكان — لحاه الله وأبعده — قد استقر بمدينة دانية فى كنف مجاهد ، فخاطب الأديب أبا جعفر بن الخراز معاتباً له لتركه مدح مجاهد، واقتصاره على مدح ابن صمادح التجيبى .. » .

ثم قال : « وهذه نسخة رسالة ابن غرسية يخاطب الشاعر ابن الخراز » .

ونص ثالث فى التكملة[٤] فى ترجمة أبى عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

---

(١) جذوة المقتبس ٣٣١ — ٣٣٢ .
(٢) انظر ما سبق فى ص ٢٣١ — ٢٣٢ .
(٣) القسم الثالث من الذخيرة ص ٢١٩ مخطوطة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٢٢ .
(٤) التكملة ١ : ١٥٧ .

ابن سهل الأنصارى المعروف بابن الخراز ، قال : « وكان أبوه أبو جعفر أيضاً شاعراً(١) ، وهو الذى خاطبه أبو عامر بن غرسية بالرسالة المشهورة » .

فهذه المراجع جميعها تنص نصاً واحـداً ، أن الذى كاتبه أبو عامر بن غرسية إنما هو « أبو جعفر بن الخراز » .

ولـكننا نجد فى صدر هـذا النص من مجموعة الإسكوريال أن الذى كاتبه أبو عامر إنما هو « أبو عبد الله بن الحداد » .

ويزيد فى هذه الشبهة أننا نجد شاعراً كان يلزم ابن صمادح ويمدحه ، وهو « أبو عبد الله بن الحداد » واسمه محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم القيسى ، كما ذكر ابن خلـكان(٢) .

ويقويها أيضاً ما ورد فى سير النبلاء للذهبى(٣) فى ترجمة ابن صمادح : « ومن وزرائه أبو بكر بن الحداد الأديب » .

والقول فى ذلك أنهما — كما يبدو — شخصان مختلفان فى الاسم والنسب والانتساب ، اتصل كل منهما بابن صمادح ومدحاه ، ولـكن الذى أرسل إليه ابن غرسية الرسالة إنما هو « أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن سهل الأنصارى » المعروف بابن الخراز .

ومما يعزز ذلك أن صاحب المغرب نص عليه فى ترجمته لأبى عامر بن غرسية. وصاحب المغرب يعرف ابن الحداد أيضاً ويترجم له فى موضع آخر من المغرب(٤) ، قال : « أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد القيسى ... وصفه الحجارى وابن بسام

(١) من شعره ما أنشده المقرى فى نفح الطيب ٥ : ٤٣ :

وما زلت أجنى منك والدهر ممحل ولا ثمر يجنى ولا زرع يحصـد
ثمـار أياد دانيات قطوفها لأوراقها ظـل على ممـد
يرى جاريا ماء المكارم تحتها وأطيار شكرى فوقهن تغرد

(٢) وفيات الأعيان ٢ : ٣٥ فى ترجمة محمد بن معن بن أحمد بن صمادح. وأنشد ابن خلـكان وكذا المقرى فى نفح الطيب ٤ : ٢٤٦ / ٥ : ٢٤٠ مدائح لأبى عبد الله بن الحداد فى المعتصم ابن صمادح .

(٣) القسم الثانى من الجزء ١١ ص ٢٨٤ مصورة دار الـكتب .

(٤) المغرب ٥ : ٢٣٥ من النسخة ١٠٣ تاريخ م .

بالتفنن فى العلوم ولا سيما القديمة . وديوان شعره كبير جليل، وكان أكثر عمره عند المعتصم بن صمادح ملك المرية ، ثم فر عنه إلى ابن هود صاحب سرقسطة » .

فهو يعرف الرجلين ويميز بينهما .

وأما ما ورد فى صدر مجموعة الإسكوريال فلا يبعد أن يكون من تصرف أديب أو ناسخ، ساقته معرفته لصاحب العلاقة المشهورة بابن صمادح أن يجعله هو أيضا صاحب أبى عامر بن غرسية الذى ساق إليه الرسالة ، ومما أسعف فى ذلك قرب إحدى الكلمتين فى الرسم من الأخرى ، أعنى «الخراز» و «الحداد» .

أصحاب الردود على رسالة ابن غرسية :

كان أجدر بأبى جعفر بن الخراز أن يرد على صديقه أبى عامر بن غرسية موافقًا أو مخالفًا ، ولكن لم تذكر لنا المصادر التى نعرفها أنه كتب رداً ، فضلا عن أن تحمل إلينا ذلك الرد . بيد أن هذه المجموعة التى حفظتها مكتبة الإسكوريال قد نقلت إلينا ردودًا أربعة[١] :

(أولها) رد أبى يحيى بن مسعدة . ويبدو أنه كان شيخا جليلا فى حضرة ملوك المغرب . ونجد فى هذا الرد ذكر الإمام المهدى أبى عبد الله محمد بن عبد الله القرشى العلوى . ومحمد هذا هو المعروف بمحمد بن تومرت[٢]، وكان قيامه بالأمر سنة ٥١٥ ووفاته سنة ٥٣٤ . ونجد فى الرد أيضا ذكر عبد المؤمن بن على[٣] ، وكانت ولادته سنة ٤٨٧ ووفاته سنة ٥٥٨ . وهذه التواريخ تبعد كثيرا عن التاريخ الذى كتبت فيه رسالة ابن غرسية ، هذا التاريخ الذى لا يصح أن يتجاوز سنة ٤٣٦ وهى سنة وفاة مجاهد ملك دانية .

---

(١) يبدو أن جولد تسيهر لم يقع إليه إلا رسالة ابن غرسية فقط كما يفهم من كلامه فى بحثه إذ ذكر أن صديقه Louis Barran قد أمده بصورة شمسية من الرسالة عن مخطوطة الإسكوريال .

(٢) المعجب ١١٥ — ١٢٥ .

(٣) المعجب ١٢٥ — ١٥٣ .

ويستغرق هـذا الرد من مجموعة الإسكوريال الورقات من ٢٩—٤١ . وهذا الرد هو أكبر الردود وأحفلها .

(ثانيها) رد لمجهول، وعنوانه فى الأصل «رسالة ثانية فى الرد على ابن غرسية» . فمن المحتمل أن يكون رسالة ثانية لأبى يحيى بن مسعدة ، أو تكون لأحد الذين قد جرى لهم ذكر فى التاريخ أنهم تناولوا الرسالة بالرد ، وسأذكرهم فيما بعد . وإنى أرجح الاحتمال الأول ترجيحا ، لسببين .

١ — التشابه الشديد بين أسلوبى الرسالتين، ويبدو ذلك واضحا لمن درس الرسالتين ولمس الروح السارية فى تضاعيف كل منهما .

٢ — التقارب الشديد بين بعض العبارات، مما ينطق بأن صاحبهما واحد. ومن أمثلة ذلك :

ا — ما جاء فى الرد الأول فى الورقة ١٣٢ : «لقـد ذهبتم من العار بحمه ورمه، والفحل السوء يبدأ بأمه» وفى الرد الثانى ٤٢ ا: «ذهبوا والله من العار بشمه ورمه ، وفحل السوء يبدأ بأمه» .

ب — ٣٣ ا «الذين مثلهم فى التوراة ومثلهم في الإنجيل» وفى الثانى ٤٢ ا «ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل» .

حـ — ٤٠ ا «وتجعل الخصل كله للعرب ، والفضل للنبع على الغرب» وفى الثانى ٤١ ا «فتعلم أن البأس للعرب ، وأن النبع ليس من الغرب» .

د — ٣٦ ا «وأبرهة ذى المنار ، وعمرو ذى الأذعار» هو بنفسه فى الثانى ٤١ ا .

هـ — ٣٦ ا «يزدجرد كم وشهريار كم» هو بنفسه فى الثانى ٤١ ا .

و — ٣٦ ب ، ٤١ ا اتفق اقتباس هذا البيت :

ولم أر أمثال الرجال تهافتوا على المجد حتى عد ألف بواحد

ز — ٣٨ ا ، ٤١ ا تطابق اقتباس هذا البيت :

والليث حيث ألب من أرض فذاك له عرين

إلى غير ذلك كثير، مما يقرب القطع بأن صاحب الرسالتين كاتب واحد.

وهذا الرد يستغرق من مجموعة الإسكوريال الورقات من ٤١ — ٤٣ .

ولم يذكر جولدتسيهر هذا الرد ولا أشار إليه .

(ثالثها) رد أبى جعفر أحمد بن الدودين[1] البلنسى، وكان هذا معاصراً لابن بسام صاحب الذخيرة[2] ، قال فى صدر ترجمته : « هو أحد من لاقيته وشافهته ، وأملى على نظمه ونثره [بأشبونة[3]] سنة سبع وسبعين[4] وأخبرنى برسالته التى رد فيها على أبى عامر بن غرسية » .

وقد فات « جولدتسيهر » أن يذكر هذا الأديب فى ثبت من ردوا على ابن غرسية . انظر الحاشية (١) من ص ٢٣٦ . مع أن هذه الرسالة فى ضمن مجموعة الإسكوريال من الورقة ٥٣ — ٥٤ .

وهذه الرسالة لم يذكرها البلوى ولا صاحب كشف الظنون .

(رابعها) رد أبى الطيب بن من الله القروى، وهو الفقيه الأديب أبو الطيب عبد المنعم بن من الله الهوارى القيروانى ، كما فى الصلة لابن بشكوال[5] . ونسبة « القروى » هى الثابتة فى نص مجموعة الإسكوريال ، وأما كتاب ابن بشكوال فيجعلها « القيروانى » .

---

(١) فى الذخيرة (القسم الثالث الورقة ٢١٩ مخطوطة جامعة القاهرة) : « الدودى » وفى مسالك الأبصار (القسم الثانى ج ١١ الورقة ٤٤٩ من النسخة رقم ٢٥٦٧) وكذا نفح الطيب (٥ : ٢٩٠) : « الدودى » .

(٢) يخلط بعض المؤرخين بين ابن سام صاحب الذخيرة وبين البسامى الشاعر الهجاء ، ومنهم صاحب كشف الظنون ،وصانعو فهرس دار الكتب، جعلوا وفاة ابن بسام (سنة٣٠٢) وهذه الوفاة إنما تصدق على البسامى ، واسمه أبو الحسن على بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام . وأما ابن بسام صاحب الذخيرة فهو أبو الحسن على بن بسام التغلبى الشنترينى ، ترجم له ابن سعيد فى المغرب ١ : ٤١٧ تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، وياقوت فى معجم الأدباء ١٢ : ٢٧٥ والمقرى فى نفح الطيب ٥ : ٩ . وأرخ المقرى وفاته (سنة ٥٤٢) .

(٣) التكملة من المسالك عن الذخيرة .

(٤) أى وأربعمائة.

(٥) الصلة رقم ٨٣٥ .

قال[1] : « قدم الأندلس وحدث بشرقيها عن أبى بكر محمد بن على بن الحسن بن البر التميمى ، وكان أديباً شاعراً ، وتوفى يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ٤٩٣ » .

وقد حفظ لنا البلوى فى كتابه[2] عنوان رسالته ، وهو « حديقة البلاغة ، ودوحة البراعة ، المورقة أفنانها ، المثمرة أغصانها ، بذكر المآثر العربية ، ونشر المفاخر الإسلامية ، والرد على ابن غرسية فيما ادعاه للأمم العجمية » وعرف هذا العنوان أيضاً صاحب كشف الظنون .

ردود تاريخية :

وأعنى بها الردود التى حفظ التاريخ أسماءها ولم نصل بعد إليها .

١ — رد الفقيه أبى مروان عبد الملك بن محمد الأوسى . ذكره البلوى وصاحب كشف الظنون ، وعنوانه «رسالة الاستدلال بالحق، فى تفضيل العرب على جميع الخلق ، والذب والانتصار ، لصفوة الله المهاجرين والأنصار » .

٢ — رد الكاتب ذى الوزارتين أبى عبـد الله محمد بن أبى الخصال الغافقى المتوفى سـنة ٥٤٠ سمى رسالته « خطف البارق وقذف المارق ، فى الرد على ابن غرسية الفاسق ، فى تفضيله العجم على العرب ، وقرعه النبع بالغرب» . ذكرها البلوى وصاحب كشف الظنون ، وقد رآها البلوى[3] وقال : « فأما ابن أبى الخصال ، فأخنى عليه وصال ، بحجاج أمضى من النصال ، ما له عنها انفصال » .

وقال ابن الأبار[4] فى ترجمة ابنه عبد الملك : « ووجدت سماعه من أبيـه فى نسخة من رسالته التى رد فيها على ابن غرسية فى جمادى الآخرة سنة ٥٢٨ » .

٣ — رد أبى محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجى الغرناطى ، وكان

(١) الصلة رقم ٨٣٥ .
(٢) ألف باء ١ : ٣٥٠ .
(٣) ألف باء ١ : ٣٥١ .
(٤) تكملة الصلة رقم ١٧٠٠ .

يعرف بابن الفرس، ذكر ابن الأبار[١] جده وقال : « وكان هو وابنه محمد وابن ابنه عبد المنعم بن محمد فقهاء ثلاثة فى نسق » .

وذكر النباهى فى تاريخ قضاة الأندلس[٢] عبد المنعم هذا فى قضاة غرناطة، وذكر وفاته فى سنة ٥٩٧ . وترجم له أيضاً ابن الأبار[٣] .

وقد عرف هذه الرسالة البلوى وصاحب كشف الظنون ولم يذكرا لها عنوانا .

٤ — رد عبد الحق بن خلف بن مفرج ، ذكر فى تكملة التكملة[٤] .

رد أبى الحجاج البلوى :

وهو أبو الحجاج يوسف بن محمد المالكى الأندلسى ، المعروف بابن الشيخ، من أدباء القرن السادس . وقد وقعت إليه رسالة ابن غرسية مع طائفة من ردود الأدباء ، وفى ذلك يقول[٥] بعد أن ساق ثبت ردود الأدباء على ابن غرسية : « وقد أرانى جميع ذلك بعض الأصحاب ، ممن هو فى العلم كالسحاب ، وفى جملتها كلام ابن غرسية المذكور فى رسالته الدالة على فساد القول وفسالته ، التى فضل فيها على العرب العجم ، وأراد أن يعرب فأعجم ، فقلت وقد غاظنى ما رأيت لهذا الجاهل من الاقتراف ، وأنا بالعجز عن معارضة من سبقنى من العلماء ذو اعتراف » ... ثم أنشأ فى ذلك مايشبه المقامة الهزلية التى يختلط فيها الشعر بالنثر.

ويعد هذا الأثر الأدبى أول رسالة أظهرتها المطبعة مما يمت بصلة ظاهرة إلى رسالة ابن غرسية .

---

(١) فى المعجم رقم ٢٢٣ .
(٢) ص ١١٠ بتحقيق پروفنسال ، طبع دار الكاتب المصرى .
(٣) فى تكملة الصلة ١٨١٤ .
(٤) انظر تكملة التكملة ص ٤٢٢ مع فهرسها ص ٦٦٢ .
(٥) ألف باء ١ : ٣٥١ .

موجز بحث جولدتسيهر
الشعوبية عند مسلمى أسبانيا

قسم جولدتسيهر بحثه فصولا ثلاثة :

الأول فى الشعوبية الأسبانية — والثانى فى تحليل رسالة ابن غرسية — والثالث فى الكلام على صدى هذه الرسالة .

الشعوبية الاسبانية:

اتصل بالعناصر العربية والبربرية فى أسبانيا عنصران آخران هما :

ا — المولدون ، وهم نصارى أسبانيا الذين اعتنقوا الإسلام .

ب — الصقالبة ، ويراد بهم السلافيون بوجه خاص ، وأسارى الحزب والأرقاء من مختلف الشعوب الشمالية بمعنى عام .

ومن المولدين من اندمج فى الكيان العربى اندماجاً جعل بعضهم يتدعون أنساباً عربية ، ومن هؤلاء أسرة بنى مغيث الرومى الأصل .

وكما كان للمولدين فضل كبير فى خدمة الثقافة العربية — ومنهم بقى بن مخلد القرطبى ، وأبو محمد بن حزم ، وعبد الملك بن سراج القرطبى — كان للصقالبة أيضاً فضل لاينكر ، ومنهم جؤذر مولى الحكم الثانى ، وفاتن مولى المنصور بن أبى عامر الذى اشتبك مع صاعد الأندلسى فى جدل على نخرج منصوراً عليه مظفراً .

وقد كان العرب يتعالون على هؤلاء القوم مما دعا بعضهم أن ألف كتاباً سماه « كتاب الاستظهار والمغالبة ، على من أنكر فضل الصقالبة » أشاد فيه بذكر مشاهير الصقالبة فى شتى فروع الثقافة العربية . ولعل هذا الكتاب أول محاولة للكتابة فى دائرة الشعوبية وإن لم تكن فى صميمها ، لأن مؤلفه دافع عن عنصره ولم يهاجم غيرهم .

أما الميل الحقيقى إلى الشعوبية فقد أخذ طابعه الكامل فى محيط المولدين ،

ويمتاز هذا الميل فى أسبانيا بحرصه على أن ينسجم مع العقيدة الإسلامية، على حين نجـد شعوبية المشرق على النقيض من ذلك ، إذ نرى ممثلى الشعوبية فيـه من الملاحدة والزنادقة فى أكثر الأمر .

ومن أقطاب شـعوبية الأندلس محمد بن سليمان المعافرى ، وكان شديد العصبية للمولدين . ومنهم أبو محمد عبد الله بن الحسن المتوفى سـنة ٣٣٥ وكان معروفاً بشدة تعصبه للعجم ، ومحاولته الغض من شأن العرب .

ويبـدو أنه لم يتح للنزعة الشعوبية الأندلسية أن تستعلن فى إنتاج أدبى إلا بعـد أن انقسمت الدولة إلى دويلات صغيرة تناهب الحكم فيها صقالبـة ومولدون ، فنسمع حينئذ من أبى عامر بن غرسية صوتاً شعوبياً قوياً يحاول إثبات فضل العجم على العرب .

ثم ساق « جولدتسيهر » ترجمة استفتاحية لابن غرسية لم يخالفه الصواب فى بعض زواياها ، فهو يظن أنه كان فى خدمة المعتصم بن صمادح . على حين تشير المصادر التاريخية إلى أنه كان فى خدمة مجاهد ملك دانية ، وأنه كان يريد تنفير صديقه أبى عبـد الله من خدمة ابن صمادح ، ويحثـه على ترك خدمته . وبنى « جولدتسيهر » على هـذا الظن ظناً آخر ، أن ابن غرسية عاش زماناً فى المرية حيث المعتصم بن صمادح . وهو افتراض لا يصح .

ثم يعلل جولد تسيهر النشاط الشعوبى لابن غرسية بأنه كان يعيش فى صقع ضعف فيه النفوذ العربى وتغلب عنصر الصقالبة ، ويقول : «وما كان لعامل من العمال الرسميين فى مجتمع تنحصر مقاليد السلطان به فى أيد عربية أن يحدث نفسه بإثارة مثل هذا الهجوم الجرىء على العرب ثم يترك وشأنه دون عقاب أو قصاص» .

تحليل الرسالة :

لم يأت ابن غرسية بجديد من وجهة النظر الموضوعية ، ويبدو أنه أطلع على كتابات الشعوبية بالمشرقية واستقى منها أهم الحقائق ولم يبتدع هو إلا الملابسات والدواعى الخاصة . وكان جدل الشعوبية بالمشرق من جهة الأسلوب أبعد عن

الصناعة الفنية ، ومن جهة المبدأ أقرب إلى الموضوعية العلمية منه إلى الذاتية الشخصية ، على حين نجد كتابة ابن غرسية رسالة شخصية يستعمل فيها كل التعبيرات الفنية من ترادف وطباق ، وتلاعب بالألفاظ ، وتعريض ، وتضمين واقتباس ، ورمز إلى حوادث أدبيـة وحقائق تاريخية ، مما يطبع الرسالة الفنية بالطابع المطلوب . كما أن نمو وسائل الأسلوب الفنى وتنوعها على الصورة التى يستخدمها كتاب القرن الخامس قد أعارت قلمه أحياناً لون التهكم والفكاهة الذى لستغنى عنه جدل الشعوبية بالمشرق .

ومما يجدر ذكره أن المشرقيين حين يقولون « العجم » فإنهم يعنون الفرس ، على حين يتسع مدلول هذه الكلمة عند الأسبانيين فيشمل الروم وبنى الأصفر .

وقد وازن ابن غرسية بين المميزات الطبيعية والخصال الخلقية بين عنصرى العرب والعجم ففخر ببياض العجم على سمرة العرب . ثم هو يقابل بين حياة العرب القدامى بين الإبل والشاء ، وحياة الأكاسرة والقياصرة فى ظلال السيوف والرماح ، ويعقد مقايسة بين هاجر أم العرب ، وسيدتها سارة أم العجم ، ويتكلم فى قناعة العرب بالشهوات الدنيا ، كالطبل والزمر ، ومعاقرة الخمر ، ويذكر أن العجم يمتازون فى لباسهم وطعامهم وشرابهم ، ثم يفخر بأمجاد العرب السياسية والحربية والعلمية . وأما أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) كان عربياً فلا فخر فى ذلك للعرب ، فإن التبر من الترب ، والمسك بعض دم الغزال ، والماء العذب يستودع جلد المزادة البالى .

ثم ختم ابن غرسية رسالته بعبارات يستظهر بها التقوى ، توهيناً لما قد يشتم من كلامه مما قد يمس العقيدة الدينية ، وهو فى ذلك لا ينسى أن يتملق أميره بمدح ، ويخلط باللين عنفاً فى مخاطبة صديقه .

ثم يتحدث جولدتسيهر عن مدى سرعة انتشار شعر أبى العلاء المعرى فى الأندلس إذ تمكن ابن غرسية من الاستشهاد به . ويذكر من نماذج تأثير المعرى فى الأدب الأندلسى تأليف ابن أبى الخصال رسالة عارض بها « ملقى السبيل » ، ومعارضة رسالة « الصاهل والشاحج » لأحد شعراء الأندلس ، وتأليف ابن السيد البطليوسى شرحاً كبيراً لديوان أبى العلاء ولما يكد يمضى نصف قرن على وفاته .

صدى رسالة ابن غرسية :

ذكر جولدتسيهر فى هذا الصدد خمسة ردود ، هى رد أبى يحيى بن مسعدة، وعبد الملك بن محمد الأنصارى ، وأبى الطيب عبد المنعم بن من الله القيروانى ، وعبد المنعم بن محمد الخزرجى ، ثم مقامة البلوى التى نجدها فى كتابه ألف باء .

* * *

وقد تناولت الكلام على هذه الردود فيما سبق ، وزدت عليه ردوداً ثلاثة أخرى تهديت إليها .

وكنت على أن أتناول هذه الرسائل بالشرح بعد تحقيقها ، ثم رأيت أنى لو فعلت ذلك لأربى حجمها على الأضعاف ، وخرجت بذلك عن المنهج المرسوم لهذه المجموعات ، لذلك لم أفسر إلا ما يقتضيه التحقيق وموازنة النصوص ، أو ما يشكل على بعض الخاصة أن يتبينوه فى مظانه ، من الإشارات الأدبية والتاريخية وغيرها ، أو ما يلقى شيئاً من الضوء على جوانب بعض المبهمات ، حتى ينفذ النور إليها جميعاً .

والحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ؟

مصر الجديدة فى ربيع الأول سنة ١٣٧٣ — عبد السلام محمد هارون

رسالة ابن غرسية

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة خاطب بها أبو عامر بن غرسية أبا عبد الله بن الحداد[١] ٢٦/١

يعاتبه فيها ويفضل العجم على العرب، وكتب بها من لارة

سلامٌ عليك ذا الرويّ، المرويّ، الموقوفَ قريضُه على حلّـة بجّانة[٢] أرشِ اليمَن[٣]، بزهيد الثّمن، كأنْ ما فى الأرض إنسانٌ، إلاّ من غسّان، أو مِن آل ذى حسّان. وإن كان القوم أقنَوْك، وعن العالمَ أغنوك، على حسب المذكور، فما هذا الإعمال للكُور، وتركُ الوُكور. وقلّ ما تأخذ الشّعَرة[٤] فى ٢٦/ب الرّحيل، إلاّ عن الرّبع المُحيل! ولو أنّ القومَ خاطوك بالآل، لَمَا أحوجك إلى الخبط فى الآل[٥]. مَهْ مَه، مَن أحوجَك إلى ركوب المهمه، وثَقِفَ[٦]، وودُّك لا تقِف، عَلَى من اضطرّك إلى الإيغال، وباعك بيعَ المُسامح بك لا المُغال، وعوّضك من الأندية[٧]، بجوب الأودية، ومن المآلِف، بقطع المتالف، وحملك على مخالفة الحصان، ومحالفة الحِصان، ووكّلك بمَسْح الأرض، ذاتِ الطُّول والعرض، فإذا يمّمت تَبالة، تقباله[٨]، وصرت ضِغثاً على إبّالة، تتعلّل باليمين، ضِناً بالعِلْق الثّمين.

---

(١) كذا فى نسخة الأصل. والصواب أنه «أبو جعفر بن الخراز». انظر ماسبق فى ص ٢٣٤ — ٢٣٦ من التقديم.

(٢) حلة: جمع حال بمعنى نازل فى المكان. وبجانة، قال ياقوت: مدينة بالأندلس من أعمال كورة ألبيرة، خربت، وقد انتقل أهلها إلى المرية، وبينها وبين المرية فرسخان.

(٣) أصل معنى الأرش العيب فى السلعة.

(٤) جمع شاعر. ولابن غرسية ولوع بهذه الصيغة من الجموع.

(٥) الآل الأولى بمعنى الأهل، وهذه بمعنى السراب.

(٦) يقال ثقف، إذا صار حاذقا فطنا. انظر ماسيأتى فى ٤٤ ب.

(٧) الأندية: جمع الندى، وهو مجلس القوم يجتمعون فيه. الخريدة: «من قطع الأندية».

(٨) تبالة: بلدة مشهورة من أرض تهامة فى طريق اليمن. وتباله: تصنع البلاهة.

أحسَبك[١] أزرَيت، وبهذا الجيل البَجيل ازدريت، وما دريت، أنهم الشُّهب الشُّهب، ليسوا بعُرْب، ذَوِي أينُقٍ جُرب، أساورة، أكاسرة، مُجد، نُجُد، بُهَم[٢]، لا رُعاة شويهاتٍ ولا بَهَم[٣]، شُغِلوا بالماذيِّ والمُرّان، عن رَعى البُعْران، وبجَلْب العِزِّ، عن حلب المَعْز، جبابرة، قياصرة، ذوو المغافر والدُّروع، للتّنفيس عن رَوع المَرُوع، حماة السُّرُوح، بُناة الصُّروح[٤]، صُقورة، غلبت عليهم شُقورة[٥]، وشقورة الخِرْصان، لكنّهم خَطَبة بالخِرصان[٦].

ماضرَّهم أنْ شَهِدوا مِجادا[٧] أو كافحَوا يومَ الوغى الأندادا

ألاَّ يكون لونُهم سوادا

أرومة رُوميّة، وجُرثومة أصفريّة[٨].

نَمَتْهُم ذوو الأحساب والجدِ والعُلى من الصُّهب لا راعُوغضاً وأفانِ[٩]

من القُدُم، المُلْس الأدُم، لم تَعرِقْ فيهم الأقباط، ولا الأنباط، حسبٌ حرِىّ، ونسَبٌ سرِىّ، أمُّكم لأمّنا كانت أمَة، إنْ تُنكروا ذلك تُلفَوْا ظَلَمة، ولا تَهايُل[١٠]، فى التّكايل، فما سُسنا قطُّ قُروداً، ولا حُكْنا بُروداً[١١]،

---

(١) فى الأصل: «أأحسبك»، صوابه فى الخريدة.

(٢) بضم ففتح، جمع بهمة بالضم، وهو الفارس لا يدرى من أين يؤتى، لشدة بأسه.

(٣) البهم، بالتحريك، وبالفتح أيضاً: جمع بهمة، وهى الصغير من أولاد الغنم.

(٤) السروح: جمع سرح، وهو المال يسام فى المرعى. والصروح: القصور.

(٥) عنى بالشقورة الشقرة، وهى الحمرة. أى حمرتهم كحمرة الأسنة تعلوها الدماء.

(٦) الخرصان: جمع خرص، وهو سنان الرمح، وهو الرمح أيضاً. عنى أنهم يخطبون النساء وينكحونهن بالحروب. ومثله قول الفرزدق فى ديوانه ٧٣٧:

وبنت كرام قد نكحنا ولم يكن لنا خاطب إلا السنان وعامله

(٧) المجاد: مصدر ماجده، إذا عارضه بالمجد.

(٨) يقال للروم بنو الأصفر. انظر نهاية الأرب ٢: ٣٢٢. وقد أورد ابن خلكان فى ترجمة ياقوت بن عبدالله الرومى تعليلا خرافيا لتسمية الروم ببنى الأصفر.

(٩) الأفانى: جمع أفنية، وهو ما يسمى «عنب الذئب».

(١٠) هال الدقيق ونحوه: صبه من غير كيل.

(١١) الحوك: النسج. والبرود: جمع برد، وهو ثوب فيه خطوط.

ولا لُكْنا عُروداً(١) ، فلا تَهاجُر، بنى هاجَر ، أنتم أرقّاؤنا وعَبَدتُنا، وعُتَقاؤنا وحَفَدتنا(٢) ، مننّا عليكم بالعِتق ، وأخرجناكم من رِبَق الرِّق(٣) ، وألحقناكم بالأحرار ، ففَطمتُم النعمة ، فصَفعناكم صَفعا ، يشارك سَفْما(٤) اضطرّكم إلى ٢٧ سُكنَى الحِجاز ، وألجأكم إلى ذات المجاز . رُزُنٌ، رُصُن .

جمالَ ذى الأرضِ كانوا فى الحياة وهمْ بعد المماتِ جَمال الكُتْب والسِّيَرِ(٥)

إذا قامت الحربُ على ساق ، وأخذَتْ فى اتّساق ، وقُرِعت الظّنابيب ، وأُشرِعت الأنابيب، وقَلَصت الشِّفاه، وفغر الهِدانُ فاه(٦)، وولّى قفاه، ألفيتَهم ذَمَرة النّاس(٧)، عند احمرار الباس ، الطّعنُ بالأَسَل ، أحلى عندهم من العَسَل .

مُستسلِمين إلى الحُتوف كأنما بينَ الحتوف وبينهم أرحامُ(٨)

مِن أمنيّاتِهم، حُلولُ مِيتاتهم، لهم على القُدْمة اليدان(٩)، على التّنائى والتّدان .

مِن الأُلَى غيْرَ زجرِ الخيل ما عرَفوا إذْ تعرفُ العُربُ زَجْرَ الشّاء والعَكَرِ(١٠)

بُصُر، صُبُر، تزدان بهم المحافل، والجحافل، فُيول على خيول، كأنها فيول، كواكب، المواكب، نجوم، الرُّجوم، من العجَم، ضَراغمة الأجَم، بنو غاب،

---

(١) اللوك : المضغ . والعرود : جمع عرد وهو الشديد الصلب من كل شىء. انظر هذه الكناية فى ٤٤ ا من الأصل .

(٢) الحفدة : الأعوان والخدمة ، واحدهم حافد .

(٣) إشارة إلى أن هاجر كانت جارية سارة ثم عتقت وتزوجها إبراهيم .

(٤) السفم : اللطم .

(٥) البيت لأبى العلاء المعرى . شروح سقط الزند ١٤١ .

(٦) الهدان ، بالكسر : الوخم الثقيل فى الحرب

(٧) ذمرة : جمع ذامر ، وهو الذى يذمر القوم ، أى يحضهم ويحثهم .

(٨) البيت لأبى تمام فى ديوانه ص ٢٨١ .

(٩) القدمة : الاسم من الإقدام . قال :

تراه على الخيل ذا قدمة إذا سربل الدم أكفاها

(١٠) لأبى العلاء المعرى . شروح سقط الزند ١٤٠ . وقد غير إنشاد البيت ليتساوق مع الكلام . وإنما أوله : « يا ابن الألى »، والعكر : القطعة من الإبل ما بين الخمسين إلى المائة .

المُنْتَفُون من كلِّ عاب، لم تلدْهم صواحبُ الرّايات[١]، بل تبجَّحت عليهم سارَة الجمالِ ربّة الإباة[٢]، شُمخ، بُذخ، بررة أقيال، جررةُ أذيال. بخ بخ، أحلَّتهم سيوفُهم سِطَةَ الأرَضين، فما قنعوا بذلك ولا رَضِين، حتَّى دوَّخوا المشارقَ والمغارب، واستوطنوا من المجد الذِّروة والغارب.

بضربٍ يُزيل الهامَ عن سَكِناته وطَعْنٍ كتَشهاق العَفَا هَمَّ بالنَّهْق[٣]

شرِهُوا برنّات السُّيوف، لا بربّات الشُّنوف، وبركوب السُّروج، عن الكلب والفرُّوج، وبالنَّفير، عن النَّقير[٤]، وبالجنائب، عن الحبائب، وبالخَبّ عن الخِب[٥]. وبالشَّليل، عن السليل[٦] وبالأمر والذَّمر[٧]، عن معاقرة الخمر والزَّمر، وباللُّقيان، عن العِقيان[٨]، وعن قُنيان القيان، طِيَّاتهم، خَطِّياتهم[٩]،

٢٧ ب وغلاّتهم، آلاتهم، وحصونهم، حُصُنهم، أقيال، آباؤهم من بين الأنام أقتال[١٠]

أولئك قومي إن بنَوا شيَّدوا البُنَى وإن حاربوا جَدُّوا وإن عقَدوا شدُّوا

وُضُح، رُجُح، لا حَفَرَة عُكَر[١١]، ولا حَفَرة أُكَر[١٢]، ملوكٌ جِلَّة، لا مُحرِقو

---

(١) كانت البغايا في الجاهلية يجعلن على بيوتهن رايات ليعرفن بها. تفسير الطبرى (١٨ : ٥٧).

(٢) سارة : زوج إبراهيم، وكان اسمها « ساراى » ثم غير إلى « سارة » ومعناه رئيسة. انظر سفر التكوين أصحاح ١٧ — ١٨ وهى بالراء المخففة. ولا عبرة بما ورد فى اللسان (هجر، سقم) من ضبطهما بالراء المشددة. والإياة، أصلها ضوء الشمس وحسنها. وفى فتح البارى (٦ : ٢٧٩) أن يوسف أعطى شطر الحسن، وسارة شطره الآخر.

(٣) البيت لأبى الطمحان حنظلة بن شرقى. اللسان (سكن، عفا).

(٤) النفير : القوم ينفرون للقتال. والنقير : النكتة فى ظهر النواة.

(٥) الخب، بالفتح : مصدر خب خبا، وهو ضرب من العدو. والخب، بالكسر : الخداع.

(٦) الشليل : الدرع. والسليل : سنام البعير.

(٧) الذمر : الحض والحث.

(٨) اللقيان : لقاء الأبطال. والعقيان : الذهب.

(٩) الطية : الحاجة والوطر. والخطيات : الرماح المجتلبة من الخط بالبحرين.

(١٠) جمع قتل بالكسر، وهو المثل والقرن، والمقاتل.

(١١) حفرة : جمع حافر، والمراد به السائق. والعكر، سبق تفسيره.

(١٢) الأكر : الحفر فى الأرض، جمع أكرة.

جِلَّة ، نُدُس ، غَنُوا بالإستبرق والسُّندس ، عن البَتّ ، المقيِّظ المشتّ ، المجموع من النُّعَيْجات الستّ(١) . بُسُل ، لا حُرَّاس مُسُل(٢) ، ولا غُرَّاس فُسُل ، مُلَّك لَقَاحٍ(٣) ، ليس منهم فى وِردٍ ولا صَدَرٍ شُرَّابُ دَرِّ اللِّقاح ، بل شرابهم النَّبيذ ، وطعامهم الحنيذ ، لا زهيد الهَبِيد(٤) ، فى البيد ، ولا مُـكون(٥) ، الوكون ، ولا منهم مَن احتشَى ، بمذموم الـكُشَى(٦) ، ولا فى سائر الأحفاش(٧) من وليدٍ وناش ، مَن اغتذَى بالأحناش ، فلا يُقعقع لهم بالشِّنان(٨) ، ولا يُوعوَع لهم بالشنآن(٩) ، فـكُفَّ أيها الشَّان(١٠) فلهم عظيم الشان ، واليدُ الطولى إذ تخلَّصوكم من أكفِّ الحُبْشان ، صنيعٌ ، منيع ، ومِنّة ، لا يشوبها مَنَّة ، فيالها مِنحة ، لـكنها أعقبت مِحنة ، إذ صادفت كَفرة ، لا شكرة . إيهاً ، إذ تأبَّطتم تِيها ، معشر البُداة ، العُداة . اعتقدتم غِلاًّ ، فاستثرتم صِلًّا(١١) . أمَا علمتم أنّ الدولة النُّوشِروانية ، والمملكة الأردَشيرية بَقَروا أجوافكم ، وخلعوا أكتافَكم ، ثم عطَفوا ، ورأفوا ، وملَّـكوكم الحيرة ، بعد الحيرة . قُلُلا ، ذُلُلا ، تتخيَّرون البَنات ، عند البَيات ، مبهورات ، لا ممهورات فبرِم من ذلك غسَّانكم ونُعمانُـكم ، وكان بَرمُه سبباً لدرء أمانكم ، فأصبح بعد جرٍّ

---

(١) يلمح قول الراجز :

من يك ذا بت فهذا بتى ... مقيظ مصيف مشتى
تخذته من نعجات ست ... سود سمان من نعاج الدست

(٢) المسل : جمع المسيل ، وهو الجريد الرطب .

(٣) اللقاح : الحى الذين لم يدينوا للملوك . عنى أنهم يخضعون من لم يخضع .

(٤) الهبيد : حب الحنظل .

(٥) المـكون : جمع مكن ، وهو بيض الضب .

(٦) جمع كشية ، وهى شحمة بطن الضب .

(٧) جمع حفش ، بالـكسر ، وهو الصغير من بيوت الأعراب .

(٨) الشنان : جمع شن ، وهى القربة الخلق الصغيرة .

(٩) فى الخريدة : « ولا يزعزع له باللسان » .

(١٠) أى الشانئ ، وهو المبغض .

(١١) الصل : الحية القاتلة .

الذُّيول، مَدُوساً بأخفاف الفُيُول[١] . والكرامُ بنو الأصفر، الأطهرِ الأطهر، عطفتهم عليكم الرحم الإبراهيمية، والعُمومة الإسماعيلية، فسمَحوا لكم من الشام بأقصَى مكان بعد ما كان، مِن سيل العرِم ما كان، يؤدّى نُعمانكم، وغسّانكم، لقروم الأعاجم، الإتاوة على الجماجم.

هذى المكارمُ لا قَعبانِ من لبنٍ   شِيبَا بماء فعادا بَعْدُ أبوالا[٢]

٢٨ / ١ مهلاً بنى الإماء، عن الغمز والإماء، فنحن عرُق، غرُق، فى الأنساب الصَّميمة، والأحساب العميمة، فمن يهولنا أو يروعنا، وقد رسَخت فى المجد أصولُنا وفروعنا، ومَن يَطُولنا، وكلُّ الورى قد شمِله فضلُنا وطَولُنا.

شَرفٌ ينطِح النُّجوم بِرَوقَيـ   ـهِ وعزٌّ يقلقِلُ الأجبالا[٣]

حُلُم، علم، ذوو الآراء الفلسفية الأرضية، والعلوم المنطقيّة الرياضية. كحملة الأسترلوميقَ[٤] والموسيقى، والعَلَمة بالأرتماطيقَى والجومطريقَى، والقَوَمة بالألوطيقَى والبوطيقى[٥]، [والنهضة بعلوم الشرائع، والطّبائع، والمهرة فى علوم الأديان، والأبدان.

(١) كان كسرى طلب إلى النعمان بن المنذر أن يزوجه إحدى بناته، فأبى النعمان ذلك كبراً، وأخفى بناته وأمواله فى أحياء العرب، وعلم بذلك كسرى فاستزار النعمان، وعاقبه بطرحه تحت أقدام الفيلة. انظر الأغانى (٢ : ٢٨ – ٢٩). وفى ذلك يقول الأعشى :

فذاك وما أنجى من الموت ربه   بساباط حتى مات وهو محزرق

(٢) لأمية بن أبى الصلت. الشعراء ٤٣٣.

(٣) البيت للمتنبى فى مدح سيف الدولة. ديوانه (٢ : ١٠٤) بشرح العكبرى.

(٤) يراد بها علم النجوم. وعند الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ٨٠ « اسطر نوميا ».

(٥) الأرتماطيق: علم العدد والحساب. انظر ابن خلدون ٤٢. والجومطريقى عند الخوارزمى ١١٧ وابن النديم ٣٧١ « الجو مطريا ». ابن النديم : « إقليدس صاحب جومطريا ومعناه الهندسة ». الخوارزمى : « وهى صناعة المساحة، وأما الهندسة فكلمة فارسية معربة، وفى الفارسية أندازه، أى المقادير. وفى مروج الذهب (١ : ٣٢١) : والجومطريقى وهو علم المساحة والهندسة ». وأما الألوطيق فقد تكون محرفة عن «أبوطيقا» ومعناه الشعر. إخبار العلماء للقفطى ٢٨. أو «أنولوطيقا» ومعناه تحليل القياس، والبرهان. وفى مفاتيح العلوم ٨٩ أونولوطيقا معناه العكس. وأما « البوطيق » فهى فى الأصل « البرطيق » محرفة. وفى مفاتيح العلوم ٩٢ بيوطيق ومعناه الشعر، يتكلم فيه على التخييل، ومعنى التخييل إنهاض نفس السامع إلى طلب الشىء، أو الهرب منه وإن لم يصدق ».

هُمُ ملكوا شرقَ البلاد وغربَها وهم منحوكم بعد ذلك سوددا[1]]

ما شئت من تدقيق، وتحقيق، حَبسوا أنفسهم على العلوم البدنية والدينية، لا على وصف الناقة الفَدَنيَّة[2]، فعلُهم ليسَ بالسفساف، كفعل نائلَة وإساف[3] أصغِرْ بشأنكم، إذ بزِقٍّ خمر باع الكعبة أبو غُبْشانكم[4]، وإذْ أبو رِغالكم، قاد فِيلَ الحبشةِ إلى حَرَم الله لاستئصالكم[5]. [غُضُّوا الأبصار، فهذا الذِّكر إلى الفحش أصار[6]].

أزيدكَ أم كفاك وذاك أنى رأيتك فى انتحالك كنتَ أحمقْ

فلا نخرَ معشر العُربان، الغِربان، بالقديم، المفرِّى للأديم[7]، لكن الفخر بابن عمِّنا، الذى بالبركة عمَّنا، الإبراهيمى النسب، الإسماعيلى الحسب، الذى انتشلنا[8] الله تعالى به وإيَّاكم من العَماية، والغَوَاية. أما نحن فمن أهل التثليث وعِبادة الصُّلبان، وأنتم من أهل الدين المَليث وعبادة الأوثان[9]، ولا غرو أن

---

(١) التكملة من الذخيرة.

(٢) الفدنية: المشبهة فى علوها بالفدن، وهو القصر المشيد.

(٣) يزعمون أن إساف بن عمرو، ونائلة بنت سهل، فجرا فى الكعبة فمسخا حجرين ثم عبدتهما قريش. شروح سقط الزند ١٣١٥.

(٤) يذكرون أن أبا غبشان كان يلى أمر البيت، فاتفق أن اجتمع مع قصى بن كلاب فى شرب بالطائف، فخدعه قصى عن مفاتيح الكعبة بأن أسكره، ثم اشترى المفاتيح منه بزق خمر وأشهد عليه، ودفع المفاتيح فى يد ابنه عبد الدار بن قصى وطيره إلى مكة، فلما أشرف عليها قال رافعا عقيرته: معاشر قريش هذه مفاتيح أبيكم إسماعيل قد ردها الله عليكم! وأفاق أبو غبشان من سكره أشد ندامة من الكسعى. شروح سقط الزند ١٩٨٢.

(٤) كان أبرهة عامل النجاشى على اليمن قد عزم أن يهدم البيت، ومر فى طريقه على ثقيف بالطائف، فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة. السيرة ٣١ — ٣٢.

(٦) التكملة من الذخيرة.

(٧) الذخيرة: «فعلى فرى الأديم».

(٨) فى الأصل: انتشانا»، تحريف.

(٩) المليث من الملث، وهو أن يعد الرجل الرجل عدة لايريد أن يفى بها.

كان منكم حِبرُه وسِبْره ، ففى الرَّغام يُلفَى تِبرُه ، والمِسك بعضُ دمِ الغزال ، والنِّطاف العِذاب مستودَعات بمَسْك العَزَال[(١)]

لله مما قد برا صفوة وصفوةالخلق بنوهاشم[(٢)]

وصفوة الصفوة من بينهم محمد النور أبو القاسم[(٣)]

بهذا النبىِّ الأمىّ، أفاخر من تفخَّر، وأُكاثِرُ من تقدَّم وتأخَّر، الشريف

٢٨ ب السلَفين، والكريم الطَّرفين ، الملتقَى بالرسالة ، والمنتقَى للأداء والدَّلالة ، أصلِّى عليه عددَ الرَّمل، ومَدَد النَّمل، وكذلك أصلِّى على واصِلِ جناحه، سيوفه ورماحه أصحابِه الكرام ، عليهم من الله أفضل السلام .

يابنَ الأعارِبِ ماعلينا باسُ لم أحكِ إلا ما حكاه الناسُ

هذا .

ولم أشتمْ لكم عرضاً ولكنْ حَدَوتُ بحيثُ يُستَمَع الحداء

ثم أحجِ بشاعرِ غسَّان ، لا ساسان، فى هذا العيد، بالوعيد، وأحرِ فى هذا الفصل، بعدم الوصل . لقد غمَّ آخرَك ، لكن بالرَّغم أخَّرك ، إذ أضربتَ عن مديح ، عِلقنا الرَّبيح ، مُعزِّ الدولة شهمِنا الرئيس ، وسَهمِنا النَّفيس ، قَيْل الأُمَم[(٤)] ، وسيلِ الأَمَم[(٥)] ، معنى المعانى ، ومغنى المغانى ، ذى الرياسة السَّاسانية ، والنَّفاسة النفسانية . فاذهبْ ، يا غثَّ المذهب ، وابتغِ فى الأرض نفَقا ، أو فى السَّماء مرتقى ، فهذه أُلِيَّة ، جلبت عليك بليّة . أو حُلْكَ من البسيط والمديد ، ما تستجير به مِن بطشِنا الشَّديد ، إذ نحن معشرَ الموالى ، لا نوالى ، إلاّ من هو

(١) المسك ، بالفتح : الجلد . والعزالى : جمع عزلاء ، وهو فم المزادة الأسفل .
(٢) فى مروج الذهب (٢ : ٢٧٤) : « ممن قد برا » .
(٣) فى مروج الذهب : « وصفوة الصفوة من هاشم » .
(٤) القيل : الملك ، وأصله الملك من ملوك حمير .
(٥) الأمم ، بالتحريك : القصد الذى هو الوسط ، وهو القرب أيضاً .

لعظيمتِنا مُوالى ، وحذَارِ حذار أن تقرع سنَّ الندم ، ولات حينَ مندم ، قبل أن تُجمَع ذُنوبُك ، على ذَنوبِك(١) ، وكُرَبُك فى كَرَبِك، فمن أبصر، أقصر، وما حَرَّف ، مَنْ صديقَه خَوَّف .

فلا تَتبشَّعْ مَمضَّ العتـــا ... ب يلقاك يوماً بإقياه لاقِ(٢)
فإنَّ الدواءَ حمـــيدُ الفَعالِ ... وإن كان مرًّا كريهَ المذاق

يا معتقِلَ عَلَمِ الشِّعر، والمستقلّ بقلم النظم والنثر .

قد استحييتُ منك فلا تَكِلْنى ... إلى شىء سوى عُذرٍ جميل(٣)
وقد أنفذتُ ما حقِّى عليـــه ... قبيحُ الهجو أوشتمُ الرسولِ(٤)
وذاك على انفرادك قوتُ يوم ... إذا أنفقتَ إنفاقَ البخيل
وكيف وأنت عُلوىُّ السَّجايا ... وليس إلى اقتصادك مِن سبيل ٣٩/١
وقد يُقوى الفصيحُ فلا تُقابِلْ ... ضعيفَ البِرّ إلا بالقَبول
وإنّ الوزن وهو أصحُّ وزن ... يُقام صَفاهُ بالحرف العليل(٥)
فإنْ يَكُ ما بعثتُ به قليلا ... فلى حالٌ أقلُّ من القليل

نجَزَتْ ه من كلام المعرى .

والسَّلام عليك ما سَبَّحَ الفَلَك ، وسبَّح المَلَك(٦) ، ورحمة الله وبركاته .

---

(١) الذخيرة : « فى ذنوبك » . والذنوب ، بالفتح : الدلو .
(٢) الذخيرة « فلا تتبع . . . فيلقاك . . لمعناه .
(٣) للمعرى فى شروح سقط الزند ١١٤٤ — ١١٤٩ .
(٤) يعنى الرسول الذى أنفذه بالرسالة .
(٥) الذخيرة : « وإن الشعر، وهو أتم وزن » وما فى الأصل يطابق ما فى الشروح .
(٦) الملك : الملائكة .

رد أبي يحي بن مسعدة

الرد على ابن غرسية منشىء الرسالة المتقدمة، مما عني بإنشائه وتأليفه الشيخ المبارك الأفضل أبو يحيي بن مسعدة نفعه الله بها وجعلها حجَّةً له عند الحاجة إليها(*)

ومن يَعصِ أطراف الزِّجاج فإنَّه يطيع العوالى ركِّبت كلَّ لَهذَمِ (۱)

إياكَ أعني أبا عامر، ولا أقول خامرِي أمَّ عامر(۲)، بل أعْرِبك جَنَى غَرسِيه(۳)، فالتقط يالقيطَ غَرسِيَةَ(٤).

هيهات جئت إلى دِفلَى تحرِّكها مستطعماً عنباً حرَّكتَ فالتقطِ (٥)

شُربك الحميم، وشعارى لك حاميم(٦)، فاخلَعْ عن مقلّدك البَرِيم(۷)، وذق إنكَ أنت العزيز الكريم.

رُمِيت بما لوَ أنَّ الجنَّ تُرمَى به لتهيَّبَتْها الإنسُ نهبا

لِمَنْ بعثتَ ياغثيثُ مِن هامد دَجْنك أُواراً، وأرَّثتَ من خامد أُبنِك نارا(۸).

وإنَّ النَّار بالعودين تُذكَى وإنَّ الحرب يَقدُمها الكلامُ(۹)

(*) هذا الرد لم يرد فى نسخة الذخيرة.
(۱) البيت من معلقة زهير.
(۲) أم عامر: كنية الضبع. يقال لها خامرى، أى استترى.
(۳) أعراه النخلة: أعطاه إياها يأكل رطبها. وغرسيه، أى غرسى، زاد هاء السكت.
(٤) يعنى أن أباه غرسية التقطه وتبناه.
(٥) الدفلى، كذكرى: شجر مر أخضر حسن المنظر يكون فى الأودية.
(٦) جاء فى حديث الجهاد: «إذا بيتم فقولوا حاميم، لا ينصرون». فهى مما يستظهر به على استنزال النصر على العدو. وأنشد أبو عبيدة لشريح بن أوفى العبسى:

يذكرنى حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم

(۷) البريم: خيطان يكونان من لونين.
(۸) جمع أبنة بالضم، وهى العيب والوصمة.
(۹) من أبيات مشهورة لنصر بن سيار. البيان والتبيين (۱ : ۱٥۸) والطبرى (۹ : ۹۲). ويروى: «أولها الكلام».

مثلك يا دَمِّيَ العَجَمْ ، وذِمِّيَّ العُجْمِ ، تعدَّى الأعراب مَواليه بسفه ، أو تصدَّى لمعارضةِ نخارِها ببنتِ شفة؟! غرَّكَ أن تولَّيتها بحكم المَقاسم (١) ، وأن ظأرتْ أُمُّك لها أحورَ من جآذر عاسم (٢) . كلا :

* فما الكَرَجُ الدُّنيا ولا الناس قاسمُ *

٢٩ ب ماستجلاكَ الدُّؤيا آبقُ إن سَفَرت ، ولا خلا لك الجوّ حتّى بِضْت وصَفَرت ، فى مثل هذا المَعْمَر ، نقِّر واصفِر (٣) ، وبهذا المحمَّر ، يامصفِّر استِه حمِّر وصفِّر (٤) ، بموقف لا يعزُّ على الأوس بن تغلب ، أن تهان وتُغلب (٥) .

رُوَيدكَ حتّى يلحق الداريُّون ، أصحابُ الجياد المكفيُّون (٦) ، وتالله لا تغسلكَ معي الحواريُّون (٧) ، بعد أن أتقدَّمَ لتأديبك ، وأفضح فى الحقِين عِذْرَةَ أديبك (٨) مُناقلك فى الأراجيز ، وناقلك إلى مَعرِض التعجيز ، شيخ الاعتزال ، ومَريع أهل السُّنَّة إذا تداعَوْا نزال ، الأعمى البصر والبصيرة ، وشُعوبىُّ هذه الجزيرة (٩) .

عُمِيٌّ حذوك الغيَّ أيّ عجيبةٍ   أعمى دليلُ هُدًى أوَ اخرسُ ينطق (١٠)

---

(١) يعنى مقاسم المغانم .   (٢) عاسم : اسم ماء لكلب بأرض الشام .

(٣) أخذ فيه من رجز طرفة :

يالك من قبرة بمعمر   خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ما شئت أن تنقرى

(٤) رمى له بالأبنة . والتحمير والتصفير باستعمال الزعفران والطيب . انظر اللسان (حمر ، صفر) .

(٥) فى الأصل : « وتغلبا » .

(٦) فيه نظر إلى قول الراجز وأنشده فى المقاييس واللسان (دور) :

لبث قليلا يلحق الداريون   ذوو الجياد البدن المكفيون

وفى الأصل هنا : « وأصحاب الجياب » .

(٧) الحوارى : القصار الذى يبيض الثياب ، ومنه حواريو المسيح عليه السلام ، لأنهم كانوا قصارين .

(٨) أصله من المثل : « أبى الحقين العذرة » وهى بكسر العين العذر . ومنشأ المثل أن رجلا ضاف قوما فاستسقاهم لبناً وعندهم لبن قد حقنوه فى وطب ، فاعتلوا عليه واعتذروا فقال: أبى الحقين العذرة ! أى إن هذا الحقين يكذبكم .

(٩) لعله يعنى ابن سيده . انظر ما سبق فى ص ٢٣٣ .

(١٠) فى الأصل : « حدوك المنى » . حذاه : أعطاه ووهب له .

لشد ما سُمِّع بك في الأملاء (١) ، وسُرِّك بالإجراء في الخلاء (٢) ، وأرسلك سائمًا ورتع في خلاء ، كفَتَه في معاني القرآن زُحلوفاته الزُّلّ الضُّلّ ، وكَتَه في نحوِه عثراته التي يَدمَى منها الأظَلّ ، مُماتِحُك في الدُّلِيّ والدَّوِيّ (٣) ومُطارِحُك السلامَ على ذي الرويّ المروي ، لقد أعلّك بواضِحِها وأبَلّ ، وأغلّك مِن فاضحها ما أسَلّ (٤) ، ورماك يارجيم بدائه وانسلّ ، فتصنّعت بعُمارِ حُلاه ، وتنطّقت بما تلاه ، وتشبّعت بالعار الذي تولّاه ، كالخصيّ يفخَر بمتاع مولاه .

كشاقبةٍ لحلي مستعارٍ ... بأذْنيها فشانَهما الثُّقوب (٥)
فردّت حَلْيَ جارتها إليها ... وقدْ بقيت بأذْنيها نُدُوبُ

أولَئك يا زُفَر ، ياأستَ عَيرٍ يحكّه الثَّفَر ، حينَ نَهقت ، وبلسان العربِ سُباتِك (٦) تفقّهت ، فقلت :

أولئك قومي إن بنوا شيّدوا البُنَى ... وإن عاهدوا أوفَوا وإن عَقَدوا اشدّوا

مالَاتَ ياوَقاح ، ولهذا الحيّ اللَّقاح (٧) ، تفوّهتَ بكلامهم ، ونَفِهتَ عن أفهامهم (٨) ، وأهلت بشِعارهم ، وتمثّلت بأشعارهم ، وشَحَجت في أعيارهم ، وما نارك من نارهم (٩) . هلّا رتقت بفَطانتك ، ونَطَقت بعُجمتك ورِطانتك .

---

(١) التسميع : التشهير . والأملاء : جمع ملأ ، وهم أشراف القوم .

(٢) نظر إلى المثل : « كل مجر في الخلاء يسر » ، والمجرى : الذي يجري دابته ، فهي في الخلاء لا منافس لها .

(٣) المماتحة : مفاعلة من المتح ، وهو جذب رشاء الدلو . والدلى : جمع دلو . والدوى : المفازة .

(٤) يقال : أسله الله فهو مسلول ، شاذ على غير قياس .

(٥) لابن هرمة في الأغاني (٥ : ٢٨) .

(٦) السباة : جمع ساب ، من السبي وهو أخذ الناس عبيدا وإماء .

(٧) حي لقاح ، كسحاب : لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم في الجاهلية سباء .

(٨) نفه : أعيا وكل وضعف .

(٩) النار : السمة . وأصلها سمة الإبل ، تجعل كل قبيلة لإبلها سمة خاصة .

٣٠/١ أظنُّك شاهدتَ لياليَهم بالجمع[١] ، أو قعدتَ منهم مقاعدَ للسَّمع ، ودانيتَ السِّرار فاستَرَقْتَ[٢] ، وضمَّك السَّرار فأغدقت[٣] ، وأعجزك النَّزْعُ فأمرقت[٤] ، وأورقت وما أخرفت ، ثم فَسُلت ، وظننت أنَّك طُلْتَ ، بل سَفُلت ، وحيث وجب لك أن تسجد بُلْتَ .

وقيل يارخَمُ انطقـي في الطَّير إنَّكِ شر طائر[٥]
فأنتْ بمـا هي أهلُه والغَيُّ من شلل المحاور[٦]

أما كان لكَ يالئيمَ الجدود ، ومَدرأ الحدود ، ولآبائك لفظٌ تحكيه ، أو لذوى وَلائك من العجم قَبر بجِلّق تبكيه[٧] ، أو نحوٌ بلسانك تضعه ، أو لحنٌ في شأنك تخفضه وترفعه ، فقاولت العربَ بلسانِ هامان ، وناضلتها بطمطمة يوحائيل ورومان فتذرها تسبُر ماخَلَقت ، وتصبر اسبائك على لُكْنتِك لمَّا صدَقت .

فما على البدر مِن نَبح الكلابِ ولا يوماً على البحر يُرمَى فيه بالحجرِ

هذا جزاؤها في تدريبك وتعليمك ، وتصريفِ ألفاتها في حَلْقة ميمك ، فلا ماء وجهكَ أبقيت ، ولا جِرْحَ أمِّك العَفْلاءِ أنقيت . ماأنبذَك يانبيذُ لذِمامها ، وأقلَّ شُكرَكَ على كَفالتها لك وإلقاء أقلامها[٨] ، لـكن أمِنتَ سورةَ إقدامها

---

(١) جمع هى المزدلفة ، وفيها يقول ابن هرمة :

سلا القلب إلا من تذكر ليلة بجمع وأخرى أسعفت بالمحصب

(٢) السرار ، بالكسر : المسارة . استرقت ، يريد استرقت السمع .
والسرار : بالفتح جمع سرارة ، وهى من الوادى : أفضل موضع فيه .

(٣) أمرق السهم إمراقا : جعله يمرق من الرمية وينفذ .

(٥) للكميت . الحيوان (٣ : ٥٢٠) . وأوله فيه : « إذ قيل » .

(٦) كذا ورد فى الأصل .

(٧) إشارة إلى قول النابغة :

لئن كان للقبرين قبر بجلق وقبر بصيداء التى عند حارب

والقبران يعنى بهما صاحبى القبرين ، وهما يزيد بن الحارث الأعرج ، وأبوه الحارث الأعرج ، والنابغة يمدح عمرو بن يزيد بن الحارث الأعرج ويمجد أباه وجده .

(٨) فيه نظر إلى تنازع الأحبار وزكريا فى كفالة مريم وإلقائهم الأقلام لتحكم أيهم يكفلها .

وضمنَتْ عن مثلك سعةُ أحلامها، فساجلتها بخَلَق أرمامها[١]، وجاذبتها فضول كلامها. « ليسَ قطًا مِثلَ قُطَيّ »، ولا الرُّشد من الغيّ.

يموت الفتى من عثرةٍ بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجلِ[٢]

فُروغِي جَعارِ[٣]، وبِدَار الإنصافَ بدار.

مَن يهُنْ يسهل الكلام عليه ما لجرحٍ بميّت إيلامُ[٤]

وبعد قَرْع صفاك، وصَفع قفاك، ننتقل إلى نَقلة أديانكم، وجهلة أحباركم ٣٠ ب ورُهبانكم، وإقامة أقانيمكم الثلاثة في سنودساتكم الستّ وهذيانكم، ثم نُرسِل عليكم خيل البيان شُزَّبًا غراثا[٥]، ونبعثها ملاحم تُذْبِي الكُلابَ ومَلْهَمًا وبُعاثا[٦]، وتنقُض ما غزلَتْ أُمُّك الورهاء بعد قوّةٍ أنكاثا.

هما الشّظاظان لخولى حولكا لأقطعنَّ بالمِرار حبلكا[٧]

اشدُد حيازيمك للمناقش، واجذُذْ جراميزك عن المُناهِش، فعلى أهلها دلّت بأذاها بَرَاقِش، أتظنُّ أن تقنع منك اليمَن بالأَرْش، أو سبأُ الحاضرُونَ بردّ العرش[٨]، هذا ياضبُّ أشدُّ من الحرش، نَكرتَ يانُكير، وياعُوَير، أن تتحامى الشّعَرةُ أبؤسَها بالغُوَير، لوحلّ رائدُها أرضَ تَبالة، لما حُرِم ولا توالهَ، ولكنّما أعرضَتْ عنه تبَالة، ورأى أكمةً فتباله، وترك الضِّغث والإبّالة، وجَهِد أن

(١) يقال حبل أرمام، أي بال، وصف بالجمع، كأنه جعل كل جزء منه واحدا ثم جمع. وفي الأصل: « أزمامها ».
(٢) البيت لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين. العقد ٢ : ٤٧٣.
(٣) جعار، كقطام: اسم للضبع. والمثل بتمامه: « روغي جعار وانظري أين المفر». يضرب لمن يروم أن يفلت ولا يقدر على ذلك.
(٤) البيت للمتنبي في ديوانه (٢ : ٣٣٨) بشرح العكبري، برواية: « يسهل الهوان».
(٥) شزب: جمع شازب، وهو الضامر. والغراث: جمع غرثان، وهو الجائع.
(٦) الملاحم: الحروب الشداد. الكلاب وملهم وبعاث: مواضع كان بها بعض أيام العرب.
(٧) المرار: الحبل الذي أجيد فتله.
(٨) في الأصل: « الحاضرين »، تحريف. وهو نظر إلى قول الأعشى:
من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما

يلحق آله وثماله ، وقال مَن ابنُ يزيدَ ومن ثمالة(١) .

تيامَنْ تجاهَكَ تلقَ الـكلا مُنِيراً وتأمَنُ فى المسلَكِ

إيه ليت شعرى مَن عِلقُك الرَّبيحُ فى الزَّمان ، وهل أحاط بُسقْعه هدهُد سليمان(٢) ؟ لعلك تعني الموفَّق ، ذا النجار الملفَّق ، حاجب الظَّاهر ، ومملوك معافِر(٣) ، عَجَم دانية ، وعَرَكَ سردانية(٤) . أين أَمُّك(٥) ، ثـكلتك أُمُّك ، وهل سوى زِعنفةٍ من زعانف الرِّيف ، وسفاسف السِّيف ، العُراةِ الحقوَين ، الشُّراةِ كَمَسْرى القَين(٦) ، المعتصمين بالخيزُرانة بعد الأين(٧) .

ومن يَسـكُنِ البحرَينِ يعظُمْ طِحالُه ويُغبطْ بما فى بطنه وهو جائع(٨)

متى جرى ياعَبْدَ عبدةَ الأوثان ، مدحُ العَجم على آسانٍ من لسان(٩) ، أو تبِعهم قائلٌ بإحسان ، عياذًا ببشرٍ وأمَيّة وحَسّان ، وحقّ للمعروف تقريضه، الموقوف على حَلَاة بجّانة قريضهُ(١٠) وإنْ كانت أرشَ اليمن، فيها نُودِيَ عليـكم

(١) إشارة إلى قول عبد الصمد بن المعذل فى هجاء محمد بن يزيد المبرد ، وهو من قبيلة ثمالة :

سألنا عن ثمالة كل حى فقال القائلون ومن ثماله
فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهاله
فقال لى المبرد خل عنى فقومى معشر فيهم نذاله

(٢) السقع ، بالسين : لغة فى الصقع ، وهو الناحية .

(٣) معافر ، بفتح الميم : حى من اليمن .

(٤) العرك : جمع عركى . وهو صياد السمك .

(٥) الأم : القصد .

(٦) سرى القين مثل فى الـكذب . يقولون : « إذا سمعت بسرى القين فإنه مصبح » . وأصله أن القين بالبادية يتنقل فى مياههم ، فيقيم بالموضع أياما فيكسد عليه عمله ، فيقول لأهل الماء : إنى راحل عنكم الليلة ! وإن لم يرد ذلك ، ولـكنه يشيعه ليستعمله من يريد استعماله .

(٧) إشارة إلى قول النابغة فى صفة الفرات :

يظل من خوفه الملاح معتصما بالخيزرانة بعد الأين والنجد

الأين : الفترة والإعياء . والنجد : العرق والـكرب .

(٨) عرفت البحرين قديماً بأن أهلها مطحولون . الحيوان ٤ : ١٣٩ .

(٩) الآسان : البقايا ، الواحد أسن بضمتين .

(١٠) التقريض: التقريظ،وهو مدح الإنسان حيا والثناء عليه. وانظر ماسبق فى ص٢٤٦ .

بِبَخس الثَّمَن، أن يَزدرِىَ بفَرعك المُجِيل ، وجيلك النَّجيل ، من النَّجْل
٣١ / ١ والتنجيل(١) ، يا أشلاءَ الرَّحِم البجيل ،والبَظْر السَّجيل ، وقد راعتكم مِن غَسَّان وخَوْلان، وصَميمِ قيس وعيلان،الرائِعِ النَّجيل، أصحابُ الغُرَر والتحجيل،الذين مَثَلُهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل(٢) ، ياتَبَعة المجوس ، وقَرَعة القَرن والناقوس ، أَلَسْنا بالقُوس ، وأنتم بالقرقوس(٣) ، عَبَدَة التثليث، وشَرَدة أجزاء الثالوث ، لقد أبحتم السَّمُرة للعاضد ، وجئتم بما فضحَتْ قومَها غامِد(٤) ، الجوهر وروح القدس وابن الإنسان إله واحد ، صَمِّى صَمامِ ، لابالصِّماخ ولا الصِّمام باخرا تآلَفَتْ لكم تلك الأقانيم الثلاثة فى قُرونٍ من الدَّهر، وقد كان بين أُقنومين منها بزعمكم سَبعُمائة شهر . لقد ضلّ أُقنومٌ بين سنودسين(٥) ، واتَّحدَ أهلُ التكليف منكم خلال اتحاد الكلمة بالنفسين ، وليتها كانت تسعةً فانقرض عليها جيلُكم ، وانقرضْ من الاختلاق إنجيلكم . ياقُرْبَ ماتلفَّقت لكم هذه الألوهةُ دون تكليف ، وتنزَّهتْ وحدانيتها عن التأليف بالتسويف. وعلى أنَّ الجاثليق قد أتاكم فى الزِّيادة عليها ببعض القول ، وردَّ فرضَ أحكامكم المنسوخة إلى العَول(٦) . كفى مابين الملْكانية والنِّسطورية(٧) من فسادٍ فى الوضع ،

---

(١) النجل : العيب ، نجله أى عابه .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى صفة أصحاب الرسول الكريم: «ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه » . آخر سورة الفتح .

(٣) القوس، بالضم: رأس الصومعة . والقرقوس، بالتحريك :القاع أو الوادى الأملس .

(٤) فيه إشارة إلى قول امرأة من غامد فى هزيمة ربيعة بن مكدم لجمع غامد وحده :

ألا هل أتاها على نأيها ... بما فضحت قومها غامد
تمنيتم مائتى فارس ... فردكم فارس واحد

انظر البيان (١ : ٢٤٩) .

(٥) الأقنوم: واحد الأقانيم وهى الأصول . والسنودس هو المعروف فى مصر بالسنهودس. وهو المجمع الدينى . انظر مروج الذهب ١: ٣١٨ — ٣١٩ والتنبيه والإشراف ١٢٢، ١٣٦ .

(٦) العول : عول الفريضة فى الميراث ، وهو أن تزيد سهام الورثة فيدخل النقصان عليهم ، كأن يكون لأحدهم الثمن فيصير له التسع .

(٧) الملكانية: فرقة منسوبة إلى «ملكا» ، ومعناه الملك بالسريانية، والمراد بهم أتباع =

واختلاف فى الأناجيل الأربعة بغير إسناد ولا قطع، لهؤلاء جزء من الإله ولهؤلاء جزء، أليس هذا يا هُزْأة عينَ الفكاهة والهزء.

وحاطبٍ جاء بعارٍ يحطِبُ ... بفيه من ذاك حِجارُ الأثلبِ[١]

ثم ما لكم، ويلكم، توسَّعتم فى الكيان، وضايقتم معبودكم بتضايف المكان، ونقلتموه من عالم العقل إلى عالم الحسّ، وأفردتموه من الإنسانية عن رُوح القُدُس، فنقضتم الأسلوب، وقسّمتم الجمْعَ المربوب، وعبدتم منه الجزء المصلوب. أبدِع بهذا البِدْع، وأقدر بشَعْبٍ[٢] هذا الصَّدع، وأقذِرْ بالسَّبّ واللذْع[٣]، وأحقِرْ

٣١ ب بأُمّة لم تنقذ معبودَها من الجِذْع، أتظنُّونه أعفاكم من طلب ثاره، وأعاذَكم يومَ هول المُطَّلَع من ناره، أم تراه إذا قادكم للعَرْض وأوقفكم بين يديه للجزاء يأخذ بحقّه منكم ويوفّيه، أم يترك للنّاسوت هدراً ثلاثةً فيه.

جاءوا بعِقْىٍ ثم قالوا بنُّوا[٤] ... يا ويحهم أحَمُقوا أم جُنُّوا

ولمّا أخلفكم التبطين والتحليق، وأعيا عليكم التّدخين والتخليق، وخلف على دينكم الجاثليق، حلّيتم خشبةَ المسيح بعد رفعه عسجدا، وتوليتم مكانها عِيداً ومسجداً، هلّا نصرتموه فى حياته، أو تحدّيتم بتأليف أثلته قبل وفاته.

هلّا جعلتم رسولَ الله فى سَفَطٍ ... من الألُوَّة أحوَى مُلبَساً ذهبا[٥]

= مذهب قياصرة الروم، الذى يسمى أيضاً المذهب الخلقيدونى، الذى أقره المجمع المعقود فى خلقيدونية سنة ٤٥١ م. انظر تاريخ الأمة القبطية (الحلقة الثانية ٩١ — ٩٢). والنسطورية: أتباع نسطورس، وكان بطريركا بالقسطنطينية سنة ٤٢٨ وأتى ببعض البدع. فحكم عليه السنهودس الثالث المعقود فى أفسيس سنة ٤٣١ باللعن والنفى، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد إخميم والبلينا، ومات بقرية يقال لها «سيفلح». انظر ما كتبته فى حواشى الحيوان (٤ : ٤٥٨).

(١) الأثلب: التراب والحجارة.

(٢) فى الأصل: «شعب». وشعب الصدع: لأمه وأصلحه.

(٣) فى الأصل: «وأقرر».

(٤) العقى: أول ما يخرج من بطن الولد. وبنى بالمكان: أقام.

(٥) الألوة: ضرب من العود. والبيت فى اللسان (ألا) قاله أعرابى مر بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يدفن.

ثم مَهْيَم ، يا أبا مريم ، وهات الحديث عن مريم ثالثة آلهتكم ، والنُّصُب الذى تُوفِضون إليه ببلاهتكم ، أليست العذراء البتول ، المُحْصنةَ أمَّ الرسول ، الطيِّبة النِّجار ، الطاهرة الإزار ، ما لكم قذفتموها بإنكار المهـــدِ قبل قذفها بيوسف النجار .

صَـــلاَمة كَحُمُر الأبكِّ لا جَذَع فيها ولا مُذكِّ(١)

ياغُواةَ الهُدَى ، وعُواةَ الصُّدَى ، لقد خذَلتْكم ضَلالاتُ السُّرَى ، وخبلتكم خيالاتُ الكَرَى .

أطرِقْ كَرَا أطرق كرا إنَّ النَّعام فى القُرى(٢)

أىُّ حذاء من أديمكم يُرقَع ، أم أىُّ حَلْى لنسائكم يُقعقَع ، ألِاتخاذكم الصَّاحبة للرحمن ، أم لرميكم بالكذب ابنـةَ عمران ، تصدِّقون مِن مشبِّهتكم لوقا ويُحَنَّا ، وتـكذِّبون من قال لوأردْنا أن نتَّخذ لهوا لاتَّخذناه من لدُنَّا . ياللعُجاب ، وهل أمامَ هذه السَّوأة من حجاب .

حانيَة مِن عانةٍ أو بيشا تحلق حلق النُّورة الجميشا

لمثل هذا استعادك السَّفَه والعَمَه ، وجعلتَ أمَّنا لأمِّكم أَمَة .

أسمعُ صوتاً ولا أرى أحدا مَن ذا الشقىُّ الذى أباح دمَه

حاشى لإبراهيم أن يكون لـكم أباً وإن كنتم بنيه فمَهْ ، ثم مه ، وهَبْكَ ٣٢/١
هاجر أمة ، بَخْ بَخْ ، أَزَم بعَقِبِك الفخّ ، نِكاح ، أم سِفاح ، وكم بينَ محظورٍ

---

(١) الصلامة : القوم المستوون فى السن والشجاعة والسخاء . والأبك : موضع تنسب إليه الحمر . والمذكى : المسن . والرجز لقطية بنت بشر الأعرابية ، مر بها مروان بن الحكم وهى ترتجز بهذا وتنزع بدلو على إبل لهـا ، فخطبها فتزوجها فولدت له بشر بن مروان . الأغانى (١ : ١٢٩ — ١٣٠) .

(٢) الـكرا : لغة فى الـكروان ، وهو طائر صغير يشبه به الذليل . والمثل يضرب للرجل الحقير إذا تكلم وغيره أولى منه بالـكلام .

ومُباح . أنَّى لبُضع أمَّاتكم للحنيفية جُنوح، أو في نكاح عَمَّاتكم ما أوصى به نوح، لقد ذهبتم من العار بحُمِّه ورُمِّه، والفحل السَّوء يبدأ بأمّه . في الفرق بين السَّراري والَمهيرات ، وخبرِ هنَّ الذائع وأبنائهن الأنبياء والخلفاء والسَّادةِ السَّراة، ما يرفع الالتباس ، ويعرِّف بمُنْجبات الناس . وسل عن سِبْط داود وسليمان ، وبنى عبد المطلب وخلائِف(١) بنى العباس . على أنَّ العرب لا تترجَّح للأُمَّهات ، ولا تتبجَّح بذِكر الحرُمات، ولا رضِيَتْ الشِّغارَ كفعلكم بالبنات، بل وأدتها للحفيظة هَبرا ، ووردت بها حِياضَ الثُّكل صَبْرا ، واختارت لهنَّ جَنَن القُبور صِهرا .

* والموتُ أكرم نزَّالٍ على الحرمِ(٢) *

وتقدَّر يا قُدار(٣)، ما صيَّرتَ لآلك فى ذِكر سارَة(٤) من حديثٍ مُدار. ربَّةِ الإياة(٥) أمِّكم، بل ابنة هارَانَ عمِّكم ، ذارية السِّبْط ، وعاريةِ صادوف طرْخان القِبط، إذ غصبها(٦)، ولولا عِصمة النبوَّة لعصَبَها ، فتداركها اللهُ بأمَّنا

(١) فى الأصل : « خلاب » .

(٢) من بيت لإسحاق بن خلف ، فى الحماسة بشرح المرزوقى ٢٨٣ . وصدره :

* تهوى حياتى وأهوى موتها شفقا *

(٣) هو قدار بن سالف ، الذى يقال له أحمر ثمود، عاقر ناقة صالح، وهو مثل فى الشؤم.

(٤) سارة ، ضبطت فى اللسان (سقم ، هجر) بتشديد الراء ضبطا بالقلم . والوجه فيها تخفيف الراء . وفى سفر التكوين ١٧ : ١٨ « وقال الله لإبراهيم : ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى ، بل اسمها سارة» . وفى الحواشى أن معنى « سارة » رئيسة . انظر الكتاب المقدس طبع الأمير كانية ١٩٠٦ . وفى التنبيه والإشراف ١٤٣ أن نقفور ملك الروم أنكر على الروم تسميتهم العرب « ساراقينوس » معناه عبيد سارة ، طعنا منهم على هاجر وابنها إسماعيل . قال المسعودى : « والروم إلى هذا الوقت تسمى العرب : ساراقينوس » .

(٥) أصل الإياة ضوء الشمس وحسنها . وكانت سارة بارعة الجمال .

(٦) فى القاموس أن الطرخان اسم للرئيس الشريف ، خراسانية . وفى فتح البارى (٦ : ٢٢٨) أن اسم الذى حاول اغتصابها عمرو بن امرئ القيس بن سبأ ، وكان على مصر ! ذكره السهيلى ، وهو قول ابن هشام فى التيجان . وقيل اسمه « صادوق » وحكاه ابن قتيبة ، وكان على الأردن . وقيل سنان بن علوان بن عبيد بن عريج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح . حكاه الطبرى . وانظر قصة اغتصاب فرعون لها فى سفر التكوين ١٢ : ١١ — ٢٠ واغتصاب أبيمالك ملك جرار لها فى ٢٠ : ١ — ١٨ .

ذات المناسك الخمس، ومخلِّصتها من مَلِك عين الشَّمس[١]، إذ ناءَخَت عنها بإرهاص الوحى والتنزيل، وشهدت ببراءتها عند إبراهيم الخليل، فاختارها على أمِّكم لوِراثة أمره، وتسرَّاها بعد ثمانين من عمره، فكانت بِكرَ سلالته ووصِيَّ أبينا إسماعيل صلوات الله عليه حامِل رسالته، وما زالت أمُّكم حتَّى نافستها فى السَّلام، ووسمتها بثلاثٍ لغَدْرها بقِين سنَّةً فى الإسلام[٢]، ولم ترض لها ببستان بيتا فرضى الله بالبيت الحرام.

أُزِّت بها ضَرَّةٌ زهراء واضحة ... كالشَّمس أحسن منها عندرائيها

فرحلت عنها أثرة الفِراق، طاهرة الأعراق، سائرة مع جبريل على البُراق، ٣١ / ب

فبحقٍّ تُزهَى بنو هاجرَ، بالتهاجر، وتَاهَى بالتَّكاثر والتَّفاخر، يا فاجر.

رأيت اللســـانَ على أهله ... إذا قاده الجهلُ ليثاً هَصُورا[٣]

وأمَّا ماجلبتَ عليه ياحائنُ برِجْلك، ونكَّستَ به حذاء صدرِكَ نِصَالَ نَبْلك، من ذكر صواحب الرايات[٤]، والسَّارين بأمثال أمِّك للبيَات، فقد رجعتَ فى ذلك ياشامُ على أدراجك[٥]، وبحثتَ عن مُديةٍ لأوداجك، حِلاًّ أمَّ عامرٍ[٦] عساكِ ناديقنه من أقرب طِيَّة، ونزعتْ بك إلينا عُروق[٧] من سُمَيَّة. دونك هِيلى بكيلك الوافى.

* واعرنزمِى مَيَّادَ للقوافِى[٨] *

---

(١) هى عين شمس، المدينة المصرية المعروفة، قال ياقوت: «اسم مدينة فرعون موسى».

(٢) فى اللسان (هجر): «هاجر أول امرأة جرت ذيلها، وأول من ثقبت أذنيها، وأول من خفض. قال: وذلك أن سارة غضبت عليها فحلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها، فأمرها إبراهيم عليه السلام أن تبر قسمها بثقب أذنيها وخفضها، فصارت سنة فى النساء».

(٣) أنشده ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٣٣٠) برواية:

* إذا ساسه الجهل ليثا مغيرا *

(٤) انظر ما سبق فى ص ٢٤٩. (٥) الشام: المتكبر، يقال شم، أى تكبر.

(٦) تهكم بكنيته «أبو عامر» انظر ما سيأتى فى ص ٢٨٠ س ٧.

(٧) فى الأصل: «عرق».

(٨) لابن ميادة، واسم الرماح بن أبرد. وميادة أمه، كان يضرب جنبيها ويقول لها:

* اعرنزمى ميـاد للقوافى *

سُمَيَّةُ أخيذةٌ من أسراكم(١)، ومرِيَّةٌ تصَيَّرت إلى أبي جَبْر(٢) ثم إلى الحارث ابن كَلَدة من هدايا كِسراكُم، فأزْوَجها الحارث مسروحًا(٣) فى حيٍّ مُضاع، وبيت قعيدتُه لَكاع، تَسرح فى حِيَال(٤)، ويبيت عندها مصطلِبًا شيخُ العيال(٥). فإن كان واثَبها حليفَ عهد، أو سافحها أو خاتَلها عن قَصْد، فسامَحْته بما سامحها. ثم صارتْ إلى عُبَيد، بغير عقد، وظنَّت أنَّ فى كل أوديتها بنى سَعد(٦).

كعادتها فيما مضى من شبابها ... كذلك تدعو كلَّ مرءٍ أراملُه

أتراها من الاثنى عشر ألفًا بِغَين، ببلاد الأرمن، حاضرةِ مُلككم، وسُمَيساط(٧) واسطةِ سلككم، اللائى حظرهنَّ طاغيتكم عن التَّزويج، وأباح

= يريد أنه يهجو الناس فهم يهجونه ويذكرون أمه. واعرنزم: تقبض، وفى الأصل: «واعزى»، صوابه فى الشعراء ٧٤٧ والأغانى (٢ : ٨٦). وبعده:

واستسمعيهن ولا تخافى ... ستجدين ابنك ذا قذاف

(١) كانت سمية من أهل زندورد، وهى مدينة كانت قرب واسط. معجم البلدان والمعارف لابن قتيبة ١٢٥.

(٢) فى الأصل: «ابن جبر»، تحريف. وفى المعارف والعقد (٥ : ٤) «أبو الخير» تحريف كذلك. وأبو جبر كان أحد ملوك اليمن، واسمه كنيته، وقيل هو أبو الجبر يزيد بن شراحيل الكندى، وقيل أبو الجبر بن عمرو الكندى. وفيه يقول ابن دريد فى مقصورته المشهورة:

وخامرت نفس أبى الجبر جوى ... حتى حواه الحتف فيمن قد حوى

انظر ابن خلكان (٢ : ٢٩٤) فى ترجمة يزيد بن مفرغ.

(٣) وكذا عند ابن قتيبة فى المعارف، لكن بلفظ: «مسروح» بالحاء. لكن فى العقد وابن خلكان أن زوجها هو «عبيد»، وهو عبد وهبه أبو الجبر للحارث بن كلدة مع سمية. وهو الصواب، فقد ورد فيما روى من خطبة لزياد بن أبيه: «فأما عبيد فإنما هو والد مبرور، أو ربيب مشكور». انظر العقد (٦ : ١٣٢) ومروج الذهب (٣ : ١٦). وما ذكر هنا يجمع بين الروايتين.

(٤) نوق حيال وحول: لم تحمل.

(٥) يقال صلب العظام واصطلبها: جمعها وطبخها واستخرج ودكها ليؤتدم به. قال الكميت:

واحتل برك الشتاء منزله ... وبات شيخ العيال يصطلب

(٦) إشارة إلى المثل: «فى كل واد بنو سعد».

(٧) فى الأصل: «سياط»، تحريف. وسميساط: مدينة على شاطئ الفرات فى طرف بلاد الروم على غربى العراق، ولها قلعة فى شق منها يسكنها الأرمن. معجم البلدان.

فروجهنّ لغراميل العُلوج، بوظيفة دينارين ونصف دينارٍ في السنة على كل واحدةٍ وقَفَها على مأكله ومشربه، وجعلها سُنَّةً باقيةً في عقبه.

فلولا الرِّيحِ أسمع من بنجد صليلَ البيض تُقرع بالذُّكور(١)

فيا لها نعمةً، أضاعتْ طِعمة، وغُنْمَ إفادة، جلبتها قِيادَة، وزكاء خراج، يمخض زُبْدَه إدخال وإخراج، ويملأ في كل فِيقةٍ عُسَّ أبي سُواج(٢)، ٣٣ / ١

أتحيط، يا بليط، بهذه الروايات حُسبانا، أو تحصِّل لها بظورا أو جُوفانا. لقد نَبَهت بهذا السماع هاما، وقلقلت للقِراع بها يَلَمَا وشماماً. أظنُّك هذا اعتمدت، أو جمعت قافاتِ الكندىِّ(٣) وأنشدت:

شرف ينطح النجوم بِرَوْقَيـ ـهِ وعزٌّ يقلقل الأجبالا(٤)

فهلاً يا جاهلُ، وشرَّ مُباهِل، سُقت البيت الثانى بعده والثالث(٥)، وضِفتهما بشرف قومك على إيقاع الثانى والثالث، أأردت يا ضبعُ أن تخلع فخارها التغلبىّ، وتكسوَه مغلوبه الدمستقَ(٦) المسبىّ، إذ أذاقه سيفُ الدولة بأساً ونَكالا، وغطَّى منه بِبَنِيَّة الحَدَث جبيناً وقذالا(٧).

---

(١) البيت لمهلهل. والرواية المعروفة: «أهل حجر». وانظر حواشى البيان (١: ١٢٤).

(٢) أبو سواج: رجل من ضبة كان قد جاور فى بنى يربوع فخانوه فى أهله، فاحتال لمن خانه — وهو صرد بن حمزة اليربوعى — بأن سقاه ماء رجلين تداولا مباضعة إحدى الإماء، فعير بنو يربوع بذلك. انظر شروح سقط الزند ١٧٨٥ — ١٧٨٨.

(٣) يعنى المتنبى، وهو أحمد بن الحسين الجعفى الكندى الكوفى.

(٤) من قصيدة له فى مدح سيف الدولة. الديوان (٢: ١٠٤) بشرح العكبرى. وانظر ما سبق فى ص ٢٥١.

(٥) هو قوله:

حال أعدائنا عظيم وسيف الـ ـدولة ابن السيوف أعظم حالا
كلما أعجلوا النذير مسيراً أعجلته جياده الإعجالا

(٦) الدمستق: ملك الروم، وفى الأصل: «الدمستق».

(٧) يعنى ببنية الحدث قلعتها. والحدث: مدينة بين ملطية وسميساط.

وحمانا بكلِّ مطَّرد الأكـ ـماب جَور الزمانِ والأوجالا (١)

ألم يأْنِ لك أن ترجعَ فى الروايات إلى ربِّيِّك، وتأخذ هذه المنحة من ربِّيِّك (٢)، وتستتر دونها من عُوَارِى، وتغطِّيَ هذه الفضيحةَ بأطمارى، فاربَعْ لاربعت، ولا طِرتَ مع النَّوكَى ولا وقعت.

وقُدْ بزمامٍ بَظْرَ أمِّك واحتفِرْ بأيرِ أبيك الفسلِ كرَّاثَ عامرِ (٣)

وأمّا عَوسك بالإيغال (٤)، وتوسلك فى خبر أبى رِغال (٥)، فداهيك من ثقفى مُشاقِف، وناحتِ أثلةِ عدوِّهِ ناقف، ضمَّه القَسْر، وضامه الأسر، فساق (٦) لأعدائه الأعراض والوسوم، ووصَف لهم الأطلالَ والرسوم، حتَّى بلَّغ حتفَه أبا يكسوم، فأقرَّه بالمغمَّس بعد صِياله، وأنزلَه عن محمودٍ غير محمود لاستئصاله (٧)، وأسلمه للصِّلْدِم الصالم، فهل هو فى ذا يال هَمْدان ظالم (٨) ؟

وعلى أنّ العربَ لم تُعذِر إليه فى استكانته للأعادى، ودِلالته للتخلُّص بفيل المُعادِى، ورَجمتْ قبره كما رجمت قبر العبادى (٩).

---

(١) فى الأصل: «والآجالا»، صوابه من الديوان.

(٢) الربى: الحبر العالم. والربى أيضاً: الجماعة الكثيرة.

(٣) للطرماح بن جهم السنبسى، كما فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٤٨٧.

(٤) فى الأصل: «غوسك»، تحريف. والعوس، بالمهملة: الطوف بالليل، وهو أيضاً الوصف.

(٥) أبو رغال: رجل من ثقيف، وهو الذى دل أبرهة أبا يكسوم على الطريق إلى مكة، وخرج معه حتى أنزله «المغمس»، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك فرجمت قبره العرب. السيرة ٣٢ جوتنجن.

(٦) فى الأصل: «فساب».

(٧) محمود: اسم الفيل الذى وجه إلى الكعبة.

(٨) إشارة إلى قول عمرو بن براقة الهمدانى، فى الأمالى (٢: ١٢٢):

وكنت إذا قوم غزونى غزوتهم فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم

(٩) فى الأصل: «العيادى»، تحريف. وفى مروج الذهب (٢: ٧٩): «وفى طريق العراق إلى مكة — وذلك بين الثعلبية والهبير نحو البطان — موضع يعرف بقبر العبادى ترجمه المارة إلى هذه الغاية كما ترجم قبر أبى رغال».

ها إنّها عِذرةٌ إلّا تكُنْ نفعت فإن صاحبها مشارِكُ النَّكدِ (١)

وتعرف ، يا مُقرِف ، إذ أخسَرْتَ بشأننا ، وسَخِرت لانتصاف قُصَيٍّ من ٣٣/ب أبى غُبْشاننا ، والأصح فى الآثار ، عن نقلة الأخبار ، أنَّ أبا غُبشان ما أضاع البيت ولا باعه ، وأن عبد منافٍ وأخاه رزاحًا غلبا عليه خُزَاعة (٢) ، وانتزعاه منه عنوةً ورأى اللهُ انتزاعَه ، وإن صحَّ البيع فى مفرد الإسناد ، وانتسب إلى أهل الجدَل والعناد ، خُزاعة لم تُعرِقْ فى السِّدانة ، ولا كان لها طوقٌ بحمل تلك الأمانة ، فرزَحَتْ بحمْلِها ، وضَحَت عن ظلِّها ، وأسلم أبوغُبْشان مفاتح الكعبة لأهلها ، ورثةِ الدَّعوة الإسماعيلية ، وخالصة الملّة الإبراهيمية ، قُرعة ولد إسماعيل فى قصيٍّ وعبد مناف ، والعِترة الهاشمية أُولى الرِّحلتين وَالإيلاف .

الخالطين فقــيرهم بغنيِّهم والظَّاعنين لرِحلة الأضياف (٣)

أربِــحْ بها صفْقةَ قَمْر ، وولاية أمرٍ وذمر ، وشراء أمِّ رِحْمٍ بزقِّ خمر (٤) .

شرت القُلوبَ رخيصةً أعلاقُه ومضى يعَضُّ بنانه المغبونُ

أين فِعلُ هذا ، من حوارِيِّكم يهوذا ، الذى هو عندكم أفضل من موسى بِكر التنزيل ، وخير من نوح وسرافيل (٥) والخليل ، إذ سامَ بإلٰهكم عيسى على دعوا كم سَوْمَ العبيد ، وباعَه بثلاثين درهمًا من اليهود ، فجلَّلوه الخَبَط ، وسقوه الخلَّ وأفرشوه السَّبَط (٦) ، ثم جنَبوه وسحبوه وصلبوه ، قلتم — وقال الله تعالى : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ . ومافتئتم بعد تُولون يهوذَا التَّعزير والتبجيل ، وتأخذون

---

(١) للنابغة الذبيانى فى ديوانه ٢٧ .

(٢) انظر ماسبق فى حواشى ص ٢٥٢ .

(٣) لمطرود بن كعب الخزاعى فى السيرة ١١٤ جوتنجن . وروايته فيها :

المنعمين إذا النجوم تغيرت والظاعنين لرحلة الإيلاف

(٤) أم رحم : اسم من أسماء مكة .

(٥) كذا . ولعله « إسرافيل » ، وهو الملك الموكل بالنفخ فى الصور .

(٦) السبط : ضرب من النبت . وانظر إنجيل متى ٢٧ : ٣٣ — ٣٤ ومرقس ١٥ : ٢٦ ولوقا ٢٣ : ٣٦ ويوحنا ١٩ : ٢٨ — ٣٠ .

عنه مختلفات الإنجيل، وتسجدون له ولصاحبيه مَرْقُشَ(١) ومَتَّى، وتزعمون أنَّهم يمشون على الماء ويُحيون الموتى . شاهت تلكم الوجوه، ولا عُدم اللطيم منها والمنجوه(٢) .

إذا لم تخشَ عاقبة اللّيالى ولم تستحىِ فاصنعْ ما تشاء

ذلك كلّه والنبوّة غضّةٌ بمائها، وعَصا المسيح بقرفها ولحائها، والوحى من ورائها والمَلَك على أرجائها، والعهد جديد، والحلْقة حديد . لكنَّهم : ٣٤ / ١

نزعوا بسهمِ قطيعةٍ تهفو به ريشُ العقوقِ فسارَ غير سديد

فأينَ بُناة الصُّروح وبُناة الشُّروح، بل عَصَمة السُّفوح، ولَعَقة الدَّم المسفوح، متى ملكوا الأرَضين، أو أُعطُوا من جزيرة العرب ما رَضِين(٣) ، أبعد أنْ استباحتهم الحُبشان، وضُربت عليهم الجزيةُ وكانت أوّلَ خراجٍ بالزّمان . فما زلتم تشغلونهم من أبنائكم بالأماثيل، ويعملون لهم ما يشاءون من محاريب وتماثيل، حتّى أخدموكم بيوتَ النِّيران، وقدّموكم للحرث مع الثيران، فما أنِفَ ذو جاهكم ولا أنْقَر، ولا أحلى ولا أمقر(٤) ، كذلك الكلاب على البقر(٥) . أهذه النُّجُد البُهَم، لا رعاة شياهٍ ولا بَهَم(٦) . ومَنْ لرعى الشُّوَيهات يا كُشاجم(٧) ، غير الْمُسْفاء والأعاجم، سُوّاس الخنازير، وحُرّاس

---

(١) كذا بالشين المعجمة، وهو مرقس، ويسميه المسعودى « مارقس» .

(٢) نجهه : استقبله بما يكره، وزجره وردعه .

(٣) سبق مثل هذا التعبير فى ص ٢٤٩ .

(٤) أنقر : كف وأقلع . وأمقر : كان مرا . وفى الأصل : « امغر » ، تحريف .

(٥) هو مثل ، يقال بالرفع والنصب ، أى أرسلها على بقر الوحش . ومعناه خل مرأ وصناعته .

(٦) انظر ما سبق فى ص ٢٤٧ .

(٧) كشاجم : لقب لشاعر معروف ، واسمه محمود بن الحسين . توفى سنة ٣٥٠ أو ٣٦٠ . الفهرست ٢٠٠ ، وسير النبلاء القسم الثانى من الجزء ١٠ص٢١٨ ، وحسن المحاضرة ١ : ٢٦٨ وشذرات الذهب ٣ : ٣٧ قالوا : سمى بذلك لأنه كان كاتباً شاعراً جواداً منجماً، ثم مهر فى الطب فقيل « طكشاجم » .

الجازير ، نَدَحة الأُكر[١] ، ولَقَحة الشَّجر لا العَكَر ، ماحا كوا ــ قُلتَ ــ بُرودا ، ولاساسُوا قُرودا ، ولالا كُوا عُرودا . لقدأوضحتَ لووافقت ، ووصفت لو أنصفت ، قل لى فمن رَقَم البرودَ بنيسابور ، وغرس زيتونَ العراق لسابور إذْ غلَّ أيمانكم ، وكسر صُلبانكم ، وقسر على الغِلمة لشفاء الغُلمة وِلدانكم ، تعبَّدَهم وعبّدهم ، وسوَّرهم وخلَّدهم[٢] ، وطوَّقهم وقرطقهم[٣] ؛ وماشَهم وطَرقَهم[٤] . وبعد ذلك أخذ فى جَذِّكم ونقلكم ، وزنق فَقْحة هِرَقلكم ، فصارت فى ملوككم مُثلة ، ولهذا لم تُزْنَق بعدُ فى أرضكم بغلة ، إمَّا لتحرُّجٍ من الأعذاء[٥] ، أو تعرُّج عن شماتة الأعداء ، يفعل هذا بالذَّليل يابنى الصَّيداء[٦] ! تُرَى ، يا فَقْع وادى القُرى ، حَضَر هناك اسلافكم حَوكُ بُرود ، ورشفُ بَرود ، ولوكُ عرود . رُزْها ، يا مُزْهى ، بمدامنة فُهود ، كما زعمت وسياسةِ قرود ، وتذكَّرْ حال أيتامك ، وقدِّر على هذا الإصبع سَعةَ خَيْتامك .

ولا تغضبَنْ من سِيرة أنتَ سرتَها وأول راضٍ سيرةً من يسيرها[٧] ٣٤ ب

(١) يقال ندحت الشىء ندحا ، إذا وسعته . والأكر : جمع أكرة ، وهى الحفرة فى الأرض .

(٢) خلدهم : حلاهم بالخلد — بكسر ففتح — وهى الأقراط .

(٣) القرطق ، بضم القاف وفتح الطاء : القباء . معرب « كرته » .

(٤) أصل الميش خلط الصوف بالشعر ، والطرق: ضرب الصوف والشعر بالقضيب لينتفشا . قال :

عاذل قد أولعت بالترقيش إلى سرا فاطرقى وميشى

(٥) الأعذاء : جمع عذى ، وهو الزرع لا يسقى إلا من ماء المطر . ولعلها« الإعداء » .

(٦) إشارة إلى قول زيد الخيل ، وكان بنو الصيداء — وهم من بنى أسد — قد أخذوا فرسه :

يابنى الصيداء ردوا فرسى إنما يفعل هذا بالذليل

الأمالى (١ : ١٢) والأغانى (١٦ : ٤٧) والعقد (٣ : ٣٤١) .

(٧) لخالد بن زهير الهذلى . الشعراء ٦٣٧ وديوان الهذليين (١ : ١٥٧) .

وما ذكرت من إتاوة غسّان ، لسَليح ياخَطِل اللسان[١] ، فتلك سارية من خلال الأزد ، وفُلّالِ عَرِم السّد ، رازوا أقوامهم البلادَ فضلّوا ، وفقدوا ملأهم فقلّوا ، فما عَداهم ، أن داهنوا عِداهم ، حتّى استقلّوا ، وأمِرُوا فقلُّوا . ولمّا تداركَ غابرُهم ، ودعا دَرَاكِ حارثَهم وعامرهم ، قصَّروا خُطاهم ، وقصَروا مَطاهم ، وأعطاهم جِذْعٌ من سيفه ما أعطاهم[٢] ، ثم جعل قومُه بعدُ يضربونهم فى الأعراض والرّواجب ، ويناوبونهم بين الصّفَرية والرّواجب[٣] ، حتّى استرهنوا منهم قَوسَ حاجب[٤] ، رغبةً فى خفرهم ، وإجارة سَفْرهم ، وتجهيز لطائمهم ، وتجويز خطائمهم[٥] ، وجعلَتْ ملوكُكم تخوّلُنا بالجعائل والوضائع ، وتَنحلُنا ضروب الوشى والقطائع .

وإساءاتُ ذى الإساءة يُذكِر نكَ يوماً إحسان ذى الإحسان

هذه أقيالكم الأكاسرة ، وأجيالكم القياصرة ، لاهَا اللهِ[٦] إلاّ الفيوج المتقاصرة ، وعُلوج بخت نصّر وناصرة[٧] ، عامِلُو المِهَن ، وحاملوا الأُهُن[٨] ، وباذلو

(١) سليح ، بالحاء المهملة ، هم بنو سليح بن حلوان : بطن من قضاعة . وفى الأصل : « اسليخ » ، تحريف . وكانت غسان تؤدى إلى ملوك سليح دينارين كل سنة عن كل رجل . العقد (٣ ١٢٢) .

(٢) جذع ، هو جذع بن عمرو الغسانى ، وكان سبطة بن المنذر السليحى يلى ضرائب غسان ، فلما طالب جذعا بالدينارين دخل جذع منزله واشتمل على سيفه ثم خرج فضربه به وقال : « خذ من جذع ما أعطاك » ، فامتنعت غسان من الدينارين بعد ذلك .

(٣) الرواجب الأولى : جمع راجبة وهى مفاصل أصول الأصابع . والثانية أراد بها الغزوات التى فى شهور رجب .

(٤) هو حاجب بن زرارة التميمى . انظر قصة قوسه فى ثمار القلوب ٥٠١ والعقد (٢ : ٢٠) .

(٥) جمع خطيمة ، يقال خطم الناقة : وضع على أنفها الخطام . وفى الأصل : « حطائهم » .

(٦) ها الله ، بمعنى والله ، وها التنبيه قد يقسم بها .

(٧) ناصرة : قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا .

(٨) الأهن : جمع إهان ، وهو العرجون .

الـكَيْن ، والمَن ، ياطَغام الأحلام ، وحُمَّال أوتار الخُلَّام[١] . ألهذه الخلال ، واستقراء الأحوال بهذا الاستدلال ، نحن أرقاؤكم وحفدتكم ، وعُتقاؤكم وعبدتكم ؟ لوساترة شوار كلمتنى ، أو ذات سِوارٍ لطمتنى ! ألم تدريا أحثر[٢] ، يامُجتنيَ الخَثَر[٣] أنَّ جدَّنا يعربَ هو الذى أرقاكم ورفعكم ، وصَفَع بالبَجِّ من صفعكم ، ووسمكم بسَوادِ جلدته وسفعكم ، وأجلاهم عنكم إلى ريف عُمان وماسان ، وأطراف خراسان ، فلمَّا غمطتم نعمتَه ، وأمطتم إمَّته[٣] ، عادكم من عيده ، وسابقةِ وعيدِه ، ذو نواسٍ[٤] فناسكم وداسكم ، وخرَّب نواويسكم ، وبهر أنفاسكم ، وجذَّكم عن ماء المعمودية[٥] ، وردَّكم إلى دين اليهوديَّة ، فمن ٣٥/١

أىِّ دينٍ تُحسبون ، أو إلى أىِّ رحم تُنسَبون ، أ إلى الأفياء السُّورية ، أو إلى الأغبياء النَّسطورية[٦] ، والأدعياء الصَّفُّورية[٧] ، نسبٌ موضوع بين العفار والعفر ، ومنتسَبٌ مقطوع فى رومة ونهر الصَّفر .

فخالِفْ فلا والله تَهبِط تَلعةً من الأرض إلا أنتَ للذُّلِّ عارفُ

---

(١) الحلام : القتيل الذى ذهب دمه باطلا . قال مهلهل :

كل قتيل فى كليب حلام حتى ينال القتل آل همام

(٢) الأحثر : المنسلق العين . والخثر : العنب وهو حامض صلب لم يشكل ولم يتموه . فى الأصل : « أخثر » و « الختر » ، تحريف .

(٣) الإمة ، بالكسر : النعمة .

(٤) أحد أذواء اليمن . وكان أهل نجران على النصرانية ، فسار إليهم ذو نواس فدعاهم إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك والقتل ، فاختاروا القتل ، فخد لهم الأخدود وضرم فيه النيران فحرق من حرق ، وقتل بالسيف حتى أسرف فى ذلك . وفى ذلك قول الله تعالى: « قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود » . السيرة ٢٢ ــ ٢٥ .

(٥) فى الأصل : « العمودية » ، تحريف . والمعمودية بتخفيف الياء ، ويقال بتشديدها : ماء للنصارى يغمسون فيه ولدهم للتطهير . وفى تاج العروس أنه معرب من « معموذيت » ومعناها الطهارة .

(٦) انظر ما سبق فى حواشى ٢٦٢ ــ ٢٦٣ .

(٧) نسبة إلى صفورية : بلد بالأردن .

وما لكم ، والذى كَثَّرَ آلَكم ، وأنتم أعجز الأمم بعولا ، وأجفرها فحولا ، وأثقلُها ظهراً مرحولا ، ومنكم الأسقفّ والنطران ، والبَطْرَك والمَطْران(١) ، وفيكم الجَبُّ والخصاء ، والعدّ فى وَذْعة المِساس والإحصاء(٢) ، إلى إفراد رئيسكم ورَهبانيَّة شَمَّاسكم وقِسِّيسكم ، وأنتم مع ذلك أكثر أهل الكتاب عدداً ، وأبقّ نسائهم ولداً(٣) ، ماذاك إلاَّ أن ضَرَبت فيكم الأكراد والأنباط ، والحبشة والأقباط ، فمنكم الصُّفر والسُّمر ، والغُبْر البُرش الحُمر ، يظّاهرون بعقر فيهم لامنجبيهم ، والأمُّ تضحك منهم لعلمها بأبيهم :

ألا أنها تسرى إذا نام أهلُها فتأتى بشىء ليس فى الظنِّ يخطُر

وما فخرت به ياحمار ، ياميراث أعمار ، من حَمَلة الأسترلوميقى ، والعلم بالأرثماطيقى والأنوطيقى(٤) ، كفخر الأَمَة بحِدْج ربّتها . ذلك لمستنبطى يونان وساسان ، وكوثية بابل وكلذان وكاسان ، أصحاب العلوم الأرضية ، والتعاليم الرياضية ، من الطبقة الفيثاغورية ، والفلاسفة الهرمسية . معالم عفَّت ملوكُكم آثارَها ، وطمست أنوارها ، بغَواية قسطنطينكم ، وغباوة المُفلق لدينكم ، ابن الهِلانيَّة(٥) ، وقيِّم المّلة الطبانية :

حبوت النصارى بها معلناً لهــا غيرَ كاتم أسرارها

ولم أدرِ أنك من قبلها تحبُّ السِّياط بأثمارها(٦)

(١) البطرك والبطريرك ، هو بالرومية « بطريركس » تفسيره رئيس الآباء ، نخفف . التنبيه والإشراف ١٢٣ .

(٢) المراد بالمساس المباضعة . ويقال وذع الماء يذع ، إذا سال .

(٣) بقت المرأة : كثر ولدها .

(٤) انظر ما سبق فى ص ٢٥١ .

(٥) يعنى قسطنطين بن هيلانى . قال المسعودى : « وهو أظهر دين النصرانية وحارب عليها حتى قلت وانتشرت فى البلاد » . التنبيه والإشراف ١١٩ . وانظر الفصل (٢ : ٧٣) .

(٦) ثمرة السوط : عقــدة طرفه . وذكر الثعالبى فى الكنايات ١٨ أن ثمرة السوط يكنى بها عن القلفة . وأنشد لدعبل :

إلى عليجين لم تقطع ثمارهما قد طال ماسجدا للشمس والنار

أراد : أنهما لم يختتنا . وانظر للكلام على هــذه الكناية النادرة حواشى البيان (٣ : ٢٢٨ ـ ٢٢٩) .

اللهمَّ ناقلةً فيكم من فارس(١) ، وخَدَمة تلك المدارس ، لُقنوا من آثار اللحون طريقة ، وحكَوها تقليداً لا حقيقة ، يندبون بها فى نوحكم ، ويَقصِفون ٣٥ ب عليها فى سَعانينكم وفِصحكم ، فما أنتم وذا ، لاقُذِّيت(٢) أعينكم من قذى ، إنْ قلتُ : لكم بوطيقى لاموسيقى ، وأرضر ثيقى لاجو مطريقى(٣) ، وصفتُ قومَك ، وعرَّفت سومَك :

إيَّاك يعنى القائلون بقولهم   إنَّ الشقىَّ بكلِّ حبل يخنقُ

وأمَّا قِيلُك باسفنساف ، من العرب فى نائلة وإساف ، فتانك صخرتانِ نُصِبَتا كاللّات ، وثالثتهما مناة ، وجدُوها على زمزم مَوائِلَ جُلْفا(٤) ، وطافوا بها ظنًّا أن تقرِّبهم إلى الله زُلْفَى . فإن صح الخبرُ ووضح الأثر ، بمسخهما عبرةً لمقارفة العبث ، وموافقة الفسوق فى حرم الله والرفث ، فزيادةٌ فى الإنذار ، وأخذ فى تعظيم شعائر الله بالإعذار . أين هذا المعتقَد يابنى الأستاه ، الأجلاه ، من جمود السماء عندكم سبعمائة سنة أن محت لكم اسم ابن الله ، وأن يحنًّا المغيث المنزلَ المطر(٥) ، الآتى من أفسُس(٦) فى الكلمة والجلاد بالبُهت المُستَطَر(٧) ، مسجًّى فى بيعته الآن ، من ذلك الأوان ، عبيط الدم ، غضّ الأَدَم ، مشيراً باليد والقدم :

يحج مأمومةً فى قعرِها لَجَفٌ   فاستُ الطبيب قذاها كالمغاريد(٨)

---

(١) اللهم ، كلمة تستعمل فى الاستثناء بمعنى إلا . انظر شفاء الغليل ٢٠ .
(٢) قذى عينه تقذية : أخرج منها القذى .
(٣) انظر ماسبق فى ص ٢٥١ .
(٤) جلفا ، لعلها « جنفا » جمع أجنف ، وهو الضخم ، أو المنحنى الظهر .
(٥) فى الأصل : « المعنت المنزل المطر » .   (٦) فى الأصل : « أسيس » تحريف .
(٧) المستطر : المكتوب . وفى الكتاب : « وكل صغير وكبير مستطر » .
(٨) البيت لعذار بن درة الطائى ، كما فى اللسان (حجج) . يحج : يصلح . والمأمومة : الشجة بلغت أم الرأس . وفى الأصل : « مأمونة » ، صوابه فى المقاييس (حجج) واللسان (حجج ، لجف ، غرد) والحيوان (٣ : ٤٢٥) .

وأنسيت ياهامان ، ما وعوعتَ به وجعجعت فى قبر كسرى والنعمان :

يا مدَّعى سُورانَ منزل جدِّه قل لى لمن أهناسُ والفيّـوم[١]

أحرار الفرس كِفاؤنا، وأعداؤنا أكفاؤنا، نجتلد ونحتطم ، وكما قال أخو لقمان : « أَلْطمك إذا لم أجد من ألطم » . فما للرُّوم والخرس ، أُولِى الأراكنة المُلْس[٢] ، والأعاريبَ الُحمْس . « حَنَّ قِدحٌ ليس منها » . ومع هـذا فقد أنبأتْك الأممُ الخوالى ، والرِّمم البوالى ، أنّ العرب لا تنـكح العجم ولاالموالى، لذاك أحبَّ أبرويز أن يَصِمَها بهناته ، وأراد من أبى قابوس أن ينكحه إحدى أخواته ، ويستولى على حُرَمِه وحُرُماته ، فرغب عن صِهره، على عظيم أمره ، ٣٦/١
وطوى الحديث معه على غرَّه، وأغراه فى قومه بالسَّواد . وأحاله على بَقَر السَّواد، فـكان فى حقِّ الإباء ، وكرم الآباء ، ألا يَلوى إليه صفحا ، ويَضرِبَ عنه الذكر صَفْحا ، وينأى بكسرويَّته ، ويشمخ بتوميَّته ، ولا يرجع لغـدره وكَيدِه ، ويـتزيده خدعة وقد نصب لصيده :

ذئب فلاةٍ كيدُه دارع صادف ليثاً كيدُه حاسرُ

والذى دلَّ على فَسَالته ، وخفّة نُسَالته[٣] ، رأيه العاجز بعـد موته ، فى حرائبه ونُزْله[٤] وتهافُته على أخذ ماله وأهله ، فحاها عنه ذُؤبان العرب وحُمْسها،

---

(١) سوران ، لعلها « سوذان » أو « سوراب » وهما من بلاد الفرس . وأهناس : قرية قريبة من الفسطاط ، ذكر بعضهم أن المسيح عليه السلام ولد بها . ياقوت .

(٢) فى القاموس (ركن) : « والأركون ، بالضم : الدهقان العظيم». ومثله فى اللسان. وفى معجم استينجاس ٣٨ أن الأركون هو الرئيس أو الحاكم . والـكلمة يونانية الأصل دخلت فى الفارسية والعربية .

(٣) النسالة ، بالضم : ماسقط الريش .

(٤) الحرائب : جمع حريبة ، وهو المال المسلوب . وفى الأصل : « حراتبه » .

أَشْيبانها ومازنها وأوسها ، وصدُّوه عن حَوزته إلى الأطرار [١] ، واتَّبعوه بحربِ ذى قار ، ثم أزالوه عن مُلك ظفَار [٢] :

إذْ جنبنا خيلنا من ظفار ثم سرنا بها مسيراً بعيدا [٣]
فاستبحنا بالخيل مُلكَ قُباذ وابنُ أُفلوذ جاءنا مصفودا [٤]

فهذا أبرويزكم ، لا أَبانَ تمييزكم ، الذى بذكره تبجَّحتَ ، وعذرَه رجّحت ، هو الذى دوّخ أريافكم ، ووطئْ أكنافكم [٥] ، وأورثَنا ورثتُه بالمدائن أسيافكم ، وحطَّكم من الحزوم ، وأقصاكم إلى أبعد التُّخوم ، وبه نزلَتْ فى قصتكم : ﴿الٓمٓ غُلِبَت الرُّوم﴾ ، فأخَذْنا للخؤولة فيكم بثأرها ، ونَضَحنا بالحَميَّة من عارها [٦] ، وتداعينا بمضر الحمراء ونزارها ، يا للهمم الحميرية ، والعصائب اليمنية والمضريّة ، مِن أبناء ذى مَرَاثد [٧] والصَّباح ، وجَذيمةَ الوضّاح ، وأبرهةَ ذى المنار ، وعمرو ذى الأذعار ، وناشر النِّعَم [٨] والرائش ، وسلمة ذى فائش ،

---

(١) الأطرار : الأطراف ، جمع طر بالضم .

(٢) ظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء . وفى الأصل : « دفار » فى هذا الموضع والبيت بعده ، تحريف .

(٣) من قصيدة منسوبة إلى تبع فى أخبار عبيد بن شرية ٤٥٨ . وروايته :

وسلى عن مسيرنا من ظفار بجموع نؤم غورا بعيدا

(٤) فى أخبار عبيد ٤٥٩ :

واستبحنا جميع ملك قباذ وجبيناه صاغرا مصفودا

(٥) الأكناف : النواحى . وفى الأصل : « أكتافكم » ، تحريف .

(٦) النضح : الذب والدفع . وفى الأصل : « نصحنا » ، تحريف .

(٧) فى الأصل : « من ذى أبناء مرائد » ، تحريف . وذو مرائد ، هو الرائش الأصغر . واسمه الحارث بن الهمال ذى شدد ، أحد ملوك اليمن . التيجان ٧٨ — ٧٩ .

(٨) انظر مروج الذهب (٢ : ٧٦) والتيجان ٢١٩ وأخبار عبيد بن شرية ٤٢٥ حيث ذكر فى الأخير علة تسميته .

والهدهاد، وابن عبّاد، والحارث بن شـدّاد، والفيّاض[١] والضحّاك[٢] والبرّاض[٣]، والحارث بن مُضاض:

٣٦ ب هو المشهد الفضل الذى ما نجا به ... لكسرى بن كسرى لا سَنامٌ ولا غَرْبُ

فما هو إلاّ أن وضَح التمييز، ورجَح التبريز، وقيل هذا دِرَفْش[٤] راية أَبْرَويز، فلاحين قوّضنا بنيانه، وحللنا سَنْدانه، ونزلنا إيوانه، وأخمدنا نيرانه.

ولم أرَ أمثال الرجال تَهافَتُوا ... على المجد حتى عُدَّ أَلْفٌ بواحدِ

ولله أيامٌ بالقادسية واليَرموك، وعُتاةٌ منهم مواليكَ وأبوكَ وحموك، يا هَبيد البيد، وعَبيد العبيد:

لو كنت من نخبة الموالى إذاً ... لم تنثُ سُوءا فى نُخْبة العرب

إذ جئتمونا أعقادالرمل، وأعدادَ النمل، فداعتقدوا، واحتدموا واحتقدوا، فمن دمائهم ما خاضوا ولصِلائهم ما أوْقدوا، وعند ما تنادَوْا: ياأساورة تأهّبى[٥]، وقلنا: ياخيلَ الله اركَبى:

بضربٍ تَرقُص الأحشاء منه ... وتَبطُل مهجةُ البطَل النجيدِ

---

(١) هو عبد الله بن جدعان. انظر خبره فى الاشتقاق ٨٨ — ٨٩ والحيوان (٢: ٢٠٢).

(٢) الضحاك: أحد ملوك الفرس، وهو المسمى البيوراسب. وفى التنبيه والإشراف ٧٦ أن اليمانية من العرب تدعى الضحاك وتزعم أنه من الأزد». وفى جمهرة الأنساب لابن حزم ٨: « والضحاك بن معد هو الذى أغار على بنى إسرائيل فى أربعين فارسا من تهامة ».

(٣) هو البراض بن قيس بن رافع الضمرى، وهو الذى قتل عروة الرحال بن جعفر ابن كلاب. الحيوان (١: ١٦٦) والتنبيه والإشراف ١٧٨.

(٤) فى معجم استينجاس ٥١٣ أن « درفشى كاوان » اسم راية فريدون. وفى التنبيه والإشراف ٧٥ — ٧٦ أن رجلا إسكافيا من الفرس يسمى « كابى » رفع راية من جلود، ودعا إلى خلع الضحاك وتمليك أفريدون، فلما تم الأمر تيمن القوم بتلك الراية فسميت «درفش كابيان» إضافة إلى كابى صاحبها. قال المسعودى: « والدرفش بالفارسية الأولى الراية، وبهذه الفارسية إشفى الخرز. وحليت بالذهب وأنواع الجواهر الثمينة وكانت لا تظهر إلا فى حروب عظيمة، تنشر على رأس الملك أو ولى عهده أو من يقوم مقامه ».

(٥) فى الأصل: « تاهبين ».

قسمناهم فشَطْرٌ فى العـــوالى وشَطْرٌ فى لَظَي حرٍّ الوَقود

فما أغنى عنكم فى تلك المشاهد أنو شروانـكم وقُباذُكم، ويزدجردكم وشهرياركم، وَشهبوركم وخُرَّذاذُكم، ونسطوركم ويعقوبكم، ونسطسُكم وبروسسكم (١) :

غدَت غِيرانُهم لهمُ قبـــورا كفت فيهم مَؤوناتِ اللُّحود

أهؤلاء القيول، كما ذكرت على خيول، كأنَّها فُيول، بل الْحُبل الفُيول إذا لاذت الخيل بالـكيُّول (٣)، وألاَّ سألتُكَ يا أمَّ عامر (٣) بحرمة الصليب، وجرى المذكّيات فى طلبكم واليعاقيب، أيَّةُ خيولٍ لأسلافك، أم أىُّ حَلْبة شاهدتَها لأقيالك وأردافك. متى عرفَ ذَوُوكَ لها اسما، أو حكَوا عنها شيَة أووَسما. لعلَّها تقدَّمت من جنائبكم فى السَّوابق، أولحقت مِن مَقانبكم بآل الوجيه وأعوج ولاحق، أو راهنت بها الذائد والسَّكب، وقُرزل (٤) واليحموم والبَطِين ٣٧/١ وزاد الركب، أو داحس والغبراء، أو الخَنفاء والشقراء. أم هل مِنْ براذنكم المجلِّى والمصلِّى، والعاطف والعاقب والمتلِّي (٥) :

عنها الحديث إذا ما حاوَلُوا سَمَرا والرِّزق منها إذا حلوا أماريتا (٦)

اسكم الـكَوْدن واللَّطيم، والسُّكَّيت الأخنس والفِسْكِل الخطيم :

تبكيِّ عليهنَّ البطارق فى الدُّجى وهنَّ لدينا مُلْقَياتٌ كواسد

(١) كذا. ولعلها « وأريوسكم » وأريوس كان قسيسا بالإسكندرية كان فى زمن قسطنطين الأول، وكان قسطنطين هذا على مذهب أريوس. الفصل (١ : ٤٨).

(٢) الفيول الثانية: جمع فيل، والفيل: الثقيل الخسيس. الـكيول: آخر الصفوف فى الحرب.

(٣) تهكم به وبكنيته أبى عامر، فجعله « أم عامر » وانظر مامضى فى ٢٦٦ ص ١٣ .

(٤) فى الأصل: « خردل »، وليس فى أعلام خيلهم. وانظر الخيل للـكلبى ٢٧ وابن الأعرابى ٧٥ والعمدة (٢ : ١٨٢) وشرح الحماسة للمرزوقى ١٤٩٤ .

(٥) المتلى: التالى. وفى الأصل: « المسلى »، ولا وجه له.

(٦) الأماريت: القفار، جمع أمرات، وهذا جمع مرت. والبيت لأبى العلاء المعرى: انظر شروح سقط الزند ١٦١٠ .

شمخ زعمت رُجُح ، بُذُخ وُضُح ، فمن السُّنُخ الوسخ الوُدُخ ، من العَجَم قُلتَ القُدُم ، نَعَم اللُّكن الفُدُم ، الحُلمُ لكن عمَّن بلغ الحُلم ، بُصُر صبر ! ! بُصُر بأوقات السمر ، وأُفول القمر ، ودبيب الضَّرَّاء والخَمَر[1] ، صُبُر على الذَّفر والقذر ، وذَفَر الغمَر ، وأُطَر الكَمَر ، وبُجُرٌ سُرَر ترمى بشَرَر كالقَصَر[2] . مُلْس الأَدَم ، قلتَ ، هذا وأبيك والتفكيك يا ديُّوث والتخنيث ، وعِرْض السِّقاء الخبيث[3] ، لقد نَبهْتَ [يا] هذا الخبيث ، وقلنا إليك يساق الحديث :

تصيخ للنَّـبأة أسماعَها إصاخةَ النَّاشد للمُنْشِد[4]

جَرَرةُ أذيال ، لكن على دَمَال وأبوال[5] ، لا كجَرِّنا العوالىَ للإعوال ، وإعلام الأشبال منَّا للاحتيال ، بريش الرئال[6] :

أبقَتْ بنى الأصفرِ المصفرِّ كاسمهم صُفْرَ الوجوه وجَلَّتْ أوْجُهَ العرب[7]

آنِفًا يا حَضَاجِر[8] ، يا باردا فى شهر ناجر ، وصَفْتَ العربَ بمعاقرة الدِّنان ، وقُنيان القيان ، والآنَ نخرتَ عليهم بالنَّبيذ والسَّميذ ، والجدى الحنيذ ، فلم لا تفاخر بالنَّطيح والوقيذ ، وأكل المَيتة بعد التشميذ[9] . وأمَّا حنيذ

(١) يقال دب له الضراء ، ودب له الخمر ، إذا ختله وخدعه . وما واراك من أرض فهو الضراء ، وما وراء من شجر فهو الخمر .

(٢) اقتباس من الآية الكريمة . والقصر ، بالتحريك قراءة ابن عباس وابن جبير ومجاهد والحسن وابن مقسم . تفسير أبى حيان (٨ : ٤٠٧) فى سورة المرسلات .

(٣) العرض ، بالكسر : الرائحة .

(٤) للمثقب العبدى فى الكامل ٦٣ ليبسك والبيان (٢ : ٢٨٨) . وانظر شروح سقط الزند ٣٧٦ والأمالى (١ : ٣٤) . وصواب الرواية : « يصيخ للنبأة أسماعه » ، لأن قبله فى صفة ثور :

كأنما ينظر من برقع من تحت روق سلب مذود

(٥) الدمال ، كسحاب : السرقين ونحوه . وفى الأصل : « ذا مال » ، تحريف .

(٦) الرئال : جمع رأل ، وهو ولد النعام .

(٧) لأبى تمام فى ديوانه ١٢ .

(٨) حضاجر : اسم للذكر والأنثى من الضباع .

(٩) التشميذ ، لعل المراد به الانتفاخ . وأصل الشمذ رفع الذنب والإزار .

الجِداء والُحملان، وكُوم متون الجفان ، فلنا منها البضيع بعدالذَّكاة والسّدف، والوشيق المسرهد والقدير المعجّل والشّواء الصَّفيف :

لنا الجفَنات الغرُّ يَلمعن بالضُّحى وأسيافُنا يقطُرْن من نجدةٍ دما[(١)]

٣٧ ب وأما القِيان والقُنيان : والمعاقرة والدّنان ، فنحن اخترنا صِرفَها، واختبرنا صفوها وعَفوها ، وأخذْنا فى الجاهلية وصفَها ، وأهدينا أنفاسَ النسيم شذاها وعَرفها، وَمنكم غارس حُبَلها وآبرها، ومنقِّحها وزابرها، وسالف سايلها وعاصرها، ومنّا أبو عُذرها وفاطرها ، ومديرها بحديث الرُّكبان ومعاقرها ، تدوسونها لنا بالأرجل ، وتقتلونها قبل حلول الأجل ، ثم تجلبونها من جُوَاثى والرّسّ ، وتَسبونها من قُطْرُبَّلَ وبيتِ رأس، وتجهِّزون بها بناتِكم بأكواب الساج، ومدارع الدِّيباج ، فيرشُفْنها بالشِّفاه قبل الزُّجاج ، وبهذا توفَّرت على ضغنها فى المِزَاج ، وأخذَتْ من رءوسنا ثأرَها عند أرجل الأعلاج ، فلنا الحلْب، وعليكم الجلْب . ومنّا الأجر ، وإليكم التَّجْر ، ومن بضائع القهر ، ثمن البُضْع والشّكر ، وكالئ المهر[(٢)] .

مُستردَفات فوقَ جُرْدٍ أُوقِرَتْ أكفالُها من رجَّح الأكفالِ

ولا حرَب ، أن شُدِهت العرب ، بربّات الشُّنوف ، ووَلِهت بوُطْف الجفونِ وذُلْف الأنوف ، ودُلِهت بَعْزف القيانِ والشُّرب بالمُعْلَمِ المَشُوف :

فإذا ما شربوها وانتشَوا وَهَبوا كلَّ جَوادٍ وطِمِرّ[(٣)]

ثم راحوا عَبَقُ المسكِ بهم يُلحفون الأرضَ هُدَّابَ الأُزُرْ

لهم عُرِف النَّسيب والتشبيب ، وعليهم وُقف التَّسهيد والتعذيب ، ولهم

---

(١) لحسان بن ثابت فى ديوانه ٣٧١ .

(٢) الكالئ : النسيئة المتأخر .

(٣) لطرفة بن العبد فى ديوانه ٦٨ .

الجآذر فى زِيِّ الأعاريب [١] ، شُهِروا بالحبّ والجوى، وخُبِروا بالتحرُّق للتفرُّق والنوى ، وعزُّوا الموت كرمًا وذلُّوا للهوى . هم حَدَوا الرَّكبَ بالحنين والإرزام، وعارضوا السُّحبَ بعينى عروة بن حزام [٢] ، بكَوا الديار، ونَدَبوا بصدق عهُودهم الطُّلولَ والآثار، وحَمَوا الذِّمار، وردُّوا أيديَهم عن حُرمة الجار :

قومٌ إذا حاربوا شدُّوا مآزرَهم دونَ النِّساء ولو باتت بأطهارِ [٣]

رَضُوا لِفضل النَّيل بفُضول الغَبوق والقيل، وتبرَّءوا من رَضاع الغَيل [٤] ، ولم ٣٨ / ١
يعرفوا غيرَ داعى النِّداء وزَجْر الخيل :

أضاءت لهم أحسابُهم ووجوههم دُجَى الليل حتَّى نظَّم الجزْعَ ثاقبُه [٥]

أرزاقهم فى السَّير والإسآد، وَإنفاقهم من أكفّ الآساد :

والليث حيث ألبَّ من أرضٍ فذاكَ له عرينُ

أنِفُوا المِساحة والفلاحة، وألفوا الاستباحة لامتلاء الراحة، ملكوا الأرض وما ملكتْهم ، وتخيَّروا البقاعَ فما نهكَتْهم، منازلُهم من المعمورة بمكان الغُرَّة ، وحظُّهم من الفَلَك رأسُ المَجَرَّة ، أغناهم من الأعمال المَدَنية ، والمَلَكة البدنيَّة، إيضاعُ الشَّدَنية ، وإنضاء النَّاقة الفَدَنية ، طلباً للاعتزاز ، وضرباً فى مجاهل الأرض للابتزاز ، وكفاهم عارضَ المَسِّ ، وأرضَ الرَّسِّ [٦] ، إيثارُهم على النَّفس ،

(١) فيه لمحة إلى قول المتنبي :
من الجآذر فى زى الأعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب
(٢) فيه نظرة إلى قول المتنبي :
فكأن كل سحابة وكفت بها تبكى بعينى عروة بن حزام
(٣) للأخطل فى ديوانه ٢٠ وشرح شواهد المغنى ٢٧٠ .
(٤) الغيل : أن ترضع المرأة ولدها على حبل .
(٥) البيت للقيط بن زرارة فى الحيوان (٣ : ٩٣) والشعراء ٦٩٢ . ويروى أيضاً لأبى الطمحان فى الحماسة ١٥٩٨ بشرح المرزوقى والكامل ٣٠ ليبسك والوساطة ١٥٩ .
(٦) الأرض : الرعدة والنفضة . والرس : أول الحمى .

والاستقبالُ بأبنيتهم مطالعَ الشمسَ ، قَنعوا بأفلاذ الحَشَا ، والاحتشاء من الكُشَى ، عن التأرِّى لما فى القدور ، والتعرِّى لوَهَج التَّنُّور :

لِقرصٍ تُصَلِّى ظهرَه نبطيَّةٌ بتَنُّورها حتَّى يطير له قِشرُ
فأمَّا البَهَطُّ وحيتانُكم فما زِيلَ منها كثيرُ السَّقَم (١)
ومَكْنُ الضباب طعام العُرَيبِ ولا تشتهيه نفوسُ العَجَم (٢)

تُوقِف الطِّباعَ على الصَّميم والخِلاصة ، وتُوقِى به شحَّ النَّفس والخَصاصة ، ليسوا كالنَّهِمة الحَفَرة ، الأكلة الحفَرة ، حَفَرة الجِفان ، وحَفَرة الأنفاق للنِّيران ، أعدُّوها للتَّحصين ، لا للتحسين ، وأوفَدُوا بها على الطِّين للتبطين ، لا للتَّوطين ، إذ لم يُغْنهم القَهْر عن الحصر ، ولا عَقْد الجِسر عن الأسر ، أعجلتهم العُربان ، الغِربان ، عن الانتفاع ، باليَفَاع ، والاعتصام ، بالأعصام ، والاحترام (٣) ، بالأهرام :

٣٨ ب ولذلك كانوا لا يَحُشُّون الوغَى إلاَّ وقد علموا مكانَ المهربِ

وأما الفُسُل ، والمُسُل ، فقد أجلَّها الله عن اغتراسكم واحتراسكم ، وطهَّر النخلةَ عمَّتَنا من أدناسكم ، وبَخَرِ أنفاسكم ، وحبا العربَ بها عُجالةَ صائمهم ، ولُهْنة طاعمهم ، ونقيعةَ ضَيفهم ، وفاكهة شتائهم وصيفهم ، تُحفة الكبير ، وصُمْتة الصغير ، وتَخرِسةُ مريمَ ابنةِ عمران ، من الرّاسيات فى الضَّحل ، الراسخات فى الوحل ، المطعمات فى المَحْل (٤) .

(١) الشعر لأبى الهندى ، كما فى الحيوان (٦ : ٨٨ — ٨٩) . وانظر محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٣) والفصول والغايات ٤٧١ والمخصص (١٦ : ١٧/٨٣ : ١٠) . والبهط: الأرز يطبخ باللبن والسمن، معرب من الفارسية عن الهندية . انظر تحقيقه فى حواشى الحيوان . ورواية الحيوان : « فما زلت منها » .

(٢) العريب بالتصغير : العرب ، قال ابن منظور : « صغرهم تعظيما » .

(٣) الاحترام ، أراد به أنه دخل فى حرمة لا تهتك . والمعروف « الإحرام » .

(٤) وصف النخلة هـذا ينسب إلى أبى حثمة ، وهو عبد الله — ويقال عامر — =

فاخراتٌ زروعها فى ذُراها وأخاضَ العَيدانُ والجَبّار

فأينَ صنيع قومك الجِلّة، من صنيع مُحرِق البعَر والجِلّة، لمَّا أمَّنوا اللّهفان، وخوَّفوا أشدَّ خفَّان[(١)]، وأفنت نارُهم الغضى والأفان[(٢)]:

ضَربوا بمَدرجةِ الطَّريقِ قبابَهم يتقارعون بها عَلَى الضِّيفان

فلم يبقَ إلاّ الجِلّة والبعَر، أو خالفةُ طِرافٍ من أديم أو بيتٍ من الشَّعَر خَلَوا فتحلّلوا، وعلَوا وتجلّلوا:

* هنالك إن يُستَخْبَلوا المالَ يُخبِلوا[(٣)] *

غَنُوا بالجِلّة عن الجليل، ومن الُحلّة بالشَّليل[(٤)]، وبالُحوَذ عن العُوَذ، وبالحلَق عن الخِرَق، والسُّندس والإستبرق، من كلِّ مدجَّج:

مُمْرُ القَنـــا بإهابه أولى من السِّربالِ

ما أَكَلَ ذو جارِهم بهواه[(٥)]؛ ولا استأثر على مَن حَلَّ ربعه وثَواه[(٦)]، متى جاع أنشد أمَّ مثواه، أيا ابنة مالك وابنة عبد الله[(٧)]:

= بن ساعدة بن عامر الخزرجى. الأمالى (٢ : ٥٨). وإلى عبد الرحمن بن محصن النجارى التنبيه للبكرى ٩٥. وإلى خالد بن صفوان. اللسان (خرس). والتخرسة: طعام النفساء.

(١) خفان: مأسدة قرب الكوفة.

(٢) الأفانى: شجر بيض، واحدته أفانية، ويسمى كذلك مادام رطبا، فإذا يبس فهو الحماط.

(٣) صدر بيت لزهير فى ديوانه ١١٢. وعجزه:

* وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا *

(٤) الحلة، بالضم: القميص والإزار والرداء. والشليل: غلالة تلبس فوق الدرع.

(٥) بهواه، أى بما يهوى، والمعنى أنه يخضع لجاره فيما يطعم، يحكمه فى ذلك، مبالغة فى الرعاية. فى الأصل: «ذو جارهم بهداه».

(٦) يقال ثوى بالمكان وثواه أيضاً.

(٧) نظر إلى قول حاتم الطائى — وليس فى ديوانه —:

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد

الحماسة ١٦٦٧ بشرح المرزوقى. والبيت التالى هو قرين هذا البيت.

إذا ما صنعتِ الزَّادَ فالتمِسِى له   أَكيلًا فإنِّى لستُ آكِلَه وحدى

هـذا المجد السرىّ ، والفخر الحرِىّ ، والنَّسب الحُرِّىّ ، لا ما تقوَّلته لحاك الله ولحا أباك ، وحيًّا مَنْ أباك ، مِن نخرِنا بالقديم ، المُفْرِى للأديم؛ أغفيتَ فانتبِهْ ، « مَن يطُلْ أيرُ أبيه ينتطقْ به » :

أتبغض جوهَر العربِ المصفَّى   ولم يبغضْهمُ مولًى صريحُ

فما لك حيلةٌ فيهم فتُجدِى   عليكَ بل تموتُ فتستريح ٣٩

أما لكَ فيهم بعد الملوك العاربة ، والكواكب الطَّالعة الغاربة ، من الثَّمودية والعادية ، والطَّسْمية والجديسيَّة ، والوَبارِيَّة[(١)] والأُمَيميَّة ، ما يقرع صَفاك ، ويَنْقع بماء الملام صفاك ، إلى خالفةٍ من المتعرِّبَه[(٢)] خلفَتْ خِلافَها ، وارتضعتْ فى البأس والجود أخلافَها ، وإن كانتْ من جمعكم كالبعرة فى البيداء ، والشَّعرة البيضاء فى اللمّة السوداء ، حطَّت ذُراكم من اليفاع ، وخطَّت فى صدوركم بخُطَى الخطِّىّ لا باليراع ، يَستمِلُّون من أنسِيَة الآجال[(٣)] ، ويَنهدون إليكم بقلوب أسدٍ فى صدور رجال أقلامهم الردينيّات واليزَنيات ، وصُحُفهم المشرفيّات والسُّرَيجيّات ، ولحفهم الوِضاء الداوديَّات ، وسُرُرهم المُقْرَبات الغُرّ الأعوجيات :

إذا ركبوا الخيلَ واستلأَموا   تحرَّقت الأرضُ واليوم قرّ[(٤)]

برَويَّاتهم لا برواياتهم ، ودِراياتهم لا بَادِراتهم[(٥)] ، نَصَبوا الأحياء ، ونَسَبوا الأشياء ، وشققوا الأسماء ، وقَسَّموا على حصص البُروج السماء ، فوصفوا النجوم ،

---

(١) نسبة إلى « وبار » . وفى الأصل : « الأبارية » ، تحريف . وانظر البيان (١ : ١٧٧) ونهاية الأرب (٢ : ٢٩٢) .

(٢) المتعربة هم بنو قحطان بن عابر الذين نطقوا بلسان العرب العاربة وسكنوا ديارهم . نهاية الأرب ٢ : ٢٩٢ . وفى الأصل : « المتغربة » ، تحريف .

(٣) الأنسية : جمع نسىء ، بمعنى مؤخر . ويستملون ، أى يملون . عنى أنهم يكرهون الآجال المؤخرة فهم يستعجلون الموت .

(٤) لامرىء القيس فى ديوانه ٥ .   (٥) فى الأصل : « ودرياتهم لا بادارتهم » .

وعرّفوا الرُّجوم(١) ، وزجروا السَّانح والبارح، وأثاروا الصيد وعلّموا الجوارح، هم كَرَوْا نهر مِهْران(٢) ، وبنوا قصر غُمْدان ، وحَدَوا بالركب للنَّخْل من وَدّان(٣) ، فجابوا الأقطاب ، واجتنوا الرِّطاب ، وملؤوا الأوطاب ، وميّزوا التَّوكيت والتذنيب والإرطاب(٤) ، وانفردوا بالحكمة وفصل الخطاب :

سُوَرُ القُرآنِ الغُرُّ فيهم أُنزلت ... ولهم تُصاغ محاسن الأشعارِ

قد كان يكفي ياذاتَ النِّحيين ، وكبوح الحيَّين(٥) ، في بعض محاجَّاتك ، وعُرْض مداجاتك ، أن هذَذْتَ شفتيك بلحنك الماخوريّ ، وأنفدتَ حِضنَيك
٣٩ ب بنفثات أبي العلاء المعرّيّ ، فأقمت فيها صغاك بالحرف العليل(٦) ، وبُغِّيتَ فوق مبتغاك يالئيم(٧) ، ماهو أقلّ من القليل ، فأزحت(٨) عن فشلك وخمولك ، وأبحتَ هجوك وشتم رسولك ؛ ثم شكوتَ قَفار حالك، وأبنتَ واهيَ نثرك بِزُور انتحالك ، فحسبُك بها ياذا العَضْب قَرضاً وجزاء(٩) ، وانتهاء إلى الفهاهة لأبالك واعتزاء ، واقتساماً لأدَبك(١٠) بيد التدمير أجزاء .

---

(١) في الأصل : « الوجوم » ، تحريف . والرجوم : النجوم التي يرمى بها .

(٢) كروا : حفروا .

(٣) ودان : موضع بين مكة والمدينة . وفي معجم البلدان . « وقرأت بخط كراع الهنائي على ظهر كتاب المنضد من تصنيفه : قال بعضهم : خرجت حاجا فلما جزت بودان أنشدت :

أيا صاحب الخيمات من بعد أرثد ... إلى النخل من ودان ما فعلت نعم

فقال لي رجل من أهلها : انظر هل ترى نخلا ؟ فقلت : لا . فقال: هذا خطأ ، إنما هو النحل . ونحل الوادي : جانبه » .

(٤) التوكيت : أن يصير في البسرة نقط من الإرطاب . وفي الأصل : « التركيب » ، تحريف . والتذنيب : أن يصير فيها نكت من الإرطاب من قبل ذنبها .

(٥) كبوح ، لعلها « نبوح » ، وهو ضجة القوم وأصوات كلابهم . والنبوح أيضاً : جماعة النابح من الكلاب .

(٦) إشارة إلى قول أبي العلاء ، وقد سبق في نهاية رسالة ابن غرسية :

وإن الوزن وهو أصح وزن ... يقام صغاه بالحرف العليل

(٧) بغيت : أعنت على ما تبتغي . وفي الأصل : « بعثت » .

(٨) في الأصل : « فأرحت » . (٩) العضب : اللسان الذليق . يتهكم به .

(١٠) في الأصل : « لأديك » .

إنَّ العبيــدَ إذا أذللتَهم صلحوا على الهَوان وإن أكرمتَهم فسدوا

لعلَّك ، لا لعاً لك، فضحك العِيّ ، أو صَبّحك النَّعِيّ ، فندمت على بادرة خِذْلانك، وسَقَطات لسانك، وهببتَ من غفوة التأسِّي، أو التأسِّي ، وقلت: مَن الآسي ، من حزّ هذه المَواسي ، لِياذاً بالإسار ، عن دعوة الآصار ، وعياذاً على الإعلان والإسرار ، من مستكنّ الكفر والإصرار ، وتيمم الهاشميِّين بدعوة أبي عُبَيدِ المختار، والتعمُّم بسيدنا و نبيِّنا محمد المختار .

« متى كان الخيامُ بذى طلوح(١) » ، أو جمعنا الرَّحم فى سام بن نوح ، أَعْرَضَ عليكم ثوبُ المُلْبَس(٢) بالتَّحامل على يافث ، والترامى فى الإلحاق به على القائف والنافث ، و إلاّ أىُّ عيص إلينا ضَمَّكم ، أو بأىّ بركة خَصَّكم صلّى الله عليه وسلم أو عَمَّكم . ماغمَّك ، من أغمَّك، ولا ذَمَّك من أذَمَّك(٣) ، وسَمَّك وأحَمَّك، وقتل أباك وسَبَاك وأُمَّك. ابن عمِّكم الطاغوت وسيِّدكم البَرَهْمَنُ والبَرَهوت(٤)، شتَّانَ مابين النجوم الطَّارقة والشموس الفارقة، وبين سُقَّاط الجرامقة ومُقَّاط الأفارقة(٥) ، الوُضْر الأنذال ، والبُخْر السِّبال ، لاغُسْلَ ولا طهارة ، ولا نظافة لطامثٍ ولا عِطاره :

قومٌ إذا جرّ جانِى قومهم أَمِنوا من لؤم أعراضهم أن يُقتَلوا قَوَدا(٦)

---

(١) صدر بيت لجرير فى ديوانه ٥١٢ . وعجزه :

* سقيت الغيث أيتها الخيام *

(٢) يضرب مثلا لمن كثر من يتهمه . الملبس : المنطى ، وهو المتهم .

(٣) أذمه : وجده ذميا . وفى الأصل : « أزمك » ، تحريف .

(٤) برهمن ، هو الذى ينسب إليــه مذهب البراهمــة الهنود . جاء فى دائرة المعارف الإسلامية أنه ملك مترهب عالم ، عقد مجمعا من الحكماء وسن بمعونتهم قواعد الدين ، كما وضع نظرية الأدوار الفلكية ، واخترع أرقام العدد . . . وأما البرهوت فهو واد بحضرموت يحفه جبل بركانى عند سفحه بئر تعرف ببئر برهوت ، يذكرون أن أرواح الكفار تأوى إليــه . دائرة المعارف الإسلامية ومعجم البلدان . وانظر أيضا مروج الذهب ١ : ٧٩ .

(٥) الماقط ، مولى المولى .

(٦) للحكم بن زهرة أو عويف القوافى ، انظر ما كتبت فى حواشى الحماسة بشرح المرزوقى ٢٤٩ .

ألاَ ناصرٌ أهـلَ أمِّ القُرى ... لأمِّ الذَّبيـحِ ألا ناصرُ(١)
أُسامرُ نجداً ومَن بالصَّفا ... وإن لم يكن بالصَّفا سامرُ
وإلا فأين حِمَى يعـــرب ... حفائظُ لم يَحمِها عابَرُ(٢) ٤٠/١
فيـا للرضىّ وأبنـــائه ... ومَن وَلدت أمَّه هاجَرُ(٣)
وللعُرب أعراقِ زَنْد الثرَى ... أكابرُ أورثهـا كابرُ
أُضمَّتْ قُصَىٌّ وأخلافها ... ونصر وعامرُها الجادرُ(٤)
لمملوكِ قِنٍّ أخِى غَيَّةٍ ... لغير أبٍ مُلحدٌ كافرُ
يهزُّ بدانيــــةٍ أعظُماً ... بمــكة قد ضمَّها قابرُ
وخالِصُها فى ثرَى طيبةٍ ... نبىُّ الهدى القمرُ الزاهرُ
نَفَتْنى المجاهر من هاشم ... ومِنْ يَمَنٍ عمرٌو أو عامرُ
وهرّت جفونىَ كأسَ الكرى ... وسحَّ بها دمعُها المـاطر
لئن لم أجاهدْه لاجرّ لى ... قنا الخطِّ فى الصُّحف الخاطرُ
أيا عبدَ عبدٍ ألا تستحى ... ولا لكَ دون النُّهَى زاجرُ
مَواليكَ أخسرتَ من شأنهم ... ستعلم وَيكَ من الخاسرُ
فإنْ تنجُ منّى بنَزْع الشَّوَى ... كما أبَقَ الضّبعُ الباسر(٥)
فما فى ضُلوعك من نُطفةٍ ... وماءُ الكراض دمٌ مائرُ(٦)

---

(١) أم الذبيح ، يعنى بها هاجر .
(٢) عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح .
(٣) يعنى أبا عبدالله محمد بن عبد الله بن تومرت .
(٤) يعنى عامر الأجدار ، وهم بطن عظيم من كلب ، وهو أخو عامر بن صعصعة لأمه . انظر حواشى شرح المرزوقى للحماسة ٣٤١ . وفى الأصل : « الجاذر » ، تحريف . وفى اللسان (جدر) أنه سمى بذلك لسلع كانت فى بدنه .
(٥) فى الأصل : « كما أنف » .
(٦) الكراض : ماء الفحل . فى الأصل : « لما فى ضلوعك » .

هَلاَّ طمعت يامعمر ، يا آكل الأشلاء لا يَحفِل ضوءَ القمَر ، فى استدراك المقال ، والافتكاك من هذا المقال . كلاَّ لو تجلو مِعيارك ، وتمحو طومارك ، وتقلِّم أظفارك ، وتنزع صلبانك وزُنَّارك[1] ، وتُعفِى سِبالَك ، وتَنصِب قذالك ، وتقول ذا لك ، وتجعل الخَصْلَ كلَّه للعرب ، والفَضل للنَّبع على الغَرَب . كفاك أنَّ منهم آسادَ الله ، وضِراءَ الله ، وسُيوفَ الله[2] ، ولهم بيتُ الله ، وفيهم رسولُ الله وعِترتُه أولياء الله ، أئمة الهدى ، وتتمّة البأس والنَّدى ، وخيرُ من انتَعلَ وارتدى المؤْثرون على أنفسهم ابنَ عمِّنا صدقا ، وهادينا ومرشدنا وسيدنا حقّاً ، سيِّد ٤٠ ب البشر ، وخاتَم الرسل فى مُحكَم الزُّبُر ، شفيع هذه الأمَّة ، وحاديها إلى عِلِّيين فى خير أمَّة ، سَفِيرَ يوم العَرْض ، وإمامِ أهلِ السموات والأرض ، منتهى لَبِنة الأحساب ، فى الأحساب ، الناطق بكلامه داعى أهل الجنة ومنادى الحساب ، الحاشر العاقب ، الشِّهاب الثاقب ، السابق الغالب ، المتخيَّر من ذؤابة لؤى بن غالب ، الذى به نَسخنْا ملَّتكم ، وفسخنا خُلّتكم ، وكسَّرنا صُلُبَكم ، وغوَّرنا قُلُبَكم وطهَّرنا بِيَعكم ، واستظهرنا قِلَعَكم ، واستوطأنا نَضائدكم ، واستبطنَّا ولائدكم :

أُعجِلن عن شدِّ البُرَى ولطالما غودرن أنْ يمشينَ غيرَ عِجالِ

بهذا النبىّ الأمىّ ، السيّد العربى ، نفاخر البشَر ، ونكاثر المطر ، ونناظر الشَّمس والقمر ، صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وأصهاره ، وصَحبه وأنصاره ، وحزبه ، ومن مات على حُبّه ، كِفاء العجّ والثجّ ، والملبِّين بالحج ، وسلام الله ورضوانه على سلالته الطاهرة ، ووارث ملّته المنصورة ، الإمام المهدى أبى عبد الله

---

(١) الصليب والزنار مما كان يميز به المسيحيون . وفى الأصل : «طابانك» . وانظر ماورد من كثرة اقتران الصليب بالزنار فى الديارات للشابستى ١١٣ ، ١٣٢ وما أنشد من قول أبى نواس :

وبالصاب العظيمة حين تبدو وبالزنار فى الخصر الدقيق

(٢) كان يقال لحمزة بن عبد المطلب : أسد الله . ثمار القلوب ١٦ . وفى اللسان (ضرا) : « وفى الحديث أن قيسا ضراء الله » . والمعنى أنهم شجعان ، تشبيها لهم بالسباع الضارية . وكان يقال لخالد بن الوليد : سيف الله ، سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسن آثاره فى الإسلام ، وصدقه فى قتال المشركين . ثمار القلوب ١٦ .

محمد بن عبد الله القرشى العلوى ، الفاطمى المحمدى(١) ، وخليفة أمره العلىّ ، ومَقامه القرشى ، سيِّدنا الإمام الرضىّ العربى ، المضَرى القيسىّ أبى محمد عبد المؤمن بن على(٢) . والدُّعاء لحفظة سِرِّهِ النبوىّ ، وخلافةِ أمرهِ الدينىّ والدُّنياوى وأمدَّ الله حضرةَ مولانا أمير المؤمنين سيدنا الإمام أبى عبد الله الرضى ، الشابِّ التقى ، الناصر لدين الله العلى ، بمواد النصر الخفى ، والعُمر القصىّ ، وسائر العترة المهتدين ، والسَّادة الأكرمين ، والعِصابة الموحِّدين(٣) ، ورضى الله عنهم أجمعين ، عددَ الرذِّ والرشِّ ، والطلِّ والبَغْشِ ، والملائكةِ الحافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ مارسا ثَبِير ، وعَسَا جَمِير(٤) ، وسمَر بنا سمير ، وسلَّم تسليما :

يا باحثاً بالظِّلْف عن حتفه ... أذكرت أشياعَك مَن ناسا
لا تَمْرِ أخلاف الرَّدى ضَلَّةً ... إن مع الإبساس إيناسا(٥)
ومِزْ قرارَ الحق مِن نوسِه ... فليس من قَرَّ كمن ناسا(٦)
أعداكَ جهل العُجْم عُجباً بها ... فأوْسِ ياعَير ترى الناسا(٧)

والسلام على من رضىَ الإسلام ، ووحَّد السلام ، وأبدَى الاستسلام ، ورحمة الله وبركاته . ٤١ / ١

(١) هو محمد بن عبد الله بن تومرت ، المتسمى بالمهدى . ولد بسوس ورحل إلى المشرق سنة ٥٠١ فى طلب العلم وانتهى إلى بغداد ولقى أبا بكر الشاشى والمبارك بن عبدالجبار ، ويقال إنه لقى الإمام الغزالى بالشام . ثم قام بدعوته فى المغرب سنة ٥١٤ . ولد سنة ٤٨٥ وكانت وفاته سنة ٥٣٤ . المعجب ١١٥ وابن خلكان (٢ : ٣٧ — ٤١) .

(٢) كان عبد المؤمن بن على هو الساعد الأيمن لمحمد بن تومرت ، وقد ولى الأمر بعده واستولى على وهران وتلمسان وفاس وسلا وسبتة ومراكش . ولد سنة ٥٠٠ وتوفى سنة ٥٥٨ . المعجب ١٢٥ وابن خلكان (١ : ٣١٠ — ٣١١) .

(٣) انظر تعريفا دقيقا لهؤلاء القوم ، فى المعجب ١٣٠ ، ٢٢٥ .

(٤) عسا الليل : اشتدت ظلمته . والجمير : الليل المظلم .

(٥) فى الأصل : « ظلة » تحريف . والإبساس : صويت للراعى يسكن به الناقة عند الحلب .

(٦) الميز : التمييز . وفى الأصل : « ومن قرار » . والنوس : التذبذب والاضطراب .

(٧) أوس : زجر للمعز والبقر .

رسالة ثانية
فى الرد على ابن غرسية

رسالة ثانية فى الرد على ابن غرسية(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما

أيةَ نارٍ قدح القــــادح   وأىَّ سهم فوَّقَ الكاشحُ(١)

* إحدَى ليالِيكِ فهيسِى هِيسِى(٢) *

لشدَّ ما استهواك أيُّها الشُّعوبى شيطانُك، والتفَّت على نَزْعك أشطانك، أدَرَيت، حين زَرَيت، أىَّ أديمٍ فريت، وأىَّ ظهر المكارم اعروريت، ورَمَيتَ بكلِّ أفوق ناصلٍ رَمِىّ(٣)، وأوضحتَ غير جلىّ، وراهنتَ على الجحاش كلَّ سبَّاقٍ أعوجىّ، من الأُدْم، القُدم، ليسوا بصُهْبٍ خُرْس، ولا بجوسٍ فُرس. أعِدْ نظراً فى الأمم العادية، والأجيال الجُرهُمِية، والجبابرة الطَّسْمِيَّة، والعماليق الغُلْب الإرَمِيَّة، ما يروعك، ولا يُفرِخ له رُوعك. وفى مضرَ الحمراء وأقيال عدنان، والتَّبابعة من يعرب بن قحطان، وأبرهَةَ ذى المنار، وعمرٍو ذى الأذعار ما يوقظك من سِنَة هواك، ويحجُرك عن باطل دعواك، أُنوفٌ شُمَّخ، وجبال رُسَّخ، ومجد تليدٍ، وعزٍّ مشيدٍ:

رسا أصله تحتَ الثَّرى وسما به   إلى النَّجم فرعٌ لا يُنالُ طويلُ(٤)

(*) انظر ما سبق فى التقديم ص ٢٣٧.

(١) البيت لأبى نواس فى ديوانه ١٩٢ والبيان (٣ : ١٩٨). وانظر الحيوان (١ : ٩). والرواية فيها جميعاً: «وأى جد بلغ المازح».

(٢) هاس هيسا: سار. والرجز فى المقاييس واللسان (هيس) ومجالس ثعلب ٢٩٣ والمخصص (٧ : ١١٣). وبعده:

* لا تنعمى الليلة بالتعريس *

(٣) الأفوق: السهم المكسور الفوق، وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر. والناصل: الذى سقط نصله.

(٤) للسموأل بن عاديا، فى الحماسة ١١٤ بشرح المرزوقى، برواية: «تحت الثرى».

اخسأْ فلن تعدوَ الأصفريَّةُ أقدارَها ، ولن تعدم المجوسُ نارها . أرومتنا إسماعيلية نبويّة، لاعِيصوية أصفرية(١) ، حُرِم أبوكم بين ذويه ، دعوة إبراهيم أبيه(٢) سُلِخ لها من النبوّة سلخَ الأديم ، وعُدِل بها عن الحنيفية ملّة إبراهيم ، فما أنت والفخرَ بالقديم ، إلاّ كدابغةٍ وقد حَلِمَ الأديم . منّا الحىُّ اللَّقاح، أولو النَّجدة والسَّماح، لمّا عدت عليهم عَوادى الزمن ، تفرقوا عن سبإ اليمن ، أيادىَ كما انتشر الليل ، وانحدروا إلى أطوار الشام قُدُماً كما انحدر السَّيل، فحلوا ، ريثما استقلّوا(٣) :

والليثُ حيثُ ألَبَّ من أرضٍ فذاك له عرينُ(٤)

٤١ ب فحين سمَّيتموهم الأساورة رموكم بسهمٍ ما أخطاكم ، وأَخذْتم من جِذع ما أعطاكم(٥) ، مجدٌ ، نَجُدُ ، إن نازعتم فيَدُنا الأقوى ، [أ] وفاخرتم فالكرم التّقوى(٦) ، ما سُسنا خِنزيراً وعبَدْنا ناراً ، ولا عقدنا على الذُّل زُنّارا ، بلى ملـكنا ، نقوسنا ونقسنا(٧) ، على الأملاك ، الملوكَ ، حتّى أنفذ الله حكمه فى الدّعوة الإبراهيمية فأتمّها ، ولأَمَ بها عباديد العرب ولَمّها ، فحين نظمها من الدِّين ناظر ووضح لها من الإيمان معالم ، وثوّب بالفَلاح مُنادِيها ، وتطاولت إلى هاديها هواديها ، أقبلَتْكم الخيلُ دوائس(٨) ، عقباناً تحت أُسد عوَابس(٩) ، فثَلَّتْ

(١) العيصوية : نسبة إلى عيصو ، وهو العيص بن إسحاق عليـه السلام . وفى نهاية الأرب (٢ : ٣٢٢) : « وولد روم بن العيص بن إسحاق بنى الأصفر ، لأن روم كان رجلا أصفر فى بياض ، فلذلك سميت الروم بنى الأصفر » . وانظر سفر التـكوين ٢٥ : ٢٤ ـ ٢٦.

(٢) فى سفر التـكوين أن لذى بارك يعقوب وحرم عيسو أخاه الأكبر إنما هو إسحاق أبوهما . الأصحاح ٢٧ : ٢٧ ـ ٤٠ .

(٣) الاستقلال : الارتحال .

(٤) سبق فى ص ٢٨٣ .

(٥) إشارة إلى المثل : « خذ من جذع ما أعطاك » . وانظر ص ٢٣٧ لتضم هذه أيضا إلى ماورد فى ص ٢٣٧ من دلائل تعزيز نسبة الرسالة ، وكذا ما فى ٢٩٨ س ٤ .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

(٧) كذا وردت العبارة .

(٨) فى الأصل : « دواس » ، تحريف . وفى اللسان : « أنهم الخيل دوائس ، أى يتبع بعضهم بعضاً » .

(٩) فى الأصل : « غواس » ، تحريف .

عروشَ أنُوشِروانكم وقباذكم، وفلّتْ غربَ يَزدَجِركم وشَهرِيارَكم[١] . وسدُّوا مسالككم، وخلعوا خَلْعَ الحمائل ممالككم، وحطُّوا عن مفارقكم تيجانكم، ونسخُوا فِصْحكم ومِهرجانكم، وورثوا أرضكم وديارَكم، وأطفئوا بنور الله نارَكم. أصِخْ أيها الغُمر، فقد آن لك أن توقد بصيرتَك مدراجُ العمر[٢]، فتذكُرَ قتلى باليرموك وجَبَتْ جنوبُها، وأشلاء بالقادسيَّة عصَفَ عليها من المنون هَبُوبها[٣]، تهافتوا علينا أمثالَ الدَّبا، لم تُغنِ عنهم الأسنَّة ولا الظُّبا، فتعلمَ أن البأسَ للعرب، وأن النبعَ ليس من الغَرَب[٤] :

ولم أرَ أمثالَ الرِّجال تهافتُوا على المجد حتَّى عُدَّ ألفٌ بواحدِ

هم طَردوكم عن أكناف الشَّام، ورُستاق العراق، طردَ غرائبِ النِّياق، وجذُّوكم عن تخوم بابلَ وخُراسان، جذَّ العَير الصِّلِّيان[٥] :

بضربٍ يُزيل الهامَ عن مُستقرِّه وطعنٍ كإيزاغ المخاض الضَّوارب[٦]

مُكُر، نُكُر، لم يتَّخذوا القصور وُكورا، ولكن مَذاكيَ ذُكورا. بنيتم بالشِّيد وبَنينا[٧] وأحدقتم بالحيطان، وأحدقنا بعوالى المُرَّان، وألِفتم الأبنيةَ والأندية، وجُبنا فى طلب العزِّ المهامهَ والأودية، وأذلْتم الدَّبابيج والمرمر[٨]، وذلَّلنا العناجيج الضُّمَّر. جَررَةُ عَوال[٩]، وبذَلَة نوال :

(١) فى الأصل : « شهر باذكم »، تحريف. وانظر ما سبق فى ص ٢٨٠ .
(٢) فى الأصل : « القمر » .
(٣) الهبوب : الريح تثير الغبرة .
(٤) انظر ما سبق فى ص ٢٩٠ .
(٥) الصليان : ضرب من الشجر . (٦) للنابغة فى ديوانه ٨ .
(٧) لعل هنا كلمة ساقطة يتم بها السجع مع « الشيد » ولعلها « بالقرميد » .
(٨) الدبابيج : جمع ديباج، وهو ثوب يتخذ من الإبريسم، وفارسيته « ديباه » . ويقال ديباج كسروى . والمرمر : ضرب من تقطيع ثياب النساء . وفى الأصل : « الدبابيح والمزمر » .
(٩) عوال : جمع عالية، وهى أعلى الرمح ورأسه، والعالية أيضاً: القناة المستقيمة .

فما دبَّ إلا فى بيوتهم الندى ولم تَرْبَ إلا فى حجورهم الحربُ ٤٣ / ١

دِنتم بالراح، ودنَّا بدِرَّات اللِّقاح، فشتَّان بين محظور ومباح[١] . ماذا الإيغال، فى أبى رغال، وقد غالَه من الإله ما غال، حين دَلَّ على بيت الله أغربة الأحابش . كما دلَّت على أهلها براقش، فهلك وهلكوا، وحَدَا بهم حادى الرَّدى أيَّةً سلكوا . وُضُح، صُرُح، لم تَعرِق فينا سُخْمة الحُبْشان، فجئنا صُفْر الألوان، ذوِى نُطَف أمشاج[٢]، بين الزُّنوج والأعلاج . أشهد أنَّ السَّاسانية، العديمة الإنسانية، نكحت أمَّهاتِها وبناتِها، وتشبَّهت بالبهائم فى شهواتها، ألاَّ زجرَهم عنه معقول، أو دِينٌ عن الأمم منقول، ذهبوا والله من العار بثُمِّه ورُمِّه[٣]، وفحلُ السَّوء يبدأ بأمِّه . أفخراً بالحنيذ، والنَّبيذ، هلاَّ بقرَى الضيوفِ والسِّنونَ غُبْر، وعِزَّةِ الجار والأسنَّةُ حُمر، وكرمِ الوفاء إذا استُؤثِر بالغدر، وكتْم السِّرِّ حينَ تجيش مراجلُ الصَّدر :

دع المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها واقعُد فإنَّك أنت الطاعم الكاسى[٤]

أيها الزارى علينا بشان، أبى غُبْشان، وماذا على رجلٍ تخوَّف فصَرف على أربابها السِّدانة، ووفَى فأدَّى إلى أهلها الأمانة، دون خُدعةٍ ولا خِلاب، وجَرىُ المذكِّيات غِلاب[٥] . بُجُح، رجح، لا تَطيش بهم الأحلام، ولا تساجلهم الأيام . فمَهْ أيُّها المتعاطِى لما لا يُدرِك، المتشبع بما لا يملك، المُتَبجِّح فى دعواه، كالخصىِّ يَفخر بمتاع بمولاه . إنَّ حظَّكم من الأسترلوميق[٦] والأرثماطيق،

(١) فى الأصل : « مجذور »، وهو تحريف سمعى .

(٢) أمشاج : مختلطة . وفى الأصل : « ذونطف » .

(٣) أى بقليله وكثيره . انظر ما سبق ص ٢٦٥ س ٢ .

(٤) للحطيئة يهجو الزبرقان . ديوانه ٥٤ .

(٥) المذكى من الخيل : المسن . والغلاب : المغالبة . والمثل يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه فى حلبة الفضل .

(٦) انظر هذا وما بعده ما سبق فى ص ٢٥١ .

والتعاليم المنطقية والموسيقَى، والفنون الفلسفية والجومطريقَى — حظُّ الزمان من من الهرم[1]، والحُمُر من تأليف النَّغَم، لـكنَّها والله أقوى منكم لَحيا، وأقومُ هَديا، وأثقب خواطر، وأصدق بصائر. تلك علومُ يونان، ومبادئُ كَلْذان، ونتائجُ هِرمِسيَّة[2]، ونِسبٌ فيثاغورية، لا ما أنتم بنو الأستاه منه متعاطون[3]، ٤٢/ب وفى عشوائه خابطون، إنَّ العرب بأُمِّيَّتها لأدركت بحلومها، ما أدركته الأوائلُ بتعاليمها، أهلُ البيان وأربابُه، لهم فُتِحت أبوابه، ورفعت باليَفَاع قِبابُه؛ نزل الفرقانُ بلسانها، فدلَّ على إحسانها:

فلو أنَّ السماء دنتْ لمجدٍ ومكرُمةٍ دنت لهم السماء[4]

عُتُق صُدُق، جعلَ الله لها الـكعبةَ البيتَ الحرام قياما، والحنيفيَّة السمحةَ قِواما، وإنَّ بيتاً رفَعَ منه إبراهيمُ القواعدَ وإسماعيل، ونطَقَ بفضله التنزيل، وسفَرَ بين ساحَتِه جبريل، لَمَظِنَّةُ خيرات، ومصَبُّ بركات، ومَنجم آياتٍ معجزات؛ مشاعر معظَّمة، ومناسك مكرَّمة، وملتقى آدمَ وحوَّاء، ومَهبِط الوحى من السَّماء، ذلك بيتُ الله لا بيوت نِيرانِـكم، وشعارُه لا شِعار صُلْبانكم، ومدارس الذِّكرِ لا مدارس البُهْتان، ومعارج الملَك لا مدارج الشَّيطان، إن القرآن ليس بديوانكم، ولا الـكعبة من زَخاريف إيوانكم:

إنّ الذى سَمكَ السماءَ بنى لنا بيتاً دعائمه أعزُّ وأطْوَلُ[5]

---

(١) أى ليس لهم حظ من تلك العلوم والفنون، كما ليس للزمان حظ من الهرم، فإن الزمان دائم الشباب.

(٢) انظر للـكلام على «هرمس» ابن النديم ٤٩٤ وابن أبى أصيبعة ١:١٦ — ١٧ والقفطى ٢٢٧ حيث ذكر هرمس الثانى والثالث. وأما هرمس الأول، وهـو هرمس الهرامسة، وهو إدريس عليه السلام فقد ذكره فى ٦ — ٧. وراجع ما أسلفت فى حواشى الرسالة المصرية ص ٣٩.

(٣) العرب تسمى بنى الأمة: بنى استها. وانظر ص ٢٧٦ س ١١.

(٤) لأبى البرج القاسم بن حنبل، فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٦٥٩.

(٥) للفرزدق فى ديوانه ٧١٤.

بيت فى كِسرِه اعتلج محمد صلى الله عليه وسلم ودَرَج، وفيه دبَّ وإلى السماء عَرَج، ثمرة دوحةٍ زكت فى مُضَر منابتُها، ونَما فى النَّضر بن كِنانة نابتُها، ووشَجت إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم أعراقُها، وتَولَّفت من هاشم أغصانُها وأوراقها، سمت صُعُدا بين السَّنا والسناء، أصلها ثابتٌ وفرعها فى السماء، صلواتُ الله عليه وعلى آله الطيِّبين الطاهرين ما فاهت الأفواه، ووُردت المياه، واستغفرَ اللهَ كلُّ منيب أوّاه، وعلى صحبه وعِترته نجوم الهُدى، ورُجوم العِدى، الرُّكَّع السُّجود، القُوّام الهُجُود، أصحاب الغُرَر والتَحجيل[1]، وحملة التنزيل، والعَلَمة بالتأويل، ﴿ذلك مَثَلهم فى التَّوراة ومَثَلُهم فى الإنجيل﴾. إليكَ فقد بيَّن الصُّبحُ لذى عينين، وطبَّقَ بين الخافقين. فلا تفغَرْ أيها الأثيم الأفّاك، بتقديمِ ٤٣/١ بعدها فاك، ولئن أوجعناك، فَبِما قَدّمت يداك. أجلْ صديق المرء عقلُه، وعدوُّه جهله، ولا يحزنْك دمٌ هَراقَه أهلُه:

غَمزتَ قناتى غَمزةً فوجدتَها ... من العِزِّ يأبى عودُها أن يكسَّرا
فإنْ تغضبوا من قسمة الله بيننا ... فلَلَّهُ إذْ لم يُرضِكم كان أبصرا

كملت الرسالة والحمد لله رب العالمين

---

(١) فى الحديث: «أمتى الغر المحجلون»، أى بيض مواضع الوضوء من الأيدى والوجه والأقدام. وكتب إزاء الكلمة فى الجانب: «والحجول». وانظر ماسبق فى ص ٢٦٢ س ٣ لتضمه إلى ما سبق فى ٢٣٧ من دلائل تعزيز نسبة الرسالة مشفوعا بما نبهت عليه فى الحاشية رقم (٥) من ص ٢٩٥.

رسالة ثالثة

فى الرد على ابن غرسية

لأبى جعفر أحمد بن الدودين البلنسى

رسالة ثالثة فى الرد على ابن غرسية

أجابه بها الأديب أبو جعفر أحمد بن الدودين

اخسأ أيُّها الجهول المارق ، والمرذول المنافق ، أين أُمُّك، ثـكلتك أُمُّك . أو ما علمتَ أنَّك سُحِبت من عِقَالك لعُقّالك[٢] ، وقدَّمتَ أوَّلَ قدمك ، لسفكِ دمك ، وبسطتَ مكفوفَ كَفِّك ، لسلطان حَتْفك ، وقلّمتَ شبا أقلامك ، لاصطلامك ، وحبّرتَ بحِبْرِك ، لذهاب خُبْرِك ، ومشّقتَ فى قرطاسك ، لشقّ راسك ، فما حقيقةُ جوابِك ، على خَطَل خطابك ، إلاَّ سَلبُك عن إهابك ، وصَلبك على بابك ، ولو كان بالحضرة أقيال ، وحضَرك رجال ؟ ! لـكنَّك بين همَج هامج ، ورَعَاع مائج ، مذبذبين بينَ ذلك لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء » . فأُقسِم بباريء النسم ، وناشر الأمم مِن رفات الرِّمم ، لا صيِّرنّ عليك أيُّها السَّخيف ، المضعوف ، على نذالتك ، وفَسالتك ، عَرضَ البَسَاط[٣] ، أضْيَقَ من سَمّ الخِياط ، ولأخلِّدنّك سمراً غابرا[٤] ، ومثَلا سائرا ، أو نُشوِّه محيَّاك ، وتُحلَق [سَبتاً لك[٥]] من قَفاك ، وتَحتزِم بزُنّاك ، وتلحق بأديارك . مالك ، ومَقْراً لك[٦] ، [و] أسرتك الأرذلين ، وعِترتك الأنْزَلين[٧] ، الصُّهب السِّبال ، مَن وُلِّغ الدم وشُرِّب

---

(١) انظر ماسبق فى التقديم ص ٢٣٨ . وفى الذخيرة : « فرد عليه أبو جعفر برقعة قال فيها » .

(٢) عقل البعير : ثنى وظيفه مع ذراعه وشدهما جميعاً فى وسط الذراع، وذلك الحبل هو العقال . والعقال ، كرمان : ظلع فى قوائم الدابة . فى الذخيرة : « إنما سمحت » .

(٣) البساط ، بالفتح : الأرض الواسعة .

(٤) الغابر : الباقى .

(٥) التكملة من الذخيرة . وفى أصلها : « سبالك » . والسبت : الحلق .

(٦) المقر : دق العنق .

(٧) فى الذخيرة : « الأنذلين » .

الأبوال ، أكَلة الجيف ، وحَلَاة الـكُنُف[١]، و « الوَضح ، الرُّجُح » رُجُح الأكفال ، وُضُح كذوات الأحجال، فلّهِ أبوكَ لقد أجدتَ فى قومك الوَصْف ، وبسطتَ لنا منهم النِّصف ، وأنا الآن أنصِف، وفَقَارَكَ أقصِف . « عُلُم، حلم » ءُ بالتَّداوى من القَرَم ، ومَنافع القلم ، حُلُم عن كلِّ مجاوزِ الحُلُم . « جُمُح طُمُح » الآنَ صدقتَ ، وغَلطَك استدركت ، جُمُح فى الإحجام ، عن الإقدام ، طلبَ الفرار ، يوم الانتصار وإدراك الثار، طُمُح إلى كلِّ رَمُوح طَموح، يَطُول الشِّبْر، ويُطِيل الشَّبْر ، مُعَلَّف ، مغلَّف[٢]، ذى خَلْقٍ مرصوص، وهامةٍ كالفصوص[٣] . ٤٣ ب

إيَّاك ولُعابَك ، أن يمحوَ كتابَك .

« حماة السروح نماة الضُّروح[٤] » ، النَّصَفَة ، يا كُشَاجم لا الأنفة[٥]، غُضَّ قليلاً من طرفك، وأمسِكْ عنانَ طِرفك، ولننتحا كمْ فى ذلك إلى ظَرْفك، هل يصحُّ فى التحصيل ، أو يجوز فى العقول ، أن يحمى قومُك سروحَ شائهم ، وقد أباحوا فُروجَ نسائهم ، أليس هذا عينَ المحال ، ومغالطةَ الجُهَّال . فهلاَّ توهَّمت يا فتَى الجوابَ ، قبل الخطاب ، وأبصرت الوَرطة ، قبل السَّقطة .

وأمَّا ما قَعقعت به ووعوعت ، من صواحب الرَّايات، فهنَّ وأبيك بعضُ بنات ربَّة الإياة[٦]، إمائنا المسبيات الممتهنات ، ملَـكْتناهنَّ ظُبا البيض الهنديّة، وشَـبَا السُّمر الرُّدينيَّة ، فما عُجْنا بهنَّ عما عوَّدتموهنَّ من البِغاء ، للاسترضاء ،

---

(١) حلاة : جمع حال . انظر ماسبق فى ص ٢٤٦ . والـكنف : جمع كنيف ، وهو كل ما ستر من بناء أو حظيرة .

(٢) المعلف : المسمن . وهذه الـكلمة ليست فى الأصل ، وبدلها فى الذخيرة « معلب » . المغلف : ذو الغلاف ، والمراد به الغلفة ، وهى الهنة تقطع عند الختان . وبدله فى الذخيرة : « ملغب » .

(٣) الفصوص من الفرس : مفاصل الركبتين والأرساغ .

(٤) فى الأصل : « بناة الضروح » ووجهه من الذخيرة مطابق لما مر فى ص ٢٤٧ .

(٥) انظر لكشاجم ما سبق فى ص ٢٧١ .

(٦) انظر ما مضى فى ص ٢٤٩ .

فيكثر معشَرَ العُربان، من ولد سارتكم الإُموانُ والعُبدان(١)، وفيك من ذلك أصحُّ دليلٍ وأوضح برهان. فهلا يافتى ثقِفت، ودونَ هذا الفصل وَقفت.

« بُصُر صُبُر » ، بُصر بتركيب عُصَب أنابيبِ السُّرر، ومنافعها بزعمهم للجِسم والبصر ! صُبُر على إيغال، الغرَاميل الطِّوال.

« سُرُجٌ، وهُجٌ » سُرج المَضاجع، لا يَطفأ وهَجانُ ذلك السُّعُر، إلا بدافقِ ماء الـكَمَر.

«مُلْس الأُدُم، ماحا كُوا قَطُّ بُرودا، ولا لا كُوا عُرودا» . هذا وأبيك من التَّعريض الرَّقيق فى مقالك، وآلك، وذلك أنَّك وصفتَهم بامِّلاس الجلود، ٤٤/١ وقفَّيت بنَفْى لَوكِ العُرود، وإيجابُ ذلك، لايليق إلاَّ ببالك(٢) . فهذا لعَمرك من بديع التَّحقيق، فاَفخرْ فهاتان صفتان سُلّمتا لـكم. وأما لَوْكُ العُرود فإنّ ذلك أوضح(٣) من السِّراج الوهَّاج، فى اللَّيل الدَّاج(٤) . قد تحُدِّث(٥) أنَّ وِلدانَـكم عَطَّلُوا فى وقتٍ سُوقَ نسائكم، فنُمِى ذلك إلى مليكـكم(٦)، فحكَمَ، أكرِمْ به من حَكَمَ(٧)، أن يبيح النِّسوان، من أنفسهنَّ ما أباحَ الوِلْدان، وامتثَلْن ذلك فاتَّسَقت الحالان ونَفَقت السُّوقان، وما سُمِـع فى الأزمان، بأغربَ من هذا الشَّان، فاشمَخْ بأنفك، وافخر بنِصْفك(٨) .

---

(١) الإموان بكسر الهمزة وضمها : جمع أمة، وهى المرأة المملوكة.

(٢) فى الأصل : « ألا يليق إلا ببالك » .

(٣) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « فأوضح » .

(٤) الداجى : المظلم .

(٥) الذخيرة : « قال المحدث » .

(٦) نمى : رفع وبلغ . يقال نموت الحديث أنموه وأنميه . وفى الأصل : « فنهى » تحريف، صوابه من الذخيرة . وإنما يقال منه أنهيت إليه الخبر فانتهى وتناهى .

(٧) الذخيرة : « من محـكم » .

(٨) النصف : الإنصاف . الذخيرة : « بنصفك » .

وأما حَوْكُكم البرود ، فناهيك من الغِفارة الإفرَنجية(١) إلى الديباجة الروميَّة ، والنِّسبتان ، بذلك تشهدان .

وأمّا فخرك برَبَّة الإياة فياليتَهاحيين ولدتكم نُسكاتكم، فلقدمر بلتموهاعاراً مجدّدا ، وعصَبتم بها شَناراً مخلّدا ، حين خِمْتم عن الكفاح ، حذَرَ الصّوارم والرّماح ، فأسلمتم لعُداتها ، من بناتها ، كلَّ طَفْلة رَدَاح(٢) ، جائلة الوِشاح ، ذاتِ ثغرٍ كالأقاح ، وغُرَّة كالصباح ، أُعجِلْن عن لَوث أُزُرهن ، واعتجار خُمُرهنَّ ، فعوِّضن من الإدلال بالإذلال ، ومن الحِجَال بالرجال :

خَلفَ العَضاريط لا يُوقَينَ فاحشةً مستمسكاتٍ بأقتابٍ وأكوارِ(٣)

وعيَّرتَ العربَ بالاغتذاء بالحيات ، لتعذّيكم بالدّماء والمَيْتات ، فيمتاز الضدّ ، ويقع الحدّ ، يبين من تناهت جُرأته ، وماتت همَّته . على أن لا افتخارَ فى مشرب ولا مطعم ، لعرب ولا لعجَم . وكذلك ما عيَّرتهم به من حرق الجلّة والبعر ، غزُوا بإضرام النِّيران، لإكرام الضِّيفان، وإطعام المقرور الجوعان، إلى أنْ عَدِموا الأرطَى والغضَى، وموجودَ السَّمُر ، وسائر أنواع الشَّجر ، فلجؤوا إلى الجلّة والبعر .

وكذلك وصفُك قومَك بأن « ليسوا حفَرةَ أَكَر ، ولا حَفَزة عَكَر » ،

٤٤ ب الله أجَلّ الأكَرَ أن يَحفِروها ، والعَكَرَ أن يَحفِزوها ، لكنّهم حفَرة جِحْشان وحفَرة كُهوفٍ وغيران ، اتخذوها مخبأً عن قبائل العُربان(٤) ، وملجأً من وقع

---

(١) الغفارة : مثل القلنسوة يلقيها الرجل على رأسه فتبلغ الدرع ثم يلبس البيضة فوقها ، وربما جعلت من ديباج وخز أسفل البيضة . والإفرنجة ، قال ياقوت : « هم فى شمالى الأندلس نحو الشرق إلى رومية » . وانظر الفهرست ٣٠ ، ٣٤ ومروج الذهب ٢ : ٣٤ والقاموس .

(٢) الطفلة ، بالفتح : المرأة الرخصة الناعمة . والرداح : العجزاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق .

(٣) للنابغة الذبيانى فى ديوانه ٤٢ . العضاريط : الأتباع والأجراء .

(٤) الذخيرة : « عن حبائل » .

الصّوارم والمُرّان ، فِعلَ الخِزّان واليرابيع والجِرذان[1] .

وأمّا فخرك بعلمهم الشرائع ، فمِن أبدع البدائع ، « استنّت الفِصالُ حتّى القَرعى[2] » ، وجهلُهم بذلك أوضح ، من أن يُشرَح ، وأبين ، من أن يبيَّن، لكن أنكُتُ من ذلك نُكتة ، وأنبِذُ منه نُبذة، تصفعهم صفعا ، [و] تردُّ صُهب أدُمهم سُفعا . وأنّى يكون ذلك ، هُبِلتَ لآلِك ، ولم يأخذوه عن نبيّ، ولا نقلوه عن حَوَاريّ ، ولم يزالوا يتعاورون أصلَهم الإنجيلَ بالزيادة والنُّقصان ، إلى أن أصاروه فى حَيِّز الهذَيان . وحسبك بهم جهلاً أنّهم يعتقدون إلهاً نبيَّهم ، يسمُّونه بالربِّ المعبود ، وصيّروه بعدُ مصلوبَ اليهود ، فأعجبْ بجهلٍ يجمع بين هذين الطّرفين ، وأعجَبُ من ذلك أنّهم يُجمِعون[3] أنّ عيسى ينزِلُ إلى الأرض ، لحسابِ الخلائقِ يومَ العرض ، فما ظنُّك يفعل باليهوديّة[4] على ماقدّموه على زَعيمهم من صلبه ، فهل يصحُّ بهذه الآراء الضعيفة ، والعقول السخيفة ، دين ، أو يثبت لهم معه يقين . ولولا أنّى أُجِلُّ قلمى ، وأنزِّه كَلِمى ، عن سخافاتهم، فى دياناتهم ، وبِرسامهم ، فى أحكامهم ، لأوردت من ذلك ما لا يستجيزه إلّا مثلُ قومِكَ العَجَم ، عقولِ البُوم والرَّخَم .

وأمّا علم الطبائع فسلِّمْ بعضَهاَ لهم ، لما تقدّم فى أثناء الرسالة ، من عِلمهم بخواصِّ تلك الآلة ، والصِّدقُ أزيَنُ ما به نُطِق ، وإليه سُبِق .

وما ذكرته من أبى رِغال ، فذلك جِدّ محتال ، إنّه غدا[5] علماً منه باستئصالهم

---

(١) الخزان : جمع خزر بضم ففتح ، وهو ولد الأرنب .

(٢) استنت : جرت فى نشاط . والقرعى : التى أصابها القرع ، وهو بثر . يضرب مثلا للرجل يدخل نفسه فى قوم ليس منهم .

(٣) الذخيرة : « يجمعون » .

(٤) فى الأصل : « بفعل اليهودية » ، صوابه من الذخيرة .

(٥) بدله فى الذخيرة : « بأدواء عداه » .

عن اختيارهم إلى بَوَارهم ، فعجَّل الله بأرواحهم إلى نارهم .

وقضيَّة أبي غُبْشان التي عظَّمت ، ليس الأمر كما توهمت ، لأن الكعبة بيت الله لاشريكَ له وضَعَه تعالى للعباد ، وسَوَّى بين العاكف فيه والباد ، وأبو غُبْشان إنما باع خِدمتَه في البيت . وهَهْنا قضية سفيهنا الغوىّ[1] ، أين تقع في قضية إمامكم يَهُوذا الحوارىّ ، إذ باع نَبيَّه روح القدُس ، من أعوانه بالأفْلُس[2] ، فكذَّب الله ظنَّه ، وأنجى نبيَّه ، فدونك ضعْ قضية سفيهنا في كِفّة وفي أخرى قضيةَ إمامك ، ورجِّح بينهما بفضِّ ختامك .

٤٥ / أ

وأمَّا وصفُك قومَك أنَّهم « مُجُد ، نُجُد ، شُمخ ، بُذخ ، عرق ، غرق » ، فهيهات ذلك منهم ، تلك صفاتُ قومِنا العربِ ذوى الأنساب ، والأحساب ، والعلوم ، والحلوم ، أُولى الألسن ، والبيان واللَّحَن[3] ، والإسهاب ، في الصواب ، والحكمةِ وفصل الخطاب ، فُرسانِ الإعراب ، وأرباب القِباب ، ومُعْمِلى الصوارم والحِراب ، أنديتهم عِراصُ المنيَّة[4] ، وأرديتهم بيض المشرفيَّة ، ولَبوسهم مُضاعَفَة الماذية[5] .

مَتَهكين من صدإ الحديد كأنَّهم تحت السَّنَوَّر جِنَّـةَ البَقَّارِ[6]

مجالسهم السُّروج ، وريحانهم الوشيج ، ومُوسِيقاهم رَنَّات الرُّدينيَّات ،

---

(١) الذخيرة : « وصمة سفيهنا العربي » .

(٢) كان لقاء ثلاثين من الفضة . متى ٢٦ : ١٥ . وقد ندم بعد ذلك ورد الثلاثين ثم مضى وخنق نفسه ٢٧ : ٢ ـ ٥ .

(٣) اللحن ، بالتحريك : الفطنة .

(٤) عراص : جمع عرصة ، وهي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

(٥) الماذية : السهلة اللينة . والمضاعفة : الدروع التي نسجت حلقتين حلقتين.

(٦) للنابغة في ديوانه ٣٥ والحيوان (٦ : ١٨٩ ، ٤٩٥) . البقار : موضع كثير الجن .

وطُو بيقاهم الشُّرَيجيات(١) ، لم تكن قادتَهم النِّساء ، ولا رادَتَهم فى آجالهم النَّسَاء(٢) .

يَستعذِبون منايـاهم كأنّهمُ لا ييأسون من الدنيا إذا قُتِلوا(٣)

عُنُوا بمدِّ أطناب الأبنية ، عزّةً وأنفة عَن تشييد الأبنية ، مُحالفى الصَّحاصح والبيد ، فِعلَ الأساود والأسود ، قُصورهم المناهل ، ومَعاقلهم الذَّوابل ، صُبُرٌ ، وُقُرٌ ، إذا ثارَ الغبار ، واسودَّ النهار ، وحسُنَ الفِرار ، وذُهِلت الأذهان ، وأبهم العيان(٤) ، وتلجلج اللِّسان ، وتلاطمت السيوف ، وحَمِيت الحتوف ، وقلَصَت الشِّفاه ، وعصَبَ الرِّيقُ [بالأفواه(٥)] ، وتعانقَ الشُّجعان ، وتشاجر المُرّان ، وبرِم الحِمام ، وفُلَّ الحسام ، وحَمِيَ الوطيس ، والتقَت الأقدام والرءوس ، فلا ترى إلاَّ حزَّ الغلاصم ، وشَيْمَ الصَّماصم فى الجماجم(٦) فهناك تلقاهم ، لا دَهِمكَ لِقاَهُم ، أقيالَ الأقيال ، شَمِرَة الأذيال ، أُسود الأغيال ، حُماة الأشبال ، لاَمُلْس أُدُم ، ولاجررة الأذيال ، وهكذا فليكن أقيالُ الرجال ، يا مسلوب الحجال(٧) . ٤٥ ب

كُتِب القتلُ والقِتال علينا وعلى الغانياتِ جَرُّ الذُّيول(٨)

وما كان أغناك يا كَشاجم ، عن كشف عَورات آلِك الأعاجم ، لكن ضَعْفُ نظَرِك ، حداكَ إلى هَذَرِك ، وسوء أدبك ، وافَى بك على عطَبك ، نسأل الله سِترًا يمتدّ ، ووجها لا يسوَدّ .

---

(١) الطوبيق ، سبقت فى ٢٥١ ، ٢٧٦ بلفظ « بوطيق » . والسريجيات : سيوف منسوبة إلى قين معروف .

(٢) رادة : جمع رائد . والنساء ، بالفتح : تأخير أداء الدين إلى أجل .

(٣) لأبى تمام من قصيدة يمدح فيها المعتصم . ديوانه ٢٢٩ .

(٤) الذخيرة : « وأبهم » . (٥) التكملة من الذخيرة .

(٦) شام السيف : أغمده . والصماصم : جمع صمصام ، وهو السيف القاطع .

(٧) الحجال : جمع حجلة ، وهى بيت كالقبة يستر بالثياب يكون له أزرار كبار . عنى أنه مهتوك الستر .

(٨) لعمر بن أبى ربيعة فى عيون الأخبار (٢ : ٤٩) والأغانى (٨ : ١٣٣) وزهر الآداب (٣ : ٧٦) .

رسالة رابعـــة

فى الرد على ابن غرسية

لأبى الطيب بن منّ الله القروى

وعنوانها كما فى كتاب البلوى وكشف الظنون

حديقة البـلاغة ، ودوحة البراعة ، المورقة أفنانها ، المثمرة أغصانها ، بذكر المآثر العربية ، ونشر المفاخر الإسلامية ، والرد على ابن غرسية فيما ادعاه للأمم الأعجمية .

وممن ردَّ أيضاً عليه ، وأجاد ما أراد (أبو الطيب بن منٍّ الله القروى) برسالة طويلة أثبتُّ منها بعض الفصول ، تخفيفاً للتَّثقيل ، قال فيها[1] ، وافتتحها بهذه الأبيات :

وذِى خطل فى القول يحسَب أنه مُصيبٌ فما يُلمِمْ به فهو قائلُه[2]
نَهَدتُ له حتَّى ثنيتُ عِنــانَه عن الجهل واستولَتْ عليه مَعاقلُه
تعــالَ نخبِّرنى إعــلامَ تشدَّدت قُوَى العير حتَّى أحرزتْكَ مجاهلُه

أيُّها الفاخر بزَعمه ، بل الفاجر برُغْمه ، ما هذه البَسالة ، فى الفسالة ، ما هذه الجسارة ، على الخسارة ، لقد تجرأْت ، ومن المِلَّة تبرأت ، أبالعرب تمرَّست ، وفى مجدها تفرَّست ، وعلى شَرَفها تمطَّيت ، وإلى سُودَدها تخطَّيت .

(وفى فصل): فأخبِرْنى عنكَ أما كانت للعرب يدٌ تشكرها، أومِنَّة تذكرها. أمَا جبرَتْ نقِيصتَك ، أما رفعت خسيستَك ، أما استنهضَتك من وهدتك ، أما أيقظتْكَ من [غفلتك و[3]] رقدتك ، ألم ترَبِّك فيها وليدا[4] ، ألم تتخِذك لها تليداً[5] . ألم تُعْنَ بتخريجك[6] ، وتدريجك ، أما أنطقتْك بعد العجمة ،

---

(١) إلى هنا ينتهى تطابق ما فى الأصل والذخيرة ، وما بعــده إلى نهاية الأبيات الثلاثة ليس فى الذخيرة وانفردت به نسخة الأصل . أما البلوى فى ألف باء فقال : « أما أحدهم فافتتح الرد عليه بقوله :

وذى خطل فى القول يحسب أنه مصيب فما يهتف به فهو قائله »

ولم يعين ذلك الأحد . وانظر للــكلام على هذه الرسالة وعنوانها ما سبق فى ص ٢٣٩ .

(٢) البيت لزهير فى ديوانه ١٣٩ . والبيتان بعده لم يردا فى الديوان .

(٣) التــكملة من الذخيرة .

(٤) فى الأصل : « ألم نربك فينا وليدا » . تحريف سببه الحرص على نص الآية .

(٥) فى الأصل: « ألم نتخذك ». والتليد: الذى ولد ببلاد العجم وحمل فنشأ ببلاد العرب.

(٦) فى الأصل : « ألم تغن » ، وفى الذخيرة : « ألم تــكن » ، كلاهما محرف .

أما أسلقتك بعد اللُّكْنة[١] ، حتَّى إذا اشتد كاهلك ، وعَلِم جاهلُك ، وقَوِىَ ساعدُك ، ورَقِىَ صاعدُك ، كفرت نعمتَها لديك ، ونثرت عصمتها من يديك ، وأخذت تطاولُها بأرسانها، وتقاولها بلسانها، وتُغاضاها بسهامها، وتُهاطِلها برهامها[٢] أحين فكّتْ أمرَكَ من أقذورة الغَلَف[٣] ، وأخذت بضَبْعك[٤] من أهوية التلف، وشدَّت ظهرَك المِتان[٥] ، واعتمدت طُهرك بالختان[٦] ،ناهضتَها بحُسامها ، ٤٦/١ وجاهَضتَها بكلامها ، ورميتَها [بسهامها[٧]] ، عن قوسٍ هى نبعتُها ، ومن هضبة هى قلعتُها :

أعلِّمه الرِّمايةَ كلَّ يوم فلما اشتدَّ ساعدُه رمانى[٨]

([وفى فصل[٧]]) : وهاتِ أرِنا مفاخرَك ، نُرِك مَساخرَك . أنت صاحب الشُّهْب ، الصُّهب، والسَّنة شهباء ، والجَهام صهباء . كذلك أنتم لاخَيْر ولامَير، ولاعَمرو ولاعُمير ، ليس للسَّخاء بالرُّومية اسم ، و[لا[٨]] للوفاء فى العَجميّة رسم. أين أنت عن السُّمر، القُمر، البِيض غُرراً وصِفاحا،السُّود طُرراً وأوضاحا ، الدُّعْج عيوناً ورِماحا ، البُلْج وجوهاً وسَماحا ، قِمَم فى العمائم ، وهِمَم فى الغمائم، سَعَروا عليكم نارَ الحرب، بتلك الأينُق الجُرْب،فكسَروا كيامرتكم،وقصَروا

(١) السلق : رفع الصوت ، وبلاغة الخطيب . والمعروف « سلق » وأما « أسلق » المتعدية فما لم يرد فى المعاجم المتداولة.

(٢) المهاطلة : مفاعلة من الهطل، وهو تتابع المطر وسيلانه . الذخيرة : « تطأ ظلها » ، تحريف . والرهام : جمع رهمة ، وهى المطرة أشد وقعا من الديمة وأسرع ذهابا .

(٣) الغلف : مصدر الأغلف ، وهو الذى لم تقطع غلفته بالختان . فى الذخيرة : « القلف » بالقاف، وهما سيان .

(٤) الذخيرة : « بضبعيك » .

(٥) المتان : مصدر ماتنه ، أى باعده فى الغاية. والمتان أيضاً : جمع متن ، وهو الظهر .

(٦) فى الأصل : « ظهرك » ، صوابه فى الذخيرة .

(٧) التكملة من الذخيرة .

(٨) لمعن بن أوس فى البيان (٣ : ٢٣٢) واللسان (سدد) . وقد اتفقت النسختان هنا على رواية : « اشتد » ، وهى رواية مضعفة ، والأصح « فلما استد » بالسين المهملة .

قياصرتكم[١] . وأخمدوا نارَ صولتكم ، ومَحَوا آثارَ دولتكم[٢] ، وطهَّروا الأرض المقدسة من أنجاسكم ، والمسجدَ الأقصى من أرجاسكم ، الذين يَنْجُون ولا يستنجون ، ويتجنَّبون ولا يتطيَّبون[٣] ، رُعاة الخنازير ، وأَكَلة السَّنانير ، أمَّا رجالكم فقُلْفٌ ، غُلْف ، وأما نساؤكم فقُذْرٌ ، بُظْر[٤] ، لا يعرفون الخِفاض ولا الخِتان ، ولا يألفون السِّنانَ ولا العِنان ، ويحك بما آثرت ، وبمن كاثرت ، أما استحيت ، مما انتحيت ، هل كانت العربُ إلاَّ كَنزَ عِزّ ، وذُخر ، فَخر ، وذخيرةً[٥] ذخرها الله إلى الوقت المحتوم ، وأسكنها أرضاً يرغب عنها أُولو البِطنة ، ويرغب فيها ذَوُو الفطنة[٦] ، حفِظ فيها أحسابها ، وطهَّر بها أنسابَها[٧] ، واختارها ليختار منها صفيَّه[٨] ، وميَّزَها ليميز منها حَفِيَّه ، ثم اختصَّها بالأحلام الزكية ، والأفهام الذكيّة ، والأنفُس الأبيَّة ، إن جاورتَهم نَصَرُوك ، وإن حاورتَهم قَصَروك ، وإنْ فاضلتَهم فَضَلوك ، وإن ناضلتهم نَضَلوك ، وإن طاولتَهم طاولوك ، وإن استنلتَهم أنالوك ، يمشي أحدهم إلى الموت ثابتة وطأتُه ، فسيحةً خطوتُه ، ٤٦/ب
شديدةً سطوتُه ، جريًّا على الكُماة جَنانُه ، دريًّا بتصريف القناة بنانُه[٩] ، بصيراً بمُهَج الدّارعين سنانُه ، وأنتم كما وصفت مُلْس ، لُمْس ، لا تُغيرون ولا تَغارون

(١) في الذخيرة : « كياسركم » و « قياصركم » ، وجمع كسرى على « كياسر » أو « كياسرة » غير معروف ، وإنما يجمع على « أكاسر » و « أكاسرة » و « كساسرة » و « كسور » . وأما « قيصر » فجمعه على « قياصر » و « قياصرة » قياس صحيح .

(٢) هذا الوجه الأوفق من الذخيرة . وفي الأصل : « صولتهم » و « دولتهم » .

(٣) التجنب : أن يصير في حال جنابة ، يقال أجنب وتجنب ، وجنب ككرم وعلم . في الذخيرة : « ويجنبون ولا يتطهرون » .

(٤) البظراء : الطويلة البظر ، وهو ماتقطعه الخاتنة .

(٥) الذخيرة : « وخبيئة » .

(٦) في النسختين : « ذو الفطنة » .

(٧) هذا الصواب من الذخيرة . وفي الأصل : « وطهرها أدناسها » ، تحريف .

(٨) هذا الصواب من الذخيرة . وفي الأصل : « ليمتاز بها صفيه » .

(٩) دريا ، بدلها في الذخيرة : « لقنا » . وفي قول مالك بن الريب :

وكنت إذا ما الخيل شمصها القنا ... لبيقا بتصريف القناة بنانيا

ولا تمنعون ولا تمتنعون ، قلوبكم قَوَاء ، وأفئدتكم هَوَاء ، وعقولكم سواء ، قد لانت جلودُكم ، ونَهَدت نهودُكم ، واحمرّت خدودكم ، تحلِقون اللِّحَى والشَّوارب(١)، وتتهادَوْنَ القُبَل فى المشَارب(٢) . والعرب تذمُّ بالدَّعة ، وتَهجُو بالسَّمة ، وتفخَر ، بالجلادة، وتتبجَّح بالصَّلادة، فإنْ فاخرتَهافبغير الطعام والشراب، ولكنْ بالطِّعان والضراب ، وما عليك من لَوك العُرود ، أَخِفْتَ إعجازَها ، وخَشِيت إعوازَها ، أبِكَ حاجة إليها ، ألكَ حرصٌ عليها ، لشدَّ ما أدركَتْك الحَمِيَّة فيها ، وحرَّكتك العصبية لها(٣) ، هذه نادرة لم تَقصِد قصدها . ومن الآيات ، ذكر صواحب الرايات ، والمباضَعة ، عندكم كالمراضعة، ما فى الشُّكْر ، عندكم نُكْر ، تُبيحون وُلوج العلوج ، على بدور الخدور ، الزِّنا ، عندكم سَنا ، والفِجار ، بينكم فَخار ، فكيف أنكرتَ ، ما ذكرت، وأنت على سَنَن، تلك السُّنن ، الحال قائمة ، والقِصَّة دائمة ، « وأوّل راضٍ سيرةً من يسيرها(٤) » .

([وفى(٥)] فصل) : فساروا مُعرِقين ، وعَلَوا مشرِّقين ، لاتردُّهم رادّة ، ولا تصدّهم صادّة، حتى أهلكوا ساسان وكاسان ، وملكوا خُراسان وماسان، وسلكوا بالقَهر ، ما وراء النهر ، فأدخلوكم الدُّروب ، وألزموكم الكُروب ، بجريدة خَيل ، وطَريدة ويل ، وأمضَوْا فيكم العزائم . وأرضَوْا منكم الهزائم ، حتّى أجحروكم رومِيَة(٦) الدَّفرا ، والقُسطنطينيَّة البخرا ، ونازَلوكم منها على ذراعَين ، وصرعوكم بين المِصراعَين .

---

(١) اللحى : جمع لحية . وهذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « اللحاء » ، وهذا إنما هو جمع لحى بالفتح ، وهو ما ينبت عليه العارض .

(٢) المشارب : جمع مشرب ، وهو الموضع الذى يشرب منه ، عنى بها الأفواه .

(٣) الذخيرة : « أدركت » و « حركت » .

(٤) عجز بيت لخالد بن زهير الهذلى . ديوان الهذليين (١ : ١٥٧) . وصدره :

* فلا تجزعن من سنة أنت سرتها *

(٥) التكملة من الذخيرة .

(٦) هذا مافى الذخيرة . وفى الأصل : « رومة » . ورومة هذه : أرض بالمدينة فيها بئر رومة التى ابتاعها عثمان وتصدق بها .

ألم تبلغك ضربةُ يزيدَ بعموده⁽¹⁾ ، وخبر خالد بن يزيد فى أُخدوده ؛ والرّايةُ المعلمة، والآيةُ المحكمة ، مسجد مَسْلَمة⁽²⁾ . ٤٧ / ١

ثم كم قائظة ، غائظة،وصائفة ، عليكم طائفة . ثم عَطَفوا مغرِّبين، وللأرض مخرِّبين ، فما تركوا من الأعاجم عاجماً ، ولا ناجماً ، ولا بقَّوا من البرابر غابراً ، ولا عابرا،وساروا قُدُماً يذبحون البرّ ذبحا ، ويَسبَحون البحر سبحا،حتّى طرقكم طارقُهم فى هذا الطَّرَف ، ورشقَكم راشقُهم فى هذا الهدف ؛ واقتحموا عليكم هذه البلاد فأوطئوها ، وكأنما رموها بالحجارة فما أخطؤوها ، فملكوا أرضكم بساحتَيها ، وأحاطوا بها من ناحيتَيها .

وضمُّوا جناحَيكم إلى القلبِ ضمّةً تموت الخوافى تحتها والقوادمُ⁽³⁾

فما تعرَّضك لقومٍ سلكوا بلادَكم ، واستعبدوا أولادَكم . ثم إنَّهم حين قَدَروا، غفَروا، ووضعوا الإتاوة على جماجم ،الأعاجم ،والرسوم فى براجم ،السَّلاجم⁽⁴⁾ فلا يحضُرون العَشَّار ، إلا بالعِشار ، ولا يشهدون الأسواق ، إلا بالأطواق ، فإن

---

(١) كان يزيد بن معاوية قد حاصر القسطنطينية وهو ولى عهد وذلك فى سنة ٤٩ أو ٥٠ وأبلى بلاء حسنا فى إغارته . ولعل ذكر « الضربة بالعمود » إشارة إلى حادثة تاريخية معينة فى تلك الحرب .

(٢) مسلمة بن عبد الملك[بن مروان بنى مسجد القسطنطينية فى أيام أخيه الوليد . وقد طلعنى الأخ الثقة الدكتور جمال الدين الشيال على نص هام لابن واصل فى (مفرج الكروب) الذى يقوم بتحقيقه ونشره : جاء فى الورقة ٤٠٢ من مخطوطة باريس رقم ١٧٠٢ : « وذكر أن سبب بناية هذا الجامع المذكور ، فى كتاب تذكرة ابن حمدون، أنه بنى فى سنة ست وتسعين للهجرة ، ووقع الصلح مع الروم على أن يبنى بالقسطنطينية جامع فبنى ، فلما طالت مدته جعلوه حبسا . وقال غيره : إن الصلح تقرر بين المسلمين والروم على أن يبنى جامع على قدر جلد بعير ، وتقررت الأيمان على ذلك ، فلما استقر الحال عمد المسلمون إلى جلد بعير فقدوه سيورا ومدوها، فأنكر الروم ذلك ، فقالوا المسلمون : إن هذا جلد بعير مازدنا عليه شيئاً وقع الاتفاق عليه ، فسكتوا . وقيل إن بانيه مسلمة بن عبد الملك بن مروان فى أيام أخيه الوليد » . وانظر الروضتين لأبى شامة ٢ : ١٦٠ والسلوك تحقيق الدكتور زيادة ١ : ٤٧٢ .

(٣) أصل البيت للمتنبى. ديوانه ٢ : ٢٧١ . وقد غيره ليتساوق به الكلام . وإنشاده « ضممت جناحيهم على القلب ضمة » .

(٤) السلجم : الطويل من الرجال . فى الذخيرة : « العلاجم » .

دخلتم في الدِّين قُطِعت أستاهكم[١]، وإن خرجتم منه أُخِذت التي فيها شفاهكم[٢]، وكنتَ أنت من رذايا، تلك السَّبايا، ومن عَبايا، تلك الخبايا[٣]، ومن خطايا، تلك المطايا، فلا تحرِدْ حَرْدَ المقهور، ولا تضجَرْ ضَجَر المبهور، ولا تحنق حَنَق الأسير [على القِدّ[٤]]، ولا تغضب غضب المستَقِى على العِدّ[٥]، ولا بأس عليك فقبلَك قَصَروا الأُمم، وهَصَروا القمم، وهم أبكار الزمان، وأفكار الأوان، لهم العرب العاربة، ومنهم عادٌ الغالبة، ذات[٦] الأحلام السِّداد، والأجسامِ الشِّداد، وإرمَ ذاتِ العماد، التي لم يُخلَق مثلها في البلاد، ومنهم لقمانُ صاحب النسور، وبانى القُصور، ومنهم ثمودُ الذين جابوا الصَّخرَ بالواد، ونحتوا البيوتَ فى الأطواد، والعمالقة والفراعنةُ أنتم لها أكَّارون، وحَرَبة عكَّارون، والتبابعة، والمرابعة[٧]، وذو القرنين صاحب السَّدِّ، وشِمِر مخرِّب سَمرقند، ٤٧ ب قال الله تعالى : ﴿أهم خيرٌ أم قومُ تُبَّعٍ﴾، فضربهم مثلا فى الجلالة. ولهم الملوكُ من حمير والمقاول [من كهلان[٨]] :

كانوا سماء الورى قبل النبيِّ وهم ... لما أتى الحقُّ فيهم أنجمٌ زُهُرُ[٩]

سموا بملكهمُ قبلَ الهدى وسَمَوا ... مع الهدى فهمُ آوَوْا وهُمْ نَصَروا

---

(١) كناية عن الختان.

(٢) كناية عن الرءوس. فى الأصل : « أخذت الذى فيه » ، وفى الذخيرة : « أخذت التى فيه » ، كلاهما محرف عما أثبت.

(٣) عبايا : جمع عبيئة ، وهو الشىء المعبأ . وهــذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « غبايا » . والخبايا . جمع خبيئة وهو ما خبئ . فى الأصل : « الحمايا » ، صوابه فى الذخيرة .

(٤) التكملة من الذخيرة . والقد : السير يشد به الأسير .

(٥) هذا الصواب من الذخيرة . وفى الأصل : « غضب الأسير على القد » . والعد ، بالكسر : الماء الدائم الذى له مادة لا انقطاع لها ، مثل ماء العين وماء البئر . وغضب المستقى عليه غاية فى الحمق .

(٦) الذخيرة : « ذوات » .

(٧) كذا وردت فى النسختين .

(٨) التكملة من الذخيرة .

(٩) فى الأصل : « لما أتى الخلق » :

ولاة، علاة، سماة، [حماة[١]]، لهم العلوّ والعَلاء[٢] وفيهم العَباهلة والأذواء .

ه الأنفُ في وجه الزّمان ومَجدُهُمْ   على صَفَحات الدّهر ليس بجامد[٣]
وسدُّوا على يأجوجَ لما تتابعت   على العَين في قُطر من العَين مبعد
ترى كلَّ ممطوف الوشاحين أخمصٍ   على كلِّ مخطوف الجناحين أجرد
فمن أمردٍ في السلم في حِلم أشيب   ومن أشيبٍ في الحرب في جهل أمرد[٤]
بأيديهم البِيضُ الرِّقاقُ كأنَّها   جداول ماءِ الموت قيل لها اجمدي

فأين حَصاتك من جبالهم، أم أين سَفَاتك من نبالهم[٥] .

(وفي فصل)، وعلامَ جئتَ أصلك من الأنباط، وأزحت فَصْلك عن الأقباط[٦]، ما كان ذنبهم إليك، وجنايتهم عليك، حتى أخرجتهم عن جملة الأعاجم، ونفيتَهم عن جُملة أصحاب التراجم[٧]، بسبب كريمتهم، ومن أجل شريفتهم، لنسبَّ العربَ بولادةٍ من تعلّق بك، وتشبَّث بنسبك . أمَا علمتَ أنَّ أحمقَ أفعالِك، وأخرق أقوالك، سبُّك عدوّك بولادةِ امرأةٍ من أهلك، أمَا هذا من جَهْلك .

---

(١) التكملة من الذخيرة .
(٢) الذخيرة: « الغلا والغلواء » .
(٣) هذا ما في الذخيرة . وفي الأصل : « وهم على صفحات الدهر نفس تخلد » .
(٤) هذا ما في الذخيرة . وفي الأصل : «في ثوب أمرد » .
(٥) السفاة : واحدة السفى ، وهو الشوك . في الأصل : « صفاتك » ، وفي الذخيرة : « سماتك » ، والوجه ما أثبت .
(٦) ناظر إلى قولهم : « لا أصل له ولا فصل »، أي لا حسب له ولا لسان. انظر اللسان (أصل) . وفي الأصل : « نصلك» ، وفي الذخيرة : « فضلك » .
(٧) التراجم : جمع ترجمان، وكان لملوك الفرس والروم تراجم. في الأصل : «البراجم»، وما أثبت من الذخيرة .

ولما قال ابن فَضالة[١] فى ابن الزُّبير :

ومالى حين أقطع ذاتَ عِرقٍ   إلى ابن الكاهليَّة من مَعَادِ[٢]

قال ابن الزُّبير : لو علم لى أمًّا هى شرٌّ من عَمَّته لسبَّنى بها ونسبنى إليها ! أفلا ترى كيف غلب عليه، وسقط[٣] شِعرُه فيه؟! وحاشا لمن كنّا فى ذِكره بلْ لها الشَّرف الأرتع ، والسَّناء الأمتع[٤] . هذا على اتِّصال نسبك برُومان ، ٤٨ ا فإن كنت من ولد كَنعان،فما أبعَدَ دارك،وأشحطَ مزارَك ، وأطمسَ آثارك . وأمَّا الخيلُ فسامِح العربَ بركوبها ووثوبها ، وخلِّ بينهم وبين عيوبها، فلا حظَّ لك ولا لأصحابك فيها . عليكم بالبراذين المحذَّفة[٥] ، والكوادن الموكَفة، الخيلُ حَرثُ العربِ وحَصادُها ، وعُدَّتها وأرصادها ، وإنَّك لتعلم أنَّ خيلَهم أشهر من ملوككم[٦] أسماءً وألقابا ، وأظهر من نُسولكم أنسابا وأعقابا . قالوا : بنات أعوجَ ، وآل الوجيه ولاحق ، وبنات العسجدى ، وآل ذى العُقّال ، وداحس والغبراء، والجرادة والخَنفاء[٧]،والنَّعامة والشَّمَّاء، وحافل والشقراء،[والزَّعفران

(١) هو عبد الله بن فضالة بن شريك الأسدى . الأغانى (١٠ : ١٦٢) . على أن الشعر ينسب أيضاً إلى عبد الله بن الزبير (بفتح الزاى) يقوله فى عبد الله بن الزبير (بضم الزاى) . زهر الآداب (٢ : ١٦٤) وخزانة الأدب (٢ : ١٠٠) .

(٢) الكاهلية هى زهراء بنت خنزاء ، من بنى كاهل بن أسد ، وهى أم خويلد بن أسد بن عبد العزى ، كما فى الخزانة والأغانى .

(٣) الذخيرة : « حتى سقط » .

(٤) يقال متع النهار متوعا : ارتفع وطال . الذخيرة : « الأمنع » بالنون .

(٥) المحذفة : المقطوعة الأذناب . فى الأصل : « المجدفة » ، وفى الذخيرة : « المخرفة » والوجه ما أثبت .

(٦) فى الأصل : « من أسماء ملوككم » .

(٧) الكلمة مبيض لها فى الأصل ، وهى فى الذخيرة : « الحيفان » ، والوجه ما أثبت . انظر القاموس واللسان (حنف) والخيل لابن الكلبى ٩ وابن الأعرابى ٧٠ والمخصص (٦ : ١٩٦) ونهاية الأرب (١٠ : ٤١) والعمدة (٣ : ١٨٢) . وهى أخت داحس لأبيه .

والحَرُون، ومَـكنون والبَطين والصريح وقُرْزُل، والعصا(١)] . وأسماؤها كثيرة وألقابها شهيرة ، ولعلّك أن تذكر لنا من خيل آبائك الأوّلين، وأفراس أفراقك الأقدمين(٢)، فرساً مشهورا، وفارساً مذكورا . ولو كنت فاخرت العرب بنَصْب الدّواليب ، وعطف الـكلاليب ، وغرس الأشجار ، فى الأحجار، وقَطْع ماعظُم من العَيدان ، وعمل العَلَاة والسَّندان ، رضينا ، وسلّمنا. فأما نحر(٣) الليل، بآذان الخيل ، وطئُ الفلاة ، بأيدى اليَعمَلات ، وشنُّ الغارات ، وطلب الثارات ، فلا عليكَ أن تخلِّىَ بينهم وبين شصائصهم(٤)، وألاَّ تنازعهم فى خصائصهم، فإنَّها إليهم أقرب ، وهم بها أدرب ، وهى بهم ألْيَق وأعلق ، [وهم إليها أسبق(٥)] يركبون إلى الحرب ، فى ثياب الشَّرب ، ويعتنقون الفَوارس ، كما يعتنقون الأوانس .

(وفى فصل) : وما عِبت من قومٍ ينزلون البَرَاح ، ويشربون القَرَاح ، ويرفعون العِماد ، ويُعْظِمون الرّماد :

الموقدون بنجـــدٍ نار بادية   لا يَحضُرون وفقدُ العزِّ فى الحضَرِ(٦)
إذا هَمَى القطر شبَّتها عبيـــدُهُم   تحتَ الغمائم للسَّارين بالقُطُرِ

(١) التـكملة من الذخيرة . على أنه ينقص الـكلام تتمة هذه السجعة ولعلها « وتحجل». انظر اللسان والصحاح والقاموس (حجل) وديوان لبيد ٣٦ فينا ١٨٨١ . يقول لبيد :

تكاثر قرزل والجون فيها   وتحجل والنعامة والخبال

وقرزل جاءت محرفة فى أصلها : « قرن »، والوجه ما أثبت . انظر الخيل لابن الـكلبى ٢٧ وابن الأعرابى ٧٥ ونهاية الأرب (١٠ : ٤١) والعمـدة (٢ : ١٨٢) والحماسة بشرح المرزوقى ١٤٩٤ .

(٢) أفراق : جمع فرق ، وهذه جمع فرقة .

(٣) الذخيرة : « بحر » وهى صحيحة . والبحر : الشق .

(٤) فى الأصل : «فلا على» . الشصائص : الشدائد ، يقال : نفى الله عنك الشصائص .

(٥) التـكملة من الذخيرة .

(٦) الأبيات لأبى العلاء فى سقط الزند . انظر الشروح ١٤٢ .

وما أدرى من أين كان فَقْدُ الأحطاب لو فقدوها مَثلبةً [وليست معدودةً فى حسب ، ولا نسب[١]] . ولقد اهتديتَ إلى طريقة ، وانتهيتَ إلى لطيفة[٢] ، ٤٨ ب فسبحان الله ما أصدَقَ حِسَّك ، وأسبق حَدْسك ، تدقَّقت وترقَّقت، حتى توثَّقت وتحققت ، لا ولكنك تعمَّقتَ حتى تحمّقت . فإنْ كان الأمرُ كما ذكرت ، فأين غَضَى نجدٍ وقُلاَّمه ، وأين رَنْدُه وبَشامُه ، وأين غَرَبه ونَبْعه ، وأين سَلَمه وسَلَمه ، وأين العَنَم والعَلَجان ، وأين السَّاسَم والبان، وأين الشَّيزَى والأثْأَب، وأين الرَّنَف والشَّوحط[٣] ، وكيف عرفوا دوحَ الكنهبل ، ومساويكَ الإسحل ، وكتابُ النَّبات يشهد عليك ، بما فيه من الأيك .

(وفى فصل) : وكيف استجزت على فَضْلِك الباهر، وشَرَفك — بزعمك — الظاهر ، أن تستعينَ على فخرك بخلاف الحقّ[٤] ، وتلجأ فى تهوُّرك إلى غير الصِّدق[٥] ، هل كان النُّعمانُ إلاَّ ملِكَ أملاك ، وشمسَ أفلاك ، أصلُه عريق ، وفرعُه وَريق ، نزل الحيرة ، وأنتم له جيرة ، ملكٌ شهم ، من لدن مالك بن فهم، له سَقْىُ الفرات يجبِى خراجَه[٦] ، ويستعبد أعلاجَه، فكفا كم العربَ جمعاء، من جلّق إلى صنعاء ، يذبُّ عنكم بماله ، واحتماله ، بعد عَقدٍ موكد ، وعهد منكم مؤبّد ، وأجارت العربُ من أجار . وأغارت على من أغار[٧] ، وحسُنَتْ حال الفُرس بمكانه ، وعزّت بسلطانه ، فلمَّا شمخ على أعلاجكم ، وامتنع من زَواجكم،

---

(١) التكملة من الذخيرة .

(٢) الكلام بعده إلى « كما ذكرت » ساقط من الذخيرة .

(٣) عدم اطراد السجع هنا يشعر بسقط . والكلام بعده إلى نهاية هذه الفقرة ساقط من الذخيرة .

(٤) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « بغير الحق » .

(٥) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « قهرك » .

(٦) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « سقيا » . و « يجنى » كذا وردت بالنون فى الأصل ، والأوفق « يجبى » بالباء ، وفى الذخيرة : « يسبى » .

(٧) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « وأغارت ما أغار » .

وقال لباغى السِّواد، عليك ببقَر السَّواد، استنزرتموه، فغدَرتموه(١)، فكيف رأيتم غضبَ العربِ لثارها، وطلبَها لأوتارها، ألم تصدمْكم بذى قار، صدمةَ ذى احتقار، فأدركَتْ فيكم رضَى الرحمن، وأخذت بثأر النُّعمان، وطحطحت بنى ساسان وآل كاسان، ولم تقم للفُرْس بعدها قائمة، ولا رعَتْ لها سائمة. ولم تزل فى قواصف تتقاذف، وعواصفَ تترادف، حتى تمم الله آفتها، واستأصل الإسلام شأفتها. وأمّا آل غسّان فالشرفُ الأقدم، والبناء الذى لايُهدَم، سالت من بلادها حينَ سال سيل العرم جائلة، وساحَت من أرضها جافلة(٢)، هاجرةً لأعطانها، نافرة عن أوطانها، وجاوَرَت الحجاز وهبطت الشّام(٣) فوجدت بلاداً ٩٠/١ ريفاً، خريفاً(٤)، ورجالا جُوفاً، عُجوفا(٥)، لايحمون، ولا يحتمون، فقالت: غنيمةٌ باردة، وبهيمةٌ فاردة، فنزلَت الزَّوراء، والغُوطة الزَّهراء.

وجالت على الجَوْلان ثم تصيَّدت ... مُناها بصَيداء الذى عند حاربِ(٦)
فألقتْ عصاها واستقرَّت بها النَّوى ... كما قرَّ عيناً بالإيابِ مسافرُ(٧)

على رغم أنوفكم، وقَطع شُنوفكم، وولَجُوا خدورَكم، على غيظ صدورِكم.

وما بُقيا علىَّ تركتمانى ... ولكنْ خفتما صَرَدَ النِّبالِ(٨)

فقلتم قضيّة كريمة، ونعمة عميمة، وسورٌ له باب، [باطنُه(٩)] فيه الرحمة

---

(١) يقال غدره وغدر به، إذا نقض عهده. الذخيرة: «شردتموه فقررتموه».
(٢) فى الأصل: «وساخت» والذخيرة: «سالت»، والوجه ما أثبت.
(٣) انظر العمدة (٢ : ١٧٧ — ١٧٨).
(٤) الذخيرة: «حريفا».
(٥) هذه الكلمة ساقطة من الذخيرة.
(٦) حارب: موضع من أعمال دمشق.
(٧) البيت لمعقر بن حمار البارقى، أو عبد ربه السلمى، أوسليم بن ثمامة الحنفى. اللسان (عصا). ونسبه الجاحظ فى البيان (٣ : ٤٠) إلى المضرس الأسدى. الذخيرة: «استقر» و «المسافر».
(٨) للعين المنقرى يهجو جريرا والفرزدق. اللسان (صرد).
(٩) التكملة من الذخيرة.

وظاهره من قِبَله العذاب ، لا يُستكفُّ الغَرْب ، إلا بالغَرْب ، ولا يُقطَع الحديد إلا بالحديد ، ودفع الشَّر بالشر أحزم . فمتى أدَّوا إليكم الإتاوة ، وحَمَلوا لكم الإداوة[1] ، وهم يحمونكم حِمَى القُروم أشوالَها ، ويمنعونكم مَنع الأسودِ أشبالَها. أم تُرا كم تركتم لهم الشامَ رعياً لذِمامهم ، وصِلةً لأرحامهم ! !

(وفى فصل): ونخرت بالرياضيَّة والأرضيَّة، صدقت ونُبْتَ عنى فى الجواب . هى كالرياضِ مريعةُ الذيول ، كثيرة الُجذول ، زَهْر مشرق ، ونَور مطرِق ، لا ثمر ، ولا كَثَر[2] .

وهل فى الرياض لمستمتعٍ سِوَى أن يَرى حُسنَ أزهارِها

وكالأرض الأريضة ، ذات العَرصة العريصة ، لا بناءَ فيُحَلّ ، ولا سماء فيُظِلّ[3] ، يُدفن فيها الأموات ، وتخمد فيها الأصوات .

وأما الاسترلوميقى الهندسية[4] فعلم عملى مبنى على التقاسيم ، والتراسيم ، وكله آلات ، للحالات ، وأدوات ، للذوات ، ومساحات ، للساحات ، وأمداد ، للأعداد ، وفى أفانين ، القوانين ، ليس فيها معنًى من تحصيل دقائق الفصول ، ولا تفصيل حقائق المحصول ، فأهلها عُمَّال ممتهنون ، وبأشكالها مرتهنون ، والعرب بعيدةٌ من المهنة ، نافرة من الخدمة . ومن قولكم أنَّ قسم العلم أفضل من قسم العمل فهى إذن أرذَل القِسمين ، وأسقَطُ العِلمين .

والُجومطريقَى علم الهيئات ، والطَّوالع وكَوْرها ، وجنسها ذو نوعين[5] ، ٤٩ ب

وبابه على مصراعين، القضايا ، وليست وصَايا[6] . أما الأوَّلون فقسموها[7] على

(١) الذخيرة : « وأملوا » .

(٢) الكثر ، بالفتح وبالتحريك : طلع النخل . وفى الحديث: « لا قطع فى ثمر ولا كثر » .

(٣) السماء مؤنثة، وإذا ذكرت عنوا بها السقف . اللسان (سما) .

(٤) انظر ماسبق فى ص ٢٥١ .

(٥) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « وجسمها فذو نوعين » .

(٦) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل: « وليست برضايا » .

(٧) الذخيرة : « فبنوها » .

أنَّ الطوالع مدبرة مقبلة، وهى أصولٌ فاسدة، وسوق كاسدة. وقال آخرون: هى كالعيافة، والزَّجرِ والقِيافة. وهذا باب مسلَّمٌ للعرب لهم فيه اليدُ الطُّولى، والمنزلة الأولى، لهم السَّوانح والبوارح، والقَواعد والنَّواطح[١]، وعندهم الأيامن والأشائم، والأواقى والحواتم، وغير ذلك من التمائم والرتائم، وفيهم من لا يعتمده ولا يرتَصِده، وفى أشعارهم[٢] شواهد على ذلك. وأما الكِهانة فكانت فيهم فاشية، ولهم غاشية، وقد سمعت بِشِقٍّ وسَطيحٍ، وزرقاءِ اليمامة وطُلَيحة الأسدى، ومُسيلِمة الحنفى، والأسود العنسىّ، وزُهَير بن جناب الكلبى، وأفعى نَجران، وحازى غَطَفان[٣] فلما جاءت الدِّيانة، بطلت الكهانة، ولمَّا نزل القرآن، زُجِر الشَّيطان.

وكذلك الدَّرجة الأخرى، فالعربُ بها أحقُّ وأحرى، وهى معرفةُ الشهور والأيَّام، وحساب الدُّهور والأعوام، والأفلاكِ وأدراكها، والأبراج وأدراجها، والنيِّرات وتعاورها، والدَّرارى وتغاورها[٤]، عرفوا السَّماء ومعائشها، والأرض وحشائشها، ووصفُوا الطَّوالع والغوارب، ورتَّبوا الثوابت وأنواءها، والنَّوائب وأدواءها، والأزمنةَ وأهواءها، فلا ينجم نجم إلَّا سمَّته، ولا ينبت نَبْت إلا وَسَمَته، ولا عيشَ فى سائر الأقطار، إلا بضامن الأمطار[٥]، كما لا ثبات للحيوان إلّا بالنبات، فقد عرفوا إذن طريقَىِ الحياة، ووصفوا فريقَىِ النَّجاة، وما سوى ذلك فضلٌ، ليس فيه فضل.

---

(١) جمع قاعد وناطح، ويقال أيضاً قعيد ونطيح. فالقعيد: ما أتاك من ورائك من ظبى أو طائر، يتطير منه، بخلاف النطيح.

(٢) فى الأصل: «ولا فى أشعارهم»، وكلمة «لا» مقحمة. وهذه الجملة ساقطة من الذخيرة.

(٣) الحازى: الكاهن. وفى الأصل: «جازى»، صوابه فى الذخيرة. وانظر حواشى الحيوان (٦ : ٢٠٤) والبيان (١ : ٢٨٩ — ٢٩٠).

(٤) بدله فى الذخيرة: «الأعراب أدرى بها».

(٥) الذخيرة: «بعابر الأمطار».

وأما الطِّبُّ فجمعته العربُ فى كلمتين معلومتين ، ولفظتين محفوظتين ، على ٥٠ ب رأيها فى الاقتصار ، ومذهبها فى الاختصار ، فقالت : « المعدة بيت الداء ، والحِمْية رأسُ الدواء » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « أصل كلِّ داء البَرَدة[1] » ، وقالوا : « كلْ وأنتَ تشتهى ، ودَعْ وأنت تشتهى » ، فجمعوا الطبَّ بأظافيره ، والصلاحَ بحذافيره ، وإذا فتشت أصولَ سُقراط ، وتبيّنتَ فصول بُقراط ، لم تجد مُستزادا مستَجادا ، ولا مستراداً مستفادا ، وليست هذه الأمورُ مما ينفرد بها أفرادُهم ، ولا يَخُصُّ بها آحادهم ، بل يَنطِق بها صغارُهم وكبارهم ، ويعرفه نساؤهم ، ويَهتِف به إماؤهم ، وأشعارُهم بذلك ناطقة ، وأخبارهم عنه صادقة ، ما تَلَوا فيه متلُوًّا ، ولا قرَوا به مقرُوًّا[2] ، لكنَّها الطِّباع الصافية ، والقرائح الكافية ، والغرائز السليمة ، والنَّحائز الكريمة ، تُلتَقط الحِكَمُ من مخاطباتهم ، وتسير الأمثال من مجاوباتهم ، على منهاج واحدٍ من الفصاحة فى المحاورة ، والمشاورة ، وعلى طريقةٍ واحدة من البلاغة فى المسالمة ، والمراغمة ، والمواجزة ، مع المناجزة ، ولا يتعلَّمون ولا يتأمَّلون ، بل يرسلون الحِكَمَ إرسالا ، ويبعثون الفِطَن أرسالا . والموسيقى علم اللُّحون [فما[3]] بالعَجَم إليه حاجة مُجحِفة ، وضرورة مُعجِّفة ، لعجز[4] طباعِهم عن الأوزان ، وقلَّة اتِّساعهم فى الميدان[5] ، لأنَّ لغاتِهم قليلة ، وقُواهم كليلة ، لا تستجيب إلاَّ بوسائط ، ولا تستقلُّ إلا ببسائط ، ليس عندهم شِعر موزون ، ولا كلامٌ مرصون ، ولغة العربِ واسعةُ العبارات ، ناصعة الإشارات ، لها الشِّعر الموزون ، والنَّظْم المكنون ، والكلام المنثور ،

---

(١) البردة ، بالتحريك : التخمة ، لأنها تبرد المعدة فلا تنضج الطعام .

(٢) الذخيرة : « ولا قرءوا فيه مقروا » .

(٣) التكلمة من الذخيرة .

(٤) الذخيرة : « لنبو » .

(٥) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « الميزان » .

والسَّجع المأثور، والرَّجَز المشطور، والمُزدوِج المبتور، ولعبيدها في ذلك كله الأَلحون الشجيَّاتُ، المطربات، والمعامل والمامل[١]، والأهزاج والأرمال، وغير ذلك من الأعمال، كالرَّكباني والأعرابي، والنَّصْبِيِّ[٢] والمدَنيّ، والثقيل الثاني، وعمود المدني، والماخُوريُّ والسُّرَيجي[٣]، وخفيف المدني، وهي كثيرة، أثيرة، ٥٠ ب
نُسِيَ معها الأَرغَن[٤] والسلمان[٥] والصَّنْج[٦] والـكنـكلة[٧] والفندورة[٨] والقيثارة[٩]، فلا يُعرفن ولا يؤلَفن.

وما أظنُّ مَعبداً والغريضَ وأصحابهما قرءوا قطُّ موسيقي، ولا سمعوا منطيقاً.

---

(١) كذا بالإهمال في الأصل. وفي الذخيرة: «والتهاليل والتغاليل».

(٢) النصبي: ضرب من الغناء. وفي الأغاني (٥: ١٧٣) في أخبار أحمد النصيبي: «النصيبي هو صاحب الأنصاب وأول من غنى بها، وعنه أخذالنصب في الغناء». في الأصل: «المنصبي» مع إهمال النون والباء، صوابه في الذخيرة.

(٣) الماخوري هو خفيف الثقيل الثاني، وهو نقرتان خفيفتان ثم واحدة ثقيلة. مفاتيح العلوم ١٤١. وورد بكثرة في أغاني أبي الفرج. انظر منها (٥: ٢١، ٥٨) طبع دار الـكتب. والسريجي: نسبة إلى سريج المغني. والـكلام بعده إلى «الشليان» ساقط من الذخيرة.

(٤) الأرغن: آلة موسيقية هي باليونانية: «أرجن» Arghau أو أرجنون Arghanun معجم استينجاس ٣٨. وفي مفاتيح العلوم للخوارزمي ١٣٦ «الأرغانون: آلة لليونانيين والروم، تعمل من ثلاثة زقاق كبار من جلود الجواميس، يضم بعضها إلى بعض ويركب على رأس الزق الأوسط زق كبير، ثم يركب على هـذا الزق أنابيب صفر، لها ثقب على نسب معلومة يخرج منها أصوات طيبة مطربة مشجية، على ما يريده المستعمل». ونحوه في كشف الظنون في رسم (الموسيقى)، ونسب كاتب جلبي صنعته إلى «أرسطو». وانظر ابن النديم ٣٧٧ حيث ذكر الأرغن البوقي، والأرغن الزمري.

(٥) كذا. وفي مفاتيح العلوم ١٣٦: «الشلياق: آلة ذات أوتار لليونانيين والروم تشبه الجنك».

(٦) الصنج: آلة وترية، وهي بالفارسية «چنگ». مفاتيح العلوم ١٣٧ ومعجم استينجاس. وفي الأصل «الصلح» بدون إعجام. وفي الذخيرة: «الضبخ»، صوابه ما أثبت.

(٧) في معجم استينجاس أن «كنكر» اسم آلة موسيقية تستعمل في الهند. وفي الذخيرة: «الـكبكلة».

(٨) وردت الـكلمة في الأصل مهملة. وفي الذخيرة: «الفيدورة».

(٩) الـكلمة مهملة في الأصل. وفي الذخيرة: «الفشارة». والقيثارة: معرب من: Kithara اليونانية.

فاعرضْ إن شئتَ ألحانَهم المطبوعة ، على أوزانكم المصنوعة ، فأظهِرْ غلطَهم في التنغُّم ، وخطأهم في التَّرنُّم .

على أنه من العلم المذموم ؛ روى في الحديث : « إنَّ أول مَن غنَّى وناح إبليس حينَ أكلَ آدمُ من الشجرة » . قيل : وهو أوَّلُ من عمِل الطنبور ، فلا مرحباً بعلمٍ إبليسُ اللعينُ فيه الأستاذ .

وقد كان منهم مَن إذا غنَّى ثَنَت الوحشُ أجيادها ، وفارقت اعتيادَها ، وعطفت خُدودَها، وتركت شُرودَها، مصغيةً إليه ، مقبلةً عليه ، فإذا قطع عاودَتْ نِفارها ، وطلبت أوكارها . هذا فعلُ الأوابد ، والوحوش الشوارد ، فما ظنُّك بالقلوب الرقيقة ، والفِطَن الرّشيقة . ولقد ألّفَ الإسلاميُّون في الأغاني، وما يتّصل بها من المعاني ، ما إنْ نظَرْتَ بمَيْزٍ وحكمت بعدل ، وقفت[1] على الفضل ، في هذا الفصل ، ولم تُحوِجْك العصبية ، والنَّفسُ الغَضَبيّة ، إلى شهادة الزُّور ، والجور المأزور .

وأما الأنوطيقى واللوطيقى[2] فهناك جاءت الأحوقَى، والأُخروقَى ، وظهر عجزُ القوم وبانَ أنّهم أغمار، ليس فيهم إلّا حِمار[3]، وضلّ سعيهم في الحياة الدنيا لمَّا وصلوا إلى حيثُ تنفرد العقولُ[4] بنظرها ، والبصائر بفِكرها ، فمنهم الدُّهرية أنكروا المعقول، والعِلمَ المنقول، والدّليلَ والمدلول، وهم يُبصِرون تعاقب الأضداد وتعاوُرَ الكَون والفَساد ، ومنهم الطبيعيون وهم أيدى سبا[5] ، وفِرَقٌ شتّى، قوم يقولون: العالم من أصلين: هوائّ وأرضيّ ، فجمعوا بين الرّاسب والطافى ،

(١) في الأصل : « ووقفت »، صوابه في الذخيرة .
(٢) في الذخيرة : « الأنلوطيقى والطوميقا » . وانظر ماسبق في ص ٢٥١ .
(٣) الذخيرة : « أنهم أعجاز ، ليس فيهم إلا جماز » .
(٤) الكلام بعده إلى « العقول » التالية ساقط من الذخيرة .
(٥) الذخيرة : « أيادى سبا » .

والكَدِر والصافى[١] . ومنهم من قال إنّ العناصر أربعة هى بسائط للمركَّبات، فقضوا بائتلاف المتضادَّات ، وتركيب المُتَحادّات[٢] . ٥١ أ

فإن قيل: كيف صارت متظافرة، وهى متنافرة ، [وغدت متجاورة، وهى متغاورة ، وإذا كانت تتهارج ، كيف تتمازج[٣]] ، أم كيف يمتزج الصاعد بالراكد ، ويلتبس الحارُّ بالبارد ؟ قالوا : جمعها جامع ، وقَمَعَها قامع ، بطبعه لا باختياره ، وفعله لا باقتداره ، وهذا غايةُ المحال ، ونهاية الاختلال ، لأنَّه لابد أن يكون الخامس مثلَها أو مثلَ بعضها ، أو مخالفاً لكلِّها . فإنْ كانَ مثلها أو مثلَ بعضها فلا حاجة بها إليه مع وجود مثله ، وإن كان مخالفاً لسائرها فلا بد من سادسٍ لتغايرها ، ثم كذلك إلى غير غاية .

قال صاحب الكتاب[٤]: وبيَّن أبو الطيب بُطلانَ كلامهم[٥] فى احتجاجٍ طويل ، تركته تخفيفاً للتثقيل[٦] . ثم قال :

وأمَّا أصحاب الطوالع ، وعُبَّاد المطالع ، فاختلفوا فى الهيئة أيضاً على جهات، ووصَفوها بصفات ، لاسيَّا المنجِّمين ، وهم فنونٌ ، فى الجنون ، يقولون فَلَكُ الأفلاك ، ودَرَكُ الأدراك ، والفَلَكُ الأثير ، وهذَيان كثير ، وعبدوا الشَّمس وسَجدوا للنَّار والكواكب وهم يرون آثار النَّقصِ فيها ، ودلائلَ الحدث تعتريها ، من طُلوع وأفول ، ويزعمون أنَّها تتغاير وتتمانع ، وتتكاسف

---

(١) بعده فى الذخيرة : « ذهب بقوله أبو الطيب :

تبخل أيدينا بأرواحنا ... على زمان هن من كسبه

فهذه الأرواح من جنده ... وهذه الأجسام من تربه».

(٢) التحاد: التخالف والتنازع .

(٣) التكملة من الذخيرة، وقد بيض لها فى الأصل . وفى نسخة الذخيرة: « متعاورة » وإنما هى « متغاورة » أى متعادية يغير بعضها على بعض .

(٤) هو ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة . انظر التقديم ص ٢٣١ .

(٥) الذخيرة : « قولهم » .

(٦) فى الذخيرة : « أضربنا عنه تركا وتخفيفا للتطويل » .

وتتخاسف ، وكلٌ بصاعٍ هذا التخليط ، من هذه الأغاليط ، لا يعرفون رُشْدا ، ولا يهتدون قصدا .

هذا مقدارُ عقول حكمائك ، ونهاية آراء علمائك ، وهذا قليلٌ من كثيرِ هذيانهم ، وأُوارٍ من عُوار غليانهم . فإنْ قلت : فإنّ العرب أيضاً كانت تعبد الأصنام ؟ فنحن ما أحمَدْنا لك دينَها ، ولا رضينا يقينَها ، بل نعلم أنَّ من قال منها بالإشراك، فقد قصَّر فى الإدراك ، وهى على كلِّ حال تذكُر الله تعالى ، كما قال عزّ وجل : ﴿ ولئن سألتَهم مَنْ خَلَقهمْ ليقولُنّ اللهُ ﴾ وقالوا : ﴿ ما نَعْبُدهم إلّا ليقرِّبونا إلى الله زُلْفَى ﴾ . وكثيرٌ من يقرُّ بالبعث والجزاء . ويعترف بالحشْر واللقاء . وكان منهم من رغِب عن عبادة الأوثان . وتفرّقوا فى الأديان، فكانت ٤١ ب حِمْيرُ على دين مُوسَى ، وكان بنو الدَّيَّانِ وأهلُ نَجْران وتغلب وغَسَّان على دينِ عيسى ، وكانت فيهم المِلّة الحنيفية الإسلامية ، والشَّريعة الإبراهيمية ، ومن أهلها كان قُسُّ بن ساعِدةَ الإيادىّ، وورَقة بن نوفل الأسدىّ، وزيد بن عمرو من بنى عدى[1] ، وقتلته الرُّومُ لذلك[2] . وقد قيل ، فى خالد بن سِنان ما قيل[3] .

وكان أبو كَرِب الحِميرىّ[4] أحدُ التبابعة قد آمن برسول الله عليه السلام، قبلَ مبعَثه بسبع مائة عام ، وقال :

---

(١) هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى . السيرة ١٤٣ جوتنجن .

(٢) الذى فى السيرة ١٤٩ أن بنى لخم الذين قتلوه . فقد يكون ذلك بإيعاز من الروم .

(٣) فى الحيوان (٤ : ٤٧٦) : « أحد بنى مخزوم ، من بنى قطيعة بن عبس ، ولم يكن فى بنى إسماعيل نبى قبله ، وهو الذى أطفأ الله به نار الحرتين » . وانظر بقية خبره فى الحيوان وحواشيه ومروج الذهب (١ : ٦٧) .

(٤) سماه فى مروج الذهب « أسعد أبو كرب » . وفى التيجان ٢٩٤ أنه تبان أسعد أبو كرب . ومثله فى السيرة ١٢ . وفى العمدة (٢ : ١٧٦) « تبع بن كليكرب ، وهو أبو كرب تبع الأوسط » .

شهدتُ على أحمدٍ أنّه ... رسولٌ من الله بارِى النَّسَم [١]
فلو مُدَّ عُمرى إلى عمره ... لكنتُ وزيراً له وابن عم

وقد ذكر بعضُ أهلِ المقالاتِ أنَّ عبد المطلب بن هاشم كان من المهتدين فى الدِّين، واستدلَّ بأنه أجيب لمّا سأل [٢]، وسُقِىَ حين ابتهل، وذكرَ سيفَ ابنَ ذى يَزَن، وحزِنَ على فَوته أشدَّ الحزن، وأكّد له العهود، وحذّره عليه اليهود [٣].

ولمّا دُعُوا دخَلوا فى الدِّين أفواجا، وأتوه أزواجا، إلّا من أدركَتْه النَّفاسة، وحبُّ الرياسة، وسبَقَت عليه الشِّقوة، وورِمَ أنفُه من النَّخوة، كأبى جهل ابن هشام، وعامرِ بن الطُّفَيل، وأُميَّةَ بن أبى الصلت وغيرهم.

وقال معاوية فى كلام له مشهور: «فما كان إلا كغِرار العَين حتَّى جاء نبىٌّ لم يسمَع الأوَّلون بمثله، ولا سَمِع الآخِرون به، ولقد كنَّا ننخر بذكره على من نطرأ عليه [٤] [ويطرأ علينا [٥]] وإنا لنكذّبه، ونتبجح بذكره وإنا لنحاربه».

هـذه لمعٌ من أمور الجاهلية، وطُرَف من مفاخر الأوَّليّة، إن أنصفتَ نفسك، أو صدَّقت حسَّك، عرفتَ أين يقع منها مُفاخِرُوها [٦]، وهل يِشقُّ غبارَها مُجارُوها [٧].

---

(١) البيتان فى المراجع المتقدمة. وزاد المسعودى — فى بعض نسخه:
وألزم طاعته كل من ... على الأرض من عرب أو عجم
(٢) سأل الله حماية البيت من الحبشان. السيرة ٣٤ — ٣٧.
(٣) يشير إلى قول سيف بن ذى يزن لعبد المطلب حين وفد عليه لتهنئته: «والبيت ذى الحجب، والعلامات على النصب، إنك ياعبد المطلب، لجده غير الكذب، فاحفظ ابنك واحذر عليه من اليهود فإنهم له عدى ... ولولا أن الموت مجتاحى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار مملكته». التيجان ٣٠٩.
(٤) فى الأصل: «يطرأ عليه»، والصواب من الذخيرة.
(٥) التكملة من الذخيرة.
(٦) فى الأصل: «مفاخرها»، صوابه فى الذخيرة.
(٧) فى الأصل: «مجاورها»، صوابه فى الذخيرة.

(وفى فصل) وما تصنع إذا اُشيرت الكمائن، ونُثرت الكنائن، ٥٢/١ وقَرعتك القوارع، وفَرعتك الفوارع[(١)]، وماست راياتُ السّيادة، وخفقت ألوية السّعادة، وطلعت عليك طوالع النبوّة فى أبّهة الجلال والجمال، وسَماحة[(٢)] العزّ والكمال، وقيل لك: هذا سيِّد ولد آدم أوّلهم وآخِرهم، خاتم الأنبياء، وقاتل الأغبياء أشهدُ أنّ الله لم يجعل محمداً هاشمياً إلا وهاشمٌ خير قريش، ولا قرشياً إلا وهم خير مضر، ولا مضرياً إلا وهم خير العرب، ولا عربيا إلا وهم خير الأمم لهم كعبةُ الله، وولادةُ إسماعيل، ودَعوة إبراهيم، وإليهم مُهاجَر هود وصالح وشُعيب وأتباعهم من المؤمنين، وأشياعِهم من المُوقنين فيهم كان حِمامُهم، وعندهم دُفِنت رِمامُهم، لا كَتَنائك[(٣)] الذى أسررت فيه حسواً فى ارتغاء، ودفعاً فى ابتغاء، وكشفتَ فيه ضَبابك، عن ضِبابك[(٤)]، وهتكت أستارَك، عن ابتسارِك[(٥)]، وظننتَ أنّ مَخالِطَك، تُخفِى مَعالطك[(٦)]، وأنّ مدحك، يستر قَدْحك حين مدحتَ مدحاً بَجَليًّا[(٧)]، وأثنيت ثناء دَخَليا[(٨)]، ولم يُمدَح مَن ذُمَّت

---

(١) هذه الجملة ساقطة من الذخيرة.

(٢) فى الأصل: «شماخة»، وأثبت ما فى الذخيرة.

(٣) فى الأصل: «لا كتنائك»، وفى الذخيرة «لا كساءك»، والوجه فيهما ما أثبت.

(٤) فى الذخيرة: «وكشفت فيه ضحابك»، صوابه فى الأصل. والضباب، بالكسر: جمع ضب، وهو الحقد والعداوة. قال:

فما زالت رقاك تسل ضغنى   وتخرج من مكامنها ضبابى

وفى الأصل: «ضبائك»، صوابه فى الذخيرة.

(٥) الابتسار: أن يؤخذ الشىء غضا طريا. فى الأصل: «من استارك» وفى الذخيرة: «من ايتسارك»، ووجههما ما أثبت.

(٦) المعالط: جمع معلط، من العلطة، وهو السمة يوسم بها.

(٧) إشارة إلى قول عويف القوافى فى مدح جرير بن عبدالله البجلى:

لولا جرير هلكت بجيله   نعم الفتى وبئست القبيله

انظر الأغانى (١٤ : ١٠٧ / ١٩ : ١٤).

(٨) الدخل، بالتحريك: العيب والغش والفساد. وفى الأصل: «وخليا»، والذخيرة: «وجليا»، صوابهما ما أثبت.

قبائله[١] ، ولم يثبت مَن جُذَّت حبائله. أجعلتَ ويلك تِبره فى الرَّغام، بل الرَّغام لأنفك ،والرُّعام لوجهك[٢] .لقد أخللتَ بنفسك وزلّت قدمُك، وأحللت بعقدك وقد حلّ دمُك . ولو صح اعتقادُك ، لصحّ انتقادك، ولو خلص باطُنك، لأَقصَرَ باطلك ، ولو اصطُلِمت، ماظُلِمت، ولو اختُرِمْتَ ، ماوفى بما اجترمت[٣] .

سمع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بعض كاتبيه، وعُيِّر بنصرانية أبيه ، فضرب لنفسه مثلا يجلُّ عنه ،ويرتفع عن قدره ، فقال له عمر . أوَ قد قلتَها ،والله لاتشرب البارد بعدها! وأمر به فضربت عنقه .

فأمَّا إذْ أغفل ولاةُ الأمر تأديبَك ،وتأديبَ الكافّة بك فأحلُّوا تأنيبك ، وتأنيب السُّفهاء مثلك ، فتُبْ إلى الله توبةً تَهديك ،وتُنْجيك .وعلى أنك خَلَفٌ، من ذلك السَّلف ، رأيك فيه رأى أهلك ،وفرعك جارٍ على أصلك ، إلاّ أنَّ السيفَ قَهرك ، والدِّين قسرك ، وأخذَك حكم الدَّار ، وخوفُ البِدار ، فأنتَ ٢ ب تَشرَقُ بريقك ، وتَغصُّ برحيقك ، ولابدَّ المصدور أن ينفث ، والمبهور أن يُغَوِّث[٤] :

ولا بدَّ للمـــــاء فى مِرجـل على النَّار موقدةً أن يفورا[٥]

كمـل التقييد والحمد لله كثيرا[٦] .

---

(١) سبقه بنحو هذه العبارة محمد بن سلام . الأغانى ١٩ : ١٤ .

(٢) الرعام بالضم : المخاط .

(٣) هذا ماق الذخيرة . وفى الأصل : « لوفى بما اجترمت » .

(٤) غوث تغويثا : قال : واغوثاه .

(٥) الذخيرة : « مسعرة » .

(٦) هذه صورة ماورد فى ختام الأصل من مجموعة الإسكوريال .

نوادر المخطوطات

٤

بتحقيق
عبد السلام هارون

المجموعة الرابعة

وقد ألحق بها (الفهارس العامة) للمجلد الأول

١٥ — رسالة فى شرى الرقيق وتقليب العبيد ، لابن بطلان .

١٦ — هداية المريد ، فى شراء العبيد ، لمحمد الغزالى .

الطبعة الثانية

١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبى وشركاه - خلفاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذه هي المجموعة الرابعة من (نوادر المخطوطات) ، وهي تضفي بيانا تاريخيا على ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية التي عاشتها أجيال شتى على جنبات هذه الدنيا . وهي وثيقة تاريخية للباحثين في حضارة أسلافنا العرب وأسلافنا المصريين، نعرضها مبسوطة في هذين الكتابين النادرين وقد اقتضانا موضوعهما أن نمهدلهما بكلمة في تاريخ الرق في العصور القديمة ، ثم في العصور الحديثة .

كلمة في الرق والرقيق

الرقيق كلمة مأخوذة من الرق، وهو الملك والعبودية، يقال رقّ العبدَ وأرقَّه واسترقَّه : فهو مرقوق ومُرقّ ، ورقيق ، ومرجع معناه إلى القدر المعنوي المشترك في هذه المادة ، وهي الضعف والخفة . كما أن العبد مأخوذ من العبودية ، وهي الخضوع والطاعة . و « الرقيق » من الألفاظ التي تقال للواحد وللجميع ، فالعبد رقيق، والعبيد رقيق أيضاً .

الرق عند قدماء المصريين :

لم يكن نظام الرق مما ابتدع الإسلام ، وإنما كان نظاما يسود الأمم القديمة ، عرفه المصريون واستخدموا الرقيق ، ولا سيما في قصور ملوكهم وبيوت كهانهم ورجال الحرب. وكانت الأَمَة ترفع أحيانا عندهم إلى مقام الزوجة، وكان من شريعتهم أن من قتل الرقيق يقتل فيه[1] .

(١) انظر الرق في الإسلام لأحمد شفيق باشا بترجمة أحمد زكي باشا ص ٩ .

عند الأسيويين :

وكان كذلك عند الهنود، وكانوا يسومون الرقيق سوء العذاب، ووضعت شريعتهم القديمة عقابا قاسياً للجرائم التي ترتكبها طبقة (السودرا) التي يؤخذ منها الرقيق (دازا) .

وكذلك عرفه الأشوريون والإيرانيون والصينيون وكان الصيني يضطر أحيانا لبيع نفسه أو أولاده لكي يعيش .

عند الإسرائيليين :

وعرفه الإسرائيليون، فكانوا يبيعون الفقراء ويملكونهم[1] . وكما كان الفقر من مبررات الرق كانت السرقة كذلك من مبرراته ، فمن ثبتت عليه السرقة بيع بسرقته[2] .

ودينهم يوصى بحسن معاملة الرقيق، بل يضرب أجلا مقداره ست سنوات للعبد العبراني يقضيها في خدمة مولاه ثم يضحى بعدها حراً طليقاً[3] .

وإذا ضرب إنسان عين عبده أو عين أمته يطلقه حراً عوضاً عن عينه ، وإن أسقط سن عبده أو سن أمته يطلقه حراً عوضاً عن سنه[4] .

عند اليونان :

وأما اليونان فكانوا كذلك يقتنون العبيد والجواري، وكان أرسطو يقول بأن الرق نظام مطابق للطبيعة[5] . وكان يعرّف الرقيق بأنه آلة ذات روح، أومتاع

---

(١) لاويين ٢٥ : ٣٩ ، ٤٠ و٤٧ — ٥٥ .
(٢) خروج ٢٢ : ١ — ٣ .
(٣) خروج ٢١ : ٢ وتثنية ١٥ : ١٢ .
(٤) خروج ٢١ : ٢٦ — ٢٧ .
(٥) القانون الروماني للدكتور محمد عبد المنعم بدر ص ٩ .

قائمة به الحياة(١) . وأرسطو نفسه كان له غلمان وقيان ، جاء فى وصيته عند ماحضرته الوفاة(٢) :

« . . . والعناية بما ينبغى أن يعنوا به من أمر أهل بيتى وأربلس خادمى ، وسائر جوارىَّ وعبيدى » .

وهو يأمر بعتق بعض جواريه بعد موته: « . . . ولتعتق جاريتى أمارقيس ، وإن هى بعد العتق أقامت على الخدمة لابنتى إلى أن تتزوج فليدفع إليها خمسمائة درخمى(٣) وجاريتها ، ويدفع إلى ثاليس الصبية التى ملكناها قريباً غلام من مماليكنا وألف درخمى » .

ويرى الاحتفاظ بغلمانه فيقول فى وصيته : « ولا يباع أحد من غلمانى ولكن يقرُّون فى الخدمة إلى أن يدركوا مدرك الرجال ، فإذا بلغوا فليعتقوا » .

عند الرومان :

أما الرومان فكانوا كذلك يؤيدون نظام الرقيق ، بل يعتبره الخطيب الرومانى شيشرون: (Cicero) نظاما ضروريا. وكذلك يذهب سينيك: (Sénèdune) أحد فلاسفة الرومان إلى أن لاغضاضة فى الرق ، فإن الحرية إنما هى حالة نفسانية من حالات الضمير ، فالعبد إذا كان عاقلا يمكنه أن يعيش حراً فى الواقع ، إذ العبد الحقيقى هو من كان طوع شهواته(٤) .

---

(١) الرق فى الإسلام لأحمد شفيق ١٨ .

(٢) أخبار العلماء للقفطى ٢٥ — ٢٦ .

(٣) هى الكلمة اليونانية التى جعلت فى العربية « درهم » ، وقد اختلفت قيمة الدرهم الفضى باختلاف الأزمان والبلد ، فكان يعادل ما يقرب من أربعين مليما مصريا وأربعين فلساً عراقياً . وكلمة « دراخمة » معناها قبضة لأنها كانت مساوية لقيمة قبضة من النقود الحديدية والنحاسية التى كان يستعملها عامة الشعب . وكانت قيمة الدراخمة الشرائية عالية جدا ، حتى إن الرجل الذى يبلغ دخله خمسمائة دراخمة كان يعد من الأغنياء. النقود العربية للأب أنستاس ٢٤ ، ٨٨ . هذا ، وقد جرى العرف عند فقهائنا المحدثين أن يقدروا الدرهم بخمسة وعشرين مليما أو فلساً عراقيا.

(٤) انظر القانون الرومانى ص ٩ .

وأصل نشأة الرق عندهم مبنى على المبدإ الذى كان متبعاً فى الحروب القديمة التى وقعت فى العصور البدائية ، إذ كان الناس فى أول الأمر يقتلون أعداءهم إن ظفروا بهم ، إذ لم يكونوا يستطيعون استخدامهم بطريقة مأمونة منظمة، ولكن بتحضر الإنسان، واستيطانه لأرض معينة يقوم بزراعتها ورعى ماشيتها، شعر بحاجته إلى استخدام هؤلاء الأعداء فى الزراعة والرعى بدلا من قتلهم ، مكان الرق .

فالسبب الرئيسى للرق عند الرومان هو الأسر فى الحروب، وكذلك الولادة من المرأة المملوكة ولو كان رجلها حراً .

والرومانى لا يمكن أن يصير رقيقاً فى نفس البلدة التى عاش فيها حرا ، فالرومانى الذى يصير رقيقاً لابد أن يكون تسليمه خارج روما ، إما بحكم القاضى أو بوساطة الشخص الذى يخوله القانون حق بيعه . فللقاضى أن يبيع خارج روما الرومانى الذى لم يقيد اسمه فى قوائم التعداد، أو الذى يهرب من الحرب أو التجنيد . وللأب أن يبيع أولاده خارج روما باعتبارهم أرقاء . وللدائن أن يبيع مدينه المعسر خارج روما . وللمسروق منه إذا ضبط السارق متلبساً بالجريمة أن يبيعه كذلك . وللقاضى أن يسلم الرومانى الذى اعتدى على دولة أجنبية موالية لروما .

هذا ما كان متبعاً فى العصر الجمهورى . أما فى العصر الإمبراطورى فقد ألغى نظام استرقاق الشخص الرومانى بالمسوغات السابقة إلا فى حال السرقة واستبدل بها مسوغات أخرى ، هى أن يتواطأ الشخص مع غيره أن يبيعه على أنه رقيق حتى إذا تمت الصفقة استرد حريته وقاسم شريكه الثمن، ففى هذه الحالة يحرم حريته ويصير رقيقاً حقاً، وكذلك المحكوم عليهم بالإعدام أو بالأشغال الشاقة أو بمنازلة الأسود، يضرب عليهم الرق وتظهر ثمرة ذلك بالنسبة لورثتهم فإنهم يحرمون من ميراثهم الذى أصبح ملكا للامبراطورية . كما أجاز القانون أن يسترق المعتق معتوقه بعد عتقه، ولا عبرة بجحود هذا الأخير .

ومع ذلك أوصت القوانين الرومانية بحماية الرقيق من سوء معاملة السيد[1] .

(١) انظر القانون الرومانى ص ١٦ .

وكان هناك ضرب من العبيد يسمى «عبيد الحراثة» وهم عبيد الأرض، وهؤلاء يعدون أحسن العبيد حالا عندهم، يتمتعون بحقوق لا يتمتع بها غيرهم[١].

عند الأوربيين :

وكذلك كثر الرقيق فى أوربا القديمة عند الأمم المتبربرة وعند الغاليين والجرمانيين الذين بلغ من ولوعهم بالميسر أن يقامروا على نسائهم وأولادهم، بل على حريتهم الشخصية[٢]. وكذا الفرنج واللومبارديون والأنجلوسكسون.

ومما يجدر ذكره أن من أوائل الدول الأوربية التى حرمت الرقيق الدنمرك إذ صدر بها قانون سنة ١٧٩٢ يحرم تجارة الرقيق منذ سنة ١٨٠٢ وأصدر الإنجليز قانون تحريمه سنة ١٨٠٧[٣]. وفرنسا ألغت نظامه بعد ثورتها فى فبراير سنة ١٨٤٨[٤].

عند العرب :

وأما العرب فى جاهليتهم فكانوا فى أعقاب الغزو يستحوذ الغالب منهم على رجال المغلوب ونسائه ويتخذ منهم الرقيق. ونجد فى الشعر الجاهلى العبد والعبيد والعبدان، والأمة والإماء والإموان، والسباء.

وفى أسد الغابة[٥] أن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من قضاعة وأمه من طيئ، فأصابه فى الجاهلية سباء، لأن أمه خرجت تزور قومها بنى معن فأغارت عليهم خيل بنى القين بن جسر فأخذوا زيداً فقدموا به سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد. وقد وهبته خديجة لرسول الله فأعتقه.

وكان للعرب كذلك رقيق من الأمم الأخرى ممن حرره الإسلام فيما بعد، ومن أشهر هؤلاء الموالى بلال الحبشى، وسلمان الفارسى.

وأجاز الإسلام فى أول الأمر استرقاق المسلمين للعرب الذين يؤسرون فى

(١) انظر (أعجب ما كان، فى الرق عند الرومان) للزعيم مصطفى كامل ص١٨ — ١٩.
(٢) الرق فى الإسلام ص ٣١.
(٣) انظر: The great encyclopedia of universal Knowledges
(٤) الرق فى الإسلام ص٤٨. (٥) أسد الغابة ٢ : ٢٢٤.

الغزوات ، كالذى كان فى غزوة بنى المصطلق — وهم عرب من خزاعة — يروى ابن هشام[١] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب منهم سبياً كثيراً فشا قَسْمه بين المسلمين، وأن جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار زوج رسول الله كانت فيمن قد سبى، ووقعت فى القسمة فى سهم ثابت بن قيس بن الشماس أو ابن عم له، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسول الله تستعينه فى ذلك فقال لها : هل لك فى خير من ذلك؟ أقضى عنك كتابتك وأتزوجك . قالت : نعم يا رسول الله . وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله قد تزوج جويرية . فقال الناس: أصهار رسول الله ! وأرسلوا ما بأيديهم . قالت عائشة: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

ولكن ذلك لم يدم طويلا ، إذ حتم الإسلام فيما بعد ألا يقبل من عربى إلا إحدى اثنتين : إما الإسلام وإما القتل[٢] .

وبذلك اقتصر أمر الرقيق فى الإسلام على وقوع الكفار من غير العرب أسرى فى أيدى المسلمين عند الحرب، أو عند سقوط بلادهم المفتوحة عنوة فى أيدى المسلمين فيجوز للإمام أن يسترقهم ، ويجوز له أن يضع الجزية على رءوسهم[٣] ، يختار من ذلك ما يراه فى مصلحة المسلمين .

وهذا الرقيق يعد فى جملة الغنائم الحربية ، شأنه شأنها ، ينقلها الإمام إلى دار الإسلام ويقسمها أخماساً ، خمس للفقراء والمساكين وسائر وجوه البر ، وسائر الأخماس تقسم على المقاتلة ، للفارس سهمان أو ثلاثة ـ على خلاف بين الفقهاء[٤] ـ وللراجل سهم واحد .

وبانتشار الفتوح الإسلامية كثر الرقيق المجتاب من البلاد المفتوحة كثرة ظاهرة، وصار من الميسور أن تجد الرقيق فى كل بيت ، حتى كان الزبير بن العوام

---

(١) السيرة ٧٢٩ جوتنجن .

(٢) جاء فى حاشية ابن عابدين ٣ : ٣١٦ : الطبعة الأولى« إلا مشركى العرب والمرتدين فإنهم لا يسترقون ، ولا يكونون ذمة لنا ، بل إما الإسلام أو السيف » .

(٣) فتح القدير ٤ : ٣٠٥ — ٣٠٦ والدر المختار بهامش ابن عابدين ٣ : ٣١٦ الطبعة الأولى .

(٤) فتح القدير ٤ : ٣٢٠ الطبعة الأولى .

فيما يروى المسعودى[١] مستولياً على ألف عبد وأمة . ويبدو أن كثيراً من هذه المماليك قد آلت إلى ولده عبد الله الذى طالبه أعداؤه بأن يعتقهم فقال[٢] : «وأما عتق مماليكى فوالله لوددت أنه قد استتب لى أمرى ثم لم أملك مملوكا أبداً».

وهذا يفسّر لنا حرص كثير من الرؤساء على حيازة العبيد .

والرقيق متاع مملوك مثله مثل عروض التجارة، لمالكه أن يبيعه وأن يهبه ، وللسيد أن يستمتع بأمته ويستولدها، فإذا ولدت منه كان ابنها ولده ، وسميت هى أم ولد له ، وبقيت فى رقها ، ولكن لا يجوز له أن يبيعها ما دام حيا ، فإذا مات صارت حرة لا سلطان لأحد عليها ، وأبناؤها منه أحرار من يوم يولدون .

والسرارى حل للرجل بملك اليمين يتسرى منهن من شاء ولو بلغن ألفا أو أكثر فى العد ، ما كنّ صاحبات دين سماوى .

وللرجل أن يتزوج الجارية بعقد النكاح فى حدود الزوجات الأربع والدين السماوى ، إذا كانت مملوكة لغيره ، لا يمنع من ذلك العقد إلا أن يكون متزوجاً قبلها بحرة فى عصمته أو ما تزال فى عدة الطلاق ، فقد نهى الحديث أن تنكح الأمة على الحرة[٣] .

وليس للسيد أن يتزوج أمته، لأن ملك الرقبة يفيد ملك المنفعة وإباحة البضع فلا يجتمع معه عقد أضعف منه[٤] .

فنظام الرق فى الإسلام نظام اختيارى يقابله نظام الجزية .

وقد وضع بجانب نظام الرق نظام آخر فى مصلحة الرقيق، هو نظام الكفارات التى من بينها عتق العبيد ، كما أوصى الإسلام فيما أوصى بحسن معاملة الرقيق . ففى صحيح البخارى[٥] : « لا يقلْ أحدكم عبدى أمتى وليقل فتاى وفتاتى وغلامى» .

---

(١) مروج الذهب ٢ : ٣٤٢ . (٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٩٤ .
(٣) فتح القدير ٢ : ٢٧٧ الطبعة الأولى . (٤) المغنى لابن قدامة ٦ : ٦١٠ .
(٥) انظر فتح البارى ٥ : ١٣١ الطبعة الأولى .

وفيه أيضاً عن المعرور (١) قال: «لقيت أبا ذر بالرّبذة ـ وعليه حلة وعلى غلامه حلة ـ فسألته عن ذلك فقال: إنى سابيت رجلا فعيرته بأمه فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : ياأبا ذر ، أعيرته بأمه ! إنك امرؤ فيك جاهلية ، (إخوانكم خولكم) جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » .

وقد زخرت كتب التشريع الإسلامى ببحث مسائل الرقيق ومشاكله الواقعية والافتراضية جميعاً .

الرقيق فى العصر الحديث :

وقد وجد العصر الحديث أن أمر الرقيق قد أسرف فيه، واعتراه كثير من الخلط والفوضى ، وأن أبصار النخاسين قد اتجهت إلى اجتلابه بشتى الوسائل التى لا تمت إلى الشرع بسبب ، فبيعت فى أسواق النخاسة بنات الأسر المسلمات واختطفت كريمة قومها لتنالها يد السرىّ القادر، فأحفظ ذلك بعض الولاة فى مصر وفى غيرها، ووافق ذلك تكاتف الدول الأوربية على أن تقضى على تجارة الرقيق فى بلادها ومستعمراتها الإفريقية والأسيوية ، وبذل بعضها فى ذلك المال لتعويض ملاك الرقيق. يقول الرافعى (٢) : « اعتبر ذلك فى أن الحكومة الإنجليزية حينما قررت إبطال الرقيق فى أملاكها خصصت عدة ملايين من الجنيهات لتعويض موالى الأرقاء المحررين » .

ويذكر الرافعى أن الاتجار بالرقيق منع من عهد محمد على ، « ولكن هذا المنع لم يكن إلا اسميا ، وبقيت تجارة الرقيق فى السودان قائمة إلى عهد سعيد باشا بعين الحكومة وبصرها، وبتأييد موظفيها،وكان يتولاها تجار أقوياء لهم بيوت تجارية كبيرة تتجر فى حاصلات السودان وفى الرقيق، وتربح من كل ذلك الأرباح الطائلة ، وكان تجار الرقيق لما لهم من النفوذ والسطوة والمال يقيمون فى مختلف

(١) انظر فتح البارى ١ : ٨٠ / ٥ : ١٢٦ .
(٢) عصر إسماعيل لعبد الرحمن الرافعى ١ : ١٣٦ .

الجهات معاقل حصينة اتخذوها مراكز للتجارة واصطياد الرقيق، فلما تبوأ إسماعيل عرش مصر اعتزم أن ينضم إلى حركة العاملين على تحرير الأرقاء فى أنحاء العالم وأن يكسب ثناء الإنسانية فى مقاومة الرقيق، وبذل جهوداً كبيرة فى هذا السبيل[١] ».

وكان لاهتمام الوالى أثره فى ضبط سبعين سفينة مشحونة بالأرقاء بين كاكا وفاشودة أطلق سراحهم ، واعتقل التجار الذين جلبوهم ولم يفرج عنهم إلا بعد تعهد بعدم العودة إلى ذلك . كما كان لاحتلال فاشودة سنة ١٨٦٥ أثر كبير فى سد طريق النيل فى وجه تجار الرقيق الذين كانوا يقتنصون الأرقاء فى جهات بحر الغزال وخط الاستواء ويشحنونهم فى السفن .

أما العبيد المملوكين قبل صدور هذا الأمر فقد وضع لهم تشريع يخولهم الحق فى التحرير إذا ثبت أن السيد أساء معاملتهم[٢] .

ويأخذ الرافعى على إسماعيل بعض الأخطاء فى تنفيذ هذا الأمر : منها أنه لم يفكر فى تعويض تجار الرقيق ، وكانوا تجاراً أقوياء لهم أنصار لا يستهان بهم ، فضلا عن أن الأيدى العاملة فى الزراعة ورعى الماشية وغير ذلك كان معظمها من الرقيق هذا إلى أن الخديوى قد جعل على رآسة مقاومة الرقيق جماعة من الأجانب منهم السير صمويل بيكر ، وغردون الذى لم يقترن اسمه إلا بمحاربة الاتجار بالرقيق[٣] فاستثار وجودهم عواطف الأهلين الدينية ، فاستهدفت الحكومة لعداء طبقة كبيرة من أعيان السودان وتجاره ، مما ظهر أثره فى نجاح دعوة المهدى فى أوائل عهد توفيق ، إذ انضم إلى الثورة تجار الرقيق فى السودان[٤] .

هذا هو الرقيق فى موجز تاريخه، ومع ذلك فلا تزال تجارة الرقيق قائمة فى إفريقية.

وفى العدد ١٥٣٠ من المصور الصادر فى أول جمادى الآخرة ١٣٧٣ خلاصة تقرير يقع فى ٢٠٠ صفحة لعالمين من علماء الاجتماع هما « جاك آلان » و « جورج هيرالد » قضيا فى تتبع عصابات الرقيق أربعة أعوام . وفيه من المآسى ما ينطق بقسوة الأوربيين من تجار الرقيق وفظائعهم التى يرتكبونها فى هذه القارة البائسة .

---

(١) عصر إسماعيل ١ : ١٣٤ . (٢) عصر إسماعيل ١ : ١٣٥ .
(٣) عصر إسماعيل ١ : ١٦٣ . (٤) عصر إسماعيل ١ : ١٣٦ .

وهذه عجالة لم نستطع فيها أن نستقصى القول فى الرقيق الذى كان فى بعض العصور نصف الدنيا ، وكان له فى الحياة العربية أثر بالغ فى النواحى الحضارية والعلمية والأدبية والفنية . وحفظ لنا أبو الفرج الأصفهانى فى تضاعيف أغانيه وثائق شتى فيما يتعلق بالرقيق ، كما زخرت كتب الأدب والتاريخ القديمة بذكر آثارهم وأخبارهم . وتناول الكتاب المحدثون فى أبحاثهم هؤلاء الرقيق من جوانب شتى أذكر منها فجر الإسلام وضحاه للدكتور أحمد أمين ، والرقيق فى الإسلام لأحمد شفيق (باشا) وضعه بالفرنسية وترجمه أحمد زكى (باشا) ، ومنها الفصول التى كتبها الرافعى فى (عصر إسماعيل) ، وكتاب الدكتور محمد فؤاد شكرى (الخديو إسماعيل والرقيق فى السودان) وضعه باللغة الإنجليزية . وكتبت دائرة المعارف البريطانية فصلا ضافيا فى الرق (Slavery) . وللزعيم المغفور له مصطفى كامل كتيب فى الرق ألفه عندما كان طالبا بمدرسة الحقوق ، سماه « أعجب ما كان فى الرق عند الرومان » ، طبع بمطبعة المحروسة سنة ١٣١٠ فى عشرين صفحة .

ابن بطلان وكتابه

ابن بطلان :

هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون الطبيب البغدادى المعروف بابن بطلان .

ويبدو أن اسمه الكنسى هو « يوانيس » كما ورد ذلك بخطه فى نص نقله ابن أبى أصيبعة[١] .

ويذكر القفطى[٢] نظيراً لذلك فى ترجمة صاعد بن هبة الله ، قال : « كان اسمه أيضاً مارى ، وهو من أسماء الكنيسة عند النصارى ؛ فإنهم يسمون أولادهم عند الولادة بأسماء فإذا عمدوهم سموهم عند المعمودية باسم من أسماء الصالحين » .

أخذ علمه فى العراق على أبى الفرج عبد الله بن الطيب المتوفى سنة ٤٣٥ ،

(١) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة .

(٢) إخبار العلماء ١٤٥ .

وكان عالماً بالمنطق والحـكمة والطب ، وفيه يقول ابن بطلان[1] : « وشيخنا أبو الفرج عبد الله بن الطيب بقى عشرين سنة فى تفسير ما بعد الطبيعة، ومرض من الفـكر فيه مرضة كاد يلفظ نفسه فيها » . وكان أبو الفرج يجل تلميذه ابن بطلان ويعظمه ، ويقدمه على تلاميذه ويكرمه[2] .

ولازم أيضاً أبا الحسن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحرانى الصابى المتوفى سنة ٣٦٩ وهو عم أبى إسحاق الصابى ، وكان من أكبر الأطباء الحاذقين فى بغداد فانتفع به ابن بطلان فى صناعة الطب، وفى مزاولة أعمالها . وكانت صناعة الطب هى المهنة التى كان يرتزق منها ابن بطلان .

وعاش ابن بطلان حياته للعلم لم يتخذ امرأة ولا خلف ولداً. وفى ذلك يقول:

ولا أحد إن مت يبكى لميتتى   سوى مجلسى فى الطب والـكتب باكيا

رحلة ابن بطلان للقاء ابن رضوان :

كان ابن بطلان معاصراً لعلى بن رضوان الطبيب المصرى ، وكان بينهما — كما يقول ابن أبى أصيبعة — مراسلات عجيبة وكتب بديعة غريبة، ولم يكن أحد منهما يؤلف كتاباً ولا يبتدع رأياً إلا ويرد عليه الآخر ويسفه رأيه . قال : وقد رأيت أشياء من المراسلات التى كانت فيما بينهم ووقائع بعضهم فى بعض .

فصح عزم ابن بطلان فى مستهل رمضان سنة ٤٤٠ أن يخرج إلى لقائه فى مصر، استجابة لما أملته عليه المنافسة ، فخرج عن بغداد إلى الجزيرة والموصل وديار بكر،ودخل (حلب) وأقام بها مدة أحسن إليه فيها معز الدولة ثمال بن صالح وأكرمه إكراماً كبيراً .

ويروى لنا القفطى حياته فى حلب ، أنه لما دخل إليها تقدم عند المستولى عليها وسأله رد أمر النصارى فى عباداتهم إليه، فولاه ذلك وأخذ فى إقامة القوانين

(١) القفطى فى إخبار العلماء ١٥١ ، ١٩٨ .
(٢) القفطى ١٩٢ .

الدينية على أصولهم وشروطهم فكرهوه . وكان بحلب رجل كاتب طبيب نصرانى يعرف بالحكيم أبى الخير بن شرارة، وكان إذا اجتمع به وناظره فى أمر الطب يستطيل عليه ابن بطلان بما عنده من التقاسيم المنطقية فيقطع فى يده ، وإذا خرج عنه حمله الغيظ على الوقيعة فيه، ويحمل عليه نصارى حلب الذين هجوه هجاء اضطر معه إلى فراقهم .

خرج ابن بطلان عن حلب إلى (أنطاكية) ، ثم إلى (اللاذقية)، وقد وصف هذه البلدان التى مر بها وصفاً ناقداً عجيباً فى كتاب كتبه إلى الرئيس هلال ابن المحسن[1] ثم أتم رحلته إلى مصر فدخل (الفسطاط) فى سنة ٤٤١ وأقام بها ثلاث سنين ، وذلك فى دولة المستنصر بالله من الخلفاء الفاطميين، وجرت بين الرجلين وقائع كثيرة ونوادر ظريفة لا تخلو من فائدة وقد ضمن ابن بطلان تلك الحوادث والمحاورات رسالة بعث بها إليه بعد خروجه من مصر . وقد حفظ لنا القفطى هذه الرسالة فى كتابه[2]، ونشرها يوسف شاخت وماكس مايرهوف سنة ١٩٣٧ .

وقد اتسع نطاق المناظرة بين الرجلين حينما خرج من حدود المناظرة العلمية إلى حد المهاترات الشخصية ، فيذكر ابن أبى أصيبعة أن ابن رضوان كان أسود اللون ولم يكن بالجميل الصورة، وكان يناضل عن نفسه من هذه الجهة حتى ألف مقالة يرد بها على من عيره بقبح الخلقة ، بين فيها « أن الطبيب الفاضل لا يجب أن يكون وجهه جميلا » . فانتهزها ابن بطلان فرصة له فوقع فيه ، وكان يلقبه « تمساح الجن »، وقال فيه:

فلما تبدى للقوابل وجهه نكصن على أعقابهن من الندم
وقلن وأخفين الكلام تسترا ألا ليتنا كنا تركناه فى الرحم!

ويعقد ابن أبى أصيبعة مقايسة علمية بينهما فيقول :

« كان ابن بطلان أعذب ألفاظاً وأكثر ظرفا وأميز فى الأدب وما يتعلق به،

(١) القفطى ١٩٣ — ١٩٥ .
(٢) القفطى ١٩٥ — ٢٠٧ .

ومما يدل على ذلك ماذكره فى رسالته التى وسمها بدعوة الأطباء . وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها » .

ويذكر صاحب النجوم الزاهرة[1] أن ابن رضوان « كان فيه سمة خلق عند بحثه » .

خاتمة ابن بطلان :

خرج ابن بطلان من مصر غاضباً على ابن رضوان ورجع إلى أنطاكية مرة أخرى فأقام بها ونزل بعض الديرة فيها وترهب منقطعاً إلى العبادة إلى أن توفى بها[2] ودفن فى كنيستها .

فيذكر القفطى المتوفى سنة ٦٠٦ أنه توفى سنة ٤٤٤ وكذلك صنع ابن العبرى[3] المتوفى سنة ٦٥٨ على حين يذكر ابن أبى أصيبعة أنه قد اطلع على مخطوطات شتى لابن بطلان وفيها من التواريخ مايشهد بأن حياته امتدت إلى سنة ٤٥٥ كما نقل عنه تسجيلات لوفيات أعيان العلماء الذين عاصروه ، منهم الشريف المرتضى (٤٣٦) والماوردى (٤٥٠) وأبو الطيب الطبرى (٤٥٠) ومهيار الديلمى (٤٢٨) وأبو العلاء المعرى (٤٤٩) . وهذا مما يجعلنا نرجح أن وفاته كانت بعد التاريخ الذى ذكره القفطى بنحو عشر سنوات على الأقل .

آثاره العلمية :

يذكر المؤرخون له من الكتب غير كتابنا هذا :

١ — كناش الأديرة والرهبان ، ذكر فيه الأمراض العارضة لرهبان

---

(١) ابن تغرى بردى ٥ : ٦٩ .

(٢) هذه رواية القفطى . ويذكر ابن أبى أصيبعة أنه سافر من مصر [إلى القسطنطينية وأقام بها سنة. ويبدو أن رحلته إلى القسطنطينية كانت بعد ذلك، أى فى أثناء إقامته بأنطاكية إذ يسجل ابن أبى أصيبعة أنه ألف كتاباً فى القسطنطينية سنة ٤٥٠ .

(٣) تاريخ مختصر الدول ٣٥٦ طبع ١٩٦٣ .

الأديرة ومن بعد من المدينة ، كما جاء فى مقدمة كتاب الديارات للشابستى بتحقيق كوركيس عواد . ومنه نسخة بمكتبة الفاتيكان .

٢ — تقويم الصحة ، فى قوى الأغذية ودفع مضارها. نشرت ترجمة لاتينية له فى إستراسبورج سنة ١٩٣١ وترجمة ألمانية فى إستراسبورج أيضاً فى السنة التى تليها كما ورد فى دائرة المعارف الإسلامية ، ومنه نسخة بالمتحف البريطانى وأخرى بالفاتيكان .

٣ — مقالة فى شرب الدواء المسهل .

٤ — مقالة فى كيفية دخول الغذاء فى البدن وهضمه وخروج فضلاته وسقى الأدوية المسهلة وتركيبها .

٥ — مقالة إلى على بن رضوان عند وروده الفسطاط سنة ٤٤١ جواباً عما كتبه إليه ، وقد نشر فى (خمس رسائل) تحقيق يوسف شاخت وماكس مايرهوف ، مطبوعات كلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٣٧م .

٦ — مقالة فى علة نقل الأطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التى كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة إلى التدبير المبرد ، كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها ، ومخالفتهم فى ذلك لمسطور القدماء فى الكنانيش والأقرباذينات وتدرجهم فى ذلك بالعراق وماوالاها على استقبال سنة ٣٧٧ إلى سنة ٤٥٥. صنفها بأنطاكية وكان قد أهِّل لبناء بيمارستان أنطاكية .

٧ — مقالة فى الاعتراض على من قال إن الفرخ أحر من الفروج بطريق منطقية ، ألفها بالقاهرة سنة ٤٤١ . وقد نشر فى مجموع (خمس رسائل) .

٨ — كتاب المدخل إلى الطب .

٩ — كتاب دعوة الأطباء ، صنفه على غرار (كليلة ودمنة) ألفه للأمير نصر الدولة أبى نصر أحمد بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر المتوفى سنة ٤٥٣ كما فى النجوم الزاهرة .

قال ابن أبى أصيبعة: «ونقلت من خط ابن بطلان ، وهو يقول فى آخرها: فرغت من نسخها أنا مصنفها يوانيس الطبيب المعروف بالمختار بن الحسن بن عبدون

بدير الملك المتفيح قسطنطين بظاهر القسطنطينية فى أواخر أيلول سنة ١٣٦٥ : هذا قوله ويكون ذلك بالتاريخ الإسلامى من سنة ٤٥٠ » .

وقد نشر هذا الكتاب الدكتور بشارة زلزل بالمطبعة الخديوية بالإسكندرية سنة ١٩٠١ عن نسخة بمكتبته، وقد تصرف فيها بعض التصرف بحذف « عبارات لا يألفها ذوق الأدباء من أبناء هذا العصر ! ! » كما ذكر ذلك فى مقدمته .

١٠ — كتاب وقعة الأطباء . ١١ — كتاب دعوة القسوس .

١٢ — مقالة فى مداواة صبى عرضت له حصاة .

علة تأليفه لهذا الكتاب :

باتساع الرقعة الإسلامية واتساع جلب العبيد تبعاً لذلك قامت تجارة الرقيق نافقة يتولاها النخاسون الذين سميت صناعتهم بالنخاسة[1] ويشرف على تجارتهم قيم يدعونه « قيم الرقيق »[2] .

والرقيق كسائر السلع يرى المشترى أن يختار لنفسه منه، وأن يأمن جانب الغش والخدعة فيه، فى عالم غص بأجناس شتى من الأمم من الترك والأرمن والصقالبة والهند والزنج والبربر وغيرهم، ولكن السوق قاسية، والبائع محاول أن يتخلص مما فى يديه ولو سلك فى ذلك سبل الغش والخداع جميعاً، لذلك قامت إلى جانب النخاسة مهنة أخرى هى مهنة « الدلالة » التى تكفى المشترى مؤونة الخبرة وتكفى البائع من جهة أخرى أن يبالغ فى تزييف سلعته[3] . وقد ذكر ابن بطلان رجلا اسمه « أبو عثمان » كان من هؤلاء الدلالين، ولكن الدلالة أو « السمسرة » بعبارة أخرى كان سلاحا ذا حدين نفاع وضرار .

(١) النخاس يطلق فى الأصل على بائع الدواب، سمى بذلك لنخسه إياها حتى تنشط . وقد يسمى بائع الرقيق نخاسا . اللسان (نخس) .

(٢) الأغانى ٢٠ : ٢٧ وضحى الإسلام ١ : ٨٧ .

(٣) يذكر أحمد شفيق (باشا) فى كتابه الرق فى الإسلام عند الكلام على رق الرومان: « وكانت العادة أن المشترى يطلب رؤية الأرقاء عراة تماما لأن بائعى الرقيق كانوا يستعملون وجوها كثيرة من المكر لإخفاء عيوب الرقيق الجثمانية » . ولا تزال تلك العادة قائمة إلى الآن كما أخبرنا بذلك من شهد أسواق الرقيق .

ثم إن الأغراض التى يقتنى لها العبيد والإماء مختلفة جداً، وهذه الأغراض لاتتحقق جميعها فى جنس واحد من أجناس العبيد ، فالخدمة والطهى ، والقيام على الخزائن والحراسة والقتال ، وطلب الولد والإرضاع ، والغناء والعزف ، والاستمتاع والجمال ، كلها أغراض يتحقق بعضها ممتازاً فى بعض الأجناس ولا يكون فى الأخرى .

ثم إن للعوامل النفسية كالرغبة العاجلة فى الشراء ، وهى رغبة تتجاوز عن كثير من السيئات، والعوامل الاقتصادية كوفرة الرقيق فى المواسم واغتنام تلك الفرصة لاستعمال طرق الغش والخداع، والعوامل الشخصية كأن يدس بين الرقيق من يتخذ من الأعداء عيناً على سيده المنتظر فيفسد عليه أمره فيما بعد ، وكذلك ما للعبد من ماض طيب أو سيئ ، أن لكل أولئك وأمثالها آثاراً شتى يجدر بالمشترى أن ينظر فيها طويلا وأن يحزم أمره بالتريث .

وهناك أخطاء كان يقع فيها السادة فيجنون مغباتها ، هى الأخطاء الصحية والنفسية التى لايتبينها إلا طبيب حاذق، عالم بالطب وعالم بالفراسة التى تتأدى من النظر فى الظاهر إلى معرفة الباطن : الباطن البدنى والباطن النفسى أيضاً ، فقد يشترى عبداً معلول الجسم أو معلول النفس وظاهره لمن لا يعرف بارع خداع .

كل أولئك حفز صاحبنا المتطبب « ابن بطلان » أن يضع كتابه هذا فى ذلك الموضوع الخطير فى تلك العهود التى كان الرقيق فيها جمعاً هائلا له حسابه وله ميزانه .

مواد الكتاب :

وأقصد بذلك المنابع التى استقى منها ابن بطلان معارفه فى هذا الكتاب . وهو قد صرح فى أول كتابه أنه اعتمد على رسائل معلم الإسكندر وغيره من العلماء والفلاسفة. وقد ظهر لى فى أثناء التحقيق أنه اعتمد فى باب الفراسة اعتماداً كلياً على ما ورد فى كتاب « جمل أحكام الفراسة » لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى المتوفى سنة ٣١١ يظهر ذلك من المطابقة التامة فى الألفاظ وفى نظام التأليف .

ولكن صاحبنا لم يظهر اسمه اكتفاء بما ورد مبهماً فى قوله « من العلماء والفلاسفة » .

التوقيع فى شراء الرقيق :

هو مخطوط قديم فى المكتبة التيمورية برقم ٤٨ فضائل ورذائل ، مجهول المؤلف ، خدم به مؤلفه اسم « الملك الصالح أبى المظفر أحمد بن الملك الظاهر أبى المظفر غازى بن الملك الناصر أبى المظفر يوسف بن أيوب بن شادى » .

وقد اعتمد هذا الكتاب فى بيان خصائص الأجناس اعتماداً ظاهراً على ما ورد فى كتابنا هذا ، وصرح فى بعض المواضع بالنقل عنه ، كما فى ص ٢٤٣ ، ٢٥٢ باسم ابن بطلان ، وفى ص ٣٩ ، ٤٤ باسم ابن عبدون ، وكان بذلك معيناً على تحقيق أو توضيح بعض ما ورد من نصوص كتابنا هذا محرفاً أو مبهمًا .

نسخة الأصل :

هى نسخة جامعة القاهرة رقم ٢٣٣٢٧ المصورة عن مخطوطة برلين رقم ٤٩٧٩ ومع أنها مجهولة التاريخ هى قديمة الخط ، ولم أعثر على نسخة أخرى من هذا الكتاب بعد بذل جهد طويل .

وإليك الكتاب فى ضوء التحقيق .

رسالة جامعة لفنون نافعة

فى شرى الرقيق وتقليب العبيد

تأليف الشيخ أبى الحسن المختار بن الحسن بن عبدون البغدادى المتطبب

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة جامعة لفنون نافعة فى شِرَى الرقيق وتقليب العبيد

يعلم منها الراغبُ فى هذا الشأن الأعضاء السَّليمة من المَؤُوفة ، والأخلاقَ الطّاهرة من الرديّة، وأىُّ الإماءِ يَصلُحن للخِدمة، وأيُّهن للمُتعة،وأىُّ الأجناسِ عبيدُ طاعة ووَلاء ، وأيُّهم ذَوِى أنفةٍ وحمية،وأيُّهم لايُصلحه إلاّ الكدّ والعصا فيختارُ من كلِّ جنسٍ ما يوافق غرضَه ، وينال به أَرَبه ، فإنّه يقال :

من أراد الجاريةَ للّذة فليتَّخذها بربرية ، ومن أرادها خازنةً وحافظة فروميّة ، ومن أرادها للولد ففارسية، ومن أرادها للرضاع فزِنْجية، ومن أرادها للغِناء فمكّية .

ومن أراد العبيد لحفظ النفوس والأموال فالهِند والنُّوبة ، ومن أرادهم للكدّ والخدمة فالزِّنج والأرمن،ومن أرادهم للحرب والشجاعة فالتُّرك والصقالبة.

هذا كلامٌ جمعنا متشتِّته ونظَمنا منثوره من رسائل معلم الإسكندر(١) وغيره من العلماء والفلاسفة .

ومقالتنا هذه تشتمل على فنون خمسة :

الأول منها : فى وصايا ينتفع بها فى البيع والشِّرى .

الثانى منها : فيما يتفقّد من أعضاء الرقيق بحسب ما يراه الأطباء .

---

(١) يعنى أرسطو . قال القفطى فى أخبار العلماء : « وكان أرسطاليس معلم الإسكندر بن فيلبس ملك مقدونية ، وبآدابه عمل فى سياسة رعيته وسيرة ملكه ، وانقمع به الشرك فى بلاد اليونانيين ، وظهر الخير وفاض العدل . ولأرسطوطاليس إليه رسائل كثيرة معروفة مدونة » .

الثالث : فى معرفة أخلاق العبيد بقياس الفِراسة على مذهب الفلاسفة .

٣ الرابع : فى معرفة صور كلِّ جنس وما يصلحون له من الأعمال بحسب خواصّ بلادهم والمنشأ .

الخامس فى كشف تلبيسات يدلِّس بها النّخّاسون الرقيق على المشترِى ، يجرى مَجرى الحِسْبة

ومن بعد تمديدنا لهذه النُّوَب نعقد بها جملةً يَخْصِمُهَا(١) تفصيلها ، ليسهل على القارئ مأخذها فيحيط علمه بها .

والله ولى المعونةِ والعصمةِ للقوّة البشرية ، من كل خطَل وزَلّة ، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم .

---

(١) كذا وردت الكلمة مضبوطة فى الأصل . ومعنى يخصمها يغلبها .

مبلغ ما يحتاجه إلى معرفته من أحوال العبيد والإماء عند ابتياعهم وَبيعهم، من وصايا يُنْتَفَع بها فى البيع والشِّرَى منتزعةمن كلام الحكماء .

ومن تفقُّد أجسامهم وصحّة أعضائهم بحسب ما يراه الأطباء.

ومن تعرف أخلاقهم بقياس الفراسة على مذهب الفلاسفة .

ومن معرفة صور كل جنس وما يصلحون له من الأعمال، بحسب خواصّ بلادهم والمنشأ .

ومن كشف تلبيسات يدلِّس بها النَّخَّاسون الرقيق على المشترى ، يجرى مجرى الحِسبة على ما بُيِّن من أحوال ذلك .

وهى عن خمسة أشياء ما[1] :

[١]

منها الوصايا التى ينتفع بها فى شِرَى الرقيق على ماقاله الحكماء والفلاسفة ، عشر وصايا ، من ذلك ما يعم المماليك والإماء أربع وصايا : ٤

شرحها : (الوصية الأوّلة[2]) ما أمروا أن يكون عليه[3] المستعرض عند التّقليب للشِّرَى ، وما نَهَوا عنه من القَطْع بأوَّل نَظْرة ، قالوا : إنّ المستعرِض لأمرٍ مّا يجب ألاَّ يكون ذا فاقةٍ إليه، فإن الجائع يستجيد كلّ طعامٍ يُشبِعه[4]، والعُريان يستوفِقُ كلَّ طِمْرٍ يدفئُه ويستره ، وبحسب هذا قالوا : لايَستعرضْ

---

(١) كذا وردت هذه العبارة .

(٢) فى اللسان (وأل) : « حكى ثعلب هن الأولات دخولا ، والآخرات خروجاً . واحدتها الأولة والآخرة . ثم قال : ليس هذا أصل الباب ، وإنما أصل الباب الأول والأولى كالأطول والطولى» .

(٣) فى الأصل : « عليها » .

(٤) فى كتاب التحقيق ص ١٣ : «وقال الحكيم : الجائع مستجيد لكل طعام يشبعه».

جاريةً شبق ، فليس لمنغظٍ[1] رأى ؛ لأنه يقطع بأوّل نظرَة ، وأوّل نظرة سِحر وللجديد وللغريب رَوعة : فإذا صادف منه حاجةً داعية قَطع بما تـكذّبه الحواسُّ عند الاستغناء . ولهذا قيل : تـكرير اللَّحظ يُخلِق كلَّ جِدَّة ، ومعاودة التقليب يُظهِر التصنُّع ، ويُبهرج التدليس .

(الوصية الثانية) ما حذَّر منه القدماء قبل الشِّرَى . قالوا : كن على حذَرٍ من شِرَى الرّقيق فى المواسم ، ففى مثل تلك الأسواق يتم للنخاسين الحِيَل ، فـكم من قَضِيفة بيعت بخَصْبة[2] ، وسمراء كَمِدة بيعت بصَفْراء مُذْهَبَة ، وممسوح العجز بثَقِيل الروادف ، وبَطِينٍ بمجدول الحشا ، وأبخر الفم بطيِّب النـكهة ، وكم صَفَّروا البياض الحادث عن القروح فى العين ، والبرص والبَهَق فى الجلد ، وجعلوا العين الزّرقاء كَحلاء ، وكم مِن مَرّةٍ حَمَّروا الخدود المصفَّرة ، وسمَّنوا الوجوه المقمقعة[3] ، وكبَّروا الفِقاح الهزيلة ، وأعدموا الخُدودَ شَعر اللِّحى ، وأ كسبوا الشُّعورَ الشُّقر حالك السواد ، وجَعَّدُوا الشُّعور السَّبْطة ، وبيَّضوا الوجوه المسمرَّة ، ودَمْلَجُوا السِّيقان المعرَّقة[4] ، ورطَّلوا الشُّعور المرَّطة ، وأذهبوا آثار الجُدَرِىّ والوَشْم والنَّمَش والحِـكّة .

ولـكلٍّ من هذه أسباب يعرفها الأطبّاء قد أوردناها فى مقالتنا فى الحسبة ، وسنورد منها فى الفن الخامس شَذْرَة بحسب الحاجة .

وكم مِن مريضٍ بيعَ بالصَّحيح ، وغلامٍ بجارية ، هذا زائدٌ على ما يُوصَفُونَ

---

(١) فى الأصل : « مغتبط » . وما أثبت من الصواب يوافق ما فى التحقيق ص ١٤ .
(٢) القضيفة : النحيفة . فى الأصل « قصيفة » .
(٣) لعلها « المتقفقعة » .
(٤) المعرقة : الضامرة القليلة اللحم . وفى اللسان : دملج جسمه دملجة ، أى طوى طياً حتى أكثر لحمه .

به الجوارى من دَلّ ومَجَانَة[1] على مُسافرِينَ شباب قد أُحلّ لهم لحمُ المَيتة ، سوى ما يفعلْنه من زينتهن بالخضاب والحِنّاء ، والملابس المصبَّغة الناعمة .

سمعنا بعض النَّخاسين يقول : « ربع درهم حِنّاء يزيد فى ثمن الجارية مائة درهم فضة ! » .

والتحرز من هذا لا يكون فى موقف واحد ، ولهذا قيل : اتَّهِم نظرَك فيما استحسنتَه حتَّى يكون الاستحسان دائماً على صُورةٍ لاينقُصها تكرار النظر ، ٦
وهذا لايتمُّ إلا فى دفَعات ، وعلى صفاتٍ مختلفات .

(الوصية الثالثة) ما نُهى عنه من القَطع بأوَّل سمْعٍ من المماليك [و] الإماء . قالوا : لا تقطعْ بأوَّلِ لفظٍ من غلامٍ أو جارية ، فربَّما جاءت بالاتفاق فوافقت منك قَبولًا لا يكون وراءها أمثالُها فيتدلَّس عليك بذلك مقابحُ مستورة ربَّما جرى الأمر على خلاف ذلك . لكن كنْ إلى الريبة أميَلَ منك فى هذا الشأن إلى الثِّقة ، وخُذْ بسوء الظّن تَسلمْ .

(الوصية الرابعة) ماحُذِّر منه الرؤساء خاصَّة. قالوا: ليحذر الرؤساء — ممن له عدوٌّ يَخشى منه غِيلةً ،أو[2] يخاف أن يطلع له على سِر — شِرَى خادمٍ أو جارية خاصةً إن كانت كاتبةً خرجت من دار سلطان، إلاَّ بعد خِبرته بها، ولا شِرَى جارية مولَّدة من تاجرٍ أو جَلَّاب، فإنَّ هذه حيلةٌ قد هلك بها جماعةٌ من الملوك والرؤساء.

* * *

ومن ذلك مايختص بشِرَى المماليك خاصَّة ، ثلاث وصايا ، شرحها :

(الأوَّلة) ما حُظِر على المشترى من ابتياع مملوكٍ قد مَرَن على الضَّرب

---

(١) فى الأصل : « ما يوصوا به الجوارى من ذل ومجانة » . والمجانة : مصدر مجن يمجن مجوناً ومجانة ، وهو ألا يبالى ما صنع .
(٢) فى الأصل : « أن » .

والخصومة . قالوا : لاتشتر مملوكاً كان مولاه يُكثِر ضربه ، ولا تترك المسألةَ
٧ عن مالك المملوك ، وعن سبب بيعِه . واستعلِمْ ذلك قبلَ ابتياعه ، من المملوك وغيره ، ففى هذا الفحص فوائد كثيرة ، فى ارتباطه ، أو تسريحه وتركه .

(الثانية) مأخوذة من جُرأة المملوك على ذمِّ مولاه ، وتنقُّصِه له ، أو امتعاضه من ذمِّه وقلّة احتفاله به ، وهل سببُ بيعه من جهته أو من جهة مالكه .

(الثالثة) ما وُصِّى به قبل استخدامه قالوا : المملوك على مايراه منك أوّلَ دخولِه دارك ، فإن أطعمتَه طمع ، وإن هذّبته انقمع ، وإن خالَطه مفسد من مماليك وغيرهم فسد .

* * *

ومن ذلك ما يختص بشراء الإماء ، وصيتان ، شرحهما :

(الأوّلة) فيما تُعلم به براءة الجوارى من الحَبَل قبل الشراء . قالوا : تحرَّزْ فى استبراء الإماء من الحبَل قبل التملُّك لهن ، واحذَرْ بهرجتهنَّ بالسداد والدعاوى الكاذبة ، فإنّ كثيرا مايجعلن فى فروجهن خرقاً بدماء غيرهن[1] . وليكن من يستبرى ذلك منها امرأةً تكره أن تُلْصِق بك ولَد غيرِك ، ومُرها بتفقُّد ثدييها وجَسِّ حشاها .

واعلمْ ذلك من شُحوب لونها وشهوتها للطعام المالح ، فإن ذلك دالٌّ على
٨ توحمها . واستبر ذلك بتقدير الحشا وبخوراتٍ تذكر أخيراً كما وعدنا .

(الثانية) مايراعى بعد الشرى من الغِيلَة فى الحمل من غير إرادة المولى . قالوا : راعِ أمراً ذا ركنين :

---

(١) فى الأصل : « مايجعلن فى فروجهن خرق بدماء غيرهم » .

إذا اشتريتَ جاريةً غيرَ بالغةٍ فربَّما بَلَغت في ملكك وأنت لا تعلم، وكتمتْ ذلك عنكَ رغبةً في الولد .

احذر الجواريَ اللواتي يوهمنَ أنَّهن عُقْم وهنَّ كارهات للحَبَل ، فربَّما خدَعْنَك بذلك .

ومن ذلك ما يختص بالبائع دون المشترى .

وصـــية

قالوا : لا تُخْرِجْ جاريةً من ملكك إلى نخَّاس إلاَّ في دم ، فربما تمَّ عليها في الحجَر أن تحبل فادَّعت أنه منك .

على أنَّا قد شاهدنا في زماننا مَن حاضت مُدَّة زمانِ حملها . وهذا نادر .

[٢]

ومنها ما يتفقَّد من أجسام الرقيق بحسب كلٍّ واحد من الأعضاء على مذهب الأطباء ، ثمانية وثلاثون فصلا .

من ذلك ما يعم جميع البدن ، ثلاثة أشياء ، تفصيلها :

من اللون ، وهو ألاَّ يكون حائلا[1] إلى الصفرة الدَّال على ضعف الكبد وغلبة الصفراء ، ولا إلى السَّواد الدالّ على السَّواد وضَعف الطِّحال ، لكن إنْ كان أبيضَ فليكن مُشرباً حمرة ، وإن كان أسمر فلتكن سمرته سمرةً صافية .

ومن البشرة بأن تكون لينة نقية خالية من بَهَق أو برص أو وشم أو قُوباء أو كَيّ أو صبغ أو ثآليل أو خِيلان أو أثر قُرحة ، لاسيَّما إنْ كانت عن عَضَّة كلبٍ كلِبٍ .

ومن تناسب الأعضاء ، بأن تكون بعضها مناسبةً لبعض في الطول والقصر والعظم والصغَر ، فإنّ طول الأعضاء مع غير مناسبةٍ في العرض جيّد في مباشرة الأعمال العظيمة ، مع ضعف القوة . والقصرُ بالضدِّ عن ذلك .

* * *

ومن ذلك ما يختص كل واحد من الأعضاء ، ثلاثون فصلا .

منها (مايختص بالرأس) أربعة أشياء ، وهي شكله ، بأن لا يكون مسفَّطا[2]

---

(١) الحائل : المتغير اللون . وردت كذا بالحاء . وفي كتاب التحقيق ٦٨ : « اللون إذا كان حائلا دل على علة في الكبد » .

(٢) المسفط : الذي شكله شكل السفط . في القاموس : « رجل مسفط الرأس : رأسه كالسفط » . والسفط محركة كالجوالق أو كالقفة .

ولا مشوّها ، ولكن يكون ككرة شمع قد غُمِزت من جانبها فصار لها نتوء من خلف وقدام .

وشعره بأن لا يكون خفيفاً أو متفرقا ، ولا به داء الثَّعلب والحيَّة(١) ، ولا بعضُه أبيض مجتمع كالبلَق فى البهائم .

جلده بأن لا يكون قَحْلا ولا فيه سَعَفة(٢) وبثور ، أو أثر جرحٍ غائر يدلّ على عظم .

فضلاته البارزة منه بأن لا يكون كثير المخاط والبصاق ، كثير النوم كدر العين والحواس ، فإن ذلك من أسباب الصَّرْع ، ولا سيَّما إن ارتعشت بعض أعضائه .

(ما يختص بالعين) خمسة أشياء ، وهى من حركتهما بأن لا تكونا ٩٠ مضطربتين فإنَّهما من علامات الوسواس لاسيما إن لم يكن الكلام منتظماً ، وهذا يعتبره العارف بآفة المملوك . ومن لونها بأن لا يكون بهما زُرقة فى السواد لم تكن من قَبل ، لأنَّها من علامات الماء . ولا يكون بياضهما كدراً أو أصفر أو فيه عروق ، فإنَّه من مقدمات السَّبَل(٣) . ومن شكلها بأن لا يكون شكل العين مستديراً ، لاسيما إن كان الوجه متعجِّراً فإن ذلك من علامات الجُذَام . ولا يكون نَقْبا الحدقة سواداهما [غير(٤)] متساويين ، ولا أحدهما أكبر من الآخر وكأنَّه مشقوق بالطول(٥) . وهذا يعتبر بأن يغمض كلّ واحدة منهما ويُرى

---

(١) داء الثعلب : علة يتناثر منها الشعر ، والثعالب يصيبها ذلك الداء ، كما فى اللسان (سعف) . وجاء فى كتاب التحقيق ص ٨٤ : « وآفات الشعر الحصة فإنها تشققه ، وداء الثعلب فإنه يمزقه ، وداء الحية فإنه يجرده » . وانظر الحيوان ٤ : ١٥٨ .

(٢) السعفة : قروح تخرج بالرأس تورث القرع .

(٣) السبل : داء فى العين شبه غشاوة كأنها نسج العنكبوت بعروق حمر .

(٤) فى كتاب التحقيق ٩٦ — ٩٧ : « وإذا كان حرفا العينين غير متساويين وسواداهما غير متماثلين » .

(٥) فى التحقيق : « أو كان الحرفان قدشقا بالطول » .

أشكالا مختلفة . ومن المَأقِ بأن لا يكون في المأْقِ ظَفَرة[١] ولا لحمٌ زائد ولا ناصور[٢] . وعلامته أنك إذا عصرت المأْق خرج منه مِدَّة . ومن الأجفان بأن لا يكون شعرها منتثراً ولا منقلباً ، ولا تـكون الأجفان غليظة .

(مايختص بالشم والسمع) ، وهو شيء واحدٌ : تنظرهما في الضَّوء لئلا يكون فيهما لحمٌ زائد ، وتعرض عليه الـكلام والروائح بعد سدِّ أحد ثقبيها .

(مايختص باللسان) وهو شيء واحد ، أن يُستنطَق لئلا تـكون به لثْغة ،
١١ وهذا يكون من صِغَر اللسان وعظمه ، أو سقوط جزء منه ، أو لآفة في عَصَبه ، أو لسقوط بعض الأسنان ، أو لالتصاقه من الجِبِلَّة ، أو لأثر قُرحة به ، فَسَلْ[٣] عن جميع ذلك . فإن لم يكن فتمسىُ ظنَّك به فربما كان قد عَضَّ لسانه لصَرْع به وبخِّرْه بقَرن المِعزى، وأطعمه كَبد تيسٍ مشوى فإنَّهُ يُصرَع إن كان مصروعا .

(مايختص بالأسنان) شيئان : وهما : إن لم تـكن موجودة بعد الثغر فإنها لاتعود[٤] ، وإن وجدت تفقَّدْ ألوانها وصلابتها وسلامتها من الحفور ، وبعدها من الضَّرَس بصبرها على الحامض . واجتماعُها أجود من تفرُّقها ، وإنْ كان الشَّنَب مذهباً محبوباً عند العرب[٥] .

(مايختص باللِّثة) شيء واحد ، وهو أن لاتـكون فيها قروح . واستنـكِهْه لـكيلا يكون به بخَر . وهذا يكون من عفَن اللثة ، أو تأكُّل ضرس ، أو بلغم عفن في المعدة .

---

(١) الظفرة ، بالتحريك : جليدة تغشى العين نابتة من الجانب الذى يلى الأنف على بياض العين إلى سوادها .

(٢) فى الصحاح : الناسور بالسين والصاد جميعاً : علة تحدث فى مأقى العين يسقى فلا ينقطع . قال : وقد يحدث أيضاً فى حوالى المقعدة وفى اللثة ، وهو معرب .

(٣) رسمت فى الأصل « سل » مع إهمال النقط .

(٤) فى الأصل : « تعد » . وفى هداية المريد : « وإن وجد سقوطها من بعد إثغاره فإنها لاتعود » .

(٥) الشنب : التفليج فى أحد معانيه .

(ما يختص باللَّهاة) شيء واحد ، وهو أن لا تكون مسترخية ، فإن ذلك سبب اتِّصال السعال ، ولا نازلةً إلى أسفل ، فإنَّه يتبع ذلك الخُنَان[(١)] . فتتأمّل ذلك في الضوء .

(مايختص بالنَّغانغ والأزبتين[(٢)]) شيء واحد ، وهو أن لا يكون فيهما أثر خنازير .

(ما يختص بالصدر) شيء واحد ، وهو ألا يكون ضيّقاً أو معوجاً أو قليل اللحم ، فإن ذلك [يكون] سبباً للرثة والسُّعال والنَّزلات ، ولا سيا إن كانت الأكتاف مجنَّحة . ١٢

(ما يختص باليدين) شيء واحد ، وهو ألا تكون إذا قدرتهما وجدت إحداهما أقصر من الأخرى ، أو هما قصيرتان ، فإن ذلك رديء في الأعمال .

(ما يختص بالسواعد) شيء واحد ، وهو أن يكون تَنْى المرفق سهلاً بلا التواء ولا ورم ولا تشنُّج من جرح أو عرق مدنى[(٣)] ، واسبُرْه أن يقبضَ على يديكَ بقوة .

(مايختص بالحشا) جميعه خمسة أشياء : منها ما يعمّ الحشا جميعها ، شيء واحد ، وهو أن لا تكون غليظةً جميعها أو بعضها . وهذا بأن تأمره أن يستلقى على ظهره وتَجُسَّ حشاه من فَم المعدة إلى العانة ، فإن رأيت ثَمَّ غلظًا أو ألمًا فاقض به ، لا سيا إن وافق ذلك فساد لون وتهييج فى المحاجر . ويحقق ذلك انقطاع نفَسه عند إحضاره وصياحه .

* * *

---

(١) الخنان : داء يأخذ فى الأنف تسد منه الخياشيم .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة . والنغانغ : لحمات تكون فى الحلق عند اللهاة.

(٣) جاء فى حواشى هداية المريد : «المدينى بثرة تحدث فى الساقين تتنفط .. ثم يخرج منها شيء [كالدو] د ، ولايزال يطول ، وربما كان له حد ، لحدة مادته ، ومدة توجم ، قطعه خطر.

ما يختص بواحد واحد من أعضائه ، أربعة أشياء . تفصيل ذلك :

(المعدة) بأن لا تكون جاسِية[١] ، ولا بها سوء استمراء من سوء مزاج حارّ أو بارد ، ولا بها خلط داعٍ إلى أكل الطِّين والفحم .

(الـكلى والمثانة) بأن لا يكون فيها قُرحة أوحَصاة أو رَخاوة ، وهذا بأن يتبين فى البول رملاً أو مِدّة ، ويراعى فى ليالٍ كثيرة فلا يبول فى الفراش .

١٣ (الأنثيين) بأن لا يكون فيهما دَوَالى[٢] ، أو بأحدهما قَيْلة الِمعا .

(القضيب) بأن لا يكون ثَقب الـكَمَرة معوجًّا،وهذا يتأمَّل عند البول .

ما يختصّ (بالرِّجلين) أربعة أشياء ، منها مايعم جميعها ، شىء واحد،وهو أن لا يكون بهما عَوَج أو تشنّج أو عِرقُ نسا أو خلع ورك . وهذا يتبيَّن إذا أمرته بالإحضار وإذا قَدَرتهما فلم تنقُص إحداهما عن الأخرى .

مايختص بواحدٍ واحدٍ من أجزائها ، ثلاثة أشياء ، تفصيل ذلك : الرُّكبة بأن لا يكون فيها ورم صُلْب أو شوكة . الساقان أن لا يكون بهما تقويس أو حَنَف أو فَحَج ، ولا فى باطنهما دوالى[٣] . القدم والـكعب بأن لا يكون فيهما داء الفِيل .

(مايختص بالرحم) شيئان ، وهما ما يختصُ بجِرمه بأن لا يكون ما بين السُّرّة والعانة غليظًا أو صلبا ، فإن ذلك دليلُ السَّرطان . وما يختص بأيام

---

(١) جاسية : صلبة . وفى الأصل « حاسية » .

(٢) إثبات الياء فى مثل هذا جائز ، بل رجحه يونس . التصريح ٢ : ٣٤٠ . وكذا جاءت بإثبات الياء فى كتاب التحقيق ص ١٤٧ .

(٣) أى لحم زائد متدل ، وفى التحقيق ١٤٥ : « ولا فى بطنهما دوالى »

الحيض لئلّا يعرضَ لهنّ الغَشْى الشبيه بالسَّكتة ، فإنَّ ذلك دليل احتراق الرحم[1] الذى يتبعه موتُ الفُجاءة .

ومن ذلك ما يُتأمَّل من الأعضاء فى زمان النَّوم خمسة أشياء ، شرحها : بأن لا يكون ممّن يتبرَّز فى الفراش ، أو يَهذِى فى نومه، أو يمشى على غير علمٍ منه أو يصرّ أسنانه ، أو ينام على وجهه ، فإنَّ هذه أشياء إذا علمها الأطباء انتفعوا بها ١٤ عند التماسهم صحة المرضى .

(١) فى التحقيق ١٤٨ : « اختناق الرحم » .

[٣]

ومنها تعرُّف أخلاق العبيد والإماء بقياس الفراسة ، أحدٌ وتسعون فصلا . فمن ذلك أصولٌ نقدّمها قبل الكلام فى الفراسة عددها أربعة ، شرحها :

حدّ الخُلق. والخلق داعية للنَّفسِ للإنسانِ إلى أن يفعل أفعالا بلا رويّة ، فإنَّ الجبان إذا فاجأه الصَّوتُ ارتاعَ بسرعةَ ، والماجن يضحك من أيسر تعجُّب، والنَّذْل[1] يرغب فى أدنى قيمة، والحر بالضد . ولهذه الأخلاق دليل من الفراسة.

كيف تعلم القياس الصحيح فى الفراسة ، يجرى بأن لا يتسرع الإنسان إلى الحكم فى الفراسة من دليلٍ واحد ، ولكن يجمع منها ما أمكن ثم تكون قضيته بحسب ذلك . ومتى اجتمعت الدلائل المتضادَّة حَكم بأقواها ورجَّح أظهرها ، بعد أن تعلم أنّ دلائل الوجه والعَين خاصة أقوى الدلائل وأصحُّها فى الحدّ الذى ينتهى إليه العلم بقياس الفراسة ، ويجرى هكذا من الإنصاف أن تعلم أن قياس الفراسة مقدّماته مأخوذةٌ من مشابهاتٍ موجودة بين أشخاص الناس ، أو من مشابهات موجودة بين الحيوان والإنسان. وسنُورد على ذلك مثالا من الشجاعة تراه مأخوذاً من صفات الأسد . فالاستدلال فى الفراسة على أفعال الصُّور من لازم الهيولى، وإذا عرف القياس ذلك ... دَ ... قاس كالمطبوع[2] .

مثال من الشجاعة على قياس الفراسة ، وهو أن يكون قوىَّ الشعر خشِنَه ،

(١) فى الأصل وكذا فى التحقيق ١٤٨ : « الندل » بالدال المهملة . والنذل : الخسيس المحتقر فى جميع أحواله .

(٢) كذا وردت هذه العبارة على ما بها من نقص بيض له فى الأصل . وفى التحقيق ١٢ « فإذا عرف القائس ذلك قاس كالمطبوع » .

شديدَ العظام والأطراف والأصابع ، عظيم الصدر والأكتاف والرقبة ، عريض القَصّ ، ضامر الورك ، معرَّق الجبهة[١] قويّ المفاصل ، منتصب القامة ، ممسوح الأليتين ، بعيدَ ما بين المنكِبين ، ممدودَ الحاجبين ، أزبَّ الصدر والكتف . والجبانُ بالضد .

ومن ذلك ما يختص بأخلاق الذُّكور والإناث والخِصْيان شيئان. شرحها : الأنثى من كل جنسٍ أَمْوتُ نفساً ، وأقلُّ جلَدا ، وأسهلُ انخداعا، وأسرع غروراً وسكونا ، وأشدُّ مكرا، وأصغر رأسا، وألطف وجها، وأدقُّ عنقا، وأضيق أكتافاً وصدرا ، وأعظم بطنا وورِكا ، وألطف كفًّا وقدما، وأسوأ أخلاقا من الذَّكَر في كلّ جنس[٢] .

أخلاق الخِصيان كالمشابِهة لأخلاق النِّساء ، ومن وُلِد بلا خُصيتين أو كانتا فيه صغيرتين كان أشرّ .

ومن ذلك دلائل الشعر سبعة أشياء : تفصيلها : ١٦

اللين منه يدل على الحمق[٣] . الخشن دليل الشجاعة . كثرته على البطن دليل شَبَق[٤] . كثرته على الصُّلب دليل الشجاعة أيضاً . كثرته على العنق والكتفين دليل حمقٍ أيضاً . كثرته على الصدر دليل قِلّة الفطنة . قيام الشعر دليل جبن[٥] .

---

(١) المعرق : القليل اللحم .

(٢) انظر سائر الفروق بينهما في كتاب الفراسة لأفليمون ١٧ — ١٨ . على أن العبارة تكاد تكون مطابقة لما ورد في كتاب الرازي ٩ — ١٠ .

(٣) في جمل أحكام الفراسة لأبي بكر الرازي ص ٢ وكذا في كتاب التحقيق ٨٣ : « على الجبن » .

(٤) في الأصل : « سبق » تصحيف . وعند الرازي : « يدل على الشبق » . وعند أفليمون ٣٩ : « كثرة شعر جميع الجسد ولا سيما البطن والفخذين دليل الحمق » .

(٥) عند الرازي : « الشعر القائم في الرأس وعلى جميع البدن دليل على الحمق » . وعند أفليمون ٣٩ : « قيام شعر الجسد واستواؤه دليل على الحمق » .

ومن ذلك دلائل اللون ، أربع دلائل ، تفصيلها :

الأشقر والأحمر يدلّان على كثرة الدم والحرارة. اللون الناريّ دليلُ تأنٍّ. والأحمر دليل حياء . اللون الذى بين البياض والحمرة يدلان على الاعتدال . والأخضر اللون دليل سوء الخلق[(١)] .

ومن ذلك دلائل العين سبع عشرة دلالة :

عظمُهما دليل كسل غورهما دهاء وحسد[(٢)] ، جحوظهما دليل هذَر وقِحَة . زُرقة إحداهما يدل على بلادة . شدّة سوادها دليل جبن . شبهها بعيون الأعنز دليل جهل[(٣)] . سرعة حركتهما بحدّة بصرها دليل مكرٍ وحيلة ، بطء حركتهما دليلُ مكر . عِظَمهما وارتعادهما دليل كسل وشبق . حمرتهما دليل شر وإقدام. سوادها دليل كسل وبلادة. الزُرقة مع اصفرارٍ دليل رداءة الأخلاق جداً . فإن
١٧ مالت إلى الصفرة كان صاحبها سفّاً كا للدماء . البقرية تدل على الحمق . النقط والشعب حوالى السواد يدل على هذر وحمق وحسد وشر . صغرها وجحوظهما دليل على الميل إلى الشهوات ، إذا برز السواد عن البياض دل على حمق .

ومن ذلك دلائل الحاجب ، ثلاث ، شرحها :

كثرة الشعر فيه دليلُ الهم . طوله إلى نحو الصدغ دليل التِّيه والصلف . طولُه إلى نحو الأنف دليل على البله .

ومن ذلك دلائل الأنف ، أربعة دلائل ، تفصيلها :

دقّة طرفه دليل محبة الخصومة ، فإن كان مع ذلك طول دل على الحمق . غلظه دليل على قلة الفهم . الفَطَسة[(٤)] دليل الشبق . غلظ أرنبته دليل غضب .

---

(١) عند الرازى « من كان لونه أخضر أسود فهو سيئ الخلق » .
(٢) الرازى : « من كانت عيناه غائرتين فهو داه خبيث » .
(٣) الرازى : « من كانت عيناه تشبه عيون البقر فى لونها فإنه جاهل » .
(٤) الفطسة : اسم من الفطس ، وهو عرض قصبة الأنف وطمأنينتها . ونحو هذا فى كتاب التحقيق ص ١٠٤ .

ومن ذلك دلائل الجبهة :

منها : المستطيلة التى لاغضون فيها دليل شغب وخصومة . كثرة غضونها دليل صلف . كبرها دليل كسل . صغرها دليل جهل .

ومن ذلك دلائل الفم والشفة واللسان والأسنان ، أربعة . شرحها :

سعة الفم دليل شجاعة . غلظ الشفة دليل حمق . ضعف الأسنان دليل ضعف البنية . طول الأنياب دليل شره وشرّ .

ومن ذلك دلائل الوجه والصدر ، ثمانية ، تفصيلها : ١٨

من كان كأنه سكران أو غضبان أو حَيِيّ[1] فحاله كذلك . قلة لحم الوجه دليل كسل وغِلَظ طبع ، وضدّه بالضد . الوجه المستدير دليل جهل. الصغير دليل جهل . الصغير دليل خِفّة وملل . العظيم دليل كسل . السمج الوجه رديُّ الخلق. طُولُه دليل القِحَة . والأوداج البارزة دليل غضب .

ومن ذلك دلائل الأذن واحدة . عظمها دليل جهل ودَهاء وطولِ عمرٍ ، وبالضد .

ومن ذلك دلائل الصوت والنفس والكلام أربعة ، منها :

العظيم الصوت دليل شجاعة[2] . سُرعة الكلام دليل عجلة وبَلَهٍ . حُسن الصوت دليل رعونة . التنفُّس الطويل دليل رداءة الهمة .

ومن ذلك دلائل اللحم اثنتان ، وهما :

اللحم الكثير الصلب دليلُ غلظِ حسٍّ وفهم . اللّين بالضد .

ومن ذلك دلائل الضحك أربعة عشر شرحها :

---

(١) فى الأصل : « جنى » ، تحريف . وعند الرازى : « وإذا كان صورة الإنسان كحال الخجل فهو حيى خجل » .

(٢) الرازى ٥ : « من كان صوته غليظاً جهيراً فهو شجاع » .

كثرته دليل دماثة ومساعَدة وقلّة اهتمام بالأمور ، وبالضد . علوّه دليل قحة . ومن عرَض له عند الضّحك سعالٌ ورَبْو فهو وَقَاح[(١)] . المتبسِّم مستحيٍ .

ومن ذلك دلائل الحركات دلالتان[(٢)] وهما :

السَّريعة دلالةٌ على الطيش . البطيئة دليلة البلادة .

١٩ ومن ذلك دلائل العنق ، ثلاثة . شرحها :

صغرها دليل مكر . طولُها دليل جبن . غلظُها دليل شجاعة .

ومن ذلك دلائل البطن دلالتان[(٢)] وهما :

كبرها دليل على البلادة . صغرها بالضد .

ومن ذلك دلائل الظهر ، ثلاثة ، تفصيلها :

عِرَضه يدل على القوة والغضب . استواؤه علامة العقل . انحناؤه علامة رداءة الخلق .

ومن ذلك دلائل الكتفين ، ثلاثة ، شرحها :

العريض دليل جودة العقل . الدقيق ضده . شُخوص رأسِه دليل حمق .

ومن ذلك دلائل الذراع، دلالتان[(٢)]، وهما :

إذا بلغ منه الكفُّ الركْبةَ دلَّ على نُبل النفس وحبّ الرياسة. قصره ضده .

ومن ذلك دلائل الكفّ دلالتان[(٢)] ، وهما :

اللّيِّنة اللطيفة دليلُ سرعة العلم والفهم وبالضد . الطّويلة الدقيقة تدل على زَعارة الُخلق .

ومن ذلك دلائل الحقْو والساق والقدم ، خمسة دلائل ، تفصيلها .

القدم اللَّحيم الصُّلب دليل بلادة . الصَّغير الخشن دليل فُجور ومرح. غِلَظ

---

(١) الوقاح : القليل الحياء ، كالوقح . وعنـد الرازى ٦ : « من كان يقع عليه عند الضحك سعال فإنه سليط صخاب » .

(٢) فى الأصل : « دلالتين » .

العقِب دليلُ شِدّة ، وبالضد [دليلُ[1]] حبٌّ النساء .

ومن ذلك دلائل الخطى ، واحدة ، وهى :

الخُطى الواسعة البطيئة دليلُ تأنٍّ ، وبالضدّ[2] .

وتخصّ النساءَ فِراسةٌ تدلّ على أحوال من أخلاقهن وأعضائهن وشهواتهن أضربنا عن ذكرها تصوّنًا عن إثباتها ، لقباحة مخارج ألفاظها وإن كانت علمًا نافعًا .

---

(١) مبيض لها فى الأصل .

(٢) كذا وردت العبارة مبتورة ، لعلها « والضد بالضد » .

ومنها ذكر أجناس الرقيق بحسب بلادهم ومنشئهم؛ ونحن نذكر ما انتهى إلينا خبره واشتهر أمره وتلقَّطناه من الكتب، وسألنا السَّفَرة عنه من أجناس الرَّقيق على اختلافها فى الخَلْق والخُلق، لنَكفىَ الطالبَ لهذا الشأن مؤونة التَّجارب والامتحان، خمسة وعشرين فصلا :

من ذلك كشف ألفاظٍ يحتاج القارئ إلى معرفة دلائلها، فصل واحد :

إذا سمعتنى أقول « فارسية » فاعلم أنها مولَّدة فارس . فإن اتفق أن يكون أبواها فارسيين، وإلا فيكفى أن يكون أبوها حَسْب. فولد الزنجية إذا تكرَّر فى النَّسل مع البيض ثلاثَ دَفعات صار بعد السَّواد أبيض، وبعد الفَطَس أقنى، ولانت أطرافه، وتطيَّبت أخلاقه .

ومثل ذلك أفهَمْ فى كلِّ الأجناس .

وإذا سمعتَنى أقول جارية « خُماسيَّة » فإنى أريد بذلك أن طولها خمسة أشبار .

وإذا قلت « شَهوارية » فليس بجنسٍ من الأجناس، لكنها لفظة فارسية

٢١ مشتقة من الشهوة الكاملة(١) .

وإذا قلت « منصورية » فأريد المنصورة التى فيما وراء النهر، وهى المُلتان، لا منصورة العرب .

---

(١) فى معجم استينجاس أن معنى « شهوار » أحسن شىء فى جنسه . فلعلها « من الشهرة الكاملة » .

ومن ذلك ما يتعلَّق بالجهات الأربعة[1] ، أربعة فصول ، شرحها :

الأول ما يختص بالبلاد الشرقية ، وهذه ألوان أهلها بِيض مُشْربة حمرة وأجسامهم خَصْبة ، وأصواتهم صافية ، وأمراضهم قليلة ، وصورهم جميلة ، وأخلاقهم كريمة ، وأغنامهم كثيرة ، وأشجارهم عظيمة ، وما فيهم غضب ولا نجدة لاعتدال كيفياتهم ، لكنَّهم أهل سكون ودعة ، كلُّ هذا لاعتدال كون الشمس فى هذه الجهة ، فأغذيتهم معتدلة ، ومياههم صافية .

الثانى ما يختص بالبلاد الغربية ، وهؤلاء أحوالُهم تكاد تضادُّ جميع ماذكرنا فى البلاد الشرقية ، لأن الشَّمس لا تطلع عليهم بالغداءات .

الثالث ما يختص بالبلاد الشمالية ، وهى التى أهلُها يسكنون تحت بناتِ نَعْشٍ والجدى ، كالصَّقالبة ، وهؤلاء عِرَاضُ الصُّدور شُجعان ، وَحْشُو[2] الأخلاق لكمون الحارّ ، دقاق السُّوق لهربه من الأطراف ، طويلو الأعمار لجودة الهضم ، نساؤهم عواقر لأنَّهن لا ينقَيْن من دم الحيض .

الرابع ما يختص بالبلاد الجنوبية ، وهى التى أهلها سكان تحت القطب[3] الجنوبى كالحبشة ، وأحوالهم ضدُّ أحوال البلاد الشمالية ، وألوانهم سود ، ومياههم مالحة كدرة ، ومعدهم باردة ، وهضومهم ردية ، وأخلاقهم هادية ، وأعمارهم قصيرة ، بطونهم لينة لسوء الهضم . ٢٢

ومن ذلك ما يختص بواحدٍ واحد من البلاد ، عشرون فصلا ، تفصيله :

الهنديّات أول الجنوب على سَمت المشرق ، لهم حُسن القوام ، وسُمرة الألوان ،

---

(١) هذه عبارة صحيحة ، فإن المعدود إذا تقدم على عدده جاز فيه المطابقة وعدمها . حاشية الصبان على شرح الأشمونى فى أوائل باب العدد .

(٢) كذا وردت الكلمة فى الأصل . ولها وجه من الوحش ، وهو القفر الخالى .

(٣) كذا فى الأصل .

وحظٌّ وافر من الجمال ، مع صفرة وصفاء بشرة[1] وطيب نـكهة ، ولين ونَعمة ، لـكنّ الشيخوخة تسرع إليهم ، وفيهم وفاء عهد ومودّة ، وكثرة محافظة ، وبعد غَور ، وسلاطة ، ونفوس عزيزة ، لا يصبرون على الذلّ ولا يتألمون للقتل[2] ، ركّابون للعظائم متى أحوجوا[3] وأغضبوا. نساؤهم يصلُحن للولد، ورجالهم لحفظ النفوس والأموال وعمل الصنائع الدقيقة ، غير أن النّزَلات تسرع إليهم .

(السندیات) بين المشرق والجنوب، وهم قريبو الشبه بالهند لمتاخمة بلادهم لبلادهم ، غير أن نساءهم ينفردنَ بدقة الخصور وطول الشعر .

(المدنيات) سمر الألوان معتدلات القوام[4]، قد اجتمع فيهن حلاوة القول
٢٣ ونَعمة الجسم ، ومَلاحةٌ ودَلّ وحسن شـكل وبشر، ونساؤهم لا غيرة فيهنّ على الرجال ، قَنوعات بالقليل ، لا يغضبن ولا يصخَبن ، ويوجد فيهنّ الزُّنوج ، ويصلحن للقيان .

(الطائفيات) سُمر مذهبات مجدولات، أخفُّ خلْق الله أرواحا، وأحسنهم فـكاهة ومزاحا ، لسن بأمّهات أولاد ، يكسلن فى الحبل، ويهلـكن عند الولادة، رجالهنّ أشدُّ الناس تحبُّبا وأدوَمهم عشرةً وأحسنهم غِناء .

(البربريات) من جزيرة بَربَرة[5]، وهى بين الغرب والجنوب، ألوانهم على الأكثر سُود، ويوجد فيهن الصُّفر، وإذا وجدت منهن الـكُتامية الأم الصُّنهاجية الأب المصمودية المنشأ ، فإنّك تصادفها مطبوعةً على الطاعة والموافاة فى كل

---

(١) فى التحقيق ص ٤٢ : « وصفاء يسير » .
(٢) فى التحقيق ٤٢ : « ولا يألمون لقتل » .
(٣) كذا جاءت « أحوجوا » بالواو بعـد الحاء . وفى التحقيق : « متى ألجئوا » .
(٤) فى الأصل : « معتدلو القوام » ، وجاء على الصواب فى التحقيق ص ٣١ .
(٥) جزيرة بربرة هذه من الجزائر التى تجاور سواحل اليمن ، ذكرها ياقوت . وهذا وهم من ابن بطلان تبعه فيه صاحب كتاب التحقيق من ص ٤٤ ، فإن البربريات منسوبات إلى بلاد البربر التى فى جبـال المغرب . وهى التى تقطن فيها قبائل كتامة وصنهاجـة ومصمودة التى سيجرى لها ذكرا فيما بعد .

أمورهن ، نشيطات للخدمه ، ويصلُحن للتَّوليد واللذة ، لأنَّهنَّ أحدب شئ على ولد .

وأبو عثمان — وهو من سمامرة هذا الشأن — يقول : إذا اجتمع للبربرية مع جودة الجنس أن تُجلَب وهى بنت تِسع حجج ثم كانت بالمدينة ثلاثَ حجج وبمكة ثلاث حجج ، ثم جاءت إلى العراق ابنة خمس عشرة فكانت بالعراق فى الأدب ، ثم مُلكت بنت خمس وعشرين سنة فتلك التى جمعت إلى جَودة الجنس شكل المدنيات[1] وخَنَث المكيات وآداب العراقيات ، واستحقَّت أن ٢٤ تُخبَّأ فى الجفون ، وتوضع على العيون .

(اليمانيات) فى جنس المصريات ، وخَلْق البربريات ، وشَكْل المدنيات ، وخَنَث المكيات ، وهن أمَّهات أولادٍ حسانُ الوجوه أشبه شئ بالأعراب .

(الزَّرَنجيات) من بلد يقال له زَرَنج ، ذكر ابن خرداذبة أنَّ من هذا البلد إلى مدينة المُلْتان مسيرة شهرين ـ والملتان وسط الهند ـ وخاصةُ هذا الجنس إذا بُوشِرن فعرِقْنَ بدا منهنَّ عرَق كالمسك ، لكنهنَّ لا يصلحن للولد .

(الزَّنجيات) مساوِيهن كثيرة، وكلَّمازاد سوادُهن قبحَتْ صُوَرهنَّ وتحددت أسنانهنَّ وقلَّ الانتفاعُ بهن ، وخِيفت المضرَّة منهن . والغالب عليهن سوء الأخلاق وكثرة الهرب، وليس فى خُلقهن الغمَ[2]، والرَّقصُ والإيقاع فطرةٌ لهنَّ وطبع فيهن، ولِعُجُومَة[3] ألفاظهن عُدِلَ بهن إلى الزَّمر والرقص . ويقال: لو وقع الزَّنجى من السماء إلى الأرض ماوقع إلا بالإيقاع. وهم أنقَى النَّاس ثغوراً لكثرة الريق ، وكثرةُ اريق لفساد الهضوم . وفيهن جلَد على الكد، فالزِّنجى إذا شبِع

---

(١) الشكل، بالفتح ، والكسر : دل المرأة وغزلها .

(٢) كذا . وفى التحقيق ٤٦ : « والعلوم فيهم مفقودة ، وكذلك الصنائع اللطيفة» .

(٣) المعروف « العجمة » . ولكن ابن بطلان يعيد استعمال هذه الكلمة فى أواخر كتابه هذا ، فهى من لغته .

فصُبَّ العذابُ عليه صبًّا ، فإنه لا يتألّم له . وليس فيهن مُتعة ، لصُنانهن وخُشونة أجسامهنّ .

٢٦ب (الحبشيات) الغالب عليهن نَعمة الأجسام ولينُها وضعفها، يتعاهدهنّ السلّ والدِّقّ ، ولا يصلُحْن للغناء ولا للرقص ، دِقاق ، لا يوافقهن غيرُ البلاد التي نشأن فيها ، وفيهن خَيرِيَّة ومُياسَرة ، وسلاسة انقياد ، يصلُحْن للائتمان على النُّفوس يخُصُّهن قوةُ النفوس وضعف الأجسام، كما يخصُّ النوبةَ قوةُ الأجسام على دِقّتها وضعف النفوس ، قصارُ الأعمار لسوء الهَضْم .

(المـكّيات) خِناث مؤنثات ليِّنات الأرساغ، ألوانهنَّ البياض المشربُ بسمرة، قُدُودهن حسنة، وأجسامهن ملتفة ، وثُغورهن نقية باردة ، وشعورهن جَعدة ، وعيونهن مِراضٌ فاترة .

(الزَّغاويات[(١)]) رديات الأخلاق ذوات دمدمة، يحملهنّ غلاظُ الأكباد وشرُّ الطّباع على عمل عظيم الأفعال ، وهن شرٌّ من الزنج ومن جميع أجناس السُّودان، نِساؤهن لا يصلحن لمتعة ، والرجال لا يصلحون لخدمة .

(البَجاويات) بين الجنوب والغرب في الأرض التي فيما بين الحَبَشَة والنُّوبة، مُذْهبات الألوان ، حسَنات الوجوه ، مُلْس الأجسام ناعمات البَشَرة ، جوارى متعة إن جُلِبتْ صغيرة وقد سلمت من أن ينـكَّل بها ، فإنَّهن يقوِّرن ويمسح بالموسى بأعلى فُروجهنَّ من اللحم كلّه حتَّى يبدوَ العظم فيصرن شُهرةً من الشُّهر، وتُقطع أثداء الرجال ، وتسلُّ الرَّضفة[(٢)] من رُكَبهن - زَعَم القائل - حتّى

(١) زغاوة ، قال ياقوت : بلد في جنوبى أفريقية بالمغرب ، وهم جنس من السودان .

(٢) الرضفة ، بالفتح وبالتحريك : عظم مطبق على رأس الساق ورأس الفخذ . في الأصل : « وسعل الرضعة » .

لا يميا السّاعى منهم . والشّجاعة والسرقة فيهم طبع وغريزة ، ولهذا لا يُؤمَنون على مال ولا يصلُح أن يكونوا خُزّانا(١) .

(النُّوبيات) من جملة أجناس السودان ، ذوات ترَف ولطف وقَصْف ، وأبدانهن يابسة مع لين بشرة ، قوية مع دقّة وصلابة، وهواء مصر يوافقهن، لأنّ ماء النيل شُربهن ، وإذا انتقلن عن غير مصر تسلّطت عليهن العلل الدموية والأمراض الحادة . ويسير الأذَى يقدح فى أجسامهن ، وأخلاقهن طاهرة ، وصورهن مقبولة ، وفيهن دين وخَيرية وعفّة وتصوُّن، وإذعان للمولى، كأنهنّ فُطِرن على العبودية .

(القُندُهاريات) فى معنى الهنديات ، ولهنّ فضيلة على كل النساء، فإن الثّيّب منهن تعود كالبكر . الصّفراء المولَّدةُ تُنسَب إلى أبيها وأمها ، وتمزج بينهما ، بأخلاقها مركّبة منهما(٢) .

(التُّركيات) قد جمَعن الحسن والبياض والنَّعمة، ووجوهن مائلة إلى الجهامة، وعيونهن مع صغرها ذات حلاوة ، وقد يوجد فيهن السمراء الأسيلة، وقُدُودهن ما بين الرَّبْع والقصير(٣)، والطُّولُ فيهن قليل، ومليحتهن غاية ، وقبيحتهن آية وهنّ كنوز الأولاد ، ومعادن النسل ، قلّ ما يتّفق فى أولادهن وحش ٢٧
ولا ردىّ التركيب ولا حان(٤)، وفيهن نظافة ولباقة، قدورُهم مِعَدهم(٥) يعوِّلون

(١) فى الأصل : « خزان » .
(٢) فى الأصل : « فيمتزج بينما فأخلاقها مركبة منها» .
(٣) فى التحقيق : « ما بين الربعة إلى القصير » .
(٤) كذا وردت فى الأصل .
(٥) فى الأصل : « قد وهم » وإنما المراد أن معدهم ، بمنزلة القدور ينضج فيها الطعام.

عليها فى الطّبخ والنضج والهضم ، لا يكاد يوجد فيهن نكهة متغيّرة ، ولا مَن له عجيزة عظيمة ، وفيهم أخلاقٌ سمِحة وقلّة وفاء .

(الدّيلميات) حِسانُ المنظر، جميلات المخبر، غير أنّهن أسوأ الناس أخلاقاً، وأغلظهن أكباداً ، وفيهن صبر على الشِّدّة ، شبه الطّبريات فى كل حال .

(اللانيات[1]) ألوان بيض محمّرة، ولحوم كثيرة[2] ، وأمزجة يغلب عليها البرد . وهنّ للخدمة أصلح منهن للمتعة ، لأن فيهن خيرية طبع ، وثقةً واستقامةَ أخلاق ، وحرصا[3] على المحافظة والموافقة ، وهن بعيداتٌ عن الشَّبَق .

(الروميات) بيض شُقْر ، سِباط الشعور ، زُرق العيون ، عبيدُ طاعةٍ وموافقة ، وخدمةٍ ومناصَحة ، ووفاء وأمانة ومحافظة ، يصلُحْن للخزن ، لضَبطهن وقلّة سماحتهن ، لا يخلو أن يكون بأكفهن صنائع دقيقة .

(الأرمنيات) الملاحة للأرمن لولا ماخُصُّوا به من وحشة الأرجل[4] ، مع صحة بنية وشدّة أسرٍ وقوّة ، والعفّة فيهن قليلةٌ أو مفقودة ، والسرقة فيهن فاشية ، وقلّ ما يوجد فيهن بخل ، وفيهن غِلَظ طبع ولفظٍ ، وليست النّظافةُ فى لغتهن ،
٢٨ وهن عبيدُ كدٍّ وخدمة ، متى نَهْنَهْتَ العبدَ ساعةً بغير شُغل لم يدمْهُ خاطرُه إلى

---

(١) فى الأصل : « الأنيات » تحريف . وفى التحقيق ٤١ : « ذكر اللان . واعلم أن اللان جنس من الروم » . وقال ياقوت : « بلاد واسعة فى طرف أرمينية قرب باب الأبواب مجاورون للخزر . والعامة يغلطون فيهم فيقولون علان ، وهم نصارى تجلب منهم عبيد » .

(٢) فى التحقيق ٤١ : « ألوانهم بيض محمرة ولحومهم مكتنزة » .

(٣) فى الأصل : « وحرص » .

(٤) فى التحقيق ٣٨ : « وحاشة الأرجل » .

خير . لا يصلحون إلاّ على العصا والمخافة ، وليس فيهم فضيلة غير تحمُّل العناء[1] والأعمال الثقيلة، والواحد منهم إذا رأيته كسلانا فذاك لِعَلَهٍ فيه[2] ليس عن عجز قوة ، فدونك والعصا ، وكن مع ضَربه وانقياده لما تريده منه على حذَر ، فإنّ هذا الجنْس غير مأمون عند الرضا فضلا عن الغضب ، نساؤهم لا يصلحن لمتعة . وجملة الأمر أن الأرمن أشرُّ البيضان ، كما أن الزنج أشرُّ السودان ، وما أشبه بعضَهم ببعض فى قوة الأجساد ، وكثرة الفساد ، وغلظ الأكباد .

---

(١) فى الأصل : « عن عمل العناء » . وفى التحقيق : « وليس فيهم فضيلة غير الأعمال الثقيلة ولا يصحون إلا على العناء » .

(٢) العله : خبث النفس . وفى الأصل : « لعبه فيه » .

ومنها التحرُّز من تدليسات النخاسين التى يدلِّسون بها فى المواسم الرقيق على المشترى ، يَجرى مجرى الحِسبة ، ثمانية وعشرون فصلا .

من ذلك ما يفعلونه فى الألوان ، فتغيُّر البشرة بشيئين ، وهما : أمَّا السمراء فإنَّها تصير ذهبية إذا وضعت فى أبْزَنٍ[١] فيه ماء الكراويا أربعَ ساعات[٢] من النهار .

وأما الدُّرِّية اللون فتصير [بيضاء[٣]] إذا غمر وجهها بباقلى قد نقع فى بطِّيخ سبعة أيام ، ونقل إلى لبن حليب سبعة أيام ، وغيِّر اللبن كل ليلة .

ومما يحمِّر الخدودَ المصفرة غَسولٌ صفته : دقيق الباقلى والكِرْسِنَّة خمسة أجزاء ، وعِرق الزَّعفران وبُورَق ، من كل واحد ربع جزء . ٢٩

---

(١) كلمة « الأبزن » معربة عن الفارسية : آبزن ، وهو حوض من نحاس أو حديد يستنقع فيه الرجل ، ويعرف فى ألفاظنا الدخيلة باسم « البانيو » . وفسر فى معجم استينجاس بأنه حوض للاستحمام من نحاس أو حديد بطول جسم الإنسان يملأ بماء فاتر طبى يجلس فيه المريض أو يتمدد . وقد أهمل هذا اللفظ كثير من اللغويين ، منهم الليث والجواليقى وابن دريد والزمخشرى . أما الليث فقد نص صاحب اللسان على إغفاله للكلمة ، وأما الجواليقى فلم يذكره فى المعرب ، وكذا ابن دريد فى الجمهرة ، والزمخشرى فى الفائق وأساس البلاغة . هذا مع أن الكلمة مستعملة قديما . جاء فى شعر أبى داود يصف فرسا وصفه بانتفاخ جنبيه :

أجوف الجوف فهو منه هواء ... مثل ما جاف أبزنا نجار

اللسان ١٦ : ١٩٦ . ويفهم من هذا الشعر أنه كان يصنع أحيانا من الخشب . ويؤيده قول ابن برى : « الأبزن شىء يعمله النجار مثل التابوت » . وروى البخارى أن أنس بن مالك قال : « إن لى أبزنا أتقحم فيه وأنا صائم » . وقد فسر الأبزن فى هذا الحديث بأنه الحوض الصغير ، أو حجر منقور كالحوض ، أو شىء يتبرد فيه وهو صائم يستعين بذلك على صومه من الحر والعطش . عمدة القارى ١١ : ١٣ ومشارق الأنوار وشفاء الغليل ١٤ .

(٢) فى التحقيق ٢٥٢ : « ثلاث ساعات » .

(٣) التكملة من كتاب التحقيق ص ٢٥٣ .

فأما السُّودان منهن فمسح أطرافهنّ ووجوههن بالدُّهن الطيب . سمعنا بعض رَبّات القصور تقول : كالـكون(١) السودان دُهن البنفسَج .

ومن ذلك ما يتعلق بالشَّعر ثلاثة أشياء ، شرحها :

ما يكسِب الشُّعور الشُّقرالسوادَ الحالك : دهن الآس ، ودهن قشور الجوز وغسله بالأملج(٢) ، ودهنه بدهن الشقائق وأشياء توجد فى (الزينة) لأفريطُنْ(٣) يطول شرحها .

ما يزيل الشعر من الوجه والأطراف : أخذه بالمنقاش ، أو طلاؤه بالنورة ومن بعد ذلك ببَيض النمل ، أو بدهن قد طبخ فيه ضفادع خُضْر ، أو عَظَاية(٤) بدم الأرنب ، دفعات كثيرة ، ويغسل بالشب والبُورق والعَفْص .

ما يجعِّد الشُّعور السبطة : غَلْفُهُ(٥) بالسدر والأزادرخت(٦) والآس .

ومن عادة النخاسين إذا أرادوا أن يطوِّلوا الشعور أن يوصلوا فى طرفه من جِنْسه(٧) ، وإذا أرادوا الوضع من الإماء أن يُلصقوا فى الأصداغ شَعراً أبيض ليحثَّ البيِّع(٨) على قبض الثمن .

ومن ذلك فنون مختلفة ستة عشر فصلا ، شرحها :

---

(١) قال داود : « كالـكون : غمرة من لك واسفيداج تحسن الوجه » . فى كتاب التحقيق : « أن يمسح أطرافهن ووجههن بالزيت الطيب أو دهن البنفسج » .

(٢) هو مايسمى فى مصر بالسنانير . تذكرة داود .

(٣) فى أخبار العلماء للقفطى ٤١ : « أفريطون المعروف بالمزين ، كان زمانه قبل جالينوس وبعد بقراط ، وله كتاب الزينة » .

(٤) العظاية : دابة على خلقة سام أبرص . فى الأصل : « عضاية » تحريف . وفى التحقيق : « اعطايه » تحريف أيضاً .

(٥) الغلف والتغليف : الطلاء واللطخ . فى الأصل : « غلفة » .

(٦) فارسى ، ويسمى فى مصر « الزنزلخت » . تذكرة داود .

(٧) كذا . وفى التحقيق : « أن يوصلوا فى ضفائرها شعراً من جنسها » .

(٨) فى الأصل : « لبحث » ، تحريف . والبيع : البائع والمشترى . وفى التحقيق : « ليحثوا به البائع على قبض الثمن » .

٣٠ ما يسمّن الأعضاء الهزيلة : الدَّلك بالمناديل الخشنة والأدهان الحارة ، والطَّلى بالعاقرقرحا ، والخراطيم المحرقة .

مايفعم[1] الأطراف الخشنة الدُّهن والشمع واللوز المر[2] ونخلخله[3] معمولة بماء الورد ودهن بنفسج ، وترك مباشرة الأجسام الخشنة كالخشب والحجارة ، وهجر الماء كل المولِّدة[4] للمرة .

وما يذهب آثار الجدرى والنمش والوشْم : غَسول معمول من عروق القصب واللوز المر[5] والـكِرسنَّة والباقلى وحبّ البِطيخ معجون بعسل .

مايغسل به الخضاب من البرص : خل وأُشنان مُغلًى وماء الباقلى أو ناطف وماء حار .

مايزيل الـكلف من البشرة الشُّونيز[6] وأصل قِثَّاء الحمار وورق الخبازى وبزر الجرجير وأصل الـكرم ؛ يُعجَن بعسلٍ ويطلى .

مايزيل روائح الأنف : السَّعوط بدهن المَرْزَنْجُوش[7] والبنفسج والنَّيلوفر والنرجس والياسمين .

مايجلو الأسنان : السواك بالأُشْنان والسُّكَّر وسحيق الصينى ، أو الفحم والملح المدقوق .

ما يخضب البرص : القُلقَدِيس[8] والعفص والزنجار من كل واحد جزء

---

(١) فى الأصل : « مايعم » .

(٢) فى الأصل : « واللوز والمر » صوابه من التحقيق . وانظر مايأتى فى ص ٣٨٢ س ٦ .

(٣) فى التحقيق : « ويخلخله » ، ولم أهتد إلى صوابها .

(٤) فى الأصل : « المولودة » .

(٥) فى الأصل : « واللوز والمر » ، صوابه فى التحقيق .

(٦) الشونيز : الحبة السوداء .

(٧) هو المردقوش ، معرب مرزنـگوش الفارسية . وعربيته السمسق .

(٨) هــذا مافى التحقيق ، وفى الأصل : « القلقل يس » تحريف . القلقديس هو الزاج ، كما فى تذكرة داود فى أول حرف الزاى من المفردات ، وكذا معجم استينجاس ٩٨٥ وذكر أنه من اليونانى : Kalkitys

يعجن بماء [و(١)] لبن التِّين ، ويغرز مواضعُه بإبرة ويَطليه أربعة أيام في الشمس ٣١
يبقى أربعين يوما ، أو يطلى ببرّ وخلٍّ .

ما يقتل القمل والصِّئْبان من الشعر والبدن ، بالبُورق والميوبزج(٢) وماء السِّلق أو دُرديّ الشَّراب والصابون .

ما يزيل الشَّعث الذى يكون فى أصول الأظفار : غَسْلها بالخل والعَسَل والمرتك ، أو دهن الورد واللوزِ المرِّ ، ويعالج البرص منها بالزرنيخ والكبريت .

مايطيب الفم : مضغ العُود الرطبِ والكُسفرة والفوفل(٣) وقشور الأترجّ ، والمضمضة بالخل والماوَرد والعود المنقوع فى الشراب ، وأكل البنّ بعد الطعام وقبل الصَّحناة(٤) .

مايطيّب الجسد : الصَّندل والورد والمرتك المربّى بماء الورد ، والبخورات بالمثلثة المآخين(٥) وخلط الثياب بالعقبات والمعمولة من الرياحين على التفاح والفواكه المبخرة بالكافور .

ما يستعمل فى الثيب لتصير كالبكر : قلوب الرمان الحامض وعَفص أخضر يُعجن بمرارة البقر ويتحمل فَرْزَجَة(٦) .

---

(١) التكملة من التحقيق .

(٢) داود : ميوبزج : زبيب الجبل ، ويطلق على ضرس العجوز أيضاً . وضرس العجوز هو الحسك .

(٣) الفوفل بضم الفاء وفتحها : نخلة كنخل النارجيل تحمل كبائس فيها الفوفل أمثال التمر .

(٤) الصحنا والصحناة ويمدان ويكسران : إدام يتخذ من السمك الصغار والملح . القاموس والمعتمد لابن رسولا ١٩٧ . وقال داود : « لا تعرف إلا بالعراق ، ويقرب منها مايعمل بمصر ويسمى : الملوحة » .

(٥) كذا فى أصله .

(٦) الفرزجة فارسية ، ومعناها ما تحمله المرأة من دواء .

٣٢ ما يصبغ البياض الذى فى سواد العين : لبن أتانٍ حارّ .

ما يغير زُرقة العين لتصير كحلاء : يقطر فيها ماء قشرِ الرمان الحلو .

ما يُخفى الحمل : وَصاة النخّاس الجارية أن تعتمد الشِّداد وتُظهِر الدم الكاذبَ المصنوع من ماء الصمغ ودم الأخَوين . هذا إذا لم يمكنها إعداد دمٍ من حيوان .

ومن ذلك ما يتعلق بالحمل : شيئان ، وهما : تحقُّق الحمل ليعلم صحته . ومعرفة ذلك يتم بأن يوضع تحت المرأة بَخورٌ كالعنبر ونحوه ويُمنع خروجه من أردانها أو فُرَج أثوابها فإنْ ظهرت الرائحةُ من فيها فليست حاملا ، وبالضد .

معرفة الحمل هو بذكر أو أنثى ، وهذا يتبين فى الذكر من سرعة الحامل وإشراق لونها ، وأن يقدَّر بخيط من وسط السّرَّة إلى وسط الفَقارة المحاذية لها من أحد الجوانب ويعلَّم المكان بمدادٍ وتديره إلى الجانب الآخر ، فإنْ نقص الخيطُ عن العلامة من الجانب الأيمن فهى حامل بذكر ، وإن طال فبأنثى .

ومن ذلك ما يُوصِى به النخاسون الجوارى ، ثلاثة أشياء ، تفصيلها :

من وصاياهم لهنَّ أنْ يَصرِفن العناية كلَّها إلى النظافة والطِّيب ، والتبرج للمشترِى تارةً والاختفاء أخرى ، فإن هذا بابٌ من التحبب مالكِ القلوب .

ومن وصاياهم لهنَّ أن يُظهِرن أجملَ ما فيهنّ ، ويخفين أقبح ما فيهن .

٣٣ ومن وصاياهم أن يُدارين المشايخ والنافرِى الطباع ويستميلونهم ، ويتجنَّون على الشباب ويمتنعون عليهم ، ليتمكَّنوا من قلوبهم .

ومن ذلك ما يأخذونهنَّ به فى زينتهنَّ شيئان ، وهما : ما يُلزمونهن من تحمير

خدودهن بالنشاستج ، وغسل سواريهن بالحصر[1] ، وخضاب حواجبهن بالرّامك ، وأطرافهن إن كانت الجارية بيضاء بالخضاب الأحمر ، وإن كانت سوداء بالذّهبى والأحمر ، وإن كانت صفراء بالأسود .

ما يفعلونه فى ملابسهنّ ، فإنّهن يلبسن الأبدان البيض الخصبة[2] الشفافة الثيابَ الخفيفة الكحاليّ والمورّدة ، والسودَ الغلائلَ الحمر والصُّفر ، ويُجرون الصّناعة مجرى الطبيعة فى كشف الضدّ بالضدّ فى ألوان الزَّهَر .

(١) كذا فى الأصل .
(٢) فى الأصل : « الحصبة » .

وأضيف إلى ذلك مايعتبر به أرباب الصنائع[1] من العبيد والإماء ، ثلاثة عشر فصلا ، ومن ذلك فصول ينتفع بها فيما نحن بسبيله وعددها ثلاثة فصول ، شرحها :

(الأول) : فى فصل منبّه على مافضّل فيه النساء على الرجال ، ويجرى هكذا :

طَبِع الرجالُ على جميع الصنائع ، واختصّ النساء بالغناء والغذاء ، فهنّ أطيب طبيخاً منهم لثباتهنّ فى العمل ، وأحسن غناء لأنّهن مطبوعات على النغم ، ٣٤ لكن فيهم دُرٌّ ومَشْخَلَب[2] ، ولهذا يحتجن إلى جهابذة ينتقدونهنّ .

(الثانى) : فى الجيد من الغناء ، ويجرى هكذا :

إذا اجتمع للغناء أن يكون مطبوعاً سليماً من الخروج والنفور ، وكانت الجارية شُحروريّة الصوت ، جيدة الصنعة والضرب ، صحيحة التأدية للشعر ، قد أخذت عن الحُذّاق وتزيّدت من نفسها بجودة الطباع ، فهى الغاية القصوى فى هذا الشأن ، فإن اتّفق لها مستمعٌ عارف بالطرائق والضّرب واللحن ومجرى الأصابع ، وقائلِ الشعر وما فيه من العَروض والنحو ، وما فى الصوت من ردّات وترجيحات وشذرات ونقَرات وتشييعات ، كان أوفر فى اللّذّة وأنفق للصناعة .

---

(١) وردت الكلمة قديماً فى التنبيه للمسعودى ٥ وإنباه الرواة للقفطى ١ : ١٩٥ والدرر الكامنة لابن حجر ٢ : ٤٢٠ .

(٢) فى اللسان (شخلب) : « قال الليث : مشخلبة كلمة عراقية ليس على بنائها شىء فى العربية ، وهى تتخذ من الليف والخرز أمثال الحلى . قال : وهذا حديث فاش فى الناس : يا مشخلبة ، ماذا الجلبه ، تزوج حرملة ، بعجوز أرملة . قال : وقد تسمى الجارية مشخلبة بما يرى عليها من الخرز كالحلى » : وانظر المعرب للجواليقى ٤١٥ . وقد جاء قديماً فى قول الوليد بن يزيد :

قد راح نحو العراق مشخلبه   قصاره السجن بعده الخشبه

الأغانى ١ : ١٦٠ .

(الثالث) : فى الطيّب من الطبيخ واللذيذ من الغناء . اختلف الناس فى ذلك ثم اتَّفقوا على أنَّ هذا أمر يقال بالقياس إلى السَّمع والذوق ، وكلَّما كانت هاتان الحاسَّتان سليمتين فى جوهرها ، معتدلتين فى مزاجهما ذكيتين فى حسهما كان ما يدركانه لذيذا فى نفسه وعندها[1] ، ومتى خرجت عن طباعها — وهذا بلانهاية عندنا — كان اللذيذ بقياسها لا فى نفسه . ولهذا بعض الناس يَستفْزه نقرةً فيقول: الغناء ما أطرب . وآخر لاهٍ عن تلك النقرة ، وواحد يشتهى لوناً ، وآخر عنده ذلك اللون غير شهىّ .

* * *

ومن ذلك اعتبارات الصنائع على اختلافها فى العبيد والإماء ، أربعة فصول ، منها . ٣٥

الطباخات : عمدة الطبيخ على طِيب المرق وجودة المزاج ، فإن اتّفق للطبَّاخة مع هذا جودةُ الصنعة وسرعةُ العمل فذاك غاية الأمل . وقلَّ مايتّفق أن تكون كاملةً فى البوارد[2] والشّواء والطبيخ والحلواء على أصنافها الثلاثة ، فهذا مما يعجز عنه قدر النساء . والذى يمتحَنون[3] به الإسفيدباج[4] ، والدَّيكبراكة[5]

(١) فى الأصل : « سليمة فى جوهرها معتدلة فى مزاجهما ذكية فى حسهما كان ما يدركه لذيذاً فى نفسه وعندها » .

(٢) فى حواشى كتاب الطبيخ لمحمد بن الحسن البغدادى بتحقيق الدكتور داود الجلبى ص ٥٦ : « هى البقول المطبوخة الموضوعة فى الأشياء الحامضة كالخل وماء الحصرم والسماق وماء التفاح والريباس والماست . كتاب الأغذية والأشربة من الخمسة النجيبية ، لنجيب الدين السمرقندى» .

(٣) فى الأصل : « يمتحنوا » .

(٤) ضرب من الطعام يصنع من اللحم والبصل والحمص والأبازير. انظر صنعته فى كتاب الطبيخ للبغدادى ٢٣ . ويقال له أيضاً « إسفيدبا » كما فى معجم استينجاس ٥٨ . ومعنى كلمة « إسفيد » فى الفارسية الأبيض ، واللامع .

(٥) جاءت فى كتاب الطبيخ ١٢ : « ديكبريكة » . ووجد الدكتور داود جلبى ضبطها فى أصل نسخته بفتح الكاف الأولى وسكون الباء وكسر الراء ، قال : « وأظنها من الآرامية: « ديكابريكا » ، ومعناها الديك المبارك » . وصنعة هذا اللون قريبة من صنعة سابقه .

أما الإسفيدباج فلأنَّ الأبازير مطيِّبة لها ، وكثرتها يسـوِّد مرقها ، وأتقنها بياضُها[1] فلهذا يتعذَّر سلامتها . وأما الديكبراكة فلأنها لون سهل يتبين فى التلطُّف فى منع سهوكتها .

الُخزّان : يختار لحفظ الأموال الروم ، لأنَّ السخاء ليس فى لغتهم[2] . واعتبارهنَّ يكون بإمراجهن[3] فى مالٍ معلوم الوزن وإهمال مراعاتهنّ والتصفُّح له من بُعدٍ بغتة .

الحواضن والدايات: يختار لتربية الأطفال النُّوبة لأنهن من جنس فيه رحمة وحنينٌ على الولد، وليس يلقِّنَّ الطفلَ لغةً بَشِعة، ويُختار للرّضاع الظُّئر الصحيحة الجسم ،الحديثة السن المعتدلة المزاج ، المائلة إلى البياض المشربِ حمرة ، الصحيح الولد واللبن . واعتبار اللَّبن أن تقطر على ظفرك منه فإذا صار كالمدسة لا غليظاً
٣٦ مقبَّباً ولا مائعاً سيّالا ، وكان طيّبا فى رائحته ، أبيض فى لونه ، كان جيدا . وبعض الأطباء اختار الزِّنج للرضاع ، لأنَّ حرارتهنّ البارزةَ نحو الأثداء مُنضِجة للبن ، ولأنَّهن لغلَظِه أكثر غذاء . وقال قوم : إنَّ قياسه قياسُ ابن الأُتن فى اللَّطافة ، لغلظ أجسامهن .

رجال الحرب والنجدة : يُختار لذلك التُّرك والصقالبة ، لحرارة قلوبهم . واعتبارُهم يكون بإيراد الأشياء المفزِّعة بغتة ، كإلقاء الحيات الخرق[4] أو طرح الأشياء التى لها صوت عظيم من علو بين أيديهم .

---

(١) فى التحقيق ٢٥١ : « وحسنها بياضها » .

(٢) فى التحقيق ٢٥٢ : « ليس فى طباعهم ولا أخلاقهم » .

(٣) كذا . وفى التحقيق: «فمن أراد أن يجعل خازناً غلاماً أوجارية فليعتبرهما بإمراجهما» وفى الأصل « بإمراجهن » تحريف . يقال أمرج الدابة : تركها تذهب حيث شاءت .

(٤) فى الأصل: « الخرت » . وفى التحقيق ٢٥٢ : « كإلقاء حيات الخرق » .

ومن ذلك ما يتعلق بالقيان ستة فصول ، شرحها :

العوّادات : يعتبرن بالعشرة الأصوات المعيّن عليها من المائة المختارة، وخاصة بالثانى ثقيل ، وعموده ثلاث عشرة نقرة .

الرقّاصات : يحتاج الرقّاص أن يكون طربًا فى طبعه ، مجوّدا فى صنعته، معتدلا فى جسمه وقامته ، عريض الصّدر[1] ليمتد نفسه ، مجدول الحشا لتخف حركته . وهذا يعرف من إحضاره وصياحه ، ويكون قيّما بالبابات[2] جميعها لا سيما الشّيرازية منها .

الكرّاعات[3] يعتبرن بالأرمال والأهزاج والنّصبى[4] والكاكانى[5].

الزوامر: يختار لهن الزنج لأنهن مطبوعات على الإيقاع. ولما يمنعهن عجومة[6] ٣٧ ألفاظهن عن الغناء عدل بهن إلى الزمر والرقص .

الطنبوريات: ذوات الطنبور البغدادى، يعتبرن بالزربقى والحجفى وخفيف رمَل ابن طَرخان . ومن آدابهن على الإجمال إصلاح آلاتهن قبل حضورهن

---

(١) فى الأصل : « الصلب » ، وصوابه فى كتاب التحقيق ص ٢٤٩ .

(٢) البابات : الوجوه والطرق ، أى طرق الرقص . فى الأصل: « بالنايات » ، صوابه فيما أرى من كتاب التحقيق ٢٤٩ .

(٣) الكراعة : كلمة مولدة كما فى اللسان (كرع) . وفى شفاء الغليل للخفاجى : « كراعة : مغنية تغنى على طبل صغير . قال ابن الرومى :

ألق إليها أذناً واستمع أبرد ما غنته كراعه » .

(٤) فى الأصل : « العصبى » وفى التحقيق : « النفى » بإهمال الحروف ما عدا الفاء . وقد سبق الكلام على « النصبى » فى حواشى ٣٢٤ من المجموعة الثالثة .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) انظر ماسبق فى ص ٣٧٤ س ١٥ .

للغناء ، واستصحابها إذا نهضن لاسيما إذا كن بارزات دون الستائر .

الدف بالزرفن (١) .

[صورة ما ورد فى ختام الأصل]

تمت الرسالة فى شرى الرقيق وتقليب العبيد ، تأليف الشيخ أبى الحسن المختار بن الحسن بن عبدون البغــــدادى المتطبب .

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

(١) كذا . وفى كتاب التحقيق ٢٤٩ : « والدفافات يعتبرن بالزفن » . والدفافة : الضاربة بالدف . والزفن : الرقص .

هداية المريد في تقليب العبيد

صنيع غريق الذنوب ، غريق بحر العيوب

راجى عفو مولاه ، والدخول ساحة حماه

فقير ربه المتعالى ، محمد الغزالى ، لطف الله به

مقدمة

وهذا كتاب آخر ، موضوعه مشابه لكتاب ابن بطلان ، يتناول الكلام على اختيار الرقيق ، وكأنه صدى لكتاب ابن بطلان .

ومؤلف هذا الكتاب رجل مغمور من رجال العصر العثمانى فى مصر الذى امتد ثلاثة قرون . بين سنتى ٩٢٣ و ١٢١٢ ، هو « محمد الغزالى » الذى لم أستطع أن أعثر له على ترجمة ، ولكنه فى مقدمة كتابه يهدى كتابه إلى أحد الرجال الرسميين فى مصر ، هو « أحمد بن محمد ، أفندى الديار المصرية »، يقول المؤلف فى شأنه « فاجتمعت بمولانا فى خلوة الأنس والمدام ، فاستجزته واستأذنته فأجاز وأذن فى الإقدام ، استعطافاً لخاطر الفقير، وجبراً منه للقلب الكسير » .

ونسخة الكتاب لم أهتد إلى أخت لها فيما أدانى إليه البحث ، وهى مودعة بدار الكتب المصرية برقم (٤٠ فراسة) كتب على الصفحة الأولى منها : « أمانة سيدى عبد الله شبراوى ولله الحمد فى ٣ من صفر الخير سنة ١١٢٦ عند كاتبه حسن على محفوظ » . وفى آخرها : « عند كاتبه حسن على محفوظ لسيدى عبد الله شبراوى حفظه الله تعالى فى ٣ من صفر الخير شهور سنة ١١٢٦ » .

ولعل هذا المالك هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين القاهرى الشافعى الشهير بالشبراوى ، تلميذ الخرشى . وكان الشبراوى شيخاً للجامع الأزهر ولد سنة ١٠٩١ وتوفى سنة ١١٧٢ وترجمته فى سلك الدرر [١] .

وفى الصفحة الأولى من النسخة تمليك نصه « من نعم الله على عبده الفقير محمد الشربينى الجراح ، خادم الفقراء الضعفاء بدار الشفاء فى سنة ٩٩ » . وتحتمل أن تكون سنة ١١٩٩ ، أو ١٢٩٩ .

والنسخة فى ١٢ ورقة صغيرة بهامشها حواش وتعليقات حرصت أن أنقل المهم منها، لما له من قيمة علمية تاريخية لا لأنه ذو فائدة محققة ، فنحن إنما نعرض هذه المنشورات للتاريخ ولبسط الثقافات العربية القديمة وتقديمها لجمهرة الباحثين .

---

(١) سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر ، لمحمد خليل المرادى ٣ : ١٠٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي وكفى

حمداً لك يا من أبدع نوعَ الإنسان فى أحسن نظام ، وركّبه من أعصابٍ وشراسيف وأوردة ولحم وعظام ، وجعل هيكله معرضاً للصحّة والأسقام ، ورُوحه مركزاً لـكمال الإنعام ، وصلاة وسلاما على خلاصة العناصر ، قُطب دائرة الوجود محطِّ المآثر ، وعلى آله وصحبه ما استدلّ الآسى على اعتدال المزاج ، واستعمل قانون التدبير فى كيفية العلاج .

وبعد فلمّا استولى على أرض الخلَد ، حليفُ التواضع موقعُ الاعتقاد والمدد ، سقَتها هامعة الغَمام من لطافته ، فاهتزّت وربَت من ظَرافته ، وأنبتت حبة المحبة فالتقطها الأماثل ، وتناولها فضا الأفاضل(١) ، فعادت غذاء الأشباح ، وحياةَ روح الأرواح . وكيف وهى حبّة محبَّة مَن

دعا فأجابته المعانى مطيعةً وقد كان منها مَنعةٌ وإباء
وشُرِّفت الدُّنيا بأوصافه التى تقاصَرَ عن إدراكها القدماء
وألقت له العَليا زمام انقيادها فمنها له ما يبتغى ويشاء

مولانا مالكِ زمام شريعة سيد المرسلين أحمد ، أحمد بن محمد ، أفندى الديار المصرية ، صاحب الأخلاق المرضية ، لا زال اقترانُ الاعمين عائداً بصلة السِّرّ الربانى عليه ، مشيرا بسوْف يَعمَلات السّعادة لديه ، ولا برحَ ابنُ بوجهِ البزيعُ فاتقاً لرتْق أبكار المعانى ، محرزاً لقَصَبات السَّبق فى مضمار حَلِّ رموز المبانى ،

---

(١) كذا وردت العبارة . ولعلها « فضلاء الأفاضـل » .

ما غرَّدت بناتُ الأيك على غصون الأشجار ، وفاحت مِسكيّةُ عَرْفِ النَّسيم فى غُضون الأسحار ، وكان الفقير الخمول ممن له تَرداد على مجلس مولانا أفندى الموما إليه ، لمزيد حبه للفقراء وحسن تودُّده إليهم، وشدة اعتقاده فيهم — دعانى الخاطر أن أجمع رسالة فى العلامات الدالة على صحة أبدان الأعبُد ، والعلامات الدّالة على ضعفها، وذلك لأنَّه ممَّا يَحتاج إليه الإنسان عند شرائهم، وأن أرتبها على سبعة فصول وخاتمة ، وأن أقدِّمها لمولانا المشار إليه . فاتَّهمت الخاطرَ أيَّاما فوجدته صحيحاً ، لصحَّة علّته الحاملة، فاجتمعت بمولانا فى خلوة الأنس والمُدام، فاستجزته واستأذنته فأجاز وأذن فى الإقدام ، استعطافاً لخاطر الفقير ، وجبراً منه للقلب الكسير . وها أنا أشرع فى التَّرجمة ثم فى المقصود فأقول :

الفصل الأول : فى العلامات الدالة من جهة مزاج البدن ولونه وهيئة تركيبه وسطحه .

الفصل الثانى : فى العلامات الدالة من جهة الرأس والعنق .

الفصل الثالث : العلامات الدالة من جهة الصدر واليدين .

الفصل الرابع : فى العلامات الدالة من جهة الأحشاء والكليتين والمثانة والأنثيين والقضيب والمقعدة .

الفصل الخامس : فى العلامات الدالة من جهة الرجلين وخصوص الركبة والساقين .

الفصل السادس : فى العلامات الدالة من جهة السمن والهزال، والطول والقصر .

الفصل السابع : فى العلامات الدالة من جهة كيفية مزاج مطلق البدن وطبعه .

الخاتمة : فيما يناسب العبد إذا اشتراه من الرياضة والراحة والدعة .

الفصل الأول

فى العلامات الدالة من جهة مزاج البدن ولونه وهيئة تركيبه وسطحه، أى بشرته

ليُعلَمْ يا إنسانَ عين الزمان(١) أنه من أراد شراء عبد أبيضَ كان أو أسود، ذكراً كان أو أنثى، ينبغى له أن ينظر إلى لون بدنه، فإن وجده حائلاً كالأصفر دلَّ ذلك على غلَبة الصفراء، وعلى سوء مزاج حارٍّ مطلقاً، أو على سوء مزاج حارٍّ فى خُصوص الكبد. وإن وجده أبيضَ جِصِّيًّا دلَّ على سوء مزاجٍ باردٍ، أو على برد الكبد ورطوبتها وغلبة البلغم. وإن وجده أسود كمِداً يشبه لونَ الرَّصاص دلَّ على سوء مزاجٍ بارد يابس، وعلى برد مزاج الكبد ويبسها، وعلى غلبة السوداء وضعف الطِّحال. وإن وجده أبيضَ تعلوه حمرةٌ قليلة أو أسمر سمرتُه صافية، أو أسود سوادُه حالك برّاق مع حمرة الشفتَين دلَّ على حُسنِ المِزاج وصحة البدن.

وأن ينظر إلى هيئة بدنه، فإن وجد أعضاءه بعضها أكبر من بعض، كأنْ وجدَ رأسَه كبيراً، ورقبته دقيقة، وصدره ضيقاً؛ أو وجد رأسه صغيراً، ورقبته غليظة، وصدره مخالفا لذلك؛ أو وجد رأسَه صغيرا، وبدنه كبيرا، ورجليه قصيرتين، دلَّ على رداءة الطبع وقبح المنظر. وإن وجدَها حسنةَ الشكل جيدة التركيب متناسبةً متشابهة بعضها ببعض فى العظم والصغر، والسمن والهزال. والطول والقصر، دلَّ على جَودة الهيئة وصحة التركيب.

وأن ينظر إلى سطح بدنه، أى بشرته، فإن وجده قضيفاً جداً دلَّ على

---

(١) انظر ما سيأتى فى أول « الخاتمة ».

شدّة الحرارة واليبس ، والاستعداد لحدوث بعض الأمراض . وإنْ وجده سميناً جداً دلّ على كثرة البرودة والرطوبة والبلغم، ولا يأمن صاحبُه من موت الفجاءة وحدوث المرض البطىء البُرء كالسَّكتة والفالج، واللّقوة والصَّرْع، وما يجرى هذا المجرى . وإن وجد فى بدنه موضعا مضيئاً فقد يكون برصاً أو قوباء أو بهقًا أبيضَ أو أسود ، وإن وجد فيه كيًا أو صَبْغا فليتفقَّد ذلك تفقداً جيداً ،لاحتمال أنّه فعل ذلك بسبب برص ،وإن وجد موضعًا مغايراً للون البدن، فلينظره نظراً شافيًا ، لاحتمال أنَّه برص صبغه بالشيطرج[1] أو غيره، فيغسله المشترى بالأشنان والخل ، ويدلكه بخرقة خشنة دلكا جيداً، فإن كان برصا ظهر واتّضح . وإن وجد فى بدنه آثارَ قروح فليسألْ بائعه هل عضَّه كلب ؟ فإنْ قال نعم كان ذلك فلا يشتريه،فإنه لا يأمن من أن يكون ذلك الكلب كلِبًا فيؤولَ الأمرُ بصاحبه إلى الخوف من الماء ثمّ الموت . وإن وجد البدن خاليًا عن جميع ذلك سالمًا منه دلّ على صحته .

الفصل الثانى

فى العلامات الدالة من جهة الرأس والعنق

وينبغى أيضا أن ينظر إلى رأسه ، فإنْ وجده خفيفا ممرّطا ، ونباتَه متفرقا متباعداً ، دلّ على فساد جلد الرأس ، ورداءة مزاج الدماغ . وإن وجده لينًا ، دل على الجبن ، وإن وجده منتقضا متساقطا بكثرة دلّ على يبس الدماغ . وإن وجد به داء الثعلب أو داء الحية[2] دلّ على أخلاط ردية مفسدة للشعر . وإن وجده سالمًا من ذلك وخشنا دلّ على جودة مزاج الدِّماغ والشجاعة .

---

(١) نبات ينبت كثيراً فى القبور والحيطان القديمة والمواضع التى لاتحرث ، له زهر أحمر يطول نحواً من ذراع .

(٢) انظر ما سبق فى كتاب ابن بطلان ص ٣٨١ .

وأن ينظر إلى جلدة الرأس فإنْ وجد بها حَزَازاً[١] ، أو شطفة[٢] وبثراً ، أو أثر قروح وجرْح غائر ، دلّ على عظمٍ قد سقط من القِحف . وهذا ردئٌ لا يؤمن أن يقع بهذا الموضع صدمة أخرى من شيء حادّ فيبلغ الدماغ فيخرجه ، أو من شيء ثقيل يرضّه فيتلفه .

وأن ينظر إلى شكل القِحف ، فإن وجده مسفّطا جدًّا[٣] دلّ على الرداءة من جهتين : أحدهما : سرعة الصَّرْع ، وثانيهما قبح المنظر .

قال صاحب لقط المنافع[٤] : أما صغر الرأس وكبره فسببه المادة النُّطْفية ؛ إن قلّت قلّ ، وإن كثرت عظم .

وإذا كان الرأس صغيراً حسن الشكل، كان أقلّ رداءة من الصغير الردىء الشكل ، على أنه لا يخلو من رداءة هيئة الدماغ ، وضعف من قواه . ولهذا قال أصحاب الفراسة : يكون هذا الإنسان لجوجاً سريع الغضب متحيِّراً فى الأمور .

قال جالينوس : لا يخلو صِغر الرأس البتة عن دلالةٍ على رداءة هيئة . وكبر الرأس ليس دليلاً فى كلِّ وقت على جودة الدماغ مالم يقترن به جودةُ الشكل وغِلَظ العنق وسعةُ الصدر ، فإنها تابعة لعِظَم الصُّلب والأضلاع التابعَين لعظم النخاع وقوّته،التابعَين لقوة الدماغ .

وإذا كان الرأس مستديراً دلّ على بُعده عن الخير إذا كانت الجبهة مستديرة، والوجه طويلا والرقبة غليظة ، وفى العين بلادة .

---

(١) فى حاشية الأصل : « الحزاز وهو النخالة التى تكون فى الرأس ، سببها مادة حادة بورقية أوسوداوية أو دم سوداوى أو أبخرة حادة أو يبس » . وفى اللسان : « والحزاز : هبرية فى الرأس كأنه نخالة ، واحدته حزازة » .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة . ولعلها « السعفة »،وهى قروح تخرج بالرأس .

(٣) انظر ما سبق فى حواشى ٣٥٩ .

(٤) هو ابن الجوزى . ولقط المنافع : كتاب له فى الطب جعله على سبعين باباً ، ثم اختصره وسماه مختار المنافع . كشف الظنون .

وأن ينظر إلى عينه ، فإن وجدها عظُمت فهو قبيح كسلان ، وإن وجدها غارت ففيه داء خبيث ، وإن جحظت فهو وقح مهذار ، وإن وجدها ذاهبةً فى طُول بدنِهِ فهو مكَّار خبيث، وإن وجدها كأنها ناتئة[(١)] وسائر العين لاطٍ[(٢)] فهو أحمق . وإن وجدها صغيرةً غائرة فهو مكار حسود . وإن وجدها ناتئة[(٣)] صغيرة كعين السرطان فهو جهولٌ ميّال إلى الشهوات . وإن وجدها كبيرة ترعد فهو شرّير إن صغرت حدقتها . وإن وجدها عظيمة فهو قليل الشر عظيم الُحمق[(٤)] . وإن وجد حدقتها شديدة السَّواد فهو جبان . وإن وجدها زرقاء صغيرةً فهو كسلانُ بطّالٌ كثير المحبّة للنساء . وإن وجدها زرقاء مشوبةً بصُفرة كالزّعفران فهو ردىء الأخلاق جدًّا . وإن وجدها زرقاء وهو أشقر اللون فهو ردىء جداً . وإن وجدها زرقاء مشوبةً بصُفرة وخضرة كالفيروزج فهو أردأ الناس . وإن وجد فيها نُقطاً حمراً أو بيضاً فهو شر الناس وأرداهم . وإن وجدها بيضاء بياضُها كدر فهو غير جيِّد الحدقة . وإن وجدها مع ذلك مستديرة كعين الأسد، والوجه متعجِّر ، فهو ممن حدث له الُجذام . وإن وجدها شهلاء فهو جيِّد العين . وإذا لم يكن شَهَلها شديد البريق ، ولا مشوباً بصفرة ولا حمرةٍ فهو شديد جودة العين . وإن وجد فى عينه عُروقاً حمراء دلّ على حصول السَّبَل له[(٥)]، وإن وجد حاجبَها

---

(١) فى الأصل : « ثابتة » ، صوابه من كتاب جمل أحكام الفراسة ص ٣ . والناتئة : المرتفعة .

(٢) اللاطئ : اللازق .

(٣) فى الأصل : « ثابتة » ، صوابه من كتاب جمل أحكام الفراسة .

(٤) نص الرازى : « صاحب العين الكثيرة الرعدة شرير إن كانت صغيرة ، وإن كانت عظيمة نقص من الشر وزاد فى الحمق » .

(٥) جاء فى حواشى الأصل : « السبل : عروق تمتلئ دماً وتسود وتحمر ، وأكثره مع سيلان دم وحمرة وحكة . وهو ثلاثة أنواع : أحدها يعرف بالسبل الرطب ، كأنه نسيج العنكبوت بعروق حمر دقاق ويكون معه رطوبة عظيمة فى العين . والثانى يعرف بالسبل اليابس وتكون معه العين ناشفة كأنها صحيحة غير أن العبا (؟) يكون مسبلا . والثالث المستحكم الذى قد غلظ ومنع البصر وبيض الحدقة » .

كثير الشعر فهو كثير الهم والحزن غثّ الكلام، وإن وجد مأقها الذي يلي الأنف تسيل منه رطوبةٌ فليبصره فإن خرج منه زيادةُ رطوبةٍ دلّ على مرض الناصور (١) ، وإن وجد في هذه المآقي زيادةً لحميّة ناتئة منبسطة نحو الحدقة فهي ظَفرة (٢) ، وإن وجد جفنها منتثرة (٣) ، دلّ على مادّة حادّة تصل إلى أصول الأجفان فتمنعها من جودة البصر وتسقطها، وإن وجد الجفن ثقيلا مسبلا دلّ على غلظ أو جربٍ أو شَعرة. وإن وجده منكسراً أو مكبوباً من غير علة فهو ماكرٌ أحمق كذّاب.

وينبغي له أن يمتحن بصرَه قوّة وضعفاً، بأن يريَه أجساما مختلفة الأشكال فإنْ كان لا ينظرها نظرًا جيدًا، أو كان ينظر إلى القريب منها نظرًا جيّدًا دون البعيد أو بخلاف ذلك فبصرُه رديء، ودلّت العلامة على آفةٍ قد نالت الدّماغ والرّوح الباصر.

وأن ينظر إلى سمعه، فإن وجدَه ثقيلاً بأن يكلّمه فلا يجيبه، دلّ على أنَّ بسمعه آفةً، إما من شدّةٍ عارضة في ثَقب الأذن، والشدة إما من لحم نابتٍ أو ثألول (٤) ، أو من قبل شيء عارض. فإن كانت من شيء عارض، كحصاةٍ أو فُولة أو شعيرة أو وسخ، فإنها تزول بالآلة التي يُخرج بها ما يَسقُط في الأذن. وإن كانت من غير ذلك فبرؤه عسر. وإن وجده كبيرَ الأذُن جاهلٌ بايدٌ طويل العمر.

وأن ينظر إلى أنفه، فإن وجد غِلَظًا [أو] جَسًّا (٥) ، دلّ على أن هناك لحما

---

(١) انظر ماسبق في ص ٣٦١ .

(٢) انظر مامضى في حواشي ص ٣٦١ .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) هذه لغة عامية في « الثؤلول » نص عليها ابن الجوزي في تقويم اللسان . والثؤلول : واحد الثآليل، وهو الخراج يخرج في الجلد .

(٥) في الأصل : « فإن وجده غليظا جشا » تحريف . انظر له ما سيأتي في أول الفصل الرابع . والجسا : اليبس.

زائدًا وقروحا فى المنخرين، فينبغى أن ينظرَ إليه فى موضعٍ مضىء مقابلٍ للشمس ليظهرَ له ذلك .

قال صاحب لقط المنافع[١] : من كان طرفُ أنفه دقيقاً فإنّه يحب الخصومة، ومن كان أنفه غليظا ممتلئاً فهو قليل الفهم ، ومن كان غليظَ الشَّفَة فهو أحمق غليظ الطبع، ومن كان قليلَ صِبغ الشَّفَه فهو ممراض، ومن كان كثير لحم الخدَّين فهو غليظ الطبع .

وأن ينظر إلى لسانه فإن وجده ثقيلا أو ألثغ أو ليس بيِّن الكلام دلَّ على صِغَر اللسان أو غِلَظه أو قصره ، أو قَطْعِ جزء منه ، أو آفةٍ للعصَب اللسانى ، أو غير ذلك من الآفات ، أو من سنّ قد انقلعت . وإن وجد فيه آثارَ قُروح قد اندملت ، فليسألْ صاحبَه عن السبب ، فإن قال سببه قُرحةٌ عرضت فى لسانه ، أو ورمٌ انفجر واندمل ، فلا يشتريه حتى يفحص عن ذلك فحصاً جيدًا ، لاحتمال أن انصرَعَ فعضَّ لسانَه فتورَّم وتقرَّح ، وأن يسمع صوتَه فإن وجده أبحَّ حادًّا دلَّ على أنَّ هناك جُذامًا سيظهر .

وقال بعض الأفاضل من العلماء: حُسن الصوت دليلٌ على الحمق وقِلّة الفطنة.

وأن ينظرَ إلى أسنانه ، فإن وجدها ساقطةً ، ولا سيما الثنايا والأنياب والأضراس ، دلَّ على القبح ، والمنع من بيان الكلام والمنع من جودة المضغ ، وإن وجد سقوطها من قبل أن يُثغر فإنه إذا ثُغرت عادت أجود مما كانت ، وإن وجد سقوطها من بعد إثغاره فإنها لاتعود . وأن ينظر إلى لون أسنانه ، فإن وجده أبيضَ أو أسوَد فهو عيبٌ قبيح إلاَّ [أن] يكونَ قبلَ إثغاره فإنَّ الإنسان إذا ثُغِر عادت أسنانه ولونُها إلى أحسنَ ما كانا وأجوَد وأقوى .

---

(١) انظر ما سبق فى حواشى ٣٩٧ .

قال أبو الفرج بن الجوزى[١] رحمه الله : وتفريق الأسنان وضعفها ورقتها دليل على ضعف الجسد[٢] وقصرِ العمر. واللّحم الكثير الصُّلب دليلٌ على غِلَظ الحسّ والفهم . ومن وقَعَ عليه عند الضّحك سُعال أو ربو فإنّه وقِحٌ ساقِط .

وقال فى موضع آخر : وأن يتفقّد أسنانه ، فإن القويّة طويلةُ البقاء ، والرّفيعة[٣] سريعة السُّقوط ، والضعيفة المتفرقة تدلُّ على قصَر العمر .

وأن ينظر إلى لثاة أسنانه،فإنْ وجدها متشعّبة أو مسترخية أو فيها قروح[٤] دلَّ على الرداءة .وأن يشتمَّ نكهته،فإن وجدها متغيّرة، فتميُّزها إمَّا من عُفونةِ اللّثاة أو من ضِرس متآكل أو من بلغمٍ عفِنٍ فى المعدة .فإنْ كان من الأوّل فيزول بتقوية اللّثة بالأدوية القابضة ، واستعمال الأدوية الحارّة . وإن كان من الثانى فيزول بقَلع الضرس المتآكل ، أو بتنقيته أو بكَيِّه . وإن كان من الثالث فلا يسهل برؤه .

وأن ينظر إلى لَهاته،فإنْ وجدها نازلةً إلى السُّفل كثيراً دلَّ على الرّداءة ، من جهة أنه متى عرض لها ورمٌ تبعه الخُناق . وإن وجدها مسترخيةً دلَّ على الرّداءة من جهة أنَّ صاحبه يَعرِض له السُّعال كثيراً .

وأن ينظر إلى حلقه من خارج،ويمسَّ الغدد التى هناك ، فإن وجدها ظاهرةً

---

(١) يعنى ، فى كتابه « لقط المنافع » .

(٢) فى حواشى الأصل : « قال السموأل : واجتماعها أجود من تفرقها ، وإن كان الشذب مذهباً محبوباً عند العرب » : قلت : السموأل هذا هو السموأل بن يهوذا المغربى ، من العلماء الذين قدموا إلى المشرق ، وأقام بمدينة المراغة مراغة أذربيجان ،وأولد أولاداً سلكوا طريقته فى الطب ، وأسلم فحسن إسلامه، وصنف كتابا فى إظهار معايب اليهود وكذب دعاويهم فى التوراة ، ومات قريباً من سنة ٥٧٠ . القفطى ١٤٢ .

(٣) الرفيعة هنا بمعنى الرقيقة . وهى صحيحة . جاء فى شرح درة الغواص للحريرى ص ١١٨ : « والناس يقولون ثوب رفيع بمعنى رقيق ، كذا فى أدب الكاتب ، وهو مجاز ، ولذلك أهملوه فى كتب اللغة » .

(٤) فى الأصل : « قروحاً » .

تحت الملمس، مع صلابة كان ذلك دليلاً على الخَنَازير(١) .

وأن ينظر إلى لون وجهه ، فإن وجده مثل لهب النَّار فهو عجول مجنون ، وإن وجده رقيقاً فهو مستحيٍ ، وإن وجده أخضر أسود فهو سيِّئ الخلق . وأن ينظر إلى استدارة وجهه ، وإلى نحافته ، وإلى صغره وطوله ، فإن وجده شديد الاستدارة فهو جاهل ، وإن وجده نحيفاً فهو مهتمٌّ بالأمور ، وإن وجده صغيراً فهو دنيء خبيثٌ مَلاَّقٌ ، وإن وجده طويلا فهو وقح . وأن ينظر إلى عنقه ، فإن وجده قصيراً جداً فهو مكّار خبيث ، وإن وجده طويلا دقيقاً فهو صَيَّاح أحمق جبان . وإن وجده كثير الشعر فهو أحمق شديد الحرارة .

الفصل الثالث

في العلامات الدَّالَّة من جهة الصدر والإبطين واليدين

وينبغي له أيضاً أن ينظر إلى صدره ، فإن وجده ضيقاً والكتفان مرتفعان كأنَّ له جناحين والظهر منحنياً دلَّ على مرض السلّ ، لاسيَّما إن كان في سنِّ الحداثة والشباب وكانت النزلات تعرض له كثيراً(٢) .

وأن ينظر إلى باطنه ، فإن وجد فيها غُدَداً دلّ على حدوث خنازير هناك .

وأن ينظر إلى يديه بعد أن يجمعهما، ويقيس إحداهما بالأخرى ، فإن وجدهما

---

(١) في القاموس أن الخنازير قروح تحدث في الرقبة . وفي حواشي الأصل : «الخنازير ورم صلب شبيه بالغدد ، إما في اللحم الرخو الذي هو في العنق أو الذي في الأربيتين أو الذي تحت الإبطين ، وأكثر ما يكون هذا الورم في مقدم العنق وفي جوانبه . ويكون إما غدة أو غدتين أو ثلاثا وأكثر ، وكل واحدة لها صفات خاصة كالسلم . وإنما سمي هذا الصنف خنازير لأن هذه الغدد تكون في أرقاب الخنازير . [وقال] قوم : لأن الخنازير [تعرض به أيضاً] » .

(٢) في حواشي الأصل : « النزلة هي تحلب فضول رطبة من بطني الدماغ المقدمين إلى المنخرين » .

قصيرتين ، أو إحداهما قصيرة والأخرى طويلة دلّ على الرداءة والقبح ، والمنع من جودة الأعمال .

وأن ينظر إلى ساعده فإن وجده ملتويًا لعلة عرضت فهو عيب ردىء ، وإن وجده ينقص عند ليِّه عما يحتاج إليه دلّ على آفة عرضت للزَّند الأعلى . وإن وجد مَفصِل مرفقه ينقص عند النواية عما يحتاج إليه دل على آفة عرضت للزند الأسفل .

وأن ينظر إلى مِعصَميه ،فإن وجد بهما شبه ورمٍ صغير وإذا لمسه وجد تحت الملمس ما يشبه العِرق أو الدُّود ، فإن ذلك يدل على وجود العِرق المدينى[1] .

وأن ينظر إلى كفه ، فإن وجده عسِر الحركة عند قبضها أو بسطها فهى رديئة. والدَّليل على قوَّة يده وضعفِها أن يأمره المشترى أن يقبض على بعض أعضائه قبضًا شديداً ، فيظهر بذلك قوةُ اليد وضعفُها[2] .

الفصل الرابع

فى العلامات الدالة من جهة الأحشاء والكُليتين والمثانة والأنثيين والقضيب والمقعدة

وينبغى له أيضًا أن يتفقد أحشاءه[3] ، فإن وجد فى الناحية اليمنى أو اليسرى غِلظًا أو جَسًا[4] بعد أن يأمره أن يستلق[5] على ظهره ، ويكون رأسه غير

(١) فى حواشى النسخة : « المدينى بثرة تحدث فى الساقين تتنفط . . ثم يخرج منها شىء [كالدو] د ، ولا يزال يطول ، وربما كان له حد لحدة مادته ومدة توجع ، قطعه خطر » .

(٢) فى حواشى النسخة : « قال السموأل : وينبغى أن ينظر إلى أكل الجارية وعملها الأشغال فربما كانت الجارية تأكل بيـــدها اليسرى وتعمل بها أكثر أعمالها ، وذلك من العيوب » .

(٣) فى حواشى الأصل : « إنما عدلنا فى هذا الفصل عن التعبير بالنظر إلى التعبير بالتفقد لأن هذه المواضع لايجوز النظر إليها » .

(٤) الجسا : اليبس ، يقال جسيت اليد وغيرها جسواً وجسا: يبست

(٥) فى الأصل : « يلتقى » .

مرتفع ، ويبسط يديه نحو رجليه ويَشيل ركبتيه إلى فوق ، ويصفّ قدميه ، ويلمس مَرَاقّ بطنه(١) من موضع فم المعدة وما دُونَ الشَّراسيف إلى أن ينتهى إلى العانة ، ويمرّ بيده على ذلك مروراً شافيًا — دلّ ذلك الغلظ أو الجسا(٢) على أن فى الكبد أو الطحال ورمًا رديئًا يؤدى إلى الاستسقاء ، لاسيَّما إن رأى مع ذلك لونَ البدن رديئًا مائلا إلى البياض ، وأسفل الجفن الأسفل متهيِّجا .

وينبغى له إذا أراد شراء جارية أن يتفقَّدها ، فربما يجد منها فيما بين السُّرة إلى العانة غلظًا أو صلابة ، فإن وجد ذلك دلّ على سرطان فى رحمها(٣) ، وليتفقَّدها أيضًا إذا هى حاضت ، لاحتمال أن يعرِض لها الغشْى الشَّبيه بالسَّكتة ، فإن وجدَ بها ذلك ، دلّ على أن بها اختناق الرحم ، وهذا ربَّما أوجد موتَ الفُجاءة .

وأن يتفقَّد كُليتيه ومثانته ، فإن وجد فيهما أو فى أحدهما الحصاة ، دلّ على العيب الردىء ، ويعرف ذلك من وجود رمل فى بوله .

قال بعض الحكماء : لطافة البطن تدلُّ على جودة العقل ، ودقة الأضلاع ورقَّتها تدلُّ على ضعف القلب .

وأن يتفقَّد أنثييه فإنْ وجد عروقَهما أخذت فى الاتِّساع ، دلّ على حدوث العِرق المسمَّى بالدالية ، وهو لا يظهر فى أوَّل الأمر ، بل يبدو شيئًا فشيئًا على طول المدَّة ، ثم يعقبه آفة قويّة شديدة . وأن يتفقد قضيبه ، فإن وجد النقث(٤) الذى فى جانب الكمَرَة الموجب لعدم استقامة البول مع جريانه إلى أسفل ، دلّ

---

(١) مراق البطن : أسفله وما حوله مما يسترق منه ، وهى المواضع التى ترق جلودها، قال الهروى : واحدها مرق ، وقال الجوهرى : لا واحد لها .

(٢) فى الأصل : « الجس » تحريف . انظر ماسبق فى الحاشية (٤) من الصفحة السابقة.

(٣) فى حواشى الأصل : « السرطان مرض سوداوى علامته أن يكون صلباً شديد الصلابة بمنزلة الحجارة متمدداً ، ويكون شكله شبيهاً بالسرطان » .

(٤) كذا فى الأصل .

على الرداءة فى التوليد، لأنّ المنىّ يحتاج إلى الاستقامة عند مروره فى الرّحم كى يصل لأقصاه .

وأن يتفقّد مقعدته، فإن وجد بها بواسير أو توثا[1] أو نواصير، دلّ على الرداءة .

الفصل الخامس

فى العلامات الدالة من جهة الرجلين مطلقا، وخصوص الركبة والساقين

وينبغى له أيضًا أن ينظر إلى رجليه بعد أن يأمره المشترى أن يجمعَ رجلَيه، ويصفّ قدمَيه فى موضع مستوٍ، فإنْ وجد إحداهما أقصرَ من الأخرى فذلك عيبٌ ردىء، دل على تشنُّج أو عرج ناله من قِبَل عرق النَّسا ويأمره بالمشى فإنْ يكن فى خطاه تقصير دلّ على قوّة العصب، وسلامة المفاصل، وإن كان الأمر بخلاف ذلك دلّ على آفةٍ قد نالت العصب أو مَفصِل الورك أو غيره من مفاصل الرِّجل.

وأن ينظر إلى خصوص الرُّكبة، فإن وجد بها ورمًا صلبًا، أو الورم المعروف بالشّوكة[2]، فإنّه ربّما لم يبرأ، ويؤدّى بصاحبه إلى دقّة الساقين والزّمانة، وإن وجد فيها اعوجاجا أو مَيَلا فهو داء قبيح .

وأن ينظر إلى خصوص السّاقين، فإن وجدهما متقوّسين أو منقلبين[3] إلى خارج، فهو عَرَض ردئ يضرّ بالمشى مَضرّة قوية . وإن وجد عُروق باطن السّاقين أخذت فى الاتّساع فهو سببٌ لحدوث العروق المسمّاة بالدالية . وإن وجد فى الساقين غِلظًا وصلابةً وامتلاء فى موضع الكعبين إلى فوق فذلك يدلُّ على حدوث العِلة المسمّاة بداء الفيل .

---

(١) كذا فى الأصل . (٢) فى اللسان : « الشوكة : داء كالطاعون » .
(٣) كذا، والساق مؤنثة .

الفصل السادس

فى العلامات الدالة من جهة السِّمن والهزال ، والطول والقصر

وينبغى له أيضًا أن ينظر إلى جسمه ، فإن وجده سمينًا فلا يشتريه ، لأنَّ السُّمنة(١) رديئة جداً ، لاسيَّما السّمنة بالطبع ، فإنَّها مستعدة لحدوث أمراض رديئة لأن الحرارة الغريزية تكون فيها ضعيفة لضِيق عروقها ، وضيقُ العروق فيها لشيئين : أحدها برد المزاج . ثانيهما ضعف الأعضاء السمينة لها ، فأصحابها لذلك أقل أعماراً ، لأن ضيق العروق يتبعه ضعف الحرارة الغريزية ونقصانُها ، وهذان يتبعان نقصان الروح ، وهم معرضون للسكتة والفالج وعسر النفس .

ومن أفرط سمنه وكان ممراضاً ، فهو على خطر . وإن وجده قضيفاً مهزولا نحيفاً فلا يشتريه ، لأن النحيف ردىء لِمَا يغلب على مزاجه من اليُبس ، فهو لا يقدر على الرياضة والأعمال الكثيرة ، لأن ذلك مما يسخِّنه ويجفِّفه فيزداد نحافة . وصاحب النحافة لا يقدر على الحرّ والبرد ، لأنهما يصلان إلى أعضائه الباطنة بسرعة فيعرِّيانها من اللحم وإمهال النحيف خَطر .

وإن وجده معتدلاً ليس بالسمين ولا بالهزيل ، فليشتريه(٢) فإنه من أحسن العبيد بدناً ، وأدومهم صحة ، وأصبرهم على الأعمال ، وأبعدِهم عن الأمراض ، لأن الحرارة الغريزية متوفرة فيه ، والهضم جيِّد ، والأعضاء قوية لذلك .

وإن وجده طويلاً دلّ ذلك على غباوته وغفلته وذلة عقله . وإن وجده قصيراً دل ذلك على خُبثه وخداعه ومكره .

---

(١) هذه الكلمة بمعنى السمن مما لم يذكر فى المعاجم المتداولة . وقد وردت بهذا المعنى أيضاً فى شرح الحماسة للمرزوقى ١٢٦٢ ، ١٤٣٦ .

(٢) كذا جاءت بالأصل . وإثبات حرف العلة مع الجازم لغة لبعض العرب ، كقوله :

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

قال الجاحظ: الغباوة والغفلة فى الطِّوال أكثر، والخُبث والخداع فى القصار أبيَن، واللُّطف فى النِّحاف والقِضاف أظهر، والغِلظة والجفاء فى السِّمان أكثر، وما سوى ذلك نادر.

قال صاحب لقط المنافع: قالوا: والطِّوال من الناس فى الشبيبة أحسن، وفى الكبر أقبح، لسرعة الانحناء إليهم. والمعتدلون فى الطُّول صالحو الحال.

قال الجاحظ: أجمعَ الناسُ على أنْ ليس فى الدنيا أثقلُ من أعمى، ولا أبغض من أعوَر، ولا أخفُّ روحاً من أحوَل، ولا أقوَدُ من أجدَب.

قال بعض الحكماء: لاتبتاعنَّ مملوكا قويَّ الشهوة فإنَّ له مولًى غيرك، ولا قويَّ الرأْى فيستعمل الحيلةَ عليك. لكن اطلبْ من العبيد مَن كان حسن الانقياد، قويَّ الجسم، شديد الحياء. واعلم أنه ما من شىء تنتفع به إلاَّ وفيه مضرّة، فإن الخادم الذكىَّ الفطن الذى يُريحك من كدِّ الإفهام ويُقنِعه منك الإشارةُ فى تبليغ الأغراض، لاتقدر أن تستر عنه شيئاً من أمرك، فسرُّك معه شائع، وهو قادر لفطنته على الاحتيال عليك فى كل ما تريد. وإن كان الخادم غبيًّا وقفت أمورُك، وانكسرت أغراضك، ولا يفى كتمانُ سرِّك بوقوف أغراضك. فينبغى أن تستخدم الفطناء فى الأمور الخارجة عن المنزل، وتستخدم البُلْه فى الأمور الداخلة. وكذلك الأصدقاء فى معاملتهم والمعامَلون.

الفصل السابع

فى العلامات الدالة من جهة كيفية مزاج مطلق البدن وطبعه

فعلامات رطوبة مزاج بدنه كثرة الشحم، واعتدال اللحم، ولِين الجسَد، ورخاوة الجلد، وضَعف العصب، واسترخاء المفاصل، وعدم الشَّعر، وكثرة النوم.

وعلامات يبس مزاجه، قضافة البدن، وصلابة الملمس، وقلة الشحم.

وعلامات حرارة مزاجه سخونة اللمس ، وحمرة اللون ؛ وسرعة نبات الشعر وكثرة خشونته وسواده ، ويكون صاحبه ذكيًّا فطنًا سريع الحركة والغضب ، عجولاً مبادراً ، غير متثبت ، شجاعاً بطلا مقدامًا متهوّراً[1] قليل التهيب للأمور العظام ، ويكون نبضه سريعاً متواتراً ، ويكون هو سريعَ النموّ والنشوّ ، قويّ الشهوة ، جيِّد الهضم ، كثير الباه ، كثير اللحم ، قليل الشحم ، جهش الصوت[2] .

وعلامات برودة مزاجه برودة اللمس ، وبياض اللون ، وقلة الشعر وبياضه وبطء إنباته ، ويكون صاحبه بطيء المشى ، بليداً قليل الفهم ، ثقيل اللسان ، بطيئًا فى الحركات ، متوقفًا فى الأمور ، جبانًا فزِعًا خائفًا قليل الغضب .

وعلامات حرارة ورطوبة[3] مزاجه كون الشعر أسود رَجِلاً سبطا ، وكثرة اللحم وقلة الشحم وحرارة اللمس ولينه ، فإن غلبت الرُّطوبة كان البدن ممراضًا لحصول التعفُّن ، وإن غلبت الحرارة كان البدنُ أصحَّ . وإن كانا معتدلين كان اللون مختلطًا فى الحمرة والبياض .

وعلامات حرارة ويبوسة مِزاجه: كثرةُ الشعر وجعودته وسواده ، لأنَّ مادة الشَّعر هو البخار الحارّ اليابس الذى يخرج من مسامّ البدن ، ويدفع بعضه بعضا إلى خارج ولا ينقطع خروجه — وقضافة البدن ، وحرارة اللمس ، وأُدمة اللون ، والذّكاء والذهن والشجاعة وقوّة الشهوة ، وجودة هضم الأغذية الغليظة والحرص على الباه .

وعلامات برودة ورطوبة مزاجه سبُوطَة الشعر[4] وشُقْرته وبياض اللون ،

(١) فى الأصل : « مهوراً » .
(٢) كذا وإنما يقال أجش الصوت ، أى غليظ .
(٣) فى الأصل : « وبرودة » .
(٤) سبوطة الشعر ، أى انبساطه واسترساله . وفى الأصل « شوطة الشعر » .

وسمن البدن من كثرة الشحم،ويكون صاحبه بليداً كثير النسيان،قليل الفهم، جبانا ، ضعيف الشهوة ، بطىء الهضم ، قليل الباه .

وعلامة برودة ويبوسة مزاجه بياض اللون الذى يضرب إلى الكمودة ، وقضافته ، وبرودة الملمس وشقرة الشعر الذى يضرب إلى الصُّفرة ، مع قلته ، وامتناع الباه .

وعلامات مزاج البدن المعتدل:أن يكون متوسِّطا فى الهزال والسِّمَن ، وأن يكون لونه مختلطا ببياض وحمرة، أشقر إلى الحمرة مادام صبيًّا، فإذا صار إلى سنّ الشباب صار الشَّعر أسود، ويكون ملمسه معتدلا فى الحرارة والبرودة، والصَّلابة واللِّين ، بمنزلة جلد بطن الراحة ، ويكون فهِمًا فطِنا عاقلا ، شجاعًا غير أهوجَ ولا جبان ، بَيْنَ الرحيم والقاسى ، عفيفاً متوسطا فى العلامات .

الخاتمة

فيما يناسب العبد إذا اشتراه ، من الرياضة والراحة والدعة

ليُعْلَمَ يا مِغناطِيسَ الفؤاد(١) ، أنَّ من اشترى عبداً ينبغى له أن يستعمِلَه فى الرياضة ، وهى عند الأطبَّاء عبارةٌ عن الحركات البدنية ، ولها وقتٌ وفوائدُ وغاية تنتهى إليها .

فوقتها قبل الغِذاء ، حين يكون البدنُ نقيًّا ويكون طعامُ أمسِ قد انحدر وانهضم،وحضر وقتُ طعامٍ آخر. ولا تجوز الرياضة فى وقت الجوع. واستعمالُها قبل انحدار الطعام مولِّد للسُّدَد فى العروق التى بين الكبد والمعا .

قال جالينوس: رياضة قبل الطعام خير عظيم،وسببٌ وكيدٌ فى حفظ الصحة

(١) انظر ماسبق فى مبدأ الفصل الأول ص ٣٩٥ .

ومن فوائدها: تنبيه الحرارة الغريزية التى فى البدن ليَقوَى بذلك على جذب الغذاء وسرعة هضمه وقَبولِ الأعضاءِ له، وتنظيفُ فضُول البدن وتحليلُها، وتنقية المنافذ، وتوسيع المسام، وتصليب أعضاء البدن(١)، وتنضيج الطعام الغير النضيج.

والرِّياضة بعد الغِذاء خطأ، لأنها توجب انحدار الطعام وهو غير منهضم، فإنْ كان لزِجًا وصادف مجارىَ ضيِّقة أحدث سُدَدا، وإلاّ أوجَب أمراضا مختلفة. وغايتها أن يحس الإنسانُ بالعِىّ والتَّعب.

ومن أنواع الرياضة الرُّكوب لمن اعتاده، والمَشْىُ السريع، والقراءةُ بصوتٍ عال، والرَّمى بالنِّبال، والثِّقاف والصِّراع(٢)، واللّعب بالأُكرة(٣)، والصعود والقعود فى المراجيح، والمباطشة، وشَيل الأحجارِ والأعمدة، والتَّصفيق والشِّباك، وتحريك أوتار العيدان، وضرْب الطبول، وتحريك الرِّجلين بسَعة الخُطَى وغيرها، والانحناء والاستلقاء، وبَسط القامة(٤)، والدَّلك بالأيدى والمناديل.

وأما الراحة والدعة، فهما ضدُّ الرياضة، ويخشى منهما إذا داما أن تنطفئ البرودة والحرارة الغريزية، فإنهما يحدثان فى البدن البرودة والرطوبة، وكثرةَ البلغم والفضول، ويفُسدان المزاج، وقد يُحدثان حرارةً لاحتقان البخار الحارّ.

قال جالينوس: السكون الدائم يخاف منه أن يُطفئ الحرارةَ الغريزية.

فينبغى لمن أراد حِفظ صحته أن يتجنب الدَّعة، إلا أن يكون البدن متخلخلا. وليتعهَّد صاحبُ الدَّعة نفسه كلَّ قليلٍ بالتنقية.

نقَّى الله نفوسَنا من درَن الذنوب، وغفر لنا العيوب،

بجاه تَرجمان لسان الغيوب. آمين

---

(١) فى الأصل: «توسع» و«تصلب»، بدل «توسيع» و«تصليب».

(٢) الثقاف والثقافة بالكسر فيهما: المجالدة بالسيوف.

(٣) فى اللسان (أكر): «ومن العرب من يقول للـكرة التى يلعب بها أكرة» واللغة الجيدة الـكرة». وفى القاموس: «الأُكرة بالضم: لغية فى الـكرة».

(٤) سابقة سافجة لما يسمى اليوم «الألعاب السويدية».

الفهارس العامـة
للمجلد الأول
من نوادر المخطوطات

١ ــ فهرس الأعلام (*)

(*) ماقرن من الأعلام بنجم فهو مما ورد فى الشعر فقط .

---

٢ ــ فهرس القبائل والطوائف ونحوها

٣ — فهرس البلدان والمواضع ونحوها

٤ — فهرس الأشعار

(١) ولجرير أيضا .

شطر بيت

تخميس

٥ — فهرس الأرجاز

٦ — فهرس الأمثال

٧ — فهرس الكتب

التي وردت في أثناء نصوص النوادر

مراجع الشرح والتحقيق

اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطمية الخلفاء ، للمقريزى ، تحقيق الدكتور الشيال ، دار الفكر ١٣٦٧ .
الإحاطة ، فى أخبار غرناطة . طبع الموسوعات ١٣١٩ .
أخبار عبيد بن شرية الجرهمى ، حيدر أباد ١٣٤٧ .
إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للقفطى . السعادة ١٣٢٦ .
أدبيات اللغة العربية ، للجنة من رجال نظارة المعارف . بولاق ١٩٠٦م .
أساس البلاغة ، للزمخشرى . دار الكتب ١٣٤١ .
أسد الغابة ، لابن الأثير . الوهبية ١٢٨٦ .
الاشتقاق ، لابن دريد ، تحقيق وستنفلد . جوتنجن ١٨٥٣م .
الإصابة ، فى أسماء الصحابة ، لابن حجر . السعادة ١٣٢٣ .
الأصمعيات ، اختيار الأصمعى . ليبسك ١٩٠٢ م .
الاعتبار ، لأسامة بن منقذ . نشرة فيليب حتى . جامعة برنستون ١٩٣٠م .
إعجاز القرآن ، للباقلانى . السلفية ١٣٤٩ .
أعجب ما كان ، فى الرق عند الرومان ، لمصطفى كامل . المحروسة ١٣١٠ .
الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى : الساسى ١٣٢٣ .
ألف باء ، للبلوى . الوهبية ١٢٨٧ .
الألفاظ الفارسية المعربة ، لأدى شير . بيروت ١٩٠٨ م .
الأمالى ، لأبى على القالى . دار الكتب ١٣٤٤ .
الأناجيل الأربعة .
إنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطى ، بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم دار الكتب ١٣٦٩ .
الأنساب ، للسمعانى ليدن ١٩١٢ .
الإنصاف والتحرى ، لابن العديم . ضمن تعريف القدماء . دار الكتب ١٣٦٤ .
بدائع البدائه ، لابن ظافر الأزدى . بولاق ١٢٧٨ .
بغية الوعاة ، للسيوطى . السعادة ١٣٢٨ .
البيان والتبيين ، للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام هارون ، لجنة التأليف ١٣٦٩ .

تاج العروس ، للزبيدى . الخيرية ١٣٠٦ .
تاريخ الإسلام ، للذهبى . مخطوط دار الكتب رقم ٤٢ تاريخ .
« « ، للذهبى . القدسى من سنة ١٣٦٧ .
« الأمة القبطية ، لجنة التاريخ القبطى . المقتطف ١٩٢٥ م .
« بغداد ، للخطيب البغدادى . القاهرة ١٣٤٩ .
« دمشق ، لابن عساكر . مخطوطة المكتبة التيمورية رقم ١٠٤١ تاريخ .
« الطبرى . الحسينية ١٣٢٦ .
« طرابلس الغرب ، لابن غلبون . السلفية ١٣٤٩ .
« قضاة الأندلس ، للنباهى . تحقيق پروفنسال . دار الكاتب المصرى ١٩٤٨ م .
« مختصر الدول ، لابن العبرى . أكسفورد ١٦٦٣م .
التبصر بالتجارة ، للجاحظ ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب . الرحمانية ١٣٥٤ .
التحقيق فى شراء الرقيق ، لمؤلف مجهول . مخطوط بالمكتبة التيمورية رقم ٤٨ فضائل ورذائل .
تذكرة أولى الألباب ، لداود الأنطاكى . الشرفية ١٣١٧ .
تذكرة الحفاظ ، للحافظ الذهبى . حيدر أباد ١٣٤٤ .
تذكرة الطالب النبيه ، بمن نسب إلى أمه دون أبيه . لأحمد بن خليل اللبودى . مخطوط بالتيمورية رقم ١٤٠٧ تاريخ .
التصريح ، بمضمون التوضيح ، للشيخ خالد الأزهرى . الأزهرية ١٣٤٤ .
تعريف القدماء ، بأبى العلاء ، للجنة من رجال وزارة المعارف . دار الكتب ١٣٦٣ .
تفسير أبى حيان ، وهو البحر المحيط . السعادة ١٣٢٨ .
« الطبرى . بولاق ١٣٣٠ .
تكملة التكملة . طبع مدريد ١٩١٥م .
تكملة الصلة ، لابن الأبار ، تحقيق كوديرا . مدريد ١٨٨٧م .
تهذيب التهذيب ، لابن حجر . حيدر أباد ١٣٢٥ .
التنبيه والإشراف ، للمسعودى . الصاوى ١٣٥٧ .
التنبيه على أمالى القالى ، لأبى عبيد البكرى . دار الكتب ١٣٤٤ .
التيجان ، فى ملوك حمير ، لوهب بن منبه . حيدر أباد ١٣٤٧ .
ثمار القلوب ، فى المضاف والمنسوب ، للثعالبى . الظاهر ١٣٢٦ .

جذوة المقتبس، للحميدى . تحقيق محمد بن تاويت . السعادة ١٩٥٣م .
جمل أحكام الفراسة ، لأبى بكر الرازى . حلب ١٣٤٧ .
جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم . تحقيق پروفنسال . دار المعارف ١٩٤٨م .
جمهرة خطب العرب ، لأحمد زكى صفوت . الحلبى ١٣٥٢ .
حاشية ابن عابدين . بولاق ١٢٩٩ .
حسن المحاضرة ، فى أخبار مصر والقاهرة ، للسيوطى . السعادة ١٣٢٤ .
الحلة السيراء ، لابن الأبار . ليدن ١٨٥١ م .
حلية الفرسان : لعلى بن عبد الرحمن الأندلسى . تحقيق محمد عبد الغنى حسن . دار المعارف ١٣٦٩ .
الحماسة ، لأبى تمام . السعادة ١٣٣١ .
الحماسة للبحترى الرحمانية ١٩٢٩م
الحماسة لابن الشجرى . حيدر أباد ١٣٤٥ .
الحيوان ، للجاحظ ، تحيق عبد السلام هارون . الحلبى ١٣٥٧ – ١٣٦٤ .
خاص الخاص ، للثعالبى . السعادة ١٣٢٦ .
خريدة القصر ، للعماد الأصفهانى ، تحقيق أحمد أمين وشوقى ضيف وإحسان عباس . لجنة التأليف ١٩٥١ م .
خزانة الأدب ، للبغدادى . بولاق ١٢٩٩ .
خطط المقريزى ، وهو المواعظ والاعتبار . مطبعة النيل ١٣٢٤ .
خلاصة الأثر ، فى أعيان القرن الحادى عشر ، للمولى المحبى . الوهبية ١٢٨٤ .
الخيل ، لابن الأعرابى . ليدن ١٩٢٨ م .
« ، لابن الكلبى . ليدن ١٩٢٨ م .
دائرة المعارف الإسلامية . الترجمة العربية .
« « البريطانية .
الدرر الكامنة ، فى أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر . حيدر أباد ١٣٥٠ .
درة الغواص ، للحريرى . الجوائب ١٢٩٩ .
الديارات للشابستى ، تحقيق كوركيس عواد . بغداد ١٩٥١م .
ديوان الأخطل . بيروت ١٨٩١م .
« الأرجانى . بيروت .

ديوان أسامة بن منقذ . نسخة دار الكتب رقم ١٦٨٧٧ ز .
» الأعشى ، بتحقيق جاير . ڤينا ١٩٢٧م.
» امرئ القيس . هندية ١٣٢٤ .
» البحترى . هندية ١٣٢٩ .
» بشار ، بشرح ابن عاشور . لجنة التأليف ١٣٦٩ .
» أبى تمام ، نشرة محيى الدين الخياط . بيروت ١٣٢٣ .
» تميم بن المعز . مخطوط دار الكتب رقم ١٦٠٢٥ ز .
» جرير . الصاوى ١٣٤٥ .
» حاتم الطائى . الوهبية ١٢٩٣ .
» حسان بن ثابت . الرحمانية ١٣٤٧ .
» الحطيئة . التقدم ، بالقاهرة .
» الخنساء . بيروت ١٨٨٨م.
» ابن الدمينة . المنار ١٣٣٧ .
» زهير بن أبى سلمى . دار الكتب ١٣٦٣ .
» سلامة بن جندل . بيروت ١٩١٠م .
» أبى طالب . مخطوطة الشنقيطى بدار الكتب رقم ٣٨ ش .
» طرفة بن العبد. قازان ١٩٠٩م.
» العباس بن الأحنف . الجوائب ١٢٩٨ .
» عمر بن أبى ربيعة . الميمنية ١٣١١ .
» الفرزدق . الصاوى ١٣٥٤ .
» ابن قيس الرقيات . ڤينا ١٩٠٢م.
» لبيد . ڤينا ١٨٨٠ ، ١٨٨١ م .
» المتنبى ، بشرح العكبرى . الشرفية ١٣٠٨ .
» أبى محجن . الأزهار .
» المعانى ، لأبى هلال العسكرى . القاهرة ١٣٥٢ .
» ابن المعتز . المحروسة ١٨٩١ م .
» معن بن أوس . ليبسك ١٩٠٣ م .
» مهيار الديلمى . دار الكتب ١٣٤٠ .

ديوان النابغة. من مجموع خمسة دواوين .
« أبى نواس . العمومية ١٨٩٨م.
« الهذليين . دار الكتب ١٣٦٩ .
الذخيرة، لابن بسام مخطوطة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٢٢ .
الرق فى الإسلام ، لأحمد شفيق ، ترجمة أحمد زكى . بولاق ١٣٠٩ .
روضات الجنات ، فى أحوال العلماء والسادات ، لمحمد باقر الموسوى . العجم ١٣٠٤ .
الروضتين ، فى أخبار الدولتين ، لأبى شامة . وادى النيل ١٢٨٨ .
زهر الآداب ، للحصرى . الرحمانية ١٩٢٥م.
سفر التكوين .
سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر ، لمحمد خليل المرادى . بولاق ١٣٠١ .
سمط اللآلى ، للراجكوتى . لجنة التأليف ١٣٥٤ .
سير النبلاء ، للذهبى . مصورة دار الكتب رقم ١٢١٩٥ ح .
السيرة ، لابن هشام . جوتنجن ١٨٥٩ م .
شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلى . القدسى ١٣٥١ .
شرح الحماسة ، للتبريزى . بتحقيق فريتغ . بون ١٨٢٨ م .
« « للمرزوقى بتحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٢ .
« شواهد شروح الألفية ، للعينى . بهامش خزانة الأدب .
« « المغنى ، للسيوطى . البهية ١٣٢٢ .
« المضنون به على غير أهله ، لعبيد الله بن عبد الكافى . السعادة ١٣٣١ .
« المفصل . لابن يعيش . محمد منير .
شرح المفضليات لابن الأنبارى ، تحقيق ليال بيروت ١٩٢٠م.
« نهج البلاغة . لابن أبى الحديد . الميمنية ١٣٢٩ .
شروح سقط الزند ، للتبريزى والبطليوسى والخوارزمى . دار الكتب ١٣٦٨ .
الشعر والشعراء ، لابن قتيبة . بتحقيق أحمد شاكر . الحلبى ١٣٧٠ .
شفاء الغليل ، للخفاجى . السعادة ١٣٢٥ .
الشقائق النعمانية ، فى علماء الدولة العثمانية ، بهامش وفيات الأعيان .
صبح الأعشى ، للقلقشندى . دار الكتب ١٣٤٠ .
الصلة ، لابن بشكوال . مدريد ١٨٨٢ م .

الطالع السعيد ، الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، للأدفوى . الجمالية ١٣٣٢ .
طبقات الأطباء ، لابن أبي أصيبعة ، وهو عيون الأنباء . الوهبية ١٢٩٩ .
طبقات الشعراء ، لابن سلام . السعادة .
الطبيخ ، للبغدادى . الموصل ١٣٥٣ .
عصر إسماعيل (من تاريخ الحركة القومية) للرافعى . مطبعة النهضة ١٩٣٢م .
العقد الفريد ، لابن عبد ربه . لجنة التأليف ١٣٦٢ .
العمدة ، لابن رشيق . هندية ١٣٤٤ .
عمدة القارى ، شرح صحيح البخارى ، للعينى . محمد منير ١٣٤٨ .
عيون الأخبار ، لابن قتيبة . دار الكتب ١٣٤٣ .
عيون التواريخ ، لابن شاكر الكتبي . مخطوطة دار الكتب رقم ١٤٩٧ تاريخ .
غرر الخصائص ، للوطواط . بولاق ١٢٨٤ .
الفائق ، للزمخشرى . حيدر أباد ١٣١٤ .
فتح البارى ، شرح صحيح البخارى ، لابن حجر . بولاق ١٣٠١ .
فتح القدير ، للكمال بن الهمام . بولاق ١٣١٨ .
الفراسة ، لأفليمون . حلب ١٣٤٧ .
الفصل ، فى الملل والأهواء والنحل ، للشهرستانى . الأدبية ١٣١٧ .
الفصول والغايات ، لأبى العلاء المعرى . حجازى ١٣٥٦ .
الفهرست ، لابن النديم . الرحمانية .
فوات الوفيات ، لابن شاكر . بولاق ١٢٨٣ .
فيض الخاطر ، للدكتور أحمد أمين . لجنة التأليف .
القانون الرومانى ، للدكتور محمد عبد المنعم بدر . لجنة التأليف ١٩٣٧ م .
قلائد العقيان ، للفتح بن خاقان . بولاق ١٢٨٣ .
الكامل فى التاريخ ، لابن الأثير . محمد منير ١٣٤٨ .
الكامل ، للمبرد . ليبسك ١٨٦٤م .
الكتاب ، لسيبويه . بولاق ١٣١٦ .
كتاب : حرب بكر وتغلب . الهند ١٣٠٥ .
الكتاب المقدس الأمريكانية ١٩٠٦م .
كشف الظنون ، لحاجى خليفة . تركيا ١٣١٠ .
الكنايات للثعالبى . السعادة ١٣٢٦ .

الكنايات، للجرجانى . السعادة ١٣٢٦ .
كنى الشعراء لابن حبيب، ملحق بكتابه أسماء المغتالين. مخطوط دار الكتب ٢٦٠٦ تاريخ
لباب الآداب ، لأسامة بن منقذ ، أحمد شاكر . الرحمانية ١٣٥٤ .
لسان الميزان ، لابن حجر حيدر أباد ١٣٣٠ .
مجالس ثعلب ، بتحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف ١٣٦٩ .
مجلة الجمعية الألمانية الشرقية : (Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft)
مجمع الأمثال ، للميدانى . البهية ١٣٤٢ .
مجموع خمسة دواوين . الوهبية ١٢٩٣ .
مجموعة المعانى ، لمؤلف مجهول . الجوائب ١٣٠١ .
محاضرات الأدباء ، للراغب الأصفهانى . الشرفية ١٣٢٦ .
المختار من شعر بشار ، للخالديين . الاعتماد ١٣٥٣
مختارات ابن الشجرى . العامرة ١٣٠٦ .
مختصر تاريخ دمشق ، لابن بدران . روضة الشام ١٣٣٢ .
المخصص ، لابن سيدة ، بولاق ١٣١٨ .
مخطوطات الموصل ، للدكتور داود جلبى . الفرات ببغداد ١٩٢٧م.
مروج الذهب ، للمسعودى . السعادة ١٣٦٧ .
مسالك الأبصار ، لابن فضل الله العمرى . مصورة دار الكتب ٢٥٦٨ تاريخ .
مشارق الأنوار ، للقاضى عياض. السعادة ١٣٣٢.
المعارف ، لابن قتيبة . الإسلامية ١٣٥٣ .
معاهد التنصيص ، للعباسى . البهية ١٣١٦
المعتمد ، فى الأدوية المفردة ، لابن رسولا . الحلبى ١٣٢٧ .
المعجب ، للمراكشى . السعادة ١٣٢٤ .
معجم الأدباء، لياقوت . دار المأمون ١٣٢٣ ومرجليوث .
معجم البلدان ، لياقوت . السعادة ١٣٢٣ .
معجم الشعراء ، للمرزبانى . القدسى ١٣٥٤ .
المعجم الفارسى الإنجليزى : (Persian English Dictionary by F. Steingass)
معجم المجمع العلمى الأسبانى : (Dictionario de La lingua Espanola)

المعرب ، للجواليقي . بتحقيق أحمد شاكر . دار الكتب ١٣٦١ .
المعلمة الكبيرة للمعارف العامة : (The Great encyclopedia of universal knawlages)
المعمرين ، للسجستاني . السعادة ١٣٢٣ .
المغرب لابن سعيد . مخطوطتي دار الكتب ٢٧١٢ تاريخ و١٠٣ تاريخ م .
« « « بتحقيق الدكتور شوقي ضيف . دار المعارف ١٩٥٣ م .
المغني ، لابن قدامة الحنبلي . دار المنار ١٣٦٧ .
مفاتيح العلوم ، للخوارزمي . محمد منير ١٣٤٢ .
مفتاح الأفكار ، في النثر المختار ، للشيخ أحمد مفتاح . مطبعة جريدة الإسلام ١٣١٤ .
مفرج الكروب ، لابن واصل . مخطوطة مكتبة باريس رقم ١٧٠٢ .
المفضليات ، بتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . دار المعارف ١٣٦١ .
مقاييس اللغة ، لابن فارس ، بتحقيق عبد السلام هارون . الحلبي ١٣٦٦ — ١٣٧١ .
مقدمة ابن خلدون : البهية ١٩٢٨ م .
المؤتلف والمختلف للآمدي . القدسي ١٣٥٤
النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي . دار الكتب من سنة ١٣٤٨ .
نزهة الألباء ، لابن الأنباري . القاهرة ١٢٩٤ .
نفح الطيب ، للمقري . نشرة محمد محيي الدين . السعادة ١٣٦٩ .
النقائض ، رواية أبي عبيدة . ليدن ١٩٠٥ .
النقود العربية وعلم النميات . نشر الأب أنستاس ماري الكرملي . العصرية ١٩٣٩ م .
النهاية ، لابن الأثير . العثمانية ١٣١١ .
نهاية الأرب ، للنويري . دار الكتب ١٣٤٢ .
الوزراء والكتاب ، للجهشياري . الحلبي ١٣٥٧ .
الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للجرجاني . صيدا ١٣٣١ .
وفيات الأعيان ، لابن خلكان . الميمنية ١٣١٠ .
يتيمة الدهر ، للثعالبي . دمشق ١٣٠٣ .

استدراك وتذييل

١ – ص ٢٢ س ٥ العبارة بكمالها كما ورد فى الخريدة: « وقد تعاور الشعراء وصف وقوع الشعاع على صفحات الماء » .

٢ – ص ٢٣ س ٢ – ٣ البيتان كما فى الخريدة :

بشاطئ نهر كأن الزجاج   وصفو اللجين به ذوبا
إذا جمشته الصبا بالضحى   توهمته زرداً مذهبا

انظر ص ١١٦ من نوادر المخطوطات .

٣ – ص ٣٤ س ٧ – ٨ البيتان رواهما العماد فى الخريدة ٢ : ١٢٠ منسوبين إلى العينى المصرى، ثم قال: « ووجدت هذين البيتين فى رسالة أبى الصلت منسوبين إلى ظافر الحداد »

٤ – ص ٣٧ س١٢ إلى ص٤١ س ١٢. هذا الكلام ورد فى إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ١٥٩ .

٥ – ص ١٤١ س ١٢ انظر لهذا البيت نهاية الأرب ٤ : ٢٧١ .

٦ – ص ١٤٢ س ١٦ وقع فى الحاشية سقط ، وتمامها كما فى الكامل: « وقد فضل نصيب على الفرزدق فى موقفه عند سليمان بن عبد الملك ، وذلك أنهما حضرا فقال سليمان للفرزدق : أنشدنى » . إلخ

٧ – ص ١٤٧ س ٨ نسب ابن خلكان فى ترجمة (يزيد بن المهلب) هذا البيت إلى بشر بن قطبة الأسدى .

٨ – ص ١٦٨ س ٢ البيت ليزيد بن الجهم الهلالى ، كما فى الحماسة ١٧٣٠ س ١ بشرح المرزوقى .

٩ – ص ٢٨٨ س ٦ « أبى عبيد المختار » كذا فى الأصل، وصوابه « ابن أبى عبيد المختار» وهو المختار بن أبى عبيد .

١٠ – ص ٢٣٤ س ٤ « الماخورى » . جاء فى مروج الذهب ٤ : ٢٢٤ : « وخفيف الثقيل منهما يسمى بالماخورى . وإنما سمى بذلك لأن إبراهيم بن ميمون الموصلى – وكان من أبناء فارس وسكن الموصل – كان كثير الغناء فى هذه المواخير بهذه الطريقة » .

١١ — ص ٣٢٤ س ٥ « السلمان » جاء فى مروج الذهب ٤ : ٢٢١ : « والسلبان ، وله أربعة وعشرون وترا ، وتفسيره ألف صوت » .

١٢ — ص ٣٢٤ س ٥ « الصنج » ، وهى فى الأصل « الصلح » بدون إعجام . ورد فى مروج الذهب ٤ : ٢٢١ : « ولهم الصلنج وهو من جلود العجاجيل » .

١٣ — ص ٣٢٤ س ٥ « الكنكلة » فى مروج الذهب : « وللهند الكنكلة، وهو وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام العود والصنج » .

١٤ — ص ٣٨١ س ٣ « لخلخلة » صوابها « لخلخة » ، وهى فارسية ، ومعناها ضرب من الطيوب مركب من العود والعنبر والمسك واللادن والكافور . انظر الألفاظ الفارسية لأدى شير ص ١٤١ واستينجاس ١١٢٠ .

١٥ — سيضم (فهرس اللغة) الخاص بهذا المجلد إلى نهاية المجلد الثانى ليكون فهرساً للمجلدين معاً بعون الله .

فهرس مضامين المجلد

الفهارس العامة

نوادر المخطوطات

المجموعة الخامسة

الطبعة الثانية

١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء

المجموعة الخامسة

١٧ ـ كتاب النيروز، لأبي الحسين أحمد بن فارس
١٨ ـ الرسالة النيروزية، للشيخ الرئيس ابن سينا
١٩ ـ رسالة في النيروز، مما فسَّره بطليموس الحكيم
٢٠ ـ حكمة الإشراف في كتاب الآفاق، للسيد مرتضى الزبيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذه هى المجموعة الخامسة من (نوادر المخطوطات)، وهى القسم الأول من المجلد الثانى . إذ جرى النظام على أن يكون كل مجلد من هذه النوادر مشتملا على أربعة أجزاء يتبعها فهرس عام .

وإنى لأشعر بعظيم الغبطة ، إذ أجد من جمهرة الأدباء والأصدقاء من كريم التقدير وصالح الرضا ما يهوّن علىّ ما ألقى من عنت ومشقة فى سبيل نشر هذه الآثار العلمية .

ومن الله أستمدّ العون ، وإياه أستلهم التوفيق .

مقدمة

لفظ نيروز — عيد النيروز — زمان النيروز — عادات الفرس فيه — النيروز فى الإسلام — جباية الخراج فيه — النيروز فى مصر

لفظ نيروز :

النيروز ، بفتح النون : كلمة فارسية معربة، وأصلها فى الفارسية « نوروز » ، وهى لفظة مركبة من كلمتين: أولاهما «نو» بفتح النون وضمها، ومعناها الجديد، وثانيتهما « روز » وتفسيرها اليوم(١) ، فمعناها اليوم الجديد .

وقد دخلت كلمة «النيروز» فى لغة العرب قديما. ومن النصوص التى وردت فيها قول جرير يهجو الأخطل :

عجبت لفخر التغلبى وتغلب   تؤدِّى جِزَى النيروز خُضْعا رقابُها(٢)

وقد اشتق بعض الشعراء المحدثين من هذه الكلمة فعلا ، فقال :

نورز الناس ونَورز   ت ولكن بدموعى
وذكت نارهم والنار   ما بين ضلوعى(٣)

وقال آخر :

ولما أتى النيروز يا غاية المنى   وأنت على الإعراض والهجر والصد
بعثت بنار الشوق ليلا إلى الحشى   فنورزت صبحا بالدموع على الخد(٤)

فهم قد اشتقوا من النيروز « نورز » قياساً على قول العرب « عيّد » ، أى شهد العيد وأظهر السرور به .

كما استعمل هذا الفعل البيرونى ، قال : « فنورز لنفسه(٥) » .

---

(١) معجم استينجاس ١٤٢٨ . وجاء فى اللسان (نرز) أن أصل النيروز فى الفارسية « نيع روز » ، وهو تحريف .

(٢) المعرب للجواليقى ٣٤٠ بتحقيق الأستاذ أحمد شاكر ، وديوان جرير ٥٣ .

(٣) نهاية الأرب ١ : ١٨٧ وخطط المقريزى ٢ : ٣٩١ .

(٤) خطط المقريزى ٢ : ٣٩١ .

(٥) الآثار الباقية للبيرونى ٢١٩ .

عيد النيروز :

وكان للفرس فى قديم الدهر أعياد كثيرة، أشهرها سبعة[١] : عيد النيروز، وعيد المهرجان ، وعيد السذق ، وعيد التِّيرْكان، والفَروردجان[٢] ، وركوب الكوسج، وبهمنجه . وقد صنف فيها على بن حمزة الأصفهانى كتابا مستقلا .

أما النيروز فهو أعظم أعيادهم وأجلها، يقال إن أول من اتخذه جمشيد، أحد ملوك الفرس الأول ، ويقال فيه جمشاد. ومعنى « جم » القمر ، و «شاد» الشعاع والضياء .

واختلف المؤرخون فى سبب اتخاذهم لهذا العيد ، فيقال إنه لما ولى جمشاد ، سمى اليوم الذى ملك فيه نوروز. وقيل إن الصابئة ظهرت فى أيام طهمورث، فلما ملك جمشيد جدد الدين ، فجعل يوم ملكه عيدا .

ومن الفرس من يزعم أن النيروز اليوم الذى خلق الله فيه النور . ومنهم من يزعم أنه أول الزمان الذى ابتدأ فيه الفلك بالدوران[٣] .

وذكر الراغب[٤] فى أصل النيروز والمهرجان أن المأمون سأل أصحابه عن ذلك فلم يخبره أحد ، فقال: الأصل فى النيروز أن أبرويز عمّر أقاليم إيران شهر، فاستوت له أسبابه واستقام ملكه يوم النيروز، فصار سنة للعجم، وكان ملكه ألفا وخمسين سنة (كذا). ثم أتى بعده بيوراسف وملك ألف سنة ، فقصد أفريدون وأسره بأرض المغرب ، وسجنه بأرض بجبل دنباوند ، فسمى ذلك اليوم مهرجان . فالنيروز أقدم من المهرجان بألفين وخمسين سنة .

وقال بعض الحشوية[٥] : إن سليمان بن داود عليهما السلام ، لما افتقد خاتمه وذهب عنه ملكه ثم رد إليه بعد أربعين يوماً ، عاد إليه بهاؤه ، وأتته الملوك ، وعكفت عليه الطيور، فقالت الفرس : نوروز آمذ! أى جاء اليوم الجديد، فسمى النوروز . وأمر سليمان الريح فحملته ، واستقبله خطاف فقال : أيها الملك ، إن لى

(١) صبح الأعشى ٢ : ٤١٧ ـ ٤٢٥ ، ونهاية الأرب ١ : ١٨٥ .

(٢) فى صبح الأعشى : « الشركان والفرودجان » ، صوابه من معجم استينجاس .

(٣) الآثار الباقية ٢١٦ ونهاية الأرب ١ : ١٨٥ .

(٤) محاضرات الأدباء ٢ : ٢٥٢ ـ ٢٥٣ . (٥) الآثار الباقية ٢١٥ .

عشاً فيه بيضات ، فاعدل لاتحطمها . فعدل . ولما نزل حمل الخطاف فى منقاره ماء فرشّه بين يديه ، وأهدى له رِجل جرادة . فذلك سبب رش المـاء والهدايا فى النيروز .

ومعظم هذا الأسباب كما ترى ضاربة فى الاختلاق والانتحال ، ولا سيما الأخير منها .

زمانه النيروز :

هذا بعض ماقيل فى هذا العيد. أما زمانه فهو اليوم الأول من السنة الفارسية، وخمسة أيام بعده، فهن ستة أيام. وقد انفرد الإمام المرزوقى فى الأزمنة والأمكنة(١) بأن ذكر أنه ثمانية أيام .

وتبتدئ السنة الفارسية بالانقلاب الصيفى. وإنما خصوا وقت الانقلاب الصيفى بالابتداء لأن الانقلابين أولى أن يوقف عليهما بالآلات والعيان من الاعتدالين... ولأن الانقلاب الصيفى وقت إدراك الغلات، فهو أصوب لافتتاح الخراج فيه من غيره(٢) .

وأول شهور السنة الفارسية هو «فَروردين ماه» وهو يقابل شهر مايوس من الشهور الرومية، وأيار من الشهور السريانية ، وبشنس من الشهور القبطية(٣) .

وبين هذا العيد وعيد المهرجان مائة وأربعة وسبعون يوماً؛ إذ أن المهرجان فى الرابع والعشرين من تشرين الأول، وهو شهر أقطوبر الرومى، وبابه القبطى. ومما هو جدير بالذكر أن كل شهر من الشهور الفارسية ثلاثون يوماً .

عادات الفرس فى النيروز :

وكان للفرس فى عيد النيروز عادات غريبة ، منها أن يرش الناس بعضهم بعضاً بالمـاء .

---

(١) الأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٨٨ .

(٢) الآثار الباقية ٢١٦ .

(٣) مروج الذهب للمسعودى عند الكلام على الشهور ، وشفاء الغليل ١٩٩ .

وقال البيرونى(١) : «وكان من آيين الأكاسرة أن يبدأ الملك يوم النيروز فيعلم الناس بالجلوس لهم والإحسان إليهم ، وفى اليوم الثانى يجلس لمن هو أرفع مرتبة وهم الدهاقين وأهل البيوتات، وفى اليوم الثالث يجلس لأساورته وعظماء موابذته، وفى اليوم الرابع لأهل بيته وقرابينه(٢) وخاصته، وفى اليوم الخامس لولده وصنائعه، فيصل إلى كل واحد منهم ما استحقه من الرتبة والإكرام، ويستوفى ما استوجبه من المبرة والإنعام. فإذا كان اليوم السادس كان قد فرغ من قضاء حقوقهم فنوروز لنفسه ، ولم يصل إليه إلا أهل أنسه ومن يصلح لخلوته ، وأمر بإحضار ما حصل من الهدايا على مراتب المهدين، فيتأملها ويفرق منها ما شاء، ويودع الخزائن ما شاء .

ويذكر النويرى(٣) أنه كان من عادة عوام الفرس رفع النار فى ليلته، ورش الماء فى صبيحته . وفى ذلك يقول المعوج :

كيف ابتهاجك بالنيروز يا سكنى وكل ما فيه يحكينى وأحكيه
فناره كلهيب النار فى كبدى وماؤه كتوالى عبرتى فيه

ونجد فى كتاب التاج للجاحظ بعضاً من تقاليد الفرس وصنيعهم فى يوم النيروز ، قال(٤) : « ومن حق الملك هدايا المهرجان والنيروز . والعلة فى ذلك أنهما فصلا السنة ، فالمهرجان دخول الشتاء وفصل البرد ، والنيروز إذن بدخول فصل الحر ، إلا أن فى النيروز أحوالا ليست فى المهرجان ، فمنها استقبال السنة ، وافتتاح الخراج ، وتولية العمال والاستبدال ، وضرب الدراهم والدنانير ، وتذكية بيوت النيران ، وصب الماء ، وتقريب القربان ، وإشادة البنيان وما أشبه ذلك .

وحكى ابن المقفع(٥) ، أنه كان من عادتهم فيه أن يأتى الملك من الليل رجل جميل الوجه قد أرصد لما يفعله ، فيقف على الباب حتى يصبح ، فإذا أصبح دخل على الملك من غير استئذان ، فإذا رآه الملك يقول له: من أنت؟ ومن أين أقبلت؟

(١) الآثار الباقية ٢١٨ ــ ٢١٩ .
(٢) القرابين : جمع قربان ، وهو جليس الملك الخاص .
(٣) نهاية الأرب ١ : ١٨٦ ــ ١٨٧ . وانظر خطط المقريزى ٢ : ٣٩١ وصبح الأعشى ٢ : ٤١٩ .
(٤) التاج للجاحظ ص ١٤٦ .
(٥) نهاية الأرب ١ : ١٨٦ وصبح الأعشى ٢ : ٤١٨ .

وأين تريد ؟ وما اسمك ؟ ولأى شىء وردت ؟ وما معك؟ فيقول: « أنا المنصور، واسمى المبارك ، ومن قِبَل الله أقبلت ، والملكَ السعيد أردت ، وبالهناء والسلامة وردت ، ومعى السنة الجديدة ». ثم يجلس ويدخل بعده رجل معه طبق من فضة، وفيه حنطة وشعير وجُلبَّانٌ ، وحمص وسمسم وأرز — من كل واحد سبع سنابل وتسع حبات — وقطعة سكر ، ودينار ودرهم جديدان . فيضع الطبق بين يدى الملك ، ثم تدخل عليه الهدايا ، ويكون أول من يدخل عليه وزيره ، ثم صاحب الخراج ، ثم صاحب المعونة ، ثم الناس على طبقاتهم ومراتبهم ، ثم يقدم للملك رغيف كبير مصنوع من تلك الحبوب، موضوع فى سلة، فيأ كل منه ويطعم من حضره، ثم يقول : هذا يوم جديد ، من شهر جديد ، من عام جديد ، من زمان جديد ، يحتاج أن نجدد فيه ما أخلق من الزمان، وأحق الناس بالفضل والإحسان الرأس لفضله على سائر الأعضاء . ثم يخلع على وجوه دولته ، ويصلهم ويفرق فيهم ما حمل إليه من الهدايا .

وقد وضَّح الجاحظ السنَّة فى الهدايا التى تقدم إلى الملوك فى النيروز والمهرجان قال[(١)] : « والسنة فى ذلك عندهم أن يهدى الرجل مايحب من مِلكه إذا كان فى الطبقة العالية، فإن كان يحب مسكا أهدى مسكا لاغيره، وإن كان يحب العنبر أهدى عنبراً، وإن كان صاحب بِزة ولِبْسة أهدى كسوة وثيابا،وإن كان الرجل من الشجعاء والفرسان فالسُّنَّة أن يهدى نشّابا ، وإن كان من أصحاب الأموال فالسنة أن يهدى ذهباً أو فضة ... وكان يهدى الشاعر الشعر، والخطيب الخطبة ، والنديم التحفة والطرفة والباكورة من الخضراوات . وعلى خاصة نساء الملك وجواريه أن يهدين إلى الملك مايؤثرنه ويفضلنه ، كما قدمنا فى الرجال. غير أنه يجب على المرأة من نساء الملك إن كان عندها جارية تعلم أن الملك يهواها ويسرُّ بها أن تهديها إليه بأكمل حالاتها ، وأفضل زينتها ، وأحسن هيآتها » .

وكانت هذه الهدايا النيروزية تسجل فى ديوان الخاصة، وتكون بمثابة « التأمين » كما نقول فى اصطلاحنا العصرى ؛ فإذا ناب صاحب الهدية أمر ، أو لزمه حق

(١) كتاب التاج ١٤٦ — ١٤٨ .

نظر إلى ماله فى الديوان من الهدايا ، فأضعفت له قيمة الهدية ليستعين بها على نائبته ، كما أن له الحق فى تذكير الديوان بذلك ، إذا أغفل أمره[١] .

وكانوا يزعمون أن من ذاق فى صبيحة هذا اليوم قبل الكلام السكّر ، وتدهَّنَ بالزيت ، دفع عنه البلاء فى عامة سنته . ويتفاءلون بما وقع لهم فى هذا اليوم[٢]

النيروز فى الإسلام :

يقال إن أول من رسم هدايا النيروز والمهرجان فى الإسلام الحجاج بن يوسف الثقفى ، ثم أبطل ذلك عمر بن عبد العزيز ، إلى أن فتح الهدية فيه أحمد بن يوسف الكاتب ، فإنه أهدى فيه للمأمون سفط ذهب فيه قطعة عود هندى فى طوله وعرضه ، وكتب معه : « هذا يوم جرت فيه العادة بإتحاف العبيدِ السادةَ . وقد قلت :

على العبد حق وهو لاشك فاعله ... وإن عظم المولى وجلت فواضله
ألم ترنا نهـــدى إلى الله ماله ... وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله
فلو كان يهدى للجليل بقـدره ... لقصَّر عنـه البحر يوما وساحله
ولـكننا نهـدى إلى من نجـلُّه ... وإن لم يكن فى وسعنا ما يشا كله[٣] »

وممن عرف بإحياء مراسم النيروز « عبد الله بن طاهر » الوالى فى زمان المأمون .

وفى كتاب التاج[٤] : « وكان أردشير بن بابك ، وبهرام جور ، وأنوشروان ، يأمرون بإخراج ما فى خزائنهم فى المهرجان والنيروز من الـكسى ، فتفرق كلها على بطانة الملك وخاصته ، ثم على بطانة البطانة ، ثم على سائر الناس على مراتبهم ، وكانوا يقولون : إن الملك يستغنى عن كسوة الصيف فى الشتاء ، وعن كسوة الشتاء فى الصيف ، وليس من أخلاق الملوك أن تخبأ كسوتها فى خزائنها فتساوى العامة فى فعلها . فـكان يلبس فى يوم المهرجان الجديد من الخز والوشى الملحم ، ثم تفرق

---

(١) كتاب التاج ١٤٨ ــ ١٤٩ .
(٢) عجائب المخلوقات ٧٧ .
(٣) صبح الأعشى ٢ : ٤٢٠ .
(٤) كتاب التاج ١٤٩ ــ ١٥٠ .

كسوة الصيف على ما ذكرنا . فإذا كان يوم النيروز لبس خفيف الثياب ورقيقها، وأمر بكسوة الشتاء كلها ففرقت. ولا نعلم أن أحداً بعدهم اقتفى آثارهم إلا عبد الله ابن طاهر ، فإنى سمعت من محمد بن الحسن بن مصعب يذكر أنه كان يفعل ذلك فى النيروز والمهرجان ، حتى لا يترك فى خزائنه ثوبا واحداً » .

وقد سجل الشعر العربى اهتمام القوم بالنيروز والمهرجان ، حتى لقد ذهبوا إلى المفاضلة بينهما . قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فى ذلك[1] :

أخا الفرس إن الفرس تعلم إنه   لأطيب من نيروزها مهرجانها
لإدبار أيام يغم هواؤها   وإقبال أيام يسر زمانها

وقال آخر :

أحب المهرجان لأن فيه   سروراً للملوك ذوى السناء
وبابا للمصير إلى أوان   تفتح فيه أبواب السماء

جباية الخراج فى النيروز :

ولم يزل الناس على سنن الفرس فى جباية الخراج عند دخول النيروز حتى دخل عليهم الخلل فى دور السنين ، فحاولوا أن يؤخروه ، وذلك فى زمن هشام بن عبد الملك ، وبذلوا لخالد بن عبد الله القسرى مائة ألف دينار على ذلك، فكتب فيه إلى هشام ، فكتب إليه هشام : « أخاف أن يكون هذا من النسىء الذى قال الله تعالى فيه : إنما النسىء زيادة فى الكفر » . فامتنع خالد من ذلك. ثم سئل يحيى بن خالد بن برمك فى أيام الرشيد أن يؤخر النيروز إلى شهرين، فعزم على ذلك فبلغه أن قوما قالوا : أراد أن ينصر المجوسية . فامتنع من ذلك. إلى أن رأى المتوكل وقد ركب للصيد يوم النيروز والزرع لم يسبل بعد وقال: « قد استؤذنت فى فتح الخراج والزرع لم يسبل بعد ؟ ! » فعرفه إبراهيم بن العباس الصولى أن الأكاسرة كانت تسقط فى كل عشرين ومائة سنة شهرا ، فأمر المتوكل الحسّاب أن يحسبوا ما طرحوه ، فحسبوا الذى مضى من السنين التى لم يكبس فيها بعد ذهاب الفرس

(١) نهاية الأرب ١ : ١٨٨ ثم ١٧٧ وصبح الأعشى ٢ : ٤٢٢ .

فوجدوه مائتين وخمسين سنة ، فجعلوا لكل مائة وعشرين سنة شهراً ، فوافق السابع عشر من حزيران (شهر يونيوس الرومى ، وبؤونة القبطى) وأمر أن يجعل النيروز فى هذا اليوم ، وألا يفتتح الخراج إلا فيه[1] . وكان ذلك فى المحرم سنة ٢٤٣ ، فقال البحترى فى ذلك قصيدة يمدح فيها المتوكل ويقول :

إن يوم النيروز قد عاد للعهـ   ـد الذى كان سنه أردشير
أنت حولته إلى الحالة الأو   لى وقد كان حائراً يستدير
فافتتحت الخراج فيه فللأ   مة فى ذاك مِرفق مذكور
منهم الحمد والثناء ومنك الـ   ـعدل فيهم والنائل المشكور

وقتل المتوكل ولم يتم له مادبر حتى قام المعتضد بالخلافة واسترد بلدان المملكة من المتغلبين عليها وتفرغ للنظر فى أمور الرعية ، فاحتذى مافعله المتوكل فى تأخير النيروز ، غير أنه نظر من جهة أخرى ، وذلك أن المتوكل أخذ ما بين سنته وبين أول تاريخ لملك يزدجرد ، وأخذ المعتضد ما بين سنته والسنة التى زال فيها ملك الفرس بهلاك يزدجرد فأدى ذلك التباين إلى أن جعل المعتضد النيروز فى الحادى عشر من حزيران ، وسمى نيروزه «النيروز المعتضدى[2]» . وفى ذلك يقول على ابن يحيى المنجم :

يا محيى الشرف اللبا   ب مجـدد الملك الخراب
ومعيد ركن الدين فيـ   ـنا ثابتاً بعد اضطراب
فُتَّ الملوك مبرزا   فوتَ المبرز فى الحِلاب
اسعد بنيروز جمعـ   ـتَ الشكر فيه إلى الثواب
قدمت فى تأخـ   ـيره ما أخروه من الصواب

وقال على بن يحيى أيضاً :

يوم نيروزك يوم   واحد لا يتأخر

(١) الآثار الباقية وبلوغ الأرب ١ : ٣٥٠ ـ ٣٥٢ .
(٢) الآثار الباقية ٣٢ ـ ٣٣ وخطط المقريزى ٢ : ٣٩ .

من حزيران يوافى أبداً فى أحَـدَ عشر[١]

النيروز فى مصر :

كان المصريون القدماء يبدءون سنتهم (الفلكية) بالاعتدال الربيعى ، أى وقت حلول الشمس فى برج الحمل ، وذلك فى يوم ٢٩ برمهات ٢٥ آذار (مارس) وكانوا يعتقدون أن بدء الخليقة كان فى ذلك اليوم ، وكانوا يحتفلون فيه احتفالا عظيما ، وهذا العيد هو الذى عرف فيما بعد ، بعيد شم النسيم .

ولما ظهر الحكيم المصرى « توت » وجعل رأس سنتهم (المدنية) موافقاً لظهور الشعرى اليمانية مع الشمس ، وهو الوقت الذى يبتدئ فيه فيضان النيل ، وهو اليوم الأول من شهر «توت» ، رأوا تخليداً لمأثرة هذا العالم الجليل أن يجعلوا رأس هذه السنة المدنية ، عيداً لهم لا يقل فى جلالته وروعته عن عيد رأس السنة الفلكية ، كما قرروا اعترافاً بصنيع هذا الرجل أن يطلقوا اسمه على أول شهر من شهور هذه السنة ، وهو شهر توت . وقد سمى المصريون هذا العيد «عيد النيروز» ، ولم تظهر هذه التسمية إلا بعد دخول العرب مصر . وكان الخلفاء ولاسيما الفواطم يحتفلون فيه احتفالا كبيراً .

وكلا الاحتفالين لم يكن له صبغة دينية فى بادئ الأمر ، بل كانوا يرون فى « شم النسيم » أنه رأس السنة الفلكية التى سار المصريون على نظامها فى أول الأمر ، وفى الثانى رأس السنة المدنية ، وفاتحة باب الخير على المصريين ، بما يفيض عليهم به النيل من خيرات وثمار . وبعد أن دخل المصريون فى دين النصرانية رأوا ألا يهملوا عيدهم الأول ، وأن يكون الاحتفال به عاماً لا يقل فى روعته عن العيد الآخر[٢] .

قال المقريزى[٣] ، عند الكلام على أعياد الفاطميين .

(١) الآثار الباقية ٣٣ ، وعشر . تقرأ بسكون العين ليستقيم الوزن ، وهى لغة صحيحة . قال ابن السكيت : ومن العرب من يسكن العين فيقول أحد عشر ، وكذلك يسكنها إلى تسعة عشر ، إلا اثنى عشر فإن العين لا تسكن لسكون الألف والياء قبلها . وقال الأخفش : إنما سكنوا العين لما طال الاسم وكثرت حركاته . اللسان (عشر ٢٤٤) .

(٢) انظر كتاب أساس التقاويم للأستاذ جرجس فيلوثاوس .

(٣) خطط المقريزى ٢ : ٣٨٩ ـ ٣٩٠

وكان النوروز القبطى فى أيامهم من جملة المواسم ، فتتعطل فيه الأسواق ، ويقل فيه سعى الناس فى الطرقات ، وتفرق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة وأولادهم ونسائهم ، والرسوم من المال وحوائج النيروز .

قال ابن زولاق : وفى هذه السنة ـ يعنى سنة ثلاث وستين وثلثمائة ـ منع المعز لدين الله من وقود النار ليلة النوروز فى السكك، ومن صب الماء يوم النوروز .

وقال فى سنة أربع وستين وثلثمائة : وفى يوم النيروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران، وطاف أهل الأسواق وعملوا فيلة وخرجوا إلى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة أيام ، وأظهروا السماجات والحلى فى الأسواق ، ثم أمر المعز بالنداء بالكف ، وألا توقد نار ولا يصب ماء ، وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال .

وقال ابن ميسر فى حوادث سنة ٥١٦ : وفيها أراد الآمر بأحكام الله أن يحضر إلى دار الملك فى النوروز الكائن فى جمادى الآخرة وفى المراكب على ما كان عليه الأفضل بن أمير الجيوش ، فأعاد المأمون عليه أنه لا يمكن ، فإن «الأفضل» لا يجرى مجرى الخليفة . وحمل إليه من الثياب الفاخرة برسم النوروز للجهات ما له قيمة جليلة . وقال ابن المأمون : وحل موسم النوروز فى التاسع من رجب سنة ٥١٧ ووصلت الكسوة المختصة به من الطراز وثغر الإسكندرية ، مع ما يبتاع من المذابّ المذهبة والحريرى والسوادج ، وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق ، وجميع الأصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها وأسماء أربابها ، وأصناف النوروز : البطيخ والرمان ، وعراجين الموز ، وأفراد البسر وأقفاص التمر القوصى ، وأقفاص السفرجل ، وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ولحم الضأن ولحم البقر ، من كل لون بكلة ، مع خبز بر مارق .

قال : وأحضر كاتب الدفتر الإثباتات بما جرت به العادة من إطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها فى يوم النوروز وغير ذلك من جميع الأصناف ، وهو أربعة آلاف دينار وخمسة عشر ألف درهم فضة ، والكسوات عدة كثيرة من شقق ديبقى مذهبات وحريريات، ومعاجر وعصائب مشاومات ملونات، وشقق لاذ مذهب وحريرى ومشفع، وفوط ديبقى حريرى. فأما العين والورق والكسوات

فذلك لا يخرج عمن تحوزه القصور ودار الوزارة والشيوخ والأصحاب والحواشى والمستخدمون ورؤساء العشاريات وبحارتها . ولم يكن لأحد من الأمراء على اختلاف درجاتهم فى ذلك نصيب . وأما الأصناف من البطيخ والرمان ، والبسر والتمر ، والسفرجل والعناب، والهرائس على اختلافها ، فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم، ويشركهم فى ذلك جميع الأمراء أرباب الأطواق والأقصاب وسائر الأماثل ، وقد تقدم شرح ذلك — فوقع الوزير المأمون على جميع ذلك بالإنفاق .

وقال القاضى الفاضل فى تعليق المتجددات لسنة ٥٨٤ : يوم الثلاثاء رابع عشر رجب ، يوم النيروز القبطى ، وهو مستهل توت ، وتوت أول سنتهم . وقد كان بمصر فى الأيام الماضية والدولة الخالية ـ يعنى دولة الخلفاء الفاطميين ـ من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالاتهم ، فكانت المنكرات ظاهرة فيه ، والفواحش صريحة فى يومه ، ويركب فيه أمير موسوم بأمير النوروز، ومعه جمع كثير، ويتسلط على الناس فى طلب رسم رتبه على دور الأكابر بالجمل الكبار، ويكتب مناشير ويندب مترسمين ، كل ذلك يخرج مخرج الطير ، ويقنع بالميسور من الهبات ، ويتجمع المؤنثون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة، وبأيديهم الملاهى، وترتفع الأصوات ، وتشرب الخمر والمزر شرباً ظاهراً بينهم فى الطرقات ، ويتراش الناس بالماء ، وبالماء والخمر ، وبالماء ممزوجاً بالأقذار . فإن غلط مستور وخرج من داره لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ، ويستخف بحرمته ، فإما فدى نفسه وإما فضح. ولم يجر الحال فى هذا النوروز على هذا، ولكن قد رش الماء فى الحارات ، وأحيا المنكر فى الدور أرباب الخسارات .

وقال فى سنة ٥٩٢ : وجرى الأمر فى النوروز على العادة من رش الماء ، واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض ، والتصافع بالأنطاع ، وانقطع الناس عن التصرف ، ومن ظفر به فى الطريق رش بمياه نجسة وخرق به .

هذه صورة لما كان عليه الحال فى عيد النيروز بمصر أيام الفاطميين، يرسمها لنا المقريزى وغيره من المؤرخين. وهى تدلنا على مبلغ ما كان عليه التآخى والمشاركة وطيب المجاملة ، بين المسلمين وإخوانهم المسيحيين .

ابن فارس :

أبو الحسين أحمد بن فارس سبقت ترجمتـه فى المجلد الأول من (نوادر المخطوطات) ص ١٣٨ .

كتاب النيروز :

لعل أول مايتبادر إلى ذهن القارئ أن كتاب ابن فارس فى النيروز يتضمن الـكلام فى النيروز وتاريخه ورسومه ، ولـكن ابن فارس لم يقصد فى كتابه هذا القصد ، بل أراد به أن يكون بحثاً لغوياً جمع فيه الألفاظ التى توافق كلمة « نيروز » فى صوغها ووزنها .

ونسخة النيروز هذه نسخة نادرة هى نسخة المغفور له أحمد تيمور باشا . وهى محفوظة فى المـكتبة التيمورية برقم ٤٠٢ لغة .

وهذا نصها :

كتاب النيروز

لأبى الحسين أحمد بن فارس

٠٠٠ — ٣٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس رحمه الله :

سألت أعزّك الله عن قول الناس يومُ نيروزٍ ، وهل هذه الكلمة عربية ، وبأى شىء وزنها ؟

واعلم أنّ هذا الاسم معرّب، ومعناه أنه اليوم الجديد، وهو قولهم « نوروز » إلا أن النيروز أشبهُ بأبنية العرب، لأنه على مثال فيعول. وكان الفراء يقول: يُبنَى الاسم الفارسى أىّ بناء كان إذا لم يخرج عن أبنية العرب .

والذى جاء من الأسماء العربية على فيعول قليل. وأنا أذكر ماحضرنى ذكره .

وأول ذلك (أيلول[1]) وهو اسم شهر غير عربىّ ، وفيه يقول القائل :

مضى أيلولُ وارتفع الحرورُ   وأذكت نارَها الشِّعرى العبورُ

و (بيروت) : اسم بلد .

ومنه (البيقور) لجماعة البقرة ، يقال بقرة وباقر وبيقور . قال الشاعر[2] :

أجاعلٌ أنت بيقوراً مسلّعةً   ذريعة لك بين الله والمطرِ

ومعنى هذا البيت ما خبّرنى به أحمد بن محمد مولى بنى هاشم ، عن محمد بن عباس ، عن محمد بن حبيب، قال : أخبرنى أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، قال : كانت العرب إذا أمسكت السماء قَطْرها ، استمطروا، فعمدوا إلى شجرتين يقال لهما السَّلَع والعُشَر ،فعقدوها فى أذناب البقر فأضرموا فيها النار ، وأصعدُوها فى جبلٍ وعر وتبعوا آثارها ،يدعون الله عزّ وجلّ ويستسقونه. قال ابن الكلبى: وإنما يضرمون النار تفاؤلا للبرق . فى ذلك يقول أمية بن أبى الصلت :

---

(١) هو المقابل لشهر سبتمبر الرومى » وشهر توت القبطى .

(٢) هو الورل الطائى . كما فى اللسان (بقر ، سلع) ، وكما سيأتى .

(٣) الأبيات فى ديوان أمية ص ٣٥ ـ ٣٦ .

سَنَــةٌ أزمةٌ تخيِّـــل بالنا   س ترَى للعضاهِ فيها صريرا
لا على كوكبٍ يَنُوءُ ولا ريـ   ـحِ جَنوبٍ ولا ترى طُخرورا(١)
ويسوقون باقِرَ السهل للطَّو   دِ مَهازِيلَ خشيةً أن تبورا
عاقدين النِّيران فى ثُــكَن الأذ   ناب منها لكى تَهيج البُحورا(٢)
سَلَــعٍ ما ومثله عُشَرٌ ما   عائلٌ ما وعالت البَيْقورا(٣)
فاشتوَت كلُّها فهاجت عليهم   ثم هاجت إلى صَبِير صَبِيرا(٤)
فرآها الإله تُوشَم بالقطــ   ـر فأضحى جنابُهم ممطورا

فالبيقور جماعة بقر . وفى ذلك يقول الوَرَل الطائى :

لادرَّ درُّ رجالٍ خاب سعيُهم   يستمطرون لدى الأزْمات بالعُشَر
أجاعلٌ أنت بيقوراً مســلعةً   ذريعةً لك بين الله والمطر

وقال الشرقىّ بن القُطامىّ : كانوا إذا فعلوا ذلك توجَّهوا نحو المغرب من بين الجهات كلِّها قصداً إلى العين ، والعين : قِبْلة العراق . قال العجاج :

سارٍ سَرَى من قِبَل العَين فَجرْ   غُرَّ السحاب والمرابيعَ البُكُر(٥)

ومن ذلك (التَّيهور) وهى الرَّمْلة المشرفة ، ويقال إنها المفازة(٦) .

و (التيقور) من الوقار(٧) .

---

(١) الطخرور والطخرورة : قطعة رقيقة مستدقة من السحاب .

(٢) ثُكن الأذناب ، مستعارة من ثُكن النار ، وهى بئرها التى توقد فيها . وقد أنشد البيت فى اللسان (ثكن) منسوبا إلى أمية بن أبى عائذ الهذلى ، وهو تحريف .

(٣) أى إن السنة الجدبة أثقلت البقر بما حملت من السلع والعشر . انظر اللسان (عول) .

(٤) فى الأصل : « فاستوت » ، صوابه فى الديوان . والصبير : السحاب البيض

(٥) المرابيع : الأمطار التى تجىء فى أول الربيع . والبيتان فى ديوان العجاج ١٦ .

(٦) فى الأصل : « ويقال لها المفازة » .

(٧) أنشد فى اللسان للعجاج :

* فإن يكن أمسى البلى تيقورى *

ومنه (الحيزوم)، وهو الصدر وما ضُمّ عليه الحزام، وجمعه الحيازيم، تقول: «اشدد حيازيمك للأمر»، أى استعدّ له. قال ذو الرمة:

تعتادنى زفراتٌ حين أذكرها تكاد تنقدُّ منهن الحيازيمُ[1]

و (حَيزوم) يقولون: اسم فرسِ جبريلَ صلى الله عليه، وكان جاء عليه يوم بدر، فقال بعضُ من حضر القتال: كنتُ على جبلٍ مشرفٍ على الجبلين، فنشأت سحابةٌ فسمعتُ قائلا يقول: أقدم حيزوم! فانخلع قلب صاحبى فمات[2].

ومن ذلك (الخيشوم)، وهو الأنف وما حوله. قال[3]:

كأنما خالطَتْ فاها إذا وسِنَت بَعْدَ الرُّقاد فما ضم الخياشيمُ
مهطولةٌ من خُزامى الخَرْج هيّجها من ضرب ساريةٍ لوثاء تهميمُ[4]

ومن ذلك (الدّيبوب)، وهو الذى يسعى ويدبُّ بين الناس بالنمائم والفساد[5]. وجاء فى الحديث: «لا يدخل الجنّةَ ديبوب ولا قلّاع».

فالدّيبوب: الذى ذكرناه. والقلّاع: الذى يأتى إلى إنسان له عند آخر منزلةٌ فيفسِد حالَه عنده حتى يقلعه من مكانه.

و (الدّيجور): الظلام، وجمعه دياجير.

و (الزّيتون[6]) فيما يقال جبل، ويقال مسجد. وذلك فى قوله جلّ ثناؤه: ﴿والتِّينِ والزَّيتون﴾. والزيتون هذا المأكول. قال أبو طالب:

---

(١) ديوان ذى الرمة ٥٦٩.

(٢) فى المخصص (٦ : ١٩٣): «حيزوم والبراق: فرسا جبريل عليه السلام».

(٣) البيتان لذى الرمة فى ديوانه ٥٧٣.

(٤) المهطولة: التى أصابها الهطل، وهو المطر الدائم فى سكون وضعف. وفى الأصل: «ممطولة»، صوابها فى اللسان (همم) والديوان. والخرج: واد باليمامة.

(٥) وقيل هو الذى يدب بين الرجال والنساء للجمع بينهم. اللسان.

(٦) اختلف اللغويون فى «الزيتون» فبعضهم يجعل الياء زائدة فيكون على مثال فيعول، وبعضهم يجعل النون الزائدة فيكون على مثال فعلون، لذا تفسره المعاجم فى (زيت) و (زتن).

بورك الميّتُ الغريبُ كما بُو   رك نَضْحُ الرمان والزيتونُ(١)

و (الدَّيقوع) : الجوع الشديد(٢) .

و (السَّيهوك) و (السيهوج) : اسمان للريح العاصف .

و (الصيخود) الصخرة الملساء الصلبة ، لاتحرك من مكانها ولا يعمل فيها الحديد . قال الراجز يصف ناقة :

* حمراء مثل الصخرة الصيخود(٣) *

وقال جرير :

لايستطيع أخو الصبابة أن يُرَى   حجراً أصمَّ وصخرةً صيخودا(٤)

وذكر ابن دريد(٥) (صيُّوب) : سهم صائب، ومطر صيُّوب بمعنى صيِّب .

وذكر أيضاً رجل (فَيُّول) الرأى ، أى فائل الرأى.

و (البيُّوت) : الماء(٦) يبيت ليلة . و (البيُّوت) : الرأى المبيَّت . قال أمية بن أبى عائذ :

وأجعــــل فقْرَتَها عُدَّةً   إذا خِفتُ بيُّوتَ أمرٍ عُضالِ(٧)

---

(١) النضح ، بالحاء المهملة : : تفطر الشجر بالورق ، وقد استشهد فى اللسان بالبيت فى مادة (نضح) . وفى الأصل: « نضج » بالجيم ، محرف .

(٢) ينشدون فى ذلك قول أعرابى قدم الحضر فشبع فأتخم، فقال :

أقول للقوم لـــا ساءنى شبعى   ألا سبيل إلى أرض بهـا الجوع
ألا سبيل إلى أرض يـكون بها   جوع يصدع منه الرأس ديقوع

(٣) البيت من شواهد اللسان (صخد) .

(٤) من قصيدة فى ديوان جرير مطلعها :

أهوى أراك برامتــين وقودا   أم بالجنينة من مدافع أودا

(٥) فى الجمهرة (٣ : ٣٨٨) .

(٦) فى الأصل : « المرء » تحريف ، صـوابه من اللسان والمقاييس لابن فارس (١ : ٣٢٥) . وشاهده قول غسان السليطى :

كفاك وأغناك ابن نضلة بعـدها   علالة بيوت من المـاء قارس

(٧) فى الأصل : « وأجعل فرقتها » ، صوابه من المقاييس واللسان وشرح السكرى للهذليين ١٩٧ ومخطوطة الشنقيطى من الهذليين ٨٣ . وفى الأخيرة : « بعير ذو فقرة إذا كان قوياً على الركوب » .

و (صيموت[١]) بلد .

و (الطَّيهوج[٢]) طائر ، وما أراه عربيا .

و (العَيْشوم) نبت[٣] . قال ذو الرمة :

لِلجنِّ بالليل فى أرجائها زجلٌ   كما تناوح يوم الريح عيشومُ[٤]

ويقال (العيثوم) الفِيلة ، يُشبَّه الفحل به الأنثى[٥] . قال :

* وطئَتْ عليك بخفها العيثوم[٦] *

و (عَينون) : بلد[٧] .

و (الغيذور[٨]) بالغين والذال معجمتين : الحمار .

و (فيروز) اسم أعجمى معرب .

---

(١) لم أر من ذكره فى معاجم اللغة والبلدان .

(٢) الطيهوج ، بالطاء فى أوله . قال ابن دريد : « ولا أحسبه عربيا » وقال الأزهرى: « الطيهوج طائر أحسبه معربا ، وهو ذكر السلكان » ، والسلكان : جمع سلك ، كصرد ، وهو فرخ الحجل . قال العلامة المعلوف فى معجم الحيوان ١١٩ : « ولا يخفى أن الطيهوج معرب تيهو بالفارسية » . وهو بفتح التاء وسكون الياء وضم الهاء . انظر معجم استينجاس ٣٤٤.

(٣) العيشوم : شجرله صوت مع الريح .

(٤) البيت فى ديوان ذى الرمة ٥٧٥ برواية « فى حافاتها » كما فى اللسان (عشم) وفى الديوان أيضا : « كما تجارب » .

(٥) كذا وردت هذه العبارة . وفى اللسان : « والعيثوم الفيل وكذلك الأنثى » .

(٦) وكذا ورد فى الحيوان (٧ : ٢٣٤) وصواب إنشاده ، وطئت عليه » كما فى الجمهرة (٣ : ٣٨٧) واللسان (عثم) . وهو عجز مشترك لبيتين من شعر الأخطل ، صدر أولهما . « وملحب خضل النبات كأنما » . وصدر الثانى: « تركوا أسامة فى اللقاء كأنما » . والبيتان لم يرويا فى ديوان الأخطل ، وأنشدهما فى اللسان .

(٧) ذكر ياقوت أنها كلمة عبرانيـة » ، وأنها من قرى بيت المقدس. وقد ذكرها كثير فى قوله :

يجـتزن أودية البضيع جوازعا   أجواز عينون فنعف قبـال

(٨) لم يذكر فى اللسان والقاموس إلا « الغيذار » .

و (القيدود) : الفرس الطويلة ، ولا يقال للذكر . ويوصف به الإناث أيضاً . قال ذو الرمة :

على مَراة مِسحلٍ مَزؤودِ[(١)] ذى جُدَّتين أيِّدٍ شرودِ[(٢)]

يَبرِى لقَبَّاءِ الحشا قَيدُودِ

و (القيدوم) من كلِّ شىء : أوّله . حكاه ابن دريد[(٣)] .

و (كيموم[(٤)]) : اسم .

و (خَيطوب[(٥)]) : موضع .

و (جيحون) فارسى .

و (قيطون[(٦)]) فيما يقال بيت الحمار[(٧)] ، ويقال هو بلد .

قال ابن دريد : و (كيموم) : اسم . قال : وأحسبه مشتقا من كممت البعير ، إذا شددتَ فاه . قال :

بين الرَّجا والرجا من جنبِ واصيةٍ يهماء خابِطُها بالخوفِ مكعوم[(٨)]

و (العيهوم) : الجمل الضخم ، والجمع العياهيم . قال ذو الرمة :

---

(١) المسحل : الحمار الوحشى ، سمى بذلك لسحيله ، أى نهاقه. وفى الأصل : «مسجد» تحريف ، صوابه من ديوان ذى الرمة ١٦٢ ومشارف الأقاويز نشرة جاير ١٥٦ .

(٢) الأيد : القوى الشديد . وفى الديوان والمشارف : « آبد الشرود » .

(٣) شاهده فى اللسان (قدم) :

بمستهطع رسل كأن جديله بقيدوم رعن من صوام ممنع

(٤) كذا . ولعله « كيسوم » وهى من الأسماء التى ذكرها ابن دريد . وإلا فإن « كيعوم » سيأتى كلامه عليها ، بعد ثلاث كلمات .

(٥) كذا ورد فى الأصل والجمهرة. والذى فى معجم البلدان واللسان : « حيطوب » بالحاء المهملة . وقد ذكر فى القاموس « حيطوب » و « خيطوب » معا .

(٦) فى الأصل: « قيطوب » .

(٧) فسر فى المعاجم بأنه المخدع ، أو بيت فى بيت .

(٨) مكعوم: أى مشدود الفم بالكعام. وفى الأصل : « بالخوف معلوم » ، صوابه فى ديوان ذى الرمة ٥٧٥ واللسان (كعم) .

هيهات خرقاء إلاّ أن يقرّبها ذو العرش والشّعشعاناتُ العياهيم[1]

قال ابن دريد : وكذلك (العَيْهول) . قال : و (الغيطول) من الغيطل ، وهو اختلاف الأصوات[2] .

و (الهينوم) ما يسمع من صوتٍ ولا يفهم . قال ذو الرمة :

هَنَّا وهَنَّا ومن هَنَّا لهنّ بها ذاتَ الشمائلِ والأيمانِ هينوم[3]

وهو من الهينمة والهتملة . قال الكميت :

ولا أشهد الهُجْر والقائليه إذا هُمْ بهينمةٍ هَتْمَلوا[4]

ومن هذا الباب مما أوسطه مثقل (أيّوب) اسم . و (بيوت) وقد مضى ذكرها . و (حَيُّول) اسم رجل . و (الصيّور) من قولهم لا عقل له ولا زَبْد ولا صَيُّور ! يريدون ما يصار إليه من رأى أو حزم .

ويقال ما بها (دَيّور) ولا ديار ، أى ما بها قطين دار .

ومن ذلك (العيوق)، وهو نجم وراء الكف الخضيب، وهو كوكب عظيم فى المجرّة التى تلى الشمال . ويقال له عَيُّوق الثريّا ، وذلك أنهما يطلعان معاً ، فإذا توسطا السماءَ تدانيا . قال الشاعر :

وإنّ صُدَيًّا والملامةَ ما مشى لكالنّجم والعَيُّوقِ ما طلعا معا[5]

يقول : لا يتخلف اللّوم عن صُدَىّ ، كما لا يتخلف واحد من الثريّا والعيوق عن صاحبه . وقال آخر[6] :

---

(١) ديوان ذى الرمة ٥٧٩ .

(٢) فى الجمهرة : « وغيطول من الغيطل، وهو اختلاط الأصوات، أو اختلاط الظلمة».

(٣) ديوان ذى الرمة ٥٧٦ .

(٤) أنشد البيت فى اللسان (هتمل) .

(٥) البيت فى الأزمنة والأمكنة للمرزوق (١ : ٢٢١ / ٢ : ٣٧٧) .

(٦) هو حاتم الطائى . والبيت فى ديوانه ١٠٩ من مجموع خمسة دواوين.

وعاذلةٍ هبّتْ بليلٍ تلومُنى … وقد غار عَيُّوق الثريّا فعرّدا

وقال بِشر :

وعانَدَتِ الثريّا بعد هُدْءٍ … معاندةً لها العيُّوقُ جارُ(١)

و (الفَيُّوم) : بلد .

و (القَيُّوم) : القائم . والله عزّ وجلّ القيوم القائم بأمر خلقه ، كقوله جلّ ثناؤه : ﴿ أَفَمَنْ هوَ قَائِمٌ عَلَى كلِّ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ ﴾ . ويقال القيّام أيضاً ، كما يقال ديّور وديّار .

و (الكَيُّول) : مؤخر الصف فى الحرب . قال الشاعر :

إنّى امرؤٌ عاهَدَنِى خليلى … ولا أقوم الدهر فى الكيول(٢)

أضرِبْ بسيفِ الله والرسولِ(٣)

وهذا ماحضرنى من هذا الباب، والله أعلم . فإن حَفظ قارئٌ كتابى هذا شيئاً غابَ عن حفظى فليلحقه به إن شاء الله(٤) .

ومنه (ديوث) وهو من لا يغار على أهله

تمّ الكتاب بحمد الله ومنه ، وصلى الله على نبيّه محمد وعترته وسلم تسليما

---

(١) البيت من قصيدة لبشر بن أبى خازم فى المفضلية ٩٨ : ١٦ . وفى الأصل وكذا فى اللسان (مادة عوق) : « جارا » ، تحريف .

(٢) فى اللسان (مادة كيل) : « أن لا أقوم » .

(٣) روى ابن منظور من خبر هذا الرجز أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقاتل العدو ، فسأله سيفا يقاتل به ، فقال له : فلعلك إن أعطيتك أن تقوم فى الكيول . فقال : لا . فأعطاه سيفا ، فجعل يقاتل وهو ينشد هذا الرجز ، فلم يزل يقاتل به حتى قتل . وأقول : هذا الرجل الذى أشار إليه هو الصحابى أبو دجانة . انظر السيرة ٥٦٣ جوتنجن .

(٤) أقول : قد فاته مما جاء على وزن فيعول ، مما ذكره ابن دريد فى الجمهرة (٣:٣٨٨): « قيصوم » وهو نبت طيب الريح ، ويذكره العرب كثيرا مقروناً بالشيح . و « قيعون » يقال كلأ قيعون ، إذا تم وا كتهل وطال . و « طيروب » : اسم من الأسماء ، و « سيحوج » ، اسم من الأسماء أيضاً . و « قيعور » : اسم موضع .

الرسالة النيروزية

للشيخ الرئيس أبي على الحسين بن عبد الله

ابن سينا

٣٧٠ — ٤٢٨

مُقَدِّمة

وهذه رسالة طريفة أخرى تنتسب إلى النيروز ، هى الرسالة « النيروزية » أو « النوروزية » للرئيس ابن سينا ، يغوص فيها الشيخ الرئيس على المعانى الكامنة فى فواتح عدة من سور القرآن الكريم ، وهى الفواتح المركبة من حروف هجائية مثل « ألم » و « ألر » و « حم » . وقد ساق ذلك كلّه فى أسلوب فلسفى مبنى على مبادئ رياضية منطقية .

وقد ألف ابن سينا هذه الرسالة ، ورسمها باسم السيد الأمير « أبى بكر محمد بن عبد الله »(١) ، لتكون هدية فى يوم النيروز .

وابن سينا ليس فى حاجة إلى أن نسهب فى ترجمته ، وهو أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا ، ويعرف عند الإفرنج باسم : Avicenne

ولد بقرية من ضياع بخارى يقال لها « خَرمَيثَنا » . وكان أبوه من العمال الكفاة . وقد انتقل الرئيس إلى « بخارى » وغيرها من البلاد ، وأتقن القرآن والأدب وشيئا من أصول الدين والحساب والجبر والمقابلة وهو ابن عشر سنين . ثم قرأ كتب الحكمة والمنطق والطب ، الذى تصدى لتدريسه وهو ابن ست عشرة سنة .

وذكر عند الأمير نوح بن نصر السامانى صاحب خراسان فى مرضٍ مرضه ، فأحضره وعالجه حتى برئ ، فاتصل به وقرب منه ، ودخل دار كتبه النادرة فظفر منها بكثير من العلم ، ولم يستكمل ثمان عشرة سنة إلا وقد فرغ من تحصيل العلوم . ثم اتصل بكثير من الولاة والحكام ووزر لبعضهم .

ومن عجب أنه أفرط فى علاج نفسه — وهو الطبيب النطاسى — فاشتد عليه الداء ، وتوفى بهمذان سنة ٤٢٨ وكان مولده سنة ٣٧٠ .

---

(١) النص على تعيين اسم المهدى إليه لم يرد إلا فى نسخة مكتبة حيدر أباد المصورة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية ، وكذا فى النسخة المطبوعة بالجوائب مع تحريف . ونص على ذلك أيضا صاحب كشف الظنون عند الكلام على « الرسالة النيروزية » . وقد ألف له ابن سينا أيضا « الرسالة الأضحوية » . انظر ابن أبى أصيبعة ٢ : ١٩ .

ومن أشهر كتبه « القانون » فى الطب ، وقد مضى على طبعه فى رومة أكثر من ٣٦٠ سنة إذ طبع سنة ١٥٩٣ م وتدوول فى أكثر جامعات أوربة .

وأصدرت دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٠ كتيباً بمؤلفاته ـ وهى تزيد على المائة ـ وذلك بمناسبة مرور ألف عام على مولده ، جمعها وصنفها الأخ الأديب الأستاذ « فؤاد السيد » .

نسخ الرسالة النيروزية :

طبعت هذه الرسالة المرة الأولى فى الجوائب سنة ١٢٩٨ هـ فى ضمن (تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات) ، ولا تعد تلك النشرة نشرة علمية ، ومع ذلك فقد أجريت مقابلتها مع المخطوطات ، رامزا إليها بالرمز (ط) .

وقد أمكننى أن أحصل على خمس مخطوطات ليس فيها نسخة واحدة مؤرخة أو منسوبة .

١ — وأدقها وأكملها نسخة (ف) وهى نسخة فى مجموعة بدار الكتب المصرية برقم ٩٣٥ فلسفة . الورقة ١ — ٥ .

٢ — ثم نسخة (ع) وهى نسخة معهد المخطوطات بالجامعة العربية ، مصورة من المكتبة الآصفية بحيدر أباد بالهند .

٣ — ويليها نسخة (م) وهى برقم ٢٠٠ مجاميع تيمور من الورقة ١٩٣ـ ١٩٥ .

٤ — ثم نسخة (ح) برقم ١٢١ حكمة تيمور .

٥ — ثم نسخة (ب) برقم ٣٨٧ فلسفة ، وهو مصورة من نسخة المتحف البريطانى .

وقد قابلت بين هذه النسخ مستخلصا من بينها ما رأيته الصواب فى توجيه بعض القراءات .

وإليك الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الرسالة النّوروزية، للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا(١).

خدم بها خزانة السيد الأمير أبي بكر محمد بن عبدالله، وجعلها هديّةً في يوم النوروز، وقد وسمها بالنّوروزيّة(٢).

كلٌّ تنزع(٣) به همّتُه إلى خدمة سيدنا ومولانا الشيخ الأمير(٤) [السيد أبي بكر محمد بن عبد الله، أدام الله عزّه(٥)] بتحفة تجود بها ذاتُ يده.(٦) ولمّا رغبتُ في أن أكون واحدَ القوم(٧) ومتابعاً للسّواد الأعظم في إقامة(٨) الرسوم(٩) النيروزية، وكانت حالي تقعد بي عن إهدائه تحفة دُنياويّةً(١٠) تشاكل خزانته(١١) الكريمة، ورأيت الحكمةَ أفضلَ مرغوب فيه، وأجلّ مُتحَفٍ به(١٢) لاسيّما

---

(١) في ع: «رسالة للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا البخاري رحمه الله».

(٢) هذه العبارة انفردت بها نسخة ع.

(٣) هذا ما في ع، ط. وفي ف: «بلوع»، تحريف.

(٤) هذا ما في ع، ط. وفي ف: «الإمام».

(٥) هذه التكملة من ع فقط. وفي ط: «السيد أبي بكر محمد بن عبد الرحيم».

(٦) هذه العبارة انفردت بها ع، ف، ط.

(٧) ف: «واحداً من القوم». وفي كشف الظنون «لما رغبوا في أن أكون واحد القوم».

(٨) م وكشف الظنون: «إفادة».

(٩) في ع، ف، م، ط: «الرسم». وكلمة «النيروزية» ساقطة من ع، ط.

(١٠) م، ع: «عن إهداء تحفة دنيوية».

(١١) م: «ذاته».

(١٢) هذا ما في ع، ف، ط مع سقوط كلمة «به» من ف. وفي م «مرغوب فيها وأجل متحف بها».

[الحكمة[١]] الإلهية ، وخصوصاً ما كان حُكماً مِلّيًّا[٢] ثم كان[٣] يكشف سِرًّا هو [مِن] أغمضِ أسرار الحكمة والمِلّة ، وهو الإنباءُ عن الغرض المضمَّن في الحروف الخاصة فواتحَ عِدّة من السّور الفرقانية[٤] — اتّخذتُ فيه رسالةً وجعلتُها هديتي النيروزيّة إليه[٥] — فإن أفضل الهَدايا الهِداية ، وأشرفَ التُّحَف الحكمة — ووثقت بلُطف موقعها[٦] من نفس مولاى الشيخ الأمير السيد[٧] [أدام الله عزّه[٨]] . وألّفت هذه الرسالة مقسومة[٩] إلى فصول ثلاثة[١٠] :

الأوّل[١١] : فى ترتيب الموجودات والدلالة[١٢] على خاصية كل مرتبة من مراتبها .

الثانى : فى الدلالة على كيفية[١٣] دلالة الحروف عليها .

الثالث: فى الغرض . وبالله التوفيق[١٤] .

---

(١) التكملة من ع ، ف ، ط وكشف الظنون .

(٢) م: « حكما جليا» . (٣) م : « ثم كان » ط: « ثم ما كان» .

(٤) ف: « فواتح السور الفرقانية » . (٥) هذه الكلمة من ع، ط.

(٦) م ، ع : ط : «موقعه» .

(٧) الشيخ الأمير السيد ، ليست فى ف . وفى م: «الشيخ الكبير » ، وأثبت ما فى ع .

(٨) التكملة من ع ف، ط .

(٩) م : « منسوبة » ف: « مقسوما » وقد جمعت الصواب منهما .

(١٠) بدل مامضى جميعه فى ب على مابه من تحريف : « الرسالة النيروزية للشيخ الرئيس فى الإنباء عن الغرض المضمر فى الحروف الهجائية فواتح عدة سورة الفرقانية مقسومة على فصول ثلاث » .

وفى ح : « قال أبو على بن سينا فى الرسالة النيروزية وهى الرسالة المقسومة إلى فصول ثلاثة» .

(١١) ح ، ب، ع: « الفصل » قبل كل من الأول والثانى والثالث .

(١٢) ح : « وفى الدلالة » . (١٣) هذه الكلمة ساقطة من م .

(١٤) « وبالله التوفيق » من ب ، م، ط .

الفصل الأول

فى ترتيب الموجودات والدلالة على خاصية كل مرتبة من مراتبها[(١)]

هو جلّ وعلا مُبدع المبدَعات[(٢)]، ومنشئ الكل[(٣)]. وهو ذاتٌ لا يمكن أن يكون متكثّراً، أو متغيّراً، أو متحيّزاً[(٤)]، أو متقوّماً[(٥)] بسبب[(٦)] فى ذاته، أو مباينٍ لذاته[(٧)]. ولا يمكن أن يكون وجودٌ فى مرتبة وجوده، فضلاً عن أن يكون فوقه. ولا وجود غيره ليس هو المفيد[(٨)] إياه وقوامَه، فضلاً عن أن يكون مستفيداً عن وجود غيره وجوده[(٩)]، بل هو الحق المحض[(١٠)] والجود المحض، والخير المحض، والعلم المحض، والقدرة المحضة[(١١)]، والحياة المحضة، من غير أن يدلّ بكل واحدٍ من هذه الألفاظ على معنى مفردٍ على حدة[(١٢)]، بل المفهوم منها عند الحكماء معنى واحد وذاتٌ واحدة[(١٣)]، ولا يمكن أن يكون فى ذاته[(١٤)] مادة أو يخالطه بالقوة[(١٥)]، أو يتأخّر عنه شىء من أوصاف جلالته ذاتيا أو فعليا .

---

(١) هذه العبارة من ح فقط .

(٢) م، ط: « واجب الوجود وهو مبدع المبدعات » ف: « فى أن موجد الوجود وهو مبدع المبدعات » ب: « فى الوجود فهو مبدع المبدعات »، وأثبت ما فى ح .

(٣) ب: «منشأ الكل» .

(٤) أو متحيزاً، ساقط من م . وفى ح: « متخيراً » ب: « متجريا ».

(٥) ب: « متو » م: « منعدما » .

(٦) ع، م: « لسبب» . (٧) م، ح، ع «أو مباينا » .

(٨) م، ح « يفيد » . وبعدها فى ع: « إلا إياه » . ط: « إياه قوامه » .

(٩) هذه الكلمة فى ب، ع فقط.

(١٠) ب: « بل هو ذات هو الوجود المحض» ع: « بل هو ذات هذا الوجود المحض» .

(١١) والقدرة المحضة، ليست فى ب . (١٢) على حدة، ساقطة من ف، ب .

(١٣) ب: « منها وعن الكل ذوات واحد » ف: « منها عند الحكماء معنى ذات واحدة» ط: « معنى وذات واحد » . وأثبت ما فى م، ح .

(١٤) كلمة « ذاته » ساقطة من ب، ف، ع .

(١٥) ب: « أو يخالط مابالقوة » ع، ح: « أو يخالطه مابالقوة » ف: « أو يخالطها بالقوة » . ط: « أو نخالطه مابالقوة » . وأثبت ما فى م .

وأوّل ماأُبدِع عنه عالَم العقل الأوّل[١]، وهو جملة[٢] تشتمل على عشر[٣] من الموجودات قائمة بلا موادّ : خالية عن القوة والاستعداد ، عقول طاهرة ، وصور باهرة ، ليس فى طباعها[٤] أن تتغير ، أو تتكثر[٥] ، أو تتحيّز[٦] ، كلها مشتاق[٧] إلى الحق الأوّل[٨] والاقتداء به[٩] ، والإظهار لأمره ، واقف[١٠] من قربه والالتذاذ بالقرب العقلى منه سَرمَدَ الدهر على نسبة واحدة .

ثم العالَم النفسى ، وهو مشتمل[١١] على جملة كثيرة من ذوات معقولة[١٢] ليست مفارقةً لمادة المواد[١٣] كلّ المفارقة[١٤] ، بل هى ملابِستُها[١٥] نوعاً من الملابسة ، ومواُّدها مواد[١٦] ثابتة سماوية ، فلذلك هى أفضل الصوَر المادّية ، وهى مدبّرات للأجرام[١٧] الفلكية ، وبوساطتها للعنصرية[١٨] . ولها فى طباعها[١٩] نوع من التغير ، ونوع من التكثّر لا على الإطلاق ، وكلها عُشّاق للعالَم العقلى[٢٠] ولكلّ عدّةٍ[٢١] مرتبطةٍ فى جملةٍ منها ارتباط بواحد من العقول العشرة[٢٢] ،

---

(١) ليست فى ف ، ع ، ط . (٢) م : «جماتها» .
(٣) ب ، ط: «عدة» . (٤) ف: « طباعه » ب:« طبائعها » .
(٥) ب : «يتغير أو يتكثر » . (٦) ب : « يتحيز » وهى ساقطة من م .
(٧) م : « مشتاقة » ط : « تشتاق » .
(٨) كلمة « الحق» من ب ، ح فقط . وفى ف « كلها عشيادة للأول » !
(٩) ف : « وللاقتداء به» . (١٠) م :«وافق» . واقف من قربه ، ساقط من ط . (١١) ب ، ع ، ط « يشتمل » . (١٢) ب « معقولية » .
(١٣) م ، ف « مفارقة المواد » ح ، ع « مفارقة للمواد » . وما أثبت من ب .
(١٤) ب : « المفارق » .
(١٥) م ، ح : « تلابسها » . ب « ملابسها » .
(١٦) ب : « وموداردها ثابتة » .
(١٧) ماعدا ح :« الأجرام » .
(١٨) م ، ح ، ط : « وبواسطتها » ف:« وبوساطها » . ب ، ع « العنصرية » .
(١٩) ب « طبائعها » . (٢٠) ح « العالم العقلى » . (٢١) ف « علة » .
(٢٢) هذه الكلمة ساقطة من ط . وفى ب : « البشرية » .

فهو عالم المثال الكلى[١] المرتسم فى ذات مبدئه[٢] المفارق ، مستفاداً عن ذات الأول الحق .

ثم عالم الطبيعة، وهو يشتمل على قوًى سارية فى الأجسام ، ملابسة للمادّة على التمام، تفعل فيها الحركات والسُّكونات[٣] الذاتية، وترق[٤] عليها الكمالات الجوهرية على سبيل التسخير . فهذه القوى كلّها فعّالة .

وبعدها العالم الجسمانىّ ، وهو ينقسم إلى أثيرىّ وعُنصرىّ . وخاصية الأثيرى استدارة الشكل والحركة ، واستغراق الصورة[٥] المادة ، وخلوّ الجوهر عن المادة المضادة[٦] .

وخاصيَّة العنصرىّ التهيُّؤ للأشكال المختلفة ، والأحوال المتغايرة ، وانقسام المادة بين الصورتين المتضادتين[٧]، أيتهما كانت بالفعل كانت الأخرى بالقوة[٨]، وليس وجود إحداهما[٩] لها وجوداً سرمديًّا ، بل وجوداً زمانيًّا . ومبادئه الفعّالة فيه من القوة[١٠] السماوية بتوسُّط الحركات، وبسبق[١١] كماله الأخير أبداً بالقوة[١٢] ويكون ماهو أول فيه[١٣] بالطبع آخراً فى الشرف والفضل[١٤]، ولكل واحدٍ[١٥]

---

(١) ب «هو» ح « وهو » . ب ، ح ، ط « عامل » ب ، ط « على المثال » . وكلمة « الكلى » ساقطة من ب .

(٢) ف «فى ذاته» م ، ح « مبدئه » ، ع :« مبدأ» .

(٣) ب : « والسكنات » .

(٤) م « وتوفى » ف «ويربى» ح « ويوفى» .

(٥) ف ، م : « الصور » .

(٦) ف ، ع ، ط «عن المضادة» ب « وخلو الجوهر » فقط .

(٧) الكلمة ساقطة من ب . (٨) ب « كانتا لآخر القوة » .

(٩) م ، ب «أحدهما» ح ، ع « إحديهما» .

(١٠) ط « هى القوة »

(١١) ف ، ب « ولسبق » . ع « وسبق » ط « ويبق » .

(١٢) هذا مافى ب ، م . وفى ح ، ع « ما بالقوة » ط « ما هو بالقوة » .

(١٣) أول ، ساقطة من ب ، ف . وكلمة « فيه » من ع فقط .

(١٤) ب « بالطبع أقرب وأشرف فى الفضل » وفى ف « ولسبق كماله الأخير أبسد بالشرف والفضل » . (١٥) ح ، ف ، ع «واحدة» .

من القوى المذكورة اعتبار بذاته ، واعتبار بالإضافة إلى تاليه الكائن عنه[١]. ونسبة[٢] الثوانى كلها إلى الأوّل بحسب الشركة نسبة الإبداع . وأما على[٣] التفصيل[٤] فيخصّ العقل نسبة[٥] الإبداع ، ثم إذا قام متوسطا بينه وبين الثوالث[٦] صار له نسبة الأمر[٧] واندرج فيه معه النفس ، ثم كان بعده نسبة الخلق والأمور العنصرية ، بما هى[٨] كائنة[٩] فاسدة ، فنسبة[١٠] التكوين والإبداع[١١] . والإبداع[١٢] يختص[١٣] بالعقل ، والأمر يفيض منه إلى النفس ، والخلق[١٤] يختص بالموجودات الطبيعية ، ويعم جميعها[١٥]، والتكوين يختص[١٦] بالكائنة[١٧] الفاسدة منها .

وإذا كانت الموجودات بالقسمة الكلية ، إما روحانية ، وإما جسمانية[١٨]، فالنسبة[١٩] الكلية إلى المبدأ[٢٠] الحق إليها أنه[٢١] الذى له الخلق والأمر[٢٢] . فالأمر متعلق بكل ذى إدراك ، والخلق بكل ذى تسخير[٢٣] .

وهذا هو غرضنا فى هذا[٢٤] الفصل الأول[٢٥] .

---

(١) هذا ما فى ع ، ب . ط « تاليها الكائن عنها » وفى سائر النسخ : « بالإضافة إلى نسبة صدور الكمالين عنه » .

(٢) ب : « ونسب » .
(٣) ف « إلى » .

(٤) ب ، ع « التفضيل » .
(٥) ح ، ط : « بنسبة » .

(٦) ف « التوالى » ط « التوانى » .
(٧) م « الآخر »

(٨) ب « هو »
(٩) ح « كانت » .

(١٠) ح ، ف ، ع ، ط : « نسبة » .
(١١) ح « فالإبداع » .

(١٢) هذه من ف فقط .
(١٣) ف « يخص » .

(١٤) ف « والحق » .
(١٥) م « جسميتها » ح « لجميعها » .

(١٦) هذه الكلمة ساقطة من ب ، ح .

(١٧) م ، ف « بالمكانية » .
(١٨) ح ، ع « أو جسمانية » .

(١٩) ف « فالقسمة » م « بالنسبة » ب « والنسبة » .

(٢٠) ح ، ف ، ع « للمبدأ » . ب « إلى المبدأ الأول » .

(٢١) م فقط « لأنه » .

(٢٢) م ، ب « الحق والأمر » . ف « الأمر والحق » ، وأثبت ما فى ح .

(٢٣) ب « فالأمر متعلق بكل ذى تسخير » .

(٢٤) هذه من م ، ح .
(٢٥) الأول ، ليست فى م ، ح .

الفصل الثانى

فى الدلالة على كيفية دلالة الحروف عليها[1]

من الضرورة أنه إذا أريد الدلالة على هذه المراتب[2] من الحروف أن يكون الأول منها فى الترتيب القديم — وهو ترتيب أَبْجد هوّز — دالا على الأول ، وما يتلوه على ما يتلوه .

وأن يكون الدالّ على هذه المعانى بما[3] هو ذات من الحروف مقدّما[4] على الدال عليها من جهة ما هى مضافة[5] .

وأن يكون المعنى الذى يرتسم[7] من إضافة بين[6] اثنين منها مدلولا عليه بالحرف الذى يرتسم[7] من ضرب الحرفين الأولين أحدهما فى الآخر ، أعنى مما يكون[8] من ضرب عددى الحرفين أحدهما فى الآخر .

وأن[9] يكون ما يحصل من العدد الضربى[10] مدلولا عليه بحرف واحد ، مستعملاً[11] فى هذه الدلالة ، مثل : (ى) الذى من ضرب (ب) فى (ه) . وما

---

(١) هذه العبارة من ح ، ع ، ط :

(٢) م « على هذا الترتيب » . ط : « على هذه المعانى بما هو ذوات » .

(٣) ف « بما » .   (٤) ف « متقدما » .

(٥) العبارة فى ب من أول الفصل وردت هكذا « من الضرورة أنه إذا أريد الدلالة على هذه المعانى بما هو ذوات من الحروف متقدماً على الدال عليها من جهة ما هى مضافة » ، وفيه تحريف ونقص .

(٦) م « إضافة بنسبة » .   (٧) ب « مرتسم » .

(٨) ب ، ف ، ط « مايكون » .   (٩) أن ، ساقطة من ب .

(١٠) ب « من عددى الضربين » .   (١١) م « مشتملا » .

يصير مدلولاً عليه[١] بحرفين ، مثل : (يه[٢]) الذى هو من ضرب[٣] (ج) فى (ه) مُطَّرَحاً[٤] لأنه مشكِّك[٥] يوهم[٦] دلالة كل من (ى) و (ه) بنفسه .

ويقع هذا[٧] الاشتباه فى كل حرفين مجتمعين لكل واحد منهما[٨] خاصُّ دلالةٍ[٩] فى حدّ نفسه .

وأن[١٠] يكون الحرف الدال على مرتبة من جهاتها[١١] بوساطة مرتبة قبلها ، هو ما يكون من جمع[١٢] حرفى المرتبتين .

فإذا تقرّر هذا فإنه ينبغى أن يدلّ بالألف على البارى جلّ وعلا ، وبالباء على العقل ، وبالجيم على النفس ، وبالدال على الطبيعة . هذا إذا أُخِذت بما هى ذوات .

ثم بالهاء على البارى تعالى[١٣] ، وبالواو على العقل ، وبالزاء[١٤] على النفس ، وبالحاء على الطبيعة . هذا إذا أُخِذت بما هى مضافةٌ إلى ما[١٥] دونَها .

ويبقى الطاء للهيولى وعالمه[١٦] ، ليس له وجود بالإضافة إلى شىء تحته .

---

(١) هذا ما فى ع ، ح ، ف . وفى م « مايصير عليه مدلولا » وفى ب « وما يصير مدلولا إليه » .
(٢) هذا ما فى ع ، م ، ح . وفى ب ، ف « به » باء ، وهاء .
(٣) هذا ما فى ح ، ف . وفى م « هو ضرب » .
(٤) الكلمة ليست فى ح . (٥) ع ، م ، ح « مشكل » .
(٦) ب « توهم » . (٧) كلمة « هذا » ليست فى ب .
(٨) ب ، ف « منها » . (٩) م ، ح « دلالة خاصة » .
(١٠) أن ، ليست فى ب .
(١١) هذا ما فى ع . وفى سائر النسخ « من جهة أنها » .
(١٢) ب ، ف ، ح « جميع » .
(١٣) هذه الكلمة من ح . (١٤) ع ، ح ف « وبالزاى » .
(١٥) ما ، ليست فى ب .
(١٦) ب « وعالم » ط « وعالمه وليس له وجود » ف « وعالمها وليس لها وجود » .

وينفذ[1] رتبة[2] الآحاد . ويكون (الإبداع) — وهو من إضافة الأول إلى العقل[3] والعقل ذات[4] لا يضاف[5] — بَعدُ مدلولاً عليه بالياء ، لأنه من ضرب (ﻫ) فى (ب) . ولا يصحّ لإضافة البارى إلى النفس[6] ، أو العقل[7] إلى النفس عدد يُدَلُّ عليه بحرف واحد ، لأن (ﻫ) فى (ج) (يـ) و (ر[8]) فى (ج) (يج) ويكون (الأمر) وهو من إضافة الأول إلى العقل مضافاً مدلولاً عليه باللام لأنه من ضرب[9] (ﻫ) فى (ر[10]) .

ويكون (الخلق) ـ وهو من إضافة الأول إلى الطبيعة مضافةً ـ مدلولاً عليه بالميم[11] لأنه من ضرب (ﻫ) فى (ح) لأن الحاء دلالة على[12] الطبيعة مضافة[13] .

ويكون (التكوين) ـ وهو من إضافة البارى إلى الطبيعة وهى ذات[14] ـ مدلولاً عليه[15] بالكاف ، لأنه من ضرب (ﻫ) فى (ر) .

ويكون جميع[16] نسبتى (الأمر والخلق) أعنى ترتيب الخلق بواسطة الأمر ـ أعنى اللام والميم ـ مدلولا عليه بحرف (ع) .

---

(١) ع « وتنفذ » م « فنفذ » ط « وبعد » (٢) م ، ح « مرتبة » .
(٣) ب « العقل إلى الأول » (٤) ليست فى ف .
(٥) م ، ح ، ف « لا مضاف » ط « والعقل غير مضاف بعد » :
(٦) إلى النفس من ب فقط . (٧) ف « والعقل » ع « العقل » .
(٨) ع « ى » ، تحريف .
(٩) هذا ما فى م . وفى سائر النسخ « إلى العقل مضافا ل وهو من ضرب » :
(١٠) بعده فى م فقط « لأنه أى (و) دلالة على العقل مضافا » .
(١١) بدل هذه الكلمات الثلاث فى ح ، ع ، ف : « م » .
(١٢) ع : « دالة » . وكلمة « على » ساقطة من م ، ح .
(١٣) مضافة ، ساقطة من ف . وكلمة « لأن الحاء » إلى هناليس فى ط .
(١٤) ب : « ذوات » . (١٥) عليه ، من ع ، ب فقط .
(١٦) م ، ط : « جمع » .

وجميع نسبتى (الخلق والتكوين) كذلك - أعنى الميم والكاف - مدلولا عليه بالسين(١).

ويكون جميع(٢) نسبتى طرفى الوجود - أعنى اللام والكاف(٣) - مدلولا عليه بالنون(٤).

ويكون جميع(٥) نسب(٦) الأمر والخلق والتكوين - أعنى: (ل، م، ك) - مدلولا عليه بـ (ص).

ويكون اشتمال الجملة فى الإبداع - أعنى(٧) (ى) فى نفسه - (ر). وهو أيضاً من جمع (ص) و (ى).

ويكون ردها إلى الأول(٨) الذى هو(٩) مبدأ الكل ومنتهاه(١٠) على أنه أول وآخر - أعنى فاعل وغاية، كما بيّن فى الإلهيّات - مدلولا عليه بالراء ضعف (ر).

وذلك غرضنا فى هذا الفصل.

---

(١) ب «بالشين» ف «بنون».
(٢) هذا ماقى ف. وفى ع، م «مجموع» ب «مدلول».
(٣) ب «الكاف واللام» ط «الياء والميم».
(٤) ع، ط «بنون».
(٥) هذا ماقى ع، ط. وفى ح «مجموع» والكلام من لفظ «نسبتى طرفى الوجود» إلى هنا ساقط من م، ف. (٦) ب «ويكون نسبة».
(٧) ب «يعنى» وكلمة «ى» التالية ساقطة من م، ف.
(٨) م «المبدأ الأول». (٩) م «وهو».
(١٠) ح «ومنتهاها». والكلام بعده إلى «الإلهيات» ليس فى ط.

الفصل الثالث

في الغرض[١]

فإذا تقرّر ذلك فأقول[٢] :

إن المدلول عليه بـ (ألم[٣]) هو القَسَم بالأوّل ذي الأمر والخلْق .

وبـ (ألمر[٤]) القَسَم بالأول ذي الأمر والخلْق الذي هو الأول والآخِر[٥] والأمر والخلق[٦] والمبدأ الفاعليّ[٧] والمبدأ[٨] الغائيّ جميعاً .

وبـ (ألمص[٩]) القسم بالأول ذي الأمر والخلق[١٠] ، ومنشيء[١١] الكلّ .

وبـ (ص) القَسَم بالعناية الكلّيّة .

وبـ (ق) القسم بالإبداع المشتمل على الكل بوساطة الإبداع المتناول للعقل .

وبـ (كهيعص[١٢]) القسم بالنسبة التي للكاف - أعني عالم التكوين[١٣] - إلى المبدأ الأول ، فنسبة[١٤] الإبداع الذي هو (ي) ، ثم الخلق

---

(١) هاتان الكلمتان من م ، ح ، ط . (٢) ب « فنقول » .
(٣) هي فاتحة سورة : البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة .
(٤) هي فاتحة سورة الرعد .
(٥) الذي هو الأول والآخر ، ساقطة من م .
(٦) والأمر والخلق ، ساقط من م ، ح . (٧) ب « الفاعل » .
(٨) ساقطة من م (٩) فاتحة سورة الأعراف .
(١٠) ب « الخلق والأمر » . (١١) ب « ومنشأ » .
(١٢) فاتحة سورة مريم (١٣) ف « أعني التكوين » .
(١٤) ع ، ف « بنسبة » م « بسبب » ب « ينسب » ط « بنسب » صوابها جميعا في ح .

بوساطة[١] الإبداع صائراً بوقوع الإضافة[٢] بسبب النسبة أمراً وهو (ع) ، ثم التكوين بوساطة الخلق والأمر[٣] وهو (ص) . فبين (ك) و (ه) ضرورةً نسبةُ الإبداع ، ثم نسبة الخلق والأمر ، ثم نسبة التكوين والخلق والأمر .

و (يٓسٓ) قسَمٌ بأوّلِ الفيض وهو الإبداع وآخِره ، وهو[٤] التكوين .

و (حمٓ[٥]) قسمٌ بالعالم الطبيعى الواقع فى الخلق .

و (حمٓ عٓسٓقٓ[٦]) قسمٌ بمدلول وساطة الخلق[٧] فى وجود العالم الطبيعى بالخلق ، بالجمع[٨] بينه وبين الأمر ، بنسبة[٩] الخلق إلى الأمر[١٠] ، ونسبة الخلق إلى التكوين[١١] ، بأن يأخذ من هذا ويؤدى إلى ذلك[١٢] فيتمّ به الإبداع الكلّىّ المشتملُ على العوالم كلِّها ، فإنها إذا أُخِذَت على الإجمال لم يكن لها نسبةٌ إلى الأوّلِ غيرُ الإبداع الكلىّ الذى[١٣] يُدَلُّ عليه بـ (ق) .

و (طٓسٓ[١٤]) يمينٌ بالعالم الهَيُولانىّ الواقع فى التكوين[١٥] .[وطسٓمٓ[١٦]

---

(١) م ، ط « بواسطة» . (٢) ط « بوفق الإضافة » .

(٣) م « ثم التكوين والخلق والأمر » . والكلام بعد إلى آخر الفقرة ساقط من م.

(٤) ط « وهو الخلق المشتمل على التكوين » .

(٥) فاتحة سورة : غافر ، فصلت ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف .

(٦) فاتحة سورة الشورى . (٧) م « واسطة الخلق » .

(٨) ع « العالم الطبيعى الواقع بالخلق » وكلمة «بالجمع » من م فقط . وهذه الكلمة والثلاث بعدها ليست فى ط . (٩) م ، ح ، ب « نسبة » .

(١٠) أى م ، ل وهما يساويان (ع) . انظر ص ٣٨ س ١٣ .

(١١) أى م ، ك وهما يساويان (س) . انظر ص ٣٩ س ١ ، ٢ .

(١٢) ب « يوجد من هذا أو يؤدى إلى ذلك » صوابه فى م ، ف ، ح . وفى ع « تأخذ من هذا وترده إلى ذلك » . (١٣) الذى ، ساقطة من ب .

(١٤) فاتحة سورة النمل .

(١٥) لعلها « الخلق والتكوين » فإن «س» تساوى م + ك أى الخلق والتكوين وفى ط « الواقع فى التكوين الواقع فى الخلق » .

(١٦) فاتحة سورتى الشعراء ، والقصص .

قسمٌ بالعالم الهيولانى الواقع فى الخلق المشتمل على التكوين ، وبالأمر الواقع فى الإبداع[١]] .

و (نَ) قسم بعالم التكوين وعالم الأمر ، أعنى مجموع (ك ، ل[٢]) .

ولا يمكن[٣] أن يكون[٤] للحروف دلالة غيرُ هذا ألبتَّة[٥] .

ثُمَّ بعد هذا أسرارٌ تحتاج إلى المشافهة .

والله تعالى يمدُّ[٦] فى بقاء الشيخ الأمير[٧] السيِّد ، ويبارك له[٨] فى نِعَمه عِنْدَه ،ويجعلنى ممن يوفَّق لقضاء أياديه بمَنِّه وسعة رحمته[٩] .

والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، والتوفيق من الله سبحانه وتعالى[١٠] .

تمت الرسالة النيروزية ، ولله الحمد والمنَّة[١١]

---

(١) التكملة من ط .

(٢) ع «ك ، م» تحريف. ب « مجموع الكلى » تحريف كذلك ط « مجموع الكل » .

(٣) ماعدا ع « ولم يمكن » . (٤) ب « أن تكون» .

(٥) ط: « دلالة على غير هذا البتة » ب « دلالة على هذه النسبة » ، وهذه تحريف . ف « دلالة على غير هذه » فقط . وتنتهى نسخة ح بعد هذه الكلمة مختومة بعبارة « انتهى كلامه ، شكر الله سعيه » .

(٦) ب « والله يمد » ف «والله تعالى يمد». والفقرة من أولها إلى آخرها ساقطة من ب.

(٧) هذا ما فى ع . وفى ط « بقاء السيد الأمير » . وفى ف « الشيخ الأمين » وكلمة « الأمير » ساقطة من م ، ح ، (٨) ع « الله » .

(٩) م « وجوده وكرمه » وبعدها فى م « آمين آمين » وبها تم هذه النسخة .

(١٠) هذه العبارة من ب فقط وبدلها فى ف « والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين » .

(١١) هذه العبارة خاتمة نسخة « ع » .

ملحق بالرسالة النيروزية

لتوضيح دلالة رموزها ، طبق ما ورد فيها

(صنع عبد السلام هارون)

ا = البارى = الأول
ب = العقل
ج = النفس
د = الطبيعة

} بما هى ذوات

ه = البارى = الأول
و = العقل
ز = النفس
ح = الطبيعة

} بما هى مضافة

ط = الهيولى (وهى المادة مجردة من الصورة) وهى لاتقع مضافة

ى = الإبداع من ضرب ه × ب

ل = الأمر من ضرب ه × و

م = الخلق من ضرب ه × ح

ك = التكوين من ضرب ه × د

ع = الأمر + الخلق = ل + م

س = الخلق + التكوين = م + ك

ه = طرفى الوجود = ل + ك

ص = الأمر + الخلق + التكوين = ل + م + ك

و = ص + ى = الأمر + الخلق + التكوين + الإبداع

ر = ضعف و = رد الجملة (أى الإبداع، والأمر، والخلق، والتكوين) إلى الأول، أى البارى.

رسالة فيها ذكر ما جاء فى النيروز
وأحكامه مما فسره بطليموس الحكيم
ووجده عن علم دانيال .

مقدمة

وهذه رسالة أخرى تبحث فى أمر النيروز وما يدل عليه طالعه على مدار الأيام السبعة . وهو من أساطير الأولين ، ولكنه تسجيل للحركة العقلية فى تلك العصور القديمة .

وهذه الرسالة فى مجموعة جلبها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية من مكتبة مراد ملا بتركيا برقم ٣٣٨ مصورة فى (الفلم) رقم ٩١٦ وعنوانها « ذكر ما جاء فى النيروز ، وحكا فيه مما فسره بطليموس الحكيم ووجده عن علم دانيال » .

وقد آثرت أن أنشرها فى هذه النوادر ، لتجد من يستطيع تحقيق نسبتها وتعيين مؤلفها ، ولتكون تتمة للمعارف القديمة التى ذكرتها فى البحث الذى قدمت به هذه المجموعة النيروزية ، وبياناً للاهتمام الذى كان يوجهه القدماء إلى « النيروز » .

وهذا نص الرسالة :

ذكر ما جاء فى النوروز

وأحكامه[1] مما فسره بطليموس الحكيم ووجده عن علم دانيال

قال : إذا صادف النوروز (يوم الأحد) للشمس،فإن النيل يكون متوسطا فى طلوعه ، ويُخرج زرعاً جيداً ، ويرخص القمح أوّلَ توت ، ويغلو[2] الضأن والصوف إلى برمودة ، وتكون سنَةً شتاؤها لين وفيها مرضٌ شديد ، ويكون مطرها كثيراً وصيفها بدريًّا ، ويكثر ثمر النَّخل وبركة الزرع ، ويظفر المَلك بعدوّه .

وإن صادف النوروز (يوم الاثنين) للقمر ، فإن النيل يكون مقبلًا مباركا لطلوعه ، ويحسن الزرع ويفسد النخل ، ويرخص القمح فى بعض السنة ويغلو فى كيهك إلى برمودة ، ويغلو الزيت والكُسوة مدة[3] خمسة أشهر ، ويكون فى العالم حرب وقتال ، ويكون الشتاء ليناً فى بدوّه ، ويكثر المرض فيها والوباء والموت ، ويغلو ثمر النخل والعسل ، ويكون الحر شديداً ، ويقع بين الملوك اختلاف كثير .

وإن صادف النوروز (يوم الثلاثاء) للمريخ ، فإن النيل يجرى بلا توقف يكون وسطا ويزيد ثم ينقص فى آخره ، وتغتم الناس لذلك ، ويكون البرد شديداً ، ويقع الموت فى التُّرك والصقالبة ، وتهرق الدماء ، ويكثر الموت فى النساء ، وتقع فيها بين الملوك منازعة واختلاف ، وتحدث زلزلة .

وإن وافق النوروز (يوم الأربعاء) لعطارد ، فإن النيل يكون متوسطا وينزل بسرعة ، ويكثر السَّقم فى الناس والموت ، ويقع فى الأطفال ، وتكثر

---

(١) فى الأصل : « وحكافيه » . (٢) فى الأصل : « ويغل » .
(٣) فى الأصل : « منذ » .

اللصوص ، ويرخص القمح فى توت ويغلو فى بابة ، ويطلع كوكب فى تلك السنة لم يكن ظهر منذ(١) سنين كثيرة ، وتقِلّ الحربُ فى تلك السنة ، وتكثر فيها الحبوب وموت الرجال بالسيف ، وتعلو مراتب الملوك الأعاجم من الفرس ، وتقلّ الثمار فى آخر السنة .

وإن وافق النوروز (يوم الخميس) المشترى ، فإن النيل يكون متوسطا يزيد على سبعة عشر ذراعاً ، وتربح التجار فى القمح ، ويقع فى بعض الأراضى نار شديدة(٢) ويكون ذلك من قِبَل السلطان ، ولا يسافر أحدٌ إلاّ هلك ، وترخص الأشياء من توت إلى كيهك ، ويغلو ذلك فيه إلى برمهات ، ثم يرخص فيها [و] فى بشنس ، ويقع فى الشتاء موت كثير ، وتكثر الفواكه وتفسد الحبوب ، ويقع الوباء فى النساء بعداوة زُحَلَ للزُّهَرة ، وذلك إذا هبطت فى بيت شرفه ، ويقع بين الملوك العرب والعجم شر(٣) .

وإن وافق النوروز (يوم الجمعة) للزُّهَرة ، فإن النيل يكون مباركا ولا يغلو شىء(٤) ، ويكثر صيد البر والبحر ، ويَعدِل السلطان ، ويُنجِب الزّرع ، ويقلُّ الشر .

وإن وافق النوروز (يوم السبت) لزُحَل ، فإن النيل يكون غالباً يبلغ ثمانية عشر ذراعاً ، ويغلو الزيت ، ويقع الوباء فى العلماء وأكابرِ الناس ومتوسِّطى(٥) العرب ، ويكون آخر السنة خيراً .

والله أعلم بالصواب

---

(١) فى الأصل: « فى منذ » . (٢) فى الأصل : « ناراً شديدا » .
(٣) فى الأصل : « شراً » . (٤) فى الأصل : « شيئاً » .
(٥) فى الأصل : « ومتوسطين » .

حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق

جمع العبد الفقير إلى الله تعالى

محمد مرتضى الحسيني

عفى عنه بمنه

آمين

صورة وجه الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قطعة من الصفحة الأولى

الصفحة الأخيرة

مقدمة

وهذا كتاب فى تاريخ الخط والخطاطين ، هو امتداد لمؤلفات قديمة ، من أشهرها كتاب أدب الكتاب لمحمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٣٣٦ ، وفصول طوال فى فهرست ابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ ، وصبح الأعشى للقلقشندى المتوفى سنة ٨٢١ .

وقد ألف السيد مرتضى الزبيدى هذا الكتاب مشتملا على « فضيلة الخط والقلم وما جاء فيهما من الآثار ، وما للحكماء فيهما من الأسرار ، وبيان من وضع الخط أولا وألف الحروف ، وألبسها حلل التفصيل وأحلها فى أحسن الظروف ، ثم بيان الأجلة من الكتاب والأعيان من أهل الفن » .

وقد جعل هذه الرسالة هدية إلى خزانة نابغة الخط الأمير حسن أفندى الملقب بالرشدى[1] .

وقسمها إلى عشرة فصول وخاتمة :

الفصل الأول : فى ذكر من وضع الخط وأصله ، ووصله وفصله .

« الثانى : فى فضل الخط وما قيل فيه .

« الثالث : فى القلم ، وما لهم فيه من الحكم .

---

(١) هو حسن أفندى بن عبد الله ، الملقب بالرشدى ، الرومى الأصل ، توفى فى السنة التى توفى فيها الزبيدى . قال الجبرتى فى ترجمته : « مولى على أغا بشير دار السعادة ، المكتب المصرى ، اشتراه سيده صغيراً ، وهذبه ودربه وشغله بالخط فاجتهد فيه ؛ وجوده على عبد الله الأنيس ، وكان ليوم إجازته محفل نفيس ، جمع فيه الرءوس والرئيس ، ثم زوجه ابنته وجعله خليفته ولم يزل فى حال حياة سيده معتكفاً على المشق والتسويد ، معتنياً بالتحرير والتجويد إلى أن فاق أهل عصره فى الجودة فى الفن ، . . . ولما توفى شيخ المكتبين المرحوم إسماعيل الوهبى جعل المترجم شيخاً باتفاق منهم ... وألف من أجله شيخنا السيد محمد مرتضى كتاب حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق . .. ولم يزل شيخاً ومتكلماً على جماعة الخطاطين والكتاب ، وعميدهم الذى يشار إليه عند الأرباب ، نسخ بيده عدة مصاحف وأحزاب . وأما نسخ الدلائل فكثرتها لاتدخل تحت الحساب ، إلى أن طافت به المنية طواف الوداع ، ونثرت عقد ذلك الاجتماع . وبموته انقرض نظام هذا الفن » . تاريخ الجبرتى ٢ : ٢١١ .

الفصل الرابع : فى الدواة وصفتها وآلاتها .
« الخامس : فى المداد والحبر .
« السادس : فى برى الأقلام .
« السابع : فى النقط .
« الثامن : فى الشكل .
« التاسع : فى ذكر حروف المعجم وسرها فى تعيين العدد .
« العاشر : فى ذكر الكتبة الكرام ، من لدن زمن النبى صلى الله عليه وسلم إلى زمن المؤلف .

ثم الخاتمة وفيها فصلان :
الأول : فى أدب التلميذ مع الشيخ .
الثانى : نصيحة لسائر الخطاطين .

السيد مرتضى الزبيدى

والسيد مرتضى الزبيدى عالم لغوى جليل من علماء القرن الثالث عشر، أفرد له الجبرتى فى تاريخه ترجمة نفيسة، آثرت أن أنقل جمهورها بلفظه ونسقه، حرصاً على ما بها من تصوير كامل لحياة هذا الرجل، وصلاته برجال عصره.

قال الجبرتى فى ترجمته[1] :

مات شيخنا علم الأعلام، والساحر اللاعب بالأفهام، الذى جاب فى اللغة والحديث كل فج، وخاض من العلم كل لج، المذلل له سبل الكلام، والشاهد له الورق والأقلام، ذو المعرفة والمعروف، وهو العلم الموصوف، العمدة الفهامة والرُّحلة النسابة، الفقيه المحدّث اللغوى، النحوى الأصولىّ، الناظم الناثر الشيخ أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى الحسينى الزّبيدى[2] الحنفى. هكذا ذكر عن نفسه ونسبه.

ولد سنة ١١٤٥ كما سمعته من لفظه، ورأيته بخطه.

ونشأ ببلاده وارتحل فى طلب العلم وحج مراراً، واجتمع بالشيخ عبد الله السندى، والشيخ عمر بن أحمد بن عقيل المكى، وعبد الله السقاف، والمسند محمد ابن علاء الدين المزجاجى، وسليمان بن يحيى، وابن الطيب. واجتمع بالسيد عبد الرحمن العيدروس بمكة، وبالشيخ عبد الله ميرغنى الطائفى فى سنة ثلاث وستين ونزل بالطائف بعد ذهابه إلى اليمن ورجوعه فى سنة ست وستين، فقرأ على الشيخ عبد الله فى الفقه وكثيراً من مؤلفاته وأجازه. وقرأ على الشيخ عبد الرحمن العيدروس مختصر السعد، ولازمه ملازمة كلية، وألبسه (الخرقة)، وأجازه بمروياته، ومسموعاته. قال: «وهو الذى شوّقنى إلى دخول مصر بما وصفه لى من علمائها وأمرائها وأدبائها، وما فيها من المشاهد الكرام، فاشتاقت نفسى لرؤياها، وحضرت مع الركب، وكان الذى كان». وقرأ عليه طرفاً من الإحياء، وأجازه بمروياته.

---

(١) انظر عجائب الآثار ٢ : ١٩٦ — ٢١٠ فى حوادث سنة ١٢٠٥ . وقد لخص هذه الترجمة الشبلنجى فى نور الأبصار ٢١٤، وعلى مبارك فى الخطط التوفيقية ٣ : ٩٣ — ٩٤ .

(٢) نسبة إلى زبيد، بفتح الزاى، وهى مدينة مشهورة باليمن.

ثم ورد إلى مصر فى تاسع صفر سنة ١١٦٧ وسكن بخان الصاغة ، وأول من عاشره وأخذ عنه السيد على المقدسى الحنفى من علماء مصر ، وحضر دروس أشياخ الوقت كالشيخ أحمد الملوى ، والجوهرى ، والحفنى ، والبليدى ، والصعيدى ، والمدابغى وغيرهم ، وتلقى عنهم وأجازوه وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه ، واعتنى بشأنه «كتخدا عزبان[1] » . ووالاه بره حتى راج أمره وترونق حاله واشتهر ذكره عند الخاص والعام ، ولبس الملابس الفاخرة وركب الخيول المسومة.

وسافر إلى الصعيد ثلاث مرات واجتمع بأكابره وأعيانه وعلمائه ، وأكرمه شيخ العرب همام ، وإسماعيل أبو عبد الله ، وأبو على ، وأولاد نصير ، وأولاد وافى ، وهادَوه وبرُّوه .

وكذلك ارتحل إلى الجهات البحرية مثل دمياط ورشيد والمنصورة وباقى البنادر العظيمة مرارا حين كانت مزينة بأهلها ، عامرة بأكابرها ، وأكرمه الجميع ، واجتمع بأكابر النواحى وأرباب العلم والسلوك ، وتلقى عنهم وأجازوه وأجازهم ، وصنف (عدة رحلات) فى انتقالاته فى البلاد القبلية والبحرية تحتوى على لطائف ومحاورات ومدائح نظماً ونثراً لو جمعت مجلداً ضخماً ، وكناه سيدنا أبو الأنوار بن وفا (بأبى الفيض) ، وذلك يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ١١٨٢ وذلك برحاب ساداتنا بنى الوفا يوم زيارة المولد المعتاد .

ثم تزوج وسكن بعطفة الغسال مع بقاء سكنه بوكالة الصاغة ، وشرع فى (شرح القاموس) حتى أتمه فى عدة سنين نحو أربعة عشر مجلداً سماه «تاج العروس» ولما أكمله (أولم وليمة حافلة) جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت بغيط المعدية وذلك فى سنة ١١٨١ وأطلعهم عليه واغتبطوا به وشهدوا بفضله وسعة اطلاعه ورسوخه فى علم اللغة ، وكتبوا عليه تقاريظهم نثراً ونظما » .

ثم ساق الجبرتى أسماء هؤلاء المقرظين ، وبعض تقاريظهم ، ثم قال :

« ولما أنشأ محمد بيك أبو الذهب جامعه المعروف به بالقرب من الأزهر وعمل فيه خزانة للكتب ، واشترى جملة من الكتب ، ووضعها بها ، أنهوا إليه شرح القاموس هذا وعرفوه أنه إذا وضع بالخزانة كمل نظامها ، وانفردت بذلك دون غيرها ، ورغبوه فى ذلك فطلبه وعوضه عنه مائة ألف درهم فضة ، ووضعه فيها .

---

(١) معنى كتخدا : وزير الأمور الداخليـــة . كما جاء فى تخليص الإبريز لرفاعة الطهطاوى ، ص ٧٢ .

ولم يزل المترجم يخدم العلم ويرقى فى درج المعالى، ويحرص على جمع الفنون التى أغفلها المتأخرون، كعلم الإنساب والأسانيد وتخاريج الأحاديث واتصال طرائق المحدثين المتأخرين بالمتقدمين . وألف فى ذلك كتباً ورسائل ومنظومات وأراجيز جمة، ثم انتقل إلى منزل بسويقة اللالا، تجاه جامع محرم أفندى، بالقرب من مسجد شمس الدين الحنفى، وذلك فى أوائل سنة ١١٨٩، وكانت تلك الخطة إذ ذاك عامرة بالأكابر والأعيان، فأحدقوا به وتحبب إليهم واستأنسوا به وواسوه وهادوه، وهو يظهر لهم الغنى والتعفف، ويعظهم ويفيدهم بفوائد وتمائم ورقى، ويجيزهم بقراءة أوراد وأحزاب . فأقبلوا عليه من كل جهة، وأتوا إلى زيارته من كل ناحية، ورغبوا فى معاشرته لكونه غريباً وعلى غير صورة العلماء المصريين وشكلهم، (ويعرف باللغة التركية والفارسية)، بل وبعض لسان الكرج، فانجذبت قلوبهم إليه، وتناقلوا خبره وحديثه .

ثم شرع فى إملاء الحديث على طريق السلف فى ذكر الأسانيد والرواة والمخرجين من حفظه على طرق مختلفة . وكل من قدم عليه يملى عليه الحديث المسلسل بالأولية، وهو حديث الرحمة برواته ومخرجيه، ويكتب له سندا بذلك وإجازة وسماع الحاضرين فيعجبون من ذلك .

ثم إن بعض علماء (الأزهر) ذهبوا إليه وطلبوا منه إجازة، فقال لهم : لا بد من قراءة أوائل الكتب، واتفقوا على الاجتماع بجامع شيخون بالصليبة الاثنين والخميس تباعداً عن الناس، فشرعوا فى صحيح البخارى بقراءة السيد حسين الشيخونى، واجتمع عليهم بعض أهل الخطة والشيخ موسى الشيخونى إمام المسجد وخازن الكتب، وهو رجل كبير معتبر عند أهل الخطة وغيرها. وتناقل فى الناس سعى علماء الأزهر مثل الشيخ أحمد السجاعى، والشيخ مصطفى الطائى، والشيخ سليمان الأكراشى وغيرهم للأخذ عنه، فازداد شأنه وعظم قدره، واجتمع عليه أهل تلك النواحى وغيرها من العامة والأكابر والأعيان، والتمسوا منه تبيين المعانى فانتقل من الرواية إلى الدراية، وصار درساً عظيما، فعند ذلك انقطع عن حضوره أكثر الأزهرية، وقد استغنى عنهم هو أيضا وصار يملى على الجماعة بعد قراءة شىء من الصحيح حديثاً من المسلسلات أو فضائل الأعمال، ويسرد رجال سنده ورواته من حفظه ويتبعه (بأبيات من الشعر) كذلك، فيتعجبون من ذلك لكونهم لم يعهدوها فيما سبق فى المدرسين المصريين .

وافتتح درساً آخر في مسجد الحنفي، وقرأ الشمائل في غير الأيام المعهودة بعد العصر، فازدادت شهرته. وأقبلت الناس من كل ناحية لسماعه ومشاهدة ذاته، لكونها على خلاف هيئة المصريين وزيهم. ودعاه كثير من الأعيان إلى بيوتهم، وعملوا من أجله ولائم فاخرة، فيذهب إليهم مع خواص الطلبة والمقرئ والمستملي وكاتب الأسماء، فيقرأ لهم شيئاً من الأجزاء الحديثية كثلاثيات البخاري أو الدارمي، أو بعض المسلسلات، بحضور الجماعة وصاحب المنزل وأصحابه وأحبابه وأولاده (وبناته ونسائه من خلف الستائر)، وبين أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على النسق المعتاد، ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين حتى النساء والصبيان والبنات، واليوم والتاريخ، ويكتب الشيخ تحت ذلك: «صحيح ذلك». وهذه كانت طريقة المحدثين في الزمن السابق كما رأيناه في الكتب القديمة.

يقول الحقير: إني كنت مشاهداً وحاضراً في غالب هذه المجالس والدروس، ومجالس أخر خاصة بمنزله وبسكنه القديم بخان الصاغة، وبمنزلنا بالصنادقية وبولاق وأماكن أخر كنا نذهب إليها للنزهة مثل غيط المعدية (والأزبكية) وغير ذلك. فكنا نشغل غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثية وغيرها، وهو كثير، بثبوت المسموعات على النسخ وفي أوراق كثيرة موجودة إلى الآن.

وانجذب إليه (بعض الأمراء الكبار) مثل مصطفى بيك الإسكندراني، وأيوب بيك الدفتردار، فسعوا إلى منزله: وترددوا لحضور مجالس دروسه، وواصلوه بالهدايا الجزيلة والغلال، واشترى الجواري، وعمل الأطعمة للضيوف، وأكرم الواردين والوافدين من الآفاق البعيدة. وحضر عبد الرزاق أفندي الرئيس من الديار الرومية إلى مصر وسمع به، فحضر إليه والتمس منه الإجازة وقراءة مقامات الحريري، فكان يذهب إليه بعد فراغه من درس شيخون ويطالع له ما تيسر من المقامات ويفهمه معانيها اللغوية.

ولما حضر محمد باشا عزت الكبير رفع شأنه عنده وأصعده إليه، وخلع عليه فروة سمور؛ ورتب له تعييناً من كلاره لكفايته، من لحم وسمن وأرز وحطب وخبز، ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسائرة، وغلالا من الأنبار، وأنهى إلى الدولة شأنه، فأتاه مرسوم بمرتب جزيل بالضربخانة وقدره مائة وخمسون نصفاً فضة في كل يوم وذلك في سنة ١١٩١ فعظم أمره وانتشر صيته. وطُلب إلى الدولة

فى سنة ٩٤ فأجاب ثم امتنع ، وترادفت عليه المراسلات من أكابر الدولة وواصلوه بالهدايا والتحف والأمتعة الثمينة فى صناديق . وطار ذكره فى الآفاق ، وكاتبه ملوك النواحى من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق وملوك المغرب والسودان وفزان والجزائر والبلاد البعيدة ، وكثرت عليه الوفود من كل ناحية ، وترادفت عليه منهم الهدايا والصلات والأشياء الغريبة ، وأرسلوا إليه من أغنام فزان وهى عجيبة الخلقة عظيمة الجثة ، يشبه رأسها رأس العجل ، وأرسلها إلى أولاد السلطان عبد الحميد فوقع لهم موقعاً ، وكذلك أرسلوا إليه من طيور الببغا والجوارى والعبيد والطواشية ، فكان يرسل من طرائف الناحية إلى الناحية المستغرب ذلك عندها ، ويأتيه فى مقابلتها أضعافها . وأتاه من طرائف الهند وصنعاء واليمن وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة ، وماء الكادى ، والمربيات والعود والعنبر والعطر شاه بالأرطال ، وصار له عند أهل المغرب شهرة عظيمة ومنزلة كبيرة واعتقاد زائد . وربما اعتقدوا فيه (القطبانية العظمى) حتى إن أحدهم إذا ورد إلى مصر حاجا ولم يزره ولم يصله بشىء لا يكون حجه كاملا ، فإذا ورد عليه أحدهم سأله عن اسمه ولقبه وبلده وخطته وصناعته وأولاده ، وحفظ ذلك أو كتبه ، ويستخبر هذا عن ذاك بلطف ورقة ، فإذا ورد عليه قادم من قابل سأله عن اسمه وبلده فيقول له : فلان من بلدة كذا . فلا يخلو إما أن يكون عرفه من غيره سابقاً ، أو عرف جاره أو قريبه ، فيقول له : فلان طيب ؟ فيقول : نعم سيدى . ثم يسأله عن أخيه فلان وولده فلان وزوجته وابنته ، ويشير له باسم حارته وداره وماجاورها ، فيقوم ذلك المغربى ويقعد ويقبل الأرض تارة ويسجد تارة ويعتقد أن ذلك من باب الكشف الصريح . فتراهم فى أيام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على بابه من الصباح إلى الغروب ، وكل من دخل منهم قدم بين يدى نجواه شيئا إما موزونات فضة أو تمراً أو شمعاً ، على قدر فقره وغناه وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ويلتمسون منه الأجوبة ، فمن ظفر منهم بقطعة ورقة ولو بمقدار الأنملة فكأنما ظفر بحسن الخاتمة ، وحفظها معه كالتميمة ، ويرى أنه قد قبل حجه وإلا فقد باء بالخيبة والندامة ، وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ، ودامت حسرته إلى يوم ميعاده . وقس على ذلك ما لم يقل .

وشرع فى شرح (إحياء العلوم) للغزالى ، وبيض منه أجزاء وأرسل منها إلى الروم والشام والغرب ليشتهر مثل شرح القاموس ويرغب فى طلبه واستنساخه ،

و (ماتت زوجته) فى سنة ٩٦ فحزن عليها حزناً كثيراً ، ودفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقية وعمل على قبرها مقاماً ومقصورة وستوراً وفرشاً وقناديل ولازم قبرها أياماً كثيرة ، وتجتمع عنده الناس والقراء والمنشدون ، ويعمل لهم الأطعمة والثريد والكسكسو والقهوة والشربات . واشترى مكاناً بجوار المقبرة المذكورة وعمره بيتاً صغيراً وفرشه وأسكن به أمها ، ويبيت به أحياناً . وقصده الشعراء بالمراثى ، فيقبل منهم ذلك ويجيزهم عليه . ورثاها هو بقصائد وجدتها بخطه بعد وفاته فى أوراقه المدشتة ، على طريقة شعر مجنون ليلى » .

وساق الجبرتى ست مقطعات للزبيدى فى رثائها ثم قال : « ثم تزوج بعدها بأخرى وهى التى مات عنها وأحرزت ماجمعه من مال وغيره . ولما بلغ ما لا مزيد عليه من الشهرة وبعد الصيت وعظم القدر والجاه عند الخاص والعام وكثرت عليه الوفود من سائر الأقطار ، وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها من كل ناحية ، لزم داره واحتجب عن أصحابه الذين كان يلم بهم قبل ذلك إلا فى النادر لغرض من الأغراض ، وترك الدروس والإقراء واعتكف بداخل الحريم وأغلق الباب ورد الهدايا التى تأتيه من أكابر المصريين ظاهرة ، وأرسل إليه مرة أيوب بيك الدفتردار مع نجله خمسين إردبا من البر ، وأحمالا من الأرز والسمن والعسل والزيت وخمسمائة ريال نقود وبقج كساوى أقمشة هندية وجوخا وغير ذلك فردها ، وكان ذلك فى رمضان ، وكذلك مصطفى بيك الإسكندرانى وغيرهما ، وحضرا إليه فاحتجب عنهما ولم يخرج إليهما ورجعا من غير أن يواجهاه .

ولما حضر حسن باشا على الصورة التى حضر فيها إلى مصر لم يذهب إليه ، بل حضر هو لزيارته وخلع عليه فروة تليق به ، وقدم له حصاناً معدوداً مرختاً بسرج وعباءة ، قيمته ألف دينار ، أعده وهيأه قبل ذلك . وكانت شفاعته عنده لا ترد ، وإن أرسل إليه إرسالية فى شىء تلقاها بالقبول والإجلال وقبّل الورقة قبل أن يقرأها ووضعها على رأسه ونفذ ما فيها .

وأرسل مرة إلى أحمد باشا الجزار مكتوبا وذكر له فيه أنه (المهدى المنتظر) وسيكون له شأن عظيم ، فوقع عنده بموقع الصدق لميل النفوس إلى الأمانى ، ووضع ذلك المكتوب فى حجابه المقلد به مع الأحراز والتمائم ، فكان يُسير بذلك إلى بعض من يرد عليه ممن يدعى المعارف فى الجفور والزايرجات ويعتقد صحته بلا شك . ومن قدم عليه من جهة مصر وسأله عن المترجم فإن أخبره وعرّفه أنه اجتمع به وأخذ

عنه وذكره بالمدح والثناء أحبّه وأكرمه وأجزل صلته ، وإن وقع منه خلاف ذلك قطّب منه وأقصاه عنه وأبعده ، ومنع عنه بِرّه ولو كان من أهل الفضائل. واشتهر ذلك عند من عرف منه ذلك بالفراسة ، ولم يزل على حسن اعتقاده فى المترجم حتى انقضى نحبهما .

واتفق أن مولاى محمد سلطان المغرب – رحمه الله – وصله بصلات قبل انجماعه الأخير وتزهده ، وهو يقبلها بالحمد والثناء والدعاء ، فأرسل له فى سنة ١٢٠١ صلة لها قدر ، فردّها وتورع عن قبولها وضاعت ولم ترجع إلى السلطان ، وعلم السلطان ذلك من جوابه فأرسل إليه مكتوبا قرأته ، وكان عندى ثم ضاع فى الأوراق ، ومضمونه العتاب والتوبيخ فى رد الصلة ، ويقول له : إنك رددت الصلة التى أرسلناها إليك من بيت مال المسلمين ، وليتك حيث تورعت عنها كنت فرقتها على الفقراء والمحتاجين فيكون لنا ولك أجر ذلك ، إلا أنك رددتها وضاعت : (ويلومه) أيضا على شرحه كتاب الإحياء ويقول له : كان ينبغى أن تشغل وقتك بشىء نافع غير ذلك ، ويذكر وجه لومه له فى ذلك وما قاله العلماء وكلاما مفحما مختصراً مفيداً . رحمه الله .

وللمترجم من المصنفات خلاف شرح القاموس[1] وشرح الإحياء[2] تأليفات كثيرة منها :

١ – كتاب الجواهر المنيفة ، فى أصول أدلة مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه مما وافق فيه الأئمة الستة[3] : وهو كتاب نفيس حافل رتبه ترتيب كتب الحديث من تقديم ما روى عنه فى الاعتقاديات ثم فى العمليات على ترتيب كتب الفقه .

٢ – والنفحة القدسية ، بواسطة البضعة العيدروسية ، جمع فيه أسانيد العيدروس ، وهى فى نحو عشرة كراريس .

٣ – والعقد الثمين ، فى طرق الإلباس والتلقين ،

٤ – وحكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق ،

---

(١) طبعت خمسة أجزاء منه بالمطبعة الوهبية سنة ١٢٨٦ . ثم طبع كاملا فى عشرة أجزاء بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٦ .

(٢) طبع بفاس سنة ١٣٠٢ فى ١٣ جزءا ، ثم فى الميمنية سنة ١٣١١ فى ١٠ أجزاء . باسم « إتحاف السادة المتقين ، بشرح أسرار إحياء علوم الدين » .

(٣) طبع بالإسكندرية سنة ١٢٩٢ فى جزأين .

٥ – وشرح الصدر، فى شرح أسماء أهل بدر، فى عشرين كراسا، ألفها لعلى أفندى درويش.

ورسائل كثيرة جداً منها.

١ – رفع نقاب الخفا، عمن انتمى إلى وفا وأبى الوفا.

٢ – بلغة الأريب، فى مصطلح آثار الحبيب[1].

٣ – إعلام الأعلام، بمناسك حج بيت الله الحرام.

٤ – زهر الأكمام، المنشق عن جيوب الإلهام، بشرح صيغة سيدى عبد السلام.

٥ – رشفة المدام المختوم البكرى، من صفوة زلال صيغ القطب البكرى.

٦ – رشف سلاف الرحيق، فى نسب حضرة الصديق.

٧ – القول المثبت، فى تحقيق لفظ التابوت.

٨ – تنسيق قلائد المنن، فى تحقيق كلام الشاذلى أبى الحسن.

٩ – لقط اللآلى، من الجوهر الغالى. وهى فى أسانيد الأستاذ الحفنى. وكتب له إجازته عليها فى سنة ٦٧ وذلك سنة قدومه إلى مصر.

١٠ – النوافح المسكية، على الفوائح الكشكية.

١١ – جزء فى حديث «نعم الإدام الخل».

١٢ – هدية الإخوان، فى شجرة الدخان.

١٣ – منح الفيوضات الوفية، فيما فى سورة الرحمن من أسرار الصفة الإلهية.

١٤ – إتحاف سيد الحى، بسلاسل بنى طى.

١٥ – بذل المجهود، فى تخريج حديث «شيبتنى هود».

١٦ – المربى الكابلى، فيمن روى عن الشمس البابلى.

١٧ – المقاعد العندية، فى المشاهد النقشبندية.

١٨ – رسالة فى المناشى والصفين!

١٩ – شرح على خطبة الشيخ محمد البحيرى البرهانى على تفسير سورة يونس.

٢٠ – تفسير على سورة يونس مستقل، على لسان القوم.

٢١ – شرح على حزب البر، للشاذلى[2].

---

(١) طبع فى مصر سنة ١٣٢٦.

(٢) طبع بمطبعة السعادة سنة ١٣٣٣ فى ٧٨ صفحة باسم «تنبيه العارف البصير على أسرار الحزب الكبير».

٢٢ — تكملة على شرح حزب البكرى للفاكهى .

٢٣ — مقامة سماها إسعاف الأشراف .

٢٤ — أرجوزة فى الفقه ، نظمها باسم الشيخ حسن بن عبد اللطيف الحسنى المقدسى .

٢٥ — حديقة الصفاء فى والدى المصطفى. وقرظ عليها الشيخ حسن المدابغى.

٢٦ — رسالة فى طبقات الحفاظ .

٢٧ — رسالة فى تحقيق قول أبى الحسن الشاذلى : « وليس من الكرم » الخ.

٢٨ — عقيلة الأتراب ، فى سند الطريقة والأحزاب ، صنفها للشيخ عبد الوهاب الشربينى .

٢٩ — التعليقة ، على مسلسلات ابن عقيلة .

٣٠ — المنح العلية ، فى الطريقة النقشبندية .

٣١ — الانتصار ، لوالدى النبى المختار .

٣٢ — ألفية السند، ومناقب أصحاب الحديث

٣٣ — كشف اللثام ، عن آداب الإيمان والإسلام .

٣٤ — رفع الشكوى ، لعالم السر والنجوى .

٣٥ — ترويح القلوب ، بذكر ملوك بنى أيوب .

٣٦ — رفع الكلل ، عن العلل .

٣٧ — مسامرة الحبيب . ذكره فى تاج العروس فى مادة (بزز) وقال : « ومنية البز بالفتح : قرية بمصر ، وقد دخلتها وألفت فيها مسامرة الحبيب فى ليلة واحدة » .

٣٨ — رسالة سماها قلنسوة التاج ، ألفها باسم الأستاذ العلامة الصالح الشيخ محمد بدير المقدسى ، وذلك لما أكمل شرح القاموس المسمى بتاج العروس ، فأرسل إليه كراريس من أوله حين كان بمصر ، وذلك فى سنة ٨٢ ليطلع عليها شيخه الشيخ عطية الأجهورى ويكتب عليها تقريظا ، ففعل ذلك وكتب يستجيزه ، فكتب إليه أسانيده العالية فى كراسة وسماها قلنسوة التاج(١) .

وقد لخص الجبرتى هذه الرسالة . وذكر ما يتعلق بها ، ثم ذكر أن للزبيدى أشعاراً كثيرة ، روى بعضاً منها .

(١) بقى عليه مما لم يذكره « كتاب نشوة الارتياح ، فى بيان حقيقة الميسر والقداح » - طبع فى ليدن ١٣٠٣ .

ثم روى خبر وفاته بعد إصابته بالطاعون ، وأن زوجته أخفت خبره حتى استولت على معظم ما ترك من نفائس ، ودفن بقبر أعده لنفسه بجانب زوجته .

ثم قال فى نعته :

« وكان صفته ربعة نحيف البدن ، ذهبى اللون ، متناسب الأعضاء ، معتدل اللحية ، قد وخطه الشيب فى أكثرها ، مترفها فى ملبسه ، ويعتم مثل أهل مكة عمامة منحرفة بشاش أبيض ، ولها عذبة مرخية على قفاه ، ولها حبكة وشراريب حرير طولها قريب من فتر ، وطرفها الآخر داخل طى العمامة ، وبعض أطرافه ظاهر . وكان لطيف الذات ، حسن الصفات ، بشوشا بسوما ، وقورا محتشما ، مستحضرا للنوادر والمناسبات ، ذكيا لوذعيا ، فطنا ألمعيا » .

نسخة الأصل :

هى نسخة نفيسة بمكتبة الأخ المحدث الجليل الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر مصورة من نسخة بخط المؤلف نفسه ، تكرم حفظه الله بإعارتى إياها لنشرها . ولهذه المصورة أخت بدار الكتب المصرية برقم ٢٧٩٩ تاريخ ، صور معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة منها فى القلم ٤٠٤ :

وهى تقع فى ١٤ ورقة فى كل صفحة منها ١٩ سطرا ، وفى كل سطر نحو عشر كلمات مكتوبة بالخط الفارسى المعتاد . وبهامشها بعض إلحاقات وتصحيحات بقلم الزبيدى .

وفيما يلى نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلّمه البيان ، وفضّله على سائر الأجناس بالتمييز والتّبيان ، والصّلاة والسلام على سيدنا محمدٍ أرشدِ موجوداته وأسعد مخلوقاته سيّد ولدِ عدنان ، وعلى آله وصَحْبه وتابعيهم ما ترنَّمت البلابلُ بالألحان ، وغرّدت سواجعُ الأطيار على فنن الأغصان .

وبَعدُ فإنّه لمَّا كانت صناعةُ الخطِّ أنفع بضاعةٍ للكُتّاب ، وأوسعَ كفايةٍ للطُّلّاب فى هذا الباب ، وأشرفَ وسيلةٍ للتقَّريب ، وألطفَ وَصِيلة لتوسيع الرِّزق والترحيب ، كما قال الشاعر :

لاتَعْدُ عن حقِّ الكتابة إنَّها مَغْنى الغِنى ومفاتحُ الأرزاق
واخْشَ اليراعةَ وارْجُها فهى التى عُرِفت بنَفث السُّمِّ والدِّرياقِ

وكان المتَّصفُ به جُهينةَ الأخبار ، وحقيبةَ الأسرار ، ونَجِيَّ العظماء ، وكبيرَ النُّدماء ، وتَرجُمان السُّلطان ، وصُندوق البيان ، ألَّفت هذه الرِّسالةَ مشتملةً على فضيلة الخطّ والقلَم ، وما جاء فيهما من الآثار ، وما للحكماء فيهما من الأسرار ، وبيانِ مَن وَضَع الخطَّ أوّلاً وألّف الحروف وألبسها حُلَل التفصيل وأحلّها فى أحسن الظُّروف . ثم بيانِ الأجِلَّة من الكُتَّاب ، والأعيان من أهل الفنّ بحُسْن النَّسَق المستطاب .

وقد جعلتُها هديّةً إلى خزانةِ مَن نَبَغ فيه واشتَهر كاشتهار الشَّمس فى رابعة النَّهار[1] ، وهذَّب قواعدَه وأتقَنَ مراتبَه بحُسْن الضَّبط والاعتبار ، جَمالِ هذا الفنّ الذى فاق فيه وبَرَع ، وجَمَع بين المتانة والحُسْن ما لم يُسبَقْ به فلله

(١) كذا جاءت « رابعة » بالباء واضحة . ولها وجهها .

ما جَمَع ، فلو شاهَدَه ابن هلالٍ لأقَرَّ له بالإتقان ، أو عاصره ياقوتٌ لقال هذا إنسانُ عَين الزَّمان ، أو رآه الشَّيخ(١) لافتخرَ به فى عصره ، وأذْعَنَ أنَّه فريدُ مصره ، المولى الكامل الماهر الكاتب ، ذى الخطِّ البديع المشرق كالكواكب ، صاحب العَرْف النَّدِّى ، الأمير حسن أفندى الملقب بالرّشدىّ ، جَمَّل الله بجماله هذه الصِّناعةَ وأربابَها ، ويَسَّر له سبلَ الخيراتِ وفتَحَ له أبوابَها .

فخُذْها جريدةً مفيدةً المتدرِّب الكاتب ، وخريدةً منْجية المتعلِّم عن المتاعب ، وسفينة جارية على مقاصد المتأمِّلين فيها من كل باب ، ودفينةً رزينة لمن يتعرَّض فى اقتناء الدُّرِّ من مناهج الصَّواب ، جريدةٌ شُحِنت مسكاً زواياها ، وحُقَّةٌ ملئت دُرًّا خباياها ، أمليتها من غرائب بنات الأفكار ، ونوادر نتائج ثمَرات الأخيار .

وكلُّ سطرٍ مِن الياقوت زاد عُلًا فلا تَقيسوه بالمنحوت من حَجَرِ

وكسرتها على عشرة فصول وخاتمه ، وسمَّيتها : « حكمة الإشراق ، إلى كُتَّاب الآفاق » . وعلى الله توكُّلى وبه أستعين ، فى أمور الدُّنيا والدِّين .

(١) يعنى الشيخ حمد الله ابن الشيخ مصطفى الأماسى .

فصــل

فى ذكر مَن وضع الخطَّ وأصّله، ووصله وفصّله

يقال : إنَّ أوّلَ مَن وضع الخطَّ والكُتُب كلَّها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتَبَها فى طينٍ وطبَخَه ، فلمَّا أصَلَّ القومَ الغرقُ أصابَ كلُّ قومٍ كتابَهم .

وقيل : أوّلُ مَن وضَعَه أَخْنوخ ، وهو إدريسُ عليه السلام .

وقيل إن نفيس(١) ، ونصر(٢) ، وتَيْمَا ، ورُومَه ، بنو إسماعيل ، وضَعُوا كتاباً واحداً وجعلوه سطراً واحدا غيرَ متفرِّق ، موصولَ الحروف كلِّها ، ثم فرَّقَه نَبْت(٣) ، وهَمَيْسَع وقِيذار ، وفرّقوا الحروفَ وجعلوا الأشباه .

وأمَّا الخطُّ العربىُّ فأوّلُ من وَضَعه وألَّف حروفَه ستّة أشخاصٍ من طَسْم ، كانوا نُزولاً عند عدنانَ بنِ أُدَد ، وكانت أسماؤهم : أَبْجَد هوَّز حُطِّى كَلَمُنْ سَعْفَص قَرَشَت ، فوضعوا الكتابةَ والخطَّ على أسمائهم ، فلما وَجَدوا فى الألفاظ حروفاً ليست فى أسمائهم ألحقوها بها ، وسمَّوها الرَّوادف ، وهى ثَخَذْ ضَظَغ .

وقيل : أوّل من وضع الخطَّ العربى مُرَامِر بن مُرّة(٤) وقيل، عامر بن جَدَرَة — وقد ذكر كُلاً منهما صاحب القاموس — وقيل أسْلَم بن سِدرة، وهم نَفَر من

---

(١) تسميه التوراة: «نافِيش» . تكوين ٢٥ : ١٥ .

(٢) كذا . وإنما هو «يَطُور» . تكوين ٢٥ : ١٥ .

(٣) هو «نبايُوت» . وهو بكر إسماعيل . تكوين ٢٥ : ١٣ .

(٤) ويقال «ابن مروة» . اللسان (مرر) .

بَوْلان رسموه أحرفاً مقطَّعة ، ثم قاسُوه على هِجاء السُّريانية ، فوضع مُرامِر صُورَه ، وعامرٌ أعْجَمَه ، وأسلَم وَصَلَ وفَصَلَ .

وقال ابن خَلِّكان(١) : والصَّحيح عند أهل العلم أنَّ أوَّلَ مَن خَطَّ هو مُرامِر بن مُرَّة من أهل الأنبار ، وقيل إنّه من بنى مُرّة . ومن الأنبار انتشرت الكتابةُ فى النَّاس . قال الأصمعىّ : ذكروا أنَّ قريشاً سُئِلوا : من أين لكم الكتابة ؟ فقالوا : من الأنبار(٢) .

وقال هشامُ بن محمد بن السَّائب : تعلم بشرُ بن عبد الملك الكتابةَ من أهل الأنبار وخرج إلى مَكَّة وتزوَّج الصَّهباء بنتَ حربِ بن أميَّة . تعلَّمَ(٣) منه حَرب ، ومنه ابنه سفيان ، ومنه ابن أخيه سيِّدنا معاويةُ رضى الله عنه ، ثم انتَشَرَ فى قريش ، وهو الخطُّ الكوفىُّ الذى استُنْبِطَتْ منه الأقلامُ التى هى الآن .

وفيه كلام فى الإعلام(٤) للسُّهيلى ، والمُزهِر للسيوطىّ ، والأوَّليات للعسكرىّ ، وقد ذكرنا كلامَهم فى كتابنا «تاج العَروس لشرح جواهر القاموس» . فمن أراد الزِّيادة على ذلك فليراجعْه .

---

(١) فى الوفيات ١ : ٣٤٦ فى ترجمة على بن هلال ، المعروف بابن البواب .

(٢) الذى فى الوفيات : « فقالوا من الحيرة . وقيل لأهل الحيرة : من أين لكم الكتابة ؟ فقالوا : من الأنبار » .

(٣) كذا . بدون واو قبلها .

(٤) هو « التعريف والإعلام ، فيما أبهم فى القرآن من الأسماء الأعلام » . وقد طبع فى مصر بتصحيح محمود ربيع سنة ١٣٥٦ . انظر منه ص ص ٤٠ – ٤١ .

فصـــل

فى فضل الخطّ وما قيل فيه

جاء فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يَزِيد فى الْخَلْقِ ما يشاء ﴾ : أنَّه الخطُّ الحسَن .

وعن ابن عبّاسٍ رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ أو أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾ قال : الخطّ .

ويروى فى الخبر المأثور : مَن كَتَبَ بسم الله الرحمن الرحيم فحسّنه أحسنَ الله إليه . كذا فى منهاج الإصابة للزّفتاوى .

وفى شِرْعة الإسلام[(١)] : مَنْ كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجوّده غفَرَ الله له. وفى الجامع الصَّغير[(٢)] من رواية سلمة[(٣)] : «الْخطّ الحسَنُ يزيد الحقَّ وضَحا» وفيه أيضاً : « قَيِّدُوا العِلمَ بالكتاب[(٤)] »، قال شارحُه المَنَاوِىّ[(٥)] : العلم يُعقَل ثمّ يُحْفَظ ، والنِّسيان كامنٌ فى القَلب ، فلخَوف ذَهاب العلم قُيّد بالكتابة .

وجاء فى حديثٍ آخر : « حق الوالد على ولَدِه أن يعلمه الكتابة والسِّباحة والرِّماية، وأن لا يَرزُقَهُ إلاّ طيِّبًا[(٦)] » . وفى رواية أخرى : « حقُّ الوالدِ على

---

(١) شرعة الإسلام ، للإمام الواعظ محمد بن أبى بكر المعروف بإمام زاده الحنفى، المتوفى سنة ٥٧٣ .

(٢) الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير، لجلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ .

(٣) كذا بخطه . وفى الجامع الصغير ٤١٣٤ « أم سلمة » . وأشار السيوطى إلى أنه حديث ضعيف . وروى الحديث منسوباً إلى على فى صبح الأعشى ٣ : ٢ .

(٤) الجامع الصغير ٦١٦٧ عن أنس وابن عمرو . وأشار إلى أنه حديث صحيح .

(٥) هو شمس الدين محمد المدعو بعبد الرءوف المناوى الشافعى المتوفى سنة ١٠٣٠ . خلاصة الأثر ٢ : ٤١٢ . وقد طبع شرحه « التيسير » ملخص شرحه الكبير « فيض القدير » فى مجلدين ببولاق سنة ١٢٨٦ .

(٦) فى الجامع الصغير ٣٧٤٢ من حديث أبى رافع . وقد أشار إلى أنه ضعيف .

ولده أن يحسِّن اسمَه ، ويزوِّجُه إذا أدرك ، ويعلِّمه الكتاب[1] » . قال الشَّارح : يعنى القرآن ، ويحتمل إرادة الخط .

وفى الحديث أيضاً ، قال صلى الله عليه وسلم لزيد بن ثابت ـ وهو أحد كُتّابه كما سيأتى ـ : « إذا كتبتَ بسم الله الرَّحمن الرحيم فبيّن السِّينَ فيه »[2] .

وذكر صاحبُ الشِّرعة أيضاً أنَّه صلى الله عليه وسلم قال لمعاويةَ رضى الله عنه وهو يكتب بين يديه . « أَلِقِ الدَّوَاةَ ، وحرِّف القلم ، وانصب الباء ، وفرِّق السين ، ولا تُعوِّرِ الميم ، وحَسِّن الله ، ومُدَّ الرَّحمٰن ، وجوِّد الرحيم .

وقالوا : لمَّا كانت الكتابةُ شريفةً كان حُسن الخطِّ فيها فضيلة .

وقال المأمون: لو فاخَرَتنا الملوكُ الأعاجم بأمثالها لفَخَرْناها بما لنا من أنواع. الخطّ يُقرأ بكلّ مكان ، ويُترجَم بكل لسان ، ويُوجَد مع كلِّ زمان .

وقال النَّظَّام : الخَطُّ أصلٌ فى الرُّوح يَظهَر بآلة جَسدَانيَّة[3] .

وقال بعضُ الحكماء[4] : الخَطُّ سِمْط الحكمة ، بها[5] يفصَّل شُذورُها وينتظم منثورُها .

ويقال : قريشٌ أهل الله ، لأنهم كَتَبة حسنة[6] .

وكان يقال: حسْن الخَطّ أحدُ اللسانين ، كما قيل: قِلّة العيال أَحَدُ اليسارين.

---

(١) فى الجامع ٣٧٤٣ عن أبى هريرة . وذكر أنه ضعيف .
(٢) حديث ضعيف ، كما فى الجامع الصغير ٨٣٥ .
(٣) صبح الأعشى : « الخط أصل الروح ، له جسدانية فى سائر الأعمال » .
(٤) فى صبح الأعشى ٣ : ٢ أنه « جعفر بن يحيى » .
(٥) كذا فى الأصل . وفى صبح الأعشى: « وبه تفصل شذورها ، وينتظم منثورها» .
(٦) كذا . وفى أدب الكتاب للصولى ٢٨ : « وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قريش أهل الله ، وهم الكتبة الحسبة » : جمع كاتب وحاسب .

وقال بعض العلماء[١]: الخَطّ كالرُّوح فى الجسد، فإذا كان الإنسانُ جميلاً وَسيماً حسَنَ الهيئة كان فى العيون أعظم، وفى النُّفوس أفخَم، وبِضدّ ذلك تسأمه النُّفوس. فكذلك الخَطّ إذا كان حسنَ الوصف، مليح الرَّصف، مُفَتَّح العيون، أملسَ المتون، كثير الائتلاف، قليل الاختلاف، هشَّت إليه النُّفوس واشتهته الأرواح، حتى إنَّ الإنسان لَيقرؤه ـ وإن كان فيه كلامٌ دنىءٌ، ومعنى ردىءٌ ـ مستزيداً منه ولو كَثُر، من غير سَأَم يلحقُه ولا ضَجَر. وإنْ كان الخطُّ قبيحاً مجَّته الأفهام، ولفَظَتْه العيون والأفكار، وسئمه قارئه وإن كان فيه من الحكمة عجائبُها، ومن الألفاظ غرائبُها.

وقيل: إنَّ وزْن الخطّ مثْل وزْن القِراءة، فأجْوَدُ الخط أبينُه، كما أنَّ أجود القراءة أبْيَنُها[٢].

فحِرفة أُصول الخطّ وهندستِه، وكيفيَّتِه وحقيقتِه، أشرف مِنْ عَمَله تقليداً من غير تحقيق.

قيل: وصَفَ أحمدُ بن إسماعيل خَطًّا فقال: لو كان نباتاً لكان زَهْراً، ولو كان مَعدِناً لكان تِبْرًا، أو مَذاقاً لكان حُلواً، أو شراباً لكان صَفْواً[٣].

وقال عمرو بن مَسْعَدة: الخطوط رياضُ العلوم، وهى صُورةٌ رُوحُها البيان، وبَدَنُها السُّرعة، وقَدَمُها التسوية، وجوارحها معرفةُ الفصول، وتَصنيفها كتصنيف النَّغَم واللُّحون.

---

(١) انظر صبح الأعشى ٣ : ٢٠ — ٢١ .
(٢) صبح الأعشى ٣ : ٢١ .
(٣) أدب الكتاب للصولى ٤٥ .

وقيل: إن أحمدَ الخطوط رسماً ما اعتدلت أقسامه، وانتصبت ألِفه ولامُه، واستقامت سطوره، وضَاهى صَعوده وحَدُوره[1]، وتفتَّحت عيونه، ولم تشتبه راؤه ونونه، وتُدُرِّت أصولُه[2]، واندمجت وصولُه، وتناسب دقيقُه وجليلُه. ولا يُجمع فى سطرٍ بين مَدَّتين ولا ياءين مردودتَين، ويراعى مواضع الفُصول والوصول، ولا تُقطَع كلمة بحرفٍ يُفرَد فى غير سَطره.

---

(١) كذا. وفى أدب الكتاب ٥٠: «وضاهى صعوده حدوره».
(٢) كذا. وفى أدب الكتاب: «فصوله».

فصل

فى القلم، وما لهم فيه من الحِكم

قيل: هو أوّلُ ما خلَقه الله تعالى، وبذكره بدأ فى القرآن، فقال تعالى: ﴿الذى علّمَ بالقلمِ. علّمَ الإنسانَ مالم يعلَم﴾. وقال تعالى: ﴿نٓ. والقلمِ وما يَسطُرون﴾ فأبانَ سبحانه وتعالى أنّ صناعةَ القلمِ أفضَلُ الصّنايع[1]، وأجلُّ البضايع.

قيل: لا يسمّى قلماً حتّى يُبرى، وإلاّ فهو قَصَبة. ولا يقال للرُّمح رُمحٌ إلّا وعليه سِنان، وإلاّ فهو قناة. ولا يقال مائدةٌ إلّا وعليها طعام، وإلّا فهى خِوان. ولا يقال كأس إلّا إذا كان فيه شراب، وإلّا فهو زجاجة.

وقال بعضُ ملوك اليونان[2]: أمر الدُّنيا والدِّين واقعٌ تحت شيئين: سيف وقلم، والسَّيف تحتَ القلَم.

قال أبو الفتح البُسْتيّ:

إذا أقْسَمَ الأبطالُ يوماً بسيفهم ... وعَدُّوه مما يَكسِبُ المجدَ والكرَمْ
كَفَى قلَمَ الكتّاب عِزًّا ورِفعةً ... مَدَى الدّهرِ أنّ اللهَ أقْسَمَ بالقلَم[3]

وقال الإسكندر: ما أقرّته الأقلام، لم تَطمَع فى دروسه الأيّام.

وقيل: القلَم لسان البَصَر، ومطيّة الفِكر.

---

(١) الكلمة وردت قديماً فى التنبيه والإشراف للمسعودى ٥ وأخبار العلماء للقفطى ١٩٥ والدرر الكامنة ٣: ٤٢٠.

(٢) أدب الكتاب للصولى ٤٥. وفى صبح الأعشى ٢: ٤٤٧: «بعض حكماء اليونان».

(٣) صبح الأعشى ٢: ٤٤٥.

وقال آخر : بالقلمُ تُزَفُّ بناتُ العقول ، إلى خُدور الكتب .

وقال العتّابى : ببكاء الأقلام تضحك الصُّحف .

وقال ابن المعتزّ : القلم يخدُم الإرادة ، ولا يَمَلُّ الاستزادة ، يسكت قائماً وينطقُ سائرا ، فى أرضٍ بياضُها مظلم ، وسوادُها مضىء .

وقال أرسطاليس[1] : الكاتب العِلّة الفاعليّة ، والقلم العلّة الآليَّة ، والمداد العِلّة الهَيُولانيَّة ، والخط العِلّة الصُّورية ، والبلاغة العِلّة الغائية .

وقال إبراهيم بن العبّاس الصولىُّ لكاتبٍ[2] : أطِلْ خُرطومَ قلمِك . فقال[3] : أَلَهُ خرطوم ؟ قال : نعم . وأنشد :

كأنَّ أنوفَ الطَّير فى عَرَصاتها   خَراطيم أقلامٍ تَخُطُّ وتُعجِمُ

وأمّا قَدْره وإمساكه وحالاته فقال الأستاذ ابن مُقْلة : [أحسن قُدودِ القلمَ أن لا يُتجاوَزَ به الشِّبر بأكثر من جِلْفته[4] . قال الشاعر :

له تَرْجُمانٌ أخرسُ اللّفظ صامتٌ   على قابِ شبرٍ بل يزيدُ على الشِّبر[5]

وقال الشَّيخ محمّد بن العفيف[6] رحمه الله تعالى : صنعة مَسْكه بالإبهام والوُسطى ، وتكون السّبابةُ تمنعه من الميل والاضطراب ، وتكون مبسوطةً غيرَ

---

(١) أدب الكتاب للصولى ٤٥ وصبح الأعشى ٢ : ٤٤٨ .

(٢) فى صبح الأعشى ٢ : ٤٥٩ : « الكاتب » .

(٣) فى صبح الأعشى : « فقيل له » .

(٤) فى تاريخ بغداد ٥ : ٢١٧ أن الجلفة فتحة رأس القلم . وكلام ابن مقلة تجده فى صبح الأعشى ٢ : ٤٥٤ .

(٥) قبله فى صبح الأعشى :

فتى لو حوى الدنيا لأصبح عارياً   من المال معتاضاً ثياباً من الشكر

(٦) الكلام باختصار فى صبح الأعشى ٣ : ٣٧ .

مقبوضة ، لأنَّ ببَسطِ الأصابع يتمكَّن الكاتب من إدارة القلم . ولا يتّكئ على القلم الاتِّكاء الشديدَ المُضعِفَ له ، ولا يمسك الإمساكَ الضعيفَ فيضعفَ اقتدارُه فى الخطّ ، لكن يجعل الكاتبُ اعتمادَه فى ذلك معتدلاً .

وقال إسحاق بن حَمَّاد : القلم للكاتب ، كالسَّيف للشُّجاع .

وقال الضَّحاك بن عَجْلان : يا مَنْ تَعاطَى الكِتاب ، اجمعْ قلبَك عند ضربك القلم ، فإنَّما هو عقلُك تُظهره .

وأما حالُه فى الصَّلابة والرَّخاوة فإنَّه تابعٌ للصَّحيفة ، لأنَّها إذا كانت ليّنة احتاجت أن يكون فى الأنبوبِ لين ، وفى لحمه فَضْل ، وفى قشره صَلابة . وإن كانت صُلبةً احتاجت أن يكون فى الأُنبوب يُبْسٌ وصلابة . قال : وعِلَّة ذلك أنَّ حاجته من المداد فى الصَّحيفة الرِّخوة أكثرُ من حاجته إليه فى الصحيفة الصُّلبة فرطوبته ولحمه يحفظان عليه غزارةَ الاستمداد ، ويكون فى الصَّحيفة الصُّلبة ما وصل إليها من القلم الصُّلب الخالى من المداد كافيا[1] .

وقال شيخُ هذه الصناعة عِمادُ الدِّين الشِّيرازى[2] : أحمد الأقلام ماتوسَّطَت حالاته فى الطول والقِصَر ، والغِلَظ والرِّقَّة ، فإن الرَّقيق الضَّئيل تجتمع عليه الأنامل فيبقى مائلاً إلى ما بين الثَّلاث ، والغليظ المُفْرط لا تحمله الأنامل .

وقال ابنُ الزَّيَّات[3] : خير الأقلام ما استحكم نُضجه وخَفَّ بَزْره ، وبلغ أشُدَّه واستوى .

---

(١) صبح الأعشى ٢ : ٤٥٥ .

(٢) انظر صبح الأعشى ٢ : ٤٥٤ .

(٣) هو بعبارة أطول فى صبح الأعشى ٢ : ٤٥٣ .

فصـــل

فى الدواة وصفتها وآلاتها

قال الحسن بن وهب[1] : سبيل الدّواة أن تكون متوسّطة فى قدرها ، لا باللّطيفة فتقصر أقلامُها وتقبح ، ولا بالكثيفة فيثقلَ محملها .

قال الفضل : ينبغى أن يُتّخذ من أجود العيدان وأرفعها ثمناً كالآبنوس والسّاسَم والصَّنْدل[2] .

وأمّا (الجُونَة) التى فيها حُقُّ المداد فينبغى أن يكون شكلاً مدوَّر الرأس ، تجتمع على زاويتين قائمتين ، ولا يكون مربَّعا على حال ، لأنه إذا كان مربَّعا يتكاثف المداد ، فإذا كان مستديراً كان أنْـقَى للمداد[3] وأسعَدَ فى الاستمداد . ويجتهد فى تحسينها وتجويدها وتصوينها .

وأنشد المدائنى[4] :

جَوِّدْ دواتَك واجتهد فى صَونها إنَّ الدُّوِىَّ خزائن الآدابِ

ومن آلاتها (اللّيقة) ويكون من الحرير والقُطن والصُّوف . وسَمَّت العربُ كلَّ ذلك كُرسُفا .

وقال بعضهم[5] : مَن لم يحسن الاستمداد وبَرْىَ القلَمَ والشَّقَّ والقَطَّ

(١) انظر صبح الأعشى ٢ : ٤٤٢ .
(٢) صبح الأعشى ٢ : ٤٤١ .
(٣) فى صبح الأعشى ٢ : ٤٦٨ : « أبقى للمداد » .
(٤) فى صبح الأعشى ٢:٤٤٣: « ولله در المدائنى حيث يقول ».
(٥) ذكر فى صبح الأعشى ٢ : ٤٥٦ أنه المقر العلائى ابن فضل الله .

وإمساكَ الطُّومار ، وقسمةَ حركة اليد حينَ الكتابة فليس هو من الكتابة في شيء .

وقال ابنُ العفيف : مَن لم يَدْرِ وجه القلم وصَدْرَه وعَرضه فليس هو من الكتابةِ في شيء(١) .

وقال آخر(٢) : على حَسَب تمكُّن الكاتب من إدارة قلمه وسُرعة يَدِهِ في الدَّوَران يكون صفاءُ جوهر حُروفه(٣) .

وإذا مَدَّ الكاتبُ فليكن القلمُ من أصابعه على صُورة إمساكه له في حين الكتابة ولا يُدِيره للاستمداد ، لأنَّ أحسن المذاهب فيه أن يكون من يَدِ الكاتب على وَضْعه في الكتاب . ويحرِّك رأس القلم من باطن يدهِ إلى خارجها ، فإنه يمكنه معه مقام القلم على نَصبته في الأصابع . ومَتَى عدل عن هذا لِحَقَتْه المشقَّةُ في نقل نَصبة الأصابع في كلِّ مَدَّة . وهذا من أكبر ما يحتاج إليه الكاتب ، لأنَّ هذا هو الذى عليه مَدارُ جودة الخطّ ، وقلَّما يُدريك عِلْمَ هذا إلاَّ رُؤْيتُه من العالِم الحاذق(٤) بهندسة الخطّ ، مع ما يكون معه من الأناة وحُسْن التأدية .

قال بعض الكُتَّاب : ويتعيَّن على الكاتب أن يتفقَّد اللِّيقة ويطيِّبَها بأجودِ ما يكون ، فإنها تتغيَّر على طُول المَدَى . وأنشد :

متظرِّف شَهِدت عليه دواتُه ... إنَّ الفتى لا كان غَيْرَ ظريف

(١) صبح الأعشى ٢ : ٤٦٤ .
(٢) هو ابن العفيف كما في صبح الأعشى ٣ : ٣٨ .
(٣) الكلام التالى نسب في صبح الأعشى ٣ : ٣٨ إلى الشيخ عماد الدين العفيف .
(٤) في صبح الأعشى : « وقلما يدرك علم هذا الفصل إلا العالم الحاذق » .

وكان بعض الكُتّاب يطيِّب دواته ببعض ما عِندَه من طِيب نفسِه ، فسئل عن ذلك فقال : لأنَّا نكتُب به اسمَ الله تعالى واسمَ نَبِيّه صلى الله عليه وسلم .

وقال آخَر : يتعيَّن على الكاتب تجديدُ الليقة فى كلِّ شهر ، وأنْ يُطْبِقَ المحبرةَ حين فَراغه لئلاَّ يقع فيها ما يُفسِد الخط .

وقال آخر[1] : ينبغى للكاتب أن لا يكثِرَ الاستمداد، بل يمدّ مدًّا معتدلا ، ولا يحرِّك اللِّيقة من مكانها ، ولا يَنْثُر بالقلم[2] ولا يردَّ القلم إلى الليقة حتَّى يستوعبَ ما فيه من المداد ، ولا يُدخل منه الدَّواة كثيراً بل إلى حدّ شِقَّيه[3] لا يجاوز ذلك إلى آخر الفتحة .

ومن آلاتها (السِّكّين) وهى المُدْية . قالوا : لا يُستعمَل لغير بَرْى القلم . ويستحبُّ المبالغة فى سَقْيِها وحَدّها ، ليتمكَّنَ من البَرْى ، فيصفُو جَوهر القلَم ولا يتشظّى قَطَّتُه . وهى مِسَن الأقلام تُشحَذُ بها إذا كَلَّت ، وتُطلِقُها إذا وقفَت وتَلُمُّها إذا تشعَّثت . وأحسنُها ما عَرُض صَدرُه ، وأُرهِفَ حَدّه ، ولم يُفصَل عن القَبضة نصابُه[4] ، واستوَى من غير اعوجاج . وكانوا يستحسنون العُقَابيَّة[5] ، وهى التى صَدرُها أعرضُ من بطنها .

ومن آلاتها (المِلْوَاق) لأنَّه به تُلاقُ الدَّواة . وأحسَنُ ما يكون من الآبنوس ، لئلا يغيره لونُ المداد ، ويكون مستديراً مخروطًا ، عريضَ الرَّأس نحيفَه .

(١) هو المقر العلائى ، ابن فضل الله ، كما فى صبح الأعشى ٣ : ٣٩ .
(٢) صبح الأعشى : « ولا يعثر بالقلم » .
(٣) صبح الأعشى : « شقة » .
(٤) أدب الكتاب ١١٥ .
(٥) انظر صبح الأعشى ٢ : ٤٦٧ .

فصـــل

فى المــــداد

والحبر سمِّىَ مِداداً لأنَّه يَمُدُّ القلم ، أى يعينه . وإنَّما استُعمِلَ فيه السَّوادُ دونَ غيره لمضادَّته لونَ الصحيفة . وليس شىء من الألوان ضدٌّ[1] لصاحبه إلاَّ السَّواد والبياض .

وقال آخر[2] : صورة المِداد فى الأبصار سَوداء ، وفى البصائر بيضاء .

والمداد ركن من أركان الكتابة وعليه معوّل الكتاب[3] . وأنشدوا فى ذلك :

رُبْع الكتابةِ فى سَواد مدادها ... والرُّبع حُسْنُ صناعة الكُتَّاب
والرُّبع من قلمٍ سَوِىٍّ بَرْيُه ... وعلى الكواغِدِ رابع الأسباب[4]

ونظر جعفر بن محمدٍ إلى فتًى على ثيابه أثرُ المِداد وهو يَسْتُره منه ، فقال له : يا هذا ، إنَّ المداد على الثِّياب من المرُوّة[5] .

وقال ابن العفيف: شيئان لا يتمَّا المِداد إلاَّ بهما ، وهما العَسَل والصَّبِر . أمَّا

---

(١) كذا فى الأصل ، على الوصفية . وفى صبح الأعشى ٢ : ٤٧٣ « يضاد صاحبه كمضادة السواد للبياض .

(٢) فى صبح الأعشى ٢ : ٤٧٢ : « بعض الحكماء » .

(٣) فى صبح الأعشى ٢ : ٤٧٣ : « وعليه مدار الربع منها » .

(٤) صبح الأعشى ٢ : ٤٧٣ : « تسوى بريه » . و كواغد ، وردت بالذال المعجمة. والكاغد والكاغذ لغتان فى الفارسية ، وهو الورق الذى يكتب فيه . استينجاس ١٠٠٦ وفى صبح الأعشى: « كواغد » بالمهملة .

(٥) صبح الأعشى ٢ : ٤٧٢ .

العَسل فإنه يحفظه على مرور الأيّام ولا يكاد يتغير عن حالته ، وأمّا الصَّبِر فإنّه يمنع الذُّبابَ من النُّزول عليه .

وقال بعض الأدباء : عطِّروا دفاتر الآداب بسَوَاد الحِبر [١] .

وقال آخر : ببريق الحِبر تهتـــدي العقول لخبايا الحِكَم ، لأنَّه أبقَى على الدّهر ، وأنْمَى للذِّكر ، وأزيَدُ للأجر .

---

(١) صبح الأعشى ٢ : ٤٧٢ .

(٢) هو فارس بن حاتم ، كما في صبح الأعشى ٢ : ٤٧٣ .

فصـــل

في برى الأقلام

حكى أن الضَّحَّاك كان إذا أراد أن يبرىَ قلماً توارَى بحيثُ لا يراه أحدٌ ويقول : الخطُّ كلُّه للقلم(١) .

وكان الأنصاريُّ إذا أراد أن يبرِىَ فعَلَ ذلك ، وإذا أراد أن يقومَ من الديوان قطع رءوسَ الأقلام(٢) .

وقالوا : تعليم البُراية أكبرُ من تعليم الخط(٣) .

وقال ابن العفيف : فساد البُراية من بلادة السكِّين.

وقال بعضهم(٤) : جودة البراية نِصف الخط .

وقيل : كان بعضهم(٥) إذا أخذَ الأنبوبةَ ليبريَها تفرَّس فيها قبل ذلك ، وإذا أراد أن يقُطَّ توقَّف ، ثم تحرَّى فتوقَّف ، ثم يقُطُّ على تثبُّت .

ورُوِى بخط ابن مقلة : مِلاك الخطّ حُسن البُراية. ومَنْ أحسَنَها سهُلَ عليه الخطّ ، ومن وعَى قلبُه كثرةَ أجناسِ قَطِّ الأقلام كان مقتدراً على الخطّ ، ولا يتعلَّم ذلك إلّا عاقل .

---

(١) فى صبح الأعشى ٢ : ٤٥٦ « القلم » .. والضحاك هذا هو الضحاك بن عجلان .
(٢) زاد فى صبح الأعشى ٢ : ٤٥٦ : « حتى لا يراها أحد » .
(٣) صبح الأعشى ٢ : ٤٥٦ .
(٤) هو المقر العلائى ابن فضل الله . صبح الأعشى ٢ : ٤٥٦ .
(٥) انظر صبح الأعشى ٢ : ٤٦٢ .

وقال ابنُ هلال(١) : كلُّ قلمٍ تقصر جِلفته فإن الخط يجىء به أوقَصَ . أى قصير العنق .

وقال ابن البربرىّ : إيَّاكَ والُخرق فى البِرَايةِ وتركَ التَّجويد لها ، ومن فسدَتْ آلتُه فسدَ عملُه .

وقال ابن العفيف(٢) إذا طالت البُراية جاء الخطُّ بها أخفَّ وأضعف وأحلى ، وإذا قصُرت جاء الخطُّ أصفَى وأثقَلَ وأقوى .

وأمّا صفة شَقِّه فقال ابن هلال : يكون فى وسطه ، وليكن غِلَظُ السِّنَّين جميعاً سواء. قال : ويجوز أن يكون الأيمنُ أغلظَ من الأيسر ولا يكون العكسُ على حال(٣) .

وأمّا قَطُّه فهو على صفات : منها المحرّف ، والمستوِى ، والقائم ، والمصوَّب . وأجودها المحرَّفة المعتدلة التَّحريف ، وأفسدها المستوى ، لأن المستوِىَ أقلُّ من المحرَّف تصرُّفاً . قاله ابن العفيف .

قال عبد الحميد الكاتب لرُغْبان ، وكان يكتبُ بقلمٍ قصيرِ البُراية : أتريد أن يجودَ خَطُّك ؟ قال : نعم . قال : فأطل جِلفةَ قلمِك ، وأسمِنْها ، وحرِّف القَطَّة وأيمِنْها . قال رُغبان : ففعلْتُ ذلك فجاد خطِّى(٤) .

وقال ابنُ مقْلة لأخيه : إذا قطَطت القلمَ فلا تقُطَّه إلّا على مِقَطٍّ أملسَ صُلبٍ ،

---

(١) هو أبو الحسن على بن هلال ، المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤٢٣ . وانظر صبح الأعشى ٢ : ٤٥٩ .

(٢) صبح الأعشى ٢ : ٤٥٩ .

(٣) صبح الأعشى ٢ : ٤٦١ .

(٤) صبح الأعشى ٢ : ٤٥٩ .

غير مثلَّم ولا خَشِن، لئلاّ يتشظَّى القلم ، واستحدّ السِّكِّين حدًّا، ولتكن ماضيةً جدًّا؛ فإنّها إذا كانت كالّةً جاء الخطُّ رديئا مضطربا. وتُضْجع السِّكين قليلًا إذا عزَمْتَ على القطّ ولا تنصبها نصبا[1] .

وقال ابن العفيف : يتعيَّن أن يكونَ من عُودٍ صلب كالآبنوس والعاج ، ويكون مسطَّح الوجه الذى يقطع عليه ، ولا يكون مستديرا . ٥

(١) صبح الأعشى ٢ : ٤٦٣ مع اختصار .

فصـــل

في النَّقْـــط

هو الذى يُستَدلُّ به على حروف المعجم ، ويُفصَل به بينها، فتعرف به الباء من التاء .

ويقال : أوّل من نَقَط المصاحف ووضَعَ العربيَّةَ أبو الأسود الدِّيلى ، من تلقين أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه .

قال ابن مُقلة : وللنَّقط صورتان : أحدهما شكل مربع ، والآخر شكل مستدير . وإذا كانت نقطتان على حرفٍ فإن شئت جعلتَ واحدةً فوق أخرى، أوْ جعلتَهما فى سطرٍ معاً . وإذا كان بجوار ذلك الحرفِ حرفٌ ينقط لم يجز أن تكون النُّقَطُ إذا انشفعَتْ إلّا واحدةً فوق أخرى . والعلّة فى ذلك أنَّ النُّقط إذا كُنَّ فى سطر وخَرجْنَ عن حروفهن وقَع اللَّبْس والإشكال ، فإذا جعل بعضُها على بعض كان على كلِّ حرفٍ قسطُه من النُّقط ، فزال الإشكال .

فصـــل

فى الشـكل

قال بعضُ أهل اللغة : شـكل الحروف مأخوذ من شَـكْل الدّابّة ، لأنّ الحروفَ تُضَبط به وتُقيَّد ، فلا يلتبس إعرابُها ، كما تُضبط الدابة بالشِّكَال .

وقال بعضهم : حَلُّوا غرائب الـكلم بالتقييد ، وحَصِّـنوها عن شُبَه التَّصحيف والتحريف .

وهو ثلاث حركات : رفع ونصب وخفض . وأما الجزْم فصورته بخلاف صُوَر الحركات دائرة كلُّها ، كأنَّهم يريدون بها الميم من اجزم ،وحذفوا عراقة الميم استخفافاً .

وقال ابن العفيف : إذا كان الحرف مفتوحا منوَّنا فعلامته خَطَّتان من فوقه وتـكون بينهما كقَدْرِ واحدةٍ منهما ، وإذا كان مضموماً منوَّنا فعلامته سينٌ بغير عراقة ، كأنَّك تريد أوَّل «شديد»[1]. وإذا كان مجزوماً فعلامته خاء بلا عراقة ، كأنَّك تريد أوَّل «خفيف». هذا مذهب الأستاذ أبى الحسن[2]، وعليه جملةُ أهلِ المشرق . وإذا كان مهموزا فعلامته أن تُثبِتَ فوقه عينا بلا عراقة وذلك لقُرب مخرج الهمزة من العين .

قال ، ولا بدَّ من تناسُب الشَّـكل والنَّقط وتَناسُب البياضاتِ فى ذلك[3] .

---

(١) صبح الأعشى ٣: ١٦٣ .

(٢) أبو الحسن على بن هلال ، المعروف بابن البواب . انظر ص ٧٦ .

(٣) انظر صبح الأعشى ٣ : ١٦٧ .

فصــــل

فى ذكر حروف المعجم وسرّها فى تعيين العدد

قال كُرَاع : إنّما سمّيت الحروفُ المقطّعات حروفَ المعجم لأنّها كانت مُبهَمة حتّى بُيِّنت بالنّقط .

قال بعض المنجِّمين : عدد حروف العربية ثمانية وعشرون حرفاً ، على عدد منازل القمر . وغايةُ ما تبلغ الـكلمة منها مع الحروف الزوائد التى تلحقها سبعة أحرف ، على عدد الدّرارىّ السّبعة .

قال : وصُوَر حروف الزيادة اثنى عشر[1] على عدد البروج الاثنى عشر . وحروف الزيادة عشرة أحرف ، يجمعها « سألتمونيها » . وقد تقدم أنَّ جملةَ الحروف ثمانية وعشرون حرفاً ، فالذى تندغم لام التعريف فيها من هذه الحروف أربعةَ عشر حرفاً كالتى تَخْفَى تحت الأرض من منازل القمر ، وباقيها يظهر معه التعريف ، وهى أربعةَ عشر حرفاً كالمنازل الظّاهرة . وقد تقدّمَ الـكلامُ على أنَّ حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفاً مفردة ، ويتركّب منها اللام ألف ، فذلك تسعةٌ وعشرون حرفا . ولها ثمانى عشر[2] صورة ، لأنَّ ما اتّفقت صورته فليس فى ذكر شِبهه فائدة ، لأنَّ ذِكْر أحدِ الصُّور[1] ينوب عن جميعها ، كالباء والتاء والثاء ، والجيم والحاء والخاء ، وتتناهى هذه الصُّور الثّمانيةَ عشر[1] مفردةً ومركّبة ، كما هو مبين فى محلّه .

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) كذا فى الأصل . والوجه « ثمانى عشرة » .

فصـــــل

فى ذكر الكتبة الكرام

مِن لدن زمن النبى صلى الله عليه وسلم إلى زماننا هذا ، على نَسَق الترتيب وحُسن التّهذيب .

فمن كتب له صلى الله عليه وسلم وتشرّف بخدمته بالكتابة الخلفاء الأربعة، وعامر بن فُهَيرة ، وعبد الله بن الأرقَم ، وأبىّ بن كعب ، وثابت بن قيس بن شَمّاس ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وحَنظلة بن الرَّبيع الأُسَيِّدى ، وزَيد بن ثابت،ومُعاوية بن أبى سفيان ، وشُرَحبيل بن حَسَنة،وغير هؤلاء كما هو مسطور فى المواهب وكتب السيرة ، رضى الله عنهم أجمعين .

وكان ألزمُهم بذلك وأخصُّهم به زيدَ بنَ ثابت ، ومعاويةَ بنَ أبى سفيان.

ثم انتهت جَودةُ الخَطِّ وضَرْبُ جليله إلى الضَّحاك[1] ، وإسحاق بن حماد .

فأخذ إبراهيمُ السِّجْزىُّ عن إسحاقَ ضَربَ الجليل ، فاخترعَ منه أخفّ حركاتٍ وأحسَنَ مزاوَجات ، فسمّاه قلم الثُّلثين . ثمّ اخترع من هذا القلم ما هو أخفُّ منه وأجرى فسمّاه قلَمَ الثُّلُث .

قال الشيخ عمادُ الدين محمدُ بن العفيف : بهذا القلمِ وقلم النَّسخ يُعرفُ اقتدار الكاتب على صِناعته .

ثم أخذ عن إسحاقَ يوسفُ واخترع قلماً هزيلاً تامًّا مُفرِطَ التّمام مفتّحاً، فأعجبَ ذا الرّياستين الفضلَ بنَ سهل ، فأَمَرَ بتحرير الكتب السلطانيّة به ، وسمّى القلم الرّياسىّ[2] .

---

(١) هو الضحاك بن عجلان ، كان فى أول خلافة بنى العباس ، ابن النديم ١٠ وصبح الأعشى ٣ : ١٢ . وكان من أهل الشام.

(٢) صبح الأعشى : « قال بعض المتأخرين : وأظنه قلم التوقيعات » .

وكان وجهُ الفَّعجة مقدَّما فى قلم الجليل، وأبو زرجان[١] مقدَّما فى قلم النِّصف. وكان أحمد بن حَفْصٍ[٢] أحلَى الكُتَّاب خَطًّا فى قلم الثُّلث.

قال الوزير[٣]: معنى قول الكُتَّاب قلم النِّصف والثُّلُث والثُّلثين، إنَّما هو راجعٌ إلى الأصل. وذلك أن للخطِّ جنسين من الأربعة عشر[٤] طريقةً التى هى الأصول، هى له كالحاشيتين أحدهما قلم الطُّومار، وهو قلم مبسوط كلُّه، ليس فيه شىء مستدير، وكثيراً ما كُتِبَ به المصاحفُ المدنيَّة القُدُم، وقلم آخر يسمَّى غبارَ الحَلْبة، وهو قلمٌ مستدير كله ليس فيه شىء مستقيم. فالأقلامُ كلها تؤُخَذ من المستقيمة والمستديرة نِسَبًا مختلفة. فما كان فيه من الخطوط المستقيمة ما يُوازى ما فيه من الخطوط المستديرة سُمِّى قلم النِّصف. فإن كان الذى فيه من الخطوط المستقيمة الثُّلثَ سمِّى قلم الثُّلث. وإن كان فيه من الخطوط المستقيمة الثُّلثان سمِّى قلم الثلثين. فعلى هذا تتركَّب هذه الأقلام.

وقد برع فيه حَيُّون بن عمرو أخو الأحول، وكان أخَطَّ من أخيه.

ثم انتهت جودةُ الخط وحُسنه وتحريرُه فى رأس الثلاثمائة إلى الأستاذ فى هذا الفنّ الوزير أبى على محمد بن الحسن بن مُقْلَةَ الكاتب، وفاته فى سنة ٣٢٨، ثم إلى تلميذَيه محمد بن أسد الفائقى ومحمد السِّمسانى، وعنهما أخذ الأستاذ الكبير أبو الحسن علىّ بن هلالٍ البغدادىّ المعروف بابن البواب، وعنه أخذ محمد بن منصور

---

(١) صبح الأعشى: «وكان محمد بن معدان، يعنى المعروف بأبى ذرجان».

(٢) صبح الأعشى: «أحمد بن محمد بن حفص المعروف بزاقف».

(٣) الوزير أبو على محمد بن مقلة. وزر المقتدر، ثم للقاهر بالله، ثم للراضى بالله، وقد حدثت بينهما جفوة عاقبه فيها بقطع يده اليسرى، ثم أمر «يحكم التركى» بقطع لسانه، فقطع أيضا. وتوفى سنة ٣٢٨. وكانت ولادته سنة ٢٧٢.

(٤) كذا فى الأصل، وفى صبح الأعشى ٣ : ٤٨ «أن للخط الكوفى أصلين من أربع عشرة طريقة».

ابن عبد الملك ، وعنه الشَّيخة الكاتبة المحدِّثة زينب — ويقال أيضاً فاطمة — وهى ابنة الشيخ أبى الفرج ، وتعرف بشُهدة بنت الأَبَرِىّ[1] ، وقد ترجمها الحافظ الذهبىُّ فى تاريخه .

وممن جوّد عليها الشيخ أبو الدُّرّ أمين الدين ياقوت بن عبد الله الموصلىّ الكاتب ويعرف أيضاً بالنُّورى ، وبالمَلِكى[2] ، وبالشَّرفى ، انتشر خطُّه فى الآفاق ، ولم يكن فى آخر زمانه مَن يقاربُه فى حسن الخط ولا من يُؤَدِّى طريقة ابن البواب فى النَّسخ مثله ، مع فضلٍ غزير . وكان مُغْرًى بنقل صِحاح الجوهرى فكتب منها نسخاً كثيرة ، كلٌّ واحدةٍ فى مجلدٍ تباع كلُّ نسخة بمائة دينار . وقد رأيت نسخةً منها بمصر . ووفاته سنة ٦١٨ بالموصل .

وأمَّا ياقوتُ الرُّومىُّ ويعرف أيضاً بالحموىّ فإنَّ وفاته سنة ٦٢٦ بحلب عن اثنين[3] وخمسين سنة .

وممن كتب على ياقوتٍ المذكور ، أبو الحسن علىّ بن زنكى المعروف بـ « الولىّ العَجَمى » . ووجدت فى تاريخ الحافظ السَّخاوىّ أنَّ الولىّ العجمىّ أخذ عن شُهدة الكاتبة من غيرِ واسطةِ ياقوت .

ثم انتهت جودةُ الخط إلى الشيخ « عَفِيف الدِّين محمد الحلبىّ » ، ويعرف أيضاً بالشيرازىّ . وعنه أخذ ولده « عماد الدين محمد » ، وهو إمام النُّحاة والكتَّاب فى زمانه .

وممن كتب عليه الإمام العلاَّمة شمس الدين « محمد بن على بن أبى رَقَبة[4] » .

---

(١) كذا ضبط فى الأصل . وفى ترجمة « شهدة » من وفيات الأعيان بكسر الهمزة وفتح الباء .

(٢) نسبة إلى السلطان « مَلِكشاه أبى الفتح بن سلجوق » ، كما فى وفيات الأعيان .

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) فى صبح الأعشى ٣ : ١٤ « شمس الدين بن أبى رقيبة محتسب الفسطاط ، وهو ممن عاصرناه » .

وعنه الإمام العلامة « أبو على محمد بن أحمد بن الزِّفتاوى » المكتِّب(١) ، ولد سنة ٧٥٠ وسمع الحديثَ على خليل بن طرنطاى(٢) ، وصنَّف فى علم الخطِّ « منهاج الإصابة » وانتفع به أهلُ مصر . وقد كتب عليه الحافظ ابنُ حجر ، وكفى به شرفاً . مات سنة ٨٠٦ ، وكان رفيقه فى الكتابة على شيوخه الإمام شهاب الدين غازى .

وعنه تلميذُه الإمام نور الدين الوسيمى ، وعليه كتب الإمام زين الدين عبد الرحمن بن يوسف القاهرى ، المعروف « بابن الصَّايغ » شيخ هذا الفن على الإطلاق ، ولد بمصر سنة ٧٦٩ ولازم شيخه المذكور فى إتقان قلم النَّسخ حتى فاق عليه ، وأحبَّ طريقة ابنِ العفيف فسلكها واستفاد فيها من أبى علىٍّ الزِّفتاوى المصرى ، وصارت للزَّين طريقة منتزعةٌ من طريقتى ابن العفيف وغازى ، كما وَقَع لغازى شيخِ شيخِه ، فإنَّه كتب أوّلاً على ابن أبى رقيبة شيخ الزفتاوىّ المذكور وتلميذِ ابن العفيف ثم تحوّل غازى عن طريقة ابن العفيف شيخ شيخه إلى طريقة ولَّدها بينها وبين طريقة الولىِّ العجمىّ ، ففاقَ أهلَ زمانِه فى حُسْن الخط . وانتفع النَّاسُ بابن الصَّايغ طبقةً بعد طبقة ؛ ونَسَخَ عدةَ مصاحف وغيرَها من الكُتُب والعقائد ، وصار شيخ الكتاب فى زمانه ، وشهد له الحافظُ ابن حجرٍ

---

(١) قال القلقشندى فى شأنه وشأن تلميذه : « وصنف مختصراً فى قلم الثلث مع قواعد ضمها إليه فى صنعة الكتابة ، أحسن فيه الصنيع ، وبه تخرج صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان ابن محمد بن داود الآثارى محتسب مصر . ونظم فى صنعة الخط ألفية وسمها بالعناية الربانية فى الطريقة الشعبانية ، لم يسبق إلى مثلها. ثم توجه بعد ذلك إلى مكة ، ثم إلى اليمن والهند ، ثم عاد إلى مكة فأقام بها ونبغ » .

وإلى هنا تنتهى سلسلة الخطاطين عند القلقشندى . وما سيأتى امتداد لهذه السلسلة التى لم يدركها .

(٢) الدرر الكامنة ٢ : ٨٩ .

بمهارته ، وأثنى عليه فى تاريخه . وقد سمع الحديثَ على الجمال الحلاوىّ . وفاته سنة ٨٤٥ .

ثم انتهت جودةُ الخطّ وحُسنه بعد ابن الصايغ وطبقته إلى قِبلة الكُتّاب، وشيخِ هذا الفنِّ المستطاب ، مَن سجدت لجلالته الأقلام ، واتَّفق على تفضيله الخاصُّ والعام ، الإمام الأوحد ، والهمام المفرد ، مولانا شيخ المشايخ الشيخ حَمْد الله ابن الشيخ مصطفى الأَمَاسىّ(١) ، المعروف « بابن الشيخ » تغمَّده الله برحمته . ولد تقريباً فى سنة ٨٤٧ بعد وفاة ابن الصَّايغ بسنتين أو ثلاثة ، وهو الذى استنبط هذه السُّموتَ(٢) المعروفةَ فى زماننا من خطوط المتقدِّمين كما وقَعَ لغيره ممَّن سبَقَ ممن اخترع الطَّريقة بين الطريقتين ، حتى برعَ كُتَّابَ زمانه، وفاقَ أهلَ عصرِه وأوانه . وكان والدُه رجلا صالحا مُجازاً فى طريقة المشايخ السُّهْرَوَرْدِيَّة ، وقد حَلَّ نظره على ولده المذكور حتَّى فاق بالرُّتب العلية ، وكفاه فخْراً أنَّه ليس على الأرض الآنَ سندٌ يُعتَمَد عليه إلا من طريقه ، ولا طريقةٌ يُرغَب إليها بين أهل الفنِّ إلَّا من تحقيقه وتدقيقه .

وكان ممن عاصره رجلان من كبار الكَتَبَة فى زمانهما، وهما «يحيي الرومى» و « على بن يحيي » . وفاة الأخير فى سنة ٨٦٦ .

ويقال إنَّ الشيخ كتب على «خير الدين المرعشىّ» ووفاته فى سنة ٨٩٦ . وهو عَلَى « عبد الله الصيرفى » ، وهو على «أحمد بن علىّ» المعروف بطيب شاه السُّهْرَوردىّ ، وهو على « محمد البدشى العجمى » ، وهو عَلَى «الولىّ العجمى» .

ويقال إن الشَّيخ رحمه الله تعالى كتب بيده الشريفة أربعة وأربعين مصحفاً ونسخةً من كتاب المصابيح للبَغَوىّ ، وكتاب المشارق للصَّغَانى ، كلاهما فى جلد

---

(١) نسبة إلى « أماسية » من ولاية سيراس بتركيا .

(٢) جمع سمت ، وهو الطريقة .

الغزال ، وكُلاً من سورة الأنعام والكهف والأدعية والأوراد مقدار ألف نسخة وجملةً من الأدراج والطُّومار ، وكان قد عرضت له وهو فى الثامن والثمانين من عمره حادثة الرَّعشة فى رأسه . وأمَّا يدُه وقتَ الكتابة فلم ترتعش قط ، حتَّى كان خطُّه فى آخر عمره يضاهى خطَّه فى شبابه . وقد خدمته الملوكُ ومَسَكوا له الدَّواةَ بين يديه ، وأُعطِىَ من القَبُول والشُّهرةِ مالم يُعطَ أحدٌ مِن قبلِه ولا من بعده . وكراماته شهيرة . وتوفى تقريباً سنة ٩٥٧ عن مائة وعشرة سنة . ودُفِن بإسكُدَار فى صُفَّةٍ مقابلة للتَّكية المعروفة بقراجا أحمد ، وذلك فى زمن السلطان أبى الفتح سليمان خان ابن سليم خان ، رحمه الله تعالى(١) .

ثم انتهت جودة الخطّ وحسنه إلى تلامذته، وهم« محيي الدين جلال زاده » عاش مائة سنة وكتب سبعةً وتسعين مصحفا ،و «جمال الدين الأماسى » وأخوه « عبد الله » عاش كلٌّ منهما ثمانين سنة . غير أنّ قواعدَ هؤلاء الثلاثة أكثَرُ ميلاً إلى قواعد ياقوت المستعصمِىّ .

ومن خواص تلامذة الشيخ رحمه الله « حسام الدين خليفة » كان ماهراً فى الأقلام الستّة والنَّسخ السَّادة . قلدَ طريقةَ شيخِه حتى غلِطَ كثيرٌ من المميِّزين والمشخِّصين فى التمييز بين خطَّيهما . عاش سبعةً وستِّين سنة ، وكتب تسعة وثمانين مصحفاً .

ومنهم « شكر الله خليفة » كان ماهراً فى الأقلام الستّة والنّسخ السَّادة وكتب عدَّةَ مصاحف وأوراد .

---

(١) كتب المصنف بخطه على هامش النسخة ما نصه : « جلوس سلطان محمد خان غازى فى سنة ٨٥٥ كان عمر الشيخ إذ ذاك تسعة سنوات . جلوس سلطان بايزيد ولى فى سنة ٨٨٦ كان عمر الشيخ إذ ذاك أربعين سنة . جلوس سلطان سليم غازى فى سنة ٩١٨ كان عمر الشيخ إذ ذاك اثنين وسبعين سنة . جلوس سلطان سليمان بن سليم فى سنة ٩٢٦ ووفاته فى ٢٢ .. سنة ٩٧٤ » .

ومنهم « رجب خليفة » كان ماهراً فى الأقلام الستة والنَّسخ السادة ، وكتب ثلاثةً وتسعين مصحفاً وجملةً من سورة الأنعام والأوراد .

وكان فى آخر عصر الشيخ من الماهرين فى الخطّ رجل يسمّى « أحمد افندى قراحصارى » يقال إنه أجازه الشَّيخ بالكِتْبَة ، ولكنه فى آخره مال على طريقة ياقوت وجمع بين الطَّريقتين ، وكتب جملةً من المصاحف والأوراد . توفى سنة ٩٦٣ .

ومن خواص تلامذته « حسين چلبى خليفة » ، أحيا طريقة شيخه وكتب عدّةً من المصاحف .

ثم جاء من بعده « دلى يوسف افندى » فأجاد ، لأنّه جَمَع بين طريقة شيخه والطَّريقة الحَمْدِيّة فصار مقبولا إلى الغاية ، وكتب عِدّة مصاحف على هذه الطريقة .

ثم جاء من بعده « قَرَه على آفندى » ثم من بعده « تسكنه جى حسن چلبى » ولم يشتهر بعده فى هذه السلسلة أحد .

وكان من الممتازين فى عصر هؤلاء ولدُ الشيخ لصُلْبه الإمام الماهر الضَّابط « مصطفى دده » المعروف كأبيه بابن الشيخ ، سمّاه أبوه باسم والده تبرّكا . وكان قد برع فى حياة والده فى حُسْن الخط وشهدَ له الأفاضل ، وقد أجازه والده بالكِتْبة وكان ماهراً فى الأقلام الستّة كأبيه ، كتَبَ عدةً من المصاحف والأوراد والأدعية . مات عن أربعين سنة ، ودفن عند والده بإسكُدار .

وممن كان فى عصره من كبار تلامذة والدِه الإمام الماهر محمود افندى الشهير بـ « طنحچانلى » كان مشهوراً بحسن التقاليد للشَّيخ ، كتب عِدَّة من المصاحف الشريفة والأنعام والأذكار .

وكان فى عصره « عبد الكريم خليفة » المعروف بوقايه زاده ، و « شكر الله

خليفة » و « أحمد چلبي » . وممن اشتهر فى زمانهم « عبد الله أفندى القريمى » كتب على طريقة الشَّيخ مُسارَقةً من خطوطه ، لأنَّه يقال : إنّه طلب التعليم والإجازةَ من الشيخ فلم يرض ، واجتَهَد حتّى صار متقِناً فى الفن ، وكتب عِدَّةَ مصاحف وانتزع لنفسه طريقةً منتزعة بين طريقة الشَّيخ وطريقة أحمد طيب شاه واخترع منهما نوعا من الثُّلث ، ولكن سقط مَقامُه بين الكُتّاب والبَهاء ، وصار من قَبيلِ مُذَبذَبِين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

وكان ممن أحيا طريقتَه من بعده رجلٌ اسمه « أمر الله أفندى » فإنَّه قلَّده فى طريقته المنتزعة مع ميله إلى الطريقة الحَمْدِية كثيراً ، بدقّة طبعه ولَطافة فِكره ، فحسُنَ الثَّناءُ عليه والقبول . وكتب بذلك عِدّةً من المصاحف والأنعام والأذكار .

ثم انتهت جودة الخط بعد هؤلاء إلى الإمام الماهر « پير أفندى » وهو حفيد الشيخ ، أجازه والده الدَّرويش محمد بالكِتْبَة ، وأحيا طريقةَ جُدوده ، مع ملازمة حدوده ، وكتب عِدَّةً من المصاحف والأنعام .

وكان ممن كتب عليه معاصِرُهُ الإمام الماهر « حسن أفندى » المعروف « بإسكُدارِى حسن چلَبى » ، تولَّى مَشيخةَ السَّراى بعد شيخه ، وكتب عِدَّةً من المصاحف والأنعام والأذكار .

وعنه أخذ الإمام المجوِّد والضابط « خالد أفندى » المعروف بالعزيز . أجاز له بالسِكْتِبَة شيخه الإسكُدارِىّ ، وكتب عِدَّةً من المصاحف والأذكار ، وسورة الأنعام .

وكان فى عصره من الماهرين « قره حسين أفندى » تولَّى مشيخة مكتب الآغا ، وكتب عدة من المصاحف والأذكار ، وكان موصوفاً بالجمال المُفْرِط ، وشهد له بعض تلامذته بالكرامة .

ثم انتهت جودة الخط إلى الإمام الماهر الضابط المرحوم « درويش على أفندى » الملقب بالشيخ الثانى ، كتب أولًا على قَرَه حسين أفندى المذكور ، وبعد وفاته حصَّل التكميلَ والإجازة على يدى خالدٍ العزيز. وكتب ثمانيةً وثمانين مصحفاً وجملةً من سورةِ الأنعام والأوراد والأذكار. وخطُّه هو العمدةُ عليه فى زماننا هذا . توفِّىَ سنة ١٠٨٦ عن سبعة وثمانين سنة . ومن كراماته أنَّه رفع إصبَعه السَّبابة بعد موته عند قول المغسِّل بالشَّهادتين، وغسِّل بماء أُغْلِىَ ببُرَايةِ أقلامه[1] .

وكان ممن عاصره من الخطَّاطين رمضان بن إسماعيل ، يقال إنَّه كتب ثلاثمائة وستين مصحفاً، وجملةً من سورة الأنعام والأذكار . وفاته فى سنة ١٠٩٧ .

ومن المعاصرين أيضاً على أفندى نَفسى زاده ، وعمر بيك نصوح باشا زاده، ومحمد أفندى الإمام ، وعلى أفندى قاشقجى زاده ، وأحمد أفندى قرقابان زاده ، ومحمد أفندى نَقّاش زاده ، وخليل أفندى الملقب بالحافظ ، ومحمد أفندى عرب زاده المتوفى سنة ١١٢٢ ، ومحمد أفندى خواجه زاده. ويقال إنَّ هٰذين الأخيرين أجاز لهما الدرويش علىّ .

ومنهم إسماعيل أفندى تُرْك ، تُوفى غريقا فى البحر سنة ١٠٨٥ . ويوسف أفندى المتوفى فى سنة ١١١٩ وهذان الاثنان كانا بمصر .

ثم انتهت جودة الخط إلى (تلامذة درويش على) ، منهم مصطفى أفندى الأيُّوبى المعروف بسيولجى زاده ، وفاته فى سنة ١٠٩٩ .

---

(١) مثله ما روى فى أخبار أبى الفرج ابن الجوزى ، أنه جمعت براية أقلامه التى كتب بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل منها شىء كثير ، وأوصى أن يسخن بها الماء الذى يغسل به بعد موته، ففعل ذلك فكفت وفضل منها. انظر ترجمته فى وفيات الأعيان (١ : ٢٧٩).

ومنهم إسماعيل أفندى خليفة المعروف بابن علىّ ، كتب أربعةً وأربعين مصحفاً ، وكَمَّل مصحف شيخه الثامنَ والثمانين، وهو آخر المصاحف التى مات وخلّاه إلى سورة الأنعام ، فكمّله بخطّه .

ومنهم أحمد أفندى قَزانجى زاده كان مشهوراً بحُسْن التقليد لخطّ الشيخ ، كتب تسعةَ عشر مُصحفاً وعدّة من سورة الأنعام والأذكار، توفى سنة ١١١٦ .

ومنهم الإمام الماهر الضابط عثمان أفندى المعروف بالحافظ ، الملقَّب بالشيخ الثالث ، كتب جملةً من المصاحف والأنعام والأوراد والأذكار ، توفى سنة ١١١٢ .

ومنهم أحمد أفندى المعروف بشيخ زاده ، كتب سبعة عشر مصحفًا وجملةً من سورة الأنعام والأذكار ودلائل الخيرات .

ومنهم فضل الله أفندى، وفاته فى سنة ١١٠٧ ، كتب عدّةً من المصاحف والأوراد والأذكار .

ومنهم عنبر مصطفى آغا، كان متين اليد إلى الغاية ، كتب عدّةً من المصاحف والأنعام ، توفى سنة ١١١٧ .

ومنهم الإمام الماهر عمر أفندى كاتب السَّراى . ومنهم جابى زاده محمد أفندى ، وهما من جملة خلفائه .

ومن (معاصرى هذه الطبقة) كوچك درويش على أفندى ، وكوچك عرب زاده محمد أفندى ، وأحمد أفندى الدرويش ، وعبد الله أفندى الوفائى ، وإبراهيم أفندى ابن رمضان ، وعلى أفندى إمام أمير آخور .

ومن خواصِّ خلفاء الدَّرويش على الإمامُ الماهر المجوِّد الضَّابط، مجدِّد الرسوم الحَمْدية، فى الديار المصرية، مَولاه ومعتَقه حسين أفندى الجزائرى، لازم خدمةَ أستاذِه حتى برع وفاق، كتب رَبْعَةً شريفة فى ثلاثين جزءاً، ومصحفَين شريفين أحدهما فى الشَّام والثانى بمصر، وشرع فى الثَّالث فبلغ إلى النِّصف منه ومات، فكمَّله فيما بعد المرحوم حسن الضِّيائى.

وممن كتب على فَضْل الله أفندى محَّمد أفندى الشَّهرى المعروف بالبُستانجى.

وممن كتب على عمر أفندى كاتب السراى صالح أفندى، المعروف بحمامجى زاده.

ومن كتب على أحمد أفندى شيخ زاده ولده الماهر الضابط إبراهيم أفندى شيخ زاده.

ثم انتهت جودة الخط إلى (تلامذة الجزائرى)، منهم الإمام الماهر الضَّابط المجوِّد سليمان أفندى الملقب بالشَّاكرى.

ومنهم الإمام الماهر الضابط المجوِّد السيد محمد بن إبراهيم المَقدِسى الملقب بالنُّورى.

ومنهم مصطفى أفندى خليفة، وقاسم أفندى، وغير هؤلاء.

وقد جوَّد الشَّاكرى أيضًا فى مبادئ أمرِه على محَّمد خواجه زاده، ومحمد الشهرى البُستانجى، وحافظ عثمان. فالبستانجى كتب على فضل الله أفندى وحافظ عثمان كلاهما على الدرويش على.

فمن كتب على الشاكرى الإمام الضابط المعمر حسن بن حسن المعروف

بالضِّيائى ، ولد سنة ١٠٩٨ ، وكتب فى مبدإ أمره على والده ثم على شيخه السيد على ، وعلى صالح أفندى المعروف بحماجى زاده ، وأدرك الجزايرىَّ أيضاً بعد وفاة والده باثنى عشر(١) سنة ، وكتب عليه من غير واسطة ، وقد أجازه بالكِتْبَة الشاكرى ، وحماجى زاده، الأخير عن عمر أفندى كاتب السراى عن الدرويش علىّ . كان رحمه الله كثير الإتقان شديدَ الاحتراز ، على نَهْج السلف الصالح فى التحرِّى والضبط فى سائر ما يكتبه، كما هو مشاهَد فى خطوطه. توفى سنة ١١٨٢ عن أربع وثمانين سنة .

وممن كتب على الشاكرىّ الأستاذ الفاضل الماهر الضابط المجوِّد الشيخ شهاب الدين أحمد الأفقم المكنى بأبى الإرشاد ، وقد برَع فى الفنّ واجتهد حتَّى نال الشُّهرةَ والقَبول، وكتب عدّةً من نُسَخ الدلائل والأوراد والأذكار وغيرها.

وفى الموجودين من تلامذته الآن مولانا السَّيد إبراهيم الرويدى الحُسَينى، المكنى بأبى الفتح الحامى الوفائى ، والشيخ أحمد المكّنى بأبى العزّ ، بارك الله فى مدَّتهما ، ونفع بهما المسلمين .

وممن كتب على السيد محمد النُّورى رحمه الله تعالى خلق كثيرٌ على اختلاف الطَّبقات . وأجاز بالكِتْبَة مَن لا يُحصى .

فمن أشهر تلامذته الإمام الماهر الضابط المرحوم عبدالله أفندى المولوى، الملقب بالأنيس رحمه الله تعالى ، وقد جوَّدَ أولاً على الشاكرىّ وغيره ، وكان تكميلُه وإجازته على يد السيد محمد النورى .

ومنهم الجناب المكرم الأمير إسماعيل أفندى الملقب بالوهبىّ ، والجناب

---

(١) كذا فى الأصل ، والوجه « باثنتى عشرة » .

المكرّم الأمير أحمد أفندى الملقب بالشكرى ، باركَ اللهُ فى مدّتهما ونفع بهما المسلمين .

فمن كتب على الأنيس مَنْ طرّزتُ هذا النبذة باسمه الشريف الضابط ، الجنابُ المكرم ، والملاذُ المفخّم ، الأمير حسن افندى تابع المرحوم الحاج على آغا ،
وكيل دار السعادة ، والملقب بالرشدىّ ، أرشده الله لكلٍّ خير ، وبارك فى مدّته ٥
وحياتِهِ ، ودفع عنه كلّ ضَيْر ، فهو الذى أحيا هذه الطريقةَ ، وجدَّد رسومَها فى الحقيقة ، وأثنَتْ عليه الألسُنُ من كل جانب ، وأُعطِىَ القَبولَ والحبَّ ونال أعلى المراتب ، فالله تعالى يحرسه بعين عنايته ، ويحمى فَضْله من عَين الحسودِ ونكايته .

خاتمة

نسأل الله حسن الخاتمة ، وفيها فصلان :

الأول : فى بيان أدب التلميذ مع الشيخ

فاعلمْ أنَّ الطالب لهذا الفنّ والراغبَ إليه لابدَّ له من شيخ يُرِيهِ دقائق الفنّ ويحقّق له حقايقه ، ويكشف له رموزه ويفتح له لُغُوزه ويقرِّب له رقائقه ؛ فقد ورد فى بعض الآثار ، عن بعض الأخيار : « لولا المربِّى ، ماعرفت ربِّى » . فإذا يسَّرَ الله له الأستاذ فله معه شروط ، منها حِفظ مَقامه فى الغَيبة والحضور على قدر الإمكان ، فلا يرفع صوتَه على صوته ، ولا يقول له من شىء قال: لِمَ هذا ؟ فإن أشكلَ عليه شيء سأل بيانَه بالأدب . ومنها عدمُ محادثةِ أحدٍ بجانبه فى حضرته إلاّ فى أمرٍ ضرورىّ . ومنها أن لايضحكَ فى حضرة أستاذه إلا تبسُّماً لمقتضٍ . ومنها عدم مسابقة قوله ، بل يسكت إلى أن ينتهىَ مما يقوله . ومنها أن يجلس فى حضرته كهيئة التشهُّد يسارق وجهَ أستاذه النَّظَر . ومنها عدمُ مخاصمتِه لأحدٍ من أتباع أستاذه ومن ينتسب إليه. ومنها حِفظُ متعلِّقاته عن الجرأة عليها ، فلا يَلبَس ثوبَه ولا نعلَه ، ولا يركب دابّته ، ولا يَجلِس على سَجّادته ، ولا يشرب من الإناء الذى أعدَّ له إلاَّ أن يأذنَ له فى شىء من ذلك . ومنها أن يداومَ على الإدمان والاجتهاد فيما يقول له ويأمره به الأستاذ . فهذه آدابُ التِّلميذ مع الأستاذ ، مَن ابتُلِىَ باختلالِ شىء منها تساهُلاً أو غَفْلةً لا يُفلِح أبدا .

الثانى : نصيحةٌ لسائر الخطّاطين

قال الله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ وما الحياة الدُّنيا إلا مَتَاعُ الغُرور ﴾. وقد ذكر العارفون بهذا الفنّ أنَّ مِن أكبر موجبات التَّكميل للطالب فى هذا

الفنّ تَرْكُ الغُرور فى نفسه ، وتَرْكُ الترفُّع على أبناء جنسه ، فإنّه ربّما اجتهد فى الكتابة كثيراً فيأتيه الشَّيطان فيوسوسُ له بالغُرور، ويُوقعُه فى الشُّرور، ومَتى سَلِم من هذا يُرجى له القَبول ، والرُّقىُّ لمراتب الوصول . ومَتَى تساهل فى أمر نفسه ، وتكبَّر على أبناء جنسه، عُوقِب بالحرمان والوَسواس، وسقط عن مرتبته التى كان فيها عند الله وعند الناس .

نسأل اللهَ العفو والرِّضا، وَالتَّجاوُزَ عمَّا مضى، إنَّه على كل شىء قدير، وبكلِّ فضل جدير، وحَسبُنا اللهُ وَنعْمَ الوكيل، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلاّ بالله العلىّ العظيم. وصلى الله على سيدنا وَمولانا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا إلى يوم الدين .

أملى هذه الحروفَ على الاستعجال وصُنُوف الاشتغال ، العبد المقصِّر المعترف بذنبه ، الفقير محمد مرتضى الُحسينى سامحَه الله بمَنِّه وكرَمه ؛ وذلك فى مجالسَ آخرُها ١٢ من شهر ذى الحجة الحرام ختام سنة ١١٨٤ .

ختمت بخير وعلى خير . آمين

آمين

آمين

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء

نوادر المخطوطات

٦

بتحقيق
عبد السلام هارون

المجموعة السادسة

٢١ — كتاب أسماء المغتالين من الأشراف فى الجاهلية و الإسلام ،
وأسماء من قتل من الشعراء ، لأبى جعفر محمد بن حبيب
البغدادى ، المتوفى سنة ٢٤٥

الطبعة الثانية

١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبى وشركاه - خلفاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذا هو الجزء السادس من (نوادر المخطوطات) يتضمن كتاباً نادرًا لابن حبيب الذي سبقت ترجمته مختصرة فى ص ٨٢ من المجلد الأول، حيث نشرت له كتاب « من نسب إلى أمه من الشعراء » .

وَتُعد كتب ابن حبيب فى أوثق الكتب الأخبارية العتيقة . وَمن طالع كتابه « المحبر » الذى نشرته الدكتورة إيلزه ليختن شتيتر الأمريكية فى حيدر أباد سنة ١٣٦١ أدرك قيمة المعارف التاريخية والأدبية التى تضمَّنها هذا الكتاب الجليل . وقد عَدَّ الأدباء نشر هذا الكتاب كسباً كبيرًا ؛ إذ أتاحت هذه المستشرقة الفاضلة هى والمحقق الدكتور محمد حميد الله الهندى للعلماء أن يضعوا أنظارهم على كنز ثمين من كنوز المكتبة العربية .

وإنى لأسجل لهما فى هذه النوادر إجلالا وإكباراً ، وشكراً صادقاً ، لقاء ما صنعا للعلم ولمجد العروبة .

مصر الجديدة فى أول المحرم سنة ١٣٧٤

عبد السلام محمد هارون

كتاب

أسماء المغتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام ، وأسماء من قتل من الشعراء

لمحمد بن حبيب

مقدمة

كتاب أسماء المغتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام

وكلمة «المغتالين» ، إنما تعنى الذين اغتيلوا ، أى لقوا مصارعهم بأيدى غيرهم على صور شتى ، من الطعن ، والضرب ، والخنق، ودس السموم ، وغير ذلك من أسباب الغِيلة .

وقد استرعى هذا الكتاب نظرى فى أول الشباب، واستنسخت منه نسخة كنت أُعنَى بالرجوع إليها بين الفينة والأخرى ، لتحقيق الأخبار النادرة ، والمشكلات التى كانت تعترض فى أثناء الدرس ، وكنت أجد منذ ذلك العهد القديم رغبةً ملحة فى أن أقوم بنشر هذا الكتاب، فلا أجد فرصة النشر سانحةً ، إلى أن هُديت إلى هذه الفكرة : فكرة نشر النوادر الصغيرة ، فجعلت هذا الكتاب فى ثَبَت الكتب الملائمة .

اسم الكتاب :

هذه النسخة التى تأدت إلينا عبر الأجيال ، أراها مجموعة من كتب محمد بن حبيب ، وليست كتاباً واحداً . وهذه صورة ما كتب على صدرها :

« كتاب أسماء المغتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام . وأسماء من قتل من الشعراء ، ومن غلبت كنيته على اسمه . وكنى الشعراء وألقابهم » .

ولكن النسخة فى باطنها تحمل غير الشقين الأولين ــ أى بدل «مَن غلبت كنيته على اسمه ، وكنى الشعراء وألقابهم » ــ كتاب « كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه » وكتاب « ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه » .

وعلى هذا الضوء الأخير نستطيع أن نعرف أسماء كتب ثلاثة لابن حبيب.

١ — أما الأول فهو ذو شقين : أحدهما « أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام » ، والآخر « أسماء من قتل من الشعراء » .

٢ — والثاني « كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه » .

٣ — والثالث « كتاب ألقاب الشعراء » .

الكتاب الأول :

أما الكتاب الأول فهو الذي عرف قديماً باسم « مقاتل الفرسان » ذكره ابن النديم (١) المتوفى سنة ٣٨٥ أي بعد وفاة ابن حبيب بمائة وأربعين سنة . وتبعه ياقوت ناقلا عنه (٢) . وبهذه التسمية أثبته صاحب كشف الظنون (٣) ، وقال : مقاتل الفرسان لأبي علي إسماعيل بن قاسم القالي المتوفى سنة ٣٥٦ ، ولأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري النحوي ، وله مقاتل الأشراف وتوفى سنة ٢١١ . ولأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي المتوفى سنة ٢٤٥ » .

أما ابن حبيب نفسه فكلامه يشعر أن كتابه ذو شقين ، إذ يذكر عند الكلام على الشعراء ص ٨٢ من المصورة « عدي بن زيد العبادي » ، ويقول : «وقد مر حديثه في المغتالين (٤) » .

وكذلك في ص ٨٨ « سويد بن صامت الأوسي » ، قال : « وقد كتبناه في أشراف المغتالين » .

---

(١) الفهرست ص ١٥٥ .

(٢) في معجم الأدباء ١٨ : ١١٦ .

(٣) كشف الظنون ٣ : ٤٩١ .

(٤) انظر ص ٢٦ من أرقام المصورة .

وفى ص ٩٠ «كعب بن الأشرف اليهودى» قال «وقد كتبناه فى المغتالين[١]».

وكذلك « خالد بن جعفر بن كلاب » فى ص ٩٤ من المصورة ، يقول فى شأنه : « وقد كتبت سبب قتله فى المغتالين[٢] » .

وكذلك « سالم بن دارة » ص ١١١ يقول فيه « وقد مرّ حديثه فى المغتالين[٣] » . وكلمة « مر » تدلّ على وحدة الشقين وعلى ذلك فأصدق تسمية له هى « أسماء المغتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام ، وأسماء من قتل من الشعراء » .

وأما صاحب الخزانة فيسميه تسمية إجمالية « كتاب المقتولين غيلة[٤] » ويسميه مرة أخرى « كتاب أسماء المغتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام[٥] » وثالثة « كتاب المغتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام[٦] » ورابعة « كتاب المغتالين[٧] » .

وهذا يدل على أن صاحب الخزانة لا يعبر بدقة عن اسم الكتاب ، شأن كثير من العلماء الذين يذكرون الكتب بأقرب شهرة لها .

والبغدادى مع ذلك يعرف الشق الثانى من الكتاب ويسميه « كتاب من قتل من الشعراء » وينقل عنه نصوصاً ثلاثة ، وهى مقتل سحيم[٨] ، وعَبيد بن الأبرص[٩] ، وبشر بن أبى خازم[١٠] .

---

(١) انظر ص ٢٨ من المصورة .
(٢) انظر ص ٢٠ من المصورة .
(٣) انظر ص ٣٧ من المصورة .
(٤) الخزانة ١ : ١١ فى ثبت الكتب التى استقى منها البغدادى، وكذلك فى ٤ : ٣٣١.
(٥) الخزانة ١ : ٢٥ / ٤ : ٥٠٩ .
(٦) الخزانة ١ : ٢٩٣ .
(٧) الخزانة ١ : ٣٤٨ / ٤ : ٥١٠ .
(٨) الخزانة ١ : ٢٧٤. ولم نجد له ذكرا فى النسختين.
(٩) الخزانة ١ : ٣٢٤. وانظر ص ٧٩ من المصورة.
(١٠) الخزانة ٢ : ٢٦٢. وانظر ص ٨٢ من المصورة وإقليد الخزانة للراجكوتى ص ٩٢.

الكتاب الثانى :

وأما الكتاب الثانى فهو كتاب « كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه » والنسخة تسجل اسم هذا الكتاب بهذا التمام فى ص ١٢٠ من صفحات المصورة .

ولاريب أن هذا كتاب مستقل ، ذكره ابن النديم[1] باسم « كنى الشعراء » وتبعه ياقوت[2] ، وتصحف فى النسخة باسم « كنز الشعراء » .

أما صاحب كشف الظنون[3] فيسميه « أكنى الشعراء » ، ويذكره فى حرف الهمزة ! وهذا زلة وسهو منه .

الكتاب الثالث :

والكتاب الثالث كتاب « ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه » . ولم يذكره أحد من المترجمين بهذه التسمية ، ولكن ذكروا « كتاب من سمى ببيت قاله » ذكره ابن النديم[4] وتبعه ياقوت[5] . ويظهر أن هذه التسمية الأخيرة تسمية من تسميات العلماء مرادفة للأولى ولا تتعارض معها ، إذ أن الذى سمى ببيت قاله هو عين الذى لقب ببيت قاله ، فهو ضرب خاص من الألقاب داخل فى نطاقها .

والمتتبع لهذا الكتاب يجده مطابقاً لترجمته مضافاً إليه فى أواخره تعليلات لمن سمى ببيت قاله . وهذا لا يخرجه عن عنوانه « ألقاب الشعراء » .

---

(١) فى الفهرست ١٥٥ .
(٢) معجم الأدباء ١٨ : ١١٦ .
(٣) كشف الظنون ١ : ١٣٥ .
(٤) الفهرست ١٥٥ .
(٥) فى معجم الأدباء ١٨ : ١٦٦ .

إفراد الكتاب الأول :

بهذه الاعتبارات جميعاً أفردت الكتاب الأول بالنشر ، عازماً بعون الله أن أنشر الكتابين الآخرين فيما أستقبل إن شاء الله .

مخطوطات الكتاب :

١ — الواقع أنها مخطوطة واحدة، لعلها الفريدة إذ لم نعثر بعد على شقيقة لها ، وهى مخطوطة مكتبة عاشر بتركيا ، المودعة فيها برقم ٨٧٢ ومنها صورة شمسية محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢٦٠٦ تاريخ ، جاء فى خاتمتها :

« تم الكتاب بحمد الله وعونه بعد تعب شديد فى كتبه ، إذ كان أصله مكتوبا بالكوفى بخط محرف ، على يد الفقير إلى رحمة الله تعالى يوسف بن محمد الشهير بابن الوكيل الملوى غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولأقاربه ، ليلة الثلاثاء المسفر صباحها عن ثامن عشر جمادى الأولى من شهور سنة ١١١٤ ، ألف ومائة وأربعة عشر (وكذا) هجرية » .

وعبارة « كان أصله مكتوباً بالكوفى » تدلنا على قدم النسخة التى اعتمد عليها الناسخ .

والنسخة فى ١٤٠ صفحة متوسطة مكتوبة بخط النسخ المعتاد الخالى من الضبط ، ومع ما بها من تحريف شديد حاول ناسخها أن يكون دقيقاً مقارباً للأصل القديم الذى نقل منه .

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (ا) ، وأثبت (أرقام صفحاتها) على جوانب نشرتى هذه .

٢ — وقد استنسخ العلامة الشنقيطى[1] من هذا الأصل نسخة له تتفق معها

---

(١) محمد محمود بن التلاميد التركزى الشنقيطى ، صاحب خزانة الكتب النفيسة المودعة بدار الكتب المصرية ، المتوفى سنة ١٣٢٢ .

كما وكيفاً ، يدل على ذلك التوافق التام فى مقدار متن الكتاب ، وفى الأسقاط ومواضعها وهى فى خزانته بدار الكتب المصرية برقم ٥٧ أدب ش ، وجاء فى خاتمتها :

« تم الكتاب بحمد الله وعونه على يدى الفقير إلى رحمة الله تعالى يوسف بن محمد غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين كافة عامة فى يوم الاثنين جمادى الأولى سنة ١٢٩٦ » .

ويبدو أن الشنقيطى قد راجع نسخته على نسخة مكتبة عاشر ، واستدرك بعض ما فات كاتب نسخته الذى وافق اسمه اسم كاتب نسخة مكتبة عاشر ، فاسمه كذلك « يوسف بن محمد » .

لذلك نستطيع أن نقول بعد الدراسة الطويلة : إن هذه النسخة ماهى إلا صورة أخرى من نسخة عاشر ، امتازت بتلك التصحيحات التى صنعها الشنقيطى بقلمه ، مستعملاً المحو تارةً والترميج مرة أخرى .

وليست تصحيحات الشنقيطى من الكثرة بمكان ، إذ تكاد أن تحتل مقدار العشر من التصحيحات التى انفردتُ بها من دونه ولكن كثيراً منها بلغ الغاية فى الدقة ، لذلك حفظت له حقه فى التنويه بفضل السبق إليها مع إمكان اهتدائى إليها فى كثير من الأمر ، فنسبت تصحيحاته إليه وزدتها تأييداً بأن وثَّقتها من مختلف المراجع .

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (ب) .

وأما بعد فقد عنّانى هذا الكتاب فى تحقيق متنه ، إذ أن نصوصه من النوادر التى لا يعثر على معظمها فى الكتب المعروفة .

ولكنى مغتبط إذ تسنى لى أن أقيم كثيراً مما فيه من تحريف وتصحيف ، وأن ألقى الضوء على كثير من غوامضه وإشاراته .

ولله الحمد على ما أنعم ، وهو ولى التوفيق ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

أسماء المغتالين من الأشراف ، وأسماء من قتل من الشعراء ، وأسماء من غلبت كنيته على اسمه ، وكنى الشعراء وألقابهم[١]

من المغتالين :

جذيمة الأبرش

بن مالك بن فهم بن غَنْم[٢] بن دَوس بن عُدْثان[٣] الأزدى . وكان أفضل ملوك العرب رأيا[٤] ، وأبعدهم مُغاراً ، وأشدَّهم نكاية . وهو أول من استجمع له المُلك بأرض العراق . وكانت منازله ما بين الأنبار وبَقَّة وهِيت وعين التَّمر وأطراف البَرِّ والقُطْقُطانة وخفِيَّة[٥] والحِيرة . وكان يغير على الأمم الخالية من العرب العاربة الأُوَل . وكان ملكُ العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام[٦] عَمرو بنَ الظَّرِب بن حسَّان بن أُذَينة بن السَّميدع بن هَوْبَر العاملىّ ، من عاملةِ العماليق.

فجمَع جَذيمةُ جموعَه من العرب وسار إليه ، فالتقى هو وعمرو بنالظَّرِب فقتل

---

(١) هذا ما أثبت فى صدر النسخة . وانظر المقدمة ص ١٠٨ .

(٢) فى النسختين : « غانم » ، تحريف .

(٣) فى ا : « عدنان » ، صوابه فى ب .

(٤) فى الأغانى ١٤ : ٧١ حيث نقل الخبر : « وكان جذيمة من أفضل الملوك رأيا ». وانظر مجمع الأمثال فى : (خطب يسير فى خطب كبير) .

(٥) ليست فى الأغانى . وخفية : أجمة فى سواد الكوفة. وفى النسختين: « خفة » صوابه فى كامل ابن الأثير ١ : ١٩٧ .

(٦) فى النسختين : « مشارق الشام » . ومشارف الشام : قرى قرب حوران ، منها بصرى ، تنسب إليها السيوف المشرفية . وانظر ابن الأثير ١ : ١٩٨ .

جذيمةُ عمرًا وفضَّ جموعَه . فملك من بعد عمرٍو ابنتُه الزَّبَّاء ، وكانت تخاف أن يغزوَها ملوكُ العرب ، فبنَتْ لنفسها حصنًا على شاطئ الفرات، وسَكَرت الفُرات على قِلَّة(١) الماء ، وبنت في بطنه أزَجًا من الآجُرّ(٢) ، وأجْرَتْ عليه الماء ، فكانت إذا خافت عدوًّا دخلت النَّفَق ، فخرجت إلى مدينة أختها الزُّبَيبة(٣) .

فلما اجتمع لها أمرها ، واستحكم ملكها ، جمعت لتغزو جذيمة ثائرة بأبيها ، فقالت لها أختها زُبَيبة(٤) ، وكانت ذات رأي وحزم: إنك إذا غزوتِ جذيمةَ فإنما هو
٣ يومٌ له ما بعده ، وإن ظفرت أصبتِ ثأرك،وإن قُتلت هلك ملكك ، والحرب سِجال ، وعَثَراتها لاتُستقال ، ولم يزل كعبُك ساميًا على من ناواكِ ، ولاتدرين لمن تكون العاقبة ، وعلى من تكون الدائرة . والرأي أن تحتالي له وتخدعيه ، وتمكري به !

فكتبت الزَّبَّاء إلى جذيمةَ تدعوه إلى نفسها ومُلكها ، وأن تصل بلادَه ببلادها ، وأنَّها لم تجد مُلك النساء إلّا إلى قبح في السَّماع ، وضعفٍ في السلطان ، وقِلّة في بسط المملكة ، وأنّها لم تجد لها كفوًا غيرك ، فأقبلْ إليَّ واجمع مُلكي بملكك ، وصِلْ بلادي ببلادك ، وتقلّد أمري مع أمرك .

فلما قدِم عليه رسُلها وكتابُها استخفّه ذلك ، ورغِب فيما أطمعَتْه فيه ، فجمع أهلَ الحجا من ثِقاتِ أصحابه وهو بالبَقَّة(٥) ، فاستشارهم ، فأجمعوا على أن يسير

(١) سكرته : صنعت له سدا يحجز الماء . في الأغاني : « وسكنت الفرات في وقت قلة الماء » ، وفيه تحريف .

(٢) الأزج : بيت يبنى طولا .

(٣) تقرأ في ا « الزبيبة » و « الزنيبة » وفي ب بالقراءة الأخيرة فقط . وفي الطبري ٢ : ٣٢ « زبيبة » .

(٤) انظر الحاشية السابقة .

(٥) في ا : « بالثقة » وصححها الشنقيطي . وبقة : مدينة على شاطئ الفرات .

إليها ويستولىَ على ملـكها ، وخالفهم قَصِير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس ابن هايل بن دمى بن نُمَارة بن لخم(١) ، فقال : هذا رأى فاتر ، وغدر حاضر . فإن كانت صادقةً فلتقبِلْ إليك ، وإلَّا فلا تمـكِّنْها(٢) من نفسك فتقع في حبالها، وقد وتَرتَها وقتلتَ أباها !

فلم يوافق جذيمةَ ما أشار به قَصِير وقال : أنت امرؤٌ رأيُك في الـكِنِّ لا في الضِّحِّ . ومضى جذيمة في وجوهِ أصحابه فأخَذَ على شاطئ الفرات الغربىّ ، فلما نزل الفُرضَة دعا قصيراً فقال: ما الرأى؟ فقال : « ببَقَّة تركتَ الرأى » . قال: فما ظنُّك بالزباء؟قال : « القَول رِداف،والحزم عَثَراته لا تخاف » . واستقبله رسلُها ٤ بالهدايا والألطاف فقال : ياقَصِير ، كيف ترى ؟ قال:« خَطر(٣) يسير في خَطْب كبير » ،وستلقاك الخيول،فإنْ سارت أمامَك فالمرأة صادقة،وإن أخذت[جنبيك وأحاطتْ بك(٤)] فالقوم غادرون بك .

فلقيته الخيولُ فأحاطت به حتّى دخل على الزبّاء،فلما رأته كَشفَتْ عن فرجها فإذا هي مضفورة الإسْب(٥) ، فقالت : ياجذيمة ، أذاتَ عروسٍ ترى ؟ قال(٦) : بَلَغ المَدَى ، وجفَّ الثرى ، وأمْرَ غَدرٍ أرَى ! فقالت : والله ما بنا من عَدَم مَواسٍ ، ولا قِلّة أواسٍ ، ولـكنَّها شيمة ما أُناس(٧) . ثم أجلسته على نِطْع ،

---

(١) في الأغاني: « بن هلال بن نمارة بن لخم» بإسقاط «دمى » . وفي المقتضب ٨٠: «ربى».

(٢) هذا تصحيح الشنقيطى ، ويوافق ما في الأغاني . وفي ا : « فلا تملـكها » .

(٣) كذا . والمعروف « خطب » .

(٤) التـكملة من الأغاني وابن الأثير والطبرى ٢ : ٣٣ ومجمع الأمثال . وموضعها بياض في النسختين .

(٥) الإسب ، آخره باء : شعر الاست . نص عليه ابن الاثير ١ : ١٩٩ .

(٦) بين هذه الـكلمة وتاليتها في الأغاني : « بل أرى متاع أمة لـكعاء غير ذات خفر ثم قال » .

(٧) وكذا عند بن الأثير ١ : ١٩٩ . وفي الأغاني والطبرى: « شيمة من أناس» .

وسقته الخمر ، ثم أمرتْ بقطع رَوَاهشه ، فجعل دمُه يسيل فى طَسْتٍ من ذهب ، فلما رأى دمَه قال : « لا يَحزُنْك دمٌ أهراقَه أهلُه ! » .

ومنهم :

حَسَّان بن تُبَّع

وكان أعْسَر أحول، وإنّه خرجَ من اليمن سائراً حتى وطئ أرض العجم ، وقال : لأبلغنّ من البلاد مالم يَبلغه أحدٌ من التبابعة ! فأوغَلَ بهم فى أرض خراسان ، ثم مضَى إلى المغرب فبلغ رومة[(١)] وخلَّف عليها ابنَ عمٍّ له، وأقبلَ إلى العراق حتّى إذا صار إلى فُرضة نُعم[(٢)] بشاطئ الفرات قالت وجوه حمير: ما نُفنِي أعمارَنا إلاَّ مع هذا، يَطُوف فى الأرض كلِّها، نَغيب عن أولادنا وعيالنا وبلادنا وأموالنا ؛ وما ندرى مايخلُف عليهم بعدنا . فكلموا أخاه عمرا وقالوا : كلِّمْ أخاك فى الرجوع إلى بلده ومُلكه . فقالوا : هو أعسر من ذاك وأنكد. فقالوا : فاقتله وتملَّكْ علينا فأنت أحق بالملك من أخيك ، وأنت أعقلُ وأحسن نظراً لقومك ! فقال : أخاف ألّا تفعلوا ، وأكون قد قتلت أخى وخرجَ الملكُ عن يدى . فواثقُوه حتّى ثَلِجَ إلى قولهم[(٣)] ، واجتمع الرؤساء كلُّهم معه على قتل أخيه إلاَّ ذا رُعَين . فإنّه خالفهم وقال: ليس هذا برأى، يذهَب المُلْك من حمير! فشجّعه الباقون على قتل أخيه ، فقال ذُو رُعَين : إنْ قتلتَه باد[(٤)] ملكك . فلما رأى

(١) فى الأغانى : « رومية » .

(٢) فى النسختين : « تغم »، تحريف ، صوابه عند ابن الأثير ١ : ٢٤٦ . وقال ياقوت: « بشط الفرات . قال ابن الكلبى : سميت بأم ولد لتبع ذى معاهر ، وهو حسان بن تبع أسعد أبى كرب الحميرى . يقال لها نعم ، وكان أنزلها على الفرضة وبنى لها بها قصرا ، فسميت بها » .

(٣) أى اطمأن إليه وسكن .

(٤) جعلها الشنقيطى « بار » .

ذُو رُعَين ما اجتمع عليه القومُ أتاه بصحيفةٍ مختومة فقال: ياعمرو، إنِّى مستودعك هذا الكتاب، فضَعْه عندك فى مكانٍ حريز. وكتب فيه:

ألا من يشترى سهراً بنومٍ سعيدٌ مَن يبيت قريرَ عينِ
فإن تك حميرٌ غدرت وخانت فمعذرة الإله لذى رُعَينِ[(١)]

وإنَّ عمراً أتى حسانَ أخاه، وهو نائم على فراشه، فقتله واستولى على مُلكه فلم يُبارَكْ له فيه[(٢)]، وسلِّط عليه السهر، وامتنع منه النوم، فسأل الكُهّانَ والعُيَّاف، فقال له كاهن منهم: إنه ماقتل رجل أخاه قطُّ بغيانا[(٣)] عليه إلا امتنع نومه. فقال: هذا عمل رؤساء حمير، هم حملونى على قتله ليرجعوا إلى بلادهم. لم ينظروا لى ولا لأخى. فجعل يَقتُل من أشار بقتله رجلاً رجلا، حتَّى خلَص الأمر إلى ذى رعين، وأيقَن بالشر، فقال له ذُو رعين: أمَا تعلم أنِّى أعلمتك ما فى قتله، ونهيتك؟ قال: ما أذكر هذا، ولئن كان ليس عندك إلاّ ماندَّعى لقد طُلَّ دمك! قال: إنَّ عندك لى براءةً وشاهدا. قال: وما هو؟ قال: الكتاب ٦
الذى استودعتك. فدعا بالكتاب فلم يجدْه، فقال ذو رعين: ذهب دمى على أَخذى بالحزم فصرت كمن أشار بالخَطَاء[(٤)]، فقال الملك أن ينعم طلبه[(٥)]، فأتى به فقرأه، فإذا فيه البيتان اللذان كتبناهما، فلما قرأهما قال: لقد أخذتَ بالحزم. قال: إنِّى حسبتُ[(٦)] ما رأيتك صنعت بأصحابى.

---

(١) السيرة ١٨ جوتنجن: «فإما حمير غدرت».
(٢) كلمة «فيه» ساقطة من ب.
(٣) بغيانا، كذا وردت فى النسختين. وفى السيرة: «بغيا على مثل ما قتلت أخاك عليه إلا ذهب نومه».
(٤) الخطاء: الخطأ. وفى الأغانى ٢٠: ٨: «بالخطأ».
(٥) كذا. وفى الأغانى: «ثم سأل الملك أن ينعم فى طلبه».
(٦) أى ظننت وحدست. وفى الأغانى: «خشيت».

وتشعَّثَ أمر حِميرَ حين قُتِل أشرافُها ، واختلفوا عليه ، حتّى وثب على عَمرو لَخْنِيعة يَنُوف[1] ، ولم يكن من أهل المملكة ، فقتله .

ومنهم :

عمليق ملك طسم

بن لاوَذ[2] بن إرم[3] بن سام بن نوح . وكان منازلهم « عُذْرة » فى موضع اليمامة .

وكان سبب قتله أنَّه تمادى فى الظُّلم والغَشْم ، والسِّيرة بغير الحق، وأن امرأةً من جَدِيس كان يقال لها هُزَيلة ولها زوج يقال له قديس[4]، فطلَّقها وأراد أخْذَ ولدِها منها ، فخاصمته إلى عمليق ، فقالت : أيُّها الملك ، إنِّى حملتُه تِسعا، ووضعته دَفْعا ، وأرضعته شَفْعا[5]، حتى إذا تمَّت أوصاله[6] أراد أن يأخذه كَرْها ، وأن يتركنى بعده ورْها[7] . فقال لزوجها : ما حجَّتُك ؟ قال : حُجّتى أيُّها الملك أنَّها قد أُعطِيت المهرَ كاملا ، ولم أُصِبْ منها طائلا ، إلا وليداً خاملا[8] ، فافعلْ

---

(١) لخنيعة ، كذا وردت فى السيرة ١٩ جوتنجن . وعند ابن الأثير ١ : ٢٤٩ والقاموس (شنتر) : « لخنيعة » بالتاء . وفى (لخم) : « لخيعة بن ينوف » . وهو المطابق لما فى كتب التيجان ص ٣٠٠ .

(٢) فى النسختين وابن الأثير ١ : ٣ ٢ : « لوذ » . وفى الخزانة ١ : ٣٤٨ : « لوز »، صوابه فى الأغانى ١٠ : ٤٥ .

(٣) فى النسختين: « ادم » تحريف، صوابه فى الخزانة .

(٤) فى الأغانى : « ماشق » .

(٥) هذا تصحيح الشنقيطى ، وهو الموافق لما فى الأغانى والخزانة ، وابن الأثير ١ : ٢٠٣ . وأرادت بالشفع أنها أرضعته سنتين .

(٦) بعده فى الأغانى : « ودنا فصاله » .

(٧) الورهاء : الحمقاء . وفى النسختين : « درها » ، تحريف ، صوابه فى الخزانة وابن الأثير .

(٨) فى النسختين :« حاملا » ،صوابه من ابن الأثير ، ونقل الخزانةعن كتاب ابن حبيب.

ما كنت فاعلا . فأمر بالغلام أن يُنزَع منهما جميعاً ويُجعَل فى غِلمانه ، وقال لهُزَيلة : أبغِيه ولدا ، ولا تنكحى أحدا ، واجْزِيه صَفَدا[1] . فقالت هُزَيلة : أمَّا النكاح فإنما يكون بمهر ، وأما السِّفاح فإنَّما يكون بلامهر[2] ، ومالى فيهما من أمر ! فلما سمع عِمليقُ ذلك منهما أمر أن تباعَ وزَوجَها ، فيعطى زوجُها خُمْسَها[3] ، وتعطى هزيلة عُشر ثمنِ زوجها ، ويُستَرقّا[4] . فأنشأت تقول : ٧

أتينا أخا طَسْمٍ ليحكمَ بيننا ... فأنفَذَ حُكماً فى هُزَيلَةَ ظالما

لَعمرِى لقد حُكِّمتَ لا متورِّعا ... ولا كنتَ فيما تُبرِمِ الحكمَ عالما

ندِمتُ ولم أَندمْ وأُبتُ بعَبرتى ... وأصبح بَعْلِى فى الحكومة نادما

فلما سمع عمليق قولهَا أمر ألاَّ تزوَّج بكرٌ من جَدِيس فتهدَى إلى زوجها إلاَّ يؤتَى بها عمليقُ فيفترعُها هو قبلَ زوجها. فلَقوا من ذلك جَهداً وذُلاً ولم يزلْ يفعل ذلك أربعين سنةً فيهم ، حتى زوِّجت الشَّموسُ عُفَيرةُ بنت عَفَار الجديسيَّة ، أخت الأسود الذى وقع إلى جَبَلَىْ طيِّئٍ وسكنوا الجبلين بعده ، فلما أرادوا أن يُهدوها إلى زوجها وانطلقوا بها إلى عِمليق لينالَها قبله، ومعها الوليدات يتغنَّين ويقلن :

ابدَى بعمليقٍ وقومى فاركبى ... وبادِرِى الصُّبح بأمرٍ معجبِ

فسوف تلقَين الذى لم تَطلُبى ... وما لبكرٍ عنده من مَهربِ

فلما دخلت عليه افترعها ، وخَلَّى سبيلها ، فخرجتْ إلى قومها فى دمائها ، شاقّةً دِرعَها عن قُبُلها ودبُرها ، وهى تقول :

---

(١) فى النسختين : « واحتريه » ، ووجهه من الأغانى . وفى الخزانة : « أو اجزيه » . والصفد : العطاء .

(٢) فى الخزانة : « بالقهر » .

(٣) فى الأغانى وابن الاثير : « خمس ثمنها » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأغانى .

لا أحــدٌ أذلَّ من جَدِيس … أهكذا يُفعَـــل بالعروس
يرضى بهـــذا يا لَقومِ حُرٌّ … أهدَى وقد أعطى وسِيقَ المَهر [١]
لَأَخْذَةُ الموتِ كذا من نفسهِ … خيرٌ مِنَ أنْ يُفعَلَ ذا بِعِرسِهِ

ثم قالت تحرِّض قومَها فيما أَتَى عليها [٢] :

أيصلُح ما يُؤتَى إلى فتَياتِكم … وأنتمْ رجالٌ فيكمُ عدد النَّمل
وتُصبِح تمشى فى الدماء صَبيحةٌ [٣] … عَشِيّةَ زُفَّت فى النساء إلى بَعل
وإنْ أنتم لم تغضبوا بَعد هذه … فكونوا نساءً لاتغِبُّ من الكُحلِ [٤]
ودونكمُ طِيبَ العروس فإنّما … خُلِقتم لأثواب العروس وللغسلِ [٥]
فلو أنَّنا كنا رجالاً وأنتمُ [٦] … نساءً لكنّا لانقيم على الذلِّ ٨
فبعدًا وسُحقًا للذى ليس دافعاً [٧] … ويختال يمشى بيننا مِشيةَ الفحلِ
فموتوا كراماً أو أميتوا عدُوَّكم … ودِبُّوا لِنار الحرب بالحطب الجزْل

فلمَّا سمع ذلك أخوها الأسود ، وكان سيّدا مطاعًا ، قال لقومه : يا معشر جَدِيس ، إنَّ هؤلاء القوم ليسوا بأعزَّ منكم فى داركم ، إلاَّ بما كان من مُلك صاحبهم علينا وعليهم وَأنتم أذلُّ من النِّيب [٨] ، ولولا عجزُنا لما كان له فضل علينا ، ولو امتنعنا كان له منه النَّصف [٩] ، فأطيعونى فيما آمرُكم به ؛ فإنّه عزُّ الدهر وذَهاب ذلِّ العمر ، واقبلوا رأيى. وقد أحمَس جَديساً قولها، قالوا: نطيعك،

---

(١) فى النسختين : « وساق المهر » ، صوابه فى الأغانى والخزانة .
(٢) الأغانى : « أتى إليها » (٣) فى الأغانى : « عفيرة » .
(٤) الأغانى : « لاتماب » . (٥) الاغانى : « وللنسل » .
(٦) الاغانىوابن الأثير : « وكنتم » .
(٧) فى النسختين : « رافعا » ، صوابه فى الاغانى والخزانة وابن الأثير .
(٨) النيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة .
(٩) النصف: الإنصاف.

ولكن القوم أكثر منا عددًا وأقوى . قال: فإنّى أصنع للملك طعاماً، ثم أدعُوهم إليه ، فإذا جاءوا يرفُلون فى حُلَلهم متفضِّلين(١) مشَينا إليهم بالسُّيوف فقتلناهم ، فأنفرِد أنا بالعمليق ، وينفرد كلُّ واحدٍ بجليسه . فاجتمع رأْيُهم على ذلك .

وإنَّ الأسودَ اتخذ طعاماً كثيراً، وأمر القومَ فاخترطوا سيوفَهم، ودفنوها فى الرمل تحتهم ، ودعا القومَ فجاءوا يرفُلون فى الحُلَل ، حتّى إذا أخذوا مجالسَهم ومدُّوا أيديَهم إلى الطعام أخذوا سيوفَهم من تحت أقدامهم ، فشدَّ الأسود على عمليقَ وكلُّ رجلٍ على جليسه حتّى أناموهم(٢) ، فلمّا فرغوا من الأشراف شدُّوا على السِّفْلة فأفنَوهم ، فلم يدَعُوا منهم شطرا ، فقال الأسود :

ذُوقِى ببغيك يا طَسْمُ مجلَّلةً ... فقد أتيتِ لعمرى أعجبَ العجبِ
إنّا أتينا فلم ننفكّ نقتُلهم ... والبغْى هيَّجَ منّا سَورةَ الغضب ٩
فلن يعودَ علينا بغيُهم أبداً ... ولن يكونوا لدَى أنفٍ ولا ذَنَب(٣)
ولو رعيتم لنا قُرْبَى مؤكَّدةً ... كنّا الأقاربَ فى الأرحامِ والنَّسبِ

ومنهم أيضاً:

الأسود بن عفار

هذا ، وكان هرَب من حَسَّان بن تبع ، حين استغاثه الطَّسْمى ، فغزا جَديساً فقتلها ، وأخرب جوًّا(٤)، فمضى الأسودُ فأقام بجبَلَىْ طيّئْ قبل نزول طيّئْ إياها .

---

(١) التفضل : التوشح ، وأن يخالف اللابس بين أطراف ثوبه على عاتقه . والكلمة ليست فى الأغانى .

(٢) الأغانى : « أماتوهم » .

(٣) فى الأغانى : « كذى أنف » ، تحريف .

(٤) جو : اسم لناحية اليمامة .

وكان سببُ قتله أنَّ طيئاً كانوا يسكنون الجوْف(١) من أرض اليمن ، وهو اليوم مَحلّة مراد وهمدان ، وكان مسكنهم واديًا يدعى ظَرِيبًا(٢) ، وكان سيّدهم يومئذ أُسامة بن لُؤَىّ(٣) بن الغَوث بن طيِّ ، وكان الوادى مَسْبَعةً(٤) وهم قليل عَدِيدُهم(٥) ، وقد كان ينتابهم بعيرٌ فى أزمان الخريف ، فيضرب فى إبلهم ، فإذا انقطع الخريفُ لم يدرَ أين يذهبُ ، ولم يَرَوْهُ إلى قابل . وكانت الأزدُ قد خرجت من اليَمَن أيام العَرِم(٦) فتفرقَت ، فاستوحَشُوا لذلك ، وقالوا : قد ظَعَن إخوتُنا فصارُوا إلى الأرياف . فلما همُّوا بالظَّعْن قالوا : ياقوم ، إنّ هذا البعير الذى يأتينا ، من بلدِ ريفٍ وخِصب ، وإنَّا لنُصيب فى بعره النَّوَى ، ولو أنَّا تعهدناه عند انصرافه فشخَصْنا معه لعلَّنا نُصِيب مكانا خيراً من مكاننا هذا . فأجمعوا أمرهم على ذلك . فلمَّا كان الخريفُ جاء الجملُ فضرب فى إبلهم ، فلما انصرفَ احتملوا فتَبِعوه ، فجعلوا يسيرون بسَيْره ، ويبيتون حيثُ يَبيت ، حتّى هبط بهم على الجبلَين ، فقال أُسامةُ بن لؤَىّ :

اجعَلْ ظَرِيبًا كحبيبٍ يُنسَى ... لِكلِّ قومٍ مُصْبَحٌ ومُمْسَى

فهجمت طيِّئ على النَّخل فى الشِّعاب، ومواشٍ كثيرة وحشيّة كانت لقومٍ من جَدِيس ، وإذا هم برجلٍ فى شِعْب من تلك الشِّعاب، وهو الأسود بن عَفَار ،

---

(١) ا : « الحرف » وصححها الشنقيطى بما يوافق ما فى أخبار عبيد بن شرية ٤٨٨ . وعند ابن الأثير ١ : ٢٠٥ : « الجرف » . وفى معجم البلدان ٣ : ١٧٥ « أبو زياد : الجوف : جوف المحورة ببلاد همدان ومراد » .

(٢) فى النسختين : « طرنيا » ، تحريف . وظريب ، بفتح أوله وكسر ثانيه ، قال ياقوت : « موضع كانت طيئ تنزله قبل حلولها بالجبلين ، فجاءهم بعير ضرب فى إبلهم فتبعوه حتى قدم بهم الجبلين » .

(٣) فى العرب « سامة بن لؤى بن غالب بن فهر » . وأما هذا فهو أسامة .

(٤) ا : « مسلعة » وصححها الشنقيطى موافقا ما فى الأغانى ١٠ : ٤٧ . والمسبعة : الموضع الكثير السباع .

(٥) ا : « عديلهم » وصححها الشنقيطى . وفى الأغانى : « عددهم » .

(٦) ا : « العرب » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته . وفى الأغانى : « الصرم » ، تحريف.

فهالَهم ما رأوا من عِظَم خِلقتِه وتخوّفوه، فنزلوا ناحيةً من الأرض، [وسَبروها هل يَرَون بها أحداً غيرَه؟ فلم يَرَوا ، فقال⁽¹⁾] أُسامةُ بن لؤىٍّ لابن له يقال له الغَوث : أى بُنىّ ، إنّ قومك قد عرفوا فَضلَك عليهم فى الجَلَد والبأس والرّمى ، فإن كفَيتنا هذا الرجلَ سُدتَ قومَك آخِرَ الدّهر، وكنتَ أنت الذى أنزلتَنا هذا البلد . فانطلق الغوثُ حتّى أتى الرجلَ فكلّمه وساءَله ، فعجِب الأسود من صِغَر خَلْق الغوث⁽²⁾ ، فقال له : من أين أقبلتم ؟ قال : من اليمن . وأخبره خَبَرَ البعير ، وأنّا رهِبنا ما رأينا من عِظَم خَلْقك . فشغَلوه بالكلام ، وختَله الغوثُ فرماه بسهمٍ فقتله ، فأقامت طيِّئٌ بالجبلين .

ومنهم :

عامرُ الضَّحيان⁽³⁾

بن سَعد بن الخزرج بن تيم الله بن النَّمر بن قاسط ، وكان صاحب مِرباع ربيعةَ بنِ نزار ، ومُنزِلَها فى نُجَعِها ، وحَكَمَها فى خصوماتها ، وكانت ربيعة تغزو المغازىَ وهو فى مَنزِله ، فتبعث له نصيبَه ولنسائه حِصّة ، إعظاماً له ، فمكث بذلك حيناً ، وفى ذلك قولُ بعضهم :

تُعجِبنى أُسـدٌ ضارياتٌ ويأكل مِرْباعَهنّ الضَّبُع⁽⁴⁾

تمارس عنّا بِصُمِّ القنا لشيخٍ⁽⁵⁾ أمامة أن يضطجع

وكان أعرج . وأنه شرب الخمرَ فاشتهى لحما ، فذكرت له نعجة غَرِبية⁽⁶⁾ ١١

---

(١) التكملة من الأغانى ١٠ : ٤٧ ، وموضعها بياض فى النسختين .
(٢) فى النسختين: « حال الغوث » ، صوابه من الأغانى » ومما يدل له السياق .
(٣) الاشتقاق ٢٠٢.
(٤) ا : « من باعهن » ، وصححها ناسخ ب.
(٥) جعلها الشنقيطى « بشيخ » ، بالباء .
(٦) فى النسختين : « عربية » .

لكعب بن الحارث بن عامر بن عبد القيس ، كانت امرأتُه مرِضَت فخلَّفها ظئراً لابنه ، فبعث إليها الضَّحيانُ فذَبحها وكعبٌ غائب ، فرجع كعب فرأى ابنَه يَضغُو جوعاً ، فسأل عن النَّعجة فأخبروه أنَّ الضحيان أكلها، فخرج بحَرْبته حتَّى انتهى إلى منزِله ليلاً فصرخ به فقالت له امرأته : الذى يدعوك يريد قتلك ، فلا تخرجْ إليه ! فقال: لو دُعى عامرٌ لطعنةٍ أجاب! وخرج فبدره كعبٌ فأوجره الحربةَ[1] فقتله .

ومنهم :

عَبْـــدَة بن مُرارة

بن سوّار بن الحارث بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن . . . .[2] وهلال بن أُمَيَّة الخزاعى ، فحبا الأسدى حباء كثيراً ، ولم يَحْبُ هلالا شيئاً . وأقفلا[3] حتى إذا كانا بوادٍ يقال له وادى طُفَيل مالا إليه ، فنزلا، فغدَا الخزاعىُّ على عَبْدة بن مُرارةَ وهو راقدٌ فقتلَه، وأخذ ماحُبِىَ به. فلما قدِمَ سئل عنه فقال:مات ! فصدَّقوه ، واشترى بما أخَذَ منه إبلاً وخيلا .

فتغنَّى يوماً الخزاعىُّ وقد أخَذَ فيه الشراب، :

أبلغْ بنى أســـدٍ بأنَّ أخاهم   بلوى، طُفَيلٍ عَبْـدةَ بن مُراره[4]

(١) أوجره الحربة : طعنه بها فى حلقه .

(٢) فى النسختين بياض بقدر ست كلمات .

(٣) جعلها الشنقيطى « فقفلا » . وجاء فى اللسان : « وتكرر فى الحديث وجاء فى بعض رواياته : أقفل الجيش ، وقلما [يقال] أقفلنا . والمعروف قفل وقفلنا ، وأقفلنا غيرنا » . قلت : وهذا النص مما يضم إلى ماورد فى الحديث وتكرر .

(٤) البيتان فى معجم البلدان ٧ : ٣٤٠ .

يُؤتِى فقيرَهمُ ويمنعُ ضيمهمْ ويُريح بعد المعتِمين عِشارَه(١)

فلما سمعت بذلك بنو أسدٍ نهضوا إلى بنى كنانة فقالوا . حليفكم هذا قتل أخانا ، فإن تَدُوه ديةَ الملوك نقبلْ ، وإن تأبَوْا نَقتُلْ ! فودَوْه ديةَ الملوك : ألفَ بعير .

ومنهم :

زهير بن عبد شمس

من بنى صَيفىٍّ بن سبأ الأصغر ، وقتلته بِلقِيسُ بنت [اليَشْرَح بن ذى جَدَن بن يَشرَح بن الحارث بن قيس بن(٢)] صيفى .

وكان سبب ذلك أنه كان ملكاً ، فعَلَا فى مملكته وتكبَّر ، وجعل ١٢ يَعتذِر النساءَ قبلَ أزواجهنّ ، كما كان يفعل عِمليق ، حتَّى أدركت بِلقيسُ فقالت لأبيها : إنَّ هذا الرجلَ قد فضح نساءكم فأتِه فقلْ له : إنَّ لى بنتاً قد أعصرَتْ(٣) ، وليس فى قومها شبيهٌ لها حُسناً وجمالا . فإنْ قال لك: فابعثْ بها إلىَّ ، فقل : إنَّ مثلى فى شرَفى ونسبى لا تُعتَذَر ابنتُه إلاّ فى بيته ! فأتاه فذكر ذلك له ، فلما قال له : ابعثْ بها قال له ما علّمته ابنتهُ ، فقال له : كيف بنزْلى

---

(١) ياقوت : « يروى فقيرهم » . المعتّم : الذى دخل فى العتمة ، وهو الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشفق . جاء فى اللسان : « وأهل البادية يريحون نعمهم بعيد المغرب وينيخونها فى مراحها ساعة يستفيقونها، فإذا أفاقت — وذلك بعد مرقطعة من الليل — أثاروها وحلبوها». وعلى ذلك فالأجود من هــذه الرواية رواية ياقوت : « قبل المعتمين » ، أى هو يتهيأ لقرى الضيف قبل نزوله به .

(٢) التكملة من المحبر لابن حبيب ٣٦٧ ، وموضعها بياض فى النسختين . وقد أثبت الشنقيطى فى نسخته كلمة « شرحبيل » موضع « اليشرح » . قال ابن حبيب : وهى صاحبة الهدهد ، ولقتلها زهيرا حديث . وتزوجها سليمان بن داود صلى الله عليهما .

(٣) أعصرت : أدركت ، كأنها دخلت فى عصر شبابها.

ونُزْلِ مَن معى من أصحابى[1] ؟ فقال : ما أحمَلَنى لنُزُلِ الملك ، وأشدَّ سرورى به ، لأ[نّها[2]] مكرمة لى ، ويَدٌ وضعها الملكُ عندى . فأجابه إلى إتيانه ، ولم يجبْ إلى ذلك غيرَه. فأتى داره فزخرفها وزخرفَ أبياتًا ثلاثة بأحسنِ ما يكون من زينة ذلك الزمان ، وحَشَد لِنُزله ، ثم أتاه فأعلَمَه بالفراغ ، فركب فأتاه وقد أدخلت بلقيسُ نفراً من أقاربها بأسلحتهم . ولما دخل البيتَ الأوّلَ أعجبه ما رأى من هَيئته ، ثم دخل البيت الثانىَ فكان أحسَنَ ، ثم دخل الثالثَ وفيه بِلقيسُ فى حَلْيِها وحُللها مع جَمالها ، فلما استلقَى على الفِراش ، وأخرج حَرَسَه وأجنادَه[3] ،وأمر بالباب فأُغْلِقَ دونه — وكان معه المقَاوِل — قالت للنفَّر : اخرجوا . فخرجُوا فقتَلوه . ثم أرسلت إلى رجلٍ آخَرَ من مَقَاوِلِته وخواصِّه ، تدعوهم فيقتلونهم ، ولا يظُنّ مَن يُرسَل إليه إلاّ أنّ الملك يدعوه ، حتّى أتت على

١٣ آخرهم . ثم أرسلت إلى أبيها وقومها فخرجت إليهم وقالت : هذا الخبيثُ قد فضَح نساءَكم وجعلكم شُهرةً فى الناس قد أراحكم الله منه ، فدونكم ملِّكوا من شئتم . فقالوا بأجمعهم : ما أحَدٌ أولى بهذا منكِ ! فملّكوها عليهم فملَكتهم ، حتّى كان من أمر الهُدهد وسليمانَ عليه السلامُ ما كان .

(١) النزل ، بضمة وبضمتين : ما يهيأ للضيف .
(٢) التكملة من الشنقيطى فى نسخته .
(٣) ا : « وأخياره »، والتصحيح للشنقيطى .

ومنهم :

الحارث بن كعب

وقتلَهُ ضَبَّة بن أد[١] .

وسبب ذلك أنّ ضَبّة تفرّقت إبلُه تحت الليل، وكان له ابنان: سَعدٌ وسُعَيد، فخرجا يطلبانها ، فتفرقا فى طلبها ، فجاء بها سعد ولم يرجع سُعَيد ، فأتى على ذلك ماشاء الله أن يأتى ، لايرى سُعيداً ولا يعلم له خبراً .

ثم إنّ ضَبّةَ بعد ذلك بينما هو يسير والحارثَ بن كعبٍ فى الأشهر الُحرم وهما يتحدّثان ، إذ مَرّا على سَرحةٍ[٢] بمكان، فقال له الحارث: أترى هذا المكان فإنى لقيت به شابًّا من هيئته كذا وكذا — فوصف له صفةَ سُعَيد — فقتلتُه وأخذتُ بردًا كان عليه ، من صِفَة البرد كذا وكذا ! فوصَفَ له صِفة البُرد وسيفاً كان عليه . فقال ضبة : فما صفة السيف ؟ قال : هاهو ذا علىّ . قال ضبة : فأرنى السَّيف . فأراه إياه ، فعرفه فضرَبه به حتّى قتله . ولامَ الناسُ ضبّة فقالوا : قتل رجلاً فى الأشهر الحرم ! فقال ضَبَّة : « سبق السَّيف العَذَل[٣] » ! فصارت مثلا .

---

(١) انظر مجمع الأمثال فى (الحديث ذو شجون) .

(٢) السرحة : واحدة السرح » وهو ضرب من الشجر .

(٣) العذل ، بالتحريك : اسم من العذل بالفتح ، وهو اللوم .

ومنهم :

داود بن هُبالة

بن عمرو بن [عَوف بن ضَجْعم بن[1]] سعد بن سَلِيح[2] بن حلوان ابن عِمران بن الحاف بن قضاعة وكان أوَّل مُلْك الرُّوم بالشَّام على عهده .

١٤ وذلك أنه كان ملكا فغلبه مَلكُ الروم على ملكه ، فصالحه داودُ على أن يقرّه فى منازله ويدعَه ويكونَ تحت يده ، ففعلَ فكان يُغير بمن معه ، ثم تنصَّر وكرِه الدماء وبنى دَيرا ، فكان ينقُل الطِّين على ظهره والماءَ ، فسمِّىَ « اللَّثِق » ، فنسب الدَّير إليه وأنزل له الرُّهبانَ فلما تعبَّد اجتُرِئ عليه فقال له ملكُ الروم : اغز بمَنْ مَعَك من العرب فلم يجد بُدًّا من أن يفعل ، فغزا فكان على خيله جَعفر بن صبح التَّنوخى ، وكان معه فى جيشه زُهَير بن جَناب[3] ابن هُبَل الكلبى ، فغزا عبدَ القيس ، فقتل زهيرُ بن جَنابٍ هَدَّاجَ بنَ مالك ابن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وَديعة بن لكَيز بن أَفْصَى[4] ابن عبد القيس ، وأغار فى وجهه على [بكر[5]] بن وائل فقتل زهيرٌ أيضاً هداج بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة[6] ، فقال حُذَار[7] بن ظالم بن ذُهل بن عجل العَبْدى

---

(١) التكملة من حواشى الاشتقاق ٣١٩ . وداود بن هبالة عده ابن حبيب فى المحبر ٢٠٠ من الجرارين من قضاعة . والجرار : من يرأس ألفا .

(٢) فى النسختين : « سليم » ، صوابه من المحبر ٢٥٠ والاشتقاق ٣١٤ .

(٣) فى ا : « حباب » فى هذا الموضع وتاليه ، وصححه الشنقيطى .

(٤) ا : « قصى » ، والتصحيح للشنقيطى .

(٥) موضعها بياض فى النسختين ، والتكملة بقلم الشنقيطى .

(٦) كذا ورد الكلام فى النسختين ، وفيه ما فيه من تكرار لاندرى صحته .

(٧) فى النسختين : « حدار » .

لعمرى لقد أردت سيوفُ ابن ضَجعمٍ غداةَ التقوا منَّا خطيباً وياسرا[١]
أهانَ الرِّجال بعــــده فـكأنما يَرى بالرِّجال الصَّالحين الأباعرا
فلا تَبعَدن إمَّا لَقيتَ ابنَ مالكٍ سَبيلَ التى فيها لقيت المحاذرا

وقال زهير بن جَناب :

فَجَّمتُ عبدَ القيس أمسِ بجدِّها وسقيتُ هَدَّاجًا بكأسِ الأفول[٢]

ثم أقبل داود حتَّى إذا كان بناحية الرَّقَم تذاكر رجالٌ من قضاعة مادخلهم من الذُّلّ لصُنعه الذى صنعه بنَفْسه ، فتواعدَ رجلان من قُضاعة على قتل داود ، أحدهما ثعلبة القايل بن[٣] . . . . زيد اللاتِ بنُ رفَيدة بن ثَور بن كلب[٤] ، والآخر معاوية بن حجيو بن حىّ بن وائل بن أمر مناة[٥] بن مَشجعة بن التَّيم بن النمر بن وَبْرة ، أخو كلب بن وبرة . فأقبل داودُ يسير ليلاً وأمامَه شَمَعة وهو منصرفٌ إلى الشَّام ، حتى انتهى إلى موضع يقال له بُرقة حارب ، فتقدَّما إلى الشَّمعة فأطفآها[٦] وشدَّا عليه فقتلاه ، فقال عبدالعاص بن ثعلبة التنوخى يرثيه :

لعمرى لنعِمَ المرءُ من آل ضَجعمٍ ثَوَى بين أحجار بُبرقةِ حارب[٧]
أصابتك ذؤبان الحليفَين عامرٍ ومشجعةَ الأوباشِ رهطِ ابن قارب
فتًى لم تلده بنتُ عَمٍّ قريبةٌ فَيضوَى وقد يَضْوَى وليدُ القرائب[٨]
فتى ليسَ بالراضى بأدنَى معيشةٍ وليس له ذُو العجز يومًا بصاحِب

(١) الياسر : اللاعب بقداح الميسر .
(٢) كذا فى النسختين ، ولعلها « الأول » ، أى التى شربها الأولون.
(٣) بعده بياض لـكلمتين
(٤) ا : « أفيدة بن ثور من كلب » ، والتصحيح للشنقيطى .
(٥) كذا ورد هذا النسب .
(٦) ا : « فطفياها » ، صوابه فى ب .
(٧) البيت فى معجم البلدان (برقة حارب) .
(٨) ا : «أو يد الغرائب» ، والتصحيح للشنقيطى.

وقال ثعلبة القاتلُ ، قاتِلُه :

نحن الأولى أردَتْ ظُبَاتُ سيوفنا   دَاوُدَ بين البُرقتَين لخاربِ
خطَرتْ عليه رماحُنا فتركْنَه   لَمَّا شُرِعْنَ له كأمسِ الذّاهب
وكذاك إِنّا لاتزالُ رماحُنا   تَنفِى العِدَى وتفيد رُغْبَ الراغبِ

كانت لداود ابنتان يقال لهما أمرعة ، وأشعرة ، وكان حلّفهما بالشام ، فقدِم عبد العاص التنوخىّ الشام ، فبعثت إليه أمرعة تسأله عن أبيها ، فعرّض لها فلم تفهَمْ ، فقال :

حدِّث حديثين أمرَعَهْ[1]   فإن أبَتْ فأربعه
ثم أدعُها يا فَوزَعَه   إلى الحديث والدَّعَه
ألاَ تراها مُقْنَعَه   وخيلَها مُسلَّعَهْ
فى كلِّ عامٍ شَمشعه   من عامرٍ ومَشجعه

ثم أرسلت إليه أشعرة فحكى لها فلم تفهم ، فقال :

حدِّث حديثين أُشعره   فإن أبَتْ فعَشَره
يارُبَّ خيلٍ مُضْمَره[2]   وغارةٍ مُحَذْفَرة[3]
وحُلَّةٍ محبَّره   بين لِوى . . . .[4]

ففهِمتا قولَه فشقّتا جيبَيْهما ، وحلقَتا رؤوسهما ، فهما أوّلُ من فعل ذلك من العرب .

فَوْزعة ، الذى ذكر : فَوزعة بن سلمة بن وَثاق بن عَمرو بن عوف

---

(١) أورد الميدانى المثل « حدث حديثين امرأة » ولم يتعرض للقصة ولا للرجز .
(٢) ا : « لرب خيل » .
(٣) المحذفرة : المملوءة . وليس ما يستوجب أن نجعلها « مسحنفره » .
(٤) بياض فى النسختين .

ابن ذهل بن حذى بن الدها بن غنم بن حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وكان رسولاً لهما .

ومنهم :

هَمَّام بن مرّة

بن ذهل بن شيبان ، قتله ناشرة بن أغوات .

وكانت أم ناشرةَ هذا هندَ بنتَ معاوية بن الحارث بن بكر بن حبيب ، وكانت جارةً لهمّام ، فأرادت أن تلد ، فاجتمع إليها النساء ، فسمعهنّ همام يقبّلنها[1] يقلن : قد جاء ، قد جاء ! يعنين الولد . فقالت أمُّه : ادقُقْن عنقه . فقال لها همام : ويحَكِ لاتفعلى . قالت : وما يُعيشه ؟ قال همّام : أَمَة تُعيشه ، ولِقْحة ، وجَمَلٌ ذَلول . قالت : بلى فأعطاها إيّاها .

فلمّا كان يوم واردات — وهو من أيام حَرب البَسوس — خرج همّامٌ يسقى الناسَ الماءَ واللبن ، فأبصره ناشرةُ فخَتَله فطعنه فقتله ، وهرب فلحِقَ بقومه ، فقالت أمُّ ناشرة :

لقد عَيَّلَ الأيتامَ طعنةُ ناشِره أناشِرُ لازالت يمينُك آشِره[2]

(١) قبلت الولد تقبله : أخذته عند الولادة ، وهى القابلة .

(٢) أى مأشورة ، أشر الخشبة : نشرها . والبيت فى اللسان (أشر) . والخبر برواية أخرى فى الأغانى ٤ : ١٤٣ . ويروى : « لقد عيل الأقوام » .

ومنهم :

جَسَّاس بن مرّة

ابن ذُهل بن شيبان ، وهو قاتل كُلَيب بن ربيعة . وكانت أخته تحتَ كليب ، فقُتِل عنها وهى حامل ، فرجَعَتْ إلى أهلها ، ووقعت الحرب — حرب ١٧ البسوس — فكان منها ما كان من القتل ، ثم صاروا إلى الموادعة ، بعد ما كادت تتفانى القبيلتان ، فولدت أخت جساس غلاماً فسمّته الهِجْرِس ، فربّاه جساسٌ فلم يعرف أباً غيره ، وزوَّجه ابنتَه ، فوقع بين الهجرِس وبين رجلٍ من بكر بن وائل كلام ، فقال له البكرى : ماأنت بمنتهٍ حتى نُلحِقَك بأبيك . فانصرف الهجرسُ حتى دخل على امرأته بنت جساس مهموماً ، فسألته عمَّا به ، فخبَّرها الخبر . فلما أَوَى إلى فِراشه ووضع أنفَه بين ثديبها وتنفَّس الصُّعَداء تنفُّسةً تنفطَّ منها مابين ثدييها ، فقامت الجارية فزِعةً قد أقلّتها رِعدة حتى دخلَتْ على أبيها فحدَّثته الحديث ، وقصَّت عليه قصة الهجرس ، فقال جساس : ثائرٌ وربّ الكعبة ! وبات على مثل الرَّضْف[1] حتى أصبح ، فأرسل إلى الهجرس ، فأتاه ، فقال له : إنما أنت ولدِى وختَنى ، وبالمكان الذى قد علمتَ ، وقد زوَّجتُك ابنتى وأنت معى ، وقد كانت الحربُ فى أبيك زماناً طويلا حتى كِدنا نتفانى ، وقد اصطلحنا وتحاجزنا ، وقد رأيتُ أن تدخل فيما دخَلَ فيه الناسُ من الصلح ، وأن تنطلق معى حتى آخذ عليك مثلَ ما [أُخِذ[2]] علينا وعلى قومك . فقال الهجرس : أنا فاعل ، ولكنّ مثلى لا يأتى قومه إلا بلَامته وفرسه ! فحمله جساسٌ على فرس ، وأعطاه لَأْمةً ورُمحاً ، فخرجا حتى أتيا جماعةً من قومِهما ،

(١) الرضف : الحجارة المحماة بالشمس أو النار .

(٢) التكملة من ابن الأثير ١ : ٣٢٢ والأغانى ٤ : ١٥٠ حيث نقل الخبر عن ابن حبيب .

فقصّ عليهم جساسٌ ما كانوا فيهٌ من البلاء ، وما صاروا إليه من العافية ، ثم قال : وهذا ابن أخق قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ، ويعقِد ماعقدتم . فلما قرّبوا الدم وقاموا إلى العقد أخذ المجرس بوسط رمحه ثم قال : « وفرَسِى وأُذُنيه ، ورُمحى ونَصْلَيه ، وسيفى وغَرْبَيْه ، لايترك الرجلُ قاتلَ أبيه وهو ينظر إليه ! ». ثم طعن جَساساً فقتلَه ولحق بقومه ، فكان آخر قتيلٍ فى بكر بن وائل .

ومنهم : ١٨

عمرو وإخوته ، بنو الزبّان الذُّهلىّ

وكان سبب ذلك أن كثيف بن التَّغلبى انهزم فى بعض أيام بكر وتغلب ، وألَظَّ به[1] مالك بن كُومة[2] الشيبانى ، وكان مالكٌ رجلا نحيفاً ، وكان كثيف رجلا أيِّدًا ، فلما لحقه ابن كومة اقتحم عن فرسِه[3] لينزل إليه مالكٌ فيقهرَه بفَضْل قوّته وبدَنه ، فأوجرَه مالكٌ الرمحَ وقال : والله لتستأسرنّ أو لأُنفِذنّك به ! فاستأسر ، ولحقه عَمْرو بن الزَّبّان[4] فقال: أسيرى ! وقال مالك: أسيرى ! فقالا لكثيف : لقد حكّمناك[5] فى نفسك . فقال كثيف : لولا مالكٌ لأُلفيت فى أهلى ! فغضب عمرو بن الزّبّان ، فلطم خدَّ كثيف ، فقال مالك: تلطم خدَّ أسيرى يا كثيف؛ فإنى قد جعلت فداءك لك بلطمةِ عمرٍو خدّك . وأطلقه . فحرّم كثيف النساء والخمر حتى يثأرَ من عمرٍو لطمته ، فوضع عليه العُيون، فأتاه رجل من غُفَيلة بن قاسط ، فقال : ألا أدلُّك على بنى الزَّبّان ، فقد نَتَجوا ناقةً حُوَارًا واشتَوَوْه وهم يأكلون ، وكانت نَدّت لهم إبلٌ فخرجوا فى طلبها فردُّوها . فقام كثيف

---

(١) ألظ به : ألح عليه . فى النسختين : « فألط به » .

(٢) فى النسختين : « كومة » فى هذا الموضع فقط .

(٣) جعلها الشنقيطى « عنق فرسه » . (٤) فى القاموس (دهم) : « الريان » .

(٥) ب : « حكمناك » .

بضِعف عِدّتهم ، وقال : مُرُّوا بجانبهم فإذا دُعِيتم إلى الطعام فليكتنفْ كلَّ[1] رجلٍ منهم رجلان منا . فمرُّوا بالقوم وهم على طعامهم فدعوهم إلى الطعام فأقبلوا ، ففعلوا ما أُمروا به ، فلما حَسَر كثيف العمامةَ عن وجهه قال له عمرو : يا كثيف ، هذا خَدّي فالطمه ففيه وفاء من خدك ، وما في بكر بن وائل أكرم منه . قال : لا ، حتى أقتلك . قال : فدعْ هؤلاء الفتيةَ الذين لم يتلبَّسوا من الحروب بشيء . قال : فأبَى ، فقتَلهم أجمعين ، وبعث رءوسهم في غِرارةٍ ، وعلَّقها في عنق «الدُّهَيم» ناقة عَمْرو بن الزَّبّان .

١٩ ومنهم :

عمرو بن مسعود ، وخالد بن نَضْلة ، الأسديّان

وكانا يفدان على المنذر الأكبر اللَّخميّ في كل سنة ، فيقيمان عنده وينادمانه . وكانت أسد وغطفان حلفاء لا يدينون للملوك ، ويُغيرون عليهم ، فوفَدا سنةً من السنين ومعهما سَبْرة بن عُمير الشاعر الفقعسيّ ، وحبيب بن خالد ، فنادم المنذرَ عمرٌو وخالدُ بنُ نَضْلة ، فقال المنذر يوماً لخالد ، وهم على الشراب : ياخالد ، مَن ربُّك ؟ فقال خالد : عمرو بن مسعود ربِّي وربُّك . فأمسك عليهما[2] ، ثم قال لهما بعد : ما يمنعكُما من الدُّخول في طاعتي ، وأن تذبُّوا عنِّي كما ذبَّت تميم وربيعة[3] ؟ فقالا : أبيت اللعن ، هذه البلاد لا تلائم مواشيَنا ، ونحن مع هذا قريبٌ منك ، نحنُ بهذا الرمل ، فإذا شئتَ أجبناك . فعلم أنَّهم لا يدينون له . وقد سمع من خالدٍ الكلمة الأولى ، فأومأ إلى الساقي فسقاهما سمّاً ، فانصرفا من عنده من

---

(١) ا : « من كل » ، صوابه في ب .

(٢) ا : « عليها » ، صوابه في الخزانة ٤ : ١٠٥ حيث نقل نص ابن حبيب . وجعلها الشنقيطي « عنهما » .

(٣) الخزانة : « وأن تدنوا مني كما دنت تميم وربيعة » .

السُّكر على خلاف ما كانا ينصرفان ، فلما كانا فى بعض الليل أحسَّ حبيبُ ابن خالدٍ بالأمر، لما رأى من شدّة سكرهما، فنادى خالدًا فلم يجبْه، فقام إليه فحرَّكه فسقط بَعْضُ جسده ، وفعل بعمرٍو مثلَ ذلك ، وكان حاله كحال خالد ، فأصبح المنذر نادماً على قتلهما ، فغدا عليه حبيب بن خالد فقال : أبيتَ اللعن ، أسعدك الأهل ، نديماك وخليلاك تتابَعا[1] فى ساعة واحدة . فقال له : يا حبيب أعَلَى الموت تستعدينى ، وهل ترانى إلاَّ ميِّتاً[2] وأخا ميت وأبا ميت ؟ ثم أمر فحُفِر لهما قبران ودُفنا فيهما ، وبنى عليهما منارتَين ، وهما الغَرِيَّان ، وعَقَر على كلّ قبر خمسين فرساً وخمسين بعيراً ، وغرّاهما بدمائهما، وجعل يومَ نادَمهما[3] يومَ نعيم، ويوم دَفَنَهما يوم بؤس . وقال الشاعر[4] فيهما :

ألا بَكر النَّاعى بخيرَىْ بنى أسَدْ ... بعمرٍو بن مسعودٍ وبالسيِّد الصمَدْ
يُشَقّ بصحراء الحبيل له الثَّرَى ... وما كنت أخشى أن يُزار به بَلَدْ[5]

ومنهم :

خالد بن جعفر بن كلاب

وكان وفد على الأسود بن المنذر الأكبر ، ووفد الحارث بن ظالم المرى .

وقد كان خالدٌ قتَل زُهير بن جَذيمةَ بن رَوَاحة العبسى ، وكان سيد غَطَفان ،

---

(١) كذا بالباء فى النسختين والخزانة ، وأراها « تتايعا » بالياء ، أى تساقطا .

(٢) فى النسختين : « وهل ترى إلا أنى ميت » .

(٣) كذا فى ا والخزانة ، وجعلها الشنقيطى : « ندامهما » .

(٤) هى هند بنت معبد بن نضلة . معجم ما استعجم ٩٩٦ . وانظر البيان ١ : ١٠٨ وشروح سقط الزند ١٨١٦ .

(٥) الحبيل ، وردت بالحاء المهملة فى النسختين . أخشى هنا بمعنى أعلم . قال :

ولقد خشيت بأن من تبع الهدى ... سكن الجنان مع النبى محمد

أى علمت . والبلد : القبر . ويزار ، هى فى النسختين « يزاد » . وفى القرآن الكريم : « حتى زرتم المقابر » ، أى متم . وفى البيان : « أن تناءى به البلد » أى تبعد .

فقدِّم إليهما تمرٌ(١) على نِطْع ، فجعلا يأ كلان ، فقال خالد للملك : أبيتَ اللعنَ ، مَن هذا ؟ قال له(٢) : هذا الحارث بن ظالم . فقال خالد للحارث : يا حارث ، ما أحسبنى إلا حَسَن البلاء عندك فكيف شكرك لى ؟ فقال الحارث : وما بلاؤك عندى ؟ قال : قتلتُ عَمَّكَ فسُدتَ قومَك(٣) . قال : سأجزيك به .

وجعل الحارث يَنْبُث(٤) التمر بيده ولا يُبصر ، غضباً . فقال خالد : مالك تنبُث التمر ، أيتَّهنَّ تُريغ ؟ فقال الحارث : على أيتّهن تخافنى ؟ فأمر الملك برفع التمر ، وقام الحارث فانصرف إلى رَحْله ، فقال الأسود : لِمَ تمرَّضْت لهذا الكلب وأنتَ جارى ؟ فقال خالد : أبيتَ اللعن ، هذا أحد عَبيدِى . فلما كان الليل بعث الأسود بجاريةٍ له ، معها عُسٌّ ضخم مملوًّا(٥) خمرًا إلى الحارث وقال له : يقول لك الملك : عزَمت عليك لَمَّا شربت هذا — يريد أن يسكره فينام — فأخذه الحارث كأنَّه يشربه ، فسَفَحه بين ثوبَيه وجسده . فلما مضى هُنَيٌّ(٦) من الليل قام إلى قُبّة خالد وقد أُشْرِجَتْ عليه ، فهتَك شَرجها ودخل عليه فقتله واغترَز فى رَحْلِه ومضى(٧) .

---

(١) جعلها الشنقيطى « تمرا » . وفى المحبر ١٩٣ : « فدعا لهما بتمر ، فجىء به على نطع » . وانظر الخبر بخلاف فى الرواية عند ابن الأثير ١ : ٣٣٨ .

(٢) ب : « قاله » .

(٣) فى المحبر : «قال : لأنى قتلت عمك، وهو أشرف قومك ،زهير بن جذيمة ، فتركتك سيدهم » .

(٤) ينبث : ينبش .

(٥) كذا فى النسختين ، منصوب على الحال .

(٦) مصغر هنو ، بالكسر ، وهو الوقت .

(٧) اغترز : ركب . والغرز : ركاب الرحل .

ومنهم :

الفِطْيَوْن

وهو عامر بن عامر بن ثعلبة بن حارثة[1] ، وكان يهوديًّا ، وكان عزيزاً بيثربَ مُمتنِعا ، وكان يعتذر النِّساء قبلَ أزواجهنّ ، وكانت يثربُ قد دانَتْ له ؛ فلم تزلْ تلكَ حالَه حتّى زوّجت أخت مالك بن العجلان بن زيدٍ الخزرجى ثمّ القَوْقلى[2] ، وهو يومئذ شابٌّ ، فلما كان يوم جِلائها وأُجلِسَتْ على مِنصَّتها قامت على المِنصَّة ، فخرجت على نادى قومها كاشفةً عن ساقِها . فلما رآها مالك وثب فقال : أىْ عدُوّةَ الله ، تخرُجين على قومِك كاشفةً عن ساقيك ، سَوءةً لكِ ! فقالت : سوءةً لكَ ! فالذى يراد بى أقبحُ ممّا صنعتُ . إنّهُ يُذهَب بى إلى غير زوجى فيُصيبنى ! فارتاع مالك وقال : صدقتِ والله فهل فيك خير ؟ قالت : ينبغى أن يكونَ الخيرُ عندك . فلما ذُهِب بها لبس مالكٌ لِبْسةَ النِّساء واشتمل على سيفٍ صارم ، ودَخَل مع النساء فانكَمَى فى داخل البيت ، فلما خرج النِّساء وخلا الفِطْيَوْن مع المرأة خَرجَ عليه مالكٌ فضرَبه بالسَّيف حتّى بَرَدَ ، وأخذ بيد أخته فخرج بها مع نسائها ، وتصايَحت يهود ، وطلبوا مالكاً ، فامتنع بقومه ، ثم خرج هارباً ومعه عدّة من الأوس والخزرج حتى قدموا على أبى جُبَيلة ملك غسّان ، فأعلموه غلبةَ يهودَ عليهم وفعلَهم ، فقدِم أبو جبيلة بيثرب واتّخذ

---

(١) قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٥٩ : « ومنهم الفطيون الملك وهو اسم عبرانى أيضا. وكان الفطيون تملك بيثرب فقتله رجل من الأنصار قبل أن يسموا بهذا الاسم فى الجاهلية الأولى » . وقد اتفقت النسختان هنا على أنه « عامر بن عامر » . وانظر جمهرة ابن حزم ٣٧٣. وفى حواشى الاشتقاق : « الفطيون واسمه عامر بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الحارث المحرق بن عمرو مزيقياء . قاله ابن الكلبى » .

(٢) ا : « النوفلى » ، صوابه من الشنقيطى . وقد عده ابن دريد فى الاشتقاق ٢٠٧ من رجال بنى قوقل ، قال : « ومنهم مالك بن العجلان سيد الأنصار فى زمانه ، وهو قاتل الفطيون » .

طعاما ودعا إليه أشراف يهودَ والأوسِ والخزرج ، فلما طَعِموا جعلَ يدفع إلى ٢٣ الرَّجل سيفاً فيضطربان به ، حتَّى قتَل بهذا الفعل مائةً من أشراف اليهود ، فكان الرّجلُ يقتل أخاه وابنَ عمه ، ثم انصرف راجعاً إلى الشام ، فقويت الأوسُ والخزرج عليهم .

ومنهم :

لخنيعة(١) ينوف ذو شَناتر الحميرى

وكان ملك اليمن ، ولم يكن من أهل المملكة ، وإنما كان ملكهم حين قتل مَوْثبان أخاه ، فاضطرب أمرهم حتى ملكهم لَخْنيعة ، وكان فاسقاً يعمل عَمَل قوم لوط ، وكان يبعث إلى أبناء الملوك فيلُوط بهم ، وكانت حِمْيَرُ إذا ليط بالغلام لم تملِّكه ولا ترتفع به(٢) ، وكانت له مَشْرُبة فيها كَوّة تُشرِف على حرسه ، فإذا أتاه الغلام ينكحه قُطِعت مشافر ناقته وذَنبها ، ثم يطَّلع لَخْنيعة من الكَوّة وفى فيه مِسواكه فهى علامةُ نكاحِه إيَّاه ، فإذا نزل الغلام صاحوا به : أرطب أم يُباس(٣) ؟ فمكث كذلك زماناً حتى نشأ زُرْعة وهو ذو نُوَاس ، وكانت له ذُؤابةٌ فيها سُمِّى ذو نواس ، وهو الذى تهوَّد وتسمَّى يوسف ، وهو صاحب الأُخدود بنَجْران ، وكانوا نصارى فحرَّقهم وحرّق الإنجيل ، وهدم الكنائس على أن يهوّدوا ، فبسببه غزَت الحبشةُ اليمن ، وذلك لأنّ الحبشة نصارى ، فلما علَت الحبشةُ على اليمن(٤) اعترض البحر فأقحمه فرسَه فغَرِق . فلما نشأ زُرعة هذا

---

(١) انظر ما سبق فى ص ١١٧ .

(٢) ا : « تنتفع به » ، وصححه الشنقيطى موافقا ما فى الأغانى ٢٠ : ٨ . والخبر بإيجاز عند ابن الأثير ١ : ٢٤٩ — ٢٥٠ » .

(٣) لم ترد هذه الصيغة فى المعاجم المتداولة . وفى الروض الأنف ١ : ٢٩ : « واليباس واليبيس مثل الكبار والكبير » .

(٤) الأغانى : « فلما غلبوا على اليمن » .

قيل له : كأنك بالملك قد دعاك فيلعب بك كما لَعِب بغيرك! فاتخذ سكّيناً رقيقاً(١) فلما بعث إليه لخنيعة يدعوه عَرَف ما يريد ، فجعل السكين بين أخمصه ونعله ، وأتاه على ناقةٍ له يقال لها سَرَاب ، فأناخها ثم صعِد إليه ،فلما صعد زرعة قام إليه كما كان يقوم لغيره ، وذهب يعالجه، فانحنى زُرعةوأخذ السكين فوجأ به بطنه(٢)

. . . .

٢٤ بجرأتهم عليه ، فأقبل الحيّانِ شاكر ونهم إلى زيد بن مرت فقالوا : أنت سيدنا وأنت نديمُ الملك وجليسه ، وقد آلَى بما تعلم، ووالله لايصل إلى إخواننا ومنّا رجلٌ حيٌ، فسَلْه فليصْفَح . فقال : إنه قد آلى ، ولايرجع عن أليّته. قالوا: فإنْ أبَى فاقتله ونحن نملِّكك علينا .قال :لاتَعجَلوا وأمهِلوا حتى أرى لذلك(٣) موضعاً . فأمسكوا .قال(٤) :فبينا زيدٌ جالسٌ مع علقمةَ إذ جرى ذِكر السيوف، فقال علقمة : عندى سيفٌ كان لأجدادى إليه الميل . فقال له زيد : أبيت اللعن، ادعُ به لأنظر إليه . فدعا به ، فنظر إليه علقمةُ ساعةً ثم ناوله زيداً ، فنظر إليه وإذا فيه مكتوب : « ضرس العَير ، سيف الجَبْر(٥) ،باستِ امرئٍ وقع فى يده لم

---

(١) الأغانى : « فأخذ سكينا لطيفا خفيفا وسمه وجعل له غلافا » .

(٢) هذه الكلمة لم تثبت فى ا إلا فى أسفل الصفحة، إشارة إلى أنها بدء الصفحة التى تليها . ومن الواضح أن بعدها سقطا تنتهى به هذه القصة ، ثم تبتدئ به القصة التى تليها . وقد كتب الشنقيطى فى هــذا الموضع « يقين أن هنا نقصا » . وتمـام القصة فى الأغانى : « فقتله واحتز رأسه فجعل السواك فى فيه وأطلعه من الكوة ، فرفع الحرس رءوسهم فرأوه ، ونزل زرعة فصاحوا : زرعة ياذا نواس ، أرطب أم يباس ؟ فقال : ستعلم الأحراس ، أاست ذى نواس ، رطب أم يباس . وجاء إلى ناقته فركبها، فلما رأى الحرس الرأس صعدوا إليه فإذا هو قد قتل . فأتوا زرعة فقالوا : ما ينبغى أن يملكنا غيرك بعد أن أرحتنا من هذا الفاسق ! واجتمعت حمير إليه » .

(٣) ا : « لك » ، والتصحيح للشنقيطى .

(٤) فى النسختين : « فقال » .

(٥) فى النسختين : «الجير » ، وإنما هو « الجبر » ومعناه الملك .

يغضبْ لقومه » فهزّه زيد ساعة ثمّ ضربه به فقتله، ووثبت هَمْدان فألبسوه التاجَ وملَّـكوه عليهم . وفى ذلك يقول شاعرهم :

فيمَّم ضِرسَ العير مَفرَق رأسه   فخرَّ ولم يثبتْ لحقِّك باطلُه
فلم أرَ يوماً كان أكثر باكياً   غداةَ غدَا مِلْ بُون تُحدَى رواحِلُه
وغادره يكبو لِحُرِّ جبينـــه   ووُرِّث زيداً تاجُـــه وحلائلُه

ومنهم :

الصمة الأكبر

وهو مالك بن بكر بن عُلْقة بن جُداعة ، أخو بنى جُشَم بن معاوية بن بكر ابن هوازن[1] ، وكان غزا بنى قيس بن حنظلة ، من البراجم ، فأسره الجَعْد بن الشَّماخ البُرجُمى وفضّ أصحابه ، فمكث عنده عاما لا يُفدَى ، فلما طال ذلك عليه
٢٥ جعلَ يأتيه فى كلِّ رأسِ شهرٍ بأفعى فيقول: والله لتُفْدَينَّ أو لأُعِضَّنَّها بك ! فلما طال ذلك عليه قال : يا هذا إنّ قومى لا أراهم يفدوننى ، فجُزَّ ناصيتى على الثواب . ففعل وأطلقه .

ثمّ إن الجعدَ أتاه يستثيبه، فقدَّمه فضَربَ عنقه، وأتى على ذلك ماشاء الله .

ثم إن الصمَّة حضر الموسم ، فانفق الصمة وأبو مَرحبٍ ثعلبة بن حصبة بن أزنَم بن ثعلبة بن يربوع ، عند حَرب بن أميَّة ، فقدَّم إليهما سَوِيقاً وتمراً ، فجعل الصِّمَّة يأكل ويُلقِى النَّوى بين يدىْ ثعلبة ، فقال : ويحكَ يا ثعلبة ، أكلتَ التمر كلَّه ؛ أما ترى النوى بين يديك ؟ ! فقال له ثعلبة: إنى كنتُ ألقِى النوى، وأنت تأكل التمرَ بنواه ، فلذلك عَظُم بطنك . فقال الصمة : إنما عَظَّمَ بطنى

---

(١) فى المؤتلف ١٤٤ . « فالصمة الأكبر هو مالك بن الحارث بن معاوية بن جداعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن » .

دماء قومك ابن[1] الجعد بن الشماخ . فقال أبو مرحب : ما نحرك برجلٍ أسَرَكَ ومنَّ عليك ثم أتاك مستثيباً فقتلته؟ إن لله عليَّ أن لا أراك فى غير هذا الموضع إلا قتلتُك أو متُّ دونك ! فافترقا .

ثم إن الصِّمَّة غزا بنى تميم فهُزِم أصحابُه، وأُسر هو وابنه معه وبعضُ أصحابه، أسره الحارثُ بن بَيْبة[2] المجاشعىّ جدُّ البَعيث الشَّاعر. فقال الصمّةُ للحارث بن بَيبة : سِرْ بى فى بلادك حتى أفتدىَ أصحابى . وكانت الحجرة لبنى رياح بن يربوع ، إليها تجتمع بنو حنظلة فى أمورها ، فجاء الحارث مُردِفاً الصمة حتى إذا نزل رآه أبو مَرحب ، فدخل بيتَه واشتمل على السيف ، ثم خرج والناس غافلون ، فضربَ به بطنَ الصمة فقتلَه ، وصاح الحارث: يالَ دارم! قُتِل أسيرى فى يدى ! ٢٦ فثارت يربوع ودارم ، فكاد يقع القتال بينهم ، فسَفَرت السُّفراء بينهم، وأرضى الحارثُ بنُ بَيْبة من الصِّمَّة فسكَنوا .

ومنهم :

عدىّ بن زيد

بن أيوب بن حمار[3] العِبادىّ الشاعر ، أحد بنى امرئ القيس بن زيد مناةَ بن تميم ، وكان كاتباً لكسرى على ما يُجتَبَى من الغُور ، وكان هو سبب مُلكِ النُّعمان بن المنذر اللَّخمى .

وكان لعدىّ بن زيدٍ عدوٌّ من أهل الحيرة يقال له عدِىّ بن مَرِينا . فلم يزل يلاطف النعمان حتى غلَبَ على سَمَرِه ونزل منه أحسنَ منزِلة ، فجعل يَبغِى عدىَّ بنَ زيدٍ الغوائل ، ويَحمل النعمانَ عليه حتى وغَّر صدرَه ، فكتب إلى

---

(١) كذا وردت هذه الكلمة .

(٢) ا : « نبيه» فى هذين الموضعين وماسيأتى، وصححه الشنقيطى. وانظر الاشتقاق ١٤٧ .

(٣) كذا فى ا وهى إحدى روايتين فى اسمه، وجعلها الشنقيطى «حماد » بالدال . ويروى « حماز » و « خمار » .

كسرى يستزيره متشوّقاً إليه[١] ، فأذن كسرى لعدىٍّ فى زيارته ، فلما بلغ النعمانَ خروجُ عدىٍّ إليه أجلس له قوماً فأخذوه قبل أن يصل إليه ، فمضوا به إلى الصِّنّين[٢] فحبسَه هناك ، فقال عدىُّ بن زيد شِعرهُ[٣] كلَّه أو أكثَرَهُ فى الحَبْس .

ثم إنّ أخاهُ كلَّم كسرى ، فوجَّه كسرى رجلاً يخرجُه من السجن . فلما أتاه الرجل بدأ بالسجن فدخله ، ثم رجع إلى النعمانِ بكتاب كسرى فى أمره ، فوثب أعداؤه عليه فغمُّوه حتى مات ، وكتب إلى كسرى إنه مات قبل وصول كتاب الملك ، وأوصى الرسولَ فستر أمر عدىٍّ ، ووافق كتاب النُّعمان .

ومنهم :

عُروَة الرَّحّال[٤] بن عتبة

بن جعفر بن كلاب. وسبب قتله أن النعمان بن المنذر كان يوجّه فى كل موسم بعيرٍ تحمل التِّجارات تباع له فى الموسم ، فكان بَلعاء بن قيس يَعرِضُ لها ، فكان يُجيرُها له بعضُ أشراف العرب الأعزّاء ، فحضر عُروةُ الرَّحّالُ النعمانَ ، وقد جهَّز عِيرَه وجلس فى فِنائه وعنده وفودُ العرب ، وحضر البَرّاض الكنانى وكان خليعاً فاتكا ، فقال النعمان : مَن يُجير هذه العِير ؟ فقال البراض : أنا أجيرُها . ٢٧
فقال له عروة : أنت تجيرُها على أهل الشِّيح والقيصوم ؟ إنما أنت كالكلب

---

(١) ب : « متشوقا » بالقاف .

(٢) رسمت فى ا « الصرن » وفى ب « الصرت » ، صوابهما ما أثبت موافقا ما فى الأغانى ٢ : ١١٦ طبع دار الكتب . وصنين بلفظ مثنى الصن : بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر ، وبه نهر ومزارع . ياقوت ٦ : ٣٩٥ .

(٣) فى النسختين : « شعرة » ، تحريف .

(٤) قال البكرى : « سمى رحالا لأنه كان وفادا على الملوك وذا قدر عندهم » . اللآلى ٦٧٢ .

الخليع — وكان البرّاضُ رثَّ الهيئة ومعه سيف قد أَكِل غمدُه : أنت أضيق استاً من ذلك ، ولـكنّى أيها الملك أجيرُها من الحيَّيْنِ . يريد قيساً وخندف . فقال البراض : أنت تجير على أهل تهامة ؟ فلم يلتفت النعمان إلى قوله وازدراه ودفعها إلى عروة ؛ فخرج بالعِير ، وخرج البراض فى أثره حتى إذا كان ببعض الطريق أدركه البراض ، فتقدم أمام عِيره وأخرج الأزلامَ يستقسم بها[1] ، فمرّ به عروةُ فقال : ما تصنع ؟ فقال:أستَخِير فى قتلك . فضحك ولم يرهِ شيئاً . ثم سار عُروةُ حتى انتهى إلى أهله دُوَين الجريب[2] على ماء يقال له أُوَارة، فأنزل اللَّطيمة وسَرَّحوا الظهر[3] . وقد كان البراض يبتغى منه غِرَّة فلم يقدر عليهاحتى صادفَه نصفَ النهار فى ذلك اليوم، وهو نائم وحدَه فى قُبَّة من أدم، فدخل عليه فقتَلَه ومضى .

ومنهم :

كعب بن عبد الله النمرى

وكان المنذر ذو القرنين بن ماء السماء[4] دعا ذاتَ يومٍ الناس فقال : مَن يهجو الحارث بن جَبَلة الغسانىَّ ؟ فدعا حَرملةَ بن عَسَلة الشَّيبانى ، فيمن دعا

---

(١) انظر الاستقسام فى (كتاب الميسر والأزلام) من تأليفنا ص ٥٢ — ٨٢ .

(٢) ا : « دويب الجريب »، وصححه الشنقيطى بما يطابق ما تجده فى المحبر لابن حبيب ١٩٦ .

(٣) فى المحبر : « فلما انتهى عروة إلى أهله . . . . . . أنزل اللطيمة وسرح الظهر» . وانظر خبر فتـكة البراض فى الأغانى ١٩ : ٧٥ والسيرة ١١٨ جوتنجن . وكانت تلك الفتـكة فى الشهر الحرام .

(٤) هو المنذر بن امرئ القيس، وهو ذو القرنين ، وأمه ماء السماء، وهى ماوية بنت عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة . ملك الحيرة تسعا وأربعين سنة . المحبر لابن حبيب ٣٥٩ .

— وأمُّ حرملة من غسان — فقال : أهجُه . فقال : لا يَنطلقُ لسانى بشَتمِه . وأنشأ يقول :

ألم ترَ أنِّى بلغت المشيبا وفى دار قومىَ عفًّا كسوبا
وإن الإلٰه تنصَّـــفتُهُ بأن لا أعقَّ وأن لا أحُوبا
وأن لا أُكافِرَ ذا نعمـــةٍ وأن لا أخيِّبـــه مستثيبا[1]

---

(١) بعد هـــذا سقط فى النسختين . وهذه الـكلمة فى أسفل صفحتها وكتب تحتها « وغار » — صوابها « وغسان » — وهو بدء الصفحة الساقطة . وقد روى صاحب الخزانة القصة كاملة من كتاب ضالة الأديب لأبى محمد الأعرابى ، وقال فى نهايتها : « وكذا أورد هذه الحـكاية محمد بن حبيب فى كتاب المتولين غيلة » .

وهذا بقية الخبر من الخزانة ٤ : ٢٣٠ — ٢٣١ :

وغَسَّانُ قومى همُ والدِى فهـــلُ ينسيَنَّهم أن أغيبا
فأوزعْ بها بعضَ من يَعتريكَ فإنّ لها من مَعدٍّ كليبا
وإنَّ لخالىَ مندوحـــةً وإنَّ علىَّ بغيبٍ رقيبا

فانبرى شهاب بن العيف ، أخو بنى سلامة من عبد القيس ، فقال :

* لا هُمَّ إن الحارث بن جَبَله *

فأسرهما الحارث بن جبلة فى هزيمة المنذر فقال : ياحرملة ، اختر ما شئت فى ملـكى . فسأله جاريتين ضرابتين ، فأعطاهما إياه ، فنزل فى النمر فقعد يشرب هو ورجل من النمر يقال له كعب ، فلما أخذ الشراب فى النمرى قال : ياحرملة ، من هذه المرأة الحمراء ؟ مرها فلتسقنى! فغضب حرملة ، ثم أعادها ، فضربه حرملة بالسيف فقتله ، وقال فى ذلك :

يا كعب إنَّك لو قَصَرت على حُسْنِ النـــداء وقلّة الُجرم
وسماعِ مُسمِعةٍ تعلّلنـــا حتى نؤوب تناوُمَ العُجْمِ
لوجدتَ فينا ما تحاولُ مِنْ صافى الشراب ولذة الطعم

مع أبيات خمسة أخرى . وقال لابن العيف : اختر منى ثلاث خلال : إما أن أطرحك على أسدين ضاريين فى بئر ، وإما أن ألقيك من سور دمشق ، وإما أن يقوم الدلامص — سياف كان له — فيضربك بعصاه هذه ضربة . فاختار ضربة الدلامص ، فضربه — زعموا — على رأسه فانكسرت فخذه ، فاحتمله راهب وداواه حتى برأ وهو يخمع منها . فـكان هذا والحارث يومئذ بقنسرين . وكلمة « فخذه » أراها « قمحدوته » .

وانظر أيضاً المفضلية رقم ٧٢ والمؤتلف والمختلف ١٥٧ — ١٥٨ .

[ومنهم :

كعب بن الأشرف(١)]

. . . .

٢٨ الله صلى الله عليه وسلم بقريش يوم بدر خرج إلى مكة ، فجعل يرى أهل القَلِيب ويحرِّض قريشاً على الطلب بثأرهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشبِّب بنساء المسلمين حتى آذاهم ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه سلم : مَن لى بابنِ الأشرف ؟ فقال محمد بن مسلمة(٢) ، أخو بنى عبد الأشهل : أنا لَكَ به يا رسول الله ، أنا أقتلُه إن شاء الله تعالى . فقال له رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم : فافعل إن قدَرتَ على ذلك . فمكث أياما لا يأكل من الطعام إلا ما يُعلِق به نفْسَه(٣) . فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه فقال : لِمَ تركتَ الطعام والشراب ؟ فقال : يا رسول الله ، قلتُ لك قولًا لا أدرى أفى به أم لا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إنما عليك الجهد . قال : فإنه لابد لنا أن نقول . فقال صلى الله عليه وسلم : قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حِلّ . فاجتمع على قتله محمد بن مسلمة ، وسِلْكان بن سلامة بن وَقْش ، وهو أبو نائلة ، أحد بنى عبد الأشهل ، وكان أخاه من الرضاعة ، وعباد بن بِشر بن [وَقْش ، والحارث بن أوس بن معاذ ، وعبد الرحمن بن(٤)] جَبْر(٥) أخو بنى حارثة ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله

---

(١) تكملة متعينة . وانظر مقتل كعب فى السيرة ٥٤٨ ـ ٥٥٣ والأغانى ١٩ : ١٠٦ والطبرى ٣ : ٢ ـ ٥ . ونص الطبرى أقرب النصوص إلى ما عند ابن حبيب .

(٢) ا : « بن سلمة » وصححه الشنقيطى . الإصابة ٧٨٠ .

(٣) جعلها الشنقيطى : « تعلق » وفى الطبرى : « يعلق نفسه » .

(٤) بنحو هذه التكملة المستقاة من المحبر ٢٨٢ والسيرة ٥٥١ والطبرى ، يلتئم الكلام .

(٥) فى النسختين : « جبر » صوابها مما تقدم .

عليه وسلم فأذِن لهم ، فمضوا حتى انتهوا إلى أَطَمة[١] فتقدَّمهم أبو نائلة فهتف بكعب ، وكان حديثَ عهد بعُرْس ، فوثب في مِلحفته، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت : مُحارِب[٢] ، وإن صاحب الحرب لاينزل في مثل هذه الساعة ! فقال : إنه أبو نائلة ، لو وجدنى نائما ما أيقظنى . فقالت : والله إنى لأعْرِف في صوته الشَّرّ ! فقال كعب: لو يُدعَى الفتى لطعنةٍ أجاب !

٢٩ فنزل فتحدَّث معه ساعة[٣] وقال له : هل لك يا ابن الأشرف في أن نتماشَى إلى شِعب العجوز[٤] فنتحدثَ به بقيةَ ليلتنا ؟ فمشى وهو ينشد كلمته :

رُبَّ خالٍ ليَ لو أبصرتَه   سَبِطِ المِشيةِ أبّاءٍ أَنِفْ[٥]

وقد استخفى أصحابُه بظِلِّ النخل،ثم قال له أبو نائلة:ويحكَ يا ابن الأشرف، إنِّى جئتُك لحاجةٍ أذكرُها لك ، فاكتم عليَّ. قال: أفعلُ . فقال : كان قدومُ هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء ، عادَتنا العربُ ورمَوْنا عن قوسٍ واحدة ، وقُطِعت عنَّا السُّبل ، حتى ذهبَ العيال، وجُهِدت الأنفس!فقال كعب: أمَا والله لقد كنتُ أخبرك يا ابن سَلَامة أنّ الأمرَ سيصير إلى ما كنتُ أقول لك! فقال سِلْكان: إنى أردتُ أن تبيعَنا طعاماً ونُرْهِنَك ونوثِّق لك ونُحْسِن في ذلك . فقال: ترُهِنُونى أبناءكم ؟ فقال له سِلْكان : لقد أردتَ أن تفضحنا ، إنَّ معى أصحاباً لى على مثل رأيى ، وقد أردتُ أن آتيك بهم فتبيعَهم وتُحْسِن إليهم

---

(١) الأطمة : بناء مرتفع كالحصن .

(٢) في السيرة : « إنك امرؤ محارب » .

(٣) السيرة : « فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه » ، والكلام هنا يقتضى « معه » ، فإن أصحاب أبى نائلة كانوا مستخفين بظل النخل ، كما سيأتى في س ٩ .

(٤) موضع بظاهر المدينة قتل عنده كعب . معجم البلدان .

(٥) طبقات الشعراء ٢٣٨ تحقيق محمود شاكر والمرزبانى ٣٤٣ . وفي الأغانى ١٩: ١٠٥ ـ ١٠٦ أبيات من القصيدة .

فى ذلك، وتُرْهِنَكَ من الحَلْقة[1] مالك فيه وفاء. فقال كعب: إنّ فى الحلقة لَوَفَاءً.

ثم إن سلكان شامَ يَدَه فى فَوْدِ رأسه ثم شمَّ يده وقال: ما رأيت كالليلة طِيبَ عطرٍ قطُّ! ثم مشى ساعةً ثم عاد لمثلها حتى إذا اطمأن عاد لمثلها، فأخذ بفَوْدَىْ رأسِه ثم قال: اضربوا عدوَّ الله، فاختلفت عليه أسيافهم فلم تُغْنِ شيئاً. فأخذ محمد بن مَسلمة مِغْولاً[2] كان معه فوضعه فى ثُنَّتِه وتحامَلَ عليه حتى بلغ عانَتَه.

ومنهم: ٣٠

أبو رافع سَلَّام بن أبى الحُقَيْق

وهو ممن حَزَّب الأحزابَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما قَتلَتْ الأوسُ كعباً أرادت الخزرج أن تفعلَ مثلَ فِعل الأوس، لأنهم كانوا يتبارون بأفعالهم فى الجاهلية والإسلام[3]، فاستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم منهم خمسةُ نفرٍ لقتل أبى رافع، فخرج عبدُ الله بن عتيك، ومَسعود بن سنان، وعبد الله ابن أنَيس، وأبو قتادة الحارث بن رِبْعىّ، وخُزاعىُّ بن أسود ـ حليف لهم من أسلم ـ فخرجوا وأمَّر النبى صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن عَتيك عليهم، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة. فخرجوا حتى أتَوْا دار أبى رافع ليلا، فلم يَدَعوا فيها

---

(١) فى اللسان: « والدروع تسمى حلقة. ابن سيده: الحلقة: اسم لجملة السلاح والدروع وما أشبهها: وإنما ذلك لمكان الدروع، وغلبوا هذا النوع من السلاح ـ أعنى الدروع ـ لشدة غنائه ». وفى الطبرى: « وأراد سلكان ألا ينكر السلاح إذا جاءوا بها».

(٢) فى النسختين: « معولا »، تحريف. وفى السيرة والطبرى: « فذكرت مغولا فى سيفى حين رأيت أسيافنا لاتغنى شيئاً ». والمغول: سيف دقيق.

(٣) وهذا أيضاهو تعليل ابن إسحاق لقتله. السيرة ٧١٤. أما الطبرى ٣: ٦ فذكر من سبب قتله أنه « كان فيما ذكر عنه يظاهر كعب بن الأشرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ». ونحوه فى إمتاع الأسماع ١: ١٨٦. وكان مقتل أبى رافع سنة ثلاث، وقيل سنة أربع.

بيتاً إلا أغلقوه على أهله ، وكان فى عِلِّيَّةٍ فصمِدوا إليه حتى قاموا على بابه فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته فقالت: مَن أنتم؟قالوا : نَفَر من العرب نلتمس المِيرَة . قالت : ذاك صاحبُكم فادخلوا عليه . فلما دخلوا أغلقوا الباب عليها وعليهم ؛ تخوُّفاً من أن يكون دونه مُجاولة[1] تحول بينهم وبينه ، فصاحت امرأته فنوَّهَت بهم ، وابتدروه وهو على فراشه بأسيافهم ، فما دلَّهم عليه[2] فى سواد البيت إلا بياضُه ، كأنه قُبْطِيَّة مُلقاة[3] ، فضربوه بأسيافهم ، وتحامل على عبد الله بن أُنَيس فى بَطْنِه بسيفه حتى أنفذه وهو يقول قَطْنِي قَطْنِي ! ثم رجعوا أدراجَهم وقد قتلوه .

ومنهم :

سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم ، وبِشر بن البَرَاء ابن معرور الأنصارىّ

٣١ وكانت زينبُ بنت الحارث اليهودية ، امرأة سلاّم بن مِشْكَم ، أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خَيبر شاةً مصْلِيَّة[4] ، وقد سألَتْ قبل ذلك : أىُّ عضوٍ فى الشَّاة أحبُّ إلى محمد ؟ فقيل لها : الذراع. فأكثرت فيه من السُّمِّ ، ثم سمَّتْ سائر الشاة ، ثم جاءتْ بها حتَّى وضَعَتْها بين يدَىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فتناول عليه الصلاة والسلام الذِّراع فلاك منها مُضْغَةً فلم يُسِغْها ، ومعه بِشر بن البَرَاء ، وقد أخذ منها كما أخذَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلفظَها،

---

(١) فى النسختين: « محاولة » ، صوابه فى السيرة والطبرى .

(٢) ا : « فما دله عليهم » والتصحيح للشنقيطى فى ب . ورواية السيرة والطبرى : « فو الله ما يدلنا عليه فى سواد الليل إلا بياضه » . الكلام لعبد الله بن عتيك .

(٣) القبطية : واحدة القباطى ، وهى ثياب كتان بيض رقاق كانت تعمل بمصر .

(٤) المصلية : المشوية تصلى بالنار . والخبر فى السيرة ٧٦٤ والطبرى ٣ : ٩٥ وإمتاع الأسماع ١ : ٥٤٢ .

ثم قال : إن هذا العظمَ يخبرنى أنَّه مسموم . ثم دعا بها فاعترفَتْ ، فقال : ماحملك على ذلكِ ؟ فقالت : بُلِّغت من قومى مالم يَخْفَ عليك فقلت : إنْ كان ملكاً استرحت منه ، وإن كان نبيًّا فسيُخْبَر . فتجاوزَ عنها صلى الله عليه وسلم ، ومات بِشرٌ من أكلته التى أَكَلَ .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مرضِه الذى تُوُفِّى فيه : «هذا أوانَ وجدتُ انقطاعَ أَبْهَرِى من الأكلة التى أكلتها مع أخيك » . يقول ذلك لأمٍّ بشر أخت بِشْر بن البراء ، ودخلَتْ عليه تعوده .

فإنْ كان المسلمون لَيَرَوْنَ أنَّ الله جمع لنبيِّه الشهادةَ ، مع ماأكرمه به من النبوَّة ، صلى الله عليه وسلم .

ومنهم :

رِفاعة بن قيس الجشمى[(١)]

وكان يجمع قيساً لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجَّه عليه السلامُ إليه عبدَ الله بن أبى حَدْرَدٍ ، ورجُلين معه ، فكمنوا له ، ورماه ابن أبى حَدْرَدٍ فقتلَه وجاء برأسه إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم .

(١) وقيل قيس بن رفاعة . السيرة ٩٩٠ والطبرى ٣ : ١٠٥ .

ومنهم :

أبو أُزَيهِر بن أُنَيس بن الحبسى بن مالك بن سعد بن كعب ابن الحارث الأزدى

٣٢ وكان أخواله من دَوس فنُسِب إليهم، وكان حليفاً لأبى سفيان بن حرب[1] وكان يقعد هو وأبو سفيان فى أيّامِهما فيُصْلِحان بين من حضر ذلك المكان الذى هُمَا به، وكانت ابنته تحت أبى سفيان، ثم تزوَّجَ ابنةً له أخرى الوليدُ بن المغيرة ابن عبد الله بن عُمَر[2] بن مخزوم، وأخذ أبو أُزَيْهِرٍ من الوليد المَهْرَ، فبلغه بعدُ أنه غليظٌ على النساء، فأمسكَها ولم يَرُدَّ المهر. وقال بعضٌ: إنها أُهدِيَت إليه فقال الوليدُ لها ليلةَ أن دخل عليها: أنا أشرف أو أبوك؟ فقالت له: إنّ أبى سيّدُ قومِه، وفى قومِكَ مَن يساويك ويفوقك. فغضب ولَطَمَها على خدِّها فهربت ورجعت إلى أبيها، فأمسكَها ولم يردَّها عليه.

فلما حضرَت الوليدَ الوفاةُ أوصى بنيه بأشياء قد كتبناه فى «أخبار قريش[3]»، منها دَمُه فى خزاعة، وعُقْره[4] عند أبى أُزَيهر. فلما مات الوليدُ وحضر الناسُ سوقَ ذى المجاز تغفّلَ هشامُ بن الوليدِ أبا أزيهرٍ فقتله[5]، وبلغ ذلك أهلَ مكة فهاج المطيِّبون والأحلافُ من قريش وكادوا يقتتلون. وبلغ ذلك أبا سفيانَ، وهو

---

(١) فى المحبر ٤٣٤ أنه كان صهره .

(٢) فى النسختين : «عمرو» ، تحريف . وانظر نسب قريش لمصعب الزبيرى ص٩٩ .

(٣) انظر أيضا نسب قريش ٣٢٣ والسيرة ٢٧٣ .

(٤) العقر : المهر ، كأنه ثواب عقرها عند الزواج .

(٥) فى نسب قريش : «فأتوا أبا أزيهر وهو بذى المجاز بعد ما مات الوليد ، فسألوه — أى طالبوه بالعقر — فقال : أما وأنتما تحت ظلال السيوف فلا ! فضربه هشام بن الوليد فقتله . وكانت فى هشام عجلة» .

بذى المَجَاز ، وكان داهياً يحبُّ قومه ، فقعد على فَرَسِه حتى أتى مكةَ والناسُ متوافقون للحرب ، ولواء المطيِّبين[١] بيد يزيد بن أبى سفيان ، فأخذ اللِّواءَ من يزيدَ فضرب به البَيضة ضربةً هدَّه منها[٢] ، وفرَّق الناس ، وقال : إذا فرغنا من عدوّنا — يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم — نظرنا فى أمر أبى أُزَيهر وَوَدَيْناه . فودَوْه مائتى ناقة .

ومنهم :

المجذَّر بن ذِياد البلوىّ[٣]

حليف بنى عوف بن الخزرج

وقيس بن زيد ٣٣

أخو بنى ضُبيعة بن زيد[٤] ، اغتالها الحارث بن [سُويد ، أخو[٥]] الجُلاَس

---

(١) المطيبون : هم أسد وزهرة وتيم ، عقدت معهم بنو عبد مناف حلفا مؤكدا على ألا يتخاذلوا وأن يكونوا يدا واحدة على أخذ ما فى يدى عبد الدار من الحجابة والرفادة واللواء والسقاية ، فأخرجت بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها فى المسجد ثم غمس القوم أيديهم فيها جميعا وتعاقدوا . ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا ، فسموا : «المطيبين» .

وشبيه بهذا ما كان من تحالف الأحلاف ، وهم خمس قبائل من قريش : عبد الدار ، وجمح ، وسهم ، ومخزوم ، وعدى بن كعب ، تعاقدت معهم بنو عبد الدار حلفا مؤكدا على ألا يتخاذلوا ، فسموا الأحلاف . وكان أبو بكر من المطيبين ، وكان عمر من الأحلاف . انظر اللسان (حلف) . وكذلك المحبر ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) فى السيرة ٢٧٥ : « هده منها ثم قال له : قبحك الله ، أتريد أن تضرب قريشا بعضها ببعض فى رجل من دوس ستؤتيهم العقل إن قبلوه » .

(٣) ا : « زياد » ، تحريف صححه الشنقيطى مطابقا ما فى المحبر ٤٦٧ والسيرة ٣٥٦ ، ٥٧٩ ، ٦٠٩ والقاموس (ذود) . ووقع فى الإصابة ٧٧٢٠ محرفا .

(٤) فى النسختين : «زياد» ، صوابه من الاشتقاق ٢٦٠ والسيرة ٣٥٦ . وهم بنو ضبيعة ابن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف .

(٥) التكملة مما يفهم من المحبر ٤٦٧ . وفى السيرة ٣٥٦ عند الكلام على الجلاس بن سويد : « وأخوه الحارث بن سويد الذى قتل المجذر بن ذياد البلوى » . وكان الحارث وسويد أخوه من المنافقين .

الأنصاري ، وكان منافقاً ، وكان يوم أُحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى منهما في الحرب غِرّةً فقتلهما ، ولحقَ بمكّة كافراً.

ومنهم :

الأسود الكذّاب بن كعب العَنْسي

وهو ذوالحِمَار[١] ، وكان استنكح بصنعاء امرأة من الأبناء — وهم أبناء الفرس الذين قدِموا اليمن مع وَهْرز فقتلوا الحبشة — وأنّ الأسود توعّدَ الأبناء بأن يُجْلِيَهم من اليمن أو يتركهم له بها خَوَلا . فتحرّز له فَيروز بن الديلمي ، وقَيس بن هُبَيرة بن المكشوح المرادي ، وداذويه[٢] — رجل من الأبناء — وكان فَيروز يخبر أنه أتاهم رسولٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له يُحَنّس[٣] ابن وَبْرَة الأزدي ، فأسلموا معه. وكانت المرأة التي استنكح العَنْسيُّ قد أسلمت. قال فيروز : فجئتها فكلّمتها في أمر الأسود وقلت لها : إنه قد أراد بقومك من الشر ما تَرَين : إما إجلاءهم عن بلادهم ، وإما استعبادَهم ، فهل عندكِ إلى قتله حيلةٌ أوسبيل ؟ قالت : سأحتال له. فجاء الأسودُ ، وفيروزُ عندها ، فضرب وَوَجَأَ في عنقه وأخرجه . فبكت المرأة وقالت : أنتم يا معشر العرب تزعمون أنكم تحسنون إلى أصهاركم ، وأنت تضرب أخي[٤] وتخرجه من بيتي . قال : وإنه لأخوكِ ؟ قالت : نعم . قال : ما دريتُ ، فابعثي له فليأتنا . فبعثَتْ إليه : إنه قد

---

(١) ا : « ذو الخمار » ، وصححه الشنقيطي بالحاء المهملة . قلت : ذكر المسعودي في التنبيه والإشراف ٢٤٠ أن الأسود لقب له ، واسمه عبهلة بن كعب بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن سعد بن عنس بن مذحج ، وأنه كان يدعى « ذا الحمار » لحمار كان معه قد راضه وعلمه يقول له اجث ، فيجثو .

(٢) ب : « دارونه » . وفي الطبري : « داذويه » بالذال المعجمة .

(٣) في النسختين : « نجيس » ، صوابه من الإصابة ٩٢١٧ . وقيل إنه وبرة بن يحنس . الإصابة ٩١٠٨ وعند الطبري ٣ . ٢١٨ في حوادث سنة ١١ :« وبر بن يحنس».

(٤) ا : « أحتى » ، وصححها الشنقيطي .

٣٤ رِضِيَ ، وإنى سأحفر لـكم فى البستان سَرَبًا إلى البيت الذى يكون فيه . فحفرت سَرَبًا ،وجاء فيروزُ وداذَويه وقيس بن المـكشوح ، فلما قاموا إلى السرب[1] قال بعضهم : أيكم يدخل عليه ؟ فقال داذويه : أنا شيخ كبير وأخاف أن أضربَه فلا أُغنِي فيه شيئًا ، ولـكن يا قيس أُدخـل أنت . فقال قيس : إنى رجل تأخذنى رِعدةٌ عند الحرب ، وأخاف إن ضربتُه أن لا تُغنِيَ ضربتى شيئًا . فدخل فيروز - وكان أشبَّ القوم - فإذا هو نائم على حشايا من ريش ، والمرأةُ عنـد رأسه . فأشار إليها : أين رأسه ؟ فأشارت إليه . ولم يكن مع فيروز سيف فأراد الرجوعَ إلى أصحابه ليأخذ سيفًا، فـكأنما أتاه شيطانٌ فأيقظه وإنّ عيناه تَبِصّان[2] . فعالجه فيروز فأخذ برأسه ولحيته فدقّ عنقه وخرج ، واتبعته المرأة فقالت : أنشدكم بالله كلَّـكم وعورَتَكم[3] ! فقال لها : لا بأس قد قتلتُه . وخرج فأخبر أصحابَه ، فدخل قيسٌ فاحتزَّ رأسه وألقاه إلى الناس ، وخرج فأذَّن بالصـلاة . ثم إن قيسًا خاف على نفسه عَنَتًا فأراد أن يُرضِيَهم بقَتْل فيروز وداذَويه ، فصنع لهما طعامًا ثم أرسلَ إليهما فأتياه ، فخرج فيروز يسقى[4] فرسه ، وتقدم داذَويه إلى منزِلِ قيس فاغتاله على الطعام وقتله، وخرجت امرأةٌ فلقيت فيروز[5] وهو مقبلٌ إلى منزل قيس، وقد رأت قتل داذَويه ، فقالت : ويحك ، قد والله قُتِل صاحبُك ! فركب فرسَه وانطلق . فقال عمرو بن معديكرب يعنِّف قيسًا بقتله داذويه غدرًا :

---

(١) ب : « على السرب » .

(٢) عيناه ، كذا وردت فى النسختين . تبصان : تلمعان . وفى ا : « تبضان »، صوابه فى ب .

(٣) الطبرى ٣ : ٢٢٠ : « فقالت أختكم نصيحتـكم» .

(٤) ب : « ليسق » بخط الناسخ .

(٥) فى النسختين : « فيروزا » ، وهو علم أعجمى .

ما إنْ دَاذَوَىْ لكم بفخر ولكن دَاذَوَىْ فضح الذِّمارا[1]

٣٥ ومنهم :

الحُطَمَ[2]

وهو شُرَيح [بن شُرَحبِيل[3]] بن ضُبَيعة بن عَمرو بن مَرثد ، أخو بنى قيس بن ثعلبة .

وكانت بنو ربيعة بن نزار اجتمعَتْ بالبحرين فى الرِّدّة فارتدُّوا وملَّكوا عليهم الغَرور[4] ، وهو المنذر بن النعمان ، فسار إليهم العلاء بن الحَضرمىّ ، وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عُمان ، فخاض العلاء إليهم خليجاً من البحر ، وسارت ربيعة إليهم بجُوَاثا حتّى كاد يَهلِك المسلمون جَهْداً ، فلما اشتدّ ذلك عليهم قال عبد الله بن حَذف العامرىّ ، حليف بنى عامر بن لؤى ، وكانت أمُّه من بنى عجل :

[ألا أبلغ أبا بكرٍ رسولاً وفتيانَ المدينـــة أجمعينا
فهل لكُمُ إلى قومٍ كرامٍ قُعودٍ فى جُواثا مُحصَرينا
كأنَّ دماءهمْ فى كلِّ فجٍّ شُعاعُ الشَّمس يُعشِى الناظرينا
توكّلنا على الرحمنِ إنّا وجَدْنا النَّصرَ للمتوكلينا[5]]

---

(١) الدمار : ذمار الرجل ، وهو كل مايلزمه حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه . فى النسختين : « الدمارا » بالدال المهملة .

(٢) فى النسختين : « الحكم » ، صوابه من المحبر ٤٦٣ والطبرى ٣ : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ والأغانى ١٤ : ٤٤ .

(٣) التكملة من المحبر .

(٤) جعلها الشنقيطى « المغرور » . وما أثبت من ا يطابق ما فى الطبرى ٣ : ٢٥٥ . وفى الأغانى ١٤ : ٥٤ : « الغرور بن سويد بن المنذر ، ابن أخى النعمان بن المنذر » . ومثله فى الطبرى ٣ : ٢٥٩ .

(٥) التكملة من الطبرى ٣ : ٢٥٦ والأغانى ١٤ : ٤٥ .

وسمع المسلمون أصواتاً بالليل فهالتهم، فقال [العلاء : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال عبدالله بن حذف[١]] : أنا[٢] آتيكم بالخبر . ونزل من الحصن فأخذوه فسألوه، فانتسب لهم وجعل ينادى يا أبجراه[٣]! وكان فى القوم، فجاء أبجر فعرفه[٤] فقال : ويلَك، ما شأنُك ؟ أظنُّك بئس ابنُ أُختِ القوم الليلةَ لأخوالِك ! قال : فقد هلكتُ من الجوع . فأطعمه وسقاه وحمله على بَعير[٥] وخلّى سبيله، فرجع ابن حذف إلى أصحابه فأخبرهم أنّ القوم سُكارى . فبيَّتهم العلاء فيمن معه من المسلمين من العرب والعجم، فقتلوهم قتلاً ذريعاً وانهزموا، وقام الحُطَم[٦] إلى فرسه ليركبه فلما وضع رجلَه فى الرِّكاب انقطع سَيْرُ رِكابه فقال : ألا أحَد من قَيسٍ يَعقِلنى؟ فمر به رجلٌ من المسلمين وهو يستغيث فقال: أبو ضبيعة ؟ قال : نعم . قال: أعطنى رجلك أعقلك . فلما أعطاه رجله أخذها، ثمّ ضربه بالسَّيف حتّى قتله .

وقال قيس بن عاصم السعدى[٧] :

---

(١) التكملة من الطبرى ٣ : ٢٥٨ والأغانى ١٤ : ٤٦ .

(٢) فى النسختين : « أما »، والتصحيح من الطبرى والأغانى .

(٣) ا : « بجراه » وصححه الشنقيطى مطابقا ما فى الطبرى والأغانى .

(٤) ا : « بجر » ، صوابه فى نسخة الشنقيطى . وهو أبجر بن بجير .

(٥) فى النسختين : « بغلين » ، صوابه فى الطبرى والأغانى .

(٦) فى النسختين : « الحكم » . وانظر ما سبق فى الحاشية ٢ من الصفحة السابقة .

(٧) كذا . وفى الكلام تحريف ونقص . وعند الطبرى ٣ : ٢٦٠ : « ولما رجع العلاء إلى البحرين وضرب الإسلام فيها بجرانه وعز الإسلام وأهله، وذل الشرك وأهله، أقبل الذين فى قلوبهم ما فيها على الإرجاف، فأرجف مرجفون وقالوا : هذاك مفروق قد جمع رهطه شيبان وتغلب والنمر . فقال لهم أقوام من المسلمين : إذن تشغلهم عنا اللهازم – واللهازم يومئذ قد استجمع أمرهم على نصر العلاء وطابقوا – وقال عبد الله بن حذف فى ذلك :

لا توعدونا بمفروق وأسرته ... إن يأتنا يلق فينا سنة الحطم
وإن ذا الحى من بكر وإن كثروا ... لأمة داخلون النار فى أمم
فالنخل ظاهره خيل وباطنه ... خيل تكدس بالفتيان فى النعم »

لا تُوعِدَنَّا بمفروق وأسرته وإن تأتنا تلق منّا سُنة[1] الحُطَمِ

٣٦ ومنهم :

عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

كان عُمَر رأى كأنَّ ديكاً نقره أسفلَ من سُرَّته نقرتين ، فسأل عن رؤياه أسماء بنتَ عُمَيسٍ ، فقالت : هذا رجلٌ عَجَمىٌّ يصيبك . فمضت أيَّامٌ لذلك .

ثمَّ إنّ أبا لؤلؤة ، وهو فَيروز عبدُ المغيرةِ بن شُعبة ، لقيه وهو يمشى فقال : يأمير المؤمنين، إنَّ المغيرة قد جعل علىَّ خراجاً كثيرا. قال عمر : وكم هو ؟ قال : درهمين فى اليوم . قال : وماتعمل ؟ قال : أجوِّف الأرحاء . قال : ما ذاك بكثير ، مافى بلادنا أحدٌ يعملها غيرك[2] . فقال : المستعان الله ! ثم ولَّى وهو يُهمهِم . فقال عمر: مايقول ؟ قال[3] : يزعم أنَّه يعمل لك رَحًى يتحدَّث بها العرب والعجم. قال عمر : ما يقول العبدُ ، أتهدَّدَ ، أم وعدَ[4] ،أم خوّف ؟ ثم مضى ، فلم يلبثْ بعدَ ذلك إلا أياماً حتى وثب على عُمر وهو يسوِّى الصفوف لصلاة الفجر، وكان يتلفّت يميناً وشمالا فإذا استوى الصفّ كبَّر ،فطعنه بسكِّين له طرفان نصابُه فى وسطه ، فوق العانة ودون السّرّة ، طعنتين أو ثلاثاً[5] . وكان على عُمَر ملاءةٌ صفراء ،فجمَعَها وجملَها على بطنه وقال : حَسِّ ![6] وكان أمر الله قدراً مقدورا . وقدَّم عبدَ الرحمن بنَ عوفٍ فصلَّى بالناس الفجر .

---

(١) ب : « بمفروق » تحريف من الناسخ . وفى النسختين : « الحكم » تحريف كذلك . انظر الحاشية ٢ من ص ١٥٣ .

(٢) الطبرى ٣ : ١٢ : « قال : فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال . قد بلغنى أنك تقول : لو أردت أن أعمل رحى تطحن بالريح فعلت » .

(٣) كذا فى النسختين .

(٤) الوعد يكون فى الخير وفى الشر . وجعلها الشنقيطى فى نسخته : « وعيد » .

(٥) الطبرى : « فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته وهى التى قتلته » .

(٦) حس : كلمة تقال عند الألم . ويقال : ضرب فما قال حس ولا بس .

وحكى عن عائشة رضى الله عنها ، أنَّها قالت : إنِّى لأسِيرُ بين مكَّة والمدينة فى سَحَرٍ ليلةٍ مُقْمِرة ، إذْ سمعت قائلاً يقول :

ليبكِ على الإسلام مَنْ كان باكياً فقد أوشكُوا هُلْكاً وما قدم العهد
وقد ولَّت الدنيا وأدبَرَ خيرُها وقد ملَّها مَن كان يؤمن بالوعد

وطُلِب الرجلُ فلم يُوجَد . فقلتُ : إنِّى لخائفةٌ أن يكون هذا الحَدَثٍ ! فلم ٣٧
يكنْ إلَّا أياماً حتَّى قُتِل عمر رضى الله عنه[1] .

ومنهم :

سالم بن دارة

أحدُ بنى عبدِ الله بن غطفان ، وكان هجا رجلاً من بنى فَزَارة يقال له زُمَيل بن وُبَير[2] ، وهو ابن أمِّ دينار ، فقال فى قصيدة له طويلة :

آلى ابنُ دارةَ جَهداً لا يُصالحُكم حتَّى ينيكَ زميلٌ أمَّ دينارِ

ثم إنَّ ابن دارة لقى بعد ذلك زُميلاً بالدَّاءة[3] فقال : يازميل، ألا تفعل بأمِّك حتَّى أصالح قومى؟ ! فقال له زميل : معذرةً إلى الله ثم إليك، إنه ليس معى ولا فى رَحلى إلا مِخيط أشدُّ به على وكائى . ثم لقيه مرةً أخرى بشَراف[4] ، فقال له

---

(١) فى الرياض النضرة ٢ : ٧٩ : « عن معروف الموصلى قال : لما أصيب عمر سمع صوت : ليبك على الإسلام ... » البيتين . وأسند إلى عائشة خبرا آخر ، قالت : ناحت الجن على عمر قبل أن يموت بثلاث فقالت :

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت له الأرض تهتز العضاه بأسوق

وثلاثة أبيات بعده . وانظر الحماسة ١٠٩١ بشرح المرزوقى إذ نسب الشعر إلى الشماخ. وكذا ما كتبت فى حواشيها .

(٢) فى النسختين : « زبير » تحريف . وانظر المؤتلف ١٢٩ والخزانة ١ : ٢٩٣ / ٤ : ٥٦١ . وفى الإصابة ٢٩٧٣ « دبير » . ويقال فيه أيضا « أبير » ، وهو الأشهر .

(٣) داءة : موضع قريب من مكة . وفى النسختين : « الدامة » تحريف .

(٤) شراف : موضع من أعمال المدينة .

أيضاً مثل قولته الأولى[١] : حتّى أصالح عشيرتى. فقال له: معذرةً إلى الله ثم إليك ، إنّه ليس معى إلّا سكين أصلح به حذائى .

ثم إنّ زُمَيلاً قدِم المدينة بعد ذلك بزمانٍ فقضى حوائجه ، حتّى إذا صدر عن الشُّقْرة[٢] سَمِع رجلًا يتغنّى بقوله :

مَلَكتُ بها الإدلاجَ حتّى بدا لها مع الصُّبح من أشباع رُكْنَ يلملم[٣]
وقد أوغلت فى السَّير حتّى كأنّما يُكَسِّر قَيض بينهنَّ وحنتمُ

فعرف زُمَيل صوت سالم ، فأقبل إليه فضربه ضربتين ، ثم عقر بعيره ، فحُمِل سالمٌ إلى عثمان بن عفان ، فدفعه إلى طبيبٍ نصرانى حتّى إذا برأ وَوَعَتْ كُلومه[٤] دخل النصرانىُّ ، وإذا سالم يُشامِعُ امرأته[٥] ، فاحتقنها[٦] عليه ، فقال له النّصرانى: إنى لأرى عظماً ناتئاً، فهل لك أن أجعل عليه دواءً حتّى يسقط ؟ قال : نَعمْ فافعل . فسمَّه فمات .

٣٨ ويقال إنّ أمّ البنين بنت عُيينةَ بن حصن الفَزارى، وكانت عند عثمان بن عفّان رضى الله عنه، جعلت للطبيب جُعلاً حتّى سمّه فمات. فذلك قول الكميت بن ثعلبة:

فلا تكثروا فيها الضِّجاجَ فإنّه محا السيفُ ما قال ابنُ دارةَ أجمعا

---

(١) ا : « قوله الأولى » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .
(٢) ب: « الشفرة» تحريف. والشقرة قرية على طريق المدينة. معجم ما استعجم ٧٤٩ .
(٣) أشباع ، كذا وردت فى النسختين . وركن :موضع. انظر معجم ما استعجم ٣٩٥ . ويلملم : موضع على ليلتين من مكة . وفى النسختين : « ململم » .
(٤) أى التأمت جروحه . يقال : وعى العظم ، إذا انجبر بعد الكسر . ا : « دعت » والتصحيح للشنقيطى .
(٥) شامعها : لاعبها وضاحكها .
(٦) جعلها الشنقيطى « فاحتقدها » . وفى الخزانة ١ : ٢٩٤ : « فاحتنقها » وما أثبت من ا يطابق ماسيأتى فى مقتل أبى مسلم الخراسانى ، ومقتل حميد بن عبد الحميد .

ومنهم :

الزبير بن العوام رضى الله عنه

وسبب ذلك أنَّه لما انصرف عن حرب الجمل عندما ذكَّره على بن أبى طالب رضى الله عنه[١] ، استجار النَّمِرَ بن الزِّمَّام المجاشعى[٢] ، فأتى آتٍ الأحنفَ بن قيس فقال : هذا الزُّبير قد مرَّ آنفاً ! قال الأحنف : ما أصنع به ، جمعَ فئتين من المسلمين فقتلَ بعضُهم بعضا . ثم لحق بقومه. فنهض عَمرو بن جرموز ، وفَضالة بن حابس ، ونُفَيع بن كَعب بن عمير ، فلحقوه بوادى السِّباع ، فكرَّ عليهم الزُّبير حين رآهم ، فانهزموا عنه ، ولحق الزُّبير ابنَ جرموز فلما رَهِقَه قال : اللهَ اللهَ أبا عبدِ الله ! فرجع عنه ، ومضى الزُّبير وانصرف عنه فضالة ونُفَيع ، ولزمه عمرو بن جرموز ، فسايَرَه فى ليلة مقمرة ، فعطف عليه الزُّبير فقال : أنشدُك الله يا أبا عبد الله ! فكفَّ عنه وسايره ، وأغفَى الزُّبير على فرسه فطعنه فأذْراه عنه ، فقال الزُّبير : قاتله الله ، يذكِّر بالله وينساه ! ومات . فقالت عاتكة أخت[٣] سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل العدوىّ :

غدَر ابنُ جُرموزٍ بفارسِ بُهْمَةٍ ... يومَ اللِّقاء وكان غيرَ معرَّدِ[٤]

ياعَمرو لو نبَّهته لوجدته ... لا طائشاً رَعِشَ الجنان ولا اليدِ

هبِلتكَ أُمُّك إنْ قتلتَ لَمُسلِماً ... حَلَّت عليك عُقوبةُ المتعمِّدِ[٥] ٣٩

---

(١) يشير إلى نحو ماورد فى الرياض النضرة ٢ : ٢٧٢ : « شهد الزبير يوم الجمل فقاتل فيه ساعة فناداه على وانفرد به ، فذكره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له وقد وجدهما يضحكان بعضهما إلى بعض: أما إنك ستقاتل علياً وأنت له ظالم » ، وانظر الأغانى ١٦ : ١٢٦ .

(٢) فى النسختين : « الثعر » ، صوابه فى الاشتقاق ٣٢٧ .

(٣) فى النسختين : « بنت » ، تحريف .

(٤) البهمة : الجيش ، أو الكماة . المعرد ، من التعريد ، وهو الفرار . ا : « معدد » تحريف . وانظر الأغانى ١٦ : ١٢٨ ونسب قريش ٣٦٥ ونوادر المخطوطات ١ : ٦٤ .

(٥) البيت من شواهد النحويين فى إيلاء إن المخففة فعلا غير ناسخ . الأشمونى ١ : ٢٩٠ .

وجاء ابنُ جرموزٍ بسَيف الزبير إلى عليٍّ رضى الله عنه، وقال : أخبروه أنِّي قاتل الزبير. فقال عليٌّ : بَشِّرْ قاتل ابن صفيَّة بالنار ! وأخذ السَّيف منه وقال : سيفٌ طالما فَرَّجَ الغمامةَ عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم،

قال : فكان ابنُ جرموزٍ يدعو لأمر الدنيا، فقيل له : لو دعوتَ لأمر آخرتك. فقال : قد يَئِسْتُ من الجنة منذُ قتلت الزُّبير !

ومنهم :

مالك بن الحارث الأشتر

وكان أتى عليًّا رضى الله عنه لما ولَّى عبد الله بن عباسٍ البَصرة، وعبيد الله اليمنَ، وقُثَمَ مكة، فقال له : ولَّيت بنى عَمِّك فلِمَ قتلْنا الشيخ — يعنى عثمان رضى الله عنه — إنَّما قتلناه حين آثرَ أهل بيته بالولاية !

فتقاولا فأغلظ كلٌّ واحدٍ منهما لصاحبه، فدخل بينهما عبد الله بن جعفر، وكانَ عليٌّ له مكرِماً، فانصرف الأشتَرُ مغاضباً، فترك إتيانَ على رضى الله عنه حتَّى قَتلَ أهلُ مصر محمد بن أبى بكر رضى الله عنه، وكان عاملَ عليٍّ عليها، فلما بلغه قتله قال لعبد الله بن جعفر : مَن تَرى لمصر ؟ فقال : الأشتر، هم قومه، وجِّهْه، فإن هلَكَ هلك، وإن ملَكَ مَلك. فبعث إلى الأشتر فولّاه مصر، فأخذ على طريق الحجاز إليها، وبلغ ذلك معاويةَ، فكتب إلى الجانسار[1]، دِهقان القُلْزُم، يأمره باغتيال الأشتر ويضع عنه خراجَه. فلما نزل به الأشترُ أكرَمه، وكان لأشتر يحبُّ السمك وأمْجَدَه منه[2]، وجعل الأشتر يأكل السمك أكل مُتَّق، وكان الغالب عليه البَلْغَم. فقال له : أيُّها الرجل، لاتَهَب السمك ؛ فإنَّ

---

(١) عند الطبرى ٢ : ٥٤ « الجايستار ». والخبر فيه برواية تختلف عن هذه.
(٢) أمجده : أكثر له منه.

عندى دواءه . قال : وما هو ؟ قال: العَسَل . فأكل ثم قال له : هاتِ العسل . فجَدَح له فيه سُمًّا فقتله[(١)] . فلما بلغ معاويةَ قتلُه قام خطيباً فقال: يا أهل الشام، إنَّ عليًّا كانت له يدان ، إحداهما عمار بن ياسر ، والأخرى الأشتر ، فقطعهما الله تعالى .

ومنهم :

على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

كان سبب ذلك أن عَبد الرحمن بن مُلْجَم التَّجوبىّ وعِداده فى مراد ، والبُرَكُ بن عبد الله التميمى[(٢)] وهو صاحبُ معاوية،وعَمْرو بن بُكَير التميمى[(٣)] ، وهو صاحب عمرو بن العاص — اجتمعوا جميعاً بمكة فتذاكروا أهل النَّهْروان فترحَّموا عليهم وقالوا: والله ما نعبأ بالبقاء فى الدنيا شيئاً بعدإخواننا الذين كانوا لايخافون فى الله لومةَ لائم،وكانوا مصابيح الهدى.ثم ذكروا الناسَ فعابوا عليهم أعمالهم ، وقالوا : [لو[(٤)]] أنَّا شرينا أنفسَنا لله،والتمسْنا غِرَّةهؤلاء الأئمة الضُّلَّال فثأرْنا بهم إخوانَنا ، وأرَحْنا منهم العباد . فقال عبد الرحمن : أنا لكم لعلىّ ، وقال البُرَكُ : أنا لكم لمعاوية ، وقال عَمرو بنُ بكَير:أنا لكم لعمرو بن العاص. فتعاهَدُوا على ذلك وتواثقوا لا يَنْكِص رجلٌ منهم عن صاحبه الذى سَمَّاه حتَّى يقتلَه أو يموت دونه.فاتَّعدوا فى شهر رمضان ليلة سبعَ عَشْرَة[(٥)] ثم افترقوا على

---

(١) جدح الشىء: خلطه .

(٢) ا : « التيمى » صوابه فى ب . ويقال فيه أيضاً « الصريمى » نسبة إلى صريم بن مقاعس ، من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم . الاشتقاق ١٥٠ — ١٥١ .

(٣) ا : « عمر بن بكير » وجعلها الشنقيطى « عمرو » . وعند الطبرى ٤ : ٨٣ « بكر » موضع « بكير » .

(٤) ليست فى أصل الكتاب . وجاء فى الطبرى : « فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد ، وثأرنا بهم إخواننا » .

(٥) وقيل لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان سنة ٤٠ . وقيل فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٠ .

٤١ ذلك، وتوجّهَ كلُّ رجلٍ منهم إلى المصر الذى فيه صاحبُه، وكان علىٌّ رضى الله عنه قد ضَجِر من أهل الكوفة، وكان كثيراً مايدعو عليهم، وكان كثيراً ما يُنشِد إذا آذوه:

خلُّوا سَبيلَ العَيرِ يأتِ أهلَه سوفَ ترون فِعلَكم وفعلَه

وكان كثيراً مايقول:

لا شىءَ إلاَّ اللهُ فارفَع ظنَّكا يكفيك ربُّ الناس ما أهمَّكا

وكان يقول أيضاً:

خلُّوا سبيلَ الجاهِدِ المجاهِدِ أبَيتُ أنْ أعبدَ غيرَ الواحِدِ

وكان يقول:

فأىَّ يومىَّ من الموتِ أفرّْ[1] أيومَ لم يُقدَرَ أم يومَ قُدِرْ

وكان يقول: مايحبِس أشقاها، أما والله لَعَهِدَ إلىّ النبىُّ الأمى صلى الله عليه وسلم أنَّ هذه تُخضَب من هذه — يعنى لحيتَه من هامته — وكان يقول:

اشدد حيازيمَك للموت فإنَّ الموت آتيكا[2]

ولا تجزعْ من الموتِ إذا حلَّ بواديكا

فلما كانت الليلة التى اتَّعدوا لها، وكانت ليلةَ الجمعة، بات ابن مُلْجَم فى مسجد الجماعة بجنْب الأشعث بن قيس الكندى، وكان علىٌّ رضى الله عنه رأى فى تلك اللَّيلة رؤيا نخبَّر بها أباعبدِ الرحمن السُّلَمى وهو مجروح فذكَر أبو عبد الرحمن وكان مؤدِّبَ الحسنِ والحسين رضى الله عنهما، قال: دخلتُ عليه وهو مجروحٌ فقال: ادن منى يا أبا عبد الرحمن — والنساءُ يبكين — فدنوتُ منه فقال لى: بتُّ الليلة أُوقِظ أهلى، فملَكتْنى عينى وأنا جالس، فسَنَح لى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ويروى: «فى أى يومى». شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٣١ حيث نسب الشعر إلى الحارث بن منذر الجرمى. والشطر بعده شاهد للنصب بلم.

(٢) يجعله العروضيون شاهداً للخزم، وهو زيادة تعرض فى أول البيت. العمدة ٢: ٩٢. وانظر مقاتل الطالبيين ٣١ والأغانى ١٤: ٣٣.

فقلتُ : يا رسول الله ، ما لقيتُ من أُمّتك من الأَوَد واللَّدَد(١) ؟ ! فقال : ادعُ ٤٢ عليهم . فقلت : اللهمَّ أبدِلْنى بهم مَن هو خيرٌ لى منهم،وأبدلهم بى من هو شرٌّ منى ! ودخل ابن التَّيَّاح(٢) المؤذِّن على ذلك ، فقال : الصَّلاة . فأخذت بيده ، فمشى ابن التياح بين يدىَّ وأنا خلفه .

(ورجع الحديث) . قال : فقال الأشعث لابن مُلجَم : فَضَحَك الصُّبحُ ! فانطلقَ ابن مُلجَم، وشَبِيب بن بُجْرة الأشجعى،وخرج علىٌّ من منزله وهو يقول أيُّها الناس الصلاة ، أيُّها الناس الصلاة ! فضربه ابن مُلجَم ضربةً من جَبهته إلى قَرْنه ، وأصاب السيفُ الحائطَ فثلم فيه،ثم ألقى السَّيفَ وأقبلَ الناسُ فجعل يقول: أيُّها الناس ، إيَّاكم والسَّيفَ فإنّه مسموم ! ! فذكروا أنه سمَّه شهراً .

فأُدخِلَ علىٌّ رضى الله عنه ، وأُدخِلَ ابن ملجم عليه فقالت أم كلثوم بنت على:أقتلتَ يا عدوَّ الله أميرَ المؤمنين ؟ ! قال : لم أقتُلْ إلاَّ أباكِ . فقالت : والله إنّى لأرجو أن لا يكون على أمير المؤمنين بأس. قال: فلِمَ تبكين إذاً ، والله لقد سممتُه شهراً ، فإنْ أخلَفَنى فأبعدَهُ الله وأسحَقَه !

ثم إنَّ علياً رحمه الله قال : أَطِيبُوا طعامَه ، وأَلِينُوا فِراشه ، فإنْ أعِشْ فعفوٌ أو قِصاص ، وإن أمتْ فألحِقُوه بى أخاصِمْه عند ربِّ العالمين .

وذكروا أن ابن ملجم خطب امرأة من الرِّباب،يقال لها « قَطَامِ »،وكانت من أجمل الناس ، وكانت خارجية ، وكان علىٌّ قتَلَ أهل بيتها بالنَّهْروان،فقالت : لا أتزوَّجُكَ إلا على ثلاثة آلاف،وقَتْلِ علىِّ بن أبى طالب بعد ذلك فتزوَّجها ٤٣ وبَنى بها ، فلما فَرَغ منها قالت : ياهذا ، إنك قد فَرَغْت فاقرعْ(٣) ! فخرج فضرب علياً .

---

(١) قال أبو الفرج : الأود : العوج . واللدد : الخصومات . مقاتل الطالبيين ٤١ .

(٢) مقاتل الطالبيين : « ابن النباح » .

(٣) فى ب : « فافرغ » ، من صنع الناسخ .

وقال بعض الشعراء[١] :

فلم أر مَهراً ساقَهُ ذو سماحةٍ كمهر قَطَامِ من فَصيحٍ وأعجمِ
ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقَينةٌ وضرب عليٍّ بالحسام المصمِّمِ
فلا مَهر أغلى من عليٍّ وإن غلا ولا قَتلَ إلا دون قتلِ ابن مُلجَمِ

وأمّا صاحبُ معاوية فطعن معاويةَ وقد خرج لصَلاةِ الفجر فى تلك الليلة فى أَلْيته، فلم يُولَد لمعاوية بعدها حتّى مات .

وبذلك السَّبب جُعِلت المقصورةُ فى المسجد الجامع .

ومنهم :

خارجة بن حُذَافة العَدَوىّ

وكان قاضىَ مصر، وكان له صلاحٌ وصُحبة، فخرج صاحب عمرو بن العاص[٢] فوجدَ خارجة فى مجلس عمرٍو يعشِّى الناس، وقد كان عَمرو شُغِل تلكَ اللَّيلة، فدنا منه وهو يظنُّه عَمْراً، وهو على سرير عَمرو جالساً، فضربه مِن ورائه بالسَّيف على عاتقه، فأُخذ الرجل، وخرج عمرو، وحُمِل خارجةُ إلى منزله مُثْخَناً، فأتاه عمرو فقال له خارجة : واللهِ ما أرادَ غيرك . فقال عمرو بنُ العاص : « ولٰكنَّ الله أراد خارجة[٣] ! » .

---

(١) هو ابن أبى مياس المرادى . الطبرى ٤ : ٨٧ .

(٢) يعنى عمرو بن بكير التميمى . انظر ماسبق فى ص ١٦٠ .

(٣) وقيل إن عمرو بن بكير قاتل خارجة هو الذى قال: « أردت عمراً وأراد الله خارجة! » الإصابة ٢١٢٨ .

ومنهم :

خالد بن المعمَّر السدوسىّ

وكان معاوية دسّ إليه بالعراق أنْ يدعو ربيعةَ إلى الوُثوب بعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وأن ينقُضَ عليه أمره ، فإنْ هو فعَلَ ولّاه خُراسان . ففعل ذلك خالدُ بن المعمَّر حتّى آذت ربيعةُ علياً وشنَّعوا عليه .

وبلغ ذلك معاويةَ ، فلما قُتِل على رضى الله عنه أحبَّ معاويةُ الوفاءَ لخالد بن المعمَّر . وقال بعض شُعراء بنى سَدُوس :

مُعاوِىَ أكرِمْ خالدَ بن المعمَّرِ ‏ ‏ ‏ فإنَّك لولا خالدٌ لم تؤمَّرِ ٤٤

فكتب إليه معاوية بعهده على خُراسان ، ودسّ إليه رجلاً فسقاه شَربةً بظهر الكوفة بقصر بنى مُقاتل ، فقتلتْه وقد أجمع الناس على معاوية .

ومنهم :

الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما

ذكره يعقُوب بن الدّورقى[1] . قال : أخبرنا أسعد بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عون[2] ، عن عمير بن إسحاق[3] قال :

دخلت على الحسن بن على رضى الله عنهما ، أنا ورجل ، فقال لصاحبى : أىْ فلانُ ، سَلْنِى . قال : ما أنا بسائلك شيئاً . ثم قام من عندنا فدخل كَنيفاً له ثم خَرج فقال : أىْ فلانُ ، سلنى قبلَ أن لا تسألنى ؛ فإنّى والله لقد لفظت طائفةً

---

(١) فى تهذيب التهذيب : يعقوب بن إبراهيم بن كثير ، أبو يوسف الدورقى . ولد سنة ١٦٦ ومات سنة ٢٥٢ .

(٢) هو عبد الله بن عون . توفى سنة ٢٣٢ .

(٣) ذكره فى تهذيب التهذيب ، وقال : روى عن عمرو بن العاص وأبى هريرة .

من كبدى ، قلّبتها بعودٍ كان معى ، وإنى قد سُقِيت السمّ مراراً فلم أُسْقَ مثلَ هذا قطُّ ، فسَلْنى ! قال : ما أنا بسائلك شيئاً ، يُعافيك الله إن شاء الله !

ثم خرجنا فأتيتُه الغدَ وهو يَسوق[1] ، وجاء الحسينُ فقعد عند رأسه فقال: أىْ أخى ، نبِّئْنى مَن سقاك ؟ فقال : لِمَ ؟ لتقتله ؟ قال: نعم. قال: ما أنا بمحدِّثك شيئاً . إن يكنْ صاحبي الذى أظنُّ ، فالله أشدُّ نقمة ، وإلا فوالله لا يُقتلَ بى برىء[2] !

ومنهم :

سعيد بن عثمان بن عفان

وكان بلغ معاويةَ أنّ أهلَ المدينة يقولون ، إماؤهم وعبيدُهم ، مقالةً قد شاعت على أفواههم :

والله لا ينـــالهُا يزيدُ حتى يعضَّ هامَهُ الحديدُ
إنّ الأمير بعدهُ سعيدُ

وكانت أمُّ سعيد أمَّ عبد الله[3] بنت الوليد بن الوليد[4] بن المغيرة، وكانت ٤٥ قاتلتْ عن عثمان يوم قُتِل ، وأصابتها جراحة ؛ وأعانتها نائلةُ بنت الفُرافصة على المدافعة عنه ، فجُرِحَتَا جميعاً . فلما بلغ معاويةَ هذا القولُ عن سَرَعان أهل المدينة[5] ، كتب إلى سعيد بن عثمانَ فقَدِم عليه ، فلما دخل عليه قال : ماشىء بلغنى أنّ أهل المدينة يقولون :

---

(١) يسوق بنفسه : يجود بها ، وذلك عند الاحتضار .
(٢) انظر مقاتل الطالبيين ٧٤ .
(٣) اسمها عند الطبرى ٥ : ١٤٨ : « فاطمة ابنة الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم » .
(٤) كذا فى النسختين . وانظر التنبيه السابق.
(٥) سرعان الناس : أوائلهم .

* والله لا ينالُها يزيدُ *

وأنشده الأبياتَ الثلاثة(١) — فقال سعيد: وما تُنكِر هذا يا معاوية ؟ والله إنّ أبي لخيرٌ من أبي يزيد ، وأُمِّي خير من أم يزيد ، ولأنا خير من يزيد . ومع هذا أنَّا ولَّيناك فما عزَلْناك ، ورفعناك فما وضَعْناك ، ثم صارت هذه الأشياءُ في يدك فخلَّأْتنا عن(٢) جميع ذلك .

قال معاوية : أمَّا قولُك يا ابنَ أخي : إنّ أبي خيرٌ من أبي يزيد ، فقد صدقتَ رحِم الله أميرَ المؤمنين عثمان، هو والله كان خيراً منِّي . وأمَّا قولك : إنّ أُمِّي خير من أمِّ يزيد ، فصدقتَ ، لَعَمْرِي لامرأةٌ من قريش خيرٌ من امرأةٍ من كلب ، وبحَسْب امرأةٍ أن تكون من صالِحِي نساء قومها . وأمَّا قولك : إني خير من يزيد ، فوالله يا ابنَ أخي ما يسرُّني أن حَبْلاً(٣) مُدَّ فيما بين العراق فنُظِمَ لي فيه أمثالك بيزيد ! ولكن انطلقْ فقد ولَّيتك خراسان .

وكتب له إلى زيادٍ : أنْ ولِّه ثَغْرَها ، وأقم معه على الخراج رجلاً حازماً يُحصِنُه(٤) ويحفظه على أمير المؤمنين . فضرب زيادٌ البَعْث على أهل السجون والشُّطّار وكل من يلوذ(٥) به من أهل المِصر من داعرٍ(٦) وما أشبهه ، فصاروا أربعةَ آلاف ؛ وولَّى أسلم بن زُرْعة الكلابيَّ على الخراج ، ومضى سعيدٌ حتى

---

(١) هذا تسجيل قديم لعد الشطر من أشطار الرجز بيتاً .

(٢) أصل التحلئة في الإبل والماشية : أن تطرد وتحبس عن الورود . ا : « فخلاتنا » وصححه الشنقيطي بما أثبته .

(٣) ا : « جبلا » ، صوابه في ب بتصحيح الشنقيطي .

(٤) يحصنه : يحفظه ويصونه . وفي النسختين : « يحضنه » .

(٥) في النسختين : « يلوى » ، تحريف . لاذ به : أحاط به .

(٦) الداعر : الفاجر المفسد . ا : « ذاعر » ، تحريف.

٤٦ نزلَ مرو ، وفوّز(١) منها يريد سمرقند ، فلما انتهى إلى نهر بَلْخ دعا بالعامات(٢) ليعبر عليها . فلما تحمَّلوا وجازُوا كان أوّل ماسمعه من الغداء نداءَ منادٍ من غلمان العسكر : يا ظَفَر ! فتفاءل بالظَّفَر . ثم نادى آخر : يا عَلْوان ! فقال : عَلاَ أمركم إن شاء الله . وبدرَ الناس رفيعٌ أبو العالية الرِّياحى الفقيه ، فصلَّى ركعتين ، فكان أوّلَ مَن صلى ركعتين من وراء النهر .

ونَفَذَ الناسُ حتى انتهى إلى بُخَارى — والملكة يومئذٍ ببُخارى يقال لها « خُنُك خاتون » فصالَحَها صُلحاً معلوماً على أن تخلِّىَ له الطريق إلى سَمرقند ، وأخذ منها رُهُناً على الوفاء ثلاثين غلاماً من أبناء الملوك مُرْداً كأنّ وجوهَهم السيوف ، وسهّلت له الطريق ، والتقى هو وخاتون فقرفهما(٣) أهلُ خراسان ، وغنَّوْا عليهما أُغنيَّة بالخُراسانية ، وهى :

كُور خمير آمَذ خاتون دروغ كَنده(٤)

فمضى إلى سمرقند فظَفِر وقتَل وسبى ثلاثين ألف رأس، ثم رجع. فلما انتهى إلى بُخارَى قالت له الملكة « خنك خاتون » : أردُد علىّ الرُّهون فقد(٥) سلمك الله . فقال: إنى أخاف غَدرك حتى أقطعَ النهر . فلما قطعَ النهرَ بعثَتْ إليه أُردُدْهم. قال : حتى أنزِلَ مَرْو . فمضى بهم ولم يردُدْهم عليها . ومضى قافلاً إلى المدينة ،

---

(١) فوز الرجل بإبله : سلك بها المفازة .

(٢) العامة : معبر صغير يكون فى النهر ، يتخذ من أغصان الشجر ونحوها .

(٣) قرفه : عابه واتهمه .

(٤) كور ، بالفارسية بمعنى الأعمى أو العمياء . وإذا قرئت « گور » كان معناها عابد النار أو الصنم . آمد بمعنى أقبل أو جاء . ورسمت فى النسختين « آمذ » . بالمعجمة. دروغ بمعنى الكذب ، وفى النسختين : « دروع »، تحريف .

(٥) ا : « فقال » . والتصحيح للشنقيطى .

فجعل أولئك الرُّهُن فلاّحين فى نخلٍ له وحرْثٍ بالمدينة ، فأتاهم يوماً يتعهَّـد مالَه فاغتالوه فقتلوه ، وَجَوُّوه(١) بخناجرهم .

وبلغ الخبرُ أهلَ المدينة فساروا إليهم فحصَروهم فى جبلٍ هناك ، ولم يُقدِموا على حَرْبهم حتى ماتوا فى ذلك الجبل عطشاً . فجعلت ابنة سعيدٍ جاريةً لها يقال لها « مردانة » فى رِحالة(٢) فقالت : مَن يبكى أبى ببيتين شِعرُها فى نفسى فله هذه ٤٧ الجاريةُ بما عليها . فقال فى ذلك الشعراء فلم يصنعوا شيئاً ، فقال خُلَيد عَينَيْن(٣) العَبْدى :

يا عَيْنُ أذرِى دمعـــةً وأبكِى الشَّهيدَ ابنَ الشَّهيد
فلقد قُتِلتَ بغِـــرّةٍ وجلبتَ حتفَك مِن بعيدْ

فلما قالها قالت : إنّ هذان(٤) اللّذان كانا فى نفسى . وأعطته الجاريةَ برِحالتها .

ومنهم :

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى

ذكر الكلبىُّ عن خالد بن يزيد عن أبيه [أنّ(٥)] معاوية قال لأهل الشام لمّا أراد البيعة ليزيد : إنّ أمير المؤمنين قد كبِرَت سنُّه ، ودنا مِن أجله ، وقد أراد أن يولِّى الأمرَ رجلاً من بعده فماذا ترون؟ فقالوا: عليكَ بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد — وكان فاضلاً — فسكت معاويةُ وأضمرَها فى نفسه . ثم إنّ

(١) أى طعنوه .
(٢) الرحالة : مركب من مراكب النساء . فى ا : « رجاله » . والتصحيح للشنقيطى .
(٣) فى النسختين : « عيين » ، تحريف .
(٤) كذا فى النسختين . وفى الكتاب الكريم : « إن هذان لساحران » .
(٥) ليست فى النسختين .

عبد الرحمن اشتكى ، فدعا معاويةُ ابنَ أُثالَ الطَّبيب ، وكان من عُظماء الروم ، فقال : ائت عبدَ الرحمن فانعَتْ له(١) . فأتاه فسقاه شَربةً انحرف منها عبد الرحمن ومات . فقال معاوية حين بلغه موتُه : لا جِدَّ إلا ما أنقَضَ عنك ما تكره .

ثم إنّ كعبَ بن جُعَيل(٢) التَّغلبي ــ وكان صديقاً لعبد الرحمن بن خالد ــ دخل على معاوية فقال له : قد كنتَ صديقاً لعبد الرحمن بن خالد فما الذى قلتَ فيه ؟ قال : قلت :

ألاَ تبكِى وما ظلمت قريشٌ   بإعوال البُكاء على فتاها
ولو سُئلَتْ دمشقُ وأهلُ حمصٍ   وبُصرى مَن أتاح لكم قِراها(٣)
فسيفُ الله أدخلَهــا المنايا   وهَدَّم حِصنها وحَمَى حماها
وأسكنها معاويةَ بن حربٍ   وكانت أرضُه أرضاً سواها

٤٨ ومنهم :

شَيبان بن عبد شمس بن شهاب

أحد بنى ربيعة بن كعب بن سعد(٤)، وكان صاحبَ شُرطةِ عُبيدِ الله بن زياد بن أبيه ،وكان عُبيد الله يُكثِر القتلَ فى الخوارج(٥)، فأقبل شيبانُ منصرفاً إلى منزله ومعه ثمانيةُ بنينَ له ، فعَرَض له ناسٌ من الخوارج فقالوا :لنا حاجة . فقال : أضع ثيابى وأخرُج لكم . فدخَل وألقى ثيابه وألقى بنوه سِلاحَهم ، ثم خرج فناوله بعضُهم كتاباً فجعل ينظر فيه، ووثبوا عليه فقتلوه،وخرج بنوه حُسَّرًا

---

(١) أى صف له الدواء. فى النسختين: « فابعث له » .

(٢) ا : « حجيل » وصححه الشنقيطى . وانظر ترجمة كعب فى الشعراء ٦٣١ والخزانة ١ : ٤٥٨ والمفضلية ٦٣ .

(٣) أتاح ، جعلها الشنقيطى : « أباح » .

(٤) الاشتقاق ١٥٤ ــ ١٥٥ .

(٥) فى الاشتقاق: « وكان زياد ولاه الجامع وما يليه ليحرس بالليل ، فكان يقتل الخوارج نهارا ، فقتله الخوارج وقتلت سبعة بنين له » .

فقتلوهم ، فخرج إليهم بِشْر بن عُتبة أخو بنى ربيعة بن كعب ، فقتلَهم جميعاً . فقال الفرزدق :

لعمركَ ما ليثٌ بخفّانَ خادِرٌ　　بأشجَعَ مِن بِشر بن عُتبة مُقْدَما
أباءَ بشَيبانَ الثُّؤورَ وقد رأى　　بنى فاتكٍ هابوا الوشيجَ المقوَّما[1]

ومنهم :

عَبّاد بن عَلْقَمة ، المعروف بابن أخضر المـازنى[2]

وهو الذى قتل أبا بلالٍ مِرداسَ بن أُدَيَّةَ بالأهواز .

فأقبل عبّادٌ من الجمعة، يريد منزله ، حتى إذا كان فى بنى كُلَيب خرج عليه أحدَ عشر رجلاً من السِّكّة التى تَنْحَر مَسجِدهم[3] ، فقام تسعةٌ منهم فى السكة ودنا منه رجلان فقالا : قف أيها الشيخ نـكلِّمك . فوقف لهما فدنَوْا منـه فقال أحدهما: إنّ هذا أخى قد ظلمنى حقِّى وغصبنى مالى فليس يدفعُه إلىّ. فقال عبّاد : أَستَعْدِ عليه . فقال : إنه أَوْجَهُ عند السلطان منّى . فقال عبّاد : خُذ حقَّك منه إن قَدَرْت عليه . فقالا جميعاً : الله أكبر ، قضَيتَ على نفسك . ثم ابتدراه بسيفَيْهما ، وخرج عليه التسعة الذين كانوا فى السِّكة وأخذوا بلجامه فقتلوه وحكّموا ، وتنادَى الناس، وبلغ الخبرُ بنى مازن، فأقبلَ معبدٌ أخوه ، فلما انتهى ٤٩ إلى الخوارج وهم فى السِّكة وعليهم السِّلاح وعلى جميع مَن معه من بنى مازن قال للشُّرْطة : خلُّوا عنا وعن ثأرْنا. وقال لأصحابه : انزلوا إليهم فاقتلوهم رَجّالةً فى مثلِ حالهم. فنزلوا فاقتَتلوا، فقتلوا الخوارجَ إلا رجلا أفلَتَ فى الزِّحام. فقال الفرزدق :

---

(١) أباءه به : قتله به . الثؤور : جمع ثأر . وانظر ديوان الفرزدق ص ٨١١ .

(٢) أخضر كان زوج أمه ، فنسب إليه . الـكامل ٥٨٨ وديوان الفرزدق ٣٩٠ ، والخبر فيه أكثر تفصيلا .

(٣) تنحر مسجدهم أى تستقبله، إذا استقبلت دار دارا قيل : هذه تنحر تلك .

لقد طَلبت بالذَّحـــل غير ذميمة　　إذا ذُمَّ طُلّاب الذحول الأخاضرُ[١]

لقد جرّدوا الأسيافَ يوم ابنِ أخضرٍ　　فنالوا التى لا فوقَها نالَ ثائرُ

أقادوا به أُســداً لهَا فى اقتحامها　　على الغَمَرات فى الحروب بَصائرُ

ومنهم :

مسعود بن عمرو العَتَـكى[٢] الذى يقال له « قمر العراق »

وكان سبب قَتْله أنَّ عامل البصرة كان استشاره فى نافع بن الأزرق، وعطيَّة ابن الأسود، الخارجين، وكان بالبصرة، فأشار عليهما لحبسهما وكانا من رؤوس الأزارقة، ففَقَدت الأزارقةُ ذلك عليه فدسُّوا له مَن قتَله، ولا يُعرَف قاتله .

ويقال : إنه لما مات يزيد بن معاوية، وفُتِن أهلُ البصرة، وهرب عُبيدالله ابن زياد، رأّست اليمنُ وربيعةُ عليها مسعوداً، فأقبل مسعودٌ وعليه قَباء ديباجٍ أصفر، مُوَلَّع بسَواد[٣] فى الأزْد وربيعة، ورأّست تميم عليها عَبْساً أخا كهْمسٍ السَّعدى، فأقبل مسعود قاصداً إلى المسجد الجامع، فصعِد المنبر فجعل يأمر بالسُّنَّة وينهى عن الفتنة، وغَفَل الناسُ عن السِّجن وفيه الخوارجُ الذين حبسهم ابنُ زياد، فجاءهم أولياؤهم حتى أخرجوهم من السجن، وكان أكثرهم من بنى تميم

٥٠ فدخلوا المسجد فاغتالوه وهو غافل، فقتلوه ومضَوْا من وجههم إلى الأهوز، فقال سَوّار بن حَيَّان المِنقرى[٤] :

---

(١) الأخاضر : أتباع ابن أخضر . فى ا : « الأحاصر » وصححه الشنقيطى مطابقاً ما فى الديوان ٣٩١ .

(٢) شهرة نسبــه « المعنى » كما فى الاشتقاق ٢٩٤ والـكامل ٨١ ، ٨٢ ، ١٣١ ، ٦١٠ . وكان مسعود سيد الأزد . والعتيك من الأزد .

(٣) مولع : فيه ضروب من الألوان .

(٤) كذا فى النسختين وكثير من الـكتب، ونص ابن السيد فى الاقتضاب ١٢٣ أنه بحاء مكسورة وباء معجمة بواحدة .

ألم يكنْ فى قتلِ مسعودٍ غِيَرْ   جاءَ يزيدُ أمرَه فما أمر(١)
نحن ضربنا رأس مسعودٍ فخَرْ   ولم يوسَّدْ خَدُّه حيث انقعرْ
فأصبح العبد المَزُونىُّ عثَرْ   حتى رأى الموت قريباً قد حضر
فطمَّهم بحرُ تميم إذ زخَرْ   وقيسِ عيلان ببحرٍ فانفجر
مِن حولهم فما درَوْا أين المفرْ   حتى علا السيلُ عليهم فغَمَرْ

وقال نافع بن الأزرق :

فتكْنا بمسعودٍ بن عمرو لِقيلِه   لِبَيْبَةَ لاتُخْرِجْ من السجن نافعا
ولا تُخْرِجَنْ منه عطيَّة وابنه   فخُضْنا له ثوباً من السمِّ ناقعا
وكانت له فى الأزدِ حالٌ عظيمة   وكان لما يهوَى من الأمر مانعا
فقالت تميمٌ نحن أصحاب ثاره   ولن ينتهوا حتى يعَضُّوا الأصابعا
ويَصْلَوْا بحوب الأزد والأزدُ جمرةٌ   متى يصطلوها يُصبِح الأمر جاشعا(٢)
فقل لتميمٍ ما أردتمْ بكِذبة   تكون لها الأوطان منكم بلاقعا

ومنهم :

محمد بن عبد الله بن خازم السلمى(٣)

وكان عبد الله بن خازمٍ ولَّى ابنَه محمداً هَرَاةَ، وجعل معه شَمَّاسَ بن زيادٍ المُطاردى على أمرِه وقَفَّانِ حاله(٤) وقال لابنه : لا تقطع أمراً دون شَمَّاس .

(١) يزيد، جعلها الشنقيطى « يريد » .
(٢) جاشعاً ، كذا فى النسختين ، ولعلها « خاشعاً » .
(٣) تأخر هذا الخبر عن تاليه فى نسخة الشنقيطى .
(٤) فى النسختين : « حله » تحريف . يقال : هو على قفانه أى على أثره ، يتتبع أمره ويبحث عن حاله انظر اللسان (قفف ١٩٨) .

وقد كان ابنُ عمٍّ لشماس قُتل فى الحرب التى كانت بين ابن خازم وبين بنى تميم، فشرب يومًا شمَّاس ، فلما أخذَتْ(١) فيه الشرابُ ذكر ابنَ عمه ذلك فقال : لا أرى ابن السَّوداءِ قتلَ ابن عمِّى وهو حىٌّ يقدّم بيننا. فاغتال محمدَ بن عبد الله ابن خازم فقتلَه ، ثم خرج بمن تابَعه من بنى تميم ، حتى انتهى إلى مرو ، وبها عبدُ الله بن خازم .

٥١ ومنهم :

عبد الله بن بَشَّار بن أبى عَقب الشاعر

وكان رضيع الحُسَيْن بن علىّ بن أبى طالب ، وكان يجالس عُبيدَ الله بن الحُرّ الجُعْفى فيخبرُ بما خبَّره عن على رضى الله عنه ، وهو صاحب أشعار المَلاَحم .

وكان يقول : إنَّ الحسين رضى الله عنه قال لى : إنك تُقتَل، يقتلك عُبيد الله ابن زياد بالجازر(٢) .

وقال ابن الحُرّ : إن ابنَ أبى عَقب كان يخبرنى عن الحسين رضى الله عنه أشياءَ يَكذِبُها عليه ، ويزعم أنَّ ابنَ زيادٍ يقتله . فأتاه عبيد الله بن الحرّ ليلاً مشتمِلاً على السيف ، فناداه فخرج إليه ، فقال : أُبلُغْ معى إلى حاجةٍ لى . فخرج معه ابن أبى عقب ، فلما برزَ إلى السَّبَخة(٣) ضربه بالسيف حتى مات .

---

(١) كذا فى النسختين . والتأنيث لتضمين الشراب معنى الخمر .

(٢) جعلها ناسخ ب « الجارز » ، تحريف. وهى بتقديم الزاء : قرية من نواحى النهروان، من أعمال بغداد .

(٣) السبخة ، بالتحريك : موضع بالبصرة .

ومنهم :

مَرْوان بن الحكم بن أبى العاص

وكان خطب حَيَّةَ بنتَ أبى هاشم بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس ـ وهى أمُّ خالد بن يزيد بن معاوية ـ فقال لها خالد : لا تُزَوِّجيه فإنه إنما يريد أن يضَعَ منّى. فأبتْ وتزوّجته، فتكلم يوماً خالدٌ ومروانُ حاضر، فقال له مروان : اسكتْ يا ابن الرَّطِيبة ! فأُرْتِجَ عليه وخَجِل. وبلغ الخبرُ أمَّ خالد، فلما انصرف إليها قالت : قد بلغنى ما كلَّمك به الفاسق. قال خالد : قد قال لى شيئاً هو أعلم به منّى. قالت : أمَا والله ليعلمنَّ، فأحِبُّ أن لا يرَى فى وجهك غَضَباً. قال : نعم. فلما انصرف مَرْوان إليها سكتت عنه حتى إذا صار إلى فراشه قامت إلى مِرفقةٍ فألقتها على وجْهه، ثم اضطجعت عليها، فلم تفارقْه حتى لفَظَ عَصْبَه(١).

ومنهم : ٥٢

قَبيصة بن القَين الهلالى

وكان سببه أنَّ المغيرةَ بن شعبة أُتِى برجلين من الخوارج فحبسَهما، وكتب إلى معاوية فى أمرهما، وكان المغيرة يتَّقى الدماء، وكان أحدُ الرجلين من بنى تميم والآخر من مُحارب، فكتب معاوية إلى المغيرة: إنْ شهدا أنِّى أمير المؤمنين فخلِّ سبيلهما، وإن أبيَا ذلك فاقتلْهما. فجاء بنو تميم فشهدوا على صاحبِهم بالجُنُون فخلَّى سبيله. ثم دعا بالمحاربى، وكان يقال له مُمين ـ وقبيصة بن القين جالسٌ عند المغيرة ـ فقال لِمُمين : أتشهد أنَّ معاوية أمير المؤمنين ؟ قال : أشهد أنَّ بنى تميم أكثرُ من محارب ! فقام قبيصة بن القَين فقال : أصلح الله الأمير،

---

(١) يقال لفظ عصبه، بسكون الصاد، إذا مات. والعصب : الريق يعصب بالفم أى يغرى به فييبس. انظر اللسان (لفظ ٣٤٢).

أَسقِنى دمَه . قال : اضربْ عنقَه . فضرب قبيصةُ عنق معين الخارجىّ .

فمضى المغيرةُ ، وولى بعده زيادُ بن أبيه، وبعده عُبَيد الله بن زياد ، ثم خالد ابن أسيد ، ثم الضحاك بن قَيس الفهرى ، ثم عبد الرحمن بن أمّ الحكم ، ثم النُّعمان بن بشير — إلى أن ولى بِشرُ بن مروانَ بن الحكم ، فأكرمَ هذا الحىَّ من قيس — وكانوا أخوالَه — ثم بنى عامرٍ خاصّة ، وأكرم قَبيصة بن القَين الهلالى ، فتقدم رجل[1] من عمان يرى رأى الخوارج فدخَل مسجد الكوفة ، فأتى حلقةً فيها قبيصةُ بن القين فى صدر المجلس ، فقال العُمانى ليفهم : مَن هذا ؟ فقال : قَبيصة بن القين خالُ الأمير . قال : ما أعرفه . فقال الرجل المسئول : هذا قاتل معينٍ الخارجىّ المحاربىّ ! فأقبل على الذى يليه فسأله كما سأل الأوّل ، ٥٣ فقال له مثلَ قول صاحبه ، حتى سأل أربعةَ نفر ، فاتفقوا على قولٍ واحد ، فلما اجتمعوا على منطقٍ واحد انطلَقَ إلى الصياقلة ، وفى كُمِّه نُفَيقة[2] له ، فطلب سيفاً صارماً ، فأُتى بسيف من البِيض ،فهزّه فإذا هو شديد المتن فاشتراه وكانت الأمراء تمشّى عند العصر فلا تفرُغ إلا عند احمرار الشمس . فخرج قبيصة بن القَين من عند بِشر ، فعرضَ له العُمانى فقال : أصلحَكَ الله ، إنى رجلٌ غريب ظلمنى عاملى ولا أحَدَ لى ، وقد أُخبرت بمكانك من الأمير . فقال : هِى ! — وطوّلها وهو يسير روَيداً ، والعُمانىُّ يتلفت يريد الخَلوةَ من الطريق ، وقبيصة يسير روَيداً حتى انتهى إلى دار السِّمط بن مُسلم[3] ، إلى زُقاقٍ يأخذ إلى بنى دُهْن من بجيلة ، فخلا له الطريق فطَرحَ بَتّه وقال : لا حَكَم إلا الله ، يا ثارات مُعِين[4] ! ثم ضربه

---

(١) فى النسختين : « إلى رجل » .
(٢) مصغر نفقة ، أى مال .
(٣) انظر الاشتقاق ٣٠٣ .
(٤) يا ثارات ، كذا ورد فى النسختين ، والمألوف « يالثارات » .

ضربةً أطنَّ منها فخِذَه ، ثم ولّى العمانىُّ وأقبلَ الناس إليه ، فنادى قبيصةُ : إنه لابأسَ علىّ ، أدرِكوا الرجل . فلما سمع العمانىُّ قوله : « لا بأس علىّ » رجع على الناس فصاح بهم : أُفْرِجوا . ففرَجوا له وضربَه حتى قتلَه ، ومضى العمانىُّ فطُلِب فلم يُوجَد .

فذكروا أنه خرج بعد ذلك مع شَبيب بن يزيد الشّيبانى، وكان بِشرٌ أخَذ بالعمانىّ يومئذ البرىء والسَّقيم . فلما دخل شبيبٌ الكوفةَ والحجاجُ أميرُ العراق جَعل العمانىُّ يصيح : يا أهل الكوفة ، يا فَسقة ، تأخذون البرىء بالسقيم ، أنا قاتلُ قبيصة بن القَين !

ومنهم :

بجير بن الورقاء السعدى[1]

وكان عبد الملك استعمل أميَّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص ٥٤
على خُراسان حيث اجتمع الناسُ عليه. فولّى أمية بُجيراً شُرطَه[2]، وولى بُكير ابن وشاح[3] السعدىّ أيضاً ساقتَه ، فغدر بكير بن وشاح[3] بأُميَّةَ بن عبد الله وقد عبر أميَّة نهر بَلْخ يريد سمرقند، فعمد بكير فحرّق المعابر ورجع إلى مَرْو فغلب عليها وجعل يجبِيها ، فرجع أميةُ فلم يجد مايعبرُ عليه ، فمضى إلى التِّرمذ[4] ليعبر من هناك ، وحاصر بكَيراً ، ثم أعطاه الأمان ، ففتح له مدينة مرو .

---

(١) فى النسختين: « الوفاء »، تحريف. وفى الطبرى ٧: ١٩٦، ٢٧٦/٨ : ٥: « بجير ابن ورقاء الصريمى » ، وكذلك فى تاريخ الإسلام للذهبى ٣ : ١١٢ . وكان مقتله سنة ٨١ . وانظر جمهرة ابن حزم ٢١٨ .

(٢) جعلها الشنقيطى « شرطته » .

(٣) وكذا عند الطبرى ٧ : ١٩٦ ، ٢٧٥ / ٨ : ٥ وجعلها الشنقيطى « وساج » بتشديد السين،وآخره جيم ، مطابقاً بذلك ما فى القاموس (وسج) وتاريخ الإسلام للذهبى .

(٤) هى ترمذ ، المدينة المشهورة على نهر جيحون ، وفيها يقول نهار بن توسعة :

فارحل هديت ولا تجعل غنيمتنا ... ثلجاً تصفقه بالترمذ الريح

وإن بجيراً وشى ببكير وقال له إنه على الوثوب بك. فقال له أمية: أنا أوليك من أمره ماتوليت فكن أنت قاتله . فقال له بكير : يا بجير ، دعْ أمية يولّى قتلى غيرك ، فإنى أخافُ إن فعلتَ أفسدتَ بين قومنا . فقدّمه بجير فضرب عنقه .

وبلغ بجيراً أنّ عشرةً من بنى سعدٍ يطلبونه بدم بكير ، فكان لا يفارق الدِّرع . وإنّ رجلاً من قومه أتى عاملَ سجستان فانتمى له إلى بنى حنيفة وسأله أنْ يكتب له كتاباً إلى بجير بالوَصاة . فكتب له وهو لايظنّه إلا حنفيا . فلما قدم على بجير أدناه، فجعل الجشمى يطلب من بجير غرّةً فلا يجدُها، فلبث كذلك حتى عَزل عبد الملك أمية وولىَ الحجاجُ العراق، فولّى الحجاجُ المهلَّبَ بن أبى صفرة خُراسان، فقال بجير عند رواق المهلب، وهم فى عسكرٍ وقد أتى بجير والناس يطلبون الإذنَ على المهلّب إذ جاءه العوفىُّ من خلفه، الذى ذكر أنه حنفىّ ، كأنه يساره، فأصغى إليه بجير فطعنه بخنجر كان معه فنحَره به ، ونادى الناس : الحرُورىّ ٥٥ الحرورى ! فرمى بالخنجر ونادى: والله ما أنا بحرورى، ولكنى اخز[1] يالثارات بكير بن وشاح[2] ! وأُخِذ الرجل ، وكان عيَّره رجلٌ بالبادية بأن قال له : إنك لنؤوم عن طلب وِترك فى بكير بن وشاح[2]! فجعل على نَفْسه أن لا يأكل لحماً ، ولا يدهن رأسَه حتى يقتلَ قاتلَ بُكَير .

---

(١) كذا بالنسختين .

(٢) انظر التنبيه رقم ٣ ص ١٧٦ .

ومنهم :

يزيد بن الحصَين بن نُمير السَّـكْسَـكى

وكان سبب ذلك أنّ الحجاج أُخبِرَ عن راهبٍ بطريق الشام بعلمٍ بارع ، فوفد الحجاجُ إلى عبد الملك فأتى الراهبَ فقال له : يا راهبُ ، أنا الحجّاج ، وإنى لأعلم أنِّى بين موتٍ وعزل فمن ترَى يلى مكانى؟ فنظر الراهب فقال : يلى مكانك يزيد . فسأل الحجاج سُفيانَ منجِّمه عما قال الراهب فقال له : صدَقَك . فقال الحجاج : أمّا يزيد بن أبى مسلم[(١)] فليس العبدُ هناك . وأما يزيد بن المهلب فخليق أن يكون ، أو يزيد بن الحُصَين بن نمير ، فإنه سيد الشام .

فلم يزل يحمل عبدَ الملك والوليدَ بعده على آل المهاب حتى أمكن فيهم فعذَّبهم وأغرمَهم ستّةَ آلاف ، ودسّ سفيانَ منجِّمَه إلى يزيد بن الحصين فقال : اكفِنيه ! فأتاه سفيانُ فلاطفَه حتى أَنِسَ به واطمأن إليه واختلطَ به ، ثم سقاه سمًّا فقتله ، فولّى العراق بعده الوليدُ بن عبد الملك يزيدَ بن أبى كبشة ، ثم وليه لسليمان بن عبد الملك يزيدُ بن المهلب .

---

(١) ا : « يزيد بن مسلم »، والتكملة للشنقيطى فى نسخته .

ومنهم :

نَجْدة بن عامر الحنفى

وكان رئيسَ الخوارج ، فوجدوا عليه بأنه ظفر ببنت عمرو بن عثمان بن عفان فردَّها إلى قريش. وفى أنه أمر لمالك بن مِسْمع ، وكان هرب إليه من مُصعب ، بمائة ناقة . وأعطى عُبيد الله بنَ زياد بن ظَبْيان ، أحد بنى تيم الله بن ثعلبة بن عُكابة
٥٦ وكان هَرَب إليه أيضاً — مثلَ ذلك . فرأَّسوا عليهم أبا فُدَيك ، وخلعوا نَجْدة ، فجلس فى منزله وخلّاهم .

ثم إنّ أصحاب أبى فُدَيك تذامروا بينهم قالوا : لا نأمَنُ أصحاب نجدة أن يُغاوِروه[1] لقَدْر نجدةَ — كان — فيهم . فاغتالوه حتى قتلوه فى منزله .

ومنهم :

أبو هاشم عبد الله بن محمد بن على بن أبى طالب[2]

وكان من رجال قريش ، وأنه وفَدَ إلى سُليمانَ بن عبد الملك ، ومعه عِدَّة من الشيعة، وكان من أشدِّ أهل زمانه عارضةً وأبينهم بياناً ، فلما كلَّمه سليمان عَجِب منه وقال : ما كلَّمت قرشيًّا قطُّ يشبه هذا، ما أظنُّه إلا الذى كنَّا نُحَدَّث عنه ! وأحسنَ جائزتَه وجوائزَ من معه ، وقضى حوائجَه وحوائجهم ، ثم شخَصَ يريد فِلَسْطين ، فبعث سليمانُ قوماً إلى بلاد لَخْمٍ وجُذام ، فضربوا أبنيةً ، بينَ كلِّ بناءين ميلٌ وأكثَرُ من ميل، ومعهم اللبن المسموم، فلما مرَّ بهم أبو هاشم وهو على بَغلةٍ له قالوا : يا أبا عبد الله ، هل لكَ فى الشَّراب[3] ؟ فقال: جُزِيتُم خيراً.

(١) غاوروه : أغاروا عليه وأغار عليهم . ب « يعاوروه » تصرف من الناسخ .

(٢) ذكره أبو الفرج فى مقاتل الطالبيين ١٢٦ وقال : « ويكنى أبا هاشم ، وأمه أم ولد تدعى نائلة » .

(٣) ب : « شراب »، تصرف من الناسخ .

ثم مرّ بآخرين فعزموا عليه أيضاً، ففعل ذلك مراراً حتى مرّ بقوم أيضاً فعزموا عليه فقال : هلمُّوا . فلما شَرِب واستقرّ فى جوفه اللّبنُ قال : ياهؤلاء ، أنا والله ميِّتٌ فانظروا هؤلاء القوم مَن هُم . فنظروا فإذا القومُ قد قوَّضوا أبنيتَهم وذهبوا ، فقال : مِيلوا بى إلى ابن عمى محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس ، وما أظُنّنى مُدرِكَهُ . فأغذُّوا به السَّير حتى أتَوْا كُدَاداً من الشَّرَاة(١) وبها محمد بن علىّ ٥٧ بالحُمَيْمة ، فنزل عندَه ومات بها .

ومنهم :

عمر بن عبد العزيز بن مروان رضى الله تعالى عنه

وكان أراد أن يجعل الخلافةَ فى بنى هاشم ، فكتَبَ إلى الآفاق ليأتيه فقهاؤهم فيشاوِروه ، وجعل يرُدُّ المظالم ويُنصِف من بنى أمية ، حتى أسرع ذلك فى ضَياعِهم .

وكان بنو مرْوان يعظِّمون أمّ البنين بنت الحكم بن أبى العاص . ذكر محمد ابن الحسين قال : أخبَرنا نوفَل بن الفرات(٢) قال : كانت أم البنين إذا دخلت على خلفاء بنى أمية نزلَتْ على أبواب مجالسهم ، فلما ولى عمرُ بن عبد العزيز دخلت عليه فتلقّاها وأنزَلها ، فلما جلست جعل يكلِّمها ويقول: يا عَمَّة، أما رأيتِ الحرسَ بالباب ـ مازحاً ـ أى إنه لا حرسَ لى . فلما رأى أنها لا تكلِّمه قال : يا عمة ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبِض والناس على نهرٍ مورود ، فولىَ بعده رجلٌ قُبِض ولم يَستقِصْ(٣) منه شيئاً ، ثم ولىَ رجلٌ آخر قُبِض ولم

---

(١) الشراة : صقع قريب من دمشق ، وبقرية منها يقال لها الحميمة كان سكن ولد على ابن عبد الله بن عباس أيام بنى مروان . عن تاج العروس . ونحوه فى معجم البلدان . فى النسختين : « السراة » ، تحريف . وانظر التنبيه والإشراف ١٩٢ .

(٢) تكرر فى سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى ، باسم نوفل بن أبى الفرات الحلبى .

(٣) فى سيرة عمر ١١٦ : « فلم يستنقص » .

يستقض منه شيئاً ، ثم ولى رجل آخر كَرَى فيه ساقيةً ، ثم كُرِيت السَّواقى حتى جفَّ ماؤه وذهب ، وإن قدَرْتُ لأعيدنَّ ذلك النهر إلى مجراه .

قال : فقالت : فلا يسبُّوا عندك أهل بيته . قال : ومن يسبُّهم ؟ إنما هو الرجل(١) يرفع المظلمة ، فآمرُ بردها .

ومن غير حديث ابن معين(٢) قال : فلما رأى ذلك بنو مروانَ دسُّوا حاضنَه وأعطوه ألفَ دينارٍ على أن يسمَّه . ففعل . فلما أحسَّ عمر من نفسه دعا الخادمَ
٥٨ فسأله فأقرَّ ، فقال له : كم أُعطِيت ؟ قال : ألف دينار . فأخذها عُمَرُ منه فطرحَها في بيت المال وقال للخادم : أُنجُ لاتُقْتَل . فمضى الخادم ، ومات عمر(٣) .

وذكر ابن أبي شيخ ، أن مجاهداً دخل على عمر في مرضه ، فقال له : مايقول الناسُ يا مجاهد ؟ قال : يقولون إنك مسحور . فقال : لست مسحوراً ولكنِّى مسموم ، سَمَّنى غلامى هذا . ثم قال له : ما حَمَلك على ما فعلتَ ؟ قال : جُعل لى عِتْقى وألفُ دينار . قال : هاتِ الألف . فأخذها فجعلها في بيت المال ، وقال : اذهب فأنت حرٌّ .

---

(١) ب : « رجل » ، وهو من صنيع الناسخ .
(٢) كذا . ولم يسبق له ذكر .
(٣) انظر خبر اسمه في سيرة عمر ٢٧٦ .

ومنهم :

عمر بن يزيد بن عُمَير الأسيِّدى[1]

وكان يلى البصرة مرّةً ، ويليها مالك بن المنذر بن الجارود مرة ، وكان صديقاً لمالك ، فدخل بينهما رجلٌ من بنى كُرَيز فأفسَدَ ذلك ، فوَلِىَ مالكُ بن المنذر فحبَس[2] الفرزدق وادّعَى عليه أنه هجا نهر المبارك[3] ، وكتب إلى خالد ابن عبد الله القسرى وهو عاملُ العراق يحمله على عمر بن يزيد ، فكتب إليه خالدٌ يأمره بحبسه ، فبعث إليه فحبسه فى داره: ثم دسّ إليه مَن لَوَى عنقه فقتله . فلما كان الغد حُمِل على دابّةٍ ، ورَكِب وَرَاءه رجلٌ يُمسِك ظَهرَه ، فجعَلَ[4] رأس عمر يتذبذب، فجاء[5] الذى وراءه عنقه ويقول: أقِم رأسَك فإنّك نَجّاث[6] ! وأدخل فلما أصبحوا من غد قالوا : مَصّ خاتَمَه وفيه سمٌّ ومات .

وكان الفرزدق محبوساً فى غير السجن الذى كان فيه عمر فأتى الفرزدقَ ابنه لَبَطة فقال : أمَا علمت أنّ عمر بن يزيد مَصّ خاتمه فوجدوه ميّتاً ؟ فقال له

---

(١) فى النسختين : « الأسدى » صوابه من المحبر ٤٤٣ والطبرى ٨: ١٩١ والأغانى ١٩ : ٤٢ وكان مقتله سنة ١٩١ .

(٢) ا : «فجلس»، والتصحيح للشنقيطى .

(٣) ا : « بهم المبارك » جعلها الشنقيطى « نهر المبرك » كلاهما محرف عما أثبت . وهو نهر بالبصرة احتفره خالد بن عبد الله القسرى . وفى هجائه يقول الفرزدق :

وأهلكت مال الله فى غير حقه على النهر المشئوم غير المبارك

ويقول أيضاً :

كأنك بالمبارك بعد شهر تخوض غماره بقم الكلاب

انظر معجم ياقوت (المبارك) والأغانى ١٩ : ٤٢ .

(٤) فى النسختين : « فحمل » ، والوجه ما أثبت ، وفى الأغانى : « فجعل رأسه يتقلب والأعوان يقولون له قوم رأسك» .

(٥) كذا . ولعلها « فحتأ » . حتأه : ضربه .

(٦) فى النسختين : « نجات » . والنجاث : البحاث عن الأخبار يتتبعها ويستخرجها .

٥٩ الفرزدق : وأعلم أن ذلك معمول وأنه قُتِل، وأبوكَ ، والله، إن لم يَلحق واسط، سيمصُّ خاتَمَه !

ومنهم :

قتادة بن سابة[١] بن ثابت بن معبد

أخو بنى أبى ربيعة بن ذُهل بن شيبان ، وكان أصاب دماً فى بنى شَرِيك، فمشت السُّفَراء حتى صلَح الأمر ، فمشَوْا بذلك ما شاء الله . ثم إن حُرَيث بن أسود بن شريك ومولًى له يقال له يَقظان لقيا قَتادة بالبصرة وقد أسلم خُفَّين له إلى إسكاف ، فجعلا للإسكاف جُعْلاً على أن يَحبِس خُفَّيه إلى الليل ، ففعل ذلك وقال لقَتادة : ائتنى صلاةَ المغرب حتى أعطيك خفَّيك : فلما جاء ليأخذَها وقد كَمَنا له شدًّا عليه فقتلاه، وهاج بينهما الناس فصاحا: إنما نحن ثائران[٢]! فأحجَم الناسُ عنهما فنُجِّيا .

وقال حُرَيثٌ فى قتله :

فقلت له صبراً حريثُ[٣] فإننا ... كذلك نجزى قَرْضَكم آلَ مرثدِ
قتادةُ يعلو رهْطَه وعِلاوته ... بأبيضَ من ماءِ الحديد مهنَّدِ[٤]

---

(١) المعروف فى أعلامهم « سيابة » كسحابة .
(٢) فى النسختين : « ثائرين » . والثائر : الطالب للثأر .
(٣) كذا، ولعلها « قتاد » .
(٤) ماء الحديد : خالصه . انظر الإنصاف لابن الأنبارى ٩٨ والحماسة بشرح المرزوقى ٤٦٨ .

ومنهم :

عمرو بن محمد الثقفى[1]

وكان عاملًا على السند ، فوجّه إليه منصورُ بن جمهورٍ الكلبىّ — وكان منصورُ بن جمهور افتعل عهداً فوَلِىَ العراق، وهو الذى يقول له الناس: «منصور ابن جمهور، أمير غير مأمور» — وذلك فى فتنة مروان بن محمد — فوجّه إلى عمرو بن محمد بن القاسم الثقفى ، وكان عامل مروان ، رجلًا من أهل الشام يقال [له] فلان ابن عمران[2] يأخذ عَمْرًا بالحساب ، فحبسَه ودسّ إليه مَن قتله فأصبح ميّتاً ، وأشاع أنه قتل نفسَه من خوف المُحاسَبة .

ومنهم :

منظور بن جُمهور ، أخو منصور

وكان منصور ضم إلى أخيه منظور رجلًا من أهل الشام من أهل اليمن يقال له رِفاعة بن ثابت بن نُعَيم ، فكان الغالبَ على أمر منظور ، وكان يسامِره وينادمه. فلما ضبط أبو مسلم خراسانَ وجّه على السِّند رجلاً من بكر بن وائل ، يقال له معلّس[3] ، فبلغ ذلك رفاعة بن ثابت . وأن معلّسًا[4] قد دنا من السند ، فقعد هو ومنظور ووصيفٌ لمنظور يشربون، فلما أخذفيهم الشرابُ نام منظورٌ ووصيفه، وخرج رِفاعة فأتى منزلَه وجاء بسيفه وبمولًى له معه، وأخذ سِكّة فرسِه، وأتى حائطا يُفضِى إلى درجةِ الغرفة التى منظورٌ ووصيفه فيها ، فنقَبه هو ومولاه حتى أفضيا

---

(١) الطبرى ٩ : ٢٩ فى حوادث سنة ١٢٦ .

(٢) الطبرى : « محمد بن غزان أو عزان الكلبى » .

(٣) كذا فى النسختين .

(٤) جعلها الشنقيطى « مغلسا » .

إلى الدرجة،فصعِدا إلى السطح فإذا منظورٌ ووصيفه نائمان ، فقتل منظوراً وجاء إلى الوصيف ليقتلَه فانتبه الوصيفُ حين وَجَد مسَّ الحديد ، فقال : يا منظور ، تسامرنى من أول الليل وتقتلنى من آخره ؟ ! وهو يظنّه منظوراً،فأجهَزَ عليه . وقال لوصيفٍ لمنظور : افعلْ ما آمرُكَ به وإلا قتلتك. فقال:مُرْنى بما شئت . فقال: أدعُ لى صاحب الحرَس على لسان مولاك — وكان رجلاً من بنى أسد — فأشرفَ الغلام وقال :الأمير يدعوك. فلما أطلَعَ رأسه قام رِفاعة ومولاه فقتَلاه، وجعل يقتل الرجلَ من الوجوه هكذا ، حتى قتَل ثمانيةَ نفَر . قال الشاعر :

يا رِفاعَ بن ثابت بن نُعيمٍ ماجزيتَ الإحسانَ بالإحسانِ
ولقد أتلفت يمينُك خِرقاً أريحيًّا وفارسَ الفرسانِ
فأدال المليكُ منك فقد أصْـ ـبحتَ فى كفِّ ثائرٍ حرّانِ ٦١

وظفر منصورٌ برِفاعة فقتله .

ومنهم :

عبد الله بن عمر بن عبد العزيز

وكان عامل مَرْوَان على العراق قبل ابن هُبيرة ، فغلبت الخوارجُ على الكوفة ثم مضَوْا إلى واسط فحصَرُوه بها ، وكان رئيسُ الخوارج الضَّحَّاكَ بن قَيسٍ الشَّيبانى ، فلما طال حِصارُه بعثَ إليه عبدالله بن عمر : إنى عامِلُك فامضِ إلى مروانَ فقاتِلْه فإن ظفرتَ به أو قتلتَه فأنا عاملُك وداعٍ لك . فمضَى الضحاكُ فقتلَه مروان . وولّى يزيدَ بن عمر بن هُبيرة على العراق.فقتل الخوارجَ . وبعث إليه بعبد الله بن عمر فحبسه بحرّان. ثم دسّ إليه قوماً فوضعوا على وجهه مِرْفَقَته فأصبحَ فى السجن ميّتاً .

ومنهم :

الإمام إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس

وكان نصر بن سيّارٍ كتب إلى مَرْوان يُعْلمه بخروج أبى مسلم وكثرةِ تبَعِه وأنه يخاف أن يستولىَ على خُراسان . وأنّ الدعوة لإبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله . فأُلقىَ الكتابُ إلى مَرْوان ، وقد[1] أتى إبراهيمَ رسولُ أبى مسلمٍ بكتاب . فسأل إبراهيم الرسولَ : ممن هو ؟ قال : من العرَب . فردَّ جوابَ كتابِ أبى مسلم يلعنه فيه أن ترك المواثَبَةَ لِجُدَيع الكَرْمانى[2] ونصرِ بن سيّار . ويأمره فيه ألاّ يدعَ بخراسان عربيا إلاّ قتله .

فانطلق الرجُل إلى مَرْوانَ بالكتاب فوضعه فى يده ، فكتب مروانُ إلى معاوية بن الوليد بن عبد الملك[4] ـ وهو عامله على دمشق ـ أن ا كتب إلى ٦٢ عامل البلقاء فلْيَسِرْ إلى كَداد[3] والحُمَيمة ، فليأخذ إبراهيم بن محمد فليشدّه وَثاقاً وليبعثْ به إليه مع خيل كثيفة ، ثم وجّهْ به إلى أمير المؤمنين .

قال : فأُتِيَ وهو جالسٌ فى مسجد القرية ، فأُخِذ فلُفَّ رأسُه وحُمِل فأُدخِل على مروان ، فأنّبه وشتمه ، فاشتدَّ لسانُ إبراهيمَ عليه وقال : يا أمير المؤمنين ، ما أظُنُّ مايَرِوى الناس عليك إلا حقًّا ، فى بغض بنى هاشم ، ومالى وما تصف ؟

---

(١) فى النسختين : « وقال » صوابه من الطبرى ٩ : ٩٢ وكان مقتل إبراهيم سنة ١٣٢ .

(٢) هو جديع ، بهيئة التصغير ، ابن شبيب بن عامر بن صنيم الكرمانى ، رأس الأزد بخراسان ، الاشتقاق ٢٩٥ . فى النسختين : « لحديع » صوابه فى الاشتقاق والطبرى .

(٣) كذا . وعند الطبرى ٩ : ٩٢ « الوليد بن معاوية بن عبد الملك » ، وفى التنبيه والإشراف ٢٩٣ : « الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم » .

(٤) وكذا سبق فى ص ١٨٠ . وفى الطبرى والتنبيه والإشراف ٢٩٢ ، ٢٩٣ : « كرار» براءين . قال المسعودى : « بكرار من جبال الشراة والبلقاء من أعمال دمشق » . وضبطه البكرى فى معجم ما استعجم بكسر الكاف ، ولم يعينه .

فقال له مروان : أدركَكَ اللهُ بأعمالك الخبيثة ، فإنّ الله لا يأخذ على أوّلِ ذنب ؛ اذهبا به إلى السجن . فحبسه أياماً ، ثم أمر قوماً فدخلوا إلى السجن بعد ما مرّ صَدرٌ من الليل، فغُمَّ إبراهيمُ في جِرابِ نُورَة ، وغُمَّ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بِمِرفقةٍ ، فأصبحا ميّتين في غداةٍ واحدة . رحمهما الله تعالى .

ومنهم :

أبو سَلَمة حَفص بن سليمان

مولى بني مُسْلِيَة[١] ، وكان يقال له وزير آل محمد[٢] .

وكان أبو سلمة لما استقبّ الأمر واستقامت خراسانُ والجبال وفارس وجّه أبو سلمةَ للعمّال في السّهل والجبل ، ثم أقام أبو سلمة نحواً من أربعين يوماً لا يُظهر أمرَ أبي العباس، وأبو جعفرٍ وعبد الله وإسماعيل وعيسى وداود بنو عليٍّ قد قدموا من الشام ، فأنزلهم أبو سلَمة دارَ الوليد بن سعيد[٣] في بني أَوْد[٤] .

وكان القوّاد الذين قدموا من خراسان يقولون لأبي سلمة : أينَ الإمام ؟
فيقول : لا تعجلوا . وكان أبو سلَمة يدبِّرها لبني فاطمة رضي الله عنها، فجعل يريثُهم
٦٣ ويقول : نعم اليوم ، غداً ! حتى خرج أبو حميد ، وهو يريد الكُناسة، فلقي مولًى
لهم أسوَد[٥] قد كان يعرفه حيث كان يأتي إبراهيم بالشام . فلما رآه احتضنه وقال:
ويلك ، مافعل الإمامُ ومواليك ؟ قال : هم ها هنا والله مُذْ[٦] أكثر من شهرين.

---

(١) في مروج الذهب ٣ : ٢٨٤ : « حفص بن سليمان الخلال الهمداني ، مولى لسبيع » .
(٢) كما كان يقال لأبي مسلم الخراساني « أمين آل محمد » . مروج الذهب والطبري ٩ : ١٤٢ .
(٣) الطبري ٢ : ٣٢٨ : « الوليد بن سعد » .
(٤) في النسختين : « أوو » ، صوابه من الطبري والاشتقاق ١٦٥ .
(٥) الطبري : « يقال له سابق الخوارزمي » .
(٦) جعلها ناسخ ب : « منذ » .

قال : وأين هم ؟ قال : فى دار الوليد بن سعيد[١] فى بنى أَوْد . قال : فانطلِقْ فأرِنيهم . فخرج الأسودُ بين يديه وأبو حُمَيد يتبعه فى موكبه حتى دخل فقال : السلام عليك أميرَ المؤمنين ورحمة الله . ثم أرسل عينَيه بالبكاء وقال : ما لكم هاهنا ؟ قالوا : تركَنا أبو سَلَمة ها هنا منذ شهرين . فقال : يا أمير المؤمنين ، منذ شهرين أركب . فحمله وأهلَ بيته ثم أقبل بهم إلى المسجد ، وعَلِم أبو سلمة ماوقع فيه فقال : إنما أخَّرتُ أمرَكم لإحكام ما أريد منه .

ثم إنّ أبا العباس تنكّرَ لأبى سلمة ، فلما همُّوا به كرِهوا الإقدامَ عليه دون مشاورة أبى مسلم ، فكتب إليه يُعلِمه بغِشِّه وماأراد من صَرْف الأمر إلى غيره وما يتخوّف منه . فكتب أبو مسلم إلى أبى العباس : فليقتله أمير المؤمنين . فقال له داود بن على : لاتفعلْ يا أمير المؤمنين فيحتجَّ عليك أبو مسلم وأهلُ خراسان الذين معك ، وحاله عندهم حاله ، ولكن اكتب إلى أبى مسلم أن يبعثَ إليه من يقتُله . فكتب إليه بذلك ، فوجّه أبو مسلم مَرّار بن أنس الضبى ، فقدم على أبى العباس فأعلمه قدومَه . وكان أبو سلمة يَسمر عند أبى العباس ، فجاء مَرّار الضبِّىُّ فجلس على باب أبى العباس ، فلما خرج أبو سلمة وتنحَّى عن الباب شدَّ عليه فقتله. ٦٤

فلما أصبح لُعِن على باب الخليفة ، وذكروا فِسقَه وغِشَّه وغدره ، فقال سليمان ابن المهاجر البَجَلىّ :

إنّ الوزيرَ وزيرَ آلِ محمَّد أودى فمن يشناك كان وزيرا[٢]

---

(١) الطبرى ٢ : ١٢٨ : « الوليد بن سعد » .

(٢) يشناك ، بالتسهيل فى ا والطبرى ٩ : ١٤١ والفخرى ١٣٨ . وجعلها الشنقيطى « يشنأك » . ومعناه يبغضك . وبعد البيت عند الفخرى :

إن السلامة قد تبين وربما كان السرور بما كرهت جديرا

ومنهم :

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

وكان عبدُ الله خرج بالكوفة في ولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على العِراق فقاتلَه فهزَمه ، فسار إلى المدائن فتبعه بها قومٌ فساروا إلى حُلْوان فأخَذ الجبالَ ودعا لنفسه ، ثم مضى إلى أصبهان فأقام بها ، ثم سار إلى إصطخر فجبى كُوَرَ فارس(١) ، وضرب دراهم عليها : « قُلْ لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودَّةَ في القُرْبَى » .

فلما قدِم يزيد بن عمر بن هبيرة عاملاً على العراق بعد عبد الله بن عمر وجّه إليه ابن ضُبَارة(٢) فهزمه إلى سِجِستان ، ثم صار إلى هَرَاة وقد استتبّ أمر خراسان لأبي مسلم ، وأخذوا أخوَيه الحسن ويزيد ابنَي معاوية ، فاعتُقِل في الحبس ثم وجد ميّتاً فيه .

ومنهم :

يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري

أمير العراق لمَرْوان بن محمد . وكان أبو جعفرٍ المنصورُ حاصَرَهُ بواسط ، ومعه حُمَيد والحسن ابنا قَحْطَبة ، ومالك بن الهيثَم الخزاعي ، فطلبَ الأمانَ ، فكتب إلى أبي العباس بذلك فأعطاه الأمانَ على نفسه وقراباته وحاشيته وقُوّاده ، فمكث كتاب الأمانِ يقرأ على الفُقَهاء أكثرَ من أربعين يومًا حتى أُكِّد(٣) ، وأراد

(١) كان ذلك سنة ١٢٩ . الطبري ٩ : ٩٤ .

(٢) هو عامر بن ضبارة ، بضم الضاد ، كما في الاشتقاق ١٧٧ ومقاتل الطالبيين ١٦٧ . وجاء في ا والأغاني ١١ : ٧٠ « صبارة » وفي ب « صباوة » ، والصواب ما أثبت .

(٣) الطبري ٩ : ١٤٤ : « وكتب به كتابا مكث يشاور فيه العلماء أربعين يوماً حتى رضيه ابن هبيرة » .

أبو جعفر الوفاء به ، وأنَّ داود بن على ولى الحجاز وصاحب مقدَّمته أبو حماد[١] فأخذ أبو حمّاد رجلا فقال له : أين تريد ؟ قال : العراق . قال : ممن أنت ؟ قال : ٦٥ من موالى بنى هاشم . ففتَّشه فلم يجد معه كتاباً ، فقدَّمه ليضربَ عنقَه، فقال: لا تَعجلْ وفَتَق قَباءً محشوًّا ، فأخرج منه حريرةً فيها كتابٌ من محمد بن عبد الله بن الحسن ، جوابُ كتابِ ابن هُبيرة ، كتب إليه :

« لا تعجل بالخروج ، وماطِلْهم حتَّى يستتبَّ أمرُنا؛ فقد ذكرتَ أنَّ قِبَلك من فُرسان العرب ثلاثين ألفاً . فدافِع القومَ بتأكيد الأمان » .

فرفع الرّجلَ والحريرةَ إلى داود[٢] ، فقتل الرجلَ وبعث بالحريرة إلى أبي العباس ، فكتب أبو العباس[٣] إلى أبي جعفرٍ يأمره بقتله ، فراجعه أبو جعفر وأراد الوفاء له فكتب إليه : « إن أنتَ فعلتَ ، وإلَّا أمّرتُ على عسكرك الحسنَ ابن قَحطَبة » . وقد كان أبو جعفر أحرَزَ الخزائنَ والأموال ، وجعل ابنُ هبيرة يركب غِبًّا إلى أبي جعفرٍ فى قُوّادِ أهلِ الشام ، فلما همّ بذلك بعث خازم[٤] بن خزيمة النهشلى ، والهيثم بن شُعْبة ، والأغلب بن سالم ، وكلٌّ من بنى تميم[٥] ، فى جماعةِ أصحابهم ، فدخلوا رَحَبة القَصر وأرسلوا إلى ابن هبيرة : « إنَّا نريد أن ننظرَ إلى الخزائن ونحملَ ما فيها » . فأذِن لهم فدخلوا وطافُوا ساعةً وجعلوا يخلِّفون عند كلِّ بابٍ جماعةً من أصحابهم ، ثم انصرفوا إليه فقالوا : أرسلْ معنا مَن يدلُّنا على المواضع التى فيها الخزائن وبيوت الأموال ، فقال : أوَ ليس قد خَتمتم

---

(١) هو أبو حماد الأبرص ، واسمه إبراهيم بن حسان السلمى . الطبرى ٩ : ١٤٨ .
(٢) داود بن على والى الحجاز .
(٣) أبو العباس السفاح .
(٤) فى النسختين : « حازم » ، صوابه فى الطبرى ٩ : ١٤٩ .
(٥) جعلها الشنقيطى بقلمه « فى بنى تميم » .

عليها وأحرزتموها ؟ ! يا أبا عثمان ـ يريد كاتبه ـ اذهب معهم فادللهم على الذى
٦٦ يريدون ، أو أرسلْ معهم . فأرسَلَ معهم ، فطاف خازمٌ[١] وأصحابه فى القصر ، ثم أقبل على ابن هُبَيرة وعليه قميصٌ مصرى ، وملاءة مؤزَّرة ، وهو مُسنِدٌ ظهره إلى حائط المسجد، وبُنَيّه صُبْحٌ غلامٌ صغير فى حجره ، فقتلوا داودَ ابنَه[٢] وكاتبَه وحاجبَه وأربعةً من مواليه ، ثم مشَوا نحوه فخرّ ساجداً وقال : نحُّوا عنّى هذا الصبىّ . فقتلوه وهو ساجدٌ .

وبعث أبو جعفر إلى قُوّاده وهم لا يَعلمون بأمر ابن هُبيرة ، فلما أُدخِلوا الرِّواق كُتِّفوا ودُفِعوا إلى القُوّاد فقتَلوهم فى منازلهم .

ومنهم :

علىّ وعثمان ، ابنا جُدَيع الكَرمانى[٣] الأزدىّ

وكانا سارا إلى أبى مسلم بعد قتل نصر بن سيّار أباهما غِيلةً وغَدْراً ، فناصحا أبا مسلمٍ وأحسنا معُونته، حتى إذا استقامت خُراسان دعا أبو مسلم عليًّا فقال له : سَمِّ لى أصحابك فقد نصحتَ وأحسنتَ وقضيتَ ما عليك، وبقِىَ ما علينا . فسمّاهم له ، فولَّى عثمانَ أخاه طَخَارستان، ففرّق عنه فُرسانَه ثم قال له: أحْضِر لى أصحابَك لأُجيزَهم. فقال لهم علىّ: اُغدُوا على جوائز أبى مسلم. فغدَوا وغَدا ، فأُدخِلوا داراً فأُعطوا فيها الجوائز ، ثم قيل : اُدخلُوا فتشكّروا لأبى مسلم. فلما خرجوا أُدخِلوا داراً أخرى قُمِطوا[٤] وأُخذت الجوائز منهم فقتلوا، وكتب إلى أبى داود الذُّهلى،

---

(١) فى النسختين : « حازم » ، صوابه فى الطبرى ٩ : ١٤٩ .

(٢) هو داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة . الطبرى ٩ : ١٤٦ .

(٣) فى النسختين : « خديع » تحريف . انظر ما سبق فى حواشى ١٧٦ .

(٤) قمطوا : شدت أيديهم وأرجلهم . وقد تكون « قطوا » . مطى ، بالبناء للمفعول : مد وبطح : ومنه : « مر على بلال وقد مطى فى الشمس يعذب » :

وهو خالد بن إبراهيم : « لا يغلبنَّك عثمانُ بن الكرمانى » . فاتخذ له[١] طعاماً ، وبعث إليه فأتاه فى قوّاده ووجوه فرسانه ـ وكان أبو داود عاملاً على ما وراء النهر . فلما أتَوْه وحَضَر الطعام أُخِذوا فضُربت أعناقهم ، ثم ركب إلى عسكرهم ٦٧
فقتل فيه تسعمائة رجل ، وتتبَّع مَن كان أبو مسلم ولاّه منهم فقتله[٢] .

ومنهم :

عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس

وكان عبدُ الله لمَّا بلغَه موت أبى العباس خلع أبا جعفرٍ ودعا إلى نفسه وكان أبو جعفرٍ حاجًّا ، وثار عيسى بن موسى بن محمد بن على ، فأحرزَ الخزائن وضبط الأمر حتى قدم أبو جعفر ، فوجّه أبا مسلم لحربه ، فحاربه فهزَمه ، فلجأ إلى أخيه سليمان بن على ، وهو عاملٌ على البصرة ، فأخذ له الأمانَ المؤكَّد .

ثم إن أبا جعفرٍ دفعه إلى عيسى بن موسى فكان محبوساً عنده[٣] ، فجعل يرفّه عنه ويشترى له الجارية بعد الجارية .

ولما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة أمر عيسى بن موسى بالخروج إليه ، وأن يدفعَه إلى أبى الأزهر عبد الملك بن عُبَيْرٍ المَهْرِىّ ، فجاء به حتى أدخله بيتاً فى قصر أبى جعفر ، وخرج أبو جعفر إلى أوانا[٤] ، وسقط البيت على عبد الله ابن على ، رحمه الله .

---

(١) فى النسختين : « لهم » .
(٢) كان مقتل على وعثمان سنة ١٩٠ . الطبرى ٩ : ١٠٢
(٣) كان حبسه سنة ١٣٩ . الطبرى ٩ : ١٧٢ .
(٤) أوانا بفتح الهمزة : بليدة من نواحى دجيل بغداد ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت .

ومنهم :

أبو مسلم صاحب الدولة

وكان أبو جعفر وجّهه أبو العباس فى ثلاثين من وُجُوه قريش والعرب إلى خراسان زائراً أبا مسلم ، فرأى منهم استخفافاً احتقنها[(١)] أبو جعفر عليه ، وكان إذا كتب إليه بدأ بنفسه قبله . فكان أبو جعفر يقول لأبى العباس كثيراً : إنه لا مُلْكَ لك وأبو مسلمٍ حىّ ، فتغدَّه قبل أن يتعشَّى بك ! وكان أبو العباس يأبَى ذلك لقَدْره فى أهل خُراسان .

فلما أفضى الأمرُ إلى أبى جعفرٍ وكان أبو مسلم حاجًّا فقدِم ووَجَّهه أبو جعفر لحاربَ عبد الله بن على واستباح عسكرَه ، ثم وجّه أبو جعفر إلى أبى مسلم يَقطينَ ابن مُوسى لقَبْض ما صار فى يد أبى مسلم من عسكر عبد الله ، فغضب أبو مسلم ٦٨ وقال : لا يُوثَق بى فى هذا القدر ! وشتم شَتْماً قبيحاً ، ومضَى من الأنبار يريد خُراسان مخالِفاً ، ومضى أبو جعفر إلى المدائن فنزل الرُّومية[(٢)] . وقد كان قيل لأبى مسلم : إنَّك تقتل بالروم[(٣)] . فوجّه أبو جعفرٍ إلى أبى مسلم جَرير بن يزيد ابن جرير بن عبد الله البَجَلى ، وكان أَرجَلَ أهلِ زمانه[(٤)] . وكتب معه فلم يلتفتْ إلى كتابه فلم يزلْ جريرٌ يفتِل أبا مُسلمٍ فى الذِّروة والغارب حتَّى أقبل إلى أبى جعفر ، فلما قدِم عليه أمَر القُوَّادَ والناس أن يتلقّوه ، ثم أذن له فدخَلَ على دابَّته وعانَقَه وأكرمه وقال : كدتَ تخرج قبل أن أفضىَ إليك ما أريد . قال :

---

(١) لعلها « فرأى منه استخفافا وأشياء احتقنها » . وانظر ما سبق فى مقتل سالم بن دارة ص ١٥٧ س ٩ .

(٢) الرومية هذه هى رومية المدائن . انظر ياقوت .

(٣) الطبرى : « وكان أبو مسلم يقول : والله لأقتلن بالروم . وكان المنجمون يقولون ذلك » .

(٤) الطبرى ٩ : ١٦٢ : « وكان واحد أهل زمانه » . فلعل ما هنا « أوحد » .

يا أمير المؤمنين ، قد أتيتُك فمر بأمرك . قال: انصرفْ إلى منزلك فضع ثيابَك ، وادخل الحمام يذهب عنك كَلالُ السفر . فجعل أبو جعفر ينتظر به الفرص ، فمكث به أياماً يأتى أبا جعفر كلَّ يوم فيُريه من الإكرام أكثَرَ مما أراه قبل ذلك ، ويتزيَّد فى القرب واللُّطف ، حتَّى إذا مضَت له أيّامٌ أقبل عَلَى التجنِّى عليه ، فأتى أبو مسلم عيسى بنَ موسى فقال : اركبْ معى إلى أمير المؤمنين ، فإنى أريد عتابه بحضرتك . فقال له : تقدَّمْ حتَّى آتيَك . فقال : إنِّى أخافه . فقال له عيسى : أنتَ فى ذمَّتى . وأقبل أبو مسلمٍ فقيل له : ادخل . فدخَلَ حتَّى إذا صار إلى الرّواق قيل: أمير المؤمنين يتوضأ ، فلو جلست ؟ فجلسَ وأبطأ عيسى عليه ، وقد هيَّأ أبو جعفر عثمان بن نَهِيك العَكّيَّ — وهو على حرسه — فى عِدَّةٍ فيهم شَبيب بن واج[1] ، وأبو حنيفة[2] ، وتقدَّمَ إلى عثمانَ فقال : إذا عاتبتُه فعَلاَ صوتى فلا تَحرَّكوا ، فإذا صفَّقت بيدىَّ فدونك يا عثمان ! ٦٩

وقد صيَّرَ عثمانَ وأصحابَه فى رواقٍ خلفَ أبى جعفر ، ثم قيل لأبى مسلم : قد جلسَ أمير المؤمنين فقُمْ. فقام ليدخلَ فقيل له : انزَعْ سيفَك. فقال : ما كان يُصنَع هذا بى . قالوا : وما عليك ؟ فنزع سيفَه وعليه قَباء أسود على جُبة خَزٍّ بنفسَجية ، فدخل فسلَّم وجلس على وِسادةٍ ليس فى المجلس غيرها[3] ، وخَلَفَ ظهره القوم ، فقال : يا أمير المؤمنين صُنِع بى مالم يُصنَع بأحد ، نُزِع سَيفى من عنقى . قال : ومن فعل ذلك بكَ قَبحَه الله ؟ ! ثم أقبل يُعاتبه : فعلتَ وفعلتَ . فقال أبو مسلم : ليس يُقال هذا لِى بَعْدَ بلائى وما كان مِنِّى ! فقال: يا ابن الخبيثة،

---

(١) الطبرى ٩ : ١٦٦ « شبيب بن واج المروروذى » . وجعلها الشنقيطى فى نسخته « راج » .

(٢) اسمه حرب بن قيس ، كما فى الطبرى .

(٣) جعلها الشنقيطى « غيرهما » .

لو كانت أَمَة مكانَكَ لأجْزأَتْ ناحِيتَها . إنَّما عملت ما عملت فى دَولتنا ، ألست الـكاتبَ إلىَّ تبدأ بنفسك، والـكاتب إلىَّ تخطب أمينة بنت على بن عبد الله بن العباس ، وتزعم أنَّك ابن سليط بن عبد الله بن العباس ؟ لقد ارتقيت لا أمَّ لك مرتقًى صعبًا — وهو يفرك بيديه[1] — فلما رأى أبو مسلم عينيه قال : يا أمير المؤمنين ، لاتُدخِلْ على نَفْسك ؛ فإنَّ قدرى أصغَرُ من أن يبلغ هذا منك .

ثم صفّق بيديه، فيضربُه عثمانُ ضربةً خفيفة، وأخَذَ برِجْل أبى جعفرٍ وقال: أنشُدُك الله يا أمير المؤمنين ! فدفعه برجله وضربه شَبيب بن واجٍ ضربةً على حبـل العاتق ، فأسرَعَتْ فيه ، فصاح : وا نفساه ! ألا قُوّةَ ، ألا مُغيث ؟ !
٧٠ وخرج القوم فاعتوَرُوه بأسيافهم ، ولحق بأمِّه الهاوية .

ومنهم :

معن بن زائدة الشَّيبانى

وكان أبو جعفرٍ ولاّه اليمن ، فلما صار إلى الـكوفة بعثَ إلى محمد بن سهل ، راوية شعر الـكميت بن زيد ، فأتاه فقال : أنشدنى قصيدة الـكميت التى يدعو فيها ربيعةَ إلى قَطْع حِلْفها مع اليمن . وهى :

* ألمْ تُلْمِم على الطَّلل المُحِيلِ *

فأنشدَه إيَّاها حتى أتى عليها ، وأمر بعمامةٍ فلُوِيتْ ومُدَّت بين رَجُلين ، ثم قام معنٌ فضربَها بالسيف فقطعَها ، وقال : اُشهدوا أنِّى قد قطعت حِلْف اليَمَن وربيعة كما قطعتُ هذه العَمامة .

---

(١) الطبرى ٩ : ١٦٧ : « فأخذ أبو مسلم بيده يعركها ويقبلها ويعتذر إليه » .

ثم سار إلى اليمن فأَوعثَ فيها ، فلما وَلِيَ سجستان ابتنى بها داراً ، فدخل عليه قومٌ متشبِّهة بالفَعَلة وهو مغترٌّ[١] قد احتَجَم ، فمالوا عليه فقتلوه[٢] .

ومنهم :

عُقْبة بن سَلْم الهُنَائىّ[٣]

وكان أبو جعفرٍ ولاّه البَحْرين ، فجعل يبارى مَعْناً بالقتل حتى أثخن فى رَبيعة ، فلما كان زمان المهدىّ تبِعه رجلٌ فاغتاله وهو راكبٌ ، فوجَأه وجأةً بخِنْجرٍ مسموم فوقَع فى مِنطقته حتى وصل إلى جَوفه ، فأُخِذ فأُتِى به المهدىُّ فسأله ممن هو ؟ فلم يجبه مَن هو ولا مِن أىِّ البُلدان هو . فسأله : أين كان يأوى وأين كان يَطْعَم ؟ فقال : كنت آوى المَساجدَ ، وأطعَمُ فى سُوق البقّالين . فقتله المهدى . وبه تضرب العامة المثل : « أخسَرُ مِن قاتل عقبة ! » .

ومنهم :

الربيع بن يونس الحاجب

وكان هو أهدى إلى موسى الهادى أمَةَ العزيز[٤] ، فوقعت منه بالموقع الذى لم يقع أحدٌ عنده مثله ، فبلغه أن الربيع يقول : ماخلوتُ بامرأةٍ أطيبَ خَلوةً من ٧١

---

(١) مغتر ، أى غافل . وعند ابن خلكان فى ترجمته : « كان فى داره صناع يعملون له شغلا ، فاندس بينهم قوم من الخوارج فقتلوه بسجستان وهو يحتجم » .

(٢) كان ذلك سنة ٥١ وقيل ٥٢ وقيل ١٥٨ .

(٣) نسبته إلى بنى هناءة ، بضم الهاء ، بن مالك من بنى زهران بن كعب بن عبد الله بن نصر بن الأزد . الاشتقاق ٢٩١ – ٢٩٢ .

(٤) الطبرى ١٠ : ٤٧ « كانت للربيع جارية يقال لها أمة العزيز ، فائقة الجمال ، ناهدة الثديين ، حسنة القوام ، فأهداها إلى المهدى فلما رأى جمالها وهيئتها قال : هذه لموسى أصلح ! فوهبها له فكانت أحب الخلق إليه ، وولدت له بنيه الأكابر » . ثم ذكرها من نساء الرشيد ١٠ : ١٢١ قال : « وتزوج أمة العزيز ، أم ولد موسى فولدت له على بن الرشيد » .

أَمَةِ العزيز . فدعاه فتغدَّى معه وقال له : اشرَب على غَدائك أقداحاً . وأَمَرَ صاحبَ شرابه فجَدَحَ(١) له فى قدحه سُمًّا ، فلما صار فى جوفه انصرف فمات من تحت ليلته(٢) .

ومنهم :

إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب

وكان خرج على موسى الهادى [هو] والحسَنُ والحسَيْنُ ابنا علىّ بن الحسن بن الحسن(٣) ، فقُتِلا بفَخّ ، وانهزم إدريسُ إلى أهل المغرب ، فحملوه إلى بلادهم ، واشتملوا عليه وأعظموه وأمَّرُوه عليهم. فلما وَلِىَ هارون الرشيد وولّى هرثمةَ إفريقية دسَّ هرثمةُ رجلاً من أهل المدينة(٤) لإدريس ، وجعل له بقتله مائة ألف درهم ، فقدم المدنىّ عليه فأنس به إدريس وجعل يسأله عن أهله فيخبره بمعرفةٍ حتى غَلَب عليه ووَثِق به ، وجعل يهتبل الفُرصة ويضَع الخَيْل(٥) فى القُرى فيما بينه وبين إفريقية .

وإنّ إدريس اشتهى سمكا طريًّا فقال له المدنىّ : أنا حَسَن العلاجِ له . فعالجه وسمَّه ثم خرج يريد حاجةً ، ودعا إدريسُ بالسمك ، فلما أكله واستقرّ فى جوفه رَكِب ، فجعل يركب من قريةٍ إلى قرية ويخلف ما تحته(٦) حتى وصل

---

(١) جدح : خاط .

(٢) كان ذلك فى سنة ١٧٠ . الطبرى ١٠ : ٤٧ .

(٣) تمام سياق نسبه « بن الحسن بن على بن أبى طالب » . انظر الطبرى ١٠ : ٢٤ ومقاتل الطالبيين ٤٤٣ .

(٤) هو الشماخ اليمامى . مولى المهدى . الطبرى ١٠ : ٢٩ .

(٥) لعلها « ويصنع الحيل » .

(٦) كذا وردت العبارة فى النسختين . وقد ذكر الطبرى كيفية مقتله برواية أخرى فى حوادث سنة ١٦٩ .

إلى إفريقية ، وكانت جاريته حاملاً فولدت غلاماً فسمى إدريس بن إدريس .

ومنهم :

الفضل بن سهل

وزير عبد الله المأمون(١) . وكان قد ضيَّق على المأمون ، وحال بينه وبين كثيرٍ من لذّاته ، وكان أخذ عليه ألاّ ينظر فى قصة أحدٍ ، حتى صار كالوصىِّ الحاجر ٧٢ عليه ، فدسّ للمأمون غالباً الرومىَّ(٢) مولاه فدخل عليه الحمّام فقتله فيه ومضى ، فأُتِىَ به المأمونُ فقتله .

وقُتِل بسبب الفَضْل علىٌّ بن أبى سعد(٣) ، وعبد العزيز بن عمران الطائىّ ، وخَلَفٌ المِصرى ، ومُؤْنس البَصْرى(٤) .

ومنهم :

إسحاق بن موسى الهادى

وقد كانت الحَرْبية(٥) اشتملت عليه وأمّرته ، والمأمون بخراسان ، حين خرجَ

---

(١) كان الفضل قد بلغ أوجه عند المأمون سنة ١٩٦ . الطبرى ١٠ : ١٦٠ .

(٢) الطبرى ١٠ : ٢٥٠ : « وكان الذين قتلوا الفضل من حشم المأمون ، وهم أربعة نفر : غالب المسعودى الأسود ، وقسطنطين الرومى ، وفرج الديلمى ، وموفق الصقلى ، وقتلوه وله ستون سنة » . وكان ذلك سنة ٢٠٢ فى خلافة المأمون. التنبيه والإشراف ٣٠٣.

(٣) الطبرى : « على بن أبى سعيد بن أخت الفضل » .

(٤) لم يذكره الطبرى ١٠ : ٢٤٩ فى من أعان على قتل الفضل .

(٥) الحربية : طائفة من الجند منسوبون إلى الحربية . وهى محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخى أحد قواد المنصور ، وإليها ينسب إبراهيم ابن إسحاق الحربى . وكانت الحربية حين خرج هرثمة إلى خراسان وثبوا وقالوا : لانرضى حتى نطرد الحسن بن سهل عن بغداد ، وكان من عماله بها محمد بن أبى خالد ، وأسد بن أبى الأسد ، فوثبت الحربية عليهم فطردوهم وصيروا إسحاق بن موسى بن المهدى خليفة للمأمون ببغداد ، وذلك سنة ٢٠٠ . انظر الطبرى ١٠ : ٢٣٧ ، ٢٤١ .

إبراهيم بن المهدى ، فاستولى على الأمر ، فدسّ إليه المأمون ابنَه وخادماً له فقتلاه ، ثم أقادَ به ابنه وقتل الخادمَ بالسِّياط .

ومنهم :

حُمَيد بن عبد الحميد الطُّوسى

وكان حُميدٌ كثيراً ما يقول : ما للمأمون عندى يدٌ ، إنما الأيادى عندى لأبى محمد الحسن بن سهل ! فيُرفَع إليه .

وإنه دعاهُ المأمونُ يوماً فأتاه وعنده أحمدُ بن أبى خالدٍ الأحول . وكان الذى بين حُميد وبين أحمد بن أبى خالد سيِّئا . فلما قرِّبت المائدة أجلس المأمونُ ابنَ أبى خالدٍ معه على المائدة ، فساء ذلك حُميدا فقال له : يا أمير المؤمنين، لا أماتنى الله حتَّى يُرِيَنى الدُّنيا عليك سَهلةً حتَّى نَرى أيُّنا أنفعُ لك . فقال له ابن أبى خالد : يا أمير المؤمنين ، إنَّما يتمنى فَسادَ مُلكِك والفتنة . فقام المأمونُ عن المائدة ولم يتمَّ غَداءه واحتَقَنها عليه. وإنَّه لما أرادَ المأمونُ الخروجَ للبناء ببُوران ابنةِ الحسَن بن سَهْل قال لحُميد : يا أبا غانم ، قد أذِنْتُ لك فى الحجّ . فانصرف حميدٌ مَسروراً ، فدعا قَهارِمتَه[1] فأمَرهم بآلات السَّفَر ، ثم أتاهُ جِبريل بن بَخْتيشوع فقال : يا أبا غانمٍ طَرِّ بدنك فإنِّى أرجو أن تأتىَ بكلِّ جارية معك ٧٣ حاملا . وكان حُميد مغرماً بالنِّكاح ، حلالاً وغيره، فسقاه شَربةً ، وكان عنده متطبِّب يقال له عبدُ الله الطَّيفورى ، فلما رأى الشَّربة قال لجبريل : أبو غانمٍ اليومَ قد ضعفُ عن هذه . فقال له جبريل : قد نسيتَ اليوم ! وعرف الطَّيفوريُّ قصَّة الشَّربة فلم يكشف له أمرها ، فلما شرِبَها أخلفَتْه[2] مائتى مرَّة ، وجعل

(١) جمع قهرمان . وهو أمين الملك وخاصته ، فارسى معرب .
(٢) أخلفته : جعلته يختلف إلى المتوضأ ، أى أصابته بإسهال . يقال : أخلفه الدواء .

الطَّيفوريُّ يُطفئها حتَّى تماثَلَ قليلا . ثم أقام بعد ذلك فشكا إليه ما أصابَه من الشَّربة ، فقال له : ادخل الساعةَ الحمام . فدخل من ساعته الحمام فانتقضت به . فمكث مبطوناً شهرَ رمضانَ كلَّه ، ومات ليلة الفطر سنة عشر ومائتين .

نخبرنى أبو عصامٍ — وكان صدوقاً — أن الطَّيفوريّ كان يُطِيف بقبر حُميد ويقول : يا حُميد ، قد نهيتك عن الشَّربة فعصيتَنى !

ومنهم :

عبد الله بن موسى الهادى

وكان قد عضَّل بالمأمون ممَّا يُعربِد عليه إذا شرِب مَعَه ، فأمر به فجعَلَ حَبْسَه فى منزله ، وأقعد على بابه حرساً . ثم إنَّه تذمَّم[1] من ذلك فأظهر له الرِّضاء وصَرفَ الحرس عن بابه ، وكان عبد الله مُغرماً بالصَّيد ، فدسَّ إلى خادمٍ من خدمه يقال له حسين فسقاه سُمًّا فى دُرَّاج[2] وهو بموسى باد[3] ، فدعا عبدُ الله بالعَشاء فأتاه حُسينٌ بذلك الدُّرَّاج ، فلما أحسَّ به ركِبَ فى الليل وقال لأصحابه : هو آخر ماترونى[4] : وقد أكل معه من الدُّرَّاج خادمان : فأما أحدهما فمات، وأما الآخر فضَنِيَ حتَّى مات . ومات عبدُ الله بعدَ أيَّام .

---

(١) تذمم : استنكف .

(٢) الدراج: ضرب من الطير يستطاب طعمه. الحيوان ١: ٢٣٣ / ٢ : ٢٤٩ / ٧: ١٩٥.

(٣) فى معجم البلدان « موسياباذ » ، وهى قرية بالرى ، منسوبة إلى موسى الهادى .

(٤) أى ترونى ، وحذف النون فى مثل هذا جائز .

٧٤ ومنهم :

أحمد بن على بن هارون الرشيد

وكان له غلام يقال له نفيس وكان قد غَلَبَ عليه ، وأنّ نفيساً وأربعةً من غلمانه أجمعوا على قتل أحمد ، وكان بين أحمدَ وبين عياله ثلاثةُ أبواب كلُّها تُغلَق دونهم ، وأنّ أحمد أمر بإغلاق الأبواب عند القَيلولة كما كان يفعل ، فدخل عليه نفيسٌ بِمِشْمَلٍ(١) وهو نائم ، فضربه ضربتين إحداهما على رأسه ، والأخرى على فمه ، وأنّ أحمد تناول المشمل من يد نفيسٍ نخرطَه نفيسٌ من يده(٢) ، فقطع أصابعَه غير أنها لم تَبِنْ . ثم عاد نفيسٌ فأجهزَ له بسكين ، وأخذ خاتمه فبعث به إلى أهله وقال لهم : هذا خاتَم الأمير يأمركم أنْ تبعثوا إليه بصُندوق المال ليُعطِيَ الحشَمَ أرزاقَهم . فدفعوا إليه الصُّندوق ، فاقتسموا ما فيه من الدّنانير ومضَوا .

ومنهم :

على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على

وكان المأمون قد بايَعَ له بالعهد بَعدَه(٣) ، وضُرِبت الدّراهمُ باسمه ، وجعل على شُرَطِه العباسَ بن جعفر بن محمد بن الأشعث ، وكان ابنُه خليفته ، وعلى حَرَسه سعيد بن صيلم ، وعلى حِجابته يحيى بن معاذ بن مسلم ، وأنّه سقط عند المأمون بكلامٍ فى الفضل بن سهل فأخبر به المأمونُ الفضلَ ؛ الموثِق الذى كان الفضلُ أخَذَه على المأمون .

---

(١) المشمل : سيف قصير دقيق .

(٢) خرطه : جذبه .

(٣) الطبرى ١٠ : ٢٤٣ – ٢٥١ ومقاتل الطالبين ٥٦١ – ٥٨٢ ولم يذكر الطبرى أنه قتل ، بل قال إنه أكل عنباً كثيراً فأكثر منه فمات .

وذكر رَوْح بن السَّكن عن عُبيد الله بن الحسَن العلوى ثم العباسى ، أنَّ الفضلَ قال يوماً وعنده الناس : ما تقولون فى بَقرةٍ جعلْتُ لها قرنَين من ذهب وكنتُ أوّلَ من نطحَتْه بهما ؟ ! فلم يمض بعد ذلك إلاَّ قليل حتّى ٧٥ اعتلّ فمات .

ومنهم :

العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس

وكان قدم على هارونَ الرَّقَّة فحباه حِباء كثيراً ، وعظّمه أشدّ تعظيم ، وأنّ العباس اعتلّ فدس له شَربةً ، فلما استودعه إيّاها أذِن له فى الانحدار إلى مدينة السلام ، وكانت سببَ موته .

ومنهم :

إسماعيل بن هَبّار بن الأسود بن المطَّلب بن أسد

دخل الحمَّام بالمدينة وفيه مُصعَب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى وكان جميلاً بارعاً ، فأمرَّ يده على ظهره وعجيزته ، وتكلم بكلام فيه بعضُ ما فيه ، فضحك مُصعَبٌ فى وجهه ليُونِسَه، حتى إذا كان الليلُ جمع مُصعبٌ رجالاً فيهم القَتَّال الكلابى ، وبعثَ مولًى له أسودَ ، يكنى أبا عَجْوة، إلى ابن هبّار، فدعاه فلما خرج إليه تنحَّى به إليهم ، فوثَب عليه القتَّال فضربه حتى قتله[1]. وهو قول ابنِ قيس الرُّقيات :

---

(١) الخبر برواية أخرى فى المحبر ٢٢٦ ــ ٢٢٨ .

فلن أجيب بليلٍ داعياً أبداً ... أخشى الغرورَ كما غُرَّ[1] ابنُ هبّار

باتوا يجُرُّونه فى الُحشِّ منجدِلاً ... بئس الهَدِيَّةُ لابن العمِّ والجارِ

وطُلِب القتّال فهرَب وقال :

تركت ابن هبّار يصدَّع رأسُه ... وأصبح دونى شابةٌ وأرُوم[2]

بسيفِ امرئٍ لن أخبر الدهر باسمه ... ولو حفَزت نفسى إلىَّ هُمومُ

ودونى من الدَّهنا بَسَاطٌ كأنه ... إذا انجابَ ضوءُ الصبح عنه أديم[3]

القتّال : عُبادة بن مُحبَّب بن المَضْرَحىّ ، وعبد الرحمن بن صبحان المحاربى[4] .

---

(١) ا : « العرور كما عر » ، والتصحيح للشنقيطى .

(٢) فى النسختين : « أبا هبار » تحريف . وروى هذا البيت وتاليه فى المحبر ٢٢٨ بهذه الرواية :

تركت ابن هبار ورائى مجدلا ... وأصبح دونى شابة فأرومها

بسيف امرئ لن أخبر الدهر باسمه ... وإن حضرت نفسى إلى همومها

وفى معجم البلدان ٥ : ٢٠٦ :

تركت ابن هبار لدى الباب مسنداً ... وأصبح دونى شابة فأرومها

بسيف امرئ لا أخبر الناس ما اسمه ... وإن حقرت نفسى إلى همومها

وصواب « حضرت » و « حقرت » : حفزت . حفز نفسه : دفعها . وشابة وأروم : جبلان بنجد .

(٣) البساط ، بفتح الباء : الأرض العريضة الواسعة .

(٤) صبحان جعلها الشنقيطى « صيحان » بالياء . وقد ذكر والمؤتلف ١٦٧ أسماء من يقال له القتال ، فجعل الكلابى عبد الله بن مجيب بن المضرحى ، والباهلى الحسن بن على ، والبجلى ولم يسمه ، وكذلك السكونى . وفى الأغانى ٢٠ : ١٥٨ أن القتال الكلابى عبد الله ابن المضرحى . أما المرزبانى فى معجمه ٢٠٣ فقد ذكر عقيل بن عرندس . وفى هامش نسخة كتابه « عقيل بن العرندس أحد بنى عمرو بن عبيد بن أبى بكر بن كلاب ، وهو القتال » .

أسماء من قتَل حَميمَه من الملوك

عَمْرُو بن تُبَّـع

قتل أخاه حَسَّان بن تبَّع .

وسلمة بن الحارث الملك

بن عَمْرو المقصور بن حُجر آ كل المُرَار الـكِندىّ

قتَلَ أخاه « شُرَحبيلَ بنَ الحارث » وكان الحارث مَلَّك ولدَه سَلَمة على ٧٦ حنْظلة وتغلِب ، وشُرَحبيل على الرِّباب وبكر بن وائل ، وحُجراً على كِنانة وأسدٍ اُبنَىْ خُزَيمة ، ومَعد يكرب على قَيس عَيلان. فوثبت بنو أسدٍ فقتلوا حُجراً، وسعَى المفسِدُون بين سلمة وشُرحبيل حتى احترَبا، فقَتل سلمةُ شُرحبيل .

ومنهم :

عبد الله بن الزُّبير

قتل أخاه « عَمْرو بن الزبير » ، وكان عاملُ المدينة[1] وجَّهه لمحاربة أخيه ففضَّ جَيشَه وأسرَه ، وكان عَمْرٌو بَدَنا[2] ، فأقامه عبد الله للناس وقال : مَن كان له عندَه حقٌّ فليقتصَّ منه .

فضُرِب حتى مات[3] .

---

(١) هو عمرو الأشدق ، بن سعيد بن العاصى . نسب قريش ١٧٨ .

(٢) بدنا ، كذا فى النسختين . والبدن : المسن الـكبير .

(٣) فى نسب قريش أنه مات فى سجن عبد الله بن الزبير .

ومنهم :

عبد الملك

قتل «عَمْرو بن سعيد بن العاص» — وأُمُّه أمُّ البنين بنت الحكم بن أبي العاص ابن أمية — وكان نازَع عبد الملك وحاربَه حتى جرت بينهما السُّفراء على أن يجعل عَمْرٌو مع كلِّ عاملٍ لعبد الملك عاملاً له ، ففعلَ ، فلم يزلْ عبد الملك يَتلطَّفُ له حتى قتلَه . وله حديثٌ طويل(١) .

ومنهم :

يزيد بن الوليد بن عبد الملك

ويزيدُ الناقص(٢) ، وثبَ على ابن عمِّه « الوليد بن يزيد بن عبد الملك » فقتَله واستولَى على مُلكه(٣) .

ومنهم :

أبو جعفر المنصور

وهو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، وثَبَ عليه عمُّه عبد الله ابن على ، وخلَعه ودعا إلى نفسه ، فظفر به فحبَسه في بيتٍ فسقَطَ عليه البيت .

ومنهم :

هارون الرشيد

حبس عمَّه «جعفر بن المنصور(٤) » المعروف بابن الكُرديَّة ، فذكروا أنه أصابه زَحير فمات منه .

---

(١) انظر الطبرى ٧ : ١٧٥ — ١٨١ في حوادث سنة ٦٩ .

(٢) سمى بذلك لأنه نقص الجند من أرزاقهم . المعارف ١٦٠ .

(٣) كان ذلك سنة ١٢٦ . الطبرى ٧: ٢ — ١٧ والتنبيه والإشراف ٢٨٠ — ٢٨١ .

(٤) جعفر هذا ، هو جعفر الأصغر بن المنصور ، وهو الذى يقال له ابن الكردية ، كانت أمه أم ولد . وأما أخوه جعفر الأكبر فأمه أروى بنت منصور . وهلك جعفر هذا قبل المنصور ، الطبرى ٩ : ٣١٨ .

ومنهم :

عبد الله المأمون

قتل أخاه « محمداً الأمين » واستولَى على مُلْكه .

ومنهم : ٧٧

أبو إسحاق المعتصم

كان بلغَه أنَّ « العباس بن المأمون » قد مالَأَ ملكَ الرُّوم على أهل الإسلام عامَ فَتَحَ المعتصمُ عَمُّورِيَّةَ[1]، وأنه أراد الوثوب على المعتصم، فحبسه وأثقله بالحديد فمات فى حَدِيدِه .

---

(١) كان ذلك سنة ٢٢٣ . انظر الطبرى ١٠ : ٣٤٣ والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٣٨ . وقد خلدها أبو تمام فى قصيدته التى أولها :

السيف أصدقُ أنباء من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب

ومن قتل غيلة

زياد بن عُبَيد الله بن عبد الله بن عبد المَدَان الحارثى

من بنى الحارث بن كعب ، وكان خالَ أبى العباس أمير المؤمنين ، وإنه ولاَّه مكة والمدينة(١) فلم يزل عليهما حتى مات ، فأقرَّه أبو جعفرٍ على عمله ، ثم كتبَ إليه أن يقتُلَ أبا محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وكان شيخَ بنى أميَّة ، فقتله .

فلما تغيَّب محمدٌ وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، رضى الله عنهم ، كتب إليه أبو جعفر أن يُوثق عبد الله بن الحسن حديداً ، ويضيِّقَ عليه . فكان زيادٌ يرفَّه عن(٢) عبد الله ويُحسِن إليه فى حَبْسه . ثم إنَّ أبا جعفرٍ كتب إليه يأمره بقتله ، فلم يفعل ، فعزلَه وأغرمه ثمانين ألفَ دينار ، وكرِه أن يكشف قتلَه ، لموضعه كان من أبى العباس . فلما أخرَجَ أبو جعفر ابنَه المهدىّ إلى الرىِّ . قال لزياد : سِرْ مع ابن أخيك . فسار ثلاث مراحل .

وإنَّ زياداً تغدَّى مع المهدىِّ ثم انصرف إلى فُسطاط، ثم أتى بقدحٍ فشربَه ولم يعلم المهدىُّ بذلك . فلما ترحَّل الناسُ قام المهدىُّ على باب سرادقه فقال : ويلَكَ يا غلام(٣) . . . . : . . . .

---

(١) كان ذلك سنة ١٣٣ . الطبرى ٧ : ١٤٧ ـ ١٤٨ والمحبر ٣٤ . وقد عده ابن حبيب ٢٦٣ أحد ثمانية نفر أقاموا موسم الحج من العرب .

(٢) ب : « يرقه عند » وهو سوء قراءة من الناسخ .

(٣) كذا . والكلام غير متصل بما بعده ، وبينهما سقط ، هو تتمة الكلام وبدء الكلام على أسماء المقتالين من الشعراء ، وفى صدرهم « مهلهل » .

[مهلهل بن ربيعة]

. . . .

٨٧ وإنّ(١) فتياناً من بنى قَيسِ بن ثعلبةَ اتّخذوا طعاماً وابتاعوا خمراً ، ثم أتَوْا عَوْفاً فقالوا : إنا نحبُّ أن تأذنَ لمهلهل يأتينا فيتحدّثُ معنا اليوم . ففعل عوفٌ ذلك ، فأتاهم مُهلهل ، فلما أَخذتْ فيه الخمرُ جعل يُنشِد ما قال فى بكر بن وائل وما ذكَرهم به ، فبلغ ذلك عوفاً فغضِب، فحلف لايذوقُ عنده قَطرةَ شرابٍ ولا ماء حتى يَرِدَ « دنيب(٢) » — وكان دنيب جملاً لِعوفٍ لايرد إلّا خِمساً — وشدّ عليه القُدود(٣) ، ثم ترَكه، فمات مهلهل قبل أن يَرِدَ دنيب(٢) . وفى ذلك قال مهلهل :

جَلّونى جِلد حَــوْبٍ بازلٍ   يرتقى النَّفْس موهناً للتَّراقى(٤)
عِند عوفِ بن مالكٍ لست أرجو   لذّةَ العيش ما عُصِبْت بساقى(٥)

---

(١) فى الخزانة ١ : ٣٠٤ : « قال السكرى فى اشعار تغلب : أسر مهلهلا عوف بن مالك ، أحد بنى قيس بن ثعلبة ،وإن شباناً من شبان بنىقيس بن ثعلبة أتوا عوف بن مالك ..». وساق بقية الخبر برواية مخالفة . وانظر كتاب البسوس ١١٦ .

(٢) كذا . وفى الأغانى ٤ : ١٤٦ « ربيب الهضاب » وهو الصواب إن شاء الله . وفيها أيضاً : « فتلك الهضاب التى كان يرعاها ربيب يقال لها ربيب » . وفى أصل اللآلى ١٧ « زينب » وهو تحريف . وذكر أنه جمل كان يرد الماء بعد عشرة ، وفى كتاب البسوس « الحصين» . وفى الخزانة: « الخضير » ، وضبطه بقوله « بمعجمتين مصغرا » وذكر أنه بعير لعوف كان لا يرد الماء إلا سبعا . وفى الكامل لابن الأثير ١ : ١٢٤ « زبيب ، وهو فحل كان له لايرد إلا خمساً فى حمارة القيظ» .

(٣) القدود : جمع قد ، بالكسر ، وهو السير من الجلد. ا : « القدوم » وتصحيحه للشنقيطى .

(٤) الحوب : الضخم من الجمال . وفى الأغانى ٤ : ١٤٨ : « جلد حوب فقد جعلوا نفسى عند التراقى » .

(٥) فى الأغانى :

لست أرجو لذة العيش ما   أزمت أجلاد قد بساقى

وإليكِ ابنـــةَ المجلّل عنّى لا يواتى العِناقُ من فى الوَثاق(١)

ومنهم :

عامر بن جُوَين بن عبد رُضا(٢) بن قَمْران(٣) الطائى

أحد بنى جرم بن عمرو بن الغوث ، وكان سيّداً شاعراً فارساً شريفاً ، وهو الذى نزل به امرؤ القيس بن حجر .

وكان سبب قتله أنّ كلباً غزت بنى جَرْمٍ(٤) فأَسَر بشرُ بن حارثةَ ، وهُبيرة بن صخر الكلبىُّ عامرَ بن جُوَين ، وهو شيخٌ كبير ، فجعلوا يتدافعُونه لِكِبَره ، فقال عامر بن جُوين : لا يكن لعامرِ بن جوينٍ الهوَان ! فقالوا له : وإنّك لهو ؟ قال : نعم . فذَبَحوه ومضوا ، وأقبل الأسود بن عامر ، فلما رأى أباه قتيلاً بينهم أخذَ منهم ثمانية نفر — وكانوا قتلوا عامراً وقد هبّت الصَّبا — فكَعَمَهم ووضع أيديَهم فى جِفانٍ فيها ماء(٥) ، وجعل كلّما هبَّت الصَّبا ذبحَ واحداً

---

(١) فى النسختين : «أنبت التجلد» ، والصواب ما أثبت . والمجلل ، هو المجلل بن ثعلبة ، وهو خال أم مهلهل ، كما فى الأغانى ٤ : ١٤٥ . وفيها يقول أيضاً من هذه القصيدة :

طفـلة ما ابنة المجلل بيضا ء لعوب لذيذة فى العناق

ورواية أبى الفرج وابن الأثير للبيت :

فاذهبى ما إليك غير بعيد لا يواتى العناق من فى الوثاق

(٢) رضا ، بضم الراء ، كان بيتا لبنى ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهدمه المستوغر فى الإسلام وقال :

ولقد شددت على رضاء شدة فتركتها تلا تنازع أسحما

انظر الأصنام ٣٠ والخزانة ١ : ٢٥ .

(٣) قمران ، بفتح القاف وبعد الميم راء مهملة . فى النسختين : «فران» صوابه من الخزانة والمعمرين للسجستانى ٤١ . ذكر السجستانى أن عامراً عاش مائتى سنة .

(٤) ا : «حزم» ، والتصحيح للشنقيطى .

(٥) كعمه : شد فاه بالكعام ، وهى الكمامة . وإنما فعل ذلك بهم نكالا ليمنعهم من الماء وهو فى أيديهم .

حتَّى أتى عليهم . وكان الذى وَلِىَ قتلَ عامرٍ مسعودَ بن شدَّاد ، فقالت أخته عمرة بنت شداد :

يا عينُ بكِّى لمسعودِ بن شدّادِ ... بُكاء ذى عَبَرَاتٍ حزنُه بادِ[(١)] ٧٩
من لا يُمارُ له لحم الجزورِ ولا ... يَجفُو الضَّيوفَ إذا ما ضُنَّ بالزاد
ولا يَحُلُّ إذا ما حلَّ منتبِذاً ... خَوفَ الرزيَّة بين الحَضْر والبادِ
ألَّا سقيتم بنى جَرْم أسيرَكُمُ ... نفسى فِداؤُك من ذى كُرْبةٍ صاد
يا فارساً ماقتلتم ، غيرَ جِعْثِنةٍ ... ولا بخيلٍ على ذى الحاجة الجادى[(٢)]
قد يَطعُن الطَّعنَة النَّجْلاء يَتبعها ... مضرَّج بعدها تَغلِى بإزباد
ويترك القِرن مُصفَرًّا أناملُه ... كأنَّ أثوابه مُجَّت بفِرصادِ

ومنهم :

عَنْترة بن معاوية[(٣)] العبسى

وكان أغارَ على بنى نبهان فأطرد طريدة وهو شيخ كبير ، فجعل يطردها ويقول :

حَظُّ بنى نَبهانَ منها الأثلَبْ[(٤)] ... كأنَّما آثارها لا تُحجَبْ
آثارُ ظِلمانٍ بقاعٍ مُجدِبْ[(٥)]

---

(١) هذا البيت مع البيت الرابع فى الأغانى ١١ : ١٥ .

(٢) الجعثنة ، بكسر الجيم : الجبان . والجادى : طالب الجدا ، وهو العطية .

(٣) عنترة بن شداد العبسى ، وهو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية . كما فى الأغانى ٧ : ١٤١ .

(٤) الأثلب : التراب والحجارة ، وهو كناية عن الخيبة .

(٥) الظلمان : جمع ظليم ، وهو الذكر من النعام . والقاع : الأرض المستوية السهلة ، وفى النسختين : « بنى » تحريف ، صوابه فى الأغانى ٧ : ١٤٥ س ٢ . و « مجدب » هى فى النسختين « محدب » . وفى الأغانى « محرب » ، والوجه ما أثبت .

وكان وَزَرُ بن جابرِ بن سُدوس بن أصمع النَّبْهانى فى مَنْزَه (١)، فرماه وقال: خُذْها وأنا ابنُ سلمى فقطع مَطَاه، فتحامل بالرَّمْية حتَّى أتَى أهلَه فمات. فقال وهو مجروح:

فإنَّ ابن سَلمَى عندَه، فاطلبوا، دمِى وهيهات لا يرجى ابنُ سلمَى ولا دمِى
يظلُّ يمشِّى بين أجبال طيِّئٍ مكانَ الثُّريَّا ليس بالمتهضَّمِ (٢)

ومنهم :

عَبيد بن الأبرص

وكان المنذرُ بنُ امرئِ القيس اللَّخمى، ابنُ ماء السماء، وهو الذى يسمَّى ذا القرنين، له يومٌ يخرج فيه فيقتلُ أوَّل مَن يلقى فى ذلك اليوم، فخرجَ فلقِىَ عبيدَ ابن الأبرص. فأُتِىَ به، فلما رآه قال: ويلَك، ما أتانِى بك؟ قال: « المَنَايا على الحوَايا (٣) ». فذهبت مثلا.

فقال: أنشدنى:

* أقفرَ من أهله مَلحوبُ *

فقال: * أقفر من أهله عبيدُ *

٨٠ فقال : أنشدنى :

* أقفر من أهله ملحوب *

فقال : « حال الجريضُ دونَ القَريض ». فذهب قولُه مثلا، وقتله (٤).

---

(١) الأغانى : « فى فتوة » وهى بكسر الفاء جمع فتى .
(٢) فى النسختين : « كأن الثريا » ، صوابه من الأغانى .
(٣) جمع حوية ، وهى مركب من مراكب النساء . قال الميدانى ٢ : ٢٣١ : « وأحسب أن أصلها قوم قتلوا فحملوا على الحوايا ، فصارت مثلا » .
(٤) الخبر رواه فى الخزانة ١ : ٣٢٤ نقلا عما هنا ، مع مخالفة شديدة .

ومنهم :

طَرَفة بن العبد

أخو بنى قيس بن ثعلبة . وكان عَمرو بن هندٍ مضرِّط الحجارة[١] اللَّخمى جعلَ طرفةَ والمتلمِّس فى صَحابةِ قابوسَ أخيه ، فكان قابوسُ يتصيَّد يوماً ويشرب يومًا . فكان إذا خرج إلى الصَّيد خرجا معه ، فنَصِبا وركَضا يومَهما ، فإذا كان يومُ لهوِه وقفا على بابه يومَهما كلَّه ، فلما طال عليهما ذَكَرَه طرفةُ فقال :

فليت لنا مَكانَ المَلْكِ عمرو   رَغُوثًا حول قُبَّتنا تَخورُ
يُشاركنا لنا رَخِلانِ فيها   وتعلوها الكِباشُ فما تثورُ[٢]
لعمرك إنَّ قابوسَ بنَ هندٍ   ليجمع ملكَه نَوكٌ كثير[٣]
قسمتَ العيشَ فى زمنٍ رخىٍّ   كذاك الحكمُ يَعدِل أو يجورُ
لنا يَومٌ وللكِرْوانِ يومٌ   تَطيرُ البائساتِ وما نَطيرُ[٤]
فأمَّا يومهن فيومُ سَوْءٍ   يطاردهن بالحَدَب الصُّقُورُ
وأمَّا يومُنا فنظلُّ ركباً   وقوفاً ما نحُلُّ وما نسير

وقد كان طرَفةُ هجا ابن عمٍّ له وصهراً يقال له عبد عَمرو بن بِشر بن عمرو بن مَرْثَد ، فقال :

لا عيبَ فيه غير أنْ قيل واجدٌ   وأنَّ له كَشْحاً إذا قام أهضما[٥]

---

(١) كان يقال له ذلك لشدته وصرامته . اللسان .

(٢) الرخل : الأنثى من ولد الضأن : فى النسختين : « رجلان » ، صوابه فى ديوان طرفة ٦ . تثور : هى فى الديوان « تنور » ، أى تنفر . يصف غزارة در هذه النعجة المرضع، وإلفها للذكور التى تلقحها .

(٣) فى النسختين : « ليجمع ملك » ، وبذلك يختل الوزن ، وفى الديوان : « ليخلط ملكه » .

(٤) الكِروان، بكسر الكاف: جمع كروان ، بالتحريك. والبائسات نصب على الترحم.

(٥) الواجد : الغنى . وفى النسختين : « واحد » تحريف ، صوابه فى الديوان ٥ فى إحدى الروايات ، ويروى : « غير أن قيل ذا غنى » . ويروى أيضاً : « غير أن له غنى » .

وكان عبد عمرو نديماً لعمرو بن هند وجليساً وإنْسا[١]، فدخل معه الحمامَ، فلمَّا تجرَّدَ نظر إليه عمروٌ فقال : كأنَّ ابنَ عمِّك كان يراك حين يقول :

لا عيب فيـه غير أن قيل واجدٌ وأنَّ له كشحا إذا قام أهضما[٢]

٨١ حتَّى أتَى على الشعر . فقال : ماقال فيك أيُّها الملك أشدُّ ! قال : وما قال ؟ قال : فأنشده :

* فليت لنا مكانَ المَلْكِ عمرٍو *

إلى آخرها . فقال : لا أصدِّقك عليه ؛ لِمَا بينَك وبينه . واحتملها في قَلْبه على طرفة .

فلما كان بعد ذلك بيسيرٍ قال لطرفة وللمتلمس: أظنُّكما قد اشتقتما أهلكما ، فهل لكما في أن أكتبَ لكما إلى عاملِ البحرَين بصلةٍ وجائزة ؟ قالا : نعم . فكتب إليه بقتلهما ، فأخذا كتابَيهما ومضَيا ، وأحسَّ المتلمِّسُ بالشر وخاف الداهية ، فقال لطرَفة : إنَّ حَمْلَنا هذين الكتابين ولا ندرى مافيهما عَجْز ، فهل لك أن ننظر فيهما ؟ فقال طرفة : لم يكن ليقدم علىَّ ولا على قومى ، وما بينهما إلاَّ خير ! فمرَّا بنهر الحيرة فإذا بغلمان يلعبون ، ففكَّ المتلمس صحيفته ودفعها إلى غلامٍ منهم فقرأها فإذا الشرُّ ، فألقاها فى المـاء وقال لطرفة : اعلم أنَّ فى كتابك ما فى كتابى . فقال : لم يكن ليفعلَ ولا يجترئَ على قومى . فقال المتلمس :

قذفتُ بها بالثِّنى من جنب كافرٍ كذلك أقنُو كلَّ قِطٍّ مضلّلِ[٣]
رضيت لهـا بالمـاء لمَّـا رأيتُها يجول بها التيَّارُ فى كلِّ جدول

---

(١) الإنس ، بالكسر : الصفى والخاصة . وجعلها الشنقيطى فى نسخته « أنيسا » .
(٢) فى النسختين : « واحد » . وانظر مامضى فى الحاشية الخامسة ص ٢١٢ .
(٣) كافر : نهر بالجزيرة ، وقيل النهر العظيم . أقنو : أجزى وأكافئ . القط ، بكسر القاف : الصك بالجائزة .

ومضى المتلمسُ إلى الشام ، ومضى طرفةُ بكتابه إلى عامل البحرَين ، وهو عَبد هندٍ بن جرد بن جرىّ بن جروة بن عُمير التّغلبى ، فلما قرأ الكتابَ قال : أتَرى مافى كتابك ؟ قال : لا . قال : فإن فيه قَتْلَكَ ، وأنت رجلٌ شريف ، وبينى وبين أهلك إخاء قديم فانجُ قبل أن يُعلَم بمكانك ؛ فإنى إنْ قرأت كتابَكَ لم أجد بُدًّا مِن قَتْلك ! فخرج ولقيه شَبَاب[1] من عبد القيس ، فجعلوا يَسقُونه ويقول الشعر ، فلما علم بمكانه قدّمه فضرب عنقَه . وهو قول المتلمس : ٨٢

وطُريفةُ بنُ العبدِ كان هديَّهم ضربوا صَميم قَذالِهِ بمهنَّدِ

[2]ومنهم :

بشر بن أبى خازم الأسدى

وكان أغار فى مِقْنبٍ من قومه على الأبناء من بنى صعصعة بن معاوية ــ وكان بنو صعصعة[3] إلاَّ عامر بن صعصعة يُدعَون « الأبناء » ، وهم واثلة[4] ، ومازن ، وسلول ــ فلما جالت الخيل بموضع يقال له الرَّدْهُ[5] مَرَّ بِشر بغلام من بنى واثلة[4] ، فقال له بشر : أعطِ بيدِك[6] . فقال له الوائلى[7] : لتتنحَّيَنَّ أو لأُشعرنَّك سهماً من كِنانتى[8] ! فأبى بِشرٌ إلاَّ أَسْرَه ، فرماه بسهم على

(١) ا : « شاب » وصححه الشنقيطى .
(٢) الكلام من هنا إلى نهاية هذا الخبر منسوخ على هامش نسخة الشنقيطى بخطه .
(٣) فى الخزانة ٢ : ٢٦٢ : « وكل بنى صعصعة » .
(٤) فى الخزانة : « وائلة » بالثاء .
(٥) فى النسختين : « الردة » تحريف . والرده ، بفتح الراء وسكون الدال : موضع فى بلاد قيس دفن فيه بشر بن أبى خازم ، وقال وهو يجود بنفسه :

فمن يك سائلا عن بيت بشر فإن له بجنب الرده بابا

معجم البلدان . فى الخزانة : « فلما جالت الخيل مر بشر » بإسقاط ما بينهما من كلام .
(٦) فى الخزانة مع تصريحه بالنقل عن كتاب أسماء من قتل من الشعراء : « استأسر» .
(٧) الخزانة : « الوائلى » .
(٨) الخزانة : « لتذهبن أو لأرشقنك بسهم من كنانتى » .

فقدوته ، فاعتنق بِشرٌ فرسه ، وأخذ الغلامَ فأوثقه ، فلما كان الليلُ أطلقه بشرٌ من وَثاقه وخلَّى سبيلَه ، وقال : أعلِمْ قومَك أنك قد قتلتَ بشراً . وهو قوله :

وإنَّ الوائلىَّ أصابَ قلبى بسهمٍ لم يكن نِكْساً لُغَابا

فى شعر طويل (١) .

ومنهم :

عدىّ بن زيد العبادىّ

وقد مرّ حديثه فى المغتالين (٢) .

ومنهم :

تأبَّط شرًّا الفهمىّ

وهو ثابت بن جابر بن سُفيان (٣) ، وكان من شعراء العرب وفتاكهم . وإنه خرجَ غازياً فى نفرٍ من قومه إذ عرض لهم بيتٌ من هُذَيل ، بين صَدَّىْ جبل (٤) فقال : اغنَموا هذا البيت . فقالوا : والله مالنا فيه أرَب ، ولئن كانت فيه غنيمةٌ فما نستطيع أن نَسوقَها . فقال : إنى أتفاءل أن تكون غنيمةً ! ووقف وأتت له (٥) ضبعٌ عن يساره ، فكرهها وعافَ على غير الذى رأى ، وقال : أبشرى أُشْبِعك من القوم غدا . فقال له أصحابه : ويلك انطلق ، والله مانرى أن نقيم عليها ! فقال :

---

(١) انظر مختارات ابن الشجرى ٨١ ـ ٧٣ .

(٢) سبق فى ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

(٣) انظر الشعروالشعراء ٢٧١ وشرح الأنبارى للمفضليات ١ ـ ٢ ، ١٩٥ ـ ١٩٦ والاشتقاق ١٦٢ ـ ١٦٣ والأغانى ١٨ : ٢٠٩ ـ ٢١٨ والخزانة ١ : ٦٦ ـ ٦٧ واللآلئ ١٥٨ ـ ١٥٩ والتيجان لوهب بن منبه ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

(٤) صدا الجبل : ناحيتاه فى مشعبه .

(٥) فى النسختين : « به » .

والله لا أَرِيمُ ! وأنت له(١) الضبعُ فقال لها : أَبشرى أُشْبعك من القوم غداً ! ٨٣
فقال أحد القوم : والله إنى لأراها تأتى لك(٢) .

فباتَ حتى إذا كان فى وجه الصبح وقد عدَّهم على النار وأبصَرَ سوادَهم غلامٌ مع القوم دُوَين المُحْتَلِمَ ، فذهب فى الجبل ، وعدَوْا على القوم فقتلوا شيخاً وعجوزاً ، وحازوا جاريتين وإبلاً ، ثم قال تأبَّط شرًّا: فأين الغلام الذى كان معكم؟ وأبصروا أثَرَه ، فاتَّبعه فقال له أصحابه : ويلك ، دعْه فإنك لا تريد إليه شيئاً . فاتَّبعه واستذْرَى الغلامُ(٣) بوقفةٍ إلى صَخرةٍ ، وأقبل تأبط شرًّا يقُصُّه ، وأوفَقَ الغلامُ سهماً(٤) حين رأى ألاَّ ينجيه شىء ، وأمهلَه حتى إذا دنا منه قَفَز قفزةً فوثب على الصخرة وأرسل السهمَ ، فلم يسمع تأبط شرًّا الحيصة(٥) ، فرفع رأسه وانتظم السهمُ قلبَه ، وأقبل الغلامُ نحوه وهو يقول : لا بأس ! فقال الغلام وهو يقول : أما والله لقد وضعتُه حيثُ تكره ! وغشيه تأبَّطَ شرًّا(٦) بالسيف ، وجعل الغلامُ يَلوذُ بالدَّرَقة ، ويضربُها تأبط شرًّا بحُشاشته(٧) فيحُذُّ منها ما أصاب منها حتى خَلَص إليه فقتَلَه ، ونزل إلى أصحابه يجرُّ برجاله ، فلما رأوه وثبوا فسألوه : ما أصابك ؟ فلم ينطِقْ ومات فى أيديهم ، فانطلقوا وتركوه ، فجعل لا يأكل منه سبعٌ ولا طائرٌ إلا مات ، فاحتملته هُذيلٌ فطرحوه فى غارٍ يقال له غار رَخْمَان . فقالت أختُه رَيْطة(٨) ترثيه :

---

(١) جاءت على وجهها هنا خلافا لما سبق التنبيه عليه . والكلام من « فقال له أصحابه» إلى كلمة « غدا » التالية سقط من نسخة ب .

(٢) فى النسختين : « تان لك » .

(٣) استذرى به : التجأ إليه وصار فى كنفه .

(٤) أوفق السهم وأفاقه : وضعه فى الوتر ليرمى به .

(٥) الحيصة : الجولة لطلب الفرار .

(٦) سقطت كلمة « شرا » فى ب من هذا الموضع وسابقيه .

(٧) بحشاشته ، أى بما بقى فيه من رمق .

(٨) فى معجم البلدان (رخمان) : « فقالت أمه ترثيه » .

نِعمَ الفتى غادرتُمُ برِخْمَانْ ثابتُ بن جابرِ بن سُفيانْ[١]
٨٤ قد يَقتُلُ القِرْنَ ويَروى النَدمانْ[٢]

ومنهم :

صَخْر بن الشَّريد السُّلَمى[٣]

وكان غزا بنى أسدِ بن خزيمة وأصاب غنائم وسَبْيًا، وأنَّ أبا ثور بن ربيعة[٤] ابن ثعلبة بن رباب بن الأشتر الأسدىّ طعن صخراً وعليه الدِّرع ، فدخلت حلقةٌ من حلقات الدِّرع بطنَ صخر، فتحاملَ بالطعنة ، وفاتَ بنى أسد ، فجَوِىَ منها ، وكان يمرض[٥] قريباً من سنة حتى ملَّه أهله، فسمع امرأةً وهى تسأل سلمى امرأته : كيف بعلك ؟ قالت : لاحىٌّ فيُرجَى ، ولا ميّت فيُنْعَى ، لقينا منه الأمرَّين ! فلما سمع ذلك منها قال :

أرى أمَّ صخر ما تملُّ عِيادتى ومَلَّت سُلَيمَى مضجعى ومكانى[٦]
فأىُّ امرئٍ ساوى بأمٍّ حليلةً فلا عاشَ إلاّ فى شقًا وهوان
لعمرى لقد نبَّهتِ من كان نائما وأسمعتِ مَن كانت له أذنان
أهمُّ بأمر الحزم لو أستطيعُهُ وقد حِيلَ بين العَير والنَّزَوان

فلما طال عليه البلاء والمرض وقد نتأت قِطعة مِن جنبه مثل اللِّبد فى موضع

---

(١) فى معجم البلدان : « من ثابت » . وما فى النسختين جائز عروضياً ، دخل مستفعلن فيه الخرم بعد الخبن . انظر حاشية الدمنهورى ص ٦٢ طبع الحلبى ١٣٤٤ .
(٢) الندمان ، بفتح النون : الشريب المنادم . ياقوت : « يجدل القرن » .
(٣) هو صخر بن عمرو بن الشريد ، أخو الخنساء الذى رثته رثاء ضرب المثل به .
(٤) فى الأغانى ١٣ : ١٣٠ أن اسمه أبو ثور ربيعة بن ثور . وكذا فى الخزانة ١ : ٢٠٩.
(٥) كذا فى النسختين . وفى أمثال الميدانى ٢ : ٣٨ : « فمرض حولا حتى مله أهله » .
(٦) فى الخزانة أنه قال الشعر فى « بديلة الأسدية » وكان قد سباها من أسد واتخذها لنفسه . وأنشدوا مكان هذا البيت :
ألا تلكم عرسى بديلة أوجست فراقى وملت مضجعى ومكانى

الطعنة ، قالوا : لو قطعتَها رجَوْنا أن تبرأ منها . فقال : شأنَكم ! وأشفق عليه بعضُهم فنهاه ، فقال : الموتُ أهونُ علىَّ مما أنا فيه ! فأحمَوْا له شفرةً[1] فقطعوها ، فيئس من نفسه .

وسمع أختَه الخنساء تسأل : كيف كان صبره ؟ فقال :

أجارتنا إنَّ الخطوب تُرِيب ... علينا وكلُّ المخطئين تصيب[2]
فإن تسأليني كيف صبرى فإنَّنى ... صبورٌ على ريب الزمان أريب
كأنى وقد أدنَوْا لحزِّ شِفارَهم ... من الصَّبر دامِي الصَّفحتين رَكُوب[3]
أجارتنا لستُ الغداةَ بظاعنٍ ... ولكنْ مقيمٌ ما أقامَ عسيب[4] ٨٥

فمات فدفن هناك[5] .

ومنهم :

طَريف بن تَميم العنبرىّ

وكان قتل يومَ مُبايِض[6] . وكان طَريفٌ قتل شرحبيل أخا بنى [أبى] ربيعة ابن ذُهل بن شيبان . وكان الفرسان لا تشهد عكاظ إلاّ مُبرقعة مخافة الثُّؤرة[7] ، وكان طريفٌ لا يتبرقع كما يتبرقعون . فلما ورد عكاظ قال حَمِيصة بن شَراحيل

---

(١) الميدانى : « فأخذوا شفرة فقطعوا ذلك الموضع » .

(٢) لم يروه الميدانى .

(٣) ا : « لحر » ، وصححه الشنقيطى مطابقاً ماعند الميدانى . وفيه « نكيب » بدل « ركوب » .

(٤) الميدانى : أجارتنا إن تسأليني فإننى ... مقيم لعمرى ما أقام عسيب

(٥) الميدانى : « ثم مات فدفن إلى جنب عسيب ، وهو جبل بقرب المدينة . وقبره معلم هناك » .

(٦) انظر العقد ٥ : ٢٠٨ ومعجم البلدان فى (مبايض) والكامل لابن الأثير ١ : ٣٦٧ وأمثال الميدانى ٢ : ٣٦٣ .

(٧) ا : « النور » ب : « الثور » ، والوجه ما أثبت . والثؤرة : الثأر . قال :

شفيت به نفسى وأدركت ثؤرتى ... بنى مالك هل كنت فى ثؤرتى نكسا

الشَّيبانى : أَرُونى طريفاً . فأرَوْه إياه فجعل يتأمَّله ، فقال له طريف : مالَكَ ؟ فقال : أتوسَّمك لأعرفَك ، فإن لقيتُك فى حربٍ فلله علىّ أنْ أقتلَك أو تقتلَنى ! فقال طريف :

أو كلَّما وردَتْ عُكاظَ قبيلةٌ   بعثُوا إلىّ عريفَهم يتوسَّم
فتوسَّمونى إننى أنا ذاكُمُ   شاكِى سلاحٍ فى الحوادث معلِم(١)
تحتى الأغرُّ وفوق جلدى نَثْرةٌ   زَغْفٌ تردُّ السيفَ وهو مُثَلَّم(٢)
ولكلِّ بكرىٍّ إلىّ عداوةٌ   وأبو ربيعة شانئٌ ومحرِّم(٣)
حولى أسيِّدُ والهُجَيم ومازنٌ   وإذا حلَلْتُ فحولَ بيتى خَضَّم(٤)

فمضى لذلك ماشاء الله .

ثم إنّ عائذة ــ وهم حلفاء لبنى أبى ربيعة بن ذُهل ــ أغار عليهم طريفٌ فى بنى العَنْبر ، وفَدِكىُّ بن أَعْبَدَ فى بنى مِنْقر ، وأبو الجدْعاء(٥) فى بنى طُهَيَّة ، فالتقوا بمُبايض فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتل أبو الجدعاء(٦) ، وهرب فَدَكىٌّ ، ولم يكن لحَمَصيصةَ همٌّ غيرُ طريف ، فلما عرفه رماه فقتله ، فقال أبو مارد ، أخو بنى أبى ربيعة ، فى قتل حَمَصيصة طريفًا :

خاضَ الغداةَ إلى طريفٍ فى الوغى   حَمَصيصةُ المِغوارُ فى الهيجاء

---

(١) فى العقد والبيان ٣ : ١٠١ والأصمعيات ٦٧ ليبسك ومعاهد التنصيص ١ : ٧١ : « شاك سلاحى » .

(٢) الأغر : فرسه . الخيل لابن الأعرابى ٦٩ ، ٧١ والمخصص ٦ : ١٩٥ ، ١٩٦ . الزغف : الدرع الواسعة الطويلة . ا : « زعف » وصححه الشنقيطى مطابقاً رواية المراجع السابقة .

(٣) البيان : « ومحلم » .

(٤) خضم : قبيلة ، وهو اسم العنبر بن عمرو بن تميم .

(٥) ا : « الجذعان » فى هذا الموضع و « الجذعا » فى تاليه . وجعله الشنقيطى « الجذعان » وكلاهما تحريف صوابه فى العقد وابن الأثير .

(٦) ا : « الجذعا » ب « الجذعان » من صنيع الناسخ . والصواب ما أثبت .

ومنهم :

السُّلَيْك بن السُّلَكَة ٨٦

وهى أمّه ، وأبو [هُ عُمَيرٌ(١)] السَّعدىّ .

وكان غزا خَثعم فسَبَى امرأة فأولدَها . ثم إن المرأة قالت لسُلَيك : أزِرْنى قومى(٢) وإنى لا أغدر بك ، وما ولدى منك إلاّ كولدى من غيرك . فاحتملَها وأتى بها أرضَ خثعم فقالت له : أقم بهذا الموضع - لموضعٍ أمرتْ به - حتى آتيكَ بعد يومين أو ثلاثة. فلما أتت زوجها قالت له: هذا سُليكٌ بموضعِ كذا . فلم تَرَ عند زوجها خيراً ، فقالت لابن عمِّه أنَس بن مُدرِك(٣) ، فخرج أنسٌ فقاتلَه ، فوثَب زوج المرأة على أنَس حتى عقَلَه ، فقال أنَس :

غضِبتُ للمرء إذْ نِيكت حليلتُه ... وإذْ يُشَدُّ على وَجْعائها الثَّفَرُ

أنَّى تَنابِىٌّ هامات مُحرورة ... لا يزدهينى سَواد الليل والجهر(٤)

أغشَى الهِياج وسربالى مُضاعَفَةٌ ... تَغشَى البنانَ وسيفى صارمٌ ذكَرُ

إنى وقَتْلى سُلَيكاً ثم أعقِلَه ... كالثَّور يُضربُ لمَّا عافت البقَرُ(٥)

---

(١) التكملة من الأغانى ١٨ : ١٣٣ . وانظر ترجمة السليك فى الأغانى والشعراء ٣٢٤ - ٣٢٨ والمؤتلف ١٣٧ وشرح التبريزى للحماسة والخزانة ٢ : ١٧ .

(٢) فى النسختين : « قومك » .

(٣) انظر تحقيق اسمه فى حواشى الخزانة ٣ : ٨٠ سلفية .

(٤) كذا ، وفى الأغانى ١٨ : ١٣٨ :

إنى لتارك هامات بمجزرة ... لا يزدهينى سواد الليل والقمر

(٥) البيت شاهد فى العربية لنصب الفعل بأن مضمرة بعد ثم . همع الهوامع ٢ : ١٧ .

ومنهم :

عبد عَمْرو بن عَمَّار الطائىّ(١)

كان الحارث بن أبى شَمِر(٢) الغَسّانىُّ لما قُتِل المنذرُ بن ماء السماء بعث رجلاً من أهل بيته يقال له الأبرد، فنزل بين العراق والشام، وكان يسمَّى المَلِيك ـ أى ليس بملكٍ تام ـ فأتاه عبد عمرو(٣) فامتدحه ، فوصَله ، فلم يرض صلتَه ، فهجاه فقال :

كأنَّ ثناياه إذا افترَّ ضاحكا رؤوس جراد فى رؤوس تُحسحَسُ(٤)

فقال : ويلكم ، ائتونى بجَراد . فأُتِىَ بجراد فأمَرَ به فوُضع على النار ، فرآهنّ يتحركن ، فقال : ويلكم ، إنّ ابن عمار لم يهجُنى ولكن سلَح علىّ ! ٨٧

وكان مما هجاه به أيضاً قوله :

قل للذى خَيرُه دون الصهاقيم ومنطقى عندنا أحلا من الدبسِ(٥)
لو كنت كلبَ قَنيص كنت ذا جِدَد قُبِح ذا وجه أنفٍ ثمَّ منتكِس(٦)

---

(١) ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ٢٣٥ . وهو عبد عمرو بن عمار بن أمتى ، شاعر جاهلى . وفيه يقول الأعشى :

جار ابن حيا لمن نالته ذمته أوفى وأمنع من جار ابن عمار

(٢) شمر ، بفتح فكسر . يعين ذلك قول عمرو بن كلثوم :

هلا عطفت على أخيك إذا دعا بالثكل ويل أبيك يا ابن أبى شمر
فذق الذى جشمت نفسك واعترف فيها أخاك وعامر بن أبى حجر

كامل ابن الأثير ١ : ٣٢٥ . وحجر بضم الجيم إتباعاً للحاء .

(٣) فى النسختين : « عبد بن عمرو » ، تحريف .

(٤) حسحسه : وضعه على الجمر . فى النسختين: « يخسخس » ، تحريف .

(٥) كذا ورد البيت . ولم أجده فى مرجع مما لدى .

(٦) الجدد ، بالكسر : جمع جدة بالكسر ، وهى القلادة فى عنق الكلب . فى النسختين: « فنح » صوابه من مجالس ثعلب ٤٨٤ . وفى الأغانى ٢١ : ١٢٥ : « قبحت ذا أنف وجه » . ورواه ثعلب مرة أخرى « قبح ذا الوجه أنفا » . على أن البيت ملفق من بيتين وعجز صدره كما فى الأغانى والمجالس واللسان ٨ : ١٠٠ :

* تكون أربته فى آخر المرس *

وصدر عجزه كما فيهما :

* لعوا حريصاً يقول القانصان له *

إنَّ المليك إذا . . . . . . عثروا على تعرقبه بالله لم يَكُس (١)
تعلَمَنْ أنَّ شرَّ الناسِ كلّهم الأفقم الأنف والأضراسُ كالعَدَس (٢)
كان امرأً صالحا فارتدَّ مُومِسَةً حَمْرًا يرهِّزُها رامى بنى مرس
يمشى بطيناً ولما يَقْضِ نَهْمتَه ماءُ الرجال على فَخْذيه كالقَرَس (٣)

ثم إنَّ الأسودَ بن عامر بن جُوَيْن الطائىّ انطلَقَ إلى الشام فنزل بالمليك فنسبه فانتسَبَ له فعرفه، فقال: أىّ رجل ابن عَمّارٍ فيكم؟ فأخبره أنه من أسرة قايلة ذايلة وأنه لا خير فيه. فقال: لاجَرم لا تفارقُنى حتى أُوتَى به. وكان ابن عَمّارٍ قد لجأ إلى أوس بن حارثة بن لَأْمٍ الطائى، فأعطى الأسودُ المليكَ رهينةً من ولَده، وأقبل حتى أخذ ابنَ عمار، فذهب أوسٌ يَحُول بينه وبينَه، فقال: أتَحُول بينى وبين ابن عمى؟ فدونَك؛ أتُرانى (٤) كنتُ مُسلِمَه للقتل؟! فانطلَقَ به إلى المليك. فضربَ عنقه، فقال خَولىّ بن سهلة الطائى (٥):

لقد نهيتُ ابنَ عمارٍ وقلتُ له لا تأمَنَنْ أحمر العينينِ والشَّعَرَهْ
إنَّ الملوكَ إذا حلّت ساحتَهم طارت بثوبك من نيرانهم شرَرَه
أو يقتلوكَ فلا نِكْسٌ ولا وَرَعٌ عند اللِّقاء ولا هَوهاءةٌ هُمَرَه (٦)
يا غارة كانسجال السَّيل قد قَتَلوا ومَنطقاً مثل وَشْى اليَمْنة الحِبَره (٧)

---

(١) الكوس: المشى على رجل واحدة. وفى ذات الأربع أن تمشى على ثلاث.
(٢) الأفقم: المعوج. وجعلها ناسخ ب «الأفعم» تحريف. ورواية الأغانى:
قولا لعمرو بن هند غير متئب يا أخنس الأنف والأضراس كالعدس
شبه أضراسه بالعدس فى صغرها وسوادها.
(٣) فى الأغانى: «أراد بالقرس القريس، وهو الجامد».
(٤) فى النسختين: «إنى».
(٥) الشعر لأبى قردودة الطائى فى الحيوان ٤: ٢٣٤ — ٥ : ٣٣٢ والبيان ١: ٢٢٢، ٣٤٩ ومعجم المرزبانى ٢٣٦ ومحاضرات الراغب ١ : ٩٢.
(٦) الهوهاءة: الضعيف الفؤاد الجبان. همار ومهمار ومهمر، أى مهذار ينهمر بالكلام.
(٧) فى النسختين: «ياهادة»، تحريف، والرواية المشهورة: «ياجفنة كإزاء الحوض قد هدموا». وانسجال السيل: انصبابه وسيلانه.

٨٨ لقد نصحتُ له والعيسُ باركةٌ بين الحُدَيباء والمرماة والأَمَرَه[١]
لقد نهيتُك عمَّن لا كِفاء له عند الخِماظ وعن عوفٍ وعن قطره
ما قتلوه على ذنبٍ ألمَّ به إلاَّ تواصوْا وقالُوا قومُه خسره

وقال المليك الأسود بن عامر :

قتلتَ ابنَ عمِّك من خشْيِنا وفى أهلِه يقتُلَنَّ الخشِى[٢]

ومنهم .

سويد بن صامت الأوسى

وكان يُدعى الكامل ، وقد كتبناه فى أشراف المغتالين[٣] .

ومنهم .

دُرَيد بن الصِّمَّة الجشمى

وقُتِل مشركاً يوم حُنَين . وكان مالك بن عوفٍ النَّصْرى جمع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعت إليه ثقيفٌ كلُّها ونَصر وجُشَم أبنا معاوية ، وسعد بن بكر ، وناسٌ قليلٌ من بنى هلال بن عامر ، ولم تحضر كعبٌ وكلاب ، فخرج فى بنى جُشَمَ دريدٌ شيخاً كبيراً فى شِجار[٤] ، ليس عنده إلاَّ التيمُّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرَّباً . فعسكر مالكُ بن عوفٍ بأوطاس[٥] ، ومعهم نساؤهم وأبناؤهم وأموالهم ، فأقبل دُريدٌ فى شجار[٦] يُقادُ

---

(١) الحديباء : ماء لبنى جذيمة بن مالك بن نصر . والمرماة : موضع كذلك لم أعثر على تحقيقه . والأمرة : بلد فى ديار غنى . معجم ما استعجم .

(٢) الخشى : الخوف . والخشى : الخائف ، يقال : هو خاش وخش وخشيان. ودخول نون التوكيد فى « يقتلن » من ضرائر الشعر أو الشذوذ .

(٣) كذا : ولم يسبق له خبر .

(٤) الشجار : مركب مكشوف أصغر من الهودج . ب « شجاوليس » وصححه الشنقيطى .

(٥) أوطاس : واد بديار هوازن .

(٦) ا : « سحار » . وانظر التنبيه السابق .

به بعيره ، فقال : أين نزلتم ؟ قالوا : بأوطاس قال : نِعم مجال الخيل ، لا حَزْنٌ شَرْسٌ[١] ، ولا سَهلٌ دَهْسٌ[٢] فمالى أسمعُ رغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، وبُكاء الصغير ، وثُغاءَ الشاء[٣] ؟ قالوا : ساق مالكُ بن عوفٍ مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال : أين مالك ؟ قالوا : هذا مالك قد عنّ له . فقال : يامالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإنّ هذا يوم كائن له ما بعدَه من الأيام ، مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، وثغاء الشاء[٣] ؟ قال : سُقتُ مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم . قال : ولِمَ ؟ قال : أردت أن أجعلَ خلفَ كلِّ ٨٩ رجلٍ أهلَه ومالَه ليقاتل عنهم . فأنقضَ[٤] به دريدٌ وقال : راعِى ضأنٍ والله ! وهل يردُّ المنهزمَ شىء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعْك إلاّ رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحتَ فى أهلك ومالك !

ثم [قال[٥]] : ما فعلتْ كعبٌ وكلاب ؟ قالوا : لم يشهَدْها منهم أحدٌ . قال : غاب[٦] الجِدّ والحدّ ، لو كان يومَ رفعةٍ[٧] لم يغب عنه كعبٌ وكلاب ، وددت أنكم فعلتم مثلَ ما فعلوا . قال : فمَنْ شهدها منكم[٨] ؟ قالوا : عمرو[٩] بن

---

(١) الشرس : الغليظ . وفى السيرة ٨٤ . وإمتاع الأسماع ١ : ٤٠٢ واللسان (دهس) : « لاحزن ضرس » .

(٢) الدهس : اللين السهل .

(٣) السيرة : « ويعار الشاء » .

(٤) ا : « فانتفض به » : ب « فانتقض به » والصواب ما أثبت من السيرة ٨٤١ وإمتاع الأسماع . وفى اللسان (نقض) : « قال الخطابى : وفى حديث هوازن : فأنقض به دريد ، أى نقر بلسانه فى فيه كما يزجر الحمار . فعله استجهالا » .

(٥) التكملة من السيرة .

(٦) فى النسختين : « غلا » ، والصواب من السيرة . الجد : الحظ . والحد : البأس والنفاذ فى النجدة .

(٧) فى النسختين : « وقعة » . وفى السيرة : « يوم علاء ورفعة » .

(٨) كذا فى السيرة . وفى النسختين : « منهم » .

(٩) فى النسختين : « عمر » ، صوابه من السيرة .

عامر ، وعوف بن عامر : قال : ذانك الجذعان من عامر لاينفعان ولا يضرّان . يا مالك ، إنك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً ؟ ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وعليا قومهم ، ثم ألق العدا(١) على متون الخيل . فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك ألفى ذلك(٢) وقد أحرزت مالك وأهلك. قال: والله لا أفعل ، إنك قد كبرت وكبر علمك(٣). وكره أن يكون لدريد فيها يدٌ وذِكر ورأى . فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه :

يا ليتنى فيها جذَعْ أَخُبُّ فيها وأضَعْ
أقود وطفاء الزَّمَعْ كأنها شاةٌ صدَع(٤)

فلما هزم الله المشركين أدرك دريداً ربيعةُ بن رُفَيع(٥) ، من بنى سِماك بن عوف(٦) ، من سُلَيم ، وكان يقال له ابن لدغة(٧) ، فأخذ بخطام جمله وهو يظنّه امرأة ، فأناخ به ، فإذا شيخٌ كبير ، وإذا هو دُريد والغلام لا يعرفه ، فقال له دريد : ما ذا تريد بى ؟ قال : أقتلك . قال : ومَن أنت ؟ قال : ربيعة بن رُفيع(٨) السُّلَمى فضربه الفتى بسيفه فلم تُغن شيئاً . قال : بئسما سلحتك أمُّك!

---

(١) فى السيرة : « الصبا » .

(٢) السيرة : « ألفاك ذلك » .

(٣) السيرة : « عقلك » .

(٤) الصدع من الوعول : الفتى الشاب .

(٥) فى النسختين : « رفيعة » ، تحريف ، صوابه فى السيرة ٨٥٢ والإصابة ٢٥٩٤ ، وكذلك ٧٩٨ من قسم النساء والقاموس (دغن) .

(٦) وكذا فى الإصابة والمعارف ٣٨ . وفى الاشتقاق ١٨٧ وإمتاع الأسماع ١ : ٤١٣ « سمّال » باللام .

(٧) فى النسختين : « لدعة » صوابه من الإصابة . وفى السيرة ٨٥٢ والروض الأنف ٢ : ٢٩٣ : « لذعة » . ويقال له أيضاً « ابن الدغنة » بضم الدال والغين ، وتشديد النون ، أو كـكلمة ، أو كخرمة .

(٨) جاءت على هذا الصواب فى ا . وفى ب بخط ناسخها : « رقيم » .

خُذ سيفى من مؤخَّرة الرحْل فى القِراب فاضربْ وارفع عن العِظام[(١)]، واخفِضْ عن الدِّماغ؛ فإنى كنتُ أضرِبَ الرجال! فإذا أتيت أمَّك فأخبِرها أنك قتلت ٩٠
دريدَ بن الصِّمّة، فربَّ والله يومٍ قد منعتُ فيه نساءكَ.

وأخبرَ أمَّه فقالت: قد والله أعتَقَ[(٢)] لك أمهاتٍ ثلاثاً!

ومنهم:

كعب بن الأشرف اليهودى الطائى

وقد كتبناه فى المقتالين[(٣)].

ومنهم:

السُّلَيك بن السُّلَكة

وكان خرج فى تَيم الرِّباب يتبع الأريافَ حتى مرَّ بفخّة، فيما بين أرض بنى عُقَيل وسعد تميم[(٤)]، فلقى رجلاً من خثعم يقال له مالك بن عُمَير بن أبى وَدَاع[(٥)] بن جُشَم بن عوف، فأخذه ومعه امرأةٌ له من خَفاجة تدعى «نَوَار»، فقال له الخثعميُّ: أنا أفدى نفسى منك. فقال له السُّلَيك: ذلك لك على أن لا تَخيسَ بى ولا تُطْلع علىَّ أحداً من خثعم. فأعطاه ذلك، فرجع إلى قومه، وخالَفَ السليك على امرأتِه فنكَحها، وجعلت تقول له: أحذَرْ خثعم فإنى أخافُهم عليك! فأنشأ يقول:

تحذِّرنى أن أحذَر العامَ خثعماً ... وقد علمت أنِّى امرؤٌ غير مُسْلَمِ

---

(١) ا: «الطعام»، وصححه الشنقيطى بما يطابق السيرة.
(٢) ا: «عتق» وصححه الشنقيطى.
(٣) انظر ما مضى فى ص ١٤٤.
(٤) فى النسختين: «سعدغنم»؛ صوابه من شرح التبريزى للحماسة ٢ : ٣٧٢.
(٥) التبريزى: «زراع».

وما خثعم إلّا لئـــامٌ أذِقّةٌ إلى الذّلّ والإسخاف تُنمَى وتنتمى[(١)]

فبلغ شُبيلَ بنَ قِلادة[(٢)] بن عَمْرو بن سعد، وأَنَس بن مدرك الخثعميَّين، الخبرُ، فخالفا الخثعميَّ زوجَ المرأة، فلم يعلم السُّلَيك حتى طرَقاه، فأنشأ يقول :

مَن مبلغٌ حرباً بأنى مقتول[(٣)] يارُبَّ نهبٍ قد حويتُ عُثكول[(٤)]
وربَّ خِرْقٍ قد تركت مجـدولْ وربَّ زوجٍ قد نكحتُ عُطْبول[(٥)]
وربَّ عانٍ قد فككت مكبولْ وربَّ وادٍ قد قطعتُ مَشْبُول[(٦)]

فقال أنَس لشُبَيل : إن شئتَ كفيتُك القومَ وتكفينى الرجل . فشدَّ أنسٌ على السلَيك فقتَله، وقتل شُبيلٌ وأصحابه مَن كان معه. فقال عَوْف — وهو ابن عم
٩١ مالك بن عُمَير — والله لأقتلنّ أنسًا فى اختفاره ذمَّةَ ابنِ عمِّى[(٧)] :

مَن مبلغ خثعماً عنّى مُغلغَلةً إنّ السُّلَيكَ لَجارى حين يدعُونى

فى شعرٍ طويل .

ثم إنّ أنساً وَدَى السلَيك بعد أن كاد يتفاقم الأمرُ بينهم، فقال أنَسُ ابن مدرك :

كم من أخٍ لى كريم قد فجعت به ثم بقيتُ كأنّى بعــدَه حجَرُ
لا أستكين على رَيب الزّمان ولا أُغضِى على الأمر يأتى دونَه القدرُ

---

(١) الإسخاف : رقة الحال والمال . فى النسختين : « الإسحاق » صوابه من التبريزى .
(٢) فى النسختين : « ولاذة » وعند التبريزى : « شبل بن قلادة » .
(٣) التبريزى : « حرب : ابنه ، وبه كان يكنى » .
(٤) أصل معنى العثكول عذق النخلة .
(٥) العطبول : المرأة الحسنة التامة . والزوج يطلق على الرجل والمرأة ، التبريزى : « ورب ريم » .
(٦) مشبول : فيه أشبال الأسد . ذكره التبريزى. فى النسختين : «مسبول» تحريف .
(٧) لعل بعده نقصا تقديره « ثم قال » ، أو نحوه .

مِردَى حروبٍ أُجيلُ الأمر جائلَه إذ بعضُهم لأمور تَعترِى حَذِرُ[١]
إنِّى وعَقْلِى سُلَيكاً بعدَ مقتَلِه كالثَّورِ يُضرَب لمَّا عافَت البقرُ
غضِبْت للمرء إذْ نيكت حليلتُه . . . .

(الأبيات التى تقدمت قبل)

ومنهم :

الحارث بن ظالمٍ المرّىّ

وكان الحارث قتل خالدَ بنَ جعفر بن كلاب فى جوار الأسود بن المنذر وهربَ إلى مكة . ثم إن النعمانَ بن المنذر كتب للحارث كتابَ أمان ، وأشهد عليه شهودا من مُضَر وربيعة، وكتب إلى الحارث يسأله القدومَ عليه، وكفَل له الشهود وأن لايهيجه النُّعمان لما كان من قتل خالدٍ أخيه[٢] وقتلِه ابنَه[٣] ، فقدم الحارثُ حتى أتى النعمانَ وهو بقصر بنى مُقاتل ، فقال للحاجب : استأذنْ لى ، وذلك حين رأى الناسَ اجتمعوا عنده ، فاستأذن له الحاجبُ فقال : ضَعْ سيفَك وادخل . فقال : ولِمَ أضعُه ؟ قال : ضعْهُ فإنه لا بأس عليك . فلما ألحّ عليه وضَعه ومعه أمانُه الذى كتب له . فدخل فقال : أَنعِمْ صباحاً أبيتَ اللّعْن . فقال : لا أنعَمَ الله صباحَك . فقال الحارث : هذا كتابُك . وأخرجَه . فقال النعمان : والله ما أُنكِرُه ، أنا كتبته لك ، وقد غدرتَ وفتكتَ مِراراً ، فلا ضير إن غدرتُ بك مرّة واحدة ! ثم نادى : مَن يقتلُ هذا ؟ فقام ابن الخِمس ٩٢
التغلبى[٤] — وكان الحارث فتك بأبيه[٥] — فقال : أنا أقتله . فقال الحارث :

---

(١) التبريزى : « جزر » وهى الرواية الجيدة .

(٢) كذا ، والوجه « جاره » .

(٣) كان الحارث أتى سلمى بنت ظالم ، وفى حجرها ابن النعمان ، فقال لها : إنه لن يجيرنى من النعمان إلا تحرمى بابنه فادفعيه إلى . وقد كان النعمان بعث إلى جارات للحارث فسباهن ، فدعاه ذلك إلى قتل الغلام ، فقتله . الأغانى ١٠ : ١٩ — ٢٠ .

(٤) هو مالك بن الخمس . الأغانى ١٠ : ٢٧ .

(٥) ا : « بابنه » ، والتصحيح للشنقيطى .

أنت يا ابن [راعى[١]] الإبل تقتلنى ! أمَا والله ما نَفسى[٢] من أبيك ولا من أشباهه لُؤمه . فقتله ابن الخمس . فقال قيس بن زهير يرثى الحارث بن ظالم[٣] :

ما قَصَرت من حاصِنٍ دُونَ سِـتْرِها أبرّ وأوْفى منكَ حارِ بنَ ظالم
أعَزَّ وأوفَى عِنـد جارٍ وذِمَّةٍ وأضرَبَ فى كابٍ من النَّقْع قاتِم[٤]

فقال رجل من بنى ضِرس[٥] من جرهم،وممن كان يقوم على رأس النعمان حينَ رأى الحارثَ مقتولا :

يا حار حِنْتِيّا لم تك تِرْعِيّا[٦]
فى البيت ضِجُعِيّا[٧]

ومنهم :

عبد الله بن رَوَاحة الأنصارىّ ثم الخزرجى

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجَّه جيشاً إلى مُوْتة،وأمَّر عليهم مولاه زَيد بن حارثة الكلبىّ وقال : إن أصيبَ زيدٌ فالأمير جعفر بن أبى طالب ، وإن أصيب جعفر بن أبى طالب فالأمير عبد الله بن رَوَاحة . فأصيبوا ثلاثتهم ـ رحمهم الله ـ وأخذ خالدُ بن الوليد الرايةَ من غير تأمير من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتل ابن راقلة[٨] وباقين[٩] المشركين ، وهزمَهم الله تعالى به .

(١) موضعها بياض فى النسختين .
(٢) كذا وردت هذه الكلمة .
(٣) فى النسختين : « فقال قيس بن رحل بن ظالم » . وأثبت بدله مافى الأغانى ١٠ : ٢٨ . وكان قيس بن زهير بن جذيمة قد اشترى سيف الحارث ابن ظالم من ابن الخمس ثم علاه به فقتله .
(٤) الأغانى : « أعز وأحمى » .
(٥) الأغانى : « رجل من ضرى » .
(٦) الترعى : الذى يجيد رعاية الإبل ويحسن التماس الكلأ لها .
(٧) الضجعى بكسر الضاد وضمها : العاجز المقيم لا يكاد يبرح منزله .
(٨) فى النسختين : « ابن داقلة » ،صوابه من السيرة ٧٩٧ . ويقال فيه أيضاً «ابن رافلة» كما فى السيرة والاشتقاق ٣٢٢ . وفى السيرة أن قاتله قطبة بن قتادة .
(٩) ب : « بلغين » .

ومنهم :

جَزْء[1] بن الحارث الأزدى ثم الشعبى

وكان التقَى ناسٌ من بنى خُنَيس وناس من بنى كنانة ليلاً ولا يَعرِف بعضُهم بعضاً ، فرمَى رجلٌ من بنى كنانة فأصاب جَزْءًا ، فقال جزء : حَسٍّ حَسٍّ[2] ! وصاح رجلٌ من بنى كنانة: يا آل واهب ، ابْراعوا مَن هم ! وهم من خثعم. وقال رجل من بنى خنيس : ارجِعى يا مَيدعان فإنى أجد ريحَ القارة . فرجعوا عليهم فقتلوهم غيرَ رجلَين . ومات جزْءٌ من السهم الذى أصابه . فقال عمرو بن أبى عُمارة[3] :

دعَوْا واهباً مسر عشيا[4] وكلُّنا رأى واهباً رَأْىَ الخليلِ المواصِلِ
وأدعُو فناعَتْ من خُنَيس عصابةٌ إلى الضَّرب مَشْىَ المحنقَاتِ الرَّوافِلِ[5] ٩٣
فليتَك بالمَعْزاء حين تقسّموا فتنظر بلعا من قتيلٍ وقاتلِ[6]
وليتك حىّ حين سلك فرهم فُنَيَّة حرب كالسِّهام النَّواصل[7]
فتعلم أنَّا لم ندعْهم بعَمْرنا وأنْ لم يَؤُبْ مَن آبَ منهم بطائل

(١) فى النسختين « جرو » فى المواضع الأربعة ، وهو تحريف . انظر ما سيأتى فى ٣٣٢ س ١٠ . وعلة هذا التحريف أن كلة « جزء » بضم الجيم ترسم فى الكتابة القديمة بواو فى آخرها ، فيلتبس بها عندهم « جزء » الوارد فى أعلامهم بفتح الجيم .

(٢) كلمة تقال عند الألم .

(٣) شاعر جاهلى ، ذكره المرزبانى فى معجمه ٢٣٣ ونسبه « الخنيسى الأزدى » .

(٤) كذا فى النسختين .

(٥) ناعت : تقدمت . المرزبانى : « دعوت فثابت » . المحنقات : الضوامر من الإبل . المرزبانى : « المخفقات » . الروافل : المتبخترة فى مشيتها . المرزبانى : « الرواقل » ولا وجه له .

(٦) بلعا ، كذا وردت مهملة فى النسختين .

(٧) ب : « فغية حرب » . والبيت ظاهر التحريف .

ومنهم :

الشَّنْفَرَى الأزدى

من الأَوَاس بن الحجْر بن الهَنْو(١) بن الأزْد وغيرها(٢) . وأنه قتَل من بنى سلامان بن مُفْرِج تسعة وتسعين رجلا فى غاراته عليهم ، وأنّ بنى سلامان أقعَدَت له رجالاً من بنى الرَّمْد(٣) من غامِد يرصدونه ، فجاءهم للغارة فطلبوه فأفلَتَهم ، فأرسلوا عليه كلباً لهم يقال له « حُبَيْش » فقتله ، وأنه مرّ برَجاين من بنى سَلامان فأعجله فِرارُه عنهما ، فأقعدوا له أُسَيد(٤) بن جابر السَّلامانى(٥) ، وحازماً البُقْمىَّ(٦) من البُقوم بن حوَالة بن الهَنْو بن الأزد ، بالناصف من أَبيدة(٧) وهو وادٍ فرصَداه ، فأقبلَ فى الليل قد نزع إحدى نعلَيه فهو يضرِب برجله . فقال حازم : هذا الضَّبُع ! فقال أُسَيد : بل هو الخبيث . فلما دنا(٨) توجَّس ثم رجع ، فمكثَ قليلا ثم عاد إلى الماء ليشرب فوثَبوا عليه فأخذوه وربَطوه وأصبحوا به فى بنى سلامان ، فربطوه إلى شجرةٍ فقالوا : قِفْ أنشِدنا .

---

(١) وكذا ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ٢٨٦ . ويقال « الهنء » . والهاء فيه مثلثة : انظر الخزانة ٢ : ١٦ . وضبط الأسماء المتقدمة منها .

(٢) كذا فى النسختين .

(٣) فى القاموس : « وبنو الرمد وبنو الرمداء : بطنان » . الأغانى ٢١ : ٨٨ : « من الغامديين من بنى الرمداء » .

(٤) كذا فى الأغانى وشرح المفضليات للأنبارى ١٩٦ وشرح التبريزى للحماسة ٢ : ٦٦ . وفى النسختين : « أسد » تحريف . وانظر ماسيأتى فى آخر بيت من هذا الخبر .

(٥) ا : « السلامى » ، ومثله فى شرح المفضليات ١٩٦ . وتصحيحه للشنقيطى مطابق ما فى الأغانى .

(٦) الأغانى : « وخازما الفهمى » صوابه ما هنا وهو المطابق لما فى شرح المفضليات .

(٧) الناصف : موضع فى ديار بنى سلامان من الأزد ، ومن أوديته أبيدة . معجم ماستعجم . وأبيدة : منزل بنى سلامان . فى النسختين : « فالناصت من أسد » ، صوابه من الأغانى ٢١ : ٨٨ .

(٨) ا : « دنو » ، والتصحيح للشنقيطى مطابق ما فى الأغانى ٢١ : ٩٠ .

فقال : « إنما النشيد على المَسَرّة » ! فذهبت مثلا . وجاء غلام قد كان الشَّنْفَرى قتل أباه فضرب يده بالشَّفْرة فاضطربت فقال :

لا تَبْعَدِى إمَّا هلكْتُ شامه[(١)] فربَّ وادٍ قد قطعت هامه[(٢)]
وربَّ حىٍّ أهلكْتُ سَوَامَه وربَّ خَرْقٍ قَطَّعْتُ قَتَامَه
وربَّ خِرْقٍ فَصَلَت عِظامَه[(٣)]

ثم قالوا : أين نقبرك ؟ فقال :

لا تقبرونى إنَّ قبرِى محــرَّم عليكم ولكن أَبشرِى أمَّ عامرِ
إذا احتمَلَت رأسى وفى الرَّأس أكثرى وغُودِر عنــد الملتقى ثَمَّ سائرى ٩٤
هنالكَ لا أرجو حيــاةً تسرُّنى سَمِير اللَّيالى مُبْسلاً بالجرائر[(٤)]

وأن رجلا من بنى سَلامان رماه بسهمٍ فى عينه فقتله ، فقال جَـزْء بن الحارث[(٥)] فى قتله :

لعمرك لَلسَّاعى أُسَيْد بنُ جابرٍ أحقُّ بها منكم بنى عَقِب الكلب[(٦)]

وكان الشَّنفرَى حلَفَ ليقتلنَّ مائةً من بنى سلامان ، فقتل تسعة وتسعين فبقى عليه تمامُ نذْرِه ، فمر رجلٌ من بنى سلامان بجمجمته فضربَها فعقرَتْ رجلَه فمات ، فتمَّ نذره بالرَّجل بعد موته :

---

(١) كذا فى ب والأغانى والتبريزى وهو الصواب. وفى الأغانى ٢١ : ٩٠ « فقطع يده من الكوع وكان بها شامة سوداء » . ا : «سامه» ، تحريف .
(٢) الأغانى والتبريزى : فرب واد نفرت حمامه .
(٣) الخرق ، بالفتح: الفلاة الواسعة تنخرق الريح فيها ، وبالكسر : الكريم يتخرق فى السخاء ، أى يتوسع فيه .
(٤) مبسلا بالجرائر: مسلماً بذنوبه وما يجر على قومه. ا : « بالجوابر »، صوابه فى ب . وانظر الحماسة بشرح التبريزى ٢ : ٦٥ والمرزوقى ٤٩٠ .
(٥) فى النسختين : « جرو بن الحارث » صوابه من شرح المفضليات ١٩٧ . وفى الأغانى : « ظالم العامرى » .
(٦) فى النسختين : «حقب الكلب» ، صوابه فى الأغانى وشرح المفضليات .

ومنهم :

خالد بن جعفر بن كلاب

وقتله الحارث بن ظالم فى جوار الأسود بن المنذر . وقد كتبت سبب قتله فى المغتالين[1] .

ومنهم :

حارثة بن قيس الكنانى

وكان مدح الحارثَ بن أبى شَمِر الغَسّانى ووفَد إليه فأحسَنَ جائزتَه ، فلما انصرف سُرِق ما معه ، فظنّ أن الحارث دسّ إليه مَن يسرقه ، فقال يهجوه :

أَدّ الدنانير إنّ الغدر مَنقصـةٌ   وإنّ جدّكَ لم يَغدِر ولم يُطِق

فبلغ هجاؤه الحارثَ فحلَف أن لا يمسّ رأسَه غِسْلٌ[2] حتّى يقتل حارثة بهجائه إيّاه ، وأنّ الحارث بن أبى شمر جعلَ لابن عُروة الكنانىّ جُعْلاً على أن يدلّه على عَورة قومه ، فدلَّه فغزاهم ، وندم ابنُ عروة فقال فى الطّريق وهو يَسير مع الحارث :

بلِّغ بنى مُدلجٍ عنِّى مُغلغَلَةً   . . . .[3] النُّذُرُ

أنّ الهمامَ الذى يخشَوْن صَولتَه   بينى وبينكم يَسرى ويبتكر

فى مُسبطرٍّ تهاب الطّيْرُ صولتَه   ولا يُحيط به فى السَّرْبَخ البصرُ[4]

فى كلّ منزلةٍ منه ومعتَرَك   تَلَقى سلائلَ لم ينبُتْ لها شَعَر[5]

---

(١) انظر ما مضى فى ص ١٣٤ .

(٢) الغسل ، بالكسر : ما يغسل به الرأس من خطمى وطين وأشنان ونحوه .

(٣) بياض فى النسختين .

(٤) السربخ : الأرض الواسعة ، أو البعيدة .

(٥) السلائل : يعنى بها أجنة ما يهلك من الدواب .

٩٥ فلم يبلغهم إنذارُه ، وأغار عليهم الحارث بخبط الجُحْفة فقتل حارثةَ بنَ قيس، وأوقعَ ببنى كِنانة ، فقالت ابنةُ حارثة ولبِست السَّوَادَ وحَلفتْ لا تنزِعه حتَّى تثأرَ بأبيها من ابن عمِّه الذى دلَّ عليه ، فقالت :

جزَى اللهُ ابنَ عروةَ حيث أمسى   عُقوقاً والعُقوق له أَثامُ[1]
أتيتَ طليعةً للقوم تَسرِى   بمعط لا يجار ولا ينام[2]
فما علمَتْ مسا كنَنا بَلِيٌّ   ولا غَسّانُ تلك ولا جُـذامُ
بأيدينا وإنْ لم يقتُلونا   بذى المسروح أصداءٌ وهام[3]
فإنَّ مدافع التوفيق منكم   إلى حبنا وإن دفعت حَرامُ[4]

ومنهم :

عُتَيبة بن الحارث بن شهاب

أخو بنى جعفر[5] بن ثَعلبة بن يربوع .

غزت بنو نصر بن قُعَين[6] ، فسمع عُتيبةُ بسيرهم فقال : خلُّوا بين بنى نَصرٍ وبين النَّعَم ، فبلغ ذلك بنى نصر ، فعبَّوا للنَّعَم خيلا وللقِتال خيلا . فلما صبَّحوهم ذهبت الفِرقة التى وكَّلوها بالنعم ، وتأخَّرت الأخرى ، فقاتلت بنو يربوع منهم نفراً ، وكانت تحت عُتيبة يومئذٍ فرس فيها مِراح واعتراض[7] ، فأصاب غلامٌ

---

(١) الأثام : عقوبة الإثم . ونسب البيت فى اللسان (أثم) إلى شافع الليثى .
(٢) كذا ورد هذا البيت .
(٣) ذو المسروح : موضع . وجعلها ناسخ الشنقيطية « المشروح » ، وهذا تصحيف .
(٤) كذا وردت « التوفيق » و « حبنا » ، وهما موضعان يظهر أنهما محرفان .
(٥) ا : « جعد » صوابه فى ب ، وهو يطابق ما فى الاشتقاق ١٣٨ .
(٦) ا : « نمر بن قعين » ، صوابه فى ب . انظر المعارف ٣٠ والإنباه على قبائل الرواة ٧٥ .
(٧) المراح ، بكسر الميم : النشاط الذى يجاوز القدر . ا : « قراح » وصححه الشنقيطى . والاعتراض : المشى مرة من وجه وأخرى من وجه آخر ، وذلك للنشاط .

من بنى أسـد ، يقال له ذُؤاب بن رُبَيِّعة[1] ، أرنبة عُتَيبة فنُزِف حتَّى مات ، فحمل رَبِيعُ بن عُتَيبة على ذُؤابٍ فأخذه سَلَمًا[2] ، وقتلوا ثمانيةً من بنى نَصرٍ وبنى غاضرة ، واستنقذوا النَّعَم ، وساروا بذُؤابٍ إلى منزِلهم ، فقال رُبَيِّعةُ أبو ذُؤاب :

إنْ يقتلوكَ فقد ثللتَ عروشَهم   بعُتيبةَ بنِ الحارث بن شهابِ
بأشدِّهم ضرًّا على أعدائهم   وأعزِّهم فقداً على الأصحاب[3]

[بقية الـكتاب فى المجموعة التالية]

---

(١) ا : « دواب ربيعه » ، صوابه من تصحيح الشنقيطى . وربيعة هـذا بضم الراء وفتح الباء وتشديد الياء المكسورة، ليس فى العرب ربيعةغيره كما قال أبو محمد الأعرابى . انظر ما كتبت فى حواشى شرح الحماسة للمرزوقى ٨٤٣ .

(٢) السلم : الاستسلام عن عجز .

(٣) الحماسة : « بأشدهم كلباً » . ويروى : « بأحبهم فقداً إلى أعدائهم وأشدهم فقداً » و « بأشدهم أوقا على أعدائهم وأجلهم رزءا » .

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء

نوادر المخطوطات

٧

بتحقيق

عبد السلام هارون

المجموعة السابعة

الطبعة الثانية

١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء

المجموعة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

[بقية كتاب أسماء المغتالين]

ومنهم :

المنخَّل اليشكُرىّ

وكانت امرأةُ النُّعمان بن المنذر قد شُغِفت به ، فخرج يتصيَّد[1] ، فعَمَدت
٩٦ إلى قيدٍ فجعلت رجلَها فى إحدى حلقتيه ، ورجلَ المنخل فى الأخرى شغفاً به ، وجاء النعمانُ فألفاهما على حالهما ، فأمَر بالمنخَّل فقُتل ، فضَربت به العربُ المثل ، فقال أوس بن حجَر :

فجئت ربيعى مُولِياً لا أزِيده ... عليه بها حتَّى يؤوب المنخَّلُ[2]

وقال ذو الرمة :

تُقارِبُ حَتَّى يطمع التابع الصبا ... وليست بأدنى من إياب المنخَّلِ[3]

(١) عمدت ، أى قصدت . وفى النسختين : « عهدت » ، تحريف .

(٢) لم أجده وديوان أوس . ربيعى كذا فى النسختين ، وأراها « ربيعا » . مولياً : حالفاً ، من الإيلاء وهو القسم . لا أزيده ، أى فى ثمنها ، لعله يعنى القوس . فى النسختين : « لا أريده » .

(٣) كذا . وفى ديوان ذى الرمة ٥٠٩ والأغانى ١٨ : ١٥٣ : « تقارب حتى تطمع التابع الصبا » .

ومنهم :

عمرٌو ذو الكَلْب(١)

وكان من رجال هُذَيل ، وكان قد عَلِقَ امرأةً من فَهْم يقال لها أم جُلَيحة ، فأحبَّها وأحبَّته ، وقد كان أهلها وَجَدُوا عليهما(٢) وطلبوا دمَه إلى أن جاءها عامًا من ذلك(٣) ، فنَذِرُوا به فخرجوا فى إثره وخرجَ هارباً منهم وتبعوه — وكان أهدَى النّاسِ بطَريق — فتبعوه يومَهم ذلك حتّى أمسَوْا ، وهاجت عليهم [ريحٌ شديدة فى(٤)] ليلةٍ ظلماء شديدة الظُّلمة . فبينا هو يسير وهو على الطريق إذْ رأى ناراً عن يمينه فقال : أخطأتُ واللهِ الطريق ، وإنَّ النَّار لعلى الطَّريق . وحار وشدَّ(٥) فقصد للنَّار حتَّى أتاها وقد كاد يُصبِح ، فإذا رجلٌ قد أوقَدَ ناراً وليس معه أحد ، فقال عمرو ذو الكلب : مَن أنت ؟ قال : أنا رجلٌ من عَدْوان . فقال : ما اسم هذا المكان ؟ قال : السّدّ . فعرف أن قد هلك وأخطأ — والسّد شىء لا يُجاز — فقال : ويحكَ ، لِمَ أوقدت ؟ فوالله ماتَشوِى ولاتَصطِلى ، وَيْلِى ، حَيْن عَمرو(٦) وأمر لأمر ، هل عندكَ شىء تطعمنى ؟ قال : نعم . فأخرج له تمَرات فألقاها فى يده ، فلما رآها قال : تمرات ، تتْبعهُا عبَرات ، من نِسوةٍ خفرات ! ثم قال : اسقِنى قال : ماذا ؟ لبناً ؟ قال : لا ولكن اسقِنى ماء

(١) هو عمرو بن العجلان بن عامر بن برد بن منبه ، أحد بنى كاهل بن لحيان بن هذيل. قال ابن الأعرابى : إنه سمى ذا الكلب لأنه كان له كلب لايفارقه . وقال أبوعبيدة : لأنه خرج غازياً ومعه كلب يصطاد به . ومن الناس من يقول له « عمرو الكلب » . الأغانى ٢٠ : ٢٢.

(٢) ب بخط الناسخ : « عليها » . وفى الأغانى : « عليها وعليه » .

(٣) أى بعد عام من ذلك .

(٤) التكملة من الأغانى .

(٥) « شد » ، أى أسرع فى العدو . وفى الأغانى و ب : « شك » .

(٦) ناسخ ب : « حيز عمر » ، تحريف . والحين : الهلاك . الأغانى : « وما أوقدت إلا لمنية عمر » .

٩٧ قَراحا ، فإنِّى مقتول صباحا . ثم انطلَقَ فأسْنَدَ[١] فى السّدّ ، ورأى القومَ يطلبون أثَره حيث أخطأ ، فتبعوه حتّى وَجَدوه[٢] قد دخَلَ فى غار السدّ . فلما ظهَروا السَّدَّ علموا أنّه فى الغار ، فنادَوه فقالوا : يا عمرو . قال : ما تشاءُون ؟ قالوا : اخرُجْ . فقال : فلِمَ إذاً دخلت ؟ قالوا : بلى فاخرجْ . قال : لا ، لا أخرج ! قالوا : فأنشدنا قولك :

ومقعدِ كُرْبةٍ قد كنتُ فيها مكانَ الإصبعَين من القِبالِ[٣]

فقال : هاهى هذهِ أنا فيها . ويَعِنُّ له رجلٌ من القوم فيرميه عمرٌو فيقتله. قالوا : قتلتَه ياعدوَّ الله ؟ قال : أجَلْ ، قد بَقِيتْ معى أربعةُ أسهم كأنَّها أنيابُ أم جُلَيحة . قالوا : يا أبا بِجاد[٤] ، ادخلْ عليه وأنت حرّ ! فتهيأ أبو بجاد ليدخلَ فقال له عمرو : ويحَكَ ، ما ينفعك أن تكون حرًّا إذا قتلتك ! فنكَصَ عنه .

فلما رأَوْا ذلك صَعِدوا فنقَبوا عليه ثم رمَوْه حتى قتلوه وأخذوا سَلَبَه فرجعوا به ، وإذا أمُّ جليحة تتشوّف ، فلما رأوها قالوا : يا أم جُلَيحة ، مارأيُكِ فى عمرو؟ قالت: رأْيى والله أنكم طلبتموه سريعاً[٥] ، ولقِيتموه مَنيعاً ، وصِبتموه مريعاً[٦] . قالوا: قد والله قتلناه . قالت : والله ما أراكم فعلتم، ولئن كنتم فعلتم لرب ثَدْيٍ[٧]

---

(١) ا : « فاستند » ، ب بتصحيح الشنقيطى « فاستند » . والوجه ما أثبت . سند فى الجبل، وأسند : رقى .

(٢) ا : « تجدوه » ، وما كتبه الشنقيطى يوافق ما فى الأغانى .

(٣) قبال النعل : زمامها ، يكون بين الإصبع الوسطى والتى تليها .

(٤) الأغانى : « فقالوا لعبدهم : يا أبا نجاد » .

(٥) ا : « شريف » وصححه الشنقيطى مطابقاً ما فى الأغانى .

(٦) فى اللسان : « صاب السهم القرطاس صيبا : لغة فى أصابه » . وفى الأغانى : « ووضعتموه » . مريعاً ، من قولهم : رجل مريع الجناب : كثير الخير . وفى الأغانى . «صريعا». وفى ديوان الهذليين ٣ : ١٢٠ : « لئن طلبتموه لتجدنه منيعاً ، ولئن أضفتموه لتجدن جنابه مريعا ، ولئن دعوتموه لتجدنه سريعاً » .

(٧) أى امرأة ذات ثدى . ا : « بدى » وصححه الشنقيطى مطابقاً ما فى الأغانى .

منكم افترشه ، وضبٌّ منكم احترشه. ونهبٍ منهبٍ منكم اخترشه[١]. فطرحوا إليها ثيابَه وقالوا لها : دونك ، خُذِيها . فشمَّتها فقالت : ريحُ عِطر ، وثوب عمرو ، أمَا والله ما وجدتم حُجْزَته جافية ، ولا عانقه وافية ، ولا ضالته كافية[٢] .

فقالت أختُه رَيطة[٣] ترثيه :

يا ليت عَمْرًا ، وليتٌ ضَلّةٌ جزَعٌ … لم يَغزُ فهمًا ولم يهبط بواديها[٤]
وليلةٍ يَصْطلى بالفرث جازرُها … يختصُّ بالنَّقَرى المُثْرين داعيها[٥]
أطعمتَ فيها على جوعٍ ومَسْغبةٍ … لحمَ الجزور إذا ما قام ناعيها[٦]

وقالت أيضًا ، ترثيه[٧] :

كلُّ امرئٍ بمِحال الدَّهر مكروبُ … وكلُّ مَن غالب الأيامَ مغلوبُ[٨] ٩٨
وكلُّ حيٍّ وإن عزُّوا وإنْ سَلِموا … يومًا طريقُهمُ في السُّوء دُعبُوب[٩]
أبلغْ هُذَيلاً وأبلغ مَن يبلِّغها … عنِّى رسولاً، وبعضُ القَولِ تكذيب[١٠]

---

(١) اخترش الشيء : أخذه وحصله . وهذه الجملة الأخيرة ليست فى الأغانى .

(٢) الضالة ، بتخفيف اللام : السلاح كله ، والسهام ، والقسى .

(٣) وقيل إنها «جنوب» . مجموعة المعانى ١٩٠ وديوان الهذليين ٣ : ١٢٦ .

(٤) ديوان الهذليين : « ياليت عمرا وما ليت بنافعة » .

(٥) البيت وتاليه والحيوان ١: ٣٨٨ / ٢ : ٧٢ / ٥: ٧٥. ونسب فى حماسة ابن الشجرى ٥٠ إلى عمرو بن الأهتم ، كما نسب إلى هبيرة بن أبى وهب فى السيرة ٦١٢ جوتنجن. والنقرى : الدعوة الخاصة .

(٦) فى اللسان : « وأوقع ابن محكان النعى على الناقة المقير فقال :
زيافة بنت زياف مذكرة … لما نعوها لراعى سرحنا انتحبا »

(٧) نسبت المقطوعة التالية أيضاً إلى « جنوب » فى ديوان الهذليين . وإلى عمرة أخت عمرو فى حماسة البحترى ٤٢٩ ـ ٤٣٠ .

(٨) المحال ، بكسر الميم : الكيد والمكر .

(٩) السوء ، رسمت فى ا بدون همزة . وجعلها الشنقيطى « الشر » مطابقاً لما فى الأغانى والحماسة وديوان الهذليين . والدعبوب : الموطوء الممهد .

(١٠) الحماسة والهذليين ومعجم البلدان (شربان) : « وبعض القول » . والأغانى : « وبعض الغى » .

بأنّ ذا الكلبِ عَمْراً خيرَهم نَسَباً ... ببطن شِرْيانَ يَعوى حَوْله الذِّيب(١)
الطاعن الطعنةَ النّجلاءَ يتبعها ... مثْعَنْجِرٌ من نجيع الجْوف أُسكوب(٢)
والتاركُ القِرنَ مصفرًّا أناملُه ... كأنّه من نجيع الجْوف مخضوب
تَمشِى النُّسور إليه وهى لاهيةٌ ... مَشْىَ العذارَى عليهنَّ الجلابيب
والمُخْرج العاتق العذراء مذعِنةً ... فى السَّبْى يَنفَح من أردانها الطِّيب(٣)

ومنهم :

حُمْران بن مالك بن عبد ملك(٤) الخثعمى

وكان فارساً شاعراً .

وكان سبب قتله أنّ خثعم قتلت الصُّمَيل(٥) أخا ذِى الجْوشن الكلابى ، فغزا ذو الجوشنِ خَثعماً ، وساندَه(٦) عُيَينة بن حِصن الفَزارىّ : على أنّ لذى الجوشنِ الدِّماء ، ولعيينة الغنائم ، فغزوا خثعمَ جميعاً فلَقُوها بالقَرْز(٧) — جبل — فقتَلا وأثخَنا وغنما ، وأنّ حُمْران توقَّل فى الجبل فجعلوا يأمرونه أن يستأسِر ، فأنشأ يقول وهو يقاتل :

---

(١) شريان ، بكسر الشين : اسم واد . ويروى : « عنده الذيب » .

(٢) المثعنجر : السائل المتصبب . فى النسختين : « الجوب » ، صوابه فى ديوان الهذليين والأغانى . وفى الحماسة : « من دم الأجواف مسكوب » .

(٣) فى النسختين : « فى المشى » ، وصواب الرواية من ديوان الهذليين والأغانى وحماسة البحترى .

(٤) ملك ، كذا رسمت فى النسختين . وقد ذكر ابن دريد فى الاشتقاق ٣٠٦ حمران هذا ، وقال : « وقد رأس فى الجاهلية » .

(٥) ذكره فى الاشتقاق ١٨٠ .

(٦) ا : « سايده » ، وتصحيحه للشنقيطى .

(٧) كذا فى النسختين . وفى معجم ياقوت من أسماء الجبال « الفرد » و « الفرزة » .

أقسمتُ لا أُقتَلُ إلاّ حُرّا   إنى رأيتُ الموتَ شيئاً مُرّا
أكره أن أُخدَع أو أُغرّا

فقُتِل، فقالت أخته ترثيه :

ويلَ حُمرانَ أخا مَضَنَّه   أوفَى على الخير ولم يَمُنَّه
والطاعنَ النَّجلاءَ مُرتَهِنَه   عانِدُها مِثلُ وكيفِ الشَّنَّه[1]

ومنهم :

مالك بن نويرة بن جَمْرة[2] اليربوعى

وهو فارس ذى الخِمَار[3]، وقُتل فى الرِّدّة .

ذلك أن العربَ لما ارتدّت وجّهَ أبو بكر خالدَ بن الوليد بن المغيرة، فسار فى المهاجرين والأنصار حتى لقى أسداً وغطفانَ ببُزَاخة[4]، واقتتلوا قتالاً شديداً . ففضّ الله المرتدِّين ، وأُسِر عُيَينة بن حصن بن حُذَيفة بن بدر بن عمرو الفَزارى، ٩٩ فوُجِّه به مجموعةً يداه إلى عنُقه إلى أبى بكر فاستحياه ، وأُسِر قُرّة بن هُبيرة القُشَيرى فاستحياه أيضاً .

ثم إنّ خالداً سار إلى البُطاح — نيران من بنى تميم[5] — فلم يجد بها[6]

---

(١) العاند : الذى يسيل جانباً . فى ا : « عايدها » والتصحيح للشنقيطى . والشنة : القربة الخلق . وفى النسختين : « السنة » تحريف . ونحوه قول أبى ذؤيب :

فتخالسا نفسيهما بنوافذ   كنوافذ العبط التى لا ترقع

(٢) ا : « حمزة » صوابه بالجيم كما صنع الشنقيطى . انظر الخزانة ١ : ٢٣٦ .

(٣) ذو الخمار : فرسه . الخزانة والخيل لابن الكلبى ٤٨ وابن الأعرابى ٥٢ ، ٦٣ ، ٢٤ والعمدة ٢ : ١٨٢ والأغانى ١٤ : ٦٤ .

(٤) فى النسختين : « بنواحة » تحريف .

(٥) كذا فى النسختين . ولعلها « قيزان » جمع قوز ، وهو الكثيب الصغير .

(٦) فى النسختين : « فلم يجدها » .

حمماً ، فبثّ السّرايا فى نواحيها، فأُتِى بمالك بن نويرة فى نفرٍ معه من بنى حنظلة، فاختلف فيهم الناس ، وكان فى السرِيَّة التى أصابتهم أبو قَتَادة ، فقال أبو قتادة : لاسبيلَ عليه ولا على أصحابه، لأنَّا قد أذَّنا فأذَّنوا ، وأقمنا فأقاموا، وصلّينا فصلّوا.

وقد كان مِن عهد أبى بكرٍ إلى خالد : «أيَّما دارٍ غَشِيتُموها فسمِعتم أذانَ الصلاة فيها فأَمسِكُوا عن أهلها حتى تسألَهم ما نَقموا وما يبتغون ، وأيَّما دار لم تسمعوا فيها أذاناً فشنُّوا الغارةَ عليها ، فاقتلوا وحرِّقوا » .

وقال بعض مَن كان فى هذه السرية : ما سمعناهم أذَّنوا ولا صلّوا ولا كبَّروا فاختلف فيهم الناس ، فأمر خالد بمالك[1] وأصحابه فضُرِبت أعناقُهم ، وتزوّج أمّ تميم امرأة مالك ، فلما سمع ذلك عمرُ بالمدينة تكلّم فى شأنهم له ، فلم يزل عمر واجداً عليه حتى مات .

ومنهم :

أبو عَـــزَّة

وهو عمر[2] بن عبد الله بن عُمَير بن وَهب بن حذافة بن جُمَح ، وأسرَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومَ بدرٍ ، فشكا إليه بَناتِه وسُوءَ حاله ، فرقّ له وأطلقه ، وأخذ عليه صلى الله عليه وسلم أن لا يهجوه ولا يكثّر عليه ، فأعطاه ذلك .

ثم إن قريشاً ضَمِنت له القيامَ ببناته وكفايتَه المؤونة ، فلم يزالوا به حتى خرج
١٠٠ وأُسِر يوم أُحُد ، فأُتِىَ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فشكا إليه نحواً مما شكا يوم بدر ، فقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن لا يُلدغ من جُحْرٍ مرّتين » ، وضَرَب صلى الله عليه وسلم عُنقَه .

---

(١) رسمت فى النسختين « بمالك » .

(٢) وكذا فى أصل إمتاع الأسماع ١ : ١٦٠ . وفى السيرة ٥٥٦ والأغانى ١٤ : ١١ « عمرو » .

ومنهم :

عبد يغوث بن وقّاص بن صَلاَءة الحارثى

وكان مدحَ خالدَ بن نَضْلة بن الأشتر بن جَحْوان بن فَقْعس، فقال : ناهيك فيها إهاب واحد ، ياخالد بن نضلة فنط(1) فرفع خالد يديه فقال : اللهمّ إن كان كاذباً فاقتله على يدَىْ شرّ حَىٍّ من مضر .

فلما كان يوم الكُلاب الثانى قتلت بنو الحارث بن كعب النُّعمانَ بنَ جساس صاحبَ راية تَيم الرِّباب ، وأسرت بنو سعد بن زيد مناة بن تميم عبدَ يغوث ، فأتت بنى سعد فقالوا لهم : إنّه لم يُقتل لكم فارس ، وقد قتل فارسنا ورئيسنا فادفعوا إلينا عَبد يغوثَ لنقتلَه بصاحبنا . فدفعوه إليهم فقال لهم : يامعشر تيم ، اللَّبَن اللَّبن . فقالوا : الدّمُ أحبُّ إلينا . وأوثقوا لسانه بنِسعةٍ مخافةَ أن يهجوهم ، فقال فى شعرٍ له طويل :

أقول وقد شدُّوا لسانى بنِسعة   أمعشر تَيمٍ أطلِقُوا من لسانيا
وتضحك منى شَيخةٌ عبشميّةٌ   كأن لم يرَوْا قَبلى أسيراً يمانيا(2)
وظل نِساء التَّيْم حولىَ رُكَّدا   تُحاول منِّى ما تريدُ نسائيا(3)

فقدَّمُوه فضربت عنقه .

---

(1) كذا وردت العبارة فى النسختين . ولم أجدها فى مرجع آخر . وانظر مقتل عبد يغوث فى شرح المفضليات ٣١٥ والنقائض ١٥٣ والأغانى ١٤ : ٦٩ — ٧٢ والعقد ٥ : ٢٢٥ — ٢٣١ والخزانة ١ : ١٩٨ ، ٣١٧ وابن الأثير ١ : ٣٨١ .

(2) الرواية المشهورة : « كأن لم ترى » بالخطاب ، على الالتفات . والقصيدة برقم ٣٠ فى المفضليات .

(3) المفضليات : « نساء الحى » .

ومنهم :

يزيد بن الطَّثْرية

وهو يزيد بن الصِّمَّة[١] القشيرى ، فنُسِب إلى أخواله[٢] . وأمُّه من بنى طَثْر ثم من عَنْز بن وائل .

وكان المندلث بن إدريس الحَنَفى[٣] فى الفِتنة ، فأتى بنى جَعْدة وبنى قُشَير وبنى عُقَيل مصدِّقًا لهم ، فعاثَ فيهم ، فأرسل عبد الله بن جَعْوَنة القشيرىُّ إلى بنى عُقَيل وبنى قُشَير فأتاه أبو لَطِيفة العُقَيلى فى جماعة ، وأتاه يزيد بن الطَّثْرية
١٠١ فى بنى قُشَير ، فقتلوا المُندلِث وهرب أصحابُه وقتلوا فيهم وأسروا .

وكان بنو قشَير أرادت أن تنضم إلى بنى عُقَيلَ وتسير مع أبى [لطيفة[٤]]

فقال يزيد بن الطثرية :

قُلْ للبوادر والأحلافِ مالكم أمرٌ إذا كان شُورَى أمرِكم شعبا[٥]
لاتُنْشِبوا فى جَناح القوم ريشَكم فيجعلوكم ذُنابَى يُنبت الزَّغبا
لاعيبَ فىَّ لكم إلاَّ معاتبتى إذا تعتَّبت من أخلاقكم عتبا[٦]

والبوادر : بنو بادرة بنت حارثة بن عَبْس بن رفاعة من بنى سُلَيم ، ولدها عبد الله ، وعامر ، وقُرْط ، وجوز ، ومعاوية ، بنو سَلَمة بن قُشَير . والأحلاف سائر بنى سَلَمة بن قشير ، وهم لعلاَّت .

---

(١) وقيل يزيد بن سلمة الخير . انظر الشعر والشعراء ٣٩٢ — ٣٩٣ وابن سلام ١٥٤ ، ١٥١ — ١٥٢ والأغانى ٧ : ١٠٤ — ١١٧ ومعجم الأدباء ٢٠ : ٤٦ — ٤٩ ووفيات الأعيان ٢ : ٢٩٩ — ٣٠٢ . وتحقيق مقتله فى حواشى الحيوان ٦ : ١٣٧ .

(٢) وذلك لأنه أمه « الطثرية » من الطثر ، وهم حى من اليمن عدادهم فى جرم .

(٣) المندلث ، من تصحيح الشنقيطى ، يطابق ما فى وفيات الأعيان . وفى الأغانى « المندلف » . وهى فى ا : « المداث » . فى هذا الموضع فقط .

(٤) ليست فى النسختين .

(٥) البوادر ، سيأتى تفسيره ، وهو نص نادر عزيز ، مما يستدرك به على معجم قبائل العرب .

(٦) التعتب : الموجدة . والعتب : مادخل فى الأمر من الفساد .

وكانت الرِّياسة لعبد الله بن جَعْوَنة والراية فى يد يزيد بن الطَّثرية ، فجاء القومُ حولَه حين لَقُوهم ، وثبت يزيد بالراية وفرّ عنه أصحابه ، وعليه جُبّةُ خزٍّ يسحبها ، فنَشِبت فى خشبةٍ فعَثَر(١) ، فضربه الحنفيُّون حتّى قتلوه، فقال القُحيف ابن عُمير العُقَيلى يرثيه :

إن تَقتُلوا مِنّا شهيداً صابرا ... فقد قتلنا منكم مجازرا(٢)
عِشرينَ لمَّا يدخُلوا المقابرا ... قَتْلى أصيبت قُعُصاً نحائرا(٣)
نُفُجًا يُرى أرجلُها شَواغِرا(٤)

وقال أيضاً القُحيف :

يا عينُ بكِّى هَمَلاً على هَمَلْ ... على يزيدَ ويزيدَ بن جَمَلْ
قَتَّال أبطالٍ وحَوّالَه حِلَلْ(٥)

ويزيد بن جمل(٦) أيضاً قشيرى ، قتل معه يومئذ .

---

(١) الأغانى : « نشب ثوبه فى جذل من عشرة فانقلب » .
(٢) ا : « تحاررا » ، والتصحيح للشنقيطى ، مطابق ما فى الأغانى ٧ : ١١٦ .
(٣) قعصا ، من القعص ، وهو القتل السريع . فى النسختين :« تصعا لخابرا » تحريف. صوابه من رواية أبى الفرج عن ابن حبيب .
(٤) نفجا ، من الانتفاج ، وهو الارتفاع . فى النسختين :« نفخا » ،صوابه من الأغانى.
(٥) جمع حلة ، بالكسر ، وهم القوم النزول وفيهم كثرة. الأغانى : «وجرار حلل ».
(٦) فى الأغانى : « حمل » فى هذا الموضع وسابقه .

ومنهم :

الأقيشر

وهو المغيرة بن . . . .[١]

[قيس بن[٢]] محمد بن الأشعث بن قيس الكندى[٣] ، وكان أعمى ، ١٠٢ فمدحه فأمر له بثلاثمائة درهم فقال : ادفعها إلى قَهْرمانك ، ومُرْه فليُعطنى بكلّ يوم درهماً للحم ، ودرهماً للبقل . فكان يشترى خمراً بدرهم، ولحما بدانقين[٤] ، ويكترى بَغْلاً بأربعة دوانيق ، فيمضى إلى الحيرة فيشرب يومَه ثم ينصرف مُمْسِياً . فأتلفَ الدراهمَ ثمَّ أتاه أيضاً فسأله فأعطاه مثلَها فأتلفها . فقيل له : إنَّما يشترى بها خمراً يشربه ! فلما أتاه قال له : ياهذا ، إنَّه لايحلُّ لى أن أعطيَك ما تشترى به الخمر ! ولم يُعطِه شيئا . فقال الأقيشر :

ألم تر قَيسَ الأكمَهَ ابنَ محمدٍ يقول فلا تلقاه بالقَول يفعلُ
رأيتُكَ أعمَى القلبِ والعينِ مُمسِكاً وما خيرُ أعمى[٥] العينِ والقلبُ ينخلُ
فلو صَمَّ تمَّتْ لعنــــةُ اللهِ كلُّها عليه وما فيه من الشرّ أفضلُ

فقعَدَ له مواليه حتّى إذا انصرف سَكرانَاً، فأنزلوه فى الحمَّامات بظهر الكوفة — وتركُوا البغلَ فعادَ إلى الكوفة — ودخّنُوا عليه حتّى مات ، فوجدوه ميّتاً هناك حينَ أصبحوا .

---

(١) ورد الكلام فى النسختين متصلا بما بعده ، والصواب أن بينهما سقطا . وفى الأغانى ١٠ : ٨٠ أن اسمه المغيرة بن عبد الله بن معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة . قال أبو الفرج : « وعمر عمراً طويلا فكان أقعد بنى أسد نسباً ، وما أخلقه أن يكون ولد فى الجاهلية ونشأ فى أول الإسلام » .

(٢) يفهم من الكلام أن الأقيشر كان قد قصده . وفى الأغانى ١٩ : ٨٦ « كان قيس بن محمد بن الأشعث ضرير البصر ، فأتاه الأقيشر فسأله » .

(٣) تكملة متعينة من الأغانى ١٠ : ٨٦ وما يقتضيه الشعر التالى .

(٤) الدانق : سدس الدرهم . معرب « دانگ » الفارسية .

(٥) أعمى ، مبيض لها فى الأصل وأثبتت فى ب من خط الشنقيطى ، ولها أصل فى الأغانى .

ويقال: كان الذى فعل بالأقيشر هذا موَالى إسحاقَ بنِ طلحةَ بن عُبيد الله، وكان الأقيشر مولَعاً بهجائه .

ومنهم :

توبة بن الْحُمَـيِّر

أخو بنى خَفاجة بن عُقَيل .

وكان سببُ قتله أنه كان بينه وبين بنى عوف بن عامر بن عُقَيل — وهم رهط نصر بن شَبَث[1] — لِحاء . ثم إن توبةَ شهدَ بنى خفاجة وبنى عوف، وهم يختصمون عند هَمّام بن مُطرِّف العُقَيلي — وكان مَرْوان بن الحكَم استعمله على صدقات بنى عامر، فضَرب[2] ثورُبن أبى سِمعان بن كعب بن عامر بن عوف ابن عامر بن عقيل، توبةَ بن الحمِّير بجُرْز[3] وعلى توبةَ الدِّرعُ والبَيضة ، فجرح أنفُ البيضة وجهَه ، وأمر همّامٌ بثورِ بنِ أبى سِمعان فأُقعِد بين يدىْ توبة،فقال: خذ حقَّك يا توبة . فقال توبة : ما كان هذا الأمر إلا عن أمرك ، وما كان ١٠٣ ليجترئَ علىَّ عند غيرِك يا همّام ! وذلك أنّ أمَّ همَّام من بنى عوف بن عامر ابن عُقَيل .

فانصرف تَوبةُ ولم يقتصّ، فمكثوا غير كثير. ثم إنّ توبةَ بلَغه أنّ ثوراً خرج فى نفرٍ من أصحابه على ماء من مياه قومه يقال له هَوِىّ[4] ، يريد ماء لهم

(١) ورد فى النسختين بدون إعجام . كان نصر بن شبث ممن خرج على المأمون سنة ٢٠٦ وندب لحربه عبد الله بن طاهر حين ولاه الرقة . الطبرى ١٠ : ٢٥٨ والمعارف ١٦٩ .

(٢) ا : « فصرف » والتصحيح للشنقيطى . وفى الأغانى ١٠: ٦٦ :« فضربه بجرز ».

(٣) الجرز ، بالضم : العمود من الحديد . ا : « بحور » : ب «محوز » من قلم الناسخ ، صوابه ما أثبت من الأغانى .

(٤) الأغانى : «قوباء » .

يُقال له حَريز[١] — وهو موضع بتثليث ، وبينهما فلاةٌ من الأرض — فتبعهم توبةُ فى أناسٍ من أصحابه حتى ذُكِر له أنه عند رجلٍ من بنى عامر بن عقيل ، يقال له سارية بن عُوَيمر[٢] بن أبى عدىّ ، وكان صديقاً لتوبة ، فقال توبة : والله لا أطرقهم[٣] وهم عند سارية الليلة ، حتى يخرُجوا من عنده. فأرسل توبةُ رجلَين من أصحابه فقال : أرصدوا القوم حتى يخرجوا . وكان القوم أرادوا أن يخرُجوا حين يُصبِحون ، فقال سارية : أدَّرِعوا الليلَ فى الفلاة[٤] . وغفلَ صاحبا توبة[٥] ، فلما ذهب الليلُ فزِع توبةُ وقال:لقد اغتررتُ برجلين ما صَنَعا شيئاً ، وإنى لأعلمُ أنْ لن يُصبحوا بهذه البلدة[٦] ! فاستضاء لآثارهم[٧]، فإذا هو بآثار القوم قد خرجوا ، فبعث إلى صاحبيه فأتياه فقال : دونكما هذا الجَمَل فأوقِراه من الماء ثم أتْبَعوا أثرى ؛ فإنه لايخفى عليكما حتى تدركانى ، وإنى سأُوقِد لكما[٨] إن أمسيتُما دونى .

ثم خرجَ توبةُ فى إثر القوم مسرِعاً حتى انتصف النهار وجاوز عَلَماً يقال له « أُفَيِح » فى الغائط ، فقال لأصحابه : هل ترون ماءً بين سَمُراتٍ[٩] إلى جنب

---

(١) فى النسختين : « ما لهم فقال له حريز » ، صوابه من الأغانى ، لكن فيها « جرير » محرفة .

(٢) الأغانى : « عمير » .

(٣) الأغانى : « لأنظرنهم » .

(٤) الأغانى : « فقال لهم سارية : ادرعوا الليل فإنى لا آمن توبة عليكم فإنه لاينام عن طلبكم » .

(٥) فى النسختين: « صاحب توبة » .

(٦) فى النسخين : « الليلة » . وفى الأغانى : « البلاد ».

(٧) كذا . وفى الأغانى : « فاقتص آثارهم » .

(٨) الأغانى : « فإن خفى عليكما أن تدركانى فإنى سأنور لكما » .

(٩) فى النسختين : « ما بين شمرات » . وفى الأغانى : « هل تروزسمرات » . والسمرات : جمع سمرة بفتح السين وضم الميم ، وهى ضرب من العضاه .

قرون بَقَر(١) فإنّ ذلك مَقِيلُ القوم ولن يُجاوِزوه، وليس وراءه ظِلّ. فنظر فقال قائل(٢): نَرى رجلاً يقود بعيراً كأنه يَقُوده لصيد. قال: ذلك ابن الحُبْتَرِيّة، وذلك أرمَى مَن رَمَى(٣)، فمن له أن يختلجه دونَ القوم فلا يَنْذَرون بنا؟(٤) ١٠٤
فقال عبد الله بن الحُمَيِّر: أنا له. قال: فاحذر أن يَعقِر بك(٥)، وإن استطعتَ أن تَحُول بينه وبين أصحابه فافعل. فخلّى طريق فرسه في غَمْض من الأرض(٦) ثم دنا منه فحَمَلَ عليه، فرماه ابن الحُبْتَرِيّة فعقر فرسَ عبد الله، واختلّ السهمُ ساقَ عبد الله(٧)، وانحدر الرجل حتى أتى أصحابه فأنذرهم، فجمعوا الرِّكاب وهي متفرّقة، وغشيَهم توبةُ ومن معه، فلما رأوا ذلك صَفّوا رِحالَهم، وجعلوا السَّمُرات(٨) في نحورهم، ثم أخذوا سلاحهم وزحف إليهم توبةُ، فارتمى(٩) القوم لا يُغنى أحدٌ منهم في أحدٍ شيئاً. ثم إنّ توبة — وكان يُترِّس لأخيه عبد الله قال: يا أخي لا تترّس لي(١٠)؛ فإني قد رأيت ثَوْراً(١١) يُكثِر رَفْع الرأس، عسى أن أوافقَ عند رفعِهِ أناةً منه مَرْمًى فأرميَه(١٢). ففعل فرماه توبةُ فأصابه على

---

(١) فى النسختين: «قرن بقر»، صوابه من الأغانى ومعجم البلدان.
(٢) ا: «وائل» وتصحيح الشنقيطى يطابق ما فى الأغانى.
(٣) فى النسختين: «أوهى من وهى»، صوابه من الأغانى.
(٤) أى يعلمون بنا، نذر، كفرح: علم. فى النسختين: «يتندرون بنا»، صوابه من الأغانى.
(٥) يقال عقر به، إذا عقر دابته. جعلها الشنقيطى «يتقربك»! وفى الأغانى: «فاحذر لا يضربنك».
(٦) الغمض والغامض: المطمئن المنخفض من الأرض.
(٧) اختله السهم: انتظمه. فى النسختين: «بساق» صوابه من الأغانى.
(٨) فى النسختين: «السمريات». وانظر ما مضى فى الصفحة السابقة.
(٩) فى النسختين: «فادعى»، صوابه فى الأغانى.
(١٠) فى النسختين: «يا أخى ترس لى»، صوابه فى الأغانى.
(١١) هو ثور بن أبى سمعان. انظر ص ٢٥٠.
(١٢) الأغانى: «عسى أن أوافق منه عند رميه مرمى فأرميه».

حلَمة ثديه ، وصرَعه ، وجالَ القومُ وغشُوهم فوضَعوا فيهم السلاحَ حتى تركوهم صَرعَى ، وهم تسعةُ نَفَر (١) .

ثم إنّ ثوراً قال : انزِعوا هذا السَّهمَ عنّي . فقال توبة : ماوضعناه مكانه لنَنْزِعَه ! وقال أصحاب توبة لتوبة : انجُ فخُذْ آثارنا (٢) لنلقَى راويتَنا ، فقد مِتْنا عطشاً . فقال توبة : وكيف بأُولَى القومِ الذين لا يُمنعون ولا يَمتنِعون ؟ قالوا : أبعَدَهم الله . قال : ماأنا بفاعلٍ ، وما هم إلا عشيرتـكم ، ولـكن تأتى (٣) الراوية فأضَع لهم ماء ، وأغسلُ دماءهم وأخيِّل عليهم من السِّباع والطير لاتأكلهم حتى أُوذِنَ بهم بعضَ قومهم (٤) .

فأقام توبةُ حتى أتتهم الراوية قبل الليل ، فسقاهم من الماء وغَسَل عنهم الدِّماء ، وجعَلَ في أساقيهم ماء ، ثم خيَّل عليهم بالثياب على الشجر (٥) ، ومضَى حتى
١٠٥ هـ طرقَ من الليل ساريةَ فقال : إنّا قد تركْنا رهطاً من قومكم بالسَّمُرات من قُرون بقر (٦) فأدرِكوهم ، فمن كان حيًّا فداوُوه ، ومن كان ميّتاً فادفنوه . ثم انصرف ولحق بقومه .

فصبَّح ساريةُ القومَ فاحتملهم ، وقد مات ثورٌ ولم يمت غيرُه .

ولم يزل توبةُ لهم خائفاً ، فـكان السَّليلُ بن ثورٍ المقتولِ رامياً كثير الشرّ والبَغْى ، فأخبِر بغِرّةٍ من توبة ، وهو بقُنّةٍ لهم من قِنان السَّرو سَرْوِ لُبْن (٧) ،

(١) الأغانى : « سبعة نفر » .
(٢) الأغانى : « انج بنا فقد أخذنا ثأرنا » .
(٣) ا : « نأتى » صوابه فى ب . وفى الأغانى : « تجىء الراوية » .
(٤) الأغانى : « حتى أوذن قومهم بهم بعمق » . وعَمق ، بالفتح : ماء لبنى عقيل . ولعل « بعض » هنا هى « بعمق » .
(٥) ا : « السحر » ، والتصحيح من الأغانى . وجعلها الشنقيطى « السمر » .
(٦) جعلها الشنقيطى « قرن بقر » ، والصواب ما أثبت من ا والأغانى .
(٧) فى النسختين : « لبق » صوابه من معجم البلدان ، ومعجم ما استعجم (السرو) . وفى الأغانى : « بقنة من قنان الشرف » فقط .

يقال لها قُنَّة ابن الحُمَيِّر(١) ، فركب فى نحوٍ من ثلاثين فارساً حتى يطرُقه(٢) فتوقَّلَ توبةُ ورجلٌ من أصحابه فى الجبل وأحاطوا بالبُيوت، فناداهم توبةُ : هذا مَن تبتغون ، فاجتنِبوا البيوت . فقال بعضُهم لبعض : إنكم لن تستطيعوه فى الجبل، ولكن خُذوا ما استطفَّ لكم من ماله(٣) . فأخذوا أفراساً له ولإخوته ، ثم انصرفوا . فَغزاهم توبة حتى انتهى إلى مكان يقال له حجر الراشدة(٤) ظليلٍ ، أسفلُه كالعمود ، وأعلاه مُنتشر ، فاستظلَّ فيه وأصحابه ، حتى إذا كان بالهاجرة مرّت به إبل هبَيرة بن السَّمِين ، أخى بنى عوف بن عامر بن عُقَيل ، فأخذها وخلَّى طريقَ راعيها ، فلما ورد(٥) العبدُ على مولاه أخبره ، فنادى فى بنى عوف فقال : حتَّى متى هذا ؟ فتعاقد منهم نحوٌ من ثلاثين فارساً فاتَّبعوه ، ونهضت أمرأةٌ من خثعم كانت فيهم ، وكانت تؤخِّذ(٦)، فقالت : أرُونى أثَرَه ، فخرجوا بها وأرَوْها أثره ، فأخذَت من تُرابه وقالت : أطلبوه فإنه مُختَبس عليكم . فطلبوه فسبقهم(٧) ، وخرجَ توبةُ حتى إذا كان بالمَضْجع من أرض بنى كلاب ، جعل يُدَاريه ويحبس أصحابه ، حتى إذا كان بشِعبٍ من هَضْبة يقال بنت هَيْدَةَ(٨) ،

(١) الأغانى : « بنى الحمير » .

(٢) جعلها الشنقيطى : « حتى طرقه » مطابقاً ما فى الأغانى .

(٣) استطف له الشىء : بدا له ليأخذه . الأغانى : « ما استدنى لكم » .

(٤) فى النسختين : « الواسدة » ، تحريف صوابه فى الأغانى ، ومعجمى ياقوت والبكرى .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ا ، وإثباتها من الأغانى ، وكتب الشنقيطى موضعها « دخل » .

(٦) هذا إعجام الشنقيطى . وفى ا « بوحد » مهملة . والتأخيذ من الأخذة بالضم، وهى الرقية تأخذ العين ونحوها كالسحر . وفى الأغانى : « وكانت تأخذهم » خطأ فى الرسم .

(٧) فى النسختين : « فسبقوه » ، صوابه من الأغانى .

(٨) فى النسختين : « بلف هنده » ، صوابه من معجم ما استعجم ١٣٥٩ . وفى معجم البلدان أنهما هضبتان يقال لهما بنتا هيدة . وفى الأغانى : يقال لها « هند » .

١٠٦ جعل ابنَ عمٍّ(١) له يقال له قابض(٢) بن عبد الله على رأس الهضبة ، وقال : انظر فإنْ شخصَ لك شيء فأعلِمْناه . فقال عبدُ الله أخو توبةَ له : ياتوبُ إنك حائنٌ(٣) أذكِّرك اللهَ إلّا نجوت ، فوالله ما رأيتُ يوماً أشبهَ بسَمُرات بني عوف يومَ أدركناهم وساعتَهم التي أتيناهم فيها منه ، فانجُ إن كانت بك نجاة(٤) !

ثم إنَّ القومَ لحقوهم فحمل أوَّلهمُ حتى غَشُوا توبة ، وفَزِع توبةُ وأخوه فقام إلى فرسه فغلبته أن يلحقَها ، فخلّى طريقها ، وغشِيَه الرجُل فاعتنقَه ، فصرعه توبةُ وهو مدهوش قد لبِسَ الدِّرعَ على السيف ، فانتزَعَه ثم أهوى به ليزيد بن رُوَيْبة(٥) فاتقّاه بيديه فقطع منها ، وجعل يزيدُ يناشدُه الرحِمَ ، وغَشِيَ القومُ توبةَ من ورائه فضرَبوه حتى قتلوه ، وعَلِقَهم عبد الله بن الحُمَيِّر يطْعنهم بالرُّمح حتى انكسَر .

فلما فرَغوا من توبة مالوا على عبد الله أخيه فقطعوا رِجلَه فجعل يقول : هَلُمَّ(٦) . ولم يشعر القومُ أنهم قطعوا رجله ، وانصرف القوم .

---

(١) الأغاني : « ابن عمة » . لكن في معجم ما استعجم أنه ابن عمه .

(٢) في النسختين : « قانص » صوابه من الأغاني ومعجم ما استعجم ، وفيه تقول ليلى :

تخلى عن أبى حرب فولى بهيدة قابض قبل القتال

أبو حرب : كنية توبة .

(٣) الحائن : الهالك . ا : « خاين » الأغاني « حائر » ، وقد صححه الشنقيطي بما أثبت .

(٤) في النسختين : « لك نجاة » وأثبت ما في الأغاني .

(٥) في النسختين : « دومه » بالإهمال ، وتوضيحها من الأغاني .

(٦) الأغاني : « ثم جثا على ركبتيه وجعل يقول : هلموا ! » .

ومنهم :

زِيادة بن زَيد بن مالك (١)

وهدبة بن خَشْرم بن كُرْز بن جَحْش (٢) المُذريَّان

وَكان سببُ قتلهما أنّهما أقبلا من الشام فى ناسٍ من قومهما ، فقالوا : مَن يَسُوق بنا ؟ فقال زيادةُ : أنا أسوق بكم . فنزَل فساق بهم ساعة ، ثم ارتَجَز فقال — وعَرَّض بأخت هُدْبة — :

عُوجِي علينا وارْبَعى فاطما ... مادون أن يُرَى البعيرُ قائما (٣)
فعوَّجَتْ مُطَّردا عُرَاهِما ... رَسْلاً يَبُذُّ القُلُصَ الرَّواسما (٥)

فى شِعرٍ طويل .

فغضب هُدبةُ ونزَل وساقَ بهم ، وعرَّض بأُخْت زيادة ، فقال فى رجزٍ له طويل :

بالله لا يَشفِى الفؤادَ الهائما ... تَمسا كُكَ اللَّبَّاتِ والمآكما (٦)

---

(١) تمام نسبه كما فى الأغانى ٢١ : ١٦٩ : « بن عامر بن قرة بن خنيس بن عمرو بن عبدالله ابن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم » .

(٢) فى الأغانى ومعجم المرزبانى ٤٨٣ والخزانة ٤ : ٨٤ : « كرز بن أبى حية الكاهن — وهو سلمة — بن أسحم بن عامر بن ثعلبة بن [قرة بن حنيش بن عمرو بن ثعلبة بن] عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم » .

(٣) فى النسختين : « من دون » وكتب فى هامش ا « نخ : ما » ، إشارة إلى رواية نسخة ، وهذه الرواية هى رواية الأغانى وشرح التبريزى للحماسة ٢ : ٤٥ والخزانة ٤ : ٨٥ والشعر والشعراء ٦٧٢ . وفسرها البغدادى بقوله « أى ما بين مناخ البعير إلى قيامه » .

(٤) الأغانى : « فعرجت » وهما بمعنى عطفته وحبسته . المطرد ، فسره أبو الفرج بأنه المتتابع السير . ا « مطربا » ، صوابه من الأغانى وشرح التبريزى . وجعلها الشنقيطى « مضطربا » . والعراهم : الشديد .

(٥) الرسل : السهل السير . بدله فى الأغانى وشرح الحماسة والخزانة : « فعما يبذ القطف » . والرواسم ، من الرسيم ، وهو سير فوق العنق .

(٦) الأغانى والخزانة والتبريزى والشعر والشعراء ١٧٢ : « تماسك » ، وهما تفاعل من مسك ومسح .

ولا اللِّمامُ دونَ أن تُفَاغِما(١)   ولا الفِغام دون أن تُفاقِما(٢)

وتعلوَ القوائمُ القوائما

١٠٧ فغضب زيادةُ فارتجز بأخت هدبة فقال(٣) :

أنعتُ آياتٍ لكيما تعلمى   بالخال بالكشح اللّطيف الأهضَمِ

والشّامةِ السوداء بالمخدَّم(٤)   أتذكرين ليلةً بإضَمِ

وليلةً أخرى بخَبْتِ العَلَمِ

فلما سمع هدبةُ هذه الأبياتَ أتى أختَه فشهَر عليها السَّيف ، وقال : مِن أين عَلِمَ هذه العلاماتِ التى وصفكِ بها ؟ فقالت : ويحك ، إنّ النِّساء أخبرنَه عنّى ! فكَفَّ عنها .

وقال هُدبة يَرجُز بأخت زيادة(٥) :

عُوجى علينا واربَعى يا طارفا   مَا دُون أن يُرى البَعيرُ واقفا

ماهتجتُ حتى هتّكوا الخوالفا(٦)   غدَوْا وردُّوا جِلّةً مَقاذفا(٧)

ألا ترَين الأعيُنَ الذّوارفا   حِذارَ دارٍ منكِ أن تساعفا

فغضب زيادة ، وكان بين القوم سِبابٌ وشبيهٌ بالقتال ، فحجز بينهم حتّى إذا

---

(١) جعلها الشنقيطى « اللزام » مطابقاً ما فى الأغانى واللسان والتبريزى . وفى التبريزى والشعر والشعراء بيتان ، وهما :

ولا اللمام دون أن تلازما   ولا اللزام دون أن تفاقما

وجاءت فى الخزانة محرفة « اللثام » .

(٢) الفغام : التقبيل . والمفاقمة : البضاع .

(٣) الرجز التالى لم يرد فى مرجع من المراجع السالفة عند ذكر ذلك الخبر .

(٤) المخدم : موضع الخدمة ، وهى الخلخال .

(٥) وهذا الرجز التالى لم أجده كذلك فى تلك المراجع .

(٦) الخوالف : جمع خالفة ، وهى العمود من أعمدة الخباء .

(٧) الجلة : الإبل المسان . ا « خله » والتصحيح للشنقيطى . ردوها من المرعى للرحلة . والمقاذف : جمع مقذف ، وهو الذى رمى باللحم ، أو جمع متقاذف ، وهو السريع العدو .

رجعوا إلى أهليهم تهاجيا وتفاخرا بأشعار كثيرة ، وإن هدبة قال[١] :

ناطُوا إلى قمر السّماء أنوفَهم   وعن التُّراب خُدودُهم لاتُرفَع
ولدَت أُميمة أعبُداً فغدَتْ بهم   ثَجْلَا إذا مشَت القوائم تَظْلع[٢]
أبنى أُميمَة إنّ طالِعَ لؤمِكم   لونٌ إذا وضَحَ المَراسِنُ أسفَعُ

قال : فغضب زيادة وأصحابُه ، فجاءوا إلى منزل هُدبةَ ليلاً فأخذوه وأباه ، فشجُّوا أباه عشرًا ، ووقَّفوا هُدبة[٣] ، فقال زيادة :

شجَجنا خَشْرماً فى الرَّأس عَشْرًا   ووقَّفْنا هُـدَيبة إذْ هجانا[٤]

فقال هُدبة :

إنّ الدَّهرَ مُؤْتَنفٌ طويل   وشرُّ الخيـلِ أقصرُها عِنانا
وشرُّ القوم كلُّ فتًى إذا ما   مَرَتْه الحربُ بعدَ العَصْبِ لانا[٥]

فمكث هدبةُ ما شاء الله ، حتّى إذا بَرِئَ جَمع لهم ، فخرج إليهم بأصحابه ١٠٨ فوجدوا زيادةَ ورُفَيعا وأدْرَع، ولم يَجِدوا من رجال الحىِّ غيرهم ، فهربَ رُفَيعٌ وأدرعُ لمَّا رأيا ما جمعَ القوم ، وأخذوا زيادةَ فجدّعوه[٦] بسيوفهم حتّى إذا ظنُّوا أنهم قد قتلوه انصرفوا .

---

(١) وكذلك هذه الأبيات لم ترد فى مرجع من المراجع السابقة.

(٢) الثجلاء : العظيمة البطن الواسعته .

(٣) أى جعلوا فى ذراعه حزا كالتوقيف ، من قولهم حمار موقف : كويت ذراعاه كيا مستديراً ، كما فى اللسان (وقف) حيث أنشد البيت التالى لهذا المعنى . وعند التبريزى : «ووقع بذراع هدبة حز كالتوقيف » . ب : « ووقفوا » تحريف .

(٤) وقفنا هى رواية ا واللسان. وعند التبريزى : « وخذعنا » . وجعلها الشنقيطى « وفقأنا » ، وهو تحريف .

(٥) هذا على المثل ، كانوا يعصبون أخلاف الناقة ، ثم يمرونها يستخرجون ما عندها من اللبن .

(٦) كذا فى النسختين ، ولعلها « فخذعوه » كما فى رواية التبريزى للشعر السابق . والتخذيع : التحزيز والتقطيع من غير بينونة .

وقد كان زيادة ذَبَّ عن نفسه بالسَّيف فأصاب هُدبةَ فجدعَ أنفَه، فلمَّا خلَّفوا الحيَّ وأشرفوا على الثَّنيَّة وجدَ هدبةُ شَفِيف الرِّيح فى أنفه ، فذهب ينظُر فإذا أنفُه قد جُدع ، فقال لأصحابه : انتظروا حتَّى آتيكم ، فوالله لا أعيش أبداً ورجلٌ قد جَدَعَ أنفى ! فرجع إلى زيادة وهو يقول :

أَحْوَسُ فى الحىِّ وبالرُّمح خَطِل[1] ما أحْسَن الموتَ إذا الموتُ نَزَلْ
قد علمَتْ أنِّى إلى الهيجا عَجِل إنِّى امرؤٌ لا أقرب الضَّيم بِغِل

فقتله وأدرك أصحابه .

ثم إن هدبة أخذ أهلَه فجعل يُوامِر نفسَه : إمَّا يأتى القومَ فيضع يَده فى أيديهم أو فى يد السُّلطان . فأقبلَ حتَّى وضع يَده فى يد سعيد بن العاص — وهو عامل معاويةَ على المدينة — فأطلق مَن كان سجَنَه بسببه وسجَنَه هو ، فقال فى السجن أشعاراً كثيرة .

ثم عُزِل سعيدٌ ووَلَّى مَروانُ بن الحكمَ مكانه .

وإنَّ بنى عمه قالوا: لو زوَّجناه لعلَّ الله أن يُبقِىَ منه خَلفا ! فزوَّجوه وأدخلوا عليه امرأتَه فى السِّجن ، فلما رأت ما هو فيه هالَها ، فراودَها فأبت عليه .

ثم رُدَّ سعيد إلى المدينة فبلغه أنَّ امرأة هُدبةَ أَبَتْ عليه ، فأمرها أن تطيعَه، فوقع عليها فحملت فولدت غلاماً سمَّته هُدْبة . ثم إنَّ أصحاب هُدبة أعطَوْا به عَشْرَ ديات ، وأعطاهم سعيد بن العاص — وكان يومئذٍ على المدينة — مائة ألف درم ، فأبوا . وكان سعيد لا يألو ماردَّهم[2] ، وأنه سألهم : هل لزيادة ولىٌّ سوى

(١) الأحوس : الشجاع الحمس عند القتال . فى النسختين : « أجوس » صوابه فى شرح الحماسة واللسان (خطل) . والخطل : المقاتل السريع الطعن .

(٢) فى النسختين : « لا يألوا ماردهم » .

أُختِه ؟ فقيل : له ابنٌ صغير لم يُدرِك . قال : فليس لنا أن نقتله حتى ٢٠٩ يُدرِكَ الغلام .

فحُبِس هدبةُ حتَّى أدرك الغلام ، فلما أدرك جاءت به أُمُّه تطلب قَتْلَ هُدْبة ، فدُفِع إليها وأُعْطِىَ الغلامُ دياتٍ كثيرة فطمِع ، فقالت له أُمُّه : والله لئن فعلتَ لأتزوَّجنَّ رجلاً أهبُ له نصيبى من الدِّيات ثم يُقاسِمُكَها ، فجسر على قَتْل هدبة ، فأُخرِج من السجن فأُدخِلَ على سعيد ، وهو فى جُنْبُذةٍ له(١) مشرفة ، ودخل معه الأخزَرُ عبد الرحمن [بن] زيدٍ أخو زيادة ، فقال له سعيد : يا أخْزَر ، قد أعطاك أمير المؤمنين معاويةُ مائةَ ألف ، وعبد الله بن جعفر مائة ألف ، والحسن والحسين مائة ألف ، وأنا أعطيك مائة ناقة سُودَ الحَدَق ليس فيها جَدّاء ، ولا خذّاء(٢) ، ولا ذات داء . فقال عبد الرحمن : أصلح الله الأمير ، والله لو وهبت لى جنْبُذتك(٣) هذه ثم سكَبتَ فيها الذهبَ حتّى يخرجَ من ثَقْبها ما كنتُ لأختاره على هذا الحلسى(٤) الأسود عبدِك ، فقال له هدبة : يا أُخَيزر(٥) أَوَ بالموت تخوِّفنى ؟ والله لا أبالى أسقَطَ علىّ أم سقطتُ عليه ، فاصنع ما أنتَ صانع ! ثم رُدَّ إلى السجن .

وخرج عبد الرحمن فأتى بكتاب معاوية : «أن يُدفَعَ هُدبةُ إلى أولياء زيادة» . فقال سعيد : يومَ الجمعة أدفعه إليكم . فلما كان يومَ الجمعة بعثَ إليه سعيدٌ

---

(١) الجنبذة : القبة . ا : « حتبده » وتصحيحها للشنقيطى .

(٢) الجداء : اليابسة الضرع ، والمقطوعة الأذن . والخداء كذا وردت ، ولعلها « الخذواء » وهى المسترخية الأذن . وفى الشعراء ٦٧٤ : « أعطيك مائة ناقة حمراء ، ليس فيها جداء ولا ذات داء » .

(٣) كذا فى النسختين ، وهو يؤيد ماسبق فى الحاشية الأولى .

(٤) كذا فى ا ، ورسمت فى ب « الحامى » ، وفى الأغانى : « مارضيت بهـا من دم هذا الأجدع » .

(٥) تصغير أخزر ، وهذا تصحيح الشنقيطى . وفى ا : « ياخزير » .

بلَوْزِينَه وخُبْزَةٍ (١). فلما انصرفَ من الصَّلاة دفَعَه إليهم، فخرجوا به يَسُوقونه فمرّ بقومٍ جلوسٍ تحتَ حائط فقال: ياهؤلاء قوموا فإنَّ هذا الحائطَ واقعٌ عليكم. فقالوا: ما رأينا مثلَ هذا يُساق إلى الموت ويَحذر الحائط. فلم يكن إلاَّ قليلا حتَّى سقط الحائط.

ومرّ على بنَّاء يبنى حائطا فقال: ويحَك عوَّجْتَ حائطك!

١١٠ وكان أبواه وامرأتُه يمشيان على أثره، فنادته امرأته: يا هُدبة يا هدبة! فالتفت، فقطعت قرناً من قرون شعرها، ثم نادته ثانية فالتفَت فقطعت قرناً. فناشدوه الله أن لا يلتفت إليها. ثم التفت إلى أبويه وهما يبكيان فقال:

أبلياني اليومَ صبراً منكما　　إنّ حُزْناً منكما عاجلُ ضُرّْ (٢)
لا أرَى ذا الموتَ إلاَّ هيِّناً　　إنَّ بعدَ الموت دارَ المستقَرّْ
اصبرا اليومَ فإنى صابرٌ　　كلُّ حيٍّ لفناءٍ وَقدَرْ

ثم قال لامرأته:

أقِلِّى علىَّ اللَّومَ يا أمَّ بوزعا　　ولا تَجْزَعى مما أصابَ فأوْجَعا
وعِيشِى حَبيساً أو تَفَتَّىْ بماجدٍ　　إذا القومُ هَشُّوا للسَّماحِ تبرّعا
ولا تَنكِحى إن فرّق الدهرُ بيننا　　أغمَّ القفا والوجهِ ليسَ بأنزَعا
كليلاً سوى ما كان من حَدِّ ضرسِهِ　　على الزاد مِبطانَ الضُّحى غير أرْوَعا

فلما قُدِّم ليُقتل قال:

---

(١) فى النسختين: «بلوذين وخبزه». ولوزينه، فارسية، ومعناه حلوى تصنع من اللوز، وكذا كل طعام يصنع منه، معجم استينجاس، وعربته العرب «لوزينج».

(٢) أبلاه صبراً: أداه إليه واجتهد فيه، كما يقال أبلاه عذراً. فى النسختين: «ابكيانى»، صوابه فى الكامل ٧٦٧ ليبسك والأغانى ٢١: ٧٥ والخزانة ٤: ٨٦.

إن تَقْتُلونى فى الحديد فإنَّنى قتلت أخاكم مُطلقاً لم يُقيَّدِ (١)

خلّوا قيودَه، فقال: دَعونى أصلِّى ركعتين، فصلَّى ثم التفت إلى عبد الرحمن أخى زيادةَ فقال: قُم يا أخزر إلى جَزُورك فانحَرْها. فقال عبد الرحمن: بل يقوم إليك مَن قتلتَ أباه ظالما متعدِّياً عليه [إنْ] قبل ذلك منك. قم يامسور. فقام إليه غلامٌ حين احتَلَم، وأمسك بعضُهم بيده فضربَه، فتعلَّق رأسُه بجلدةٍ من حَلقِه، فقال له عمُّه: يا ابن أخى أجهِز عليه، إيّاكَ [أنْ] تدعَ لهم فَضلةً!

وإن امرأة هدبةَ أتت جزّاراً فأخذت مُديةً فجدَعَت أنفَها وجاءته مجدوعة ١١١ ليَعلم أنها لا أرَبَ لها فى الرِّجال بعد الجَدْع.

وذكروا أنَّ هُدبة قال: علامةُ مابينى وبينكم إنْ جزعت فإنى إذا قُطِعَت رأسى مَدَدتُ رجلى وقبَضتُها. وإن أنا بقيت ممدودَ الرِّجلين فإنى لم أجزَعْ. فلما سقط رأسُه بقى باسطاً رجلَيه.

(١) وهذا يطابق رواية الكامل والأغانى والخزانة. وفى الشعر والشعراء ٦٧٥: « مطلقا غير موثق ».

ومنهم :

سالم بن دارة

أخو بنى عبد الله بن غطفان . وقد مر حديثه فى المغتالين[١] .

ومنهم :

عُقَيبة بن هُبَيرة الأسدى

أخو بنى نصر بن قعين[٢] . وكان له بنتٌ أو رَبِيبة ، وكان له ابنُ عمٍّ يقال له تميم بن الأخثم ، وكانت له بُنَيّة ، فلعبت هى وبنتُ عُقيبة ، فكسرت بنتُ تميم ثَنِيَّةَ بنتِ عقَيبة ، فذهب تميم فجمع أشرافَ بنى أسد ، فأتى عقَيبةَ لِمَا يعلم من فتكه ، فقال له . يا ابن عمٍّ ، إنه قد كان ما ترى ، فدونَك ابنتى فاكسِرْ ثنيَّتَها ، وإن شئتَ فثنيَّتى . وإن شئتَ فالعفو ، وهى جاريةٌ بعدُ لم تُثْغِر ، وهى تمبت . فقال القومُ : أنصفَكَ الرجل . فقال:واللهِ لأقتلنَّه . فأعادوا عليه ، فأعاد عليهم مثلَ ذلك ، فقالوا لتميم : [قُم[٣]] . وظنُّوا أن عقَبيةَ يلعب ، وعرف تميمٌ أنه يَفْعل ؛ لفتْكه .

فمكث تميمٌ سنةً يتحرَّز منه ، وأمسى ذات يوم وهو صائمٌ فصلَّى فى مسجد قومِه ثم دخل دارَه وغفَل أن يُغلِق الباب ، فدخل عليه عقيبةُ بالسيف فضربَه حتى قتلَه ، وتصايَحَ النساء ، وأُخِذ عقيبةُ فرُفِع إلى مُصعَب بن الزُّبير ، فسأله فلم يَجحد قتلَه ولتميم ابن يُقال له عَنبسة ، فتًى شابٌّ ، فأعطَى فيه منصورٌ[٤] دِيَة ،

---

(١) انظر ما مضى فى ص ١٥٦ .

(٢) فى المحبر ٢١٨ : « عقيبة بن هبيرة بن ربيعة بن جذيعة بن مالك بن نصر بن قعين » .

(٣) التكملة من المحبر .

(٤) كذا فى النسختين ، وفى المحبر : « منظور » . ولعله منظور بن زبان بن سيار الفزارى ، أبو تماضر زوج عبيد الله بن الزبير . انظر نسب قريش ٣٢٩ .

وأعطَى محمد بن عُمَيْرٍ ديَةَ، وأعطى قومُه دية ، فقالت ابنةٌ لتميم : ٩١٢

أعُقَيب لا ظفِرتْ يداك ألم يكن ... دَرَكٌ بحقِّك غيرَ قتلِ تميم (١)
أعُتَيب لو نبَّهته لوجــدتَه ... كالسيف أهونُ وقْعِهِ التصميمُ
فلَتتبَعنَّكَ فى العشيرة سُـــبَّةٌ ... ولتَقتلنْ به وأنت ذميمُ

وقال عُتَيبة حين قتله :

خَرَّ صريعاً فاغراً تَمصُل أستُه ... بحيث التقينا كالحُوار المخزَّق (٢)

وأعطَى أبو سِماك (٣) مائة ألف درهم ، فطمِع عنبسةُ فى أخذ الدية، فخرجت ابنةٌ لتميم حاسراً ، وهى تقول :

إنْ يُقتَل عقيبـــةُ يا لَقَوْمِ ... نسِرَّ معاشراً ونَسُــلَّ داءَ
وإن يَسلم عُقَيبةُ يا لقوْمِ ... نَكُن خدماً لعُقبةَ أو إماءَ
لحى الله الذى يَجتابُ مِنَّا ... وعُقبةُ ســالمٌ أبداً رِداءَ (٤)

فلما سمع القوم مقالَها وقد كانوا ركَنوا إلى الصلح أحفظَهم قولُها، ورجَعوا عن الصلح، فدفعه إليهم (٥) وجلَس (٦) مصعب يومئذ فى المسجد واجتمع الناس، فقال عقيبة لابنةِ تميم حين أيقَنَ بالقتل: أما والله لقد ضربتُ أباكِ ضربةً نظرتُ إلى الثُّرَيَّا فى سَلْحه! فقالت: أمَا والله لتُضرَبَنّ ضربة أنظرُ إلى بناتِ نعشٍ

(١) فى هذه الأبيات إقواء .

(٢) تمصل: تقطر. فى النسختين : « فصل » وبدون إعجام الحرف الأول ، صوابه من المحبر . الحوار : ولد الناقة من حين يوضع إلى أن يفطم ويفصل ، فإذا فطم فهو فصيل. المخزق ، من قولهم خزق الطائر والرجل خزقا : ألقى ما فى بطنه . فى النسختين : « المحرق » وفى المحبر: «المخرق» ، ووجههما ما أثبت.

(٣) فى المحبر : « أبو سمال » بتشديد الميم ولام فى آخره .

(٤) المحبر : « التى تجتاب » .

(٥) المحبر : « فدفعه مصعب إليهم » .

(٦) ب : « وحبس » ، تحريف .

في سَلْحك ! ثم التفت عُقَيبة إلى الناس فقال : يا معاشِرَ الناس (١) . فجلس القائمُ
وأسرَع الماشي ، فلما اجتمعوا قال : اسكُتوا ، فوالله ماقتلتُ ابنَ عمِّي حين قتلته
ألاَّ يكون قد أعطاني النِّصفَ وزادني ، ولكن نظرتُ إلى أمير المؤمنين عليٍّ ،
رضوانُ الله عليه ، في هذا المكان الذي فيه الأمير وعنَّ له تميمٌ من ناحية المسجد
١١٣ونظر إليه عليٌّ فقال : مَن سرَّه أن ينظر إلى جِذْل من أجذال جهنَّم (٢) فلينظرْ
إلى هذا — وأشار إليه — فرحم الله قاتله ! فقَتلته . فقال الناس : رحمك
الله ! وقُتِل .

ومنهم :

أعشى همْدان

وهو عبد الله بن عبد الرحمن (٣) بن الحارث بن نِظام (٤)

وكان خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس ، وكان له مدّاحاً
وقد كان قال في بعض ما يمدحه به :

بين الأشَجِّ وبين قيس باذخٌ بَخْ بَخْ لوالدِه والمولود (٥)

---

(١) المحبر وب بقلم الناسخ : « يامعشر الناس » .

(٢) الجذل : ما عظم من أصول الشجر . ا : « حذل من أحذال جهنم » وصححه الشنقيطي مطابقاً ما في المحبر .

(٣) كذا في النسختين . والصواب « عبد الرحمن بن عبد الله » كما في الاشتقاق ٢٥٢ والمؤتلف ١٤ والأغاني ١٥ : ١٣٨ .

(٤) سياق نسبه كما في المؤتلف والأغاني : « نظام بن جشم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الجن » .

(٥) وكذا في مقاييس اللغة ١ : ١٧٥ واللسان ٣ : ٤٨٣ . وفي الأغاني : « بين الأغر وبين قيس » . وفيه يقول أيضاً كما في الأغاني ٥ : ١٥١ :

يا ابن الأشج قريع كنـ ـدة لا أبالي فيك عتبا

وقبل البيت :

وإذا سألت المجد أين محله فالمجد بين محمد وسعيد

وسعيد هذا هو سعيد بن قيس الهمداني والد أمه أم عمرو . الأغاني ٥ : ١٤٥ .

وقال يهجو الحجّاج :

شطَّت نوَى مَن دارُه بالإيوانْ إيوانِ كسرى ذِى القُوَى والرَّيحانْ

مَن عاش أمسَى بزابُلِستان[(١)] والبَنْدَنيجَيْنِ إلى طَبَرِسْتان

إنَّ ثقيفاً منهم الكذّابان كذّابُها الماضى وكذّابٌ ثان

إنَّا سَمَوْنا للكَفُور الفتَّان حين طغَى فى الكُفْر بعد الإيمان

بالسَّيدِ الغطريف عبد الرحمٰن سار بجمعٍ كالدَّبا من قَحْطان[(٢)]

ومن معدٍّ قد أتى ابنِ عَدْنانْ بجحفلٍ جَمٍّ شديد الأركان

فقُلْ لِحَجّاجٍ وَلِىِّ الشَّيطان يَثْبُتُ لجمِ مَذْحجٍ وهَمْدانْ

فَهُم مُسَاقُوه بكأس الذَّيْفَانْ أو مُلحِقُوه بقُرَى ابنِ مَرْوَان

فأسَره الحجاج ، وقد كان مدحَه فأنشده مديحه إياه ، فقال : ألستَ القائل لعَدُوِّ الرحمن :

بين الأشجِّ وبين قيس باذخٌ بَخْ بَخْ لوالدِه والمولودِ

لا والله لا تُبَخْبِخُ بعدَها أبداً ! وضُرِبت عنقُه .

وقد كان مما مدح به الحجّاجَ فأنشده إيّاه قولُه :

سيُغلَب قومٌ غالَبُوا اللهَ جَهْرَةً وإن كايَدُوه كان أقوى وأ كيدا[(٣)]

كذاك يُضِلُّ اللهُ من كان قلبُه مريضاً ومَن والَى النِّفاقَ وألحدا

---

(١) فى النسختين : « أمشى براء بلستان » . تحريف. وزابلستان: كورة واسعة جنوبى بلخ وطخارستان .

(٢) الدبا : صغار الجراد . فى النسختين : « كالربا » تحريف . وفى الأغانى : « بجمع كالقطا » .

(٣) الأغانى : « جهلة» بدل « جهرة » .

فقد تركوا الأهلين والمالَ خلفَهم وبيضاً عليهنّ الجلابيب خُرّدَا(١)
يناديَنهم مستعبراتٍ إليهم وقد دُفْن دمعاً فى الخدود وإثمدا(٢)
فإلاَّ تَدارَكْهنّ منك برحمةٍ يَكنَّ سَبايا والبُعولةُ أعبُدا
أنَكْثاً وعِصياناً وجُبْناً وذِلّةً أهان إلهى مَن أهان وأبعدا
لقد شَأَمَ المِصرين فَرخُ محمّدٍ بحَقٍّ وما لاقى من الطّير أسْعَدا(٣)
كما شَأَمَ اللهُ النُّجَير وأهله بجَدٍّ له قد كان أشْقَى وأنكدا(٤)
ولمّا زَحفْنا لابن يُوسفَ غُدوةً وأبرقَ مِنّا العارضان وأرعَدا
فكافَحَنا الحجَّاجُ دونَ صفوفنا كِفاحاً ولم يَضرِبْ لذلك موعدا
فما لبثَ الحجاجُ أن سلَّ سيفَه علينا فولّى جمعُنا وتبدّدا
وما زَحفَ الحجّاجُ إلاّ رأيتَه مُعانًى مُلَقًّى للحُتوف معوّدا
إذا قال شُدُّوا شَدَّةً حملوا معاً فأنهل خُرصانَ الرِّماح وأوردا(٥)

فلم ينفعه ذلك عنده حتى قتله .

---

(١) هذا ما فى الأغانى . وفى ا : « ومصا » ، جعلها الشنقيطى « حصنا » : جمع حصان بالفتح .

(٢) الدوف : الخلط . ا : « دقن » والتصحيح للشنقيطى . وفى الأغانى : « ويذرين » .

(٣) ا : « قرح محمد » والتصحيح للشنقيطى . ورواية الأغانى :

لقد شمت يا ابن الأشعث العام مصرنا فظلوا وما لاقوا من الطير أسعدا

(٤) فى النسختين : « كما أشأم » تحريف . والنجير : حصن باليمن قرب حضرموت كانت فيه وقعة لزياد بن لبيد البياضى ، قتل فيها سبعمائة من كندة ، وذلك بغدر الأشعث . انظر معجم البلدان .

(٥) فى النسختين : « إذا قالو » ، تحريف .

ومنهم :

عبيد الله بن الحُرّ الجُعْفىّ

وكانت قيس . . . .(١)

فأتى عبدَ الملكِ فضَمِن له العراق وقَتْلَ مصعب ، فأمر له عبدُ الملك بجائزة ، وقال له : أوجِّه معك جيشاً كثيفاً . فقال : أصحابى يكفونى .

وقد كان هجا قَيْساً فقال :

ألم تر قيساً قيسَ عيلان بَرْقَعتْ لِحَاها وباعت نَبْلَها بالمغازلِ
ولاقَوا رجالاً يَكْسُدالنَّبْل عِندهم إذا خَطَرتْ أيمانُهم بالمَناصِلِ

فلم يَدَعْه عبد الملك حتَّى بعث معه جيشاً من أهل الشام ، فجعل بعضُهم يتخلَّف عن بَعضٍ فى كلِّ مرتَحَل حتَّى رقّ منْ معه ، فعَرَضَ له عُبيد الله بن العبَّاس السُّلَمى ثم الرِّعلى فقاتلَه ، ففرّ فتبعه حتَّى ركب مِعبرةً(٢) بالفرات ، فنادى ١١٥ عُبيد الله بن العبَّاس الملاحَ صاحب المِعْبَر : لئنْ عَبَرت به لأقتلنّك ! فكرّ به راجعاً فعانقه ابن الحر — وكان الملاَّحُ شديدَ البطش — فغرِقا جميعاً .

فاستخرجت قيسٌ عُبيدَ الله بن الحرّ ، فنَصَبُوه وجعلوا يَرْمُونه ويقولون : أمغازلاً تَجِدُها(٣) ؟ ! حتَّى قتلوه .

---

(١) بياض فى النسختين . وانظر الطبرى وابن الأثير فى حوادث ٦٨ وتاريخ الإسلام للذهبى ٤ : ٣٨٢ .

(٢) المعبرة : سفينة يعبر عليها النهر ، ومثلها « المعبر » .

(٣) فى الحيوان ١ : ١٣٤ : « أذات مغازل » .

ومنهم :

عبد الله بن بَشَّار بن أبي عقب

وقد كتبنا حديثه في المغتالين(١) ، وقتَله عُبيد الله الخَثْعَميّ .

[ومنهم :

مزاحم بن عمرو السلولي ، وابن الدمينة الخثعمي(٢)]

وكان رجلٌ من بني سَلُول يقال له مُزاحِم بن عمرو يرمي امرأةَ ابنِ الدُّمينة . . . . عا . . . .(٣) عليها ، فقال مزاحم يذكر امرأةَ ابن الدُّمينة :

يا ابن الدُّمينة والأخبارُ يرفعها ... وَخْدُ النَّجائب ، والمحقور يَنْمِيها(٤)
يا ابن الدُّمَينة إن تغضَبْ لما فعلَتْ ... حَمَّادُ بالخِزْيِ أو تغضَبْ مَواليها
أو تُبْغِضُوني فكم من طعنةٍ نفذ(٥) ... [يَغْذُو خِلَالَ اختلاج الجوف غاذيها(٦)]
جاهدتُ فيكم بها إنِّي لكم أبداً ... أبغي مخازيَكم عمداً فآتيها(٧)
لا برءَ عندي لكم حتَّى تغيِّبني ... غَبراءُ مظلمةٌ هارٍ نَوَاحيها
أبغِي نساءَ بني تَيْمٍ إذا هجعَتْ ... عنِّي العيون ولا أبغي مَقَارِيها(٨)

---

(١) انظر ما مضى في ص ١٧٣ .

(٢) تكملة ضرورية . والكلام قبلها متصل بما بعدها في النسختين ، وليس بينهما صلة .

(٣) بياض في النسختين في هذا الموضع وسابقه . وفي الأغاني ١٥ : ١٤٥ : « وكان يرمي بامرأة ابن الدمينة — وكان اسمها حماء . قال السكري : كان اسمها حمادة — فكان يأتيها ويتحدث إليها حتى اشتهر ذلك ، فمنعه ابن الدمينة من إتيانها واشتد عليها » .

(٤) في النسختين : « والحفور » ، صوابه من الأغاني ومعاهد التنصيص ١ : ٥٩ .

(٥) نفذ ، كذا في النسختين ، فإن صحت كانت وصفا بالمصدر ، أي نافذة . وفي الأغاني ومعاهد التنصيص : « نفذت » .

(٦) التكملة من الأغاني . وفي الأغاني : « يعدو ... عاذيها » . وفي معاهد التنصيص : « يغدو ... غاديها » . والوجه ما أثبت . يقال : غذا الجرح يغذو ، إذا دام سيلانه .

(٧) في النسختين : « إني لكم ولد » ، صوابه من الأغاني ومعاهد التنصيص .

(٨) المقاري : الجفان والقدور والقصاع ، جمع مقراة .

وكاعبٍ من بنى تَيمٍ قعدت لها   أو عانسٍ حينَ ذاق النومَ حاميها
كقعْدة الأعسر العُلفوق منتحياً   بمِينَه من متون الترك يفحيها(١)
أمارةٌ كَيَّـــةٌ ما بين عانَتِها   وبين مُرَّتِها لا شَلَّ كاويها
وشهقةٌ عند حِسٍّ للمـاء تَشهَقُها   وقولُ رُكبتِها قَضْ حينَ تَثنيها
وتعدِل الأيرَ إنْ زالت قَبيعتُه   حتَّى تقيم برفقٍ صَدْرَهُ فيها

فلما سمع ابنُ الدُّمينة قولَ مزاحمٍ أتى امرأته فقال: إنَّ مزاحماً قد قال فيك ما قال. قالت: والله ما رأى منِّى ذلك الموضعَ قطُّ. قال: فما عِلْمه بالعلامات التى ١١٦ وَصَفَ؟ قالت: النِّساء أخبرنه. فلم يصدِّقها وقال: ابعثى إلى مُزاحمٍ يأتيك فى موضع كذا وكذا.

فأرسلت إلى مزاحم: إنَّك قد سمّعت بى، وأنا أحبُّ أن تأتينى — وواعدته موضعاً — فقعد ابن الدُّمينةِ وصاحبٌ له، وأقبل مزاحمٌ وهو يظنُّ أنها فى الموضع الذى واعدَتْهُ. فخرج عليه ابنُ الدُّمينة وصاحبُه، فأوثقاه وصَرَّا صُرَّةَ رملٍ فضرباه بها حتَّى مات، وأتى امرأته فقتلها، وقتل ابنةً له منها، وطلبه السَّلوليون فلم يجدوه.

فقالت أمُّ مزاحم، وهى أمُّ أبانَ، خثعميّة، ترثى ابنها مُزاحمًا، وتحضُّ مُصعَبا وجناحا أخويه:

بأهلى ومالى ثُمَّ جُلِّ عشيرتى   قتيلُ بنى تَيمٍ بغير سلاحِ
فهلاَّ قتلتمْ بالسِّلاح ابنَ أختكمْ   فيُصبِحَ فيه للشُّهود جراحُ
فلا تَطمَعُوا فى الصُّلحِ مادمتُ حيَّةً   وما دام حيًّا مُصعَب وجَناحُ
ألم تعلمـوا أنَّ الدَّوائر بيننا   تَدُور وأنَّ الطالبين شِحاحُ

---

(١) العلفوق: الثقيل الوخم. ا: «الغلفوق» وصححه الشنقيطى. وفى الأغانى ومعاهد التنصيص: «متينة من متين النبل يرميها».

فخرج مصعبٌ فى طلب ابنِ الدُّمينة ، فأتى العبلاء(١) فإذا بنجيبٍ واقفٍ برَحْلِهِ فى السُّوق ، وإذا قوم مُجتمعون وابن الدُّمينة يُنْشِدُهم، فجاء إلى حانوت قصابٍ فوضع عنده رهنًا وأخَذَ منه سكّينا، ثم أتاه، فلمَّا رآه ابنُ الدُّمينة ولَّى، واتَّبعه فوجَأَه بها وجَأَتينِ ، وأُخِذ مُصعبٌ وابنُ الدُّمينة وهو جريحٌ فحُبِسا ، وأقبل جَناحُ بن عمرو فى ناسٍ من بنى سَلول إلى السِّجن ، ولبث ابنُ الدُّمينة محبوسًا، ونظر السُّلطانُ فى أمره فلم يَثبُتْ للسَّلولىِّ عليه حقٌّ فأطلقَه .

١١٧ فبينا ابنُ الدُّمينة بعد ذلك بسُوق العَبْلاء رآه مصعبٌ أخو مُزاحِم ، فشدَّ عليه فقتله .

فهذا مقتل مُزاحِم بن عمرٍو السَّلولى ، ومقتل ابن الدُّمينةِ الخثعمىّ .

ومنهم :

سُدَيف بن مَيْمون(٢)

مولى آل أبى لَهَب(٣)، وكان مَدَّاحًا لأبى العبَّاسِ أمير المؤمنين. وهو الذى حَضَّ على سُليمانَ بن هشام بن عبدالملك وعلى ابنَيْه، أبا العباس السفاح حتَّى قتلهم(٤). وإنه خرجَ مع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب(٥)

---

(١) العبلاء : اسم علم لصخرة بيضاء إلى جنب عكاظ . وفى الأغانى ومعاهد التنصيص : « ومر به مصعب بعد ذلك وهو فى سوق العبلاء » .

(٢) انظر الكامل ٧٠٧ ليبسك والأغانى ٤ : ٩٢ ـ ٩٦ والنجوم الزاهرة ١ : ٣٣٠ ـ ٣٣١ والمحبر لابن حبيب ٤٨٦ .

(٣) فى الكامل : « مولى أبى العباس السفاح » .

(٤) كان مما قاله فيهم محرضاً :

يا ابن عم النبى أنت ضياء ... استبنا بك اليقين الجليا
جرد السيف وارفع العفو حتى ... لا ترى فوق ظهرها أمويا
لا يغرنك ما ترى من أناس ... إن تحت الضلوع داء دويا
بطن البغض فى القديم فأضحى ... ثاوياً فى قلوبهم مطـويا

(٥) كان خروج محمد بن عبد الله ، وهو الملقب بالنفس الزكية ، سنة ١٤٥ فى أيام أبى جعفر المنصور .

فمدح محمّداً وهجا أبا جعفر ، وقُتِل محمّد بن عبد الله ، وولِّى عبدُ الصمد بن علىٍّ مكة ، فـكان عبدُ الصمد الذى وَلِىَ قتْله .

ومنهم :

عبد بنى الحسحاس

واسمه سُحَيم[(١)] ، وكان صاحبَ تغزُّل ، فاتَّهمه مولاه بابنته ، فجلس له فى مكانٍ إذا رعَى سحيمٌ قالَ فيه[(٢)] ، فلمَّا اضطجعَا تنفَّسَ الصُّعَداء ثم قال :

يا ذكرةً مالَكَ فى الحاضرِ تَذْكُرُها وأنت فى الصادرِ[(٣)]

من كلِّ بيضاء لها كعثبٌ مثـلُ سَنَام الرُّبَع المـائرِ

فقال له سيِّده — وظهر من موضعه الذى كمن فيه — : مالك ! فتلجلج فى مَنطِقه. فلمَّا رجع أجمَعَ على قتله، وخرجتْ إليه صاحبتُه فحدَّثَتْه وأخبرتْه بما يُراد به ، فقام يَنفض بردَه ويعفِّى أثرَه ، فلمَّا انطُلق به ليُقتَل ضحكت امرأةٌ كان بينها وبينه هوًى ، شماتةً[(٤)] ، فقال :

إنْ تضحكى مِنِّى فيارُبَّ ليلةٍ تركتُكِ فيها كالقَباء المفرَّجِ

فلما قُدِّم ليُقتَل قال :

شُدُّوا وَثاقَ العبدِ لا يُفلِتْـكمُ إن الحياة من المماتِ قريبُ

---

(١) الشعر والشعراء ٣٦٩ـ٣٧٠ والأغانى ٢٠ : ٢ ـ ٩ والإصابة ٣ : ١٦٣ ـ ١٦٤ وفوات الوفيات ١ : ٢١٣ وشرح شواهد المغنى ١١٢ والخزانة ١ : ٢٧١ ـ ٢٨٤ . وقد نشرت دار الكتب ديوانه بتحقيق العلامة الميمنى سنة ١٣٦٩ .

(٢) من القيلولة ، وهو نوم القائلة .

(٣) فى النسختين : « ما ذكره » ، صوابه من نقل البغدادى عن هذا الكتاب ، ومن الأغانى .

(٤) فى النسختين : « وشماتة » ، والوجه ما أثبت .

١١٨ فلقد تحدَّرَ من جَبينِ فتاتِـكم   عرَقٌ عَلَى ظَهْرِ الفراشِ رطيبُ[1]

فقتل .

ومنهم :

وَضَّاح اليَمن

وهو وَضَّاح بن إسماعيل بن عبد كُلَالٍ ، أحد أبناء الفرس الذين قدموا مع وَهْرِزَ الفارسىّ ، فقتلوا الحبشة وأقاموا بصنعاء .

وكان شاعراً ظريفاً غزِلًا جميلا ، فعشِقتْه أمُّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان[2] ، وكانت تحت الوليد بن عبد الملك ، ولها منه عبد العزيز بن الوليد ، وكان يكون عندها فى صُندوقٍ مخبوءاً .

وإنَّ الوليدَ بعث إليها مع خادمٍ له بجَوهر ، فأتاها وهى غافلةٌ ووضَّاحٌ عندها ، فلمَّا دخل الخادمُ وأحسَّتْ به أدخلتْ وضّاحاً فى صندوقٍ ، فرآه الخادمُ وأخبر به الوليد ، فأتاها فجلس على الصُّندوق الذى وصَفَه له الخادم فقال لها : يا أم البنين ، لى إليكِ حاجة . قالت : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال : تَهَبِين لى بعضَ صناديقك . قالت : كلُّها لك . قال : لا أريد إلاَّ الصندوق الذى تحتى . فقالت : هو لك .

فبعث إلى حَفَّارِينَ فحفروا بئراً ثم أدلَوْه فيها وقال : يا هذا ، قد بلَغَنا عنك شىء ، فإنْ كان حقًّا أو باطلا فسنقطع أثَرك . وألقى تُرابها وانصرف . فلم تَتَبيَّنْ فى وجه الوليد إلى أنْ مات شيئاً يذكر .

---

(١) كذا فى النسختين . وفى الخزانة والأغانى : « وطيب » ، وفى فوات الوفيات : «يطيب»

(٢) ا : « بنت عبد الملك بن مروان » والصواب ما أثبته الشنقيطى . انظر ما سبق فى نوادر المخطوطات ١ : ٧٥ والأغانى ٦ : ٣٢ ـ ٣٩ .

ومنهم :

قيس بن الخطيم

وكان سيّداً شاعراً. فلمّا هدأتْ حربُ الأنصار تذاكَرت الخزرجُ قيسَ بن الخطيم ونِكايتَه(١)، فتذامَروا وتواعَدوا قتلَه، فخرج عشيَّةً في مُلاءتين مُورَّسَتين(٢) يريد مالاً له بالشَّوط(٣)، حتى مرَّ بأُطم بني حارثة، فرُمِيَ من الأُطُم بثلاثة أسهم فسقط أحدُها في صدره فصاح صيحةً أسمعها رهْطَه، فجاءوه فحملوه إلى منزله فلم يروا له كُفواً إلاّ أبا صعصعة بن زيد بن عوف بن مبذول النجّاريَ(٤)، فاندسَّ إليه رجلٌ حتّى اغتالَه في منزله فضربَ عنقَه، واشتمل على رأسه، وأتى به قيساً وهو بآخر رمَقٍ، فألقاه بين يديه وقال : يا قيس لقد أدركتَ ثأركَ . فقال : عضِضْتَ بأير أبيكَ إنْ كان غيرَ أبي صعصعة ! فقال: هو أبو صعصعة — وأراه الرّأس — فلم يلبَثْ قيسٌ أن مات .

ومنهم :

غَضوب

إحدى بني ربيعة بن مالك بن زَيد مناة بن تميم، وكانت شاعرةً وكانت ناكحاً في بني طُهَيَّة ثم في بني سُبَيع، فكانت مع زوجها زماناً ثم تزوّج عليها امرأةً منهم، فأُولِعتْ بهم تهجوهم، فقالت :

---

(١) النكاية وردت في النسختين بالباء الموحدة، صوابه من الأغاني ٢ : ١٥٨ ومعاهد التنصيص ١ : ٦٨ والخزانة ٣ : ١٦٩ .

(٢) أي مصبوغتين بالورس .

(٣) الشوط : بستان بين أحد والمدينة .

(٤) في الأغاني : «أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مدرك النجاري» . وفي الخزانة نقلا عن الأغاني : «أبا صعصعة بن زيد بن عوف من بني النجار» . وفي معاهد التنصيص : «أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مبذول النجاري» .

بنو سُبيعٍ زَمَع الـكلابِ ليسوا إلى سعدٍ ولا الرِّبابِ
ولا إلى القبائل الرِّغابِ كم فيهم من طَفْلةٍ كَعَابِ
وَكْماءَ ذاتِ رَكَبٍ قبقابِ خبيثة المُشْمَرِ فى الثِّيابِ
تَتْبعُ كُلَّ عزَبٍ وثّاب

فأوعدَها رجالٌ ، منهم مِرْبَعٌ ، وبنو وَقْدان ، وبنو سيّار ، وبنو مجمّع ، فقالت :

يا مِربعاً يا مِربعَ الضَّلالِ يا فاجرٍ مستقبلِ الشَّمالِ(١)
على بعيرٍ غيرِ ذى جِلالِ يا مِربعاً هل حان من إقبالِ

فى هجاء لها .

فلمّا سمعوا ذلك مَشَوا إليها فضربَها مِربعٌ والفتية الآخَرون فقُتِلتْ .

فقال مِربعٌ :

شفيتُ الغليلَ من غضوبَ فأصبحت لها إرم فى رأس علياء عاقِلِ
سأنقِم منها جهلَها وسَـفاهَها وإيضاعَها فى كلِّ حقٍّ وباطلِ
ألَا لاتَراعوا إنّما هى اصَّـةٌ تَسَارَعَ فيها فتيةٌ بمناصـلِ(٢)

[تم كتاب أسماء المغتالين]

---

(١) ا : « فاجر » ، والصواب ما أثبت الشنقيطى .
(٢) جعلها الشنقيطى « تشارك فيها » .

فهرس كتاب أسماء المغتالين

كتاب

كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه

لأبى جعفر محمد بن حبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

وهذا كتاب آخر لمحمد بن حبيب ، هو كتاب « كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه » . وقد سبق الكلام على هذا الكتاب فى مقدمة « أسماء المغتالين[1] » ونسختا هذا الكتاب ، سبق الكلام عليهما كذلك ، وهما نسخة مكتبة عاشر ، المرموز إليها بالرمز (ا) ونسخة الشنقيطى ذات الرمز (ب) .

وقد أثبت على جوانب الكتاب أرقام نسخة مكتبة عاشر المصورة ، طبقاً لما جريت عليه فى نشر كتاب أسماء المغتالين .

وإليك نص الكتاب :

---

(١) المقدمة ص ١٠٩ من المجلد الثانى من نوادر المخطوطات .

كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه

(أبو طالب) ، واسمه عَبد مناف بن عبد المطّلب .

(أبو سفيان) ، وهو المغيرة بن الحارث[1] .

(أبو دَهْبَل[2]) ، وهو وهب بن ربيعة بن أسيد بن أُحَيحة بن خَلَف بن حُذَافة بن جُمَح .

(أبو عَزَّة) ، وهو عمرو بن عبد الله بن عُمير[3] بن أُهَيب بن حُذَافة ابن جمح .

(أبو بكر) ابن الأسود بن عبد شمس بن مالك بن جَعْوَنة بن عُويرة ابن شِجْع ، الذى يقال له « ابنُ شَعوب[4] » بها يُعرَف ، وهى أمُّه ، خُزاعيّة . وهو القائل :

يخبِّرنا الرسولُ بأنْ سنحيا   وكيف حياةُ أصداءٍ وهامِ

(أبو الأسود[5]) ، وهو ظالم — ويقال عثمان — بن عمرو بن سفيان بن

---

(١) قيل اسمه المغيرة ، وقيل اسمه كنيته . وهو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن هاشم ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخوه من الرضاعة ، أرضعتهما حليمة السعدية وكان ممن يؤذى الرسول ويهجوه ويؤذى المسلمين ، وفى ذلك يقول حسان بن ثابت :

هجوت محمداً فأجبت عنه   وعند الله فى ذاك الجزاء

وأسلم أبو سفيان فى الفتح . الإصابة ص ٥٣٥ من باب الكنى .

(٢) ا : « أبو ذهل » ، والتصحيح للشنقيطى . انظر الشعراء ٥٩٦ والاشتقاق ٨١ والمؤتلف ١١٧ والأغانى ٦ : ١٤٩ ـ ١٦٥ .

(٣) فى النسختين : « حمير » . وانظر ما سبق فى ص ٢٤٥ .

(٤) سبق فى كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء فى المجلد الأول ص ٨٣ أن ابن شعوب هو عمرو بن سمى بن كعب بن عبد شمس بن مالك .

(٥) انظر مراجع ترجمته بإسهاب فى حواشى الجزء الأول من إنباه الرواة للقفطى ص ١٣ .

جَنْدل بن يَعمر بن حِلْس بن نُفاثة بن عَدِىّ بن الدِّيل بن بكر بن كنانة

(أبو مهوِّش [(١)]) ، وهو ربيعة بن حَوط بن رئاب [(٢)] بن الأشتر بن حَجْوان ابن فَقْعس .

(أبو سماك [(٣)]) ، وهو سِمعان بن هُبيرة بن مُساحِق بن بجير بن أسامة بن نصر بن قُعَين .

(أبو الصَّقْر) ، وهو رِفاعة بن قيس بن عاصم بن حكيم .

(أبو حجرية [(٤)]) ، وهو قيس بن عاصم بن حكيم ، فقعسىّ .

(أبو جَهْمة) ، وهو الأخثم بن طلق ، أخو بنى سَعْد بن ثعلبة .

(أبو مُكْعِت [(٥)]) ، وهو مُنقذ بن خُنَيس بن سلامة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودان .

(أبو كبير) ، وهو عامر بن ثابت [(٦)] بن عبد شمس بن خالد بن عَمْرو بن كعب بن مالك بن كعب بن كاهل الهذلىّ .

(أبو ذؤيب) ، وهو خُويلد بن خالد بن المحرِّث [(٧)] ، أخو بنى مازن بن معاوية ، هذلىّ .

(أبو خِراش) ، وهو خويلد بنُ مرّة ، أخو بنى قِرْد بن معاوية ، هذلىّ

---

(١) فى النسختين : « أبو مهوش » تصحيف ، انظر الخزانة ٣ : ٨٦ .

(٢) فى النسختين : « بن خوط بن رباب » ، صوابه من الخزانة .

(٣) انظر مامضى فى ص ٢٦٤ س ٧ .

(٤) كذا فى النسختين .

(٥) ا : « أبو مكمت » ، والتصحيح للشنقيطى . وانظر القاموس (كمت) .

(٦) فى الشعراء ٦٥٢ والخزانة ٣ : ٤٧٣ واللآلئ ٣٨٧ وديوان الهذليين ٢ : ٨٨ : « عامر بن الحليس » . وما أثبته ابن حبيب هنا من تمام نسبه لم أعثر عليه فى مرجع آخر .

(٧) فى النسختين : « المحدث » ، صوابه من اللآلئ ٩٨ والأغانى ٦ : ٥٦ والخزانة ١ : ٢٠٣ .

(أبو صخر) ، وهو عبد الله بن سَلَمة[١] ، هذَلىّ .

(أبو العِيال) ، و (أراكة) ، و (أبو جندب) ، و (أبو أُثَيلة) هذليون ، وهى أسماؤهم .

(أبو المندىّ) ، وهو أزهر بن عبد العزيز بن شَبَث بن رِبْعىّ[٢] ، أحد بنى رِياح بن يربوع .

(أبو حُزَابة[٣]) ، وهو الوليد بن حَنِيفة ، من بنى ربيعة بن حنظلة .

(أبو نُخَيلة) السَّعْدى ، وهو اسمه وكنيته[٤] .

(أبو الجند[٥]) بن حَزْن بن زائدة بن لَقِيط .

(أبو الأخْزَر) ، وهو قتيبة ، أحد بنى حِمَّان بن عبد العُزَّى بن كعب ابن سعد .

(أبو الشعر) ، وهو مُوسى بن سُحَيم الضبى .

(أبو المختار) الكلابىّ ، وهو قيس بن يزيد بن قَيس بن يزيد بن عمرو ابن خويلد .

(أبو دُوَاد) الرُّؤاسى[٦] ، وهو يزيد بن معاوية بن عَمرو بن قيس بن عُبَيد[٦] ابن رؤاس .

---

(١) فى الأغانى ٢١ : ٩٤ : « بن سلم » . وفى الخزانة ١ : ٥٥٥ : « سالم » :

(٢) فى اللآلىء ١٦٨ أنه عبد الملك بن عبد القدوس بن شبث بن ربعى : وفى الشعراء ٦٦٣ : « عبدالمؤمن بن عبدالقدوس » . وفى الأغانى ٢١ : ١٧٧ « غالب بن عبد القدوس » .

(٣) فى الأصل : « أبو حزانة » والتصحيح للشنقيطى . انظر الأغانى ١٩ : ١٥٢ والقاموس (حزب) والمؤتلف والمختلف ٦٤ .

(٤) فى الشعراء ٥٨٣ أن اسمه « يعمر » وإنما كنى أبا نخيلة ، لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة .

(٥) فى ا : « الحسد » بالإهمال . والتصحيح للشنقيطى .

(٦) وفى شعرائهم أيضاً « أبو دواد الإيادى » واسمه جويرية بن الحجاج . انظر الشعراء ١٨٩ والمؤتلف ١١٥ ـ ١١٦ .

(أبو حَيَّة) النُّميرى ، وهو الهيثم بن الربيع بن زُرارة .

(أبو محجن[١]) وهو عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف ابن عُقْدة .

(أبو الصَّلت) بن أبي ربيعة بن عَوف بن عُقْدة .

(أبو شَجَرة)، وهو عمرو بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن رواحة، من سُلَيم .

(أبو وَجْزَةَ[٢]) وهو يزيد بن أبي عبيدة — ويقال بل ابن عبد الله — ابن جابر ، من بنى سليم . وهو حليف بني سعد بن بكر[٣] .

(أبو الرُّبَيْس[٤]) وهو عَبّاد بن عباس بن عوف بن عبد الله بن أسد[٤] بن ناشب ، من بنى ذُبيان .

(أبو حليل) بن شدَّاد بن مالك بن زُهير بن جَذِيمة بن رَوَاحة العبسىّ .

(أبو سمر) ابن إياس ، وهو اسمه . . . .[٥] بن معاوية .

(أبو أسماء) ، وهو أُميّة بن عَوف بن عباد ، من بنى نصر .

(أبو الشَّغْب) ، وهو عِكرِشَة بن أزيد بن سحل[٦] ، عَبْسىّ .

ومن ربيعة

(أبو سلمة) ، وهو حُرَيث بن حنظلة بن الحارث بن قَيس الشيبانى .

و (أبو نمجة) ، وهو صالح بن شُرَحبيل بن رماح النمرىّ .

و (أبو كاهل)و(أبو جِلْدَة) اليشكُريان . و (أبو القطّاف)و(أبو كَدْراء)

---

(١) فى النسختين : « عبد » ، صوابه من المؤتلف واللسان (دأدأ) .

(٢) انظر الخلاف فى اسمه فى الخزانة ٣ : ٥٣ ، والمؤتلف ٩٥ والأغانى ٢١ : ١٣٧ .

(٣) انظر الشعراء ٦٨٤ والأغانى ١١ : ٧٥ — ٨١ والخزانة ٢ : ١٤٧ — ١٥٠ .

(٤) فى الشعراء أنه من بنى سعد بن بكر بن هوازن أظآر رسول الله .

(٥) فى النسختين : « أبو الرئيس » ، صوابه من الخزانة ٢ : ٥٣٤ . وفى القاموس (ربس) : « وأبو الربيس عباد بن طهمة الثعلبى » .

(٦) فى النسختين : « أسعد » ، صوابه من الخزانة .

زِرُّ بن ظالم العِجلى، و (أبو الأَحَّام) التغلبى ، و (أبو النَّجم) العِجلى[١] ، وهو[٢] الفضل بن قُدامة ، و (أبو الجُوَيرية) العَبدىّ ، وهو عيسى بن أوس ابن عُصَيَّة[٣] .

ومن إياد

(أبو دُوَاد) ، وهو حارث بن حُمْران بن بحر بن عصام[٤] .

ومن اليمن

(أبو السائب) بن عبادة بن مالك بن عباد، أخو بنى جَحْجَبَى، من الأوس. و (أبو قيس) وهو صَيفىُّ بن الأسلَت — وهو عامر — بن جُشَم بن يزيد[٥] من الأوس .

ومن الخزرج (أبو أنس) بن صِرْمة[٦] بن مالك بن عدىّ بن غانم بن غَنْم ابن عدىّ بن النجار .

و (أبو رِعْية) وهو عامر بن كعب بن عمرو بن حُدَيج .

---

(١) ضرب الشنقيطى على هذه الكلمة مع ثبوتها فى نسخة عاشر .

(٢) ا : « وأبو الفضل » وفى ب: « الفضل » والوجه ما أثبت . وانظر الشعراء ٥٨٤ وابن سلام ١٤٩ ومعجم المرزبانى ٣١٠ — ٣١١ واللآلىء ٣٢٧ — ٣٢٨ والأغانى ٩ : ٧٣ — ٧٨ والخزانة ١ : ٤٨ — ٥٠ ، ٤٠١ — ٤٠٨ .

(٣) وكذا فى معجم المرزبانى ٢٥٨ . لكن فى المؤتلف ٧٩ : « عصبة » .

(٤) فى المؤتلف ١١٥ أنه « جويرية بن الحجاج ، وقيل اسمه حنظلة بن الشرق . الشعراء ١٨٩ . وانظر الأغانى ١٥ : ٩١ — ٩٦ والخزانة ٤ : ١٩٠ — ١٩١ والعينى ٢ : ٣٩١ .

(٥) كذا . وفى الأغانى ١٥ : ١٥٤ والإصابة : « بن جشم بن وائل بن زيد » .

(٦) شاعر جاهلى ، كما فى الاشتقاق ١٦٨ .

ومن خُزاعة

(أبو الكَنُود[١]) بن عبد العُزّى بن عمرو بن ندا[٢] .

و (أبو رُمْح) وهو عُمير بن مالك بن حَنْطب ، من دَوس .

(أبو عَنْبس) أخو بنى مبذول بن لؤىّ بن عامر بن غانم بن دُهمان .

ومن كلب

(أبو شَهْلة) بن عبد الله بن التمنّى بن عبد الله بن الشَّجِب .

ومن بنى القين

(أبو الطَّمَحان) وهو حَنظلة بن الشَّرْقى .

ومن كندة

(أبو هُنَىّ) وهو مسروق بن مَعدِيكرب بن ثُمامة بن الأسود .

ومن السَّكون

(أبو الأغفل) أخو بنى سوم بن أشرس بن شَبيب بن السَّكون .

ومن جُعفىّ

(أبو الشعثاء) وهو عبد الله بن وَبْرة بن قيس بن مطر .

ومن أود

(أبو المَغْراء) وهو عمرو بن الحارث بن عبد الله بن كعب .

---

(١) ذكره فى الاشتقاق ٢٧٩ .
(٢) كذا فى النسختين .

ومن مراد

(أبو القصبة) وهو بكير بن عبد الله بن سلمة بن الأشلّ .

ومن همدان

(أبو الجرنْدَق) وهو مَعقِل بن عبد جبر (١) بن محمد بن خَولىّ .

ومن طيء

١٢٣ (أبو زُبيد) وهو حَرمَلة بن عبد المنذر (٢) بن معديكرب بن حنظلة بن النعمان ابن حيَّـة .

و (أبو المقدام) هو الأخْيَل بن عُبيد بن الأعسم بن قَيْس بن خضر بن عبد الله .

و (أبو دُلامة) زَنْد بن الجوْن .

و (أبو العباس) الأعمى الكناني ، وهو السَّائب بن فَرُّوخ .

(١) انظر جمهرة ابن حزم ٣٩٥ والاشتقاق ٢٥٥ . وفيهما « عبد خير » .
(٢) كذا . والصواب « حرملة بن المنذر » . انظر سمط اللآلىء ١١٨ .

كنى الشعراء

امرؤ القيس بن حُجر الكندى : (أبو الحارث) .
زهير بن أبى سُلْمى : (أبو سُلمى) .
نابغة بنى ذُبيان : (أبو أُمامة) و (أبو عقرب) .
أوس بن حَجَر : (أبو شُريح) .
طرَفة بن العبد : (أبو إسحاق) .
لَبيد بن ربيعة : (أبو عَقِيل)
عَبِيد بن الأبرص : (أبو زياد) .
أعشى بنى قيس بن ثعلبة : (أبو بَصِير[1]) .
الحطيئة : (أبو مُلَيكة) .
مُهلهِل بن ربيعة : (أبو رَبيعة) .
الأسود بن يَعفُر : (أبو نَهشَل) .
عمرو بن معديكرب : (أبو ثور) .
عدىّ بن زَيد العِبادى : (أبو عُمَير) .
بِشْر بن أبى خازم : (أبو عمرو) .
سَلاَمة بن جَندل : (أبو مالك)
عمرو بن شَأْس : (أبو عِرَار)

---

(١) التصحيح للشنقيطى . وفى ا « أبو نصير » .

حاتم بن عبد الله الطائى : (أبو عَدِىّ) ، و (أبو سَفّانة) .

تميم بن أبى مُقبِل : (أبو كَعب) .

عامر بن جُوَين الطائىّ : (أبو الأسود) .

زيد الخيل بن مُهلهل : (أبو مُكْنِف[١]) .

كعب بن زُهير : (أبو المضرّب) .

حسان بن ثابت : (أبو الوليد) .

كعب بن مالك الأنصارى : (أبو عبد الله) .

عبد الله بن رَوَاحة الأنصارى : (أبو عمرو) .

أرطاة بن سُهَيَّةَ المُرّىّ : (أبو الوليد) .

مالك بن العَجْلان النَّهدى : (أبو سَعِيد) .

عامر بن الطُّفيل : (أبو على) .

عبَّاس بن مِرداس السُّلَمِىّ : (أبو الهَيْثَم) .

قيس بن زُهَير العَبْسى : (أبو هند) .

خالد بن جَعفر بن كلاب : (أبو جَزْء[٢]) .

أربد بن قيس : (أبو الحَزّاز) .

عُروة بن الوَرد العبسىّ : (أبو الصعاليك) .

قيس بن الخطيم الأوسىّ : (أبو زيد) . ١٢٤

أميّة بن أبى الصَّلت : (أبو عثمان) و (أبو القاسم) .

صخر بن عَمرو بن الشَّريد : (أبو حسّان) .

---

(١) مكنف : هو ابن زيد الخيل ، كان له غناء فى الردة مع خالد بن الوليد .

(٢) التصحيح للشنقيطى . وفى ا : « أبو حرى » .

دُريد بن الصِّمّة : (أبو قُرّة) .

أنس بن مُدرِك الخثعميّ : (أبو سفيان) .

الشّمّاخ بن ضِرار : (أبو سعدة) .

يزيد ، وهو مزرِّد أخو الشّمّاخ : (أبو ضرار) .

عبد الله بن أوس الأسديّ : (أبو مُنقِذ) .

يزيد بن مُفرِّغ الحميرى : (أبو مفرّغ) .

أعشى همْدان : (أبو المصبِّح) .

الأخطل : (أبو مالك) .

عبد الله بن هَمّام السَّلولى : (أبو عبد الرحمن) .

الكميت بن زَيد الأسديّ : (أبو المستهِلّ) .

الفرزدق بن غالب : (أبو فراس) .

جرير بن عطيّة بن الخَطَفى : (أبو حَزْرة) .

عُتَيبة بن الحارث بن شهاب : (أبو حزرَة) .

الطِّرِمّاح بن حكيم : (أبو نَفْر) .

كثيِّر بن عبد الرحمن : (أبو صخر) .

جَميل بن مَعْمَر العُذرىّ : (أبو عمرو) و (أبو معمر) .

اللّعين[1] : (أبو أُكيدِر) .

الأحوص بن محمد الأنصارى : (أبو عاصم) .

نُصَيب الأسود : (أبو محجَن) .

---

(١) اللعين المنقرى ، هو منازل بن ربيعة . الشعر والشعراء ٤٧٤ .

عُبيد الله بن قَيس الرُّقيّات : (أبو هاشم) .

يزيد بن مُخَرِّم[١] الحارثى : (أبو الحارث) .

عدِىّ بن الرِّقاع العاملىّ : (أبو دَاود[٢])

زفر بن الحارث الـكلابىّ : (أبو عبد الله) .

عِمران بن حِطّان السَّدوسى : (أبو شهاب) .

عَبِيدة بن هِلال اليشكَرىّ : (أبو مالك) .

عُبيد الله بن الُحرّ الجعفى : (أبو الأشرس) .

عُبَيدُ الرّاعى[٣] النُّميرىّ : (أبو نوح) و (أبو جَندل) .

كعب الأشقرىّ : (أبو مالك) .

زيادٌ الأعجَم : (أبو أُمامة) .

الأُقيشر : (أبو مُعرِّض[٤]) .

المخبل ، وهو ربيعة بن مالك بن ربيعة بن قِتَال : (أبو يزيد) .

البَعيث المجاشِعىّ : (أبو يزيد) .

عمر بن أبى ربيعة : (أبو الخطّاب) . ١٣٥

عُروة بن حِزام : (أبوسعيد) .

العجاج : (أبو الشَّعثاء) .

---

(١) ا : « مخزم » ، صوابه فى ب . ترجمته فى الخزانة ١ : ٣٩٧ .

(٢) سمط اللآلىء ٣٠٩ .

(٣) عبيد ، بالتصغير .

(٤) ويقال أبو معرض ، بتخفيف الراء . شاعر إسلامى . سمط اللآلىء ٢٦١ . والأقيشر لقب غلب عليه ، واسمه المغيرة بن أسود .

تأبّط شراً : (أبو زهير) .

ثابت قُطْنة : (أبو العَلاء[1]) .

أوس بن مَغْراء السعدىّ : (أبو المَغْراء) .

النّجاشى الحارثى : (أبو الحارث) .

رؤبة بن العجاج : (أبو الجحّاف) .

القُطامىّ التّغلبىّ : (أبو سعيد) .

عُقَيبة بن هُبَيرة الأسدىّ : (أبو حسّان) .

سُراقة بن عَتّاب البارق : (أبو عمرو) .

ذو الرُّمّة : (أبو الحارث) .

يزيد بن الطَّثْرية : (أبو المَكْشوح) .

العُجَير السَّلولى : (أبو الفَرزدق) و (أبو الفيل[2]) .

حُمَيد بن ثور الهلالىّ : (أبو الأخْضَر) .

ابن الدُّمينة : (أبو السَّرِىّ) .

أبو عطاء السِّنْدىّ : (أبو مرزوق) .

طَرِيح بن إسماعيل : (أبو إسماعيل) .

إبراهيم بن هَرْمة : (أبو إسحاق) .

غُصَين[3] بن براق الأسدىّ : (أبو هلال) .

---

(١) وفيه يقول حاجب الفيل كما فى الطبرى ٨ : ١٨٨ :

أبا العلاء لقد لقيت معضلة   يوم العروبة من كرب وتخنيق

الشعراء ٦١٣ .

(٢) سمط اللآلى ٩٢ . وهو شاعر من شعراء الدولة الأموية .

(٣) ورد الحرف الأول مهملا فى النسختين ، صوابه من المؤتلف ٦٧ .

عُمارة بن عَقِيل بن بلال بن جرير : (أبو عَقِيل) .

القُلاخ بن حَزْن المِنقرى : (أبو خَناثِير[1]) .

جُرَيبة بن أشيَم : (أبو سعيد) .

طُفَيل بن عَوف الغَنَوىّ : (أبو قُرّان) .

الزِّبرِقان بن بَدْر : (أبو عيّاش) ، و (أبو شَذْرة) .

الزُّبَير بن عبد المطَّلب : (أبو حجل) ، و (أبو الطاهر) .

عُمارة بن الوليد بن المغيرة : (أبو فائد) .

الوليد بن عُقْبة بن أبى مُعَيط : (أبو وهب) .

عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص : (أبو مطرِّف) .

مالك بن أسماء بن خارجة الفَزارى : (أبو الحسَن) .

الأسعر بن أبى حُمْران الجُعفىّ : (أبو زُهير) .

قيس بن مكشوحٍ المُرادىّ : (أبو حسّان) .

عَوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب : (أبو سُراقة) .

شُرَيح بن الأحوص بن جعفر : (أبو يزيد) .

الحارث بن ظالمٍ المُرّىّ : (أبو ليلى) .

نابغة بنى جَعْدة : (أبو ليلى) .

عمرو بن كُلثومٍ التَّغلبى : (أبو الأسود) .

---

(١) وهو القائل :

أنا القلاخ بن جناب بن جلا ... أبو خناثير أقود الجملا

الشعراء ٦٨٨ . والخنائير : الدواهى . وروى البيت أيضاً : « أخو خناثير » . المؤتلف ١٦٨ وسمط اللآلى ٦٤٧ .

حمزة بن بيض الحنفى : (أبو يزيد) .

سابقٌ البربرىّ : (أبو أمية) .

أُحَيحة بن الجُلاح الأوسىّ : (أبو عمرو) . ١٢٦

العبّاس بن يزيدَ الكِندىّ : (أبو الصَّلت) .

يحيى بن نَوفل الحِمْيرىّ : (أبو نوفل) .

أعشى بنى شَيبان : (أبو المغيرة) .

الُحصَين بن الحمام : (أبو مُعَيّة) .

يزيد بن الصَّعِق : (أبو قَيس) .

معايع بن إياس : (أبو سليمان) .

مِرداس بن أبى عامر السُّلَمى : (أبو يزيد) .

النَّمر بن تَولَبٍ العُكْلى : (أبو قيس) .

عبد الله بن رِبْعىٍّ الُجذامى (أبو محمد) .

مَرْوان بن أبى حفصة : (أبو السِّمْط) .

متمِّم بن نُوَيرة : (أبو تميم) .

والعَبَلى، وهو عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علىّ [بن عدىّ[1]] بن عمرو ابن عبد العُزَّى[2] بن عبد شمس : (أبو عدىّ[3]) .

---

(١) التكملة من الأغانى ١٠ : ٩٨ : وقد وضع الشنقيطى بدل « على » « عدى » وإنما هو على بن عدى، وقد شهد مع عائشة يوم الجمل ؛ وله يقول بعض الشعراء من ضبة :

يارب اكبب بعلى جمله ولا تبارك فى بعير حمله

* إلا على بن عدى ليس له *

(٢) ا : « عبد العزيز » صوابه فى ب والأغانى . وفى الأغانى « بن عدى بن ربيعة بن عبد العزى » . وعبد الله شاعر قرشى من مخضرمى الدولتين .

(٣) ا : « ابن عدى » صوابه فى ب والأغانى .

أعشى باهلة : (أبو قُحْفان) .

سحيمٌ عبد بنى الحسحاس : (أبو عبد الله) .

ضِرار بن الأزوَر الأسدىّ أخو بنى مالك : (أبو جَنوب) ، وهو القائل يومَ السَّنِمات[١] :

إنْ تنكرونى فأنَا ابنُ الأزوَرِ   أبو جنوبٍ فارسُ المحبَّرِ

وضِرارُ بن الأزور هو قاتلُ مالكِ بن نُوَيرة يوم البَعوضة فى الرِّدّة .

وعبد الله بن الحجاج أخو بنى ثعلبةَ بن ذُبيان : (أبو الأُقَيرح) .

والقتَّال الكلابى بن مُجيب[٢] : (أبو المسيّب) ، و (أبو سليل) .

وقال[٣] :

ولمَّا أن رأيت بنى حُصَين   بهم جَنَف إلى الجارات بادِ[٤]

خَلعتُ عِذارها ولهيتُ عنها   كما خُلِع العِذار عن الجواد[٥]

أناديها بأسفلِ وارداتٍ   هُبِلتَ أبا المسيّب من تُنادِى[٦]

---

(١) السنمات : هضبات طوال عظام فى ديار نمير بأرض الشريف بنجد.

(٢) فى الأغانى ٢٠ : ١٥٨ « اسمه عبد الله بن المضرحى بن عامر الهصان بن كعب بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب » .

(٣) فى طلاقه امرأته بنت ورقاء بن الهيثم بن الهصان ، وكان قد أدركته ريبة فيها . انظر الأغانى ٢٠ : ١٦٣ .

(٤) الجنف : الإثم والميل إليه . فى النسختين : « حنق » صوابه من الأغانى .

(٥) فى النسختين : « لقيت منها » ، صوابه من الأغانى . ا : « على الجواد » والتصحيح للشنقيطى . وفى الأغانى : « من الجواد » .

(٦) فى الأغانى : « ولدت » بدل « هبلت » ، تحريف . وفى النسختين : « أنا النسيب فمن تنادى » ، صوابه من الأغانى .

بلال بن جرير بن عطية بن الخَطَفى : (أبو زافر) .

بَشَّار بن بُرْدٍ العُقَيلى : (أبو مُعاذ) .

إسماعيل بن إبراهيم العَنَزِىّ [1] : (أبو العتاهية) .

الحسن بن هانئ : (أبو نُوَاس) .

(١) فى النسختين : « العتوى » تحريف ، وإنما هو « العنزى » مولى عنزة . الأغانى ٣ : ١٢٢ والشعراء ٧٦٥ وسمط اللآلىء ٥٥١ .

كتاب

ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه

لأبي جعفر محمد بن حبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

وهذا كتاب آخر لمحمد بن حبيب، هو كتاب «ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه . وقد سبق الكلام عليه فى مقدمة كتابه «أسماء المغتالين[1]» .

ونسخنا هذا الكتاب كذلك، شبق الكلام عليهما هناك، وهما نسخة مكتبة عاشر ذات الرمز (ا) ونسخة مكتبة الشنقيطى ذات الرمز (ب) .

وقد أثبت على جوانب الكتاب أرقام نسخة مكتبة عاشر المصورة ، جريا على ما صنعته فى نشر كتاب أسماء المغتالين .

وهذا نص الكتاب :

---

(١) المقدمة ص ١٠٩ من المجلد الثانى من نوادر المخطوطات .

ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بامه

١٢٧ (العَبْلِىّ) نسبة إلى جدته عَبْلة بنت عبيد بن جاذل بن قيس بن حنظلة ، من البراجم . وهو عبد الله بن عُمر بن عبد الله بن عدى (١) . وعَبْلة : جدّته من قبل أمّه .

و (أبو قَطِيفة (٢)) وهو عمرو بن الوليد بن عُقبة بن أبى مُعَيط . وكان كثير شعر الوجه .

ومنهم (أشْعَر بركا) ، وهو الوليد بن عُقبة بن أبى مُعَيط .

و (العَرْجىّ) وهو عمر بن عبد الله (٣) بن عمرو بن عثمان بن عَفّان .

و (القَسّ) وهو وَرقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى .

ومن بنى سهم

(المُبْرِق) وهو عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدىّ ، وهو القائل :

فإن أنا لم أبرِقْ فلا يَسَعَنّنى من الأرض لا بَرٌّ فضاءٌ ولا بحرُ (٤)

ومنهم (ابن قيس الرُّقيّات) وهو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك ابن زَمَعة بن أُهَيب بن ضِباب ، أخو بنى عامر بن لؤىّ . وكان يشبّب برُقيّةَ

---

(١) انظر ماسبق فى ص ٢٩٤ .

(٢) ا : « أبو قطنة » صوابه فى ب بتصحيح الشنقيطى والأغانى ١ : ٧ — ١٨ .

(٣) فى الشعراء ٥٥٦ أنه « عبد الله بن عمر » . والعرجى : نسبة إلى العرج ، وهو موضع كان ينزله قبل الطائف .

(٤) ا : « لم أبرق » صححه الشنقيطى . وانظر السيرة ٢١٦ جوتنجن .

بنت عبد الواحد بن أبى سعد بن قيس بن وهب بن وهبان بن ضباب ، وبابنة عمٍّ لها أيضاً ، فلقِّب بهما « الرُّقيّات » .

ومن هذيل

(صَخر الغَىّ) بن سويد بن رَبَاح بن كُليب بن كعب بن كاهل .

و (المتنخِّل) وهو مالك بن عوف بن غَنْم بن حبشى[1] بن عادية .

ومن بنى كنانة

(بَلْعاء) ، وهو قَيس بن حميصة[2] بن ربيعة بن عبد الله بن يعمر . وأخوه (جَثّامة) وهو يزيد بن قيس ، وأخوهما (المحجَّل) بن قيس ، وهو حيصة[2] .

ومنهم (الأحمر) وهو عَمرو بن الحارث بن عبد مَناة بن كنانة ، وهو القائل :

وإذا تكون كريهةٌ أُدعَى لها ... وإذا يُحاس الحيسُ يدعى جُندبُ[3]

ومن بنى أسد

(جَندل[4]) ، وهو الهَبَّاج بن سليم بن قراد ، من بنى فَقْعس .

ومنهم (الحُلندُح[5]) وهو الجَعْد بن حاجب بن حبيب .

---

(١) كذا فى النسختين . وفى الأغانى ٢٠ : ١٤٥ « حبيش » ، وفى الشعراء ٦٤٢ : « حنش » .

(٢) كذا فى النسختين .

(٣) أنشده فى اللسان ٧ : ٢٦٢ من أبيات لهنى بن أحمر الكنانى ، وقيل لزرافة الباهلى .

(٤) أصل معناه البعير الضخم .

(٥) أصل معناه الصلب من الإبل .

ومنهم (الخنجر)، وهو قيس بن صَخر .

١٢٨ ومنهم (الرفيع)، وهو عُمارة بن عبيد الوالبيّ .

ومنهم (أشعر الرَّقَبان)، وهو عمرو بن حارثة بن ناشب بن سلامة ابن سعد[1] .

ومنهم (الأُقَيشر) وهو المُغيرة بن عبد الله بن الأسود بن وَهْب بن ناعج.

ومنهم مُرّة (ابن الرّواع) يعرف بأمه، إحدى بنى كعب بن حى ابن مالك .

ألقاب الشعراء من طابخة

منهم (النوّاح)، وهو ربيعة أخو بنى عبد بن عثمان بن مُزَينة بن أدّ .

ومنهم (المضرَّب) وهو عُقبة بن كعب بن زهير بن أبى سُلْمى، وكان شبّبَ بامرأةٍ من بنى عبس فضربوه حتى أقصَوْه ثم بَرَأ .

وممن ينسب إلى أمه (سُويد بن كُراعَ)، أحد عُكل، وهو عَوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عَبْد مناة بن أُدّ .

ومنهم (الأعشى) وهو كهمس[2] بن قَعْنَب بن وعلة بن عطية، من عكل.

و (ذو الرمة) وهو غَيلان بن عُقْبة بن نُهَيس، أحد بنى مِلْكان بن عدىّ بن عبد مناة بن أُدّ، سمّى بذلك لقوله :

* أشْعثَ باقى رُمَّةِ التقليد[3] *

(١) بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد .

(٢) أصل معناه الأسد . وفى النسختين : « كهبس » صوابه من المؤتلف للآمدى ١٨ .

(٣) قبله :

لم يبق غير مثل ركود وغير مرضوخ القفا موتود

ومن يعرف بأمه من بنى تميم : (ابن أمّ رِمْثة) وهو عبد الله بن سُوَيد ، أحد بنى الحارث بن تميم بن مر بن أد .

ومنهم (بَلِيل) وهو قَيْل بن عمرو بن الهُجَيم بن عَمرو بن تميم ، سُمّى بليلا لقوله :

وذِى نسب ناءٍ بعيدٍ وصلتُه   وذى رحمٍ بلَّلتها ببِلالها

ومنهم (محفر) وهو عبد شمس بن كَعب بن العَنْبر بن عَمرو بن تميم .

ومنهم (أبو قَسْوة) وهو عُيَينة بن مِرداس ، أخو بنى كعب بن عمرو بن تميم ، وكان رجلٌ من قومه يلقَّب بهذا، وكان عيينة يُكثِر قولَها له، فأورد يوماً غَنَمه فقال له عُيينة ذلك ، فقال له الرجل : لقد فَحَشْتَ علىَّ غير مرَّة ! فقال له ٢٩ ب عُيينة : وما فى هذا حتّى(١) يُغضَب منه ؟ فقال الرجل : أفتشتريه بأحسنِ نعجةٍ فى غنمى ؟ قال: نعم . فأعطاه إيَّاها ، وقَبِل الاسم ، فلم يَصدُر عن الماء حتّى قيل لعُيَينة : يا ابنَ قَسْوة . وغَبَّ الأمرُ فلم يَزْدَد إلاَّ لُزوماً ، فقال أخو عُيينة :

حَوَّلَ مولانا علينا اسمَ أُمِّه   ألا ربَّ مولًى ناقصٍ غيرِ زائدِ(٢)

ومنهم (مقرّن) وهو مَطَر بن أوفى، أخو بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . وهو قوله :

تقول المالـكيةُ أمُّ عمـرو   رأيتُ مقرَّناً دونَ المغيب

ومنهم (حاجب الفيل) بن ذُبْيان بن سبع(٣) بن عبد الله المازنىّ :

ومنهم (السَّـكْب) وهو زُهَير بن عُروة بن جُلهُمة بن حجر، سُمّى بذلك لقوله :

---

(١) فى ا : « حين » ، والتصحيح للشنقيطى .

(٢) انظر المجلد الأول ص ٨٩ .

(٣) جعلها ناسخ ب « سبيم » .

إنّي أرِقْتُ على المِطْلَى وأشــأزنى ... برقٌ يضيءُ خِلالَ البيتِ أسكوبُ(١)

ومنهم (الكَذّاب(٢)) وهو عبد الله بن الأعور بن سُفيان بن الغَضبان، أخو بنى الحِرماز بن مالك بن عمرو بن تميم، وهو الذى شكا امرأته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال(٣) :

إليك أشكو ذِرْبةً من الذِّرب(٤) ... خرجتُ أبغيها الطّعامَ فى رجَبْ
فأخلفتْنِى بنِزاعٍ وحَــرَبْ ... أخلفت العهدَ ولطّتْ بالذنَبْ(٥)
وهُنّ شرُّ غالبٍ لمَن غَلَبْ

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « إنّهن لكما ذكرت » .

ومنهم (الزَّفَيَان) وهو عَطاء بن أسيد ، أخو بنى عُوافة بن سعد بن زيد مَناة بن تميم ، زفّاه قولُه :

* والخيــــل تَزفِى النَّعَم المَعقورا(٦) *

ومنهم (العَجّاج) ،وهو عبد الله بن رُؤبة(٧) .

---

(١) المطلى : موضع . أشأزه : أقلقه . أسكوب : كأنه يسكب المطر .

(٢) فى المؤتلف ١٧٠ : وهو القائل :

لست بكذاب ولا أثام ... ولا بجذام ولا مصرام
* ولا أحب خلة اللئام *

(٣) الرجز فى اللسان ١ : ٣٧٢ منسوب إلى أعشى بنى مازن ، أو أعشى بنى الحرماز ، واسم هذا الأعور بن قراد بن سفيان .

(٤) الذربة : السليطة اللسان الفاسدة المنطق .

(٥) يقال لطت الناقة بذنبها ، أى أدخلته بين فخذيها لتمنع الحالب . ا : « أطت » ، وتصحيح الشنقيطى يطابق ما فى اللسان . وبين هذا البيت وتاليه فى اللسان :

وتركتنى وسط عيص ذى أشب ... تكد رجلى مسامير الخشب

(٦) تزفى : تسوق . ورواه المرزبانى فى معجمه ٢٩٨ : « المقعورا » وهو المصروع . قال : ويروى « المعقورا » . وفى المؤتلف ١٣٣ « المعقودا » ، بالدال .

(٧) ا : « وروز » ، صوابه للشنقيطى ، وانظر الشعراء ٥٧٢ .

ومنهم (الخِنَّوت[١]) وهو تَوْبة بن مضرِّس بن عُبيد بن حبي[٢] ، أخو بنى سعد بن زيد مناة بن تميم . ١٣٠

ومنهم (سُؤر الذِّئب[٣]) غَلَب على اسمه فليس يعرف إلا به ، وهو أخو بنى مالك بن كعب بن سعد .

ومنهم (الزِّبرقان) وهو حِصْن بن بدر بن امرئ القيس بن خَلَف[٤] ابن بَهدَلة بن عَوف بن كعب بن سعد . وكان جميلا — والزِّبرقان : القمر — وكان يُدعى « قمر أهل نَجْد » .

ومنهم (المخَبَّل[٥]) ، وهو ربيعة بن عوف بن ربيعة بن قِتَال بن أنف الناقة ، أخو بنى قُريع بن عَوف بن كعب بن سعد .

وممن ينسب منهم إلى أمّه (الرِّيبال) وهو سُليك بن سُلَكَة ، وهى أمُّه .

و (أبو يَثْربى[٦]) بن سِنان بن عُمَيْر بن الحارث ، وهو مُقاعس بن عمرو ابن كعب سعد .

ومنهم (المُستوغِر) وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد[٧] ، وَغَّره قوله :

يَنِشُّ الماء فى الرَّبلاتِ منها نشيشَ الرَّضف فى اللَّبن الوغيرِ[٨]

---

(١) أصل معناه العيى الأبله .

(٢) فى المؤتلف ٦٨ : توبة بن مضرس بن عبد الله بن عباد بن محرث بن سعد بن حزام بن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

(٣) السؤر : ما يبقيه الشارب من شرابه .

(٤) فى المؤتلف ١٢٨ : « بن امرئ القيس بن قيس بن خلف » .

(٥) أصل معناه من أصيب بالخبل ، وهو استرخاء المفاصل من ضعف أو جنون .

(٦) ا : « نبرى » مع الإهمال ، وأثبت قراءة الشنقيطى .

(٧) بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم ، كما فى معجم المرزبانى ٢١٣ . وذكر فى المعمرين ٩ أنه عاش ثلاثا وثلاثين وثلثمائة سنة . وأنشد له :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عـــدد السنين مئينا
مائة حدتها بعـــدها مائتان لى وعمرت من عدد الشهور سنينا

(٨) يصف فرسا . النشيش : صوت الماء إذا غلى . والماء عنى به العرق . الربلات جمع ربلة ، وهى باطن الفخذ . الرضف : الحجارة المحماة . الوغير : الذى يسخن بالحجارة المحماة .

ومن بنى دارم بن مالك بن حنظلة

(الفرزدق) واسمه هَمَّام بن غالب بن صَعصعة بن ناجية بن محمد بن عِقال . وكان جَهْمَ الوجه . والفَرَزدق : الضخم(١) .

ومنهم (البَعِيث) وهو خِداش بن بِشْر بن أبى خالد بن بَيْبَة، بعثه قوله :

تبعَّث منى ما تبعَّثَ بعد ما ... أُمِرَّت قُوَاىَ واستمرّ عَزِيمى(٢)

ومنهم (مِسْكِين) وهو ربيعة بن عامر(٣) ، القائل :

سُمِّيت مِسكيناً وكانت لَجاجةً ... وإنِّى لمسكينٌ إلى الله راغبُ

ومنهم (القُبَاعُ) وهو عمرو بن عوف بن القعقاع ، وهو قوله :

إن كنت لاتدرِى فإنِّى أدرى ... أنا القُبَاع وابن أمِّ الغَمْرِ(٤)

وممن يعرف بأمه (الأشهب بن رُمَيلة) وهى أمُّه . وأبوه ثَور بن أُبَىّ ابن حارثة ، أحد بنى نهشل .

١٣١ ومنهم (شقَّة) ، وهو ضَمرة بن ضمرة بن جابر بن قَطَن بن نهشل .

ومنهم (ابن الغُرَيرة(٥)) وهى جدّته بها يعرف، وهى سَبِيَّة من بنى تغلب ، وهو كُثَيِّر بن عبد الله بن مالك بن هُبيرة بن صَخر بن نهشل .

---

(١) الفرزدق : الرغيف ، وقيل قطع العجين ، فارسيته « پَرازْدَه » . اللسان ومعجم استينجاس ٩٢٣ .

(٢) فى المزهر ٢ : ٤٣٩ : « واستتم غريمى » ، تحريف .

(٣) ابن أنيف ، من بنى دارم . الشعراء ٥٢٩ والأغانى ١٨ : ٦٨ — ٧٢ والخزانة ١ : ٤٦٥ — ٤٧٠ .

(٤) القباع ، مهملة الباء فى ا . وقد جعلها الشنقيطى « القناع » .

(٥) انظر شرح المرزوقى للحماسة ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ والأغانى ١٠ : ٩١ . وفى المؤتلف ١٨٧ ومعجم المرزبانى ٣٤٩ : « الغريزة » .

ومن بنى أبان بن دارم

(ذُو الخِرَق) بن شريح بن سَيف بن أبان[١]، سمِّى بذلك لقوله :

لَمّا رأت إبلى جاءت حَمولتُها هَزْلَى عِجافًا عليها الريشُ والخِرَق

قالت ألا تبتغى مالاً تعيش به مما تلاقى فَشَرُّ العيشةِ الرَّنَق

ومن بنى يربوع

(الأخْوَص[٢]) وهو زيد بن عمرو بن قيس[٣] بن عَتّاب بن هَرَمىّ ابن رِياح بن يَربوع .

ومنهم (ابن الـكَلْحَبة[٤]) وهى أُمُّه من جَرم قُضاعة . وهو هُبيرة ابن عبد الله بن عبدمناف بن عَرِين[٥] بن ثعلبة بن يربوع وكان كثير الشِّعر، وهو فارس العَرَادة[٦] وذى الخمار[٧] .

ومنهم (الخَطَفَى) وهو حُذَيفة بن بَدْر بن سَلمة بن عَوف بن كُليب ابن يربوع . خطَّفه قوله :

يَرفَعن بالليلِ إذا ماأسدفَا أعناقَ جِنّانٍ وهامًا رجَّفا

وعَنقًا باقى الرَّسيم خَيْطفَا[٨]

---

(١) انظر المؤتلف ١٠٩ والخزانة ١ : ٢٠ - ٢١ .

(٢) الأخوص ، بالخاء المعجمة . المؤتلف ٤٩ .

(٣) كلمة « قيس » ليست فى المؤتلف .

(٤) ا : « أبو الطحلبة » ، وصححه الشنقيطى . وانظر الخزانة ١ : ١٨٩ .

(٥) ا : « عزيز » ، وما أثبته الشنقيطى يطابق ما فى الخزانة .

(٦) العرادة ، رمج عليها الشنقيطى ، وهى فرسه ، وفيها يقول فى المفضلية ٣ : ١ :

تسائلنى بنو جشم بن بكر أغراء العرادة أم بهيم

(٧) ذو الخمار : فرسه كذلك . ا : «ذو الخمار» .

(٨) وكذا فى الشعراء ٤١٥ . وفى الاشتقاق ١٤١ : « بعد الكلال خيطفا » .

ومنهم (الأرقط) الراجز ، وهو حُمَيد ، أخو بنى كُمَيب[١] بن ربيعة ابن مالك بن حنظلة .

ومن بنى طُهَيَّة (ذو الِخرَق) وهو سمير[٢] بن عبد الله بن هلال بن قُرط ابن سعيد .

ومن ألقاب شعراء قيس

منهم : (ذو الإصبع) وهو حُرثان بن محرّث بن الحارث بن شباة[٣] ، أخو بنى يشكر بن عَدْوان بن عمرو بن قيس بن عَيلان . وكانت له إصبع زائدة .

وممن يعرف بأمّه منهم (ابن مَزْجة) وهى أمُّه بنت مسعود بن الأعزل ، واسم ابن فرحة[٤] زُهير بن الحارث بن جُندب بن سَلم بن غِيَرة ، أخو عدوان .

ومن فهم بن عمرو بن قيس

١٣٣ (تأبّط شرا) وهو ثابت بن جابر بن سُفيان بن عدىّ بن كعب ، أخو بنى سَعد بن فهم ، وسمِّى تأبّط شرًّا لأنَّ إخوته كانوا يَخرجون فيُطرفون أمَّهم بما يصيبون ، وكان لا يأتيها بشىء ، فعيَّرته أمُّه بذلك ، فأتى قارَةً ببلاده[٥] فأخذ منها أفاعىَ وحَيَّات ، فتأبَّطها فى خريطةٍ وألقاها بين يدَىْ أمِّه ، فقالت له : لقد تأبطت شرًّا !

---

(١) كذا فى النسختين . وانظر الخزانة ٢ : ٤٥٤ .

(٢) فى الخزانة ١ : ٢٠ « شمير » بالشين المعجمة .

(٣) فى شرح المفضليات ٣١٢ : « شاب » ، وفى نقل الخزانة ١ : ٤٠٨ عن شرح المفضليات : « شبابة » .

(٤) كذا فى النسختين .

(٥) القارة : جبيل صغير منفرد عن الجبال .

وممن يعرف من ذبيان بأمه

شَبِيب (بن البَرصاء) وهى أمامة بنت الحارث بن عَوف. وأبو شبيب يزيد بن حَيْوة بن عوف بن أبى حارثة.

ومنهم (أرطاة بنُ سَهيّة) وهى أمّه بنت رامل[1] بن مروان. وأبو أرطاة زُفَر بن حرى[2] بن شَدّاد بن ضَمرة بن عسان[3] بن أبى حارثة.

ومنهم (النابغة) وهو زِياد بن معاوية بن ضِباب بن يَرْبوع بن غَيظ. وإنّما نبغ بعد أن أسنّ.

وممن يعرف بأمّه (ابن مَيّادة[4]) وهو الرّماح بن الأبرد بن مرداس[5] ابن سُراقة، أخو بنى مُرّة بن عوف.

ومنهم (المُزَعفر) وهو مَعْن بن حذَيفة بن الأشيَم بن عبد الله بن صِرْمة ابن مُرّة.

ومنهم (الشّمّاخ) وهو مَعقِل بن ضِرار بن سِنان بن أميّة بن عَمرو ابن جِحاش.

و (مزرِّد) بن ضِرار، وهو يزيد، وإنما زرّده قولُ الحادرة:

---

(١) كذا بالراء المهملة فى النسختين.

(٢) فى سمط اللآلئ ٢٩٩: «جزء».

(٣) بالعين المهملة فى النسختين. وفى الأغانى ١١ : ١٣٤: «غطفان». وفى تصحيح الأغانى للشنقيطى: «عقفان».

(٤) ميادة أم ولد بربرية، وقيل صقلبية، وكان هو يزعم أنها فارسية. وفى ذلك يقول:

أنا ابن أبى سلمى وجدى ظالم وأمى حصان أخلصتها الأعاجم
أليس غلام بين كسرى وظالم بأكرم من نيطت عليه التمائم

(٥) فى سمط اللآلئ ٣٠٦: «ثريان».

فقلت تَزَوَّدْها يَزِيدُ فإنَّنى لدُرْدِ الموالى فى السِّنَين مزرِّدُ[١]

ومنهم (الحادرة) وهو قُطْبة بن مِحصَن بن جَرْوَل بن حبيب، أخو بنى خُزيمة بن رِزام بن ناشب، وإنما حدّره قولُ مزرِّد له:

كأنَّك حادرةُ المنكبيـ ـن رصعاء تُنقِضُ فى حائرِ[٢]

ومن بنى فَزارة بن ذبيان

(عُويف القَوافى) بن مُعاوية بن حِصن بن حُذيفة. وهو القائل:

سأُكذِبُ مَن قد كان يزعُم أنَّنى إذا قلت قولًا لا أجيد القوافيا

ومنهم (نَعامة) وهو بَيْهَس، أخو بنى غُراب بن ظالم بن فَزارة؛ بقوله: ١٣٣

ولأطرقَنْ قوماً وهم نيامٌ ولأبرُكَنَّ بِركةَ النَّعامه[٣]

قابضَ رجلٍ وباسطَ أُخرى والسَّيف أقدّمه أمامه

وممن يعرف بأمّه (ابن أمّ دِينار)، وأبوه وُبير أخو بنى مازن بن فزارة.

ومنهم (ابن طَوْعة) وهى أمُّه، وهو نصر بن عاصم بن عقبة بن حصن ابن حذيفة[٤].

ومنهم (ابن عَنْقاء) وهو عَبد قيس بن بجوة، أخو بنى مازن بن فَزَارة.

---

(١) انظر الاشتقاق ١٧٤ والإصابة ٦ : ٨٥ والخزانة ٢ : ١١٧ والمؤتلف ١٩٠ وشرح الأنبارى للمفضليات ١٢٧. وفى الشعراء ٢٧٤: «لدرد الشيوخ»: والدرد: جمع أدرد، وهو الذى ليس فى فمه سن.

(٢) يعنى الضفدع. الرصعاء، أصله المرأة لاعجيزة لها. تنقض: تصوت. الحائر: مكان مطمئن يجتمع فيه الماء. وبعد البيت، كما فى الأغانى ٣ : ٧٩:

عجـوز ضفادع محجوبة يطيف بها ولدة الحاضر

(٣) صدره فى المزهر ٢ : ٤٤٠: «لأطرقن حيهم صباحاً».

(٤) انظر نوادر المخطوطات ١ : ٨٤.

ومن بنى عبد الله بن غطفان

(قَعْنَب بن أمّ صاحب)، وأبوه ضَمْرة، أخو بنى سُحَيم بن عمرو بن خُدَيج ابن عَوف بن ثعلبة بن بُهْثة .

ومن بنى عبس

(الكامل)، وهو الرَّبيع بن زياد بن سفيان بن عبد الله بن ناشب بن هِدم.
و (عنترةُ الفَلحاء) بن شدّاد بن معاوية ، وكان مشقّق[1] الشقة السفلى .
و (الحطيئة) وهو جَرْوَل بن أوس بن مالك بن جُؤيّة بن مخزوم[2] .
و (عُروة الصعاليك) بن الوَرد بن عمرو بن عبد الله بن ناشب .

ومن أشجع بن دُريد بن غطفان

(جُبَيْهاء) وهو يزيد بن عُبيد بن عقيلة .

ومن باهلة

(الأعشى) وهو عامر بن الحارث[3] .

ومن غَنىّ بن يَعصُر

(المحبّر) وهو طُفيل الخيل بن عَوف بن خلف بن ضَبَيْس .

---

(١) جعلها الشنقيطى « مشقوق » . وانظر لعنترة هذا اللسان (فلح ٣٨٢) .
(٢) سمط اللآلئ ٨٠ والخزانة ١ : ٤٠٩ والعينى ١ : ٤٧٣ والأغانى ٢ : ٤١ ـ ٥٩ والشعراء ٢٨٠ .
(٣) سمط اللآلئ ٧٥ .

ومن بنى سُلَيم بن منصور

ممن يعرف بأمه (خُفاف بن نَدبة) وهى أُمُّه ابنة الشيطان[1] بن قَنَان . وأبو خفاف عُمير بن الحارث بن الشَّريد ، وهو عمرو بن رِياح .

ومنهم (ابن قَرقَرة) وهو زُرعة بن السَّليم بن قيس بن مطرود بن مالك، وكان قتل أباه وهرب إلى بنى تغلب، فنسبوه فقال: أنا ابن قَرقرة. يريد الأرض.

ومن بنى ثقيف

(ابن الذِّئبة) وهو ربيعة بن عبد يَالِيل[2] .

١٣٤ ومنهم (الأجش) وهو مرداس بن سهم بن عمرو بن عبد الله بن الفجو ابن أبان .

ومنهم (الأحرد[3]) وهو مُسلم بن عبد الله بن سفيان بن عبد الله بن معتّب .

ومنهم (يزيد بن ضَبّة) وهى أُمُّه ، وأبوه مقسم .

ومن بنى سلول

(العَطّار) وهو عبد الله بن هَمّام بن بيشة بن رياح. لقّب بذلك لحسن شعره.

ومن بنى نصر بن معاوية

(الأخنَن) وهو أبو سمر بن أساس[4] أخو بنى شعب بن دُهْمان .

و (أبو الضريبة) وهو أبو أسماء بن عوف بن عباد بن يربوع بن وائلة ابن دُهمان .

---

(١) رسمت فى النسختين : « الشيطن » . وانظر الخزانة ٢ : ٤٧٢ .

(٢) انظر نوادر المخطوطات ١ : ٩٠ .

(٣) بالحاء المهملة فى النسختين . (٤) كذا فى النسختين .

ومن بنى جعدة

(النابغة) وهو قَيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة .

و (المجنون) وهو مَهدى بن الملوَّح .

ومنهم (الأقْرَع) وهو الأشيم[١] بن معاذ بن سنان بن حزن ، أخو بنى قشير ، قرّعه قوله لمعاوية :

مُعاوِىَ من يَرقِيكمُ إن أصابكم ... شَبا حَيَّةٍ مما غَذَا القُفُّ أقرعُ[٢]

ومنهم (أبو الحيا) وهى أمّه ، وهو سَوَّار بن أوفى بن سيرة[٣] بن سلمة ابن قشير .

و (القعقاع بن ربعيّة) ، وهى أمّه غلبت على نسبه .

ومنهم (ابن الطَّثْرية) وهى أمّه من عَنْز بن وائل . وهو يزيد بن الصِّمّة[٤] أخو بنى قُشَير .

ومن بنى كلاب

(الأعور) وهو نُفاثة بن مرّ بن عبد الله بن حارثة ، أخو بنى الصَّموت.

ومن بنى أبى بكر بن كلاب

(القَتَّال) وهو عَبَّاد بن مُجيب بن المضْرَحىّ بن حبيب .

ومنهم (مُرْخِيَة) وهو شداد بن مالك بن شدّاد ، أرخاه قوله :

---

(١) فى النسختين : « الايشم » ، صوابه فى اللسان (قرع) .

(٢) فى اللسان والمزهر ٢ : ٤٣٧ : «مما عدا القفر» ، صواب هذه : «مما غذا القفر» .

(٣) وردت فى النسختين بالياء المثناة .

(٤) وقيل يزيد بن المنتشر . سمط اللآلئ ١٠٣ ومراجعه .

فحطّوا بالزّوايا من نحيط ورخّوا المحضَ بالنُّطَف العذابِ

ومن بنى كلاب

(الجرّار)، وهو عَوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب .

ومنهم (مريرة)، وهو شُرَيح بن الأحوص بن كلاب .

١٣٥ ومنهم (معود الحكماء[1])، وهو مُعاوية بن مالك بن جعفر، عوّده قوله :

أعوِّد مثلَها الحكماء بعدى إذا ما الحقُّ فى الأشياع نابا[2]

وله يقول قيس بن مقلد الكُلَيبى :

أتيت بنى سَعد بن زيدٍ بجيِّها كتائب يهديها الرئيس معوِّدُ

ومنهم (الهَدّار) وهو عِياض بن الحارث بن عُتْبة بن مالك بن جعفر .

و(ابن عُقَاب) وهى أُمُّه، وهى سَوداء، وهو جعفر بن عبد الله بن قبيصة .

وهو القائل :

وضَمَّتنى العُقَاب إلى حَشاَها وخَير الطير قد علموا العُقابُ

فتاةٌ من بنى حامِ بن نُوح سَبَتْها الخيل غَصْباً والركابُ

ومنهم (ابن عَيْساء[3]) وهى أُمُّه، أبوه شُريح بن الأحوص بن جعفر .

ومنهم (المقطع) وهو الهَيْثم بن هُبَيرة بن عبد الله بن عامر بن حُنذُج بن البَكّاء . قطّعه قوله :

قد كنتُ أدعَى هَيْثماً فأصابنى قَوارعُ منها قد نسيت المقطما[4]

---

(١) ا : «الحكم»، تحريف . وانظر الخزانة ٤ : ١٧٤ والاقتضاب ٣٢٠ وسمط اللآلى ١٩٠ . وفى المزهر ٢ : ٤٣٦ : «معود الحكام» فى هذا وفى إنشاد البيت .

(٢) البيت ١٥ من المفضلية ١٠٥ .

(٣) أصل معناه البيضاء يخالط بياضها شقرة .

(٤) نسيت، جعلها الشنقيطى «تشيب» .

ومن بني نمير بن عامر

(الرّاعي) وهو عُبيد بن الحُصين بن معاوية بن جَندل [١] ، سمّي راعياً لقوله أبياتاً يصف فيها راعياً [٢] .

ومنهم (جران العَوْد) غلب لقبُه على اسمه لقوله :

عَمَدت لعَودٍ فالتحيتُ جِرانَه ولَلكَيسُ أمضَى في الأمور وأنجحُ [٣]
خُذا حذَراً يا حِبَّتَيّ فإنّني رأيتُ جِران العَود قد كاد يصلح [٤]

ومنهم (خَنْزَر) وهو إمام بن أقرم [٥] ، أخو بني بدر بن ربيعة بن عبد الله ابن الحارث .

ومن بني هلال بن عامر

(حميد الجِمالات [٦]) ابن ثور ، وكان لا يذكر ناقةً في شعره إلاّ ذكر معها جَمَلا .

---

(١) بن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة . الأغاني ٢٠ : ١٦٨ والخزانة ١ : ٥٠٤ وسمط اللآلئ ٥٠ والمؤتلف ١٢٢ والاشتقاق ١٧٩ والشعراء ٣٧٧ . ويكنى أبا جندل ، وقال ابن حبيب : « يكنى أبا نوح » . الاقتضاب ٣٠٣ س ١١ .

(٢) هي قوله كما في سمط اللآلئ :

ضعيف العصا بادي العروق تخاله عليها إذا ما أمحل الناس إصبعا
حذا إبل إن تتبع الريح مرة يدعها ويخف الصوت حتى تريعا
لها أمرها حتى إذا ما تبوأت لأخفافها مرعى تبوأ مضجعا

وانظر أمالي القالي ٢ : ١٤٠ والمزهر ٢ : ٤٤٢ .

(٣) ديوان جران العود ٩ والمزهر ٢ : ٤٤١ والشعراء ٦٩٦ والخزانة ٤ : ١٩٨ . والعود : البعير المسن . والجران : باطن العنق الذي يضعه على الأرض إذا مد عنقه لينام . وكان قد عمد إلى بعير فنحره وسلخ جرانه ثم مرنه وجعل منه سوطا .

(٤) الحبة ، بكسر الحاء : الحبيبة . وفي الشعراء : « ياحنتي » بالنون وفتح الحاء ، والحنة : الزوجة . وفي الديوان : « ياخلتي » . وفي الخزانة : « ياضرتي » .

(٥) قال التبريزي : « اسمه الحلال » . وانظر ما كتبت في حواشي شرح الحماسة للمرزوقي ١٥٠٦ .

(٦) الجمالات : جمع جمال ، كما قالوا : رجال ورجالات . وقرئ : « كأنه جمالات صفر » .

ألقاب شعراء ربيعة بن نزار

منهم (المسيّب) واسمه زُهير بن عَلَس بن عمرو بن عدى بن مالك بن جُشَم،
١٣٦ أخو بنى ضُبَيعة بن ربيعة. وإنما سيَّبه أنَّ بنى عامر بن ذُهْل أوْعَدُوه، فقال له
قومه: قد سيّبناك والقومَ[1].

ومنهم (المتلمِّس)، وهو جرير بن عبد المسيح، لمَّسه قوله:

وذاك أوانُ العِرضِ حَىَّ ذبابُه زَنابيرُه والأزرقُ المتلمِّسُ[2]

ومنهم (يَزيدُ الغوانى) وهو يَزيد بن سُويد بن حِطَّان[3]، أخو بنى ضُبيعة ابن ربيعة، وهو القائل:

لا تَدعُونِّى بعدها إنْ دعوتَنى يزيدَ الغوانى وادعُنى للفوارس

ومنهم عميرة (الأقشر) وهو عقبة بن لقيط، القائل:

إنى أنا الأقشر ذاكم نَزَبى[4] أنا الذى يعرف قومى حَسَبى
فى عُصبة كريمة المركَّبِ[5]

---

(١) هذا يطابق ما فى شرح الأنبارى للمفضليات ٩١ — ٩٢. وفى الشعراء والشعر ١٢٧. «وإنما لقب المسيب ببيت قاله»: وهو كما فى الاشتقاق ١٩١ — ١٩٢ والخزانة ١: ٥٤٥ عنه:

فإن سركم ألا تؤوب لقاحكم غزارا فقولوا للمسيب يلحق

وذكر صاحب الخزانة أيضاً أنه «المسيب» اسم فاعل، وقال: «لقب به لأنه كان يرعى إبل أبيه فسيبها، فقال له أبوه: أحق أسمائك المسيب، فغلب عليه».

(٢) ديوان المتلمس ٦ نسخة الشنقيطى والحيوان ٣: ٣٩١ والشعراء ١٣٣ والمزهر ٢: ٤٣٦.

(٣) انظر أمالى الزجاجى ١٣٣.

(٤) النزب، بالتحريك: اللقب. ا: «تزبى»، والتصحيح للشنقيطى.

(٥) المركب: الأصل والمنبت.

ومن عبد القيس

(الأعور) وهو حيم بن الحارث ، من بنى صَبِرة بن عمرو بن الدِّيل بن شنّ.

ومنهم (الممزَّق) وهو شأس بن نَهار بن أسود بن جزيل[1] وهو القائل :

فإن كنتُ مأكولا فكنْ خيرَ آكل ... وإلاَّ فأدركْنى ولمَّا أمزَّق[2]

ومنهم (المفضَّل) وهو عامر بن مَعْشر بن أسحَم[3] بن عدىّ[4] ، فُضِّل بقصيدته المُنْصِفة[5] لقوله :

فأبكَيْنا نساءهمُ وأبكَوْا ... نساء ما يسوغُ لهنَّ ريقُ

ومنهم (المثقِّب) وهو عائذ بن مِحْصَن بن ثعْلبة[6] . ثَقَّبه قوله :

رَدَدنَ تحيّةً وكَنَنَّ أخرى ... وثَقَّبنَ الوصاوِصَ للعُيونِ[7]

---

(١) فى النسختين « حريك » ، تحريف . وتتمة نسبه بعد ذلك : بن حى بن عساس بن حي بن عوف بن سود بن عذرة بن منبه بن نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس . جمهرة ابن حزم ٢٨٢ وشرح الأنبارى للمفضليات ٥٩١ .

(٢) انظر الاشتقاق ١٩٩ وابن سلام ١٠٨ وابن قتيبة ٣٦٠ والمؤتلف ١٨٥ والمرزبانى ٤٩٥ وشواهد العينى ٤ : ٥٩٠ وشواهد المغنى ٢٣٣ والمزهر ٢ : ٤٣٥ ـ ٤٣٦ . وهو من الأصمعية ٥٨ . يعتذر فيه إلى النعمان بن المنذر من وشاية بلغته .

(٣) فى النسختين : « أسحم » ، صوابه فى طبقات ابن سلام ١٨٠ واللآلى ١٢٥ .

(٤) تتمة نسبه : بن شيبان بن سويد بن عذرة بن منبه بن نكرة بن لكيز بن أفصى ابن عبد القيس .

(٥) المنصفات : القصائد التى أنصف قائلوها فيها أعداءهم ، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوا من أحوالهم من إمحاض الإخاء . انظر حواشى شرح الحماسة للمرزوقى ٤٤٠ ، ٤٤٢ .

(٦) بن وائلة بن عدى بن عوف بن دهن بن عذرة بن منبه بن نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . سمط اللآلى ١١٣ وابن سلام ١٠٧ والاقتضاب ٤٢٥ ـ ٤٢٦ والخزانة ٤ : ٤٢٩ ـ ٤٣١ والشعر والشعراء ٣٥٦ .

(٧) البيت ١١ من المفضلية ٧٦ ، برواية :

* ظهرن بكلة وسدلن أخرى *

ومن بنى تغلب

(الأعشى) ، وهو يعمر بن نَجْوان[١] .

ومنهم (أُفنون) وهو صُرَيم بن مَعْشر بن ذهل بن غَنْم[٢] . فَنَّنه قوله :

مَنَّيتِنا الودَّ يا مضنونُ مضنونا   أيّامَنا إنّ للشُّبان أُفنونا[٣]

ومنهم (ابن شَلْوة) ، وهو بشر بن سَوَادة ، أخو بنى مالك بن بكر ابن حبيب[٤] .

ومنهم (الأخطل) ، وهو غِياث بن غَوث بن الصَّلت بن طارقة[٥] .

١٣٧ ومنهم (مُهلهِل) وهو امرؤ القيس[٦] بن ربيعة بن مُرّة[٧] بن الحارث ابن زُهير بن جُشَم . هلهله قولُه لزهير بن جَنَاب الكلبى :

---

(١) فى المؤتلف ٢٠ : « نعمان بن نجوان ، ويقال ربيعة بن نجوان بن أسود ، أحد بنى معاوية بن جشم بن بكر » . وفى الأغانى ١٠ : ٩٣ : « قال أبو عمرو الشيبانى : اسمه ربيعة . وقال ابن حبيب : اسمه النعمان بن يحيى بن معاوية » . وهو شاعر من شعراء الدولة الأموية وساكنى الشام . وكان نصرانيا ، وعلى ذلك مات .

(٢) فى الخزانة ٤ : ٤٦٠ : « بن ذهل بن تيم بن مالك بن حبيب بن عمرو بن تغلب » .

(٣) فى النقائض ٨٨٦ : « وكان يشبب بنساء قومه ، فقالت امرأة منهم : لأسمين نفسى وابنتى اسماً لايشبب به صريم . فسمت بنتا لها مضنونة ، فقال صريم عند ذلك ليريها أن ذلك لاينفعها . . » . وأنشد البيت . وانظر سمط اللآلى ٦٨٥ والمؤتلف ١٥١ .

(٤) نوادر المخطوطات المجلد الأول ص ٩٢ .

(٥) ابن عمرو بن سيحان بن الفدوكس بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . الأغانى ٧ : ١٦١ .

(٦) وقيل اسمه « عدى » . والشاهد لذلك قوله :

ضربت صدرها إلى وقالت   ياعديا لقد وقتك الأواقى

ورواه الآخرون : « يا امرأ القيس حان وقت الفراق » . اللآلى ١١١ .

(٧) كذا فى النسختين . وإنما هو ربيعة بن الحارث . الخزانة ١ : ٣٠٠ – ٣٠٤ والمؤتلف ١١ والمرزبانى ٢٤٨ واللآلى ١١١ .

لمَّا توعَّر في الكُراع هَجينُهم هَلهلتُ أثأر جابرا أو صِنْبِلا[1]

ومن بنى بكر بن وائل

من بنى عجل (المفرِّض[2]) وهو زَهْدَم بن مَعبد بن الحارث بن هلال ـ فرَّضه قوله :

وأنا المفرِّض في جُنــو بِ الغادرين بكلّ جار
تفريضَ زندةِ قادح في كلّها يُورَى بنار

ومنهم (الدهاب[3]) وهو سلمة بن مجمّع بن عذبة بن أسامة .

ومنهم (الغريِّب) ، وهو نعيم ، وهو القائل :

أنا نعيم وأنا الغـريِّب اسمًا كرامٍ لهما أحبَّب

ومنهم (كَبِد الحصاة[4]) وهو عمرو بن قيس ، أحد بنى جُندب بن ربيعة بن ضُبيعة بن عجل .

ومن بنى تيم اللات بن ثعلبة بن عُكابة

(المِـكواة[5]) وهو عبد الله بن خالد بن حَجَبة بن عمرو بن عبد الله بن عابد . وهو القائل :

---

(١) توعر ، روى بدلها : « توغل » و « توقل » . الخزانة وجمهرة ابن دريد ٣ : ١٩٧ . والكراع : عنق من الحرة ، أو ركن من الجبل . والهجين هو امرؤ القيس بن حمام ، ابن أخى زهير بن جناب ، وكان قتل جابرا وصنبلا ، رجلين من بنى تغلب .

(٢) ا : « المفوض » وكذا فى جميع الكلمات المماثلة « فوضة » و « تفويض » . والتصحيح للشنقيطى .

(٣) جعلها الشنقيطى « الرهاب » بالراء .

(٤) ذكره المرزبانى فى المعجم ٢٢٤ وقال : إنه شاعر جاهلى .

(٥) ا : « المكولة » ، وقد جعلها الشنقيطى « المكوى » ، وما أثبت هو أقرب تصحيح ، وهو المطابق لما فى المزهر ٢ : ٤٣٥ .

ومثلكَ قـد عَلَلتُ بكأسِ غيظٍ   وأَصْيَدَ قد كويتُ على الجَبينِ[١]

وقال أيضاً :

وإنّي لأكوى ذا النَّسا من ظُلاَعِه   وذا الغَلَقِ المُعْيِي وأكوِى النَّواظرا[٢]

وقال أيضاً :

لُجَيم وتَـيمُ اللهِ عِزِّى وناصِرِى   وقيسٌ بها أكوىالنَّواظِر والصَّدَا[٣]

ومنهم (الحَشَّاث) ، وهو بَشير بن دُرَيج بن الحارث بن غَنْم بن عائذ . حشَّه[٦] قوله :

ومَشهد أبطالٍ شَهِدتُ كأنَّما   أحشُّهم بالمشرفىِّ المهنَّـدِ

١٣٨ ومنهم (الأعور) ، وهو زياد بن فَروة بن دُرَيج .

ومنهم (الهِجَفّ) ، وهو كعب بن كِرَام بن عمرو بن ثعلبة[٥] . هَجّفه قولُه :

يرجِّى ابن مُعطٍ ردَّها وانتحالَهَا   هِجَفٌّ جفت عنه الموالىفأصعَدا[٦]

ومنهم (المجنون) وهو موألة بن عامر بن مالك بن الحارث بن ثعلبة .

---

(١) الأصيد : الذى يرفع رأسه كبرا . وفى اللسان (صيد) : « ودواء الصيد أن يكوى موضع بين عينيه فيذهب الصيد » . وأنشد :

* أشفى المجانين وأكوى الأصيدا *

وإنما كنى شاعرنا عن إذلال العزيز .

(٢) النسا : عرق يمتد من الورك إلى الكعب . وذو النسا : الذى يشتكى نساه . الظلاع ، بضم الظاء : داء يأخذ فى القوائم فتظلع منه ، أى تعرج . والغلق : العجز عن البيان ، استغلق الرجل : إذا أرتج عليه فلم يتكلم . المزهر : « وذا الغلق المعمى » ، تحريف .

(٣) الصدى : الدماغ نفسه ، وحشو الرأس ، وموضع السمع من الرأس

(٤) المألوف فى مثله أن يقال « حشه» .

(٥) فى المزهر ٢ : ٤٤٠ أن اسمه « كريم بن معاوية » .

(٦) فى المزهر : « ترجى ابن معط وردها وانتحى لها » . الهجف : الجافى الثقيل .

ومِمن يعرف منهم بأمّه (ابن زَيَّابة) ليس يُعرف إلا بها . وهو سَلمة بن مالك بن ذُهل بن تيم الله[١] . وهى زَيَّابة بنت شيبان بن ذُهْل بن ثعلبة .

ومن بنى قيس بن ثعلبة

(جُهُنَّام) وهو عمرو بن قَطَن بن المنذر بن عَبْدان بن حبيب[٢] .

ومنهم (الأعشى) وهو مَيْمون بن قيس بن جَنْدل بن شَرَاحيل بن عوف بن سَعد بن ضُبَيعة[٣] .

ومنهم (المرقِّش الأكبر) وهو عَمرو بن سَعد بن مالك بن ضُبيعة رقَّشه قولُه :

الدار قفرٌ والرُّسومُ كما رقَّش فى ظَهْرِ الأديمِ قَلَمْ[٤]

ومنهم (طَرَفة) ، وهو عبيد بن العبد[٥] بن سفيان بن سَعد بن مالك[٦] .

---

(١) فى سمط اللآلئ ٥٠٤ أن ابن زيابة هو الحارث بن همام ، أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة . وفى الخزانة ٢ : ٣٣٣ عن أبى رياش فى شرح الحماسة أنه « عمرو بن لأى، أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة ، وهو فارس مجلز » . وقال أبو محمد الأعرابى والمرزبانى : اسمه سلمة بن ذهل.

(٢) بن عبدان بن حذافة بن حبيب بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة . وهو الذى هاجى أعشى بنى قيس بن ثعلبة . وفيه يقول الأعشى :

دعوت خليلى مسحلا ودعوا له جهنام جـدعاً للهجين المذمم

ومسحل : شيطان الأعشى فيما يقال . ومن قول جهنام :

أجاع تزعم لو أنى لقيت ابن حواء ما ضرنى
بلى إن يد قبضت خمسها عليك مكانا من الأمكن

معجم المرزبانى ٢٠٣ .

(٣) بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . وهذا الأعشى هو الأعشى المشهور .

(٤) البيت ٢ من المفضلية ٥٤ .

(٥) فى المزهر ٢ : ٤٤١ : « عمرو بن العبد » . وكذا فى الخزانة ١ : ٤١٤ .

(٦) ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل .

طَرَفَة قولُه :

لا تُعجِلا بالبكاء اليومَ مطَّرِفا ولا أميرَكما بالدَّار إذْ وقفا[١]

ومنهم (الضائع)[٢] وهو عَمرو بن قَمِيئة[٣] بن سَعْد بن مالك . وهو الذى يقول له امرؤ القيس وكان خرج معه إلى قيصر :

بكى صاحِبى لمَّا رأى الدَّربَ دونَنا وأيقنَ أنَّا لاحقانِ بقَيْصرا[٤]

ومنهم (المرقِّش الأصغر) وهو عَمرو بن حَرْملة بن سعد بن مالك .

ومن بنى شيبان

(النَّابغة) وهو عَبد الله بن المُخارق بن سليم[٥] بن خضير[٦] .

ومنهم (الأعشَى) وهو عبد الله بن خارجة بن حبيب بن عَمرو بن العائذى[٧] ، من عائذة قريش .

---

(١) فى المزهر : « ولا أميركما » .

(٢) ا : « الضالع » ، ب بتصحيح الشنقيطى : « الظالم » ، والصواب ما أثبت من المؤتلف ١٦٨ قال : « دخل بلد الروم مع امرئ القيس فهلك ، فقيل له عمرو الضائع » .

(٣) فى المؤتلف : بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة .

(٤) الدرب : مضيق بين طرسوس وبلاد الروم .

(٥) وكذا فى الأغانى ٦ : ١٤٦ . وفى المؤتلف ١٩٢ واللآلى ٩٠١ : « سليمان » .

(٦) بن مالك بن قيس بن سنان بن حضار بن حارثة بن أبى ربيعة بن ذهل بن ثعلبة » . وهو شاعر بدوى من شعراء الدولة الأموية : قال أبو الفرج : « وكان فيما أرى نصرانيا ، لأنى وجدته فى شعره يحلف بالإنجيل وبالرهبان وبالأيمان التى يحلف بها النصارى» .

(٧) كذا . وهو يوحى بأن فى الكلام قبله سقطا .

ومن قضاعة ثم من كلب

(الأصمّ) وهو مالك بن جناب بن هُبَل بن عبد الله بن كنانة بن بكر . سمّى لقوله :

أصمُّ عن الخنا إنْ قِيل يوماً   وفى غير الخنا أُلفَى سميعا

ومنهم (ابن الطرامة) وهو جبار بن حارثة بن حَوْط. والطرامة أَمَة حضنته فغلبت عليه . ١٣٩

ومن سعد هذيم

(جَوّاس) وهو عبد الله بن قُطْبة بن ثعلبة بن الموذاء بن عمرو بن الأحبّ.

ومن بنى نهد

(ابن سَخْلة) وهى أمُّه ، وهو قيس بن عبد الله بن غَنْم بن صبح .

ومنهم (ابن المنتفة) وهو يسار بن عامر بن كُوز بن هلال بن نصر ابن زِمّان .

ومنهم (المقعّب) وهو خيثم بن عمرو بن سَعد بن صريم .

ومن الأنصار

(الحُسَام[1]) وهو (ابن الفُرَيعة) وهو حَسّان بن ثابت بن المنذر

---

(١) ويكنى أيضاً أبا الحسام . اللآلئ ١٧١ .

ابن حَرَام .

ومنهم (ابن الإطنابة) بها يُعرَف ، وهى أمُّه بنت شِهاب بن بقان[1] من بَلْقَيْن[2] . واسم ابن الإطنابة عَمرو بن عامر بن زيد مَناةَ بن مالك الأغرّ[3] .

ومنهم (الزمق) وهو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن الخزرج .

ومن خزاعة

(ابن الُحدَادِية[4]) وهى من مُحارب بن خَصَفة . واسم ابن الُحدَادية قيس بن مُنقذ بن عَمرو بن أصرم بن طاطر بن حُبْشية[5] .

ومن بارق

(المعقِّر) ، وهو سُفيان بن أوس بن حِمار . عقَّره قوله :

لها ناهضٌ فى الوكر قد مَهَدتْ له كما مَهَدت للبَعْل حسناء عاقر[6]

(١) فى معجم المرزبانى ٢٠٣ : « زبان » .

(٢) فى النسختين : « بن بلقين » تحريف . وفى معجم المرزبانى : « من بنى القين بن جسر » ، وبلقين ، أى بنى القين .

(٣) وكذا فى معجم المرزبانى . وفى سمط اللآلئ ٥٧٥ : « بن مالك بن الأغر » . وتمام نسبه : بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج .

(٤) نسبة إلى بنى حداد ، بضم الحاء وتخفيف الدال . انظر الاشتقاق ٨٧ وما كتبت فى حواشى نوادر المخطوطات ١ : ٨٦ ــ ٨٧ .

(٥) كذا . وفى الأغانى ٢٣ : ٢ : « بن عمرو بن عبيد بن ضياطر بن صالح بن حبشية » .

(٦) وكذا جاءت نسبته فى الأغانى ١٠ : ٤٥ والمزهر ٢ : ٣٤٨ . لكن نسب فى الحيوان ٧ : ٣٧ ــ ٣٨ إلى دريد بن الصمة .

ومن الأزد

(ثابتُ قُطَنة[١]) بنُ كعب[٢] ، وله يقول حاجبُ الفيل[٣] :

ما يعرفُ الناس منه غَير قُطنَته وما سواهُ من الآباء مجهولُ

وكان يحشو عينه بقطنة .

ومن هَمْدان

(الأعشى) وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام[٤] .

ومنهم (المذنوب[٥]) وهو كثير بن أبى حَيَّة .

ومنهم (الوازع) وهو حشيش بن عبد الله بن مر بن سلمان بن مَعْمر .

(١) كان من شعراء خراسان وفرسانهم فى أيام الدولة الأموية ، وذهبت عينه فى حرب من الحروب فكان يحشوها بقطنة ، فسمى « ثابت قطنة » . وانظر الاشتقاق ٢٨٤ والأغانى ١٣ : ٤٧ ـ ٥٤ والخزانة ٤ : ١٨٤ ـ ١٨٧ والشعراء ٦١٢ .

(٢) وقيل : بن عبد الرحمن بن كعب .

(٣) وكذا فى الطبرى ٨ : ١٨٥ والأغانى ١٣ : ٤٨ الخزانة . وفى الأغانى ١٣ : ٤٩ ـ ٥٠ أن ثابتا هو الذى قال هذا البيت يتوقع أن يهجى بهذا المعنى ، فرأى أنه يسبق الشعراء إليه ، وأشهد عليه الناس ، فلما هجاه به حاجب الفيل استشهدهم على أنه هو قائله .

(٤) ا : « بطام» ب : « بظام»، صوابه ماأثبت من المؤتلف ١٤ والأغانى ٥ : ١٣٨ . وتمام نسبه : بن جشم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الجن بن زيد بن جشم بن حاشد ابن جشم بن خيران بن نوف بن همدان .

(٥) جعلها الشنقيطى : « المذبوب » .

ومن جُعْفِىّ

(الشويعر) ، وهو محمد بن حُمْران بن أبى حمران[١] .

ومنهم (الخليج) وهو عبد الله بن الحارث بن عمرو بن وهب بن الحارث ابن سعد[٢] : خَلَّجه قوله :

كأنَّ تخالُجَ الأشطانِ فيها شآبيبٌ تجود من الغوادى[٣]

١٤٠ ومن بنى أَوْد

(الأفْوَه) وهو صَلاءة بن عمرو بن عَوف[٤] بن منبِّه بن أوْد .

ومن مُراد

(المكشوح) وهو هُبيرة بن عبد يَغُوث[٥] بن غُوَيل بن سلمة بن ندا . وكان كُشِح جَنْبُه بالنار .

---

(١) وأبو حمران هو الحارث بن معاوية بن الحارث بن مالك بن عوف بن سعد بن عوف بن سعد بن حريم بن جعفى بن الشاجى بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد . المؤتلف ١٤١ .

(٢) فى المزهر ٢ : ٤٣٨ : « عبد الله بن عمرو الجعفى » فقط .

(٣) فى المزهر : « كأن تخالج الأشطان فيهم » .

(٤) الذى فى الأغانى ١١ : ٤١ والعينى ١ : ٤٣١ ومعاهد التنصيص ٢ : ١٥٠ : « صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف » . وانظر سمط اللآلئ ٣٦٥ والشعراء ١٧٥ .

(٥) انظر المحبر لابن حبيب ٢٥٢ والاشتقاق ٢٤٧ وشرح القصائد السبع لابن الأنبارى ١١٩ .

ومن كندة

(الذَّائِد(١)) وهو امرؤ القيس بن بكر بن امرئ القيس(٢) بن الحارث ابن معاوية(٣) . سمِّي ذائداً لقوله :

أذودُ القوافىَ عنِّى ذِيادًا ذِيادَ غلامٍ غَوِىٍّ جَرادا(٤)

ومنهم (المقنَّع(٥)) وهو محمد بن عُمَيرة بن أبى شِمِر بن فُرْعان بن قيس(٦) . وكان مقنَّعا(٧) الدهرَ كلَّه .

ومن السَّكون

(ابن الغَزَّالة) وهو رَبيعة بن عبد الله بن ربيعة بن سلمة بن الحارث ابن سَوْم .

---

(١) فى النسختين : « الزائد » ، تحريف .

(٢) يطابقه ماورد فى المؤتلف ١٠ . لكن فى المزهر ٢ : ٤٣٧ إسقاط «امرئ القيس» هذه .

(٣) تمام نسبه : بن ثور بن مرتع الكندى .

(٤) وكذا فى المؤتلف . وفى ديوان امرئ القيس ، حيث نسب الشعر إليه : « جرئ جوادا » . وبعده :

فلما كثرن وأعيينى تنقيت منهن عشرا جيادا
فأعزل مرجانها جانبا وآخذ من درها المستجادا

(٥) ا : « النقيع » ، والتصحيح للشنقيطى .

(٦) فى النسختين : « فرغان بن قيسا » صوابه من الأغانى ١٥ : ١٥١ وسمط اللآلئ ٦١٥ . وتمام نسبه : بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولادة بن عمرو بن معاوية بن كندة بن عفير بن عدس .

(٧) ا : « نقيعا » وصححه الشنقيطى . وفى الأغانى : « كان المقنع أحسن الناس وجها وأمدهم قامة وأكملهم خلقا ، فكان إذا سفر لقع، أى أصابته أعين الناس — فيمرض ويلحقه عنت، فكان لا يمشى إلا مقنعا .

وفى خثعم

(ذو اليدَين) وهو نُفْيل بن حَبيب ، دليلُ أبرهةَ على الكعبة[١] .

ومن عُرّةِ قُضاعة

(مُدْرِج الرِّيح) وهو عامر بن المجنون[٢] ، دَرَّجه قوله :

أعَرفت رسماً من أُمامة باللِّوى   دَرَجت عليه الريحُ بعدكَ فاسْتَوى[٣]

ومن طيِّئ

(عارق) وهو قَيس بن جَروة بن الأُحَيصِن[٤] . عَرّقه قولُه :

لئن لم تغيِّر بعضَ ما قد فعلتمُ   لأَنتَحِيَنْ للعظم ذو أنا عارِقُه[٥]

---

(١) السيرة ٣١ ، ٣٥ ، ٣٦ والاشتقاق ٣٠٦ . وأنشد له ابن إسحاق شعرا فى الموضع الأخير .

(٢) فى الأغانى ٣ : ١٨ والمزهر ٢ : ٤٣٨ : « عامر بن المجنون الجرمى » .

(٣) وكذا فى المزهر برواية « من سمية باللوى » . وفى الأغانى : وإنما سمى مدرج الريح بشعر قاله فى امرأة كان يزعم أنه يهواها من الجن ، وأنه يسكن إليها فى الهواء ، وتتراءى له . وكان محمقا ، وشعره هذا :

لابنــة الجنى فى الجو طلل   دارس الآيات عاف كالخلل
درسته الريح من بين صبا   وجنوب درجت حينا وطل

(٤) كذا ، وفى الخزانة ٣ : ٣٣٠ ـ ٣٣١ : « قيس بن جروة بن سيف بن وائلة ابن عمرو بن مالك بن أمان بن ربيعة بن جرول بن ثعل الطائى الأجئى» . نسبة إلى أجا أحد جبلى طيئ ، وهما أجأ وسلمى .

(٥) انظر الحماسة بشرح المرزوق ١٧٤٢ ـ ١٧٤٣ والمزهر ٢ : ٣٤٨ والأغانى ١٩ : ١٢٨ .

و (أبو المهنَّد) بن معاوية بن حَرْملة بن رسم بن لوران[1] بن عَدىّ ابن فزارة .

صورة ما ورد فى ختام نسخة الأصل

وهى برقم ٢٦٠٦ تاريخ بدار الكتب المصرية :

«تم الكتاب بحمد الله وعونه بعد تعب شديد فى كتبه إذ كان أصله مكتوبة بالكوفى بخط محرف . على يد الفقير إلى رحمة الله تعالى يوسف بن محمد الشهير بابن الوكيل الملوى، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولأقاربه، ليلة الثلاثاء المسفر صباحها عن ثامن عشر جمادى الأولى من شهور سنة ١١١٤ ألف ومائة وأربعة عشر هجرية» .

---

(١) لعل قراءتها « زنيم بن لوذان » .

كتاب

العققَـــة والبَررة

لأبى عبيدة مَعمَر بن المثنّى

١١٠ — ٢١٠

مقدمة

أبو عُبيدة

لم يولد أبو عُبيدة معمر بن المثنَّى فى أرضٍ عربية ، ولم يكن مَغرِسه مغرساً عربياً ، فقد ولد فى بلاد فارس ، من أصل أعجمى يهودىّ . وهو يقول « حدَّثنى أبى أن أباه كان يهودياً بباجروان[١] » . حتى لقبه كان لقبا أعجمياً ، فكانوا يدعونه « سُبُّخْت » . ويذكر أبو الفرج فى الأغانى[٢] أن سبخت اسم من أسماء اليهود . وفيه يقول ابن مناذر[٣] :

نخذ من شعر كيسان ومن أظفار سُبُّخْتِ

يعنى أبا عبيدة .

ولم يكن له بدٌّ من أن يتولَّى بعضَ العرب ، فكان وَلاؤه لتَّيم ، تيم قريش لاتيم الرباب . ومن هنا كان نسبه « التيمى » .

وقيل : إن ولاءه كان لبنى عبيد الله بن معمر التيمى[٤] .

أبو عبيدة الشعوبى الخارجى :

وكان أبو عبيدة لايقيم العربية — فيما يزعمون — فكان مع لثغته إذا أنشد البيت من أبيات الشعر لم يُقم وزنه ، وإذا قرأ القرآن من المصحف أخطأ فى قراءته .

---

(١) باجروان مدينة من بلاد فارس قرب شروان .
(٢) الأغانى ١٧ : ١٩ .
(٣) البيان ٢ : ٢١٤.
(٤) الفهرست ٧٩ .

فهذه العُقْدة القَبَلية والإنسانية دفعت صاحبنا أن ينضوى تحت لواء الشعوبية التى تنكر فضل العرب ، بل تطعن على العرب وتُزرى بها وبمفاخرها ؛ وتجعله كذلك ثائراً على الدولة العربية الحاكمة ؛ فهو يجرى مع الخوارج فى ميدانهم ، ويجد له مأوًى حبيباً بين الإباضية منهم .

قال أبو حاتم السجستانى : كان أبو عبيدة يكرمنى على أنّى من خوارج سجستان(١) .

فكان أبو عبيدة يبغض العرب ، ويطعن فى أنسابها ، ويؤلّف بين مثالبها الكتاب إثر الكتاب ، ويمجِّد الفرسْ ويُعلى من شأنها . فهو حين يضع كتاباً فى فضائل الفُرس يؤلِّف آخر فى « مثالب العرب » وفى « لصوص العرب » .

وكتابنا هذا « العقفة والبررة » لعلَّ مما دفع أبا عبيدة إلى تأليفه ما فيه من رائحة الهجو للعرب الذين عُرفوا قديماً بالبر والوفاء .

فهو فى هذا قريع لسهل بن هارون صاحب بيت الحكمة ، الفارسى الأصل ، الشعوبى المذهب ، الذى وضع رسالته المشهورة فى البخل . وذلك أن العرب كان من أعلى أمجادهم الكرم والسخاء ، بذلك كانوا يُعرفون ، وبه يتفاخرون ، وأنَّ الفرس كانوا مشهورين بالبخل ، أو بعبارة أدق لم يكونوا معروفين بالكرم ، فصنع سهل رسالته فى تمجيد البخل وهجو السخاء لذلك .

أبو عبيدة والأصمعى :

ولعل هذا الميل الشعوبى هو الذى دفع بصاحبنا أن يصطنع عداوته لإمام العربية

---

(١) ابن خلكان ٢ : ١٠٧ .

عبد الملك بن قُريب الأصمعي، فالأصمعي كان عربيًّا متعصِّباً للعرب شديد العصبية شديد المحافظة والتوقى . ولقد بلغ من ذلك أنه كان لايقول فى تفسير ألفاظ الكتاب الكريم ، خشية أن يزلّ زللا دينياً أو لغوياً لايغتفر .

وأما أبوعبيدة فإنه كان لايعبأ بهذا المذهب ، فهو ينساق إلى أن يؤلف فى تفسير آى الله كتاباً سمّاه « المجاز » يعنى به الطريق الذى يسلك إلى فهم كلام الله. فيقول مثلاً فى تأويل قولِ الله « مالكَ يوم الدين » : « نصب على النداء ، وقد تحذف ياء النداء ، مجازه يامالك يوم الدين لأنه يخاطب شاهدا . . ومجاز من جرّ مالكِ يوم الدين ، أنه حدّث عن مخاطبة غائب(١) » . فيغضب الأصمعي من تأليف هذا الكتاب ويعيب على أبى عبيدة ويقول : « إنه يفسر ذلك برأيه » .

قال التوَّزىّ(٢) :

بلغ أبا عبيدة أن الأصمعي يعيب عليه تأليف كتاب المجاز فى القرآن ، وأنه قال : يفسّر ذلك برأيه . فسأل أبوعبيدة عن مجلس الأصمعي فى أى يومٍ هو ؟ فركب حماره فى ذلك اليوم ومرّ بحلقة الأصمعي فنزل عن حماره وسلّم عليه وجلس عنده وحادثه ، ثم قال له : يا أبا سعيد — وهى كنية الأصمعي — ما تقول فى الخُبز ؟ قال : هو الذى تخبزه وتأكله . فقال له أبو عبيدة : فسَّرت كتابَ الله برأيك . قال تعالى : إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا(٣) . قال الأصمعي : هذا شىء بانَ لى فقلتهُ ولم أفسِّره برأيى . فقال له أبو عبيدة : وهذا الذى تعيبه علينا كلُّه شىء بانَ لنا فقلناه ولم نفسِّره برأينا . ثم قام فركب حماره وانصرف .

---

(١) مجاز القرآن ١ : ٢٢ — ٢٣ .
(٢) ياقوت ١٩ : ١٥٩ .
(٣) الآية ٣٦ من سورة يوسف .

وهذه قصة أخرى تظهر ما كان بين الرجلين من منافسة لايبعد أن يكون مردُّها الباطنى إلى تلك العداوة العصبية .

قال أبو عثمان المازنى[١] : سمعت أبا عبيدة يقول :

أُدخِلت على الرشيد فقال لى : يامعمر ، بلغنى أن عندك كتاباً حسناً فى صفة الخيل ، أحب أن أسمعه منك . فقال الأصمعى : وما تصنع بالكتاب ؟ يُحضر فرس ونضع أيدينا على عضوٍ عضو ونسمّيه ونذكر مافيه . فقال الرشيد : ياغلام ، أحضِرْ فرسى . فقام الأصمعىّ فوضع يده على عضوٍ عضو وجعل يقول : هذا كذا ، قال الشاعر فيه كذا . حتى انقضى قوله ، فقال لى الرشيد : ما تقول فيما قال ؟ فقلت : قد أصاب فى بعضٍ وأخطأ فى بعض ، والذى أصاب فيه شىء تعلمه ، والذى أخطأ فيه لا أدرى من أين أتى به !

وتشتدُّ هذه المنافسة وتعلو حتى نرى الأصمعى يتّهم أبا عبيدة بما قال فيه القائل :

صلَّى الإله على لوطٍ وشيعته   أبا عبيدة قل بالله آمينا

فى قصَّةٍ نعفُّ عن تسجيلها .

وهذا التعصب الشعوبى ـ إلى ما كان يمتاز به أبو عبيدة من علم واسع ـ هو الذى دفع بإسحاق بن إبراهيم الموصلى[٢] الفارسى الأصل ، أن يخاطب الفضلَ ابن الربيع ويوصيَه بأن يؤثر أبا عبيدة على الأصمعى ، وأن ينفىَ الأصمعى عن حضرته ، وذلك قوله :

---

(١) ياقوت ١٩ : ١٦٠ .
(٢) ابن خلكان ٢ : ١٠٧ .

عليك أبا عبيدة فاصطنعه فإن العلم عنـد أبي عبيده
وقدِّمه وآثِرْه عليـــه ودع عنك القُريد بن القريده

لسانه أبي عبيدة :

ولست أعني به فصاحته ونصاعة بيانه، فقد كان أبو عبيدة كما أسلفتُ القول ذا لُثغة، بعيداً من أن يُقيم العربية، وإنما أعنى حدّةَ لسانه، فقد ذكر الرواةُ أن أبا عبيدة حين توفّى لم يحضر جنازته أحد، لأنه لم يكن يسلم من لسانه أحدٌ لا شريف ولا غيره.

ويروون أن الأصمعى كان إذا أراد الدخول إلى المسجد قال : انظروا لا يكون فيه ذلك. يعنى أبا عبيدة، خوفاً من لسانه.

ولقد حمل أبو عبيدة لسانَه ذلك معه إلى فارس.

قالوا(١) : خرج أبو عبيدة إلى بلاد فارس قاصداً موسى بن عبد الرحمن الهلالىّ، فلما قدم عليه قال لغلمانه. احترزوا من أبي عبيدة فإن كلامَه كلّه دِق. ثم حضر الطعام فصبَّ بعض الغِلمان على ذيله مرقة، فقال له موسى : قد أصاب ثوبك مرق، وأنا أعطيك عِوَضَه عشرة ثياب. فقال أبو عبيدة : لا عليك فإنَّ مرقك لا يؤذى ! — أى ما فيه دُهن — ففطن لها موسى وسكت.

وكان لقوة بداهته فضل كبير فى نجاحه عند الولاة وأصحاب السلطان.

يقول أبو عبيدة(٢) :

لما قدمتُ على الفضل بن الربيع قال لى : من أشعَر الناس؟ فقلت : الراعى.

---

(١) ابن خلكان ٢ : ١٠٧.

(٢) ابن خلكان ٢ : ١٠٧.

قال : وكيف فضّلته على غيره ؟ فقلت:لأنه ورد على سعيد بن عبد الرحمن الأموى فوصله فى يومه الذى لقيه فيه وصرفه ، فقال يصف حاله معه :

وأنضاء أنخن َ إلى سعيد طُروقاً ثم عجّلن ابتكارا
حمِدن مُناخه وأصبنَ منه عطاء لم يكن عِدَةً ضمارا

فقال الفضل : فما أحسن ما اقتضيتها يا أبا عبيدة ! ثم غدا إلى هارون الرشيد فأخرجَ لى صلة ، وأمر لى بشىء من ماله وصرفنى .

أبو عبيدة العالم :

كان من شيوخ أبى عبيدة شيخان جليلان : أحدهما يونس بن حبيب الذى يقول فيه أبو عبيدة[1] : « اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كلَّ يوم ألواحى من حفظه » .

والآخر أبو عمرو بن العلاء ، الذى يقول أبو عبيدة فى شأنه[2] : « كان أبو عمرو أعلَم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر » . ويذكرون أن كتبه التى كتبها عن العرب الفصحاء كانت قد ملأت بيتاً له إلى قريب من السقف .

وكان من شيوخه فى الحديث هشام بن عُروة .

وكان من تلاميذه أئمة فضلاء ، منهم أبو عُبيد القاسم بن سلاّم ، والأثرم على بن المغيرة ، وأبو عثمان المازنى ، وأبو حاتم السجستانى ، وعُمر بن شبّة النميرىّ ، وإسحاق الموصلى .

وكان من تلاميذه كذلك الخليفة « هارون الرشيد » . وكان هارون قد أقدمه من البصرة إلى بغداد سنة ١٨٨ وقرأ عليه بها أشياء من كتبه[3] .

---

(١) ابن خلكان ٢ : ٤١٦ .
(٢) ابن خلكان ١ : ٣٨٦ .
(٣) ابن خلكان ٢ : ١٠٥ .

استقدامه إلى بغداد :

كان ذلك فى سنة ١٨٨ . ويسرد لنا إسحق الموصلى ما كان من أمر استقدام أبى عبيدة من البصرة إلى بغداد فيقول(١) :

أنشدتُ الفضل بن الربيع أبياتاً كان الأصمعى أنشدَنيها فى صفة فرس له ، وهى :

كأنّه فى الُجلّ وهو سام   مشتملٌ جاء من الحمَّام
يسور بين السَّرج واللجام   سَورَ القطا خفّ إلى اليمام

قال : ودخل الأصمعى فسمعنى أنشدها ، فقال: هات بقيّتها . فقلت: ألم تقل إنه لم يبق منها شىء ؟ فقال : ما بقى منها إلاّ عيونها ! ثم أنشد بعدها ثلاثين بيتاً ، فغاظنى فعله، فلما خرجَ عرّفت الفضل بن الربيع قلّة شكره لعارفةٍ ، وبخله بما عنده، ووصفت له فضل أبى عبيدة معمر بن المثنى وعلمه ونزاهته، وبذله ما عنده ، واشتماله على جميع علوم العرب ، ورغّبته فيه حتى أنفذَ إليه مالاً جليلا واستقدمه ، فكنت سبب مجيئه إلى البصرة .

ويسرد لنا أبو عبيدة نفسُه قصّة لقائه الأول للفضل بن الربيع فيقول :

أرسل إلىّ الفضل بن الربيع إلى البصرة فى الخروج إليه سنة ثمان وثمانين ومائة ، فقدمت إلى بغداد واستأذنت عليه ، فأذنَ لى فدخلت عليه وهو فى مجلسٍ له طويل عريض ، فيه بساطٌ واحدٌ قد ملأه ، وفى صدره فُرش عالية لا يُرتقى إليها إلاّ على كرسىّ ، وهو جالسٌ عليها ، فسلّمت عليه بالوزارة فردّ وضحك إلىّ واستدنانى حتى جلستُ إليه على فرشه ، ثم سألنى وألطَفنى وباسطَنى وقال :

---

(١) معجم الأدباء ١٩ : ١٥٧ .

أنشدني . فأنشدته فطرب وضحك وزاد نشاطه . ثم دخل رجلٌ في زي الكتّاب له هيئة ، فأجلسه إلى جانبي وقال له : أتعرف هذا ؟ قال : لا . قال هذا أبو عبيدة علاّمة أهل البصرة ، أقدمناه لنستفيد من علمه ! فدعا له الرجل وقرّظه لفعله هذا وقال لي : إني كنت إليك مشتاقاً ، وقد سألت عن مسألةٍ أفتأذن لي أن أعرّفك إياها ؟ فقلت : هات . قال : قال الله عزّ وجلّ : « طلعها كأنه رؤوس الشياطين[1] » . وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عُرف مثله ، وهذا لم يُعرف . فقلت: إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم . أما سمعت قول امرئ القيس :

أيقتلني والمشرفيُّ مُضاجعي ومسنونةٌ زُرقٌ كأنياب أغوال

وهم لم يرَوا الغول قطّ ، ولكنهم لما كان أمرُ الغول يهُولهم أُوعِدوا به . فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل، وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن في مثل هذا وأشباهه ، وما يحتاج إليه معه علمه ، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سمّيته المجاز ، وسألت عن الرجل السائل فقيل لي : هو مِن كتّاب الوزير وجلسائه ، وهو إبراهيم بن إسماعيل الكاتب .

أبو عبيدة المؤلف :

وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى أحدَ أربعةٍ من العلماء الأفذاذ ، تعاصروا جميعاً ، وضربوا بسهم كبير في وفارة الإنتاج الفكري والتأليف .

فكان معاصراً للجاحظ (١٥٠ — ٢٥٥) الذي خرج من الدنيا عن زهاء ثلثمائة وستين مؤلفاً في ضروبٍ شتى من العلوم .

---

(١) الآية ٦٥ من سورة الصافات .

وكان معاصراً لأبي الحسن على بن محمد المدائنى (١٣٥ — ٢٢٥) الذى ألف نحو مائتين وأربعين مصنفاً ، كما ذكر ابن النديم .

وأما أبو عبيدة فقد قال صاحب الوفيات : إن « تصانيفه تقارب مائتى مصنف » .

وإليك عنوانات ما سرده منها كبار علماء التراجم ، وهذا أول إحصاء تحقيقى لأسماء كتبه[1] :

١ — الإبدال . ذكره ياقوت فى معجم الأدباء .

٢ — الإبل . ابن النديم وياقوت وابن خلكان والسيوطى .

٣ — الاحتلام . ياقوت وابن خلكان وصاحب كشف الظنون . وهو عند ابن النديم برسم « الأحلام » .

٤ — أخبار الحجّاج . ابن النديم وياقوت وابن خلكان وكشف الظنون .

— أخبار العقة والبررة . انظر : (العقة والبررة) .

٥ — أدعياء العرب . ابن النديم . وذكره ياقوت وابن خلكان باسم « أدعية العرب » .

٦ — أسماء الخيل . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان وكشف الظنون .

٧ — الأنباز ، أى الألقاب ، جمع نبز بالتحريك . ذكره ابن دريد فى الجمهرة ٢ : ٤٦ قال : « قال أبو عبيدة فى كتاب الأنباز : كان لقب عتيبة ابن الحارث ماغثاً » .

---

(١) المأمول ممن عسى أن يخلفنا فى معالجة هذا البحث،أن ينوه بذلك ،أداء لأمانة التاريخ.

٨ — الأسنان . ذكره ابن النديم .

٩ — أشعار القبائل . ياقوت .

١٠ — الأضداد . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

١١ — إعراب القرآن . ابن النديم .

١٢ — أعشار الجزور . ابن النديم .

١٣ — الاعتبار . ابن النديم . وذكره ياقوت وابن خلكان برسم «الأعيان» .

١٤ — الأمالى . ومنها نص فى الخزانة ٢ : ٣٥٤ .

١٥ — الأمثال السائرة . ياقوت وكشف الظنون . وذكره ابن النديم، والسيوطى فى بغية الوعاة ، برسم « الأمثال » فقط .

١٦ — الإنسان . ياقوت وابن خلكان .

١٧ — الأوس والخزرج . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، وكشف الظنون .

١٨ — الأوفياء . ابن النديم .

١٩ — إياد الأزد ، ذكره ياقوت . وعند ابن النديم وابن خلكان « أيادى الأزد » ، وهو خطأ : و « إياد » بطنان من العرب ، أحدهما إياد بن نزار بن معد بن عدنان ، القبيلة المشهورة . والآخر إياد بن سود بن الحجر بن عمار بن عمرو ، بطن من الأزد من القحطانية . ذكره القلقشندى فى نهاية الأرب . وانظر كذلك تاج العروس ٢ : ٢٩٣ ولسان العرب ٤ : ٤٣ .

٢٠ — الأيام الصغير . ذكر ياقوت وابن خلكان . وقال الأخير : إنه خمسة وسبعون يوما . وذكر ابن النديم والسيوطى هذا والذى بعده برسم

« الأيام » فقط . وفى المزهر ١ : ١٦٨ ، ١٨٠ ، ٥٧٠ نقول عن كتاب أيام العرب ، وكذا فى الخزانة ٣ : ٥١٨ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٠٥ .

٢١ — الأيام الكبير . ذكره ياقوت . وقال ابن خلكان : إنه « ألفٌ ومائتا يوم » .

٢٢ — أيام بنى مازن وأخبارهم . ياقوت وابن خلكان . وذكره ابن النديم باسم « كتاب بنى مازن وأخبارهم » .

٢٣ — أيام بنى يشكر وأخبارهم . ابن النديم .

٢٤ — البازى . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

٢٥ — البكرة . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

٢٦ — البله . ذكره ياقوت ، وابن خلكان . وورد محرفا فى ابن النديم برسم « العلة » .

٢٧ — بيان باهلة . ذكره ابن خلكان .

٢٧ — البيضة والدرع . ذكره فى الخزانة ١ : ١١ .

٢٩ — بيوتات العرب . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، وكشف الظنون .

٣٠ — التاج . ياقوت ، والعقد ١ : ٢٧ ، ٦٦ / ٣ : ٣٣١ ، ٣٣٥ / ٤ : ٣٣٩ حيث نقل عنه نقولا شتى ، وكذلك ابن خلكان .

٣١ — تسميه من قتلت بنو أسد . ابن النديم .

٣٢ — التمثيل . ذكره السيوطى فى المزهر ٢ : ٢٦٥ ونقل منه نصا ، قال : « أهلك هلا كه ، أراد الدعاء عليه ، فدعا على الفعل » . . الخ .

٢٣ — جفوة خالد . ابن النديم

٢٤ — الجمع والتثنية . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، وكشف الظنون .

٣٥ — الجمل وصفين . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، وكشف الظنون .

٣٦ — الحدود . ياقوت ، وابن خلكان ، وكشف الظنون .

٣٧ — الحرات . ابن النديم .

٣٨ — الحسف ؟ ابن النديم .

٣٩ — حضر الخيل . ياقوت ، وابن خلكان .

٤٠ — الحمالين والحمالات . ابن النديم .

٤١ — الحَمام . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، وكشف الظنون .

٤٢ — الحمس من قريش . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

٤٣ — الحيات . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

٤٤ — الحيوان . ابن النديم .

٤٥ — خبر البراض . ياقوت ، وابن خلكان .

٤٦ — خبر أبى بغيض . ابن النديم .

٤٧ — خبر التوأم . ابن النديم .

٤٨ — خبر الراوية . ابن النديم .

٤٩ — خبر عبد القيس . ابن النديم .

٥٠ — خراسان . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

٥١ — خصى الخيل . ابن النديم . ولعله « حضر الخيل » الذى سبق فى السرد .

٥٢ — الخف . ياقوت ، وابن خلكان .

٥٣ — خلق الإنسان ، أى أسماء أعضائه وصفاته . ذكره ابن النديم وياقوت، وابن خلكان ، والسيوطى فى البغية، وكشف الظنون .. ولعله كتاب « الإنسان » الذى مضى .

٥٤ — خوارج البحرين واليمامة . ذكره ابن النديم ، وابن خلكان ، وكشف الظنون . وذكره ياقوت باسم « خوارج البحرين » فقط .

٥٥ — الخيل . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، والسيوطى . وفى المخصص ٢ : ٣٦ : « قال أبو حاتم: وهو فى كتاب عبد الغفار الخزاعى وإنما أخذ كتابه فزاد فيه — أعنى كتاب صفة الخيل — ولم يكن لأبى عبيدة علم بصفة الخيل » . وقد طبع هذا الكتاب فى حيدر أباد سنة ١٣٥٨ .

٥٦ — الدلو . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

٥٧ — الديباج . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، وكشف الظنون . وقال صاحب الكشف : « ذكر فيه أن حكماء العرب فى الجاهلية ثلاثة » . وجاء فى التنبيه والإشراف للمسعودى ٢٠٩ : « وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتابه المترجم بالديباج أوفياء العرب ، فعد السموأل بن عادياء الغسّانى . والحارث بن ظالم المرى ، وعمير بن سلمى الحنفى ، ولم يذكر هانئاً وهو أعظم العرب وفاء ، وأعزهم جواراً وأمنعهم جاراً، لأنه عرض نفسه وقومه للحتوف، ونعمهم الزوال .. » الخ . وذكره البطليوسى فى الاقتضاب ٣٦٠ باسم « الديباجة » ونقل منه نصاً ، هو هذا الرجز :

لاتسقه حزراً ولا حليبا إن لم تجده سابقاً يعبوبا

ذا ميعة يلتهم الجبوبا   يترك صوان الصفا ركوبا
بزلقات قعبت تقعيبا   تترك فى آثارها ألهوبا
يبادر الآثار أن تؤوبا   وحاجب الجونة أن يغيبا
كالذئب يتلو طمعاً قريبا

وانظر حواشى الحيوان ٦ : ٤٤١ ففيها ذكر كتاب آخر له «الديباجة» فى الخيل.

٥٨ — ديوان الأعشى . الخزانة ١ : ٥٤٥ .

٥٩ — ديوان بشر بن أبى خازم . ومنه نسخة بخط أبى عبيدة نفسه كانت فى خزانة البغدادى . وذكر أنها بالخط الكوفى . انظر الخزانة ٢ : ٢٦٢ . وسرد نصوصاً منها فى ٢ : ٢٦٣ ، ٢٦٤ / ٤ : ٣١٧

٦٠ — الرحل . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

٦١ — روستقباذ . ذكره ابن النديم فقط . وروستقباذ : طسوج من طساسيج الكوفة ، كانت عنده وقعة للحجاج .

— الدرع والبيضة . ذكره السيوطى فى المزهر ٢ : ١٩٩ ونقل منه هذا النص: « السنور:اسم لجماعة الدروع ، ولا واحد لها من لفظها » . وقد سبق باسم « البيضة والدرع » .

٦٢ — الزرع . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

٦٣ — الزوائد . ابن النديم فقط .

٦٤ — السرج . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، وكشف الظنون .

٦٥ — السواد وفتحه . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

٦٦ — السيف . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، والسيوطى وكشف الظنون .

٦٧ — الشعر والشعراء . ذكره ابن النديم ، وابن خلكان .

٦٨ — الشوارد . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، وكشف الظنون .

٦٩ — الضيفان . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان . ومن هذا الكتاب نص فى المؤتلف ٩٦ وآخر فى العينى ٤ : ٤٣ وثالث فى الخزانة ٣: ٣٨٦ .

٧٠ — طبقات الفرسان . ياقوت ، والسيوطى ، وكشف الظنون .

٧١ — الطروقة . ابن النديم .

٧٢ — العقارب . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

٧٣ — العقعقة . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، وذكر فى الأخيرين محرفاً باسم « العفة » . وذكر فى شرح الحماسة للتبريزى ٣٥٤ بن ، باسم « أخبار العقعقة والبررة » . وفى العينى ٤ : ١٥٣ نص من كتاب العقعقة . ومما يذكر أن المدائنى (١٣٥ — ٢٢٥) المعاصر لأبى عبيدة كتاباً بهذا العنوان نقل عنه المرزوقى فى شرح الحماسة ص ١٨٢٥ .

— العلة = البله رقم ٢٤ .

٧٤ — الغارات . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

٧٥ — غريب بطون العرب . ابن النديم .

٧٦ — غريب الحديث . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، وكشف الظنون .

٧٧ — غريب القرآن . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

٧٨ — فتوح أرمينية . ابن النديم ، وابن خلكان ، وكشف الظنون .

٧٩ — فتوح الأهواز . ابن النديم ،وياقوت ، وابن خلكان، وكشف الظنون

٨٠ — الفرس ، ياقوت ، وابن خلكان .

٨١ — الفَرق . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، وكشف الظنون . وقال صاحب الكشف : « أوله : هذا كتاب يشتمل على ذكر ما خالف فيه الإنسان ذوات الأربع من السباع والبهائم والطير » . ومن هذا الكتاب نص في الاقتضاب ٣٥٠ س ٢ .

٨٢ — فضائل العرش . ياقوت وكشف الظنون ، ولعله مصحف ما بعده .

٨٣ — فضائل الفرس . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

٨٤ — فعل وأفعل . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، والسيوطى .

٨٥ — قامة الرئيس . ابن النديم .

٨٦ — القبالين . ابن النديم .

٨٧ — القبائل . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، وكشف الظنون .

٨٨ — القرائن . ياقوت ، وابن خلكان .

٨٩ — قصة الكعبة . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

٩٠ — قضاة البصرة . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، وكشف الظنون .

٩١ — القوارير . ابن النديم .

٩٢ — القوس . ابن النديم .

— كتاب بنى مازن ، سبق فى (أيام) .

٩٣ — اللجام . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، وكشف الظنون ،

٩٤ — لصوص العرب . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، وكشف الظنون .

٩٥ — اللغات ، ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، والسيوطى .

٩٦ — مآثر العرب. ابن النديم ، وياقوت، وابن خلكان، وكشف الظنون.

٩٧ — مآثر غطفان . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

٩٨ — ما تلحن فيه العامة . ابن النديم ، وياقوت، وابن خلكان ، والسيوطى وكشف الظنون .

٩٩ — المثالب . ابن النديم ، وابن خلكان ، والسيوطى ، وكشف الظنون . وذكره ياقوت باسم «مثالب العرب». ومنه نصوص فى القالى ٣: ١٩٤ والخزانة ٢ : ٢١٢ ، ٥١٩ .

١٠٠ — مثالب باهلة . ابن النديم .

— مثالب العرب = المثالب .

١٠١ — مجاز القرآن . ابن النديم وياقوت ، وابن خلكان ، والسيوطى . وقد طبع الجزء الأول منه فى مطبعة السعادة هذا العام ١٣٧٤ بتحقيق الدكتور محمد فؤاد سزگين .

١٠٢ — المجان . ذكره ابن النديم فقط ، مع ذكره قبل ذلك فى صدر كتبه « كتاب المجاز » ، وهو مايشعر بأنهما كتابان لا واحد . والمجان ، لعلها جمع مِجنّ ، وهو الترس .

— المجلة = كتاب الأمثال ، ذكرها بهذا اللفظ ابن خير الإشبيلى فى الفهرست ٣٤١ ، قال : « المجلة ، فى الأمثال، عن أبى عبيدة» .

١٠٣ — محمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن الحسن. ابن النديم، وياقوت، وابن خلكان.

١٠٤ — مرج راهط . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

١٠٥ — مسعود بن عمرو ومقتله . ابن النديم، وهذا مسعود بن عمرو العتكى ، الذى كان يقال له « قمر العراق » ، وقد ذكر خبره محمد بن حبيب ،

في كتابه « أسماء المغتالين » . انظر ص ١٧١ — ١٧٢ من المجلد الثاني من نوادر المخطوطات .

١٠٦ — مسلم بن قتيبة . ابن النديم .

١٠٧ — المصادر . ابن النديم ، والسيوطي .

١٠٨ — المعاتبات . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان .

١٠٩ — المعاقرات . تهذيب اللغة واللسان (عقر) .

١١٠ — معاني القرآن . ابن النديم ، وابن خلكان ، والسيوطي ، وكشف الظنون .

١١١ — مغارات قيس واليمن . ابن النديم . وأراه غير كتاب الغارات الذي سبق في رقم ٧٤ .

١١٢ — مقاتل الأشراف . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، وذكره صاحب كشف الظنون أيضاً عند الكلام على كتاب « مقاتل الفرسان » . ولعل هذا الكتاب هو الذي أوحى إلى محمد بن حبيب أن يصنع كتابه « أسماء المغتالين من الأشراف » الذي سبق نشره في هذا المجلد من نوادر المخطوطات .

١١٣ — مقاتل الفرسان . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلكان ، وكشف الظنون . وقد ذكر المسعودي هذا الكتاب في التنبيه والإشراف ٨٩ — ٩٠ وقال عند الكلام على « شهر براز » الملك الفارسي : « وقد أتينا على خبره وسبب مقتله ومقتل غيره من فرسان العرب وشجعانهم على طبقاتهم من الملوك وغيرهم ممن أجمع على تقديمه وتفضيله ، وشجاعته ومقاماته المشهورة وأيامه المذكورة ، في كتاب لنا ترجمناه بكتاب (مقاتل فرسان العجم) ، معارضة لكتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى

(مقاتل فرسان العرب) . ومنـه نصوص فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ١٩٣ ، ٢٤٣ ولسان العرب ٥ : ٣٥٥ والخزانة ٣ : ٣٠٤ .

١١٤ — مقتل عثمان . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلـكان ، وكشف الظنون .

١١٥ — مكة والحرم . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلـكان .

١١٦ — الملاصّ . ابن النديم . والملاصّ : جمع « مَلَصَّة » وهو اسم جمع للصوص، وهو كذلك اسم الأرض يكثر فيها اللصوص. وانظر رقم ٩٤ .

١١٧ — الملاومات . ذكره ابن النديم محرفاً باسم « الملاويات » . وهو على الصواب عند ياقوت وابن خلـكان . وهو نظير كتاب « المعاتبات » الذى سبق فى رقم ١٠٨ .

١١٨ — من شكر من العمال وحمد . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلـكان .

١١٩ — المنافرات . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلـكان .

١٢٠ — مناقب باهلة . ابن النديم ، وياقوت .

١٢١ — مناقب قريش وفضائلها. نقل المسعودى نصاً منه فى التنبيه والإشراف ١٨٠.

١٢٢ — الموالى . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلـكان .

١٢٣ — النصرة . ابن النديم .

١٢٤ — نقائض جرير والفرزدق. ياقوت ، والسيوطى ، وكشف الظنون. وقد طبع هذا الـكتاب بتحقيق المستشرق بيڤان : Bevan سنة ١٩٠٥ من رواية ابن حبيب . وهو من أمثلة النشر العلمى الرائع .

١٢٥ — النواشز . ابن النديم ، وياقوت ، وابن خلـكان. والنواشز : جمع ناشز ، وهى المرأة المستعصية على زوجها .

١٢٦ — النواكح . ابن خلكان ، وكشف الظنون وأراه تصحيف ما بعده ؛ لأن النواكح لا يحصى لهن عدد .

١٢٧ — النوائح . ابن النديم ، وياقوت .

نسخة الأصل :

نسخة نادرة لم أعثر على أخت لها بعد طول البحث والتنقيب ، وقد تأدت إلينا فى أثناء مجموعة من مجموعات الكتب المحفوظة بمكتبة الإسكوريال تحت رقم ١٨٩٥ وأول هذه المجموعة كتاب «يوم وليلة» فى اللغة ، لأبى عُمر الزاهد . وقد كتبت هذه المجموعة بخط مغربى قديم يرجع فى الأغلب على الظن إلى القرن السابع .

وكتابنا هذا « كتاب العققة والبررة» يبتدئ فيها من الورقة ٣٨ . وهو من رواية أبى غسان رفيع بن سلمة ، تلميذ أبى عبيدة ، وكاتب النسخة نقلها عن نسخة كتبها أبو ذر الخشنى ، محمد بن مسعود (٥٣٣ — ٦٠٤) .

وفى النسخة مع جودتها بعض تحريف فى المتن والضبط ، وقليل من الأسقاط . وقد انطمس منها بعض الكلمات ، وأسطر قليلة فى أواخر الكتاب ، وجدت من الأوفق أن أثبت صورتها بدلا من تأديتها بحروف المطبعة لعجزها عن ذلك ، وجعلت تلك الصورة فى الوقت نفسه نموذجاً للأصل الوحيد الذى اعتمدت عليه .

وقد عثرت على نقول من هذا الكتاب فى شرح الحماسة للتبريزى ، وفى شرح الشواهد للعينى ، وفى خزانة الأدب ، وقد أشرت إليها فى أثناء التحقيق .

وإليك نص الكتاب .

كتاب العققة والبررة

تأليف أبى عبيدة مَعْمَر بن المثنّى رحمه الله

رواية أبى غسان رُفيع بن سلمة بن مُسلم العبدى رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما

أنا أبو غسان رُفَيع بن مُسلِم[١] العبدى وقرئ عليه ، قال أبو عبيدة : كان قومٌ عقُّوا آباءهم فما تَبهم آباؤهم على عقوقهم بقومٍ برُّوا آباءهم، فذُكِر ذلك منهم . وقومٌ هاجروا إلى الأمصار وتركوا آباءهم فى البوادى ، فاشتاقوا إلى أولادهم فقالوا فى ذلك .

— ١ —

فمن عقَّ أباه عيسى بن يحيى بن سعيدٍ أبى عمران الأعمى مولى آل طلحة ابن عبيد الله ، كان يعيب شِعرَه ويُماريه فى رأيه ، ويَثِب على عثراته يعيب أباهُ بسوء خُلقه :

أليس اغترابٌ مِن عَمايةَ فى الرّدى   بحيث الوُعولُ العاقلاتُ تَوَقَّلُ[٢]
لذِى الحلم خيراً من مَحَلٍّ يَرَى به   علىَّ له الفضلَ اللئيمُ المحوَّلُ

---

(١) كذا فى الأصل ، نسبة إلى جده . وهو رفيع بن سلمة بن مسلم بن رفيع العبدى . كما فى الفهرست ٨١ . ورفيع هذا كان كاتب أبى عبيدة فى الأخبار ، ومن أوثق الناس فيها . وكان أبو حاتم إذا ذكر فى شىء منها قال : عليكم بذلك الشيخ . يعنى رفيع بن سلمة . وكان لقب رفيع « دماذ » وكنيته « أبا غسان» . وقال القفطى فى إنباه الرواة ٢ : ٥ : « من أصحاب أبى عبيدة ، وكان قد قرأ من النحو إلى باب الواو والفاء . ومن قول الخليل وأصحابه : أن مابعدها ينتصب بإضمار أن ، فساء فهمه عنه » . وأنشد القفطى له شعرا فى هذا المعنى . وانظر بغية الوعاة ٢٤٨ .

(٢) عماية . جبل بالبحرين . والعاقل : الممتنع فى الجبل العالى . والتوقل : الصعود فى الجبل .

قَطُوبًا فما تلقاه إلاَّ كأنَّمــــا ... زَوَى وَجهه، أنْ لا كه فُوه، حنظلُ

فحسُبُك إن صاحبتَ ذا من بليـةٍ ... وجانَبكَ البَسَّامةُ المتهــلِّلُ

فقال أبوه يحيى بنُ سعيدٍ يعاتبه :

ومِن خَبرى أنِّى مُنيتُ بصاحبٍ ... يلومُ وإنْ لم أجنِ ذنباً ويَعذُلُ

إذا قلتُ قولاً عابَه بجهـالةٍ ... وفى ما يقولُ العيبُ لو كانَ يعقلُ

تَراهُ مُعِــــدًّا للخلاف كأنَّه ... بردٍّ على أهل الصَّوابِ مُوَكَّلُ(١)

يُراقِبُ منّى غفلةً كى ينالَهَـا ... كما لحَلاةٍ نفَّضَ الريش أجدلُ(٢)

وهيهات منّى تلك حينَ يردُّنى ... إليها من العُمر الذى هو أرذلُ

فذاكَ عَسَى أوْ لا فلستُ بمُضْغةٍ ... لمُنْتَشِلٍ ، والوقتُ لم يأنِ ، تُؤكَلُ

أبَى لىَ إقراراً على الخسف أنّنى ... مَنُوعٌ لمــا لم يمنــعُ المتذلِّلُ

وإن خِفتُ ضيماً فى محلٍّ تركتُه ... إلى ...(٣) فيه عن الضَّيم مَزْحَلُ

وإنَّك إذ ترجُو لحـاقِى مُواثما ... برأيك رأياً بالمُنَى لمقلِّلُ

وما خَطرة الحِقِّ الضَّئيلِ وصَوْلُه ... إذا خَطرت يومًا قساورُ بُزَّلُ(٤)

---

(١) البيت آخر أبيات ثمانية رويت فى الحماسة منسوبة لأمية بن أبى الصلت . انظر الحماسة ٧٥٣ بشرح المرزوقى . قال التبريزى : « وتروى لابن عبد الأعلى . وقيل : هى لأبى العباس الأعمى . قال أبو هلال : أوردها أبو عبيدة فى أخبار العققة والبررة » . وقد رويت الأبيات السبعة فى الحماسة على هذا الترتيب : الأبيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٧ من ترتيب أبى عبيدة هنا ، والبيت (٢٦) روى فى الحماسة من رواية التبريزى ، ولم يروه المرزوقى .

(٢) حلاة ، لعلها « جلاء » . الأجدل : الصقر .

(٣) موضعها كلمة مطموسة فى الأصل .

(٤) الحق ، بكسر الحاء : البعير استكمل ثلاث سنين ودخل فى الرابعة . والقساور : جمع قسور ، وأصل معناه القوى الشاب . والمعروف فى الإبل « القياسر » جمع قيسر ، وهو العظيم . والبزل : جمع بازل ، وهو من الإبل ما بلغ تسع سنوات .

مِن الشَّدقميات اللواتى إذا ...   ... لجلجت جون الذباب المُجلجِلُ[١]
وما كادَنى والحمدُ لله كائدٌ   فيرجِعَ إلَّا نابُهُ المتفلِّلُ
وقد رامَها منّى سِواكَ مَعاشِرٌ   بُغاةٌ فلم يَفْلُل صَفاتِىَ مِعْوَلُ
وكنتُ إذا أبصرتُ للقول موضعًا   يمرُّ به عَضبٌ بما شئتَ مِقْوَلُ
وأصمُتُ فى النادى لغير جَهالةٍ   بما نطقوا حتّى يُقالُ مُغَفَّلُ
وما بِىَ مِن عِىٍّ ولا أنطِق الخنا   إذا جَمَع الأقوامَ للخطبِ مَحفِلُ[٢]
ولكنّنى للقومِ عند اشتجارهم   رِضًى، غيرُ مردودِ الحكومة، مِفصَلُ
فقلت له يومًا لأسمعَ قولَه   ويَعلَمَ بالتعليم من كان أجْهَلُ[٣]
غَذَوتُك مولوداً وعُلْتُكَ يافعًا   تُعَلُّ بما أجنِى إليك وتَنْهَلُ[٤]
إذا ليلةٌ آبتك بالشَّكْوِ لم أبِتْ   لِشَكْوِك إلّا خائفًا أتململُ[٥]
كأنى أنا المطروقُ دُونَك بالذى   طُرِقتَ به دُونِى وعَينِىَ تَهمُلُ
تخافُ الرَّدَى نفسى عليكَ وإنَّها   لَتَعلمُ أنَّ الموت وقتٌ مؤجَّلُ
وأن ليسَ عنْ وِرد المنايا مؤخِّر   لعِزٍّ ولا عنها لذلٍّ معجِّلُ
فلمَّا بلغتَ السِّنَّ فى الغايةِ التى   إليها مَدى ما كنتُ فيك أؤمِّلُ[٦]
جَعلتَ جزائى مِنكَ جَبْهًا وغِلظةً   كأنك أنت المُنعِمُ المتطوِّلُ[٧]

---

(١) بياض فى الأصل فى الموضعين .
(٢) البيت بدون نسبة فى البيان والتبيين ١ : ٤ .
(٣) كذا ورد البيت .
(٤) هذا البيت أول الحماسية التى سبق التنبيه عليها فى حواشى ص ٣٥٣. وفى الحماسة : « بما أدنى إليك » .
(٥) فى الحماسة : « إذا ليلة نابتك » .
(٦) الحماسة : « السن والغاية » :
(٧) الجبه : مقابلة الإنسان بما يكرهه .

وسمَّيتنى باسم المفنَّد رأيه ... ولم تمضِ لى فى السِّنِّ ستُّون كُمَّلُ(١)
فليتك إذ لم ترعَ حقَّ أبوَّتى ... كما يفعل الجارُ المجاورُ تفعلُ(٢)
وإن كنتَ شيئًا فالتمسْ لك والدًا ... أبًا لكَ تدعوه أبًا حين تُسألُ
فإنّى أرى فيمن رأيتُ معاشرًا ... بآبائهم آباءَ سَوءٍ تبدَّلُ
كما رضيَتْ للحَين كلبٌ بحميرٍ ... أبًا من معدٍّ ضلّةً ما تقوَّلُ(٣)
إلى أىِّ عزٍّ أو إلى أىِّ ثروةٍ ... عن ابنِ رسول الله كانت تحوَّلُ
الأكرم نفسًا أو أبًا أو محلةً ... إليهم من إسماعيلَ كانت تحوَّلُ
فما استوحشَ الحىُّ المقيمُ لرحلة الـ ... خليط ولا عزَّ الذين تحمَّلُوا(٤)
كتاركٍ يومًا مِشْيَةٍ من سَجيَّةٍ ... لأخرى ففاتَتْه وأصبحَ يحجلُ

— ٣ —

وممن عقّ أباه السَّرَنْدَى بن حَنْظلة بن عَوادة الرُّبيعى ، ترك أباه فى المفازة وفارقَه ، فقال حنظلةُ بنُ عرادةَ فى ذلك :

ما للسَّرَنْدَى أطال الله أَيْمَتَهُ ... ألقى أباهُ بِغُبْرِ البِيد وادَّلجا(٥)
مِجْمٌ سَبَاتٌ يعافُ الكلبُ طِعْمتَه ... إذا رأى غفلةً من جارِه ولَجا(٦)

(١) الحماسة بشرح التبريزى : « وفى رأيك التفنيد لو كنت تعقل » .
(٢) الحماسة : « فعلت كما الجار المجاور يفعل » .
(٣) انظر ما كتبت فى حواشى الحيوان ٤ : ٣٢٥ ـ ٣٢٦ .
(٤) البيت وتاليه برواية أخرى فى الحيوان ٤ : ٣٢٦ .
(٥) الأبيات فى الحيوان ١ : ٢٢٦ ـ ٢٢٧ . الأيمة : مصدر آم يئيم ، إذا مكث زمانا لايتزوج .
(٦) المجم ، بالكسر : الأحمق ، إذا جلس لم يكد يبرح من مكانه ، والجاهل . والسبات ، كذا وردت فى الأصل بفتح السين . وفى هامش النسخة : « يقال رجل سبات ـ مع ضبط السين بالفتح ـ إذا كان ماضيا فى الأمور . وسباة : أحمق » . ورواية الجاحظ : « مجم خبيث » . والطعمة ، وضبطت فى الأصل بكسر الطاء ، وهى الحالة والسيرة فى الأكل . فى الحيوان : « وإن رأى غفلة » .

ربّيتُه وهو مِثلُ الفرخ أعظَمُه والـكاب يَلحَس من تحت استه الرَّدَجا[١]

— ٣ —

وممن عقَّ أباه لَبَطةُ بنُ الفرزدق[٢] ، وكان يطيع امرأتَه وكانت تحرِّشُه عليه ، فقال الفرزدق :

أأن أُرعِشَتْ كفَّا أبيكَ وأصبحت يداكَ يدَىْ ليثٍ فإنك حاربُه[٣]
إذا غلبَ ابنٌ بالشَّباب أبًا له كبيراً فإن الله لابُدَّ غالبُه[٤]
رأيتُ تباشيرَ العقوق هي التي من ابن امرئٍ ألاَّ يزال يُغالبُه[٥]
ولمَّا رآني قد كبِرتُ وأنَّه أخو الحيّ واستغنَى عن المَسْح شاربُه[٦]
أصاخَ لِعُريان النَّجِيّ وإنَّه لَأَزْوَرُ عن بَعض المقالةِ جانبُه[٧]

أنكر أبو غسَّان « أخو الجِنّ » وإنما هو « الحى » . قال : كان يقال له : يابنىَّ ، فصار اليوم يقال له : ياأخى .

---

(١) الردج ، بالتحريك : أول : مايخرج من بطن الصبى .

(٢) سمى الفرزدق بنيه على السخرية: لبطة ، وسبطة ، وحبطة ، وكاطة ، وجلطة . وركضة ، وزمعة . انظر الشعر والشعراء ٤٤٥ وما فى حواشيه من المراجع .

(٣) الأبيات فى ديوانه ١٢٤ ـ ١٢٥ والأغانى ١٩ : ٢٣ . وفى الديوان والأغانى : « فإنك جاذبه » .

(٤) الديوان والأغانى : « إذا غالب ابن » .

(٥) الديوان والأغانى : « ما إن يزال يعاتبه » .

(٦) الأغانى والديوان : « وأنى أخو الحى » ، وليس بشىء .

(٧) فى اللسان : يقال فلان عريان النجى ، إذا كان يناجى امرأته ويشاورها ويصدر عن رأيها . ومنه قوله :

أصاخ لعريان النجى وإنه لأزور عن بعض المقالة جانبه

قال : أى استمع إلى امرأته وأهاننى . وأصل معنى النجى من تناجيه وتساره .

— ٤ —

ومنهم بنو عَقِيل بن عُلَّفة . كان عُلَّفة بن عقيل بن عُلَّفة هوِيَ امرأة من قومه من بنى مالك بن مُرَّة وهويته ، فأراد أن يتزوَّجها فخطبها أبوهم(١) عقيل فزُوِّجَتْه ، فأقامت عنده حيناً . ثم إنَّ قومَها ادَّعَوا عليه أنَّه طلَّقها ، فهرَب بها إلى الشام وقال فى ذلك :

لعمرى لقد أضْحَتْ سُلَامة بُدِّلت ... من الرَّملة القفراء قُفْلا تُزاوِلُه(٢)
ورُجاً يُغَنِّيها دَوِيُّ حَمامِهِ ... إذا هى أضحتْ ، بُزْلُه(٣) وجوازلُه

وقال فى امرأته :

وما كان قبل المالكيَّة لى هَوًى ... ولا بعدها إلاَّ هَوًى أنا غالبُه
وما كادَ حبُّ المالكية ينقضِى ... ومِن مالك عظمٌ صحيحٌ أعاتبُه
فلولا هَوايَ المالكيةَ أُورِدَتْ ... بنو مالكٍ بحراً تناهى غواربُه

فخرج عقيلٌ بامرأته إلى الشام ومعه ولدُه عُلَّفة ، وعَمَّلس ، وجَثَّامة ، وابنتُه الجرباء ، فلمَّا كانوا بدُومة الجندل تَغَنَّى عُلَّفَةُ بنُ عَقيلٍ فقال :

قِفِى ياابنةَ المُرِّيِّ نسألكِ ماالذى ... تقولين فيما كنتِ منَّيتِنا قبلُ
نخبِّركِ إنْ لم تنجزِى الوَأْيَ أننا ... ذَوَا خَلَّةٍ لم يَبْقَ بينَهُما وصل(٤)

---

(١) فى الأصل : « أبوها » .

(٢) سلامة ، ضبطت فى الأصل بضم السين ، مع وضع كلمة « صح » فوقها تأكيدا لهذا الضبط . ومزاولة القفل كناية عن سكناها المدن ، حيث للبيت أقفال .

(٣) البزل : جمع بازل ، وأصله فى البعير إذا استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة . والجوازل : جمع جوزل ، وهو فرخ الحمام .

(٤) الوأى : الوعد . وفى الأصل : « الرأى » تحريف . وفى الأغانى ١١ : ٨٣ : « إن لم تنجزى الوعد » .

فإنْ شئتِ كان العُمرُ ماهبَّتِ الصَّبا وإن شئتِ لم يَفْنَ التكرمُ والبذلُ
ونسألكِ ما يُغنِى عن الجاهل المُنَى ولا يستقيدنَّ الجنيبُ ولا حبل(١)

فغدا عليه عقيلٌ أبوه بالسيف وقال : ياعدوّ الله ، مَن هذه المُرِّيَّة ؟ واتَّهمه بامرأته وقال : أتشبِّب بأمِّك ؟ ! فكلَّمه أخوه فيه فحمل عليهما ، ويرميه عملَّسٌ بسهمٍ فى فخذه فصرعه . فثَمَّ حين يقولُ عَقِيل(٢) :

إنْ بَنِيَّ رَمَّلونى بالدَّمِ(٣) مَن يَلقَ أبطال الرِّجال يُكلَمِ
شنشِنةٌ أعرفُها من أخزمِ ومَن يكنْ ذا أوَدٍ يقوَّمِ

وقال عقيل :

لعمركَ إنِّى يومَ أغذو عملَّساً لـكالمترَبِّى حَتفَه وهو لايدرى
وإنِّي لأسقيهِ غَبوقى وإنَّنى لَغَرْثانُ منهوكُ البآديل والنحرِ(٤)

* * *

(١) البيت لم يروه أبو الفرج .

(٢) الرجز منسوب فى البيان والتبيين ١ : ٣٣١ واللسان (رمل) إلى أبى أخزم الطائى ، وهو جد أبى حاتم الطائى ، أو جد جده .

(٣) رمله بالدم : لطخه وضرجه ، كما فى اللسان (رمل) عند إنشاد الرجز . وفى العقد ٢١٥ : ١٩٢ / ٦ : ٩٩ : « زملونى » بالزاى ، وهى رواية ضعيفة . وفى الأغانى ١١ : ٨٤ : « سربلونى » . وفى مجمع الأمثال : « ضرجونى » قال : « ويروى : رملونى ، وهو مثل ضرجونى » .

(٤) البيتان من أربعة فى الأغانى ١١ : ٨٤ . وقبلهما .

ألم تريا أطلال ، حنت وشاقها تفرقنا يوم الحبيب على ظهر
وأسبل من جرباه دمع كأنه جمان أضاع السلك أجرته فى سطر

البآديل : جمع بأدلة ، وهى لحم الصدر . وقد كتب إزاء هذه الكلمة فى النسخة « الذراعين ، صح » . وفى الأغانى كذلك : « منهوك الذراعين » .

وقال عملّس[١] لعقيل أبيه :

أَلَا أبلغَا عَنّى عَقيــلاً رسالةً … فإنّكَ من حَربٍ علىَّ كريم[٢]
أَلَا تذكرُ الأيامَ إذ أنت واحدٌ … وإذ كلُّ ذى قُربَى إليكَ مُلِيمُ[٣]
وإذْ لا يَقِيكَ الناسُ شيئاً كرِهتَه … بأنفسهم إلاَّ الذين تَضِيمُ[٤]
وأنتَ إذا آنستَ خَيراً وغِبطةً … فإنّكَ أحياناً ألَدُّ ظَــلومُ[٥]
وأنت إذا ما الدَّهر عَضَّكَ عَضَّةً … فإنك معطوفٌ عليــكَ رحيمُ

* * *

وتفرَّق عنه ولدُه ، فبينماهم بِفِنائه وقد ملأ حياضَه ولم تَرِدْ إبلُه بَعدُ ، إذ جاءَ بَجِيلُ بنُ خَبِيب بنِ وَرْد بن حُذَيفةَ بنِ بدر ، فقال لعَقيل : دَعْنِى أَسقِ إبلى من حياضِك وأملؤها لك . فأبَى ذلك عقيل ، فوَثَبَ بنُونَ لبجيل على عقيل فقطعوا أطنابه ، وسقَوا إبلَهم من حياضِه . فبلغ الخبر عُلَّفة بنَ عقيل، ويقال إنها لعملّس بن عقيل ، ويقال بل قالها أرطاة بن سُهَيّة[٦] يعيِّره ببَجيل :

أكلتَ بنيكَ أكلَ الضَّبِّ حتَّى … وجَدتَ مرارةَ الكلأ الوبيلِ

---

(١) فى الأغانى ١١ : ٨٤ أن القائل « علفة » .

(٢) يقال : هو حرب له ، أى عدو مباعد . والأبيات فى الأغانى ١١ : ٨٤ .

(٣) الأغانى : « ذميم » .

(٤) الأغانى : « شيئا تخافه » . وبين هذا البيت وتاليه فى الأغانى :

تناول شأو الأبعدين ولم يقم … لشأوك بين الأقربين أديم

(٥) هذا البيت مؤخر عن تاليه فى الأغانى ، بهذه الرواية :

فأما إذا عضت بك الحرب عضة … فإنك معطوف عليك رحيم
وأما إذا آنست أمنا ورخوة … فإنك للقربى ألد ظــلوم

(٦) هذا يطابق ما فى الأغانى ١١ : ٨٩ . وفى الحيوان ٦ : ٤٩ أن القائل عملس ابن عقيل .

فلو كانوا قريباً حين تَدعُو   مَنعتَ فِناء بيتِكَ من بَجيلِ[(١)]

— ٥ —

ومنهم مُنازل بن فَرغان – وقال آخر : فُرغان[(٢)] — بن أصبحَ بن الأعرف ، أحد بنى مرّة بن عُبيد ثمّ أحد بنى نزّال بن مرّة ، وكان[(٣)] تزوّجَ على أمِّه امرأةً شابة ، فغضِب لأمّه ، فاستاق مالَه واعتزل مع أمّه فقال ذلك فُرغان بن الأعرف :

جَزَتْ رَحِمٌ بينى وبين مُنازلٍ   جزاءً كما يَستنْجز الدَّينَ طالبُهُ[(٤)]
وما كنتُ أخشى أن يكون مُنازلٌ   عدوِّى وأدنى شانئٌ أنا راهبُه
حَملتُ على ظَهرى وفدَّيتُ صاحبى   صغيراً إلى أن أمكن الطرَّ شاربُهُ[(٥)]
وأطعمتُه حتّى إذا آضَ حَشْرباً   طُوالاً يُساوِى غاربَ الفحلِ غاربُهُ[(٦)]

---

(١) فى الحيوان : « فلو أن الأولى كانوا شهودا » . وانظر تأويل هـذه الرواية فى حواشيه . وفى الأغانى : « ولو كان الأولى غابوا شهودا » .

(٢) عند التبريزى فى الحماسة وكذا فى اللسان (فرع) : « فرعان » . وفرعان هو أحد بنى مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن مقاعس بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم شاعر لص مخضرم . المؤتلف ٥١ والمرزبانى ٣١٦ والإصابة ٧٠٠٩ . ولفرعان أخ يسمى « منازل» أيضا . ومن العجب أن يروى له الآمـدى فى المؤتلف ٥١ شعرا يذكر فيه عقوق ابنه له . لـكن هـذا الشعر رواه أبو رياش منسوبا إلى منازل بن فرعان بن الأعرف يشكو فيه عقوق ابنه المسمى « خليج » . كما سيأتى . فـكأن هذه الأسرة عريقة فى أن يعق الولد منهم أباه .

(٣) كان ، أى كان أبوه .

(٤) البيت ١ ، ٤ ، ٦ فى الحماسة بشرح المرزوقى ٤٤٥ . و ١ ، ٤ ، ٦ ، ١٢ وبيت آخر ، ٨ ، وبيتان آخران فيها بشرح التبريزى . والبيت ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ فى الإصابة ٧٠٠٩ الحماسة : « كما يستنزل » .

(٥) المرزبانى : « وقربت صاحبى » . الإصابة : « وقربت شخصه » .

(٦) آض : صار . « حشربا » كذا وردت فى الأصل مع هـذا الضبط . ولعلها « خرشبا » بضم الخاء والشين ، ومعناه الطويل السمين . وفى الحماسة : « آض شيظما » ، والمرزبانى والإصابة : « صار شيظما » .

فلمَّا رآنى أحسِب الشخصَ أشخُصاً بعيداً وذو الرأى البعيد يقاربُه
تَظَلَّمنى مالى كذا ولوَى يدى لوى يدَه اللهُ الذى لا يُغالبُه (١)
وولَّى وولَّانى عَشَوْزنَ رُكنِهِ ووجهَ عدوٍّ يقطع الطَّرْفَ حاربه (٢)
ووَلَّى بها دُهماً وجُوناً كأنَّها فَسِيلُ الكُبَادَى لم تقطَّع جوانبُه (٣)
وباللفظِّ يرجو أن أذِيخَ مُنازلٌ كما عذَّب العَوْدَ المجفِّر راكبه (٤)
وما ذاك إلَّا فى فتاةٍ أصبتُها ألا ليتَ أنَّ الشيخَ جُبِّت ذباذبُه (٥)
وما كنتُ لهم كالسَّمْنِ لم يشكرونى تعَلَّلَ للسَّمْنِ المفرّع جاذبُه (٦)
وكان له عندى إذا جاعَ أو بكى من الزَّاد يوماً حُلْوُه وأطايبُه (٧)
أيظلمنى مالى ويُحْنِثَ ألوَتِى فَسَوف يلاقى ربَّه فيُحاسِبُه (٨)

---

(١) الحماسة : « تغمد حقى ظالما » . المرزبانى والإصابة : « تخون مالى ظالما » .

(٢) العشوزن : الملتوى العسر من كل شيء .

(٣) الحماسة بشرح التبريزى :

وجمتها دهما جلادا كأنها أشاء نخيل لم تقطع جوانبه

أراد بالدهم والجون الإبل . والكبادى ، لعله اسم موضع . وقد رسمت بالأصل لتقرأ بالثاء والباء ، مع وضع كلمة « صح » فوقها . وبعد هذا البيت فى الحماسة بشرح التبريزى :

فأخرجنى منها سليبا كأننى حسام يمان فارقته مضاربه
أأن أرعشت كفا أبيك وأصبحت يداك يدى ليث فإنك ضاربه

(٤) الفظ : الغليظ من الكلام . ويقال داخ يديخ ، بالدال المهملة ، إذا ذل . وجاء فى مادة (ديخ) من اللسان : « وفى حديث الدعاء : بعد أن يديخهم الأسر ، وبعضهم يرويه بالذال المعجمة ، وهى لغة شاذة » وعلى هذا الوجه يمكن تخريج هذه الرواية هنا . العود ، بالفتح : الجمل المسن . المجفر الذى انقطع عن الضراب وقل ماؤه .

(٥) جبت : قطعت . والجب : القطع .

(٦) لم يشكرونى ، على لغة لبعض العرب ، يرفعون المضارع بعد « لم » . قال :

لولا فوارس من نعم وإخوتهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار

الجاذب : العائب .

(٧) بعده فى الحماسة بشرح التبريزى :

وربيته حتى إذا ما تركته أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه

(٨) الألوة : اليمين ، والحلف .

فردَّ عليه منازل ابنهُ :

كنتَ كمن ولى أمر كتيبةٍ ... ففرَّ بها فارفضَّ عنه كتائبُه (١)

وما ذاكَ مِن جرَّى عُقوقٍ تَعدُّه ... ولا خلقٍ منّى بدا أنت عائبُه

وقال فرغان :

ووجهِ حرام قد لطمتَ ولحيةٍ ... نَتفْتَ بياضَ شَيْبِها بشمالكا

* * *

وقال فرغان وبلغه أنّ قومَه يقولون إنه رجلُ سَوْء فلذلك عقَّه بنوه :

يقول رجالٌ إنّ فَرغان ظالمٌ ... ولا الله أعطانى بنىَّ وماليا

* * *

فسُلِّط على مُنازل بن فرَغان ابنهُ خَليجُ بن مُنازِل فعقّه كما عقّ هو أباه فقال منازل لابنه خَليج :

تظلَّمَنِى مالى خليجٌ وعَقَّنى ... على حينَ كانت كالحِنىِّ عظامى (٢)

وكيف أرجّى العطف منه وأمُّه ... حراميِّةٌ ، ماغرَّنِى بحرامِ ! (٣)

تخــيَّرتُها وازددتُها ليزيدنى ... وما بعضُ مايزداد غيرَ غَرامِ (٤)

وجاء بقُولٍ من حَرامٍ كأنَّما ... يُسَـعِّر فى بيتى حريقُ ضِرام

لَعَمرِى لقد ربَّيتُه فَرِحاً به ... فلا يفرحَنْ بَعـدِى أبٌ بغلام

أمّه من بنى حرام ، وتزوّج هو أيضاً من بنى حرام .

---

(١) كنت ، كذا جاءت بالخزم ، نقص حرفا من أول البيت: «ولى» لعلها « وله » .

(٢) الحنى : جمع حنية ، وهى القوس .

(٣) فى الأصل : « وأنه حرامية » ، تحريف . والحرامية : نسبة إلى بنى حرام .

(٤) الغرام : الشر الدائم والبلاء ،وانظر المؤتلف ٥١ .

— ٦ —

ومنهم مُرَّة بن الخطاب بن عبد الله بن حَمزة ، من بنى قُرَيع بن عوف ، وكان يهزأ من أبيه ويؤنبه فى بعض أخلاقه :

رَبَّيتُه وهو مثل الفَرخ أعظَمُه … أمُّ الطَّعام ترى فى جلده الزَّغَبُ[1]
حتّى إذا آضَ مثل الجذع شذَّبه … أبّارُه وانبرى من مَتنه الشَّذَبُ[2]
أنشا يزوِّر أخلاقى يؤدِّبنى … قد كنت قبلكَ معروفًا لى الأدبُ
وجاذبتْنِى القُرانى فاستمرَّ بهم … مِنّى أمينُ القُوَى صُلبٌ إذا جذبوا[3]
فما تخنُّ جمالى حين أصرفُها … عند الشِّياع ولا يقتادنى الجَنَبُ[4]
ولا لخومٌ إذا ما الرِّيق غُصَّ به … ولا صَخُوبٌ إذا لم ينفع الصخب[5]
فأتِ الذى أنت آتٍ غير مُوعِدِنا … فقد ترَى سُبُلَ إخوانٍ لنا ذهبوا[6]
شَظَّى عصاهم فأضحَوا لاجميعَ لهم … كرُّ المنايا ودهرٌ مَرَّةً عقبُ

— ٧ —

وكان منهم ابن أمّ ثواب الهِزّانية[7] . وكانت امرأته تُغريه بها فى السرّ، وتُسمِعها فى العِلان : مَهْلاً عن أمّنا فإنّ لنا فيها حاجةً ! فقالت أمُّ ثواب :

---

(١) أم الطعام : كناية عن البطن .
(٢) الشذب : مايلقى من النخلة من الكرانيف وغير ذلك .
(٣) فى اللسان : « القرانى : تثنية فرادى » . وجذبوا ، رسمت فى الأصل هكذا « جذب و ».
(٤) الشياع ، بالكسر : الإهابة بالإبل ، والدعاء بها لتنساق . الجنب : أن يقتاد البعير ونحوه إلى جنبه .
(٥) الفحوم : المفحم ، وهو العيى .
(٦) رسمت فى الأصل هكذا « ذهب و » .
(٧) نسبة إلى هزان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان . الاشتقاق ١٩٤ .

رَبَّيْتُه مثلَ فَرخ السَّوء أعظَمُه أمُّ الطَّعام ترى فى جِلدِه زَغَبا(١)
حتّى إذا عادَ كالفُحَّال شَذَّبه أبّارُه ونفَى عن مَتْنِه الشَّذَبا(٢)
أمسَى يمزِّق أثوابى ويضربنى أبعد شيبيَ عندى تبتغى الأدبا(٣)
أنّى لأُبْصِر فى ترجيل لِمَّتِه وخطَّ لحيته فى خَدِّه عجبا
قالت له عِرسُه يومًا لتُسمِعَنِى مَهْلاً فإنَّ لنا فى أمِّنا أرَبا(٤)
ولو رأتنيَ فى نارٍ مُسَعَّرةٍ ثم استطاعت لزادت فوقه حطبا(٥)

— ٨ —

ومنهم مَعبَد(٦) بن قُرطٍ العَبْدىّ ، هجا أمَّه(٧) فقال :

يا ليت ما أمَّنا شالت نعامتُها إمَّا إلى جنةٍ أو ما إلى نار(٨)

---

(١) الأبيات فى حماسة أبى تمام ، انظر المرزوقى ٧٥٦ ـ ٧٥٩ .

(٢) الفحال : فحل النخل . الأبار : الملقح للنخل . والفحال لايؤبر وإنما تؤبر الأنثى ، ولكن لما كان الفحال يؤبر به النخل أضاف الأبار إلى ضميره . والشذب ، سبق تفسيره . ويروى : « الكربا » .

(٣) أشار التبريزى إلى رواية : « أبعد ستين » .

(٤) الأرب : الحاجة .

(٥) أى فوق ذلك . وفى الحماسة : « فوقها » .

(٦) فى الحماسة بشرح التبريزى ٤ : ٣٥٢ « سعد بن قرط ، أحد بنى جذيمة » .

(٧) اسمها « أم النحيف » بهيئة التصغير ، كما فى الحماسة . وفى الحماسة أبيات تسعة لأم النحيف تهجو بها ولدها ذلك . انظر التبريزى والمرزوقى ١٨٦٢ .

(٨) روى التبريزى الأبيات الثلاثة الأولى ، وقال : « وليس من الكتاب » ، أى ليس من الحماسة . ولم يرو المرزوقى هذه الأبيات.

ويقال شالت نعامته : كناية عن الموت . شالت : ارتفعت . والنعامة باطن القدم . ومن مات ظهرت نعامة قدمه شائلة . وكذا وردت رواية البيت هنا ، ويروى : « إما إلى جنة إما إلى نار » و « إيما إلى جنة إيما إلى نار » و « أيما إلى جنة أيما إلى نار » وإيما تخفيف إما بالإبدال . و « أيما » بفتح الهمزة لغة فى تخفيف « أما » بالإبدال ، وهذه الأخيرة لغة فى « إما » بالكسر . انظر الخزانة ٤ : ٤٣١ ـ ٤٣٤ .

تلتهم الوَسقَ مشدودًا أشظّتُه … كأنّما وجهُها قد سُفْعَ بالنارِ[1]

ليست بشَبْعَى ولو أنزلتَها هجراً … ولا بِريَّا ولو حَلّتْ بذى قار[2]

خَرقاء بالخير لاتُهدَى لوِجهته … وهْيَ صَنَاعُ الأذَى فى الأهل والجار[3]

— ٩ —

ومنهم ابنا القلاخ بن حَزْن[4] ، عَقّاه فقاتَلاه فقال :

فإنْ تَغلِبانى ابنَىْ صَفيّةَ اعترفْ … لِألأمِ مَنْ يُحذَى على قدمٍ نعلا

وإلاّ فإنى لا إخالُ كريهتى … على السِّنّ إلاّ سوف تجتذم الحبلا[5]

وياضيعةَ الماء الذى لم أجِدْه … قراراً ولم أُنجِبْ له حسباً جزْلا

ثعالبَ غُبْساً لم تكن أمّهاتُها … كأمّى ولا آباؤهم كأبى فَحلا

أتحسِبنى ذكوانَ ، ياآكلَ الخصَى … وأيتامَه إذْ لاتدبُّ لهم خَتْلا[6]

وأشبهتَ باذانَ الذى كان عامراً … وعَزْرةَ كانا لى على مَكبَرى خَبْلا

وذا الفاسقَ الزّانى الذى لو غسلتَه … بدِجلةَ ما أنقيتَه أبداً غَسلا

(١) الوسق ، بالفتح وبالكسر : حمل البعير . الأشظة : جمع شظاظ ، بالكسر ، وهو العود الذى يدخل فى عروة الجوالق . سفع ، بسكون الفاء : لغة فى سفع بكسرها ، مبنى للمجهول ، والإسكان لغة بكر بن وائل ، وكثير من بنى تميم . التصريح ١ ، ٢٩٤ . يقال سفعته النار والشمس والسموم : لفحته لفحا يسيراً فغيرت لون بشرته وسودته . ورواية الحماسة : « قد طلى بالقار » . والقار : الزفت .

(٢) هجر : قرية معروفة بكثرة التمر ، ذكر ياقوت أنها قصبة البحرين . الحماسة : « ولو أوردتها هجرا » . وفيها أيضا : « ولو قاظت بذى قار » .

(٣) الصناع : الحاذقة بعمل اليدين .

(٤) انظر الشعراء ٦٨٨ والمؤتلف ١٦٨ والاشتقاق ١٥٣ واللآلىء ٦٤٧ .

(٥) تجتذم : تقطع . وفى الأصل : « يجتذم » .

(٦) ضبطت « ذكوان » فى الأصل . بضم النون .

رجوتُ فِراساً صَعَّد اللهُ رُوحَه فلم أكتسبْ منه على عاجز فَضْلا[١]

كان أمثل أخوالها[٢]، فرجا أن يُشبِهاه فلم يَفضلا على رجلٍ عاجز.

— ١٠ —

ومنهم رجلٌ قال لأبيه يهجوه، يقال إنّه الحطيئة:

لحاكَ اللهُ ثمَّ بَرَاكَ ربّى أبًا وبَرَاكَ من عمٍّ وخالِ[٣]
فبئس الشيخ أنت لدى التّنادِى وبئس الشيخُ أنت لدى لَمَعالِى[٤]
حويتَ اللؤمَ لا حيّاكَ ربِّى وأبوابَ المَخازِى والضّــلالِ

— ١١ —

ومنهم الُخنافر بن موسى بن جابر بن شُريح بن أرقم بن عُبيد، وعقّ أباه فقال مُوسَى فيه:

وَيرفعُ أقوامٌ أباهم وبعضُهم إلى أسفل الوادى وما ضاقَ حادرُ
فذلك مَن لا يَستحِى من خِزَايةٍ وبَغْل الإماء وابنهنّ الُخنافرُ

— ١٢ —

ومنهم أبو الطّحاء الطائىّ، هجا أمّه فقال:

يا أمّ لا رقأت عَينٌ بكيتِ بها ولا جرَتْ لكم الطّيرُ الميامينُ

---

(١) ضبطت «رجوت» فى الأصل بفتح التاء.

(٢) فى الأصل: «أحوالها» بالحاء المهملة، تحريف. والولد ينزع إلى أخواله.

(٣) فى ديوان الحطيئة ١١٩ والشعر والشعراء ٢٨٢: «ثم لحاك حقا أبا ولحاك من عم وخال».

(٤) الديوان والشعر والشعراء:

فنعم الشيخ أنت لدى المخازى وبئس الشيخ أنت لدى المعالى
جمعت اللؤم لا حياك ربى وأسباب السفاهة والضلال

لكن فى الشعر والشعراء: «وأبواب السفاهة».

لما أتيتُ بها الأعرابَ أدفِنُها   أهوِنْ علىَّ بشخصٍ ثَمّ مَدفونِ[1]
جاءت برايبةٍ صفراءَ حامضةٍ   وجَردَقٍ من حصاد السمجون[2]
فكُلْ بُنَىَّ فإن الخمرَ غاليةٌ   وليس يشربُها غيرُ المجانين
يا أمّ إنى أكلت النُّون بعدكم   فهل لنا من شرابٍ هاضمِ النُّونِ[3]

— ١٣ —

ومنهم الحطيئة ، هجا أمّه ، كانت آثرت أخاه عليه فقال :

جزاكِ الله شَرًّا من عجوزٍ   ولقّاكِ العُقوقَ من البنينا[4]
تنحَّىْ فاقعُدِى عنَّا بعيداً   أراحَ اللهُ منكِ العالمينا[5]
حياتُكِ ما علمتُ حياةُ سَوءٍ   وموتُكِ قد يسُرُّ الصالحينا
وغربالٌ إذا استُودِعتِ سِرًّا   وكانونٌ على المتحدِّثينا[6]

---

(١) الدفن : الستر والمواراة ، ومنه ادفان العبد ، وهو أن يختفى عن مواليه ، يدفن نفسه فى البلد ، أى يكتمها .

(٢) رائبة : أى طائفة من اللبن قد رابت . راب اللبن : خثر . وفى الأصل « رابية » تحريف . والجردق : الرغيف ، فارسى معرب . والكلمة التى قبل الأخيرة مطموسة فى الأصل لم يظهر منها إلا الألف واللام ، لعلها « البر » .

(٣) النون : الحوت .

(٤) الأبيات فى ديوانه ٦١ والشعراء ٢٧٢ والأغانى ٢ : ٤٣ .

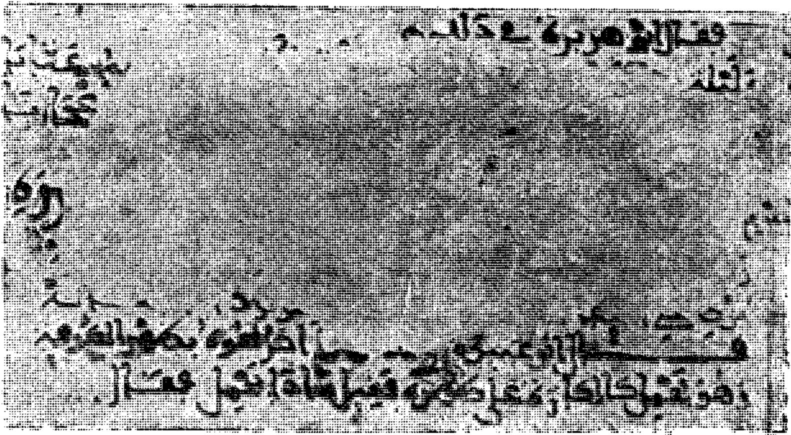
(٥) الديوان والأغانى : « فاجلسى منى بعيدا » الشعراء : « فاقعدى منى » .

(٦) فى الديوان والشعراء والأغانى : « أغربالا » و « وكانونا » . وفى الديوان ٦١ مقطوعة أخرى شبيهة بها ، أنشدها كذلك أبوالفرج فى الأغانى ٢ : ٦٣ برواية أخرى . والمقطوعة :

جزاك الله شرا من عجوز   ولقاك العقوق من البنين
لقد سوست أمر بنيك حتى   تركتهم أدق من الطحين
لسانك مبرد لم يبق شيئاً   ودرك در جاذبة دهين
فإن تخلى وأمرك لا تصولى   بمشدود قواه ولا متين

— ١٤ —

ومنهم عتّاب بن أبى هريرة بن عامر بن مالك[١] عقّ أباه[٢] ،



— ١٥ —

قال أبو عبيدة: ومنهم آخر لقُوه بظهر الكوفة وهو يَحِملُ كالكارَةِ[٣] على ظهره ، فقيل : ماذا يحمل ؟ فقال :

أنا لها مطيّةٌ لا أُنكِرُ إذا المطايا نَفَرت لاتنفِرُ

ما أرضَعَتْنى وحملَتْنى أكثر[٤]

---

(١) رسمت فى الأصل : « ملك » .

(٢) بعد هذا نص يشيع فيه البياض فى الأصل لم أستطع ترجمته بالكتابة فآثرت أن أنقل صورته ومعه كلام مما بعده .

(٣) الكارة : ما يحمل على الظهر من الثياب .

(٤) كذا . والوجه : « ما أرضعت وحملتنى أكثر » .

— ١٦ —

قال أبو عبيدة : وكان لأعشى سُلَيم (١) ابنٌ بارٌّ به فغابَ فى بعض حوائجه فأنشأ الأعشى يقول :

نفسى فداؤك من غائب إذا ما البيوتُ لَبِسْنَ الجليدا
كفيتَ الذى كنتَ تُرْجَى له فصرت أباً [لى] وصرت الوليدا

— ١٧ —

ومنهم بنو الضِّبَاب بن سَدوس الطُّهَوِىّ (٢) ، بَرُّوه ، وكان قد أسنَّ فقال فى ذلك :

لعمرى لقد بَرَّ الضِّبابَ بنوه وبعضُ البنين حُمَّةٌ وسُعالُ (٣)

تمَّ كتابُ أبى عبيدة معمر بن المثنى

---

(١) شاعر كان معاصراً لبشار بن برد . الأغانى ٣ : ٥٩ . واسمه « سليمان » وكنيته « أبو عمرو » أنشد له أبو الفرج ٥ . ١٣٤ :

كانوا فحولا فصاروا عند حلبتهم لما انبرى لهم دحمان خصيانا
فأبلغوه عن الأعشى مقالته أعشى سليم أبى عمرو سليمان
قولوا يقول أبو عمرو لصحبته ياليت دحمان قبل الموت غنانا

(٢) فى اللسان : « والضباب : اسم رجل ، وهو أبو بطن ، سمى بجمع الضب » . وأنشد له البيت التالى .

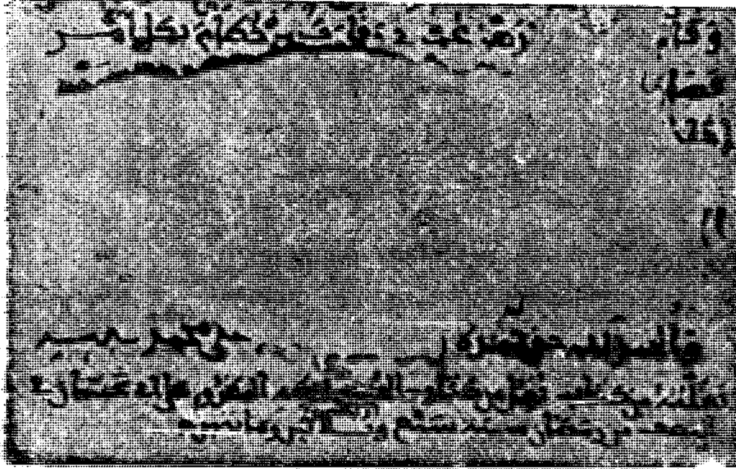
(٣) الحمة : الحمى ، وهى علة يستحر بها الجسم . وفى اللسان : « غصة وسعال » .

قال أبو غسّان (عن غير أبى عبيدة) :

قال رجلٌ فى ابنٍ له كان بارًّا به ، يشْكُر بِرّه :

جَزَى ابنى الله خير جزاء بَرٍّ فقد فرَعَ الهمومَ برُحبِ صدرِ[1]

كفَى ما كنت آمُله صغيراً له مِن نائبٍ وملمٍّ دَهرِ[2]



[قراءة الأسطر الثلاثة الأخيرة]

والحمد لله حق حمده [. . . . . .] على محمد نبيه

نقلته من كتاب نُقِل من كتاب الخُشَنىّ بخطه

المقروء على أبى غسان فى النِّصف من رمضان

سنة سبع وثلاثين ومائتين

(١) فرعها : علاها وغلبها .

(٢) بعد هذه الكلمة النص الأخير للكتاب . ولشدة انطماسه آثرت أن أنقل صورته بعد هذا :

نوادر المخطوطات

٨

بتحقيق
عبد السلام هارون

المجموعة الثامنة

وقد ألحق بها (الفهارس العامة) للمجلد الثانى

٢٥ — كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى
وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه ،
لعرام بن الأصبغ السلمى

الطبعة الثانية

١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبى وشركاه - خلفاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقــــــديم

هذه هي المجموعة الثامنة من (نوادر المخطوطات) ، وقد تضمنت كتاب عرام بن الأصبغ السلمى فى (أسماء جبال تهامة وسكانها ، وما فيها من القرى ، وما ينبت عليها من الأشجار ومافيها من المياه) ، كما تضمنت (الفهارس العامة) للمجلد الثانى من نوادر المخطوطات ، طبقا للنظام الذى اتبع فى المجلد الأول .

وكنت قد وعدت بنشر هذا الكتاب فى المجموعة الأولى من (نوادر المخطوطات) ولم تهيأ لى فرصة نشره إذ ذاك ، واتفقت أحوال دعتنى إلى إفراده بالنشر خارج نطاق نوادر المخطوطات ، ثم رأيت أن أنجز الوعد الذى وعدت فأعيد نشره فى نطاق النوادر نشرة أوفى وأضوأ من تلك النشرة الأولى .

وتمتاز هذه النشرة الثانية بإضافة عدة تصحيحات وتعليقات وقعت إلينا بعد أداء النشرة الأولى ، وكذلك بضع تصحيحات وتعليقات للأستاذ الشيخ حمد الجاسر .

ومما تمتاز به عقد مقارنة تحقيقية بين نشرتى الأولى والثانية للكتاب وبين نشرة الصديق العلامة عبد العزيز الميمنى الراجكوتى الأستاذ بجامعة عليكره بالهند .

وكذلك إضافة أرقام صفحات نسخة الأصل .

وقد استدعى نظام نوادر المخطوطات أن ألغى الفهارس الخاصة بهذة الرسالة لأدمجها فى الفهرس العام لهذا المجلد الثانى من النوادر ، وهو ملحق بهذه المجموعة ، ولم أحتفظ من تلك الفهارس الخاصة إلا بفهرس النبات والحيوان ، لأنهما لا نظير لهما فى الفهارس العامة .

مقدمة التحقيق

[للنشرة الأولى (١)

تهامة :

« تهامة » كلمة يختلف مدلولها اختلافاً شديداً ، فهى تمتد طولا مابين عدن إلى تخوم الشام مسايرة شاطئ البحر ، وحتى تنكمش أحياناً من الشمال أو من الجنوب ، ويختلف علماء البلدان الأقدمون فى ذلك. ولعل أصدق دليل على هذا ماذكره عرام فى صدر كتابه هذا ، أن أول جبال تهامة هو « رضوى » ، وهو من ينبع على يوم .

ويبدو أن ذلك الانبساط والانكماش جاء فى مختلف العصور نتيجة للسلطان السياسى أو القبلى الذى كان يسود تلك المنطقة أو يتقلص عنها .

على أن اللغة تعيننا عوناً تاماً فى هذه القضية ، إذ أن اشتقاق تهامة من « التهم » ، وهو تغير الريح وركودها وشدة الحر . فالامتداد الساحلى من جنوب اليمن إلى تخوم الشام هو الذى تصدق عليه هذه التسمية .

وإن الراجع إلى أقوال العلماء القدماء ليفهم أن تقسيم الجزيرة العربية يخضع إلى حدٍّ ما للحجاز ، وهو الجبل الممتد الذى حجز بين شطرين جغرافيين متباينين من الجزيرة ، أحدهما مرتفع وهو نجد ، والآخر منخفض عنه غائر وهو غور تهامة. وسراة هذا الجبل ، أى أعاليه ، هى مايسمى بالسراة ، ممتدة ما بين أقصى اليمن وأدنى الشام .

فبالطبيعة الجغرافية تكون تهامة هى الغور الضيق الذى يساير بحر القلزم ،

---

(١) أظهرت هذه النشرة فى كتاب مستقل فى تاريخ غرة جمادى الثانية سنة ١٣٧٢ .

ضارباً من الجانب العربى لشبه جزيرة طورسينا إلى أقصى الجنوب من بلاد اليمن، ويختلف عرضها اختلافاً كبيراً ، فهى بين الطور والسويس جزء ضيق من الساحل (١) . وأوسع موضع فى تهامة هو ساحل جدة . وهناك تهامة اليمن ، وتهامة الحجاز .

وكانت تهامة اليمن فى بعض العهود ولاية قائمة بذاتها ، ولا سيما فى عهد الفتح الفارسى لليمن فى نهاية القرن السادس الميلادى ، ثم ولى تهامة هذه من بعد بنو زياد، وكانت حاضرتها « زبيد » ، ثم أصبحت ولاية خاضعة لأئمة صنعاء .

وهناك تهامة أخرى فى غير الجزيرة العربية ، وهى على الشاطئ الغربى للبحر ، وهى (تهامة الحبشة) ، ذكرها ابن خرداذبه (٢) ، وهو يعنى بذلك مايعرف اليوم بساحل « إرتيريا » .

أما تهامة الذى يعنيها عرام فى كتابه هذا فهى (تهامة الحجاز) لاريب ، يجعل أول جبالها الشمالية «رضوى» وهى من ينبع على يوم ، ومن المدينة على سبع مراحل ، وحدها الجنوبى الطائف وقراها .

ومع أن ظاهر هذا الكتاب أنه خاص بجبال تهامة وسكانها ومايتعلق بها ، الواقع أنه يشمل الكلام على تهامة والحجاز . فنحن نجد أن ما يخص تهامة ينتهى عندما يقرب من ثلاثة أخماس الكتاب ، أى فى ص ٤٩ . ثم نجد فصلا معقوداً لحد الحجاز ، يتناول كثيراً من البلدان والقرى والجبال والمواقع الحجازية المجاورة للمدينة . وهى وإن يكن ذكرها جاء تبعاً لذكر تهامة لملاصقتها لها ومصاقبتها ، فإنها ظفرت بنصيب وافر من عناية عرام ، واحتلت مكاناً أصيلا من الكتاب .

وأنت حينما تنتهى إلى خاتمة الكتاب تلقى هذا النص ، «تم كتاب أسماء جبال مكة والمدينة وما يتصل بها » .

وقد يوحى هذا النص بأنهما كتابان أحدهما لتهامة والآخر لمكة والمدينة . وليس الأمر إلا ماذكرت من استطراد عرام ، وأن كلمة « كتاب » لاتعنى إلا ماكتبه

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية (تهامة) .
(٢) المكتبة الجغرافية (٦ : ١٥٥) .

فى هذه الناحية، فإن الأقدمين لم يذكروا لعرام إلا هذا الكتاب «كتاب أسماء جبال تهامة»، وعنه ينقل الناقلون والمؤلفون.

نسبة هذا الكتاب :

ينسب هذا الكتاب إلى «أبى الأشعث الكندى[١]»، وهو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك، وهو الذى روى الكتاب مباشرة عن «عرام». ولم أجد لأبى الأشعث ترجمة، ولكن من المرجح أنه من رجال القرن الثالث، إذ أن شيخه «ابن أبى سعد» كانت وفاته سنة ١٧٤.

ومن عجب أن ياقوتاً لم ينسب الكتاب إلى عرام فى مقدمته، ولكن نسبه إليه فى مواضع مختلفة من صلب الكتاب.

وينسب هذا الكتاب أيضاً إلى «السكونى»، قال البكرى: «وجميع ما أورده فى هذا الكتاب عن السكونى فهو من كتاب أبى عبيد الله بن بشر السكونى[٢] فى جبال تهامة ومحالها، يحمل جميع ذلك عن أبى الأشعث عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك الكندى، عن عرام بن الأصبغ السلمى الأعرابى».

وقد رجعت إلى النصوص التى عزاها البكرى فى معجمه إلى السكونى فوجدت كثيراً منها زائداً على كتابنا هذا، مما يدل على أن «السكونى» جعل الكتاب أساسه فى الرواية، ولكنه زاد عليه كثيراً من التعليقات والإضافات، شأن كثير من رواة الكتب الأقدمين.

ومن أمثلة ذلك ما ورد فى ص ٦٥٩ من معجم البكرى: «وقال السكونى بإسناده عن موسى بن إسحاق بن عمارة قال: مررنا بالبغيبغة مع محمد بن عبدالله بن حسن وهى عامرة، فقال: أتعجبون لها، والله لتموتن حتى لا يبقى فيها خضراء ثم لتعيشن ثم لتموتن. وقال السكونى فى ذكر مياه ضمرة: كانت البغيبغة وغيقة وأذناب الصفراء

---

(١) مقدمة معجم البلدان لياقوت ص ٨.

(٢) السكونى هذا كندى أيضا مثل أبى الأشعث، فإن السكون، بفتح السين، بطن من كندة.

مياها لبنى غفار من ضمرة. قال السكونى: كان العباس بن الحسن يكثر صفة ينبع للرشيد فقال له يوما: قرب لى صفتها. فقال:

ياوادى القصر نعم القصر والوادى   من منزل حاضر إن شئت أو بادى
تلقى قراقيره بالعقـر واقفـة   والضب والنون والملاح والحادى»

فهذا نص واضح أنه ليس من كتاب عرام، وليس مما رواه السكونى عن عرام.

وفى ص ٨١١ : «وروى السكونى عن رجاله عن طارق بن عبد الرحمن، قال لسعيد بن المسيب: مررنا على مسجد الشجرة فصلينا فيه. فقال: ومن أين يعلم ذلك؟ قال: سمعت الناس يقولونه ..» إلخ. فهذا تعليق على «الحديبية» ومسجدها. وهو مسجد الشجرة، وليس هذا من كتاب عرام فى شىء.

وهذا نص ثالث ليس من كتاب عرام ولا من منهجه فى كتابه، قال السكونى [1]: إذا أردت أن تصدق الأعراب إلى العجز — يريد عجز هوازن — ترتحل من المدينة فتنزل ذا الغصة وهى للسلطان، فتصدق بنى عوال من بنى ثعلبة بن سعد. ثم تنزل الأبرق أبرق الحمى وهى لبنى أبى طالب. ثم تنزل الربذة ثم عريج وهى لحرام بن عدى بن جشم بن معاوية. ثم تنزل الماعزة — ويقال الماعزية — وهى لبنى عامر، من بنى البكاء، ثم تنزل بطن تربة فتصدق هلال بن عامر والضباب. ثم تنزل تريم وهى لبنى جشم. ثم تنزل السى فتصدق بنى هلال، ثم ناصفة وهى لبنى زمان بن عدى بن جشم، ثم الشيسة وهى لبنى زمان أيضاً، ثم ترعى وهى لبنى جداعة، ثم تأتى بوانة.

فهذا دليل دامغ أن كتاب السكونى فى جبال تهامة هو رواية حرة لكتاب عرام اعتمدت على التعليقات الكثيرة والإضافات الاستطرادية، ويكون البكرى فضفاض العبارة فى كلمته التى سقتها له.

ومهما يكن فإن نسختنا هذه كريمة الإسناد، يرويها السيرافى، الذى قيل إنه وضع كتابا فى جزيرة العرب، عن أبى محمد السكرى، عن أبى سعد، عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك المعروف بأبى الأشعث الكندى، عن عرام.

---

(١) معجم ما استعجم ١٢٣٦.

عرام بن الأصبغ السلمى :

ولم نعثر لعرام على ترجمة، إلا ما ذكره ابن النديم(١) عرضا عند سرده لأسماء الأعراب الذين دخلوا الحاضرة، فذكره قرينا لأبى الهيثم الأعرابى، وأبى المجيب الربعى، وأبى الجراح العقيلى، وقد ذكره باسمه كاملا، « عرام بن الأصبغ السلمى ».

ويبدو أنه كان أحد أعراب بنى سليم ممن كانوا يطوفون بالبلدان ويتعرفون مسالكها فيكتسبون بذلك خبرة صادقة . واشتقاق « عرام » من العرامة بمعنى الشدة والقوة والشراسة . ويقال : عرمنا الصبي وعرم علينا ، أى أشر ، وقيل فرح وبطر ، وقيل فسد . و « الأصبغ » اسم أبيه مأخوذ من الأصبغ ، وهو من الخيل ما ابيضت ناصيته كلها ، ومن الطير ما ابيض ذنبه .

عرام النحوى :

وأما عرام الذى ذكره ابن النديم فى الفهرست(١) ، والقفطى(٢) فى إنباه الرواة، فهو لقب لأحد النحويين. وعرام ليس اسماً لذلك النحوى بل هو لقب له، واسمه أبو الفضل العباس بن محمد، أو المفضل بن عباس بن محمد. وكان هذا النحوى فيما ذكروا ماجناً رقيعا خفيف العقل، وهو بلا ريب غير عرام بن الأصبغ الذى يعد كتابه هذا وثيقة من أهم الوثائق البلدانية، وأما من أمهات المراجع الأصيلة .

نسخة الأصل :

أصل هذه النسخة فريدة فى مكتبات العالم ، وهو محفوظ فى دار الكتب السعيدية بحيدر أباد فى مجموعة برقم (٣٦٥ حديث) وتاريخها يرجع إلى سنة ٨٧٦ . والنسخة فى ست ورقات، أى اثنتى عشرة صفحة، بكل صفحة منها ٢٥ سطراً . ومقياس الصفحة ١٨× ٢٠ . وهى عسرة القراءة مكتوبة بخط نسخى غامض ردىء فيه كثير من إهمال النقط، كما أنها كثيرة التحريف والتصحيف. وقد تغلبت على ما

---

(١) ابن النديم ١٢٧ مصر ٨٦ ليبسك .
(٢) إنباه الرواة القسم الرابع من المجلد الثانى ص٣٩٩ مصورة دار الكتب المصرية.

بها من عسر بالرجوع إلى كتب البلدان ، وفى مقدمتها معجم ياقوت ومعجم البكرى ، وهما قد استوعبا معظم نصوص هــذا الـكتاب على ما بهما كذلك من تصحيف وتحريف . وكذلك استفتيت معاجم اللغة وغيرها من الكتب فى جميع الفنون التى يتطلبها التحقيق ، غير آل جهداً أن يظهر هذا الكتاب على أقرب ما يكون من السلامة .

تحقيق هذا الـكتاب :

لم أكن أعرف شيئاً عن وجود هذا الكتاب إلا ما كان يقع تحت نظرى كثيرا عند مراجعتى لمعاجم البلدان من ذكر (عرام بن الأصبغ السلمى) حتى كان يوم لقيت فيه الصديق الكريم (الشيخ سليمان الصنيع) ، وكنت قد شرعت فى عمل علمى يرمى إلى نشر المخطوطات النادرة الصغيرة ، وهو الذى أخرجت منه مجموعتين مشتملتين على تسعة كتب نادرة باسم «نوادر المخطوطات» فأخبرنى حضرة الأخ أن لديه مخطوطة جديرة بالنشر ، هى كتاب عرام هذا ، ووعدنى أن يرسله إلىّ من الحجاز لأقوم بتحقيقه ونشره ، وكان أن برّ بما وعد به ، وأرسل النسخة إلىّ فوجدتها مخطوطة سنة ١٣٦٨ عن نسخة نقلها الشيخ إبراهيم حمدى مدير مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة عن نسخة الهند . ونسخة الأخ الشيخ سليمان هذه قد عنى بمراجعتها وتحقيق بعض مواضع منها .

ثم تفضل الشيخ الجليل (السيد محمد نصيف) فكتب إلىّ يشفع رغبة الشيخ سليمان برغبته الكريمة ، وأرسل إلى نسخة أخرى نقلها الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليمانى عن الأصل الهندى فى دقة وإتقان ومطابقة للأصل .

ولـكن ذلك كله لم يقنع ضميرى العلمى ، إذ أن أصل الكتاب موجود ، وأن من الممكن الحصول عليه ، فانتهزت فرصة رحلة الأخ البار (الأستاذ رشاد عبد المطلب) إلى الهند فى بعثة جامعة الدول العربية لجلب صور مخطوطاتها النفيسة ، فأوصيته أن يحضر معه صورة كتاب عرام . فكان له الفضل الطائل فى أن تمكن من اجتلابها ، فكانت هى الأصل الذى اعتمدت عليه فى نشر هذا الـكتاب .

فالشكر لحضرة الأخ (الشيخ سليمان الصنيع) على ما بذل من فضل بتعريفى بهذا

الكتاب وما قدم من خير ، ولحضرة الأخ (الأستاذ رشاد عبد المطلب) الذى كان له فضل اجتلاب نسخة الأصل من الهند .

وليس يفوتنى أن أجعل خاتمة كلمتى هذه شكر السيدين النبيلين (السيد محمد نصيف) و (السيد يوسف زينل) ، لما أظهرا من اهتمام كريم بنشر هذا الكتاب ، وما قاما به من الإنفاق على طبعه ، إسهاما فى نشر العلم وأداء الأمانة ؟

القاهرة فى { غرة جمادى الثانية سنة ١٣٧٢ (١) } عبد السلام هارون

(١) هـذا هو تاريخ النشرة الأولى ، وقد ظهر محرفا تحريفا مطبعيا فيما قبل فقرى سنة ١٣٧٣ .

نقد النشرة الأولى

ذاك ما كتبته فى صدر نشرتى الأولى لكتاب عرام . وقد سرنى عظيم السرور أن يظهر بعد نحو ثلاثة أشهر من ظهور هذه النشرة نقد علمى لها بقلم الأخ العالم الشيخ حمد الجاسر عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ، فى مجلة المجمع ٢٨ : العدد الثالث ص ٣٩٦ – ٤٠٢ بتاريخ شوال سنة ١٣٧٢ ، والعدد الرابع ص ٥٩٢ – ٥٩٩ بتاريخ المحرم سنة ١٣٧٣ .

وأنا ممن يعجبه النقد إعجابا ، ويرى فيه إتماما لأداء الأمانة العلمية التى يحملها العلماء جميعاً لا ينفرد أحد منهم بحملها وحده ، ويرى كذلك أن من كتم الأمانة آثم فى حقها وفى حق العلم .

فكان من الطبيعى عندى أن ألقى ذلك النقد فى غبطة ، وكان من الطبيعى أيضاً أن أغض الطرف عما يندفع فيه الناقد أحيانا من لغة هى أشبه بنزوات الظافر فى حومة القتال ، فهى نزوات قل من عصم نفسه البشرية من أمثالها .

وقد كنت دعوت من قبل إلى أن يكون النقد بين الأدباء جاريا على سنن رفيع من أساليب التعبير ، وأن يكون مبرأ من العوامل الشخصية ، وكتبت قديما فيما كتبت فى مجلة الثقافة العدد ٦٤٧ مايو سنة ١٩٥١ :

« لم يعُد النقد الأدبى كما كان بالأمس تجريحا وتشهيرا بالمنقود ، بل آن أن نصطنع الجد فيما يمس أقدار الأدباء وكراماتهم العلمية ، فإن العثار أمر يعرض للأدباء جميعا ، لا يرتاب فى ذلك إلا مغتر ، أو ذاهب العقل ، أو متهافت النفس . وأمر النقد لا يعدو أن يكون معاونة ومجادلة فى الرأى ، أو مشاركة فى التهدى إلى الصواب . والنقد أبدا خادم للعلم ، وليس ضربا هيناً من فنون الهجاء ، وإنما هو فن رفيع يتأتى إليه الأديب فى خلق سمح وخطاب كريم » .

وبهذه الروح التى أعتز بها وأومن بوحيها إيمانا صادقا ، أنشر صدر كلمة الأستاذ الجاسر ، وهى كلمة كريمة كنت أرجو أن تكون مبرأة من بعض الهنات التى

شوهت شيئا من قسماتها . ولكن الكمال لله وحده .

وأعود هنا فأقول : إن النسخة التي تأدت إلينا من كتاب عرام عريقة في التصحيف والتحريف عسرة القراءة ، بحيث تجعل المحقق في صراع مع كل لفظ من ألفاظها ، وأحيانا بين كل حرف من حروف ألفاظها . ومهما بذل محقق جهده ووكده فليس بمستطيع أن يحررها تحريراً كاملا .

لذلك أيضاً أعلن غبطتي بما ظفرت به هذه الرسالة من تحقيقات وتصحيحات وتعليقات للأستاذ الناقد الكريم ، بلغت جميعها نيفاً وعشرين ، وسيرى القارئ أثر ما صح عندي من هذه النقدات والتعليقات في مواضعها إن شاء الله .

وقد ظنّ بنا الأستاذ الجاسر أنا قد اطلعنا على نشرة الأستاذ الميمني عند تحقيق النشرة الأولى ، وأنا كتمنا ذلك على القراء ! ! وهي تهمة ساذجة نرجو له من أجلها غفرانا واسعا من الله ، فإني لم أر هذه النسخة للمرة الأولى إلا ظهر يوم الخميس ١١ شوال سنة ١٣٧٤ في دار صديقه وصديقنا الأستاذ رشاد عبد المطلب .

وإليك ما كتب الشيخ الناقد في صدر كلامه مقرونا بشكري الصادق وعتبي الصادق أيضاً :

أسماء جبال تهامة

تأليف : عرام بن الأصبغ السلمى

تحقيق : عبد السلام هارون الأستاذ المساعد بجامعة القاهرة

لنشر هذه الرسالة قصة نجملها بأن الشيخ إبراهيم الخربوطلى مدير مكتبة (شيخ الإسلام) فى المدينة (المتوفى سنة ١٣٧١) زار الهند فى عام ١٣٥٧ فرأى العلامة المحقق الشيخ عبدالعزيز الميمنى عضو المجمع العلمى العربى يقوم بنسخها ، فساعده فى مقابلة ما نسخه على الأصل ، ونسخ هو نسخة أتى بها إلى الحجاز. ولما مر بجدة نزل فى ضيافة السرى المفضال السيد محمد حسين نصيف وأطلعه على هذه النسخة ، فاستنسخها الشيخ نصيف وأطلع عليها كثيرا من المعنيين بالعلم من علماء وغيرهم ، فمنهم من نسخها ومنهم من استفاد منها ، وكان ممن نسخها على نسخة الشيخ نصيف الشيخ سليمان الصنيع . وقد بذل جهدا مشكورا فى تصحيحها بمقابلة ما جاء فيها على معجم البلدان ومعجم ما استعجم وغيرهما من الكتب ، إذ نسخة الشيخ الخربوطلى كثيرة التحريف والغلط ، زيادة على ما فى الأصل من ذلك . ولما زار مصر أطلع الأستاذ عبد السلام محمد هارون على أمر هذه الرسالة لكى ينشرها فى مجموعة من الرسائل النادرة[١] ، وبعث إليه بعد أن عاد من مصر بنسخة ، ولكنه لم ينشرها بل قال فى مقدمة المجموعة الثانية من (نوادر المخطوطات) ص ١١٦ : « كنت قد اعتزمت أن أنشر فى هذه المجموعة كتاب عرام بن الأصبغ السلمى فى أسماء جبال تهامة . . ولكن علمت أن العلامة عبد العزيز الميمنى الراجكوتى قد قام بنشر هذا الكتاب ، فآثرت أن أؤجل صنعه إلى أن أطلع على نسخته » .

أما الشيخ الميمنى فقد نشر الرسالة — كما ذكر الأستاذ عبد السلام — نشرها فى مجلة الكلية الشرقية التى تصدر فى مدينة لاهور فى الباكستان : Oriental)

---

(١) يعنى نوادر المخطوطات .

(College Magazine) بعد أن وضع لها مقدمةوصف فيها الأصل، وتحدث عن مؤلف الرسالة . وأشار إلى شيء من خبر المكتبة السعيدية التي وجدت فيها .

وقد أراد الشيخ محمدنصيف نشر هذه الرسالة — لأنه لم يطلع على مانشره الشيخ الميمنى فبعث بها إلى (المجمع العلمى العربى) فأرجعت إليه وقيل له : ينبغى أن يقوم بتصحيحها فلان - كاتب هذا المقال - فبعث بها إلىّ ، ولكننى رأيت تحقيقها تحقيقاً مفيدا يتطلب الحصول على صورةعكسيةمن الأصل (فتوغرافية) وأبديت للشيخ نصيف عدم صلاحية نسخته للنشر قبل مقابلتها على الأصل مقابلة دقيقة ، فبعث بها إلى الشيخ عبد الرحمن المعلمى اليمانى — وكان إذ ذاك فى الهندمن القائمين على نشر الكتب التى تطبعها دائرة المعارف العثمانية فى (حيدر أباد) فقابلها على الأصل مقابلةدقيقة، ونسخ نسخة أخرى عن الأصل بعث بها إلى الشيخ نصيف. وبمقابلة تلك النسخةظهر أن نسخة الشيخ الحربوطلى كثيرة التحريف والغلط .

ثم رأى الشيخ محمد نصيف أن يقوم بنشر الرسالة، وأن يتولى نشرها الأستاذ عبد السلام هارون. وكانت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية قد بعثت إلى الهند السيد محمد رشاد عبد المطلب ليصور بعض المخطوطات العربية النادرة . فكان مما صور أصل هذه الرسالة .

وقد حرصت حينما كنت فى القاهرة على الاطلاع على النسخة التى صورتها الإدارة الثقافية ، ولكننى لم أتمكن من ذلك مع مابينى وبين السيد محمد رشاد من الصلة — التى أعتبرها أنا قوية — وقد تكرم فأعارنى نسخة من النسخ التى طبعها الأستاذ الميمنى .

وقد اتصلت بالأستاذ الجليل الشيخ محب الدين الخطيب ، وتحدثت معه فى موضوع نشرها ولكنه قال : إن الأمر يتطلب وجود نسخة من الأصل .

ولعل الله أراد لهذه الرسالة خيراً — بإحيائها وتحقيقها من علامة محقق ، ذى خبرة ودراية وطول معاناة ، هو الأستاذ عبد السلام هارون .

وليس لنا من عتب نوجهه إلى إخواننا فى مصر الذين قد تحول ظروفهم الخاصة دون إطلاعنا على مارغب الاطلاع عليه من الكتب التى لنا حق الاطلاع عليها —

وخاصة مخطوطات الإدارة الثقافية — نعم ليس من حق فى عتبهم ، فلعل لهم من العذر ما نجهله . غير أننا نعلم — كما يعلمون — أن التعاضد والتساند والتآزر فى سبيل العلم أمور يجب أن تقدم على كل اعتبار .

وأما كلمتنا عن الأستاذ عبد السلام — فى تحقيقه لهذه الرسالة — فهى تحوى شيئا من الاختلاف معه فى شأن التحقيق ، وهو اختلاف ما كنت أوده ، إذ الاختلاف شر فى جميع وجوهه ، غير أن واجب العلم يقضى به . لقد قلت فى كلمات نشرت فى (الرسالة ، ومجلة المجمع العلمى ، ومجلة الفتح ، ومجلة الحج) إن بعض إخواننا الجامعيين كالأستاذ مصطفى . . والأستاذ الدكتور زكى . . قاموا بتحقيق بعض المؤلفات أو ترجمتها قياما لا يناسب مع مالهم من منزلة علمية رفيعة ، وخشيت أن يكون ماقيل من أن بعض العلماء المشهورين يكتفى بوضع اسمه على المؤلف الذى يراد منه تحقيقه ، ويكل الأمر إلى بعض إخوانه ممن لا يبلغون منزلته — خشيت أن يكون هذا حقا . أما الأستاذ عبد السلام فأنا أبرئه من هذه الوصمة ، لأنى شاهدت من آثار عمله فى تحقيق بعض المؤلفات القديمة ملم أشاهده من كثير ممن يعنون بذلك .

وكنت أود أن أجد فى هذه الرسالة ماوجدته فى غيرها من الكتب التى حققها أو أكثر مما وجدته ، غير أنى — وإن رأيت فيها ما يسر ويفيد ويمتع — رأيت كل هذا قليلاً بالنسبة لما كنت أتوقعه من الأستاذ ، ولكى أدلك على قولى يحسن بى أن أذكر بعض ما رأيته فى حاجة إلى مزيد من العناية .

لم يشر الأستاذ عبد السلام إلى أن العلامة الميمنى نشر هذه الرسالة (١) ، والأمانة العلمية والاعتراف لكل ذى حق بحقه يقضيان بعدم إخفاء مجهود هذا المحقق (٢)

---

(١) كيف يتفق هذا مع مانقله الأستاذ من قولى ، فى مقدمة هذا المقال ص ٣٧٣ س ١٩ — ٢٠ .

(٢) كذا طوع للأستاذ الجاسر قلمه ولسانه أن يزل هذه الزلة التى لا تليق برجل يعلمنى حق العلم ، ويعلم حرصى على التنويه بفضل كل ذى فضل ، ولا سيما العلامة الميمنى الذى لا يكاد كتاب من كتبى من التنويه بفضله ، وقد كنت شريكا له فى نشر خزانة الأدب مع المغفور له أحمد تيمور باشا . والصلة بينى وبينه وثيقة لا يضيرها مثل هذا الادعاء . =

الذى لا يجهل باحث فى الأدب العربى ماله من أياد فى سبيل تحقيق كثير من الكتب الأدبية ، ولا ينكر ماله من فضل وعلم . ولا أكون مبالغاً حين أقول بأن جهده فى تحقيق هذه الرسالة لايقل عن جهد الأستاذ عبد السلام إن لم يفقه ؛ فالميمنى مثلا أوضح من حالة عرام وبين عصره فذكر أنه من أهل القرن الثانى وأول الثالث (١) وأنه ممن دخل خراسان مع عبد الله بن طاهر سنة ٢١٧ وهذه من الأمور التى فاتت الأستاذ هارون ، وهى أمور لابد منها ، إذ معرفة المؤلف أهم مايعتنى به محقق الكتاب .

قد يقال بأن الأستاذ يجهل كون الميمنى قام بتحقيق هذه الرسالة . ولكن هذا يردّه أمور :

١ـ أنه صرح بعلم بذلك قبل شروعه فى تحقيق الرسالة .

٢ـ أن السيد محمد رشاد عبد المطلب الذى قال الأستاذ هارون بأنه أوصاه بإحضار نسخة مصورة من أصل الرسالة فأحضرها ، قد أحضر فى الوقت نفسه نسخة من تحقيق الميمنى (٢) .

٣ ـ أننى نشرت فى الرسالة فى العام الماضى نبأ نشر الأستاذ الميمنى ، أثناء نقدى لطبعة السقا لكتاب (معجم مااستعجم) . وليس عبد السلام ممن يوصف بأنه لا يقرأ مجلة (الرسالة) وهو ممن يكتبون فيها (٣) .

= أما السر فى إخفائى مجهود هذا المحقق كما زعم الشيخ فهو أنى لم أكن رأيت هذا المجهود بعد ، فكيف أظهر شيئاً لايزال عندى فى ضمير الغيب ؟ ! ! وكيف يقال إنى أخفيت مالم يظهر لى بعد ؟ ! وأما السر فى عدم اطلاعى على نسخة الميمنى التى اجتلبها الأستاذ رشاد عبد المطلب من الهند فقد أفصح عنه الشيخ نفسه بقوله فى هـذا المقال : « وقد تكرم فأعارنى نسخة من النسخ التى طبعها الأستاذ الميمنى » لذلك لم تقم إلى هذه النسخة التى احتجزها الأستاذ الجاسر ويئست من الاطلاع عليها إلا يوم ١١ شوال من سنتنا هذه ، كما أسلفت القول .

(١) هذا يطابق تمام المطابقة ماذكرته فى نشرتى الأولى ص ٦ س ٥ — ٦ من المقدمة ولكن يأبى الأستاذ إلا أن يتلمس سواقط التهم .

(٢) قد استعنت بالمنطق واستعان جم غفير من أصدقائى ليجدوا نتيجة حتمية لهذا تتعلق بشخصى ، فأعيتهم هذه النتائج . والواقع أن النسخة المصورة وردت مع بعثة الهند فى حقائبها بالطائرة ، وأما الكتب ومنها كتب الأستاذ رشاد الخاصة فوردت بطريق البحر بعد شهرين .

(٣) ولكنهم لايقرءون فيها كل شىء ، وقد تفوتهم قراءة عدد بأكمله ، وهذا ماحدث لى ، فإنى مع شديد الأسف لم أقرأ للأستاذ هذا النقد ، وسأحاول أن أستفيد بقراءته إن شاء الله .

هذا الأمر — تجاهل الناشر لما يقوم به من سبقه فى إسبيل تحقيق ما يقوم بنشره — مما أخذ على الأستاذ السقا وأخذ على بعض العلماء الجامعيين. وكنا نود أن يتنزه عنه الأستاذ عبد السلام هارون (١) .

* * *

قال الأستاذ عبد السلام فى مقدمة الرسالة : «أصل هذه النسخة فريدة فى مكتبات العالم، وهو مخطوط فى دار الكتب السعيدية بحيدر أباد فى مجموعة برقم ٣٥٥ حديث وتاريخها يرجع إلى سنة ٨٧٦ والنسخة فى ست ورقات، (أى فى اثنتى عشرة صفحة) » .

كذا قال الأستاذ ولكننا نجد الأستاذ الميمنى حينما وصف الرسالة قال : «يوجد فى الخزانة السعيدية فى حيدر أباد مجموعة فيها ٢٧ رسالة فى الأحاديث والرجال. أولها خلق أفعال العباد للبخارى، ووافق الفراغ من كتابتها ١٨ جمادى الأولى سنة ٧٨٦. وثبت على طرة الخاتمة : بلغ مقابلة على الأصل المنقول منه فى مجالس آخرها فى ليلة يسفر صباحها عن يوم الخميس من ذى الحجة الحرام سنة ٧٨٧ كاتبه محمد بن على. ولكنه مع هذه الدعوى الفارغة آية فى التصحيف والتحريف . ورقم كتاب عرام فيها ١٦ فيما بين ص ١٥١ — ١٥٩ أى إنه وقع فى تسع صفحات فحسب » .

هذا ماقاله الأستاذ الميمنى، وهو يخالف وصف الأستاذ عبد السلام فى تاريخ النسخ، وفى عدد الصفحات، فأيهما أصح قولا ؟ الظاهر أن الميمنى هو المصيب (٢) ، وأن الأستاذ عبد السلام نقل تاريخ النسخ عن نسخة سليمان الصنيع، وهو نقلها عن نسخة أصلها نسخة الخربوطلى التى جاء فيها التاريخ كما ذكر الأستاذ هارون، غير أن الشيخ نصيف لما بعثها إلى الهند لتقابل على الأصل كان مما صحح هذا الموضع، صححه

---

(١) نطلب من الله للأستاذ الجاسر غفرانا فيما رمانا به من سوء ، ونتلو فى ذلك قوله جل وعز : « وأن تعفوا أقرب للتقوى » .

(٢) قد يكون ذلك فيما يتعلق بتاريخ النسخ ، فإن مصورتى خلو منها ، واعتمدت على ماتأدى إلى من نسخة الشيخ سليمان الصنيع . أما فيما يتعلق بعدد الصفحات ، فهو تجن محض من الأستاذ ، فإن النسخة بيدى أقلبها مرارا . وقد حرصت فى هذه النشرة أن أبين أوائل هذه الصفحات (الاثنتى عشرة) لا التسع كما نقل الشيخ عن العلامة الميمنى .

الأستاذ عبد الرحمن اليمانى كما جاء فى نسخة الأستاذ الميمنى ، يضاف إلى ذلك أن الأنموذج الذى نقله الأستاذ مصوراً فى نسخته ليس فيه شىء من تاريخ النسخ مع أنه آخر الرسالة. فالظاهر أن الذين صوروها صوّروها وحدها وهى خالية من التاريخ فاعتمد الأستاذ عبد السلام على ما جاء فى نسخة الأستاذ الصنيع ، وهو غلط .

* * *

وبعد أن أورد الأستاذ أحمد الجاسر هذه النقدات فى مقالين بمجلة المجمع قال فى خاتمة قوله :

« هذا ما رأيت إيراده مما لاحظته على هذه الرسالة التى قام بتحقيقها السيد عبدالسلام محمد هارون الأستاذ المساعد بجامعة القاهرة ، ولا أريد أن أغمطه حقه أو أقلل من عمله ، فهو أجل من أن ينكر فضله. وأنا أربأ بنفسى عن الاتصاف بصفة سيئة ، ولكننى أردت المشاركة فى إبراز هذه الرسالة إبرازاً يجعل النفع بها تاما. وقد قام الأستاذ — فى هذا السبيل — قياما مشكوراً فرجع إلى ٣٢ كتابا من المراجع العامة ، ووضع للرسالة فهارس شاملة لأسماء المواضع وللأعلام وللقبائل ، وللنبات ، وللحيوان ، وللقوافى ، وللغة ، وزينها بكثير من الحواشى المفيدة ، وشكل أسماء المواضع ، فجاء عمله فى هذه الرسالة — كعمله فى غيرها من الكتب الكثيرة التى حققها — مفيدا نافعاً » .

هذا وليس يفوتنى أن أكرر الثناء والشكر للأستاذ العلامة الجليل ، ألهمنا الله وإياه التوفيق والسداد .

كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها

وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه

رواية السيرافي بإسناده إلى

عرّام بن الأصبغ السُّلَمي

كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى
وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه رواية أبي سعيد الحسن
بن عبد الله السكري بإسناده إلى عرام بن الأصبغ السلمي

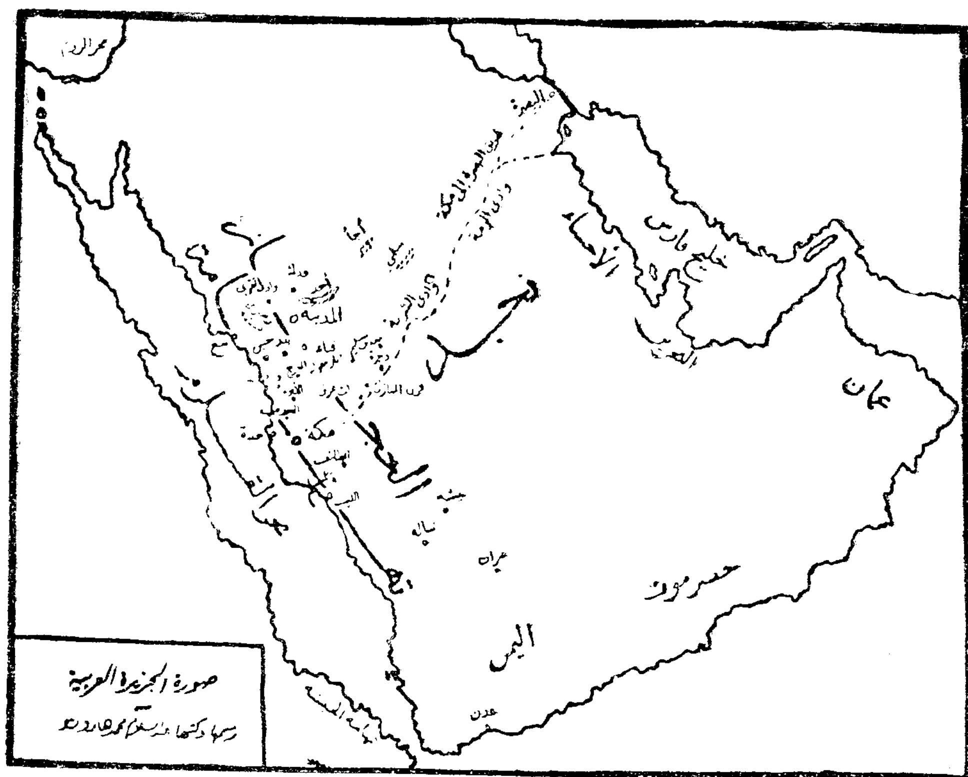
بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بخير آمين

قال أبو سعيد الحسن بن عبد الله السكري [illegible]
[illegible]

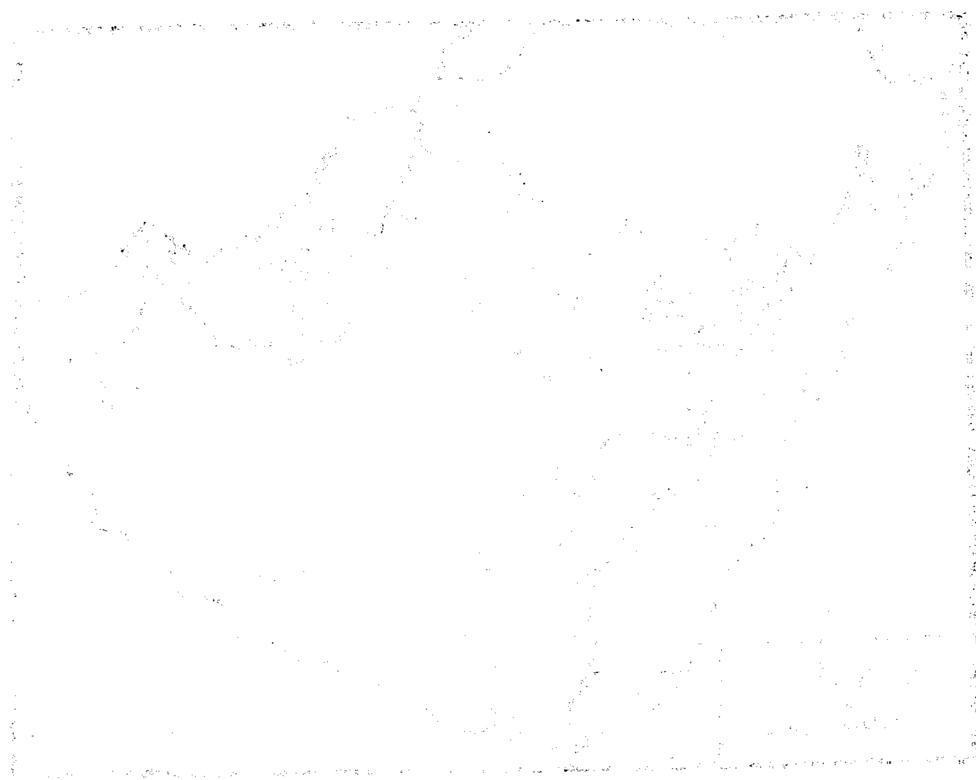
صورة للأسطر الأولى من نسخة الأصل

[illegible]

صورة للأسطر الأخيرة من نسخة الأصل؛



بحر الروم
البصرة
طريق البصرة إلى مكة
الأحساء
خليج فارس
نجد
أجأ
سلمى
فدك
وادي القرى
المدينة
مكة
جدة
الحجاز
تبالة
عمان
حضرموت
اليمن
عدن
صورة الجزيرة العربية
رسمها وكتبها عبد السلام محمد هارون



بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسّر بخير آمين

قال أبو سعيد الحسن بن عبد الله السِّيرافى[١] : أخبرنا أبو محمد عبيد الله ابن عبد الرحمن السُّكَّرىّ[٢] قراءة عليه حدثنا عبد الله بن عمرو بن عبد الرحمن الوراق المعروف بابن أبى سعد[٣] ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك أبو الأشعث قال : أملى علىّ عَرّام بن الأصبغ السلمى قال :

---

(١) هـو الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد القاضى السيرافى النحوى ، أصله من سيراف، سكن الجانب الشرقى ببغداد وولى القضاء بها، وكان أبوه مجوسيا أسلم، واسمه بهزاذ ، فسماه أبو سعيد عبد الله ، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين ، وينتحل فى الفقه مذهب أهل العراق ، قرأ على أبى بكر بن مجاهد القرآن ، وعلى أبى بكر بن دريد اللغة ، ودرسا عليه جميعا النحو . وقرأ على أبى بكر بن السراج وعلى أبى بكر المبرمان النحو ، وقرأ عليه أحدهما القراءات ودرس الآخر عليه الحساب . وكان زاهداً لا يأكل إلا من كسب يده ولا يخرج من بيته إلى مجلس الحكم والتدريس فى كل يوم إلا بعد أن ينسخ عشر ورقات يأخذ أجرها عشرة دراهم . وله شرح كتاب سيبويه ، وكتاب أخبار النحاة ، وكتاب الإقناع فى النحو ، وكتاب جزيرة العرب . ولد قبل ٢٩٠ وتوفى سنة ٣٦٨ . تاريخ بغداد (٧ : ٣٤١ — ٣٤٢) وبغية الوعاة ٢٢١ ومعجم الأدباء (٨ : — ١٤٥ — ٢٣٢) والبلدان (٥ : ١٩٣) ونزهة الألباء ٣٧٩ .

(٢) هو عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى ، أبو محمد السكرى . سمع زكريا بن يحيى المنقرى صاحب الأصمعى، ومحمد بن الجارود الوراق، وإبراهيم بن الوليد الجشاش، و (عبد الله ابن أبى سعد الوراق) ، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة . وروى عنه الجعابى وأبو عمر بن حيويه . وأحمد بن إبراهيم بن شاذان ، وأبو الحسن الدارقطنى . وكان ثقة جليلا . توفى سنة ٣٢٣ . تاريخ بغداد ٥٤٩٩ . وفى الأصل : « عبيد الله بن عبد الله » ، تحريف .

(٣) فى الأصل : « أبى سعيد » ، محرف . وهو عبد الله بن عمرو بن عبد الرحمن بن بشر بن هلال . أبو محمد الأنصارى الوراق ، المعروف بابن أبى سعيد ، بلخى الأصل، سكن بغداد وحدث بها عن الحسين بن محمد المروزى ، وعفان بن مسلم ، وسليمان بن حرب ، وهوذة ابن خليفة . وسليمان بن داود الهاشمى وغيرهم ، وروى عنه ابن أبى الدنيا ، وعبد الله بن محمد البغوى ، و (عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى) ، والحسين بن القاسم الكوكبى ، والحسين بن إسماعيل المحاملى وغيرهم . وكان ثقة صاحب أخبار وآداب وملح . ولد سنة ١٩٧ وتوفى سنة ٢٧٤ . تاريخ بغداد ٥١٤٤ .

أسماء جبال تهامة وسكانها

وما فيها من القرى ، وما ينبت عليها من الأشجار ، وما فيها من المياه

أولها (رَضْوَى) من يَنْبُعَ على يوم ، ومن المدينة على سبع مراحل ميامِنَةً طريقَ المدينة ، ومُياسِرةً طريق البَرَزاء[١] لمن كان مصعداً إلى مكة ، وعلى ليلتين من البحر . وبحذائها[٢] (عَزْوَرُ[٣]) وبينه وبين رَضوى طريق المُعْرِقة[٤] تختصره[٥] العربُ إلى الشام ، وإلى مكّة وإلى المدينة ، بين الجبلين قدر شَوط فرس . وهما جبلانِ شاهقان مَنيعان لا يرومهما أحد، نباتُهما الشَّوحط والقَرَظ والرَّنْف[٦] ، وهو شجر يُشبِه الضَّهياء .

والضَّهياء : شجر يشبِه العُنَّاب تأكله الإبل والغنم ،لاثَمَرَ له . وللضَّهياء ثمرٌ يشبِه العَفص لا يؤكل ، وليس له طَعمٌ ولا ريح .

---

(١) البكرى ٦٥٥ : « البر » ، تحريف .

(٢) وقع فى نسخة الميمنى : « بحذائه » محرفا عما فى الأصل .

(٣) بفتح أوله وسكون الزاى ، وأصل معنى العزور السيئ الخلق . وفيه يقول عمر بن أبى ربيعة :

أشارت بأن الحى قد حان منهم هبوب ولكن موعد لك عزور

ويقول كثير :

تواهق بالحجاج من بطن نخلة ومن عزور والخبت خبت طفيل

(٤) ضبطها ياقوت بضم الميم وسكون العين وكسر الراء، ثم قال : وقد روى بالتشديد للراء والتخفيف ، وهو الوجه ، كأنه الطريق الذى يأخذ نحو العراق . أما البكرى فقد ضبطها بفتح الميم والراء . وهذا الطريق سلكته عير قريش حين كانت وقعة بدر .

(٥) اختصار الطريق : سلوك أقربه .

(٦) بسكون النون . قال أبو حنيفة : « من شجر الجبال ينضم ورقه إلى قضبانه إذا جاء الليل ، وينتشر بالنهار » .

وفى الجبلين جميعاً مياهٌ أوشال — والوشل: ماء يخرج من شاهقة لا يَطُورها أحد[1] ولا يعرف منفجرها . وليس شىء من تلك الأوشال يجاوز الشِّقَّة[2] .

وأنشد فى الرَّنْف[3] يصف جبلاً :

مرانعُــه رَنْفٌ فَملقَى سَيالِهِ مَدَافِعُ أوشالٍ يدِبُّ مَعينُها[4]

ويسكن ذَراهما وأحوازَهما[5] نهدٌ وجهينة ،فى الوبَر خاصّةً دون المَدَر ،

٣ ولهم هناك يسارٌ ظاهر . ويصب الجبلان فى وادى (غَيْقَة) ، وغيقة يتصبُّ[6] فى البحر ، ولها مُسُك[7] وهى مواضع[8] تمسك الماء ، واحدها مَسَاك .

ومِن عن يمين رَضْوَى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر ، على ليلةٍ من رضوى[9] (يَنْبُع) ،وبها منبر وهى قرية كبيرة غَنَّاء ،سكانها الأنصار وجُهينة

---

(١) لا يطورها : لايحوم حولها ولا يدنو منها . ووقع فى نسخة الميمنى « من شواهقه » محرفا عما فى الأصل .

(٢) البكرى : « بكسر أوله وتشديد ثانيه » ، وعنده ٣٢٧ : « فأما البثنة ، بإسكان ثانيه وفتح النون ، على وزن فعلة ، فأرض تلقاء سويقة بالمدينة ، اعتملها عبد الله بن حسن بن على بن أبى طالب بمال امرأته هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة وأجرى عيونها ، وهى البثنات ، وكان قبل أن ينكحها مقلاتا، فلما عمرت البثنات قال لها: ماخطرت من البثنة فهو لك. فشت طول الخيف فى عرض ثلاثة أسطر من النخل. فهو حق ابنها موسى منه الذى يقال له الشقة».

(٣) فى الأصل : « أنشدنى الرمث » . وجعلها الميمنى فى نسخته : « وأنشد فى الرمث » وكلاهما تحريف . وقد سبق ذكر الرنف فى ص ٣٩٦ .

(٤) السيال كسحاب : شجر له شوك أبيض ، وهو من العضاه . والمدافع : المجارى ، واحدها مدفع بفتح الميم . وفى الأصل : « يدافع » .

(٥) الذرى بالفتح : السكن والظل . والأحواز : النواحى ، جمع حوزة ، ومثله هضبة وأهضاب وذوطة وأذواط . وفى الأصل : « أجوارهما » . وانظر الهمدانى ١١٧ ، ١٢٠ .

(٦) كذا كتبت فى الأصل لتقرأ بالتاء والياء معا .

(٧) فى الأصل : « مساك » ، محرف .

(٨) فى الأصل : « وهو موضع » .

(٩) زاد ياقوت عن عرام : « من المدينة على سبع مراحل، وهى لبنى حسن بن على ».

وَأيثٌ أيضاً ، وفيها عيون عِذاب غزيرة ، وواديها (يَلْيَل) يصبُّ في غَيقة .
(والصُّفْراء[1]) قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلُّها ، و [هي] فوقَ ينبُع مما يلي المدينة ، وماؤها يجري إلى يَنبع ، وهي لجُهَينَة والأنصار ولبني فِهر ونَهد ، ورَضوَى منها من ناحية مَغيب الشمس ، وحواليها قِنان – واحدها قُنَّة – وضَمَاضِع صغار – واحدها ضَمضاع . والقِنان والضَّماضع جبالٌ صغار لا تسمَّى . وفي يَلْيَل هذه عينٌ كبيرة تَخرج من جَوف رملٍ من أعذبِ ما يكون من العُيون وأ كثرها ماء ، تجري في رمل فلا تمكن الزَّارعين عليها إلَّا في مواضع يسيرة[2] من أحناء الرمل ، فيها نخيل ، وتُتَّخَذ البقول والبِطِّيخ ، وتسمَّى هذه العين (البُحَيْر[3]) .

و (الجارُ[4]) على شاطئ البحر ، ترفأ إليه السُّفن من أرض الحبَشة ومصر ، ومن البَحرَين والصِّين . وبها مِنبر ، وهي قرية كبيرة آهلة ، شُرب أهلها من البُحَير . وبالجار قصور كثيرة ، و نصف الجار في جزيرةٍ من البحر ، [و نصفها على الساحل . وبحذاء الجار جزيرة في البحر[5]] تكون مِيلاً في ميل ، لا يُعبر إليها

---

(١) ويقال لها أيضا « الصفيراء » . قال عاصل بن غزية :

ثم انصبنا جبال الصفر معرضة عن اليسار وعن أيماننا جدد

أراد جبال الصفراء ، فلم يستقم له الوزن فجمعها وما يليها . البكرى ٨٣٦ .

(٢) في الأصل : « كثيرة » ، صوابه من البكرى ٨٣٦ وياقوت في رسم (البحير ، يليل) .

(٣) وكذا في ياقوت . وعند البكرى ٨٣٦ : « البحيرة » .

(٤) أصل « الجار » ما قرب من المنازل من الساحل ، كما في اللسان . وقال ياقوت : مدينة على ساحل بحر القلزم ، بينها وبين المدينة يوم وليلة ، وبينها وبين أيلة نحو من عشر مراحل ، وإلى ساحل الجحفة نحو ثلاث مراحل . في الأصل : « والجباو » .

(٥) هذه التكملة الضرورية من ياقوت والبكرى في رسم (الجاز) . ولم يتنبه العلامة الميمني إلى هذه التكملة .

إلّا[1] فى سُفُن ، وهى مَرفأ[2] الحبشة خاصّة ، [يقال لها[3]] (ثَرَاف) ، وسكانها تُجَّار كنحو[4] أهل الجارِ ، يؤتَون بالماء من على فرسخَين . ووادى يَلْيَلَ يصبُّ فى البحر[5] ثم مِن عُدوةِ غَيقةَ اليسرى مما يلى[6] المدينة عن يمين المُصعد إلى مكّةَ من المدينة، وعن يسار المصعد من الشام إلى مكّة جبلان يقال لهما (ثافِل الأكبر) و (ثافِل الأصغر) وهما لضَمْرةَ[7] خاصَّة . وهم أصحاب حِلالٍ[8] ورِعيةٍ[9] ويَسَار ، وبينهما ثنيّة لا تكون رَمْية سهم ، وبينهما وبين رَضْوى وعَزْوَر ليلتان . نباتهما العَرعَر ، والقَرَظ ، والظَّيّان ، والأيدَع ، والبشَام . وللظَّيّان ساق غليظة . وهو شاكٌ — أى غليظ الشَّوك — ويُحتَطب . وله سِنفة كسِنْفَة العِشْرِق والسِّنْفة : ماتدلّى من الثمر وخرج عن أغصانه . والعِشرِق : ورقٌ يشبه الحندَقُوقا مُنتِنة الرِّيح .

---

(١) هذه الكلمة ثابتة فى الأصل، وظنها الميمنى ساقطة منه فأثبتها بين معقفين .

(٢) فى الأصل : « بريه » صوابه من البكرى . وعند ياقوت : « مرسى » .

(٣) التكملة من ياقوت والبكرى .

(٤) فى الأصل : « البحر » صوابه من ياقوت فى (الجار ، فرات) . وعبارة البكرى : « وكذلك سكان الجار » .

(٥) قال البكرى : « هذا قول السكونى، والصحيح أن يليل يصب فى غيقة، وغيقة تصب فى البحر » .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من نسخة الميمنى .

(٧) ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ، كما ذكر ياقوت فى (ثافل) . وقال فى اشتقاقه : « والثفل فى اللغة : ماثفل من كل شىء » . وضبطه البكرى بكسر الفاء وفتحها .

(٨) الحلال : جمع حلة ، بالكسر ، وهى جماعة بيوت الناس ، لأنها تحل . قال كراع : هى مائة بيت .

(٩) الرعية ، بالكسر : اسم من الرعى ، كما فى اللسان عن اللحيانى . وفى الأصل : « ودعة » وعندياقوت : « ورغبة » والبكرى : « ورعى » ، وأثبت ماتقتضيه مقابلة القراءات .

والأيدَع : شجر يشبه الدُّلب[1] . إلَّا أنّ أغصانه أشدُّ تقارُباً من أغصان الدُّلب، لها وردةٌ حمراء ليست تَجِد طِيبَ الرِّيح[2] وليس لها ثمر، نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسر شيء من أغصانها وعن السِّدر والتَّنضب والشبهان[3] لأنَّ هؤلاء جميعًا ذواتُ ظِلال يسكُن الناسُ فيها[4] من البَرْد والحرّ. وللتنضب[5] ثمرٌ يقال له الهُمَقِع ، يشبه المِشْمِش[6] يُؤكَل طيبًا . وللسَّرح[7] ثمرٌ يقال له الآء[8] يشبه الموز وأطيبُ منه ، كثير الحمل جدًّا . ٣

---

(١) أبو حنيفة : الدلب : شجر يعظم ويتسع ولا نور له ولا ثمر، وهو مفرض الورق واسعه شبيه بورق الكرم، واحدته دلبة .

قال ياقوت : واللغويون غير عرام بن الأصبغ مختلفون فى الأيدع ، فمنهم من قال إنه الزعفران ، محتجاً بقول رؤبة :

* كما اتقى محرم حج أيدعا *

والبعض يقول : إنه دم الأخوين ، ومنهم من قال إنه البقم ، والصواب عندنا قول عرام ، لأنه بدوى من تلك البلاد ، وهو أعرف بشجر بلاده . ونعم الشاهد على قول عرام قول كثير حيث قال :

كأن حمول القوم حين تحملوا صريمة نخل أو صريمة أيدع

(٢) ياقوت : « ليس بطيب الريح » .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ياقوت. وهو بفتح الشين والباء وضمها: ضرب من العضاه.

(٤) ياقوت : « دونها » .

(٥) فى الأصل : « وللسدر » ، تحريف . والمعروف فى ثمر السدر أنه النبق، وأما « الهمقع » بضم الهاء وفتح الميم مخففة ومشددة أيضا فهو ثمر التنضب، الواحدة همقعة ، كما فى اللسان والمخصص (١١ : ١٨٨) . بل قال كراع : إن الهمقع هو التنضب بعينه . ولم يذكر ياقوت هذه العبارة ، وذكرها البكرى فى (أرثد) .

(٦) شك ابن دريد فى صحة عربيته . وهو بكسر الميمين وفتحهما وضمهما، كما فى تاج العروس . وذكر داود الأنطاكى المتوفى سنة ١٠٠٨ أنه يعمل منه ما يسمى « قمر الدين » .

(٧) هذا استطراد منه ، وإلا فإنه لم يسبق له ذكر . والسرح : جمع سرحة ، وهو شجر كبار عظام يحل الناس تحتها فى الصيف ويبتنون البيوت .

(٨) فى الأصل : « السكاى » . والمعروف فى ثمر السرح أنه « الآء » ، الواحدة « اءة » . وفى المخصص (١١ : ١٨٩) : وللسرح عنب يسمى الآء واحدته آءة ، يأكله الناس ويرتبون منه الرب . وله أول شىء برمة يخرج فيها هذا الآء ، وهو يشبه الزيتون . ولا تناقض بين تشبيه عرام له بالزيتون وتشبيه ابن سيده له بالموز ، فقد يكون أحد الشبهين للشكل والآخر للطعم .

وفى ثافِل الأكبر عِدَّة آبارٍ فى بطن واد يقال له (يَرْثَد) . يقال للآبار (الدباب) ، وهو ماء عذب كثير غير منزوف ، أناشيطُ[1] قدر قامةٍ قامة .

وفى ثافل الأصغر ماء فى دَوَّار فى جوفه يقال له (القاحة[2]) وهما بئران عذبتان غزيرتان . وهما جبلان كبيران شامخان، وكلُّ جبال تهامة تُنبِتُ الغَضَوَر وبينها وبين رضوى وَعزْوَرَ سَبْع مراحل[3] ، وبين هذه الجبال جبالٌ صِغار وقَرادد[4] وينسب إلى كل جبل ما يليه .

* * *

ولمن صدَرَ مِن المدينة مُصعِداً أوّلَ جبلٍ يلقاه من عن يساره (وَرِقانُ[5]) وهو جبلٌ أسودُ عظيم كأعظم ما يكون من الجبال، ينقاد من سَيالةَ إلى المتَعشَّى[6] بين العَرْج والرُّوَيثة ، ويقال للمتعشَّى : الجِيِ[7]

وفى وَرِقان أنواع[8] الشَّجر المثمر كلِّه [وغير المثمر[9]] ، وفيه القَرَظ

---

(١) جمع أنشاط . يقال بئر أنشاط ، أى قريبة القعر ، تخرج الدلو منها بجذبة واحدة .

(٢) معنى القاحة والباحة واحد ، وهما وسط الدار ، قال ياقوت : « وقد ذكر فيه الفاحة بالفاء والجيم » . ولها ذكر فى كتب السيرة فى « حجة الوداع » . انظر إمتاع الأسماع ٥١٢ . كما ذكرت فى طريق الهجرة . انظر السيرة ٣٣٣ جوتنجن .

(٣) جمع قردد ، وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ .

(٤) وقع فى نشرتى الأولى : « وعزور وينبع مراحل » ، وهو خطأ منى فى قراءة النسخة ، وقد قرأها الميمنى صحيحة كما أثبت هنا ، وذكرها الشيخ حمد فى تصحيحاته . وأشار إلى أنها كذلك فى معجم البكرى ، رسم (ثافل) .

(٥) بفتح أوله وكسر ثانيه ، كما ضبطه البكرى وياقوت ، قال ياقوت : ويروى بسكون الراء ، وأنشدا لجميل :

ياخليلى إن بثنة بانت يوم ورقان بالفؤاد سليبا

قلت : ولا إخاله إلا من ضرائر الشعر .

(٦) لم يرسم له ياقوت ولا البكرى ، ولكن ذكراه فى رسم (ورقان) .

(٧) رسم له ياقوت، ولم يرسمله البكرى، وإنما رسم لجى بفتح الجيم، وهى مدينة إصبهان .

(٨) سقطت هذه الكلمة من نسخة الميمى .

(٩) التكملة من ياقوت والبكرى والسمهودى ٢ : ٣٩٠ . ولم يثبتها العلامة الميمنى .

والسُّمَّاق(1) والرُّمَّان والخَزَم(2). وأهل الحجاز يسمُّون السُّمَّاق «الضَّمْخ(3)» وأهل نجدٍ(4) يسمُّونه «العَرْتَنَ» واحدته عَرْتَنة(5). والخَزَم: شجرٌ يشبه ورقُه ورقَ البردىّ، وله ساقٌ كساق النَّخلة يُتَّخذ منه الأرشية الجياد.

وفيه أوشالٌ وعيونٌ وقِلاتٌ. سكانه أوسٌ من مزينة، أهل عمودٍ ويَسارٍ، وهم قومُ صدق.

وبسفحهِ من عن يمين (سَيَالة(6)) ثم (الرَّوحاء(7)) ثم (الرُّوَيثة(8)) ثم (الجِىّ). ويعلو(9) بينه وبين قدس الأبيض ثَنِيَّةٌ بل عقبة(10) يقال لها (رَكُوبة)

---

(1) قال داود: شجر يقارب الرمان طولا إلا أن ورقه مزغب لطيف. وقال أبو حنيفة: له ثمر حامض عناقيد فيها حب صغار يطبخ، قال: ولا أعلمه ينبت بشيء من أرض العرب إلا ما كان بالشام. لكن نص عرام ينقض قول أبي حنيفة. ومن أعمال حلب جبل عظيم يسمى «جبل السماق» لكثرة ما ينبت فيه منه.

(2) أبو حنيفة: الخزم: شجر مثل شجر الدوم سواء، وله أفنان وبسر صغار، يسود إذا أينع، مر عفصى، لا يأكله الناس ولكن الغربان حريصة عليه تنتابه. وانظر ماسيأتى من تفسير عرام.

(3) فى الأصل: «الضبح» تحريف، صوابه عند البكرى.

(4) البكرى: «وأهل الجند».

(5) فى الأصل: «عرتونة»، وإنما تكون هذه واحدة للعرتون كزرجون، وهى إحدى لغات كثيرة فى العرتن ذكرت فى اللسان والقاموس.

(6) ومسجدها: أحد ثلاثة مساجد بنيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثانى مسجد الحرة، والثالث مسجد الشجرة، وأما غيرها من المساجد فهى مواضع صلواته صلى الله عليه وسلم، اتخذت بعده مساجد.

(7) فيها يقول عروة بن حزام، (الأمالى ٣ : ١٥٨):

ألا فاحملانى بارك الله فيكما ... إلى حاضر الروحاء ثم دعانى

(8) تصغير الروثة، وهى واحدة روث الدواب، أو روثة الأنف، وهى طرفه.

(9) قرأها العلامة الميمنى «يفلق»، ورسمها فى الأصل لا يساعد فى ذلك. وعند السمهودى ٢ : ٣٩٠: «يفصل».

(10) الثنية: طريق العقبة. قال أبو منصور: العقاب: جبال طوال بعرض الطريق فالطريق تأخذ فيها. وكل عقبة مسلوكة ثنية، وجمعها ثنايا.

و (قُدْس [١]) هذا جبلٌ شامخ ينقاد إلى المتعشَّى بين العَرْج والسُّقيا ، ثم يقطع [٢] بينه وبين قُدس الأسودِ عقبةٌ يقال لها (حَمْت) . ونبات القُدسين جميعًا العَرعَر والقَرظ ، والشَّوحط ، والشَّقب [٣] : شجرٌ له أساريع كأنها الشَّطَب التى فى السَّيف [٤] ، يُتَّخذ منها القِسى . والقُدسانِ جميعًا لِمُزينة ، وأموالهم ماشيةٌ من الشّاة [٥] والبعير ، أهل عمود ، وفيها أوشال كثيرة .

ويقابلهما [٦] من غير [٧] الطريق المُصْعِد جبلان يقال لهما (نَهبانِ) : نهبٌ الأسفل ، ونهب الأعلى ، وهما لِمُزَينة ، ولبني ليث فيهما شِقص ؛ ونباتهما العَرعر والإِثْرار [٨] . وقد يتخذ من الإثرار القَطِران كما يُتَّخذ من العرعر ؛ وفيهما القرظ . وهما مرتفعان شاهقان كبيران . وفى نهبٍ الأعلى ماء فى دوّار من الأرض ، بئرٌ واحدة كبيرة غزيرة الماء ، عليها مباطخ [٩] وبقول ونخيلات [١٠] يقال لها (ذو خَيمَي [١١]) وفيه أوشالٍ .

---

(١) قال الأنبارى : قدس مؤنثة لا تجرى — أى لا تصرف — اسم للجبل وما حوله . لكن جرى عرام هنا على صرفه كما سيأتى . وجرى البكرى أيضا على صرفه فى رسم (آرة) .

(٢) فى الأصل : « سعطم » بالإهمال .

(٣) بالتحريك وبالكسر ، وجعلها الميمنى « السكب » ، وهو سهو منه .

(٤) الأسروع : الشكير ، وهو ماينبت حول الشجرة من أصلها . والشطبة : عمود السيف الناشز فى متنه .

(٥) كذا فى الأصل ، وجعلها الميمنى « الشاء »

(٦) فى الأصل : « يقابلها » .

(٧) وكذا قرأها العلامة الميمنى مع إهمالها فى الأصل . ويرى الشيخ حمد أن صوابها « يمين » .

(٨) سيأتى تفسيره فى ص ٤٠٨ .

(٩) جمع مبطخة ، لموضع البطيخ .

(١٠) جعلها الميمنى « نخلات » ولا ضرورة لهذا التغيير .

(١١) وكذا عند ياقوت فى رسم « نهبان » والزمخشرى فى كتاب الجبال ١٦٦ — ١٦٧ وعند البكرى فى رسمه وفى (قدس ١٠٥٢) ، وكذا الهمدانى فى صفة جزيرة العرب ١٧٦ « ذو خيم » . لكن عند البكرى فى رسم (العرج) : « المنبجس » .

وفى نهبِ الأسفل أوشال(١)، ويفرِق بينهما وبين قدس ووَرِقان الطّريق، وفيه (العَرْج). ووادى العَرْج يقال له (مَسيحة(٢))، نباته المَرْخ والأراك والثُّمام.

ومن عن يسار الطريق مقابلا قُدساً(٣) الأسود جبلٌ من أشمخ مايكون، يقال له (آرَة)، وهو جبل أحمر تخرُ(٤) من جوانبه عيون، على كلّ عين قرْية. ٤

فمنها قرية غَنّاء كبيرة يقال لها (الفُرع(٥)) وهى لقُريش والأنصار ومُزينة. ومنها (أمُّ العِيال(٦)) قريةُ صدقةِ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم(٧). وعليها قرية يقال لها (المَضِيق(٨)). ومنها قرية يقال لها (المَحْضة(٩))، ومنها قرية يقال لها (الوَبْرة(١٠))، ومنها قرية يقال لها (خَضِرة(١١))، ومنها قرية

---

(١) ظنها الميمنى ساقطة من الأصل، وهى ثابتة فيه.

(٢) وكذا عند البكرى فى «قدس» نقلا عن السكونى. وفى الأصل: «فسيحة» تحريف. وذكر ياقوت فى (سيحة) ثلاث لغات، تقال بالتصغير والتكبير، وبتقديم الميم كما هنا.

(٣) وكذا ورد النقل عنه فى ياقوت فى رسم «آرة». وانظر ماسبق فى ص ٤٠٣.

(٤) كذا فى الأصل والسمهودى ٢ : ٢٣٩. وعند ياقوت: «تخرج» والبكرى: «تنفجر». وكنت قرأتها فى نشرتى الأولى «تخرج».

(٥) يقال بضمة وبضمتين، كما ذكر ياقوت.

(٦) البكرى: «أرض بالفرع لجعفر بن طلحة بن عمرو بن عبيدالله بن عثمان بن كعب، وكان طلحة جميلا وسيما، فلزم علاج عين أم العيال ولها قدر عظيم، وأقام بها وأصابه الوباء، فقدم المدينة وقد تغير، فرآه أنس بن مالك فقال: هذا الذى عمر ماله وأخرب بدنه». وانظر ياقوت (١ : ٣٣٦).

(٧) نحوه ماورد عند البكرى ١٣٢٩ من أن «الجثجاثة: صدقة عبد الله بن حمزة». وما ورد فى ٧٤٣ «وكثير منها — أى العيون — صدقات للحسن بن زيد». وانظر صورة من صور التصدق بالضياع عند البكرى ٦٥٨.

(٨) ذكر ياقوت أن بنى عامر ورئيسهم علقمة بن علاثة أغاروا على زيد الخيل، فالتقوا بالمضيق، فأسرهم زيد الخيل عن آخرهم، وكان فيهم الحطيئة، فشكا إليه الضائقة فمن عليه.

(٩) من قولهم محض الشىء، أى خالصه، كما ذكر ياقوت.

(١٠) سميت باسم الحيوان، وهو دويبة غبراء على قدر السنور حسنة العينين شديدة الحياء، تكون بالغور.

(١١) كذا ضبطت عند ياقوت والبكرى فى رسمها، وذكرها البكرى أيضا فى (قدس ١٠٥١). وفى الأصل: «حضرة» بالحاء المهملة، تحريف.

يقال لها (الفَغْوة[١]) تكتنف آرة من جميع جوانبه . وفى كل هذه القرى نخيلٌ وزروع، وهى من السُّقيا على ثلاث مراحل من عن يسارها مَطلِع الشمس، وواديها يصبُّ فى (الأبواء)، ثم فى (وَدَّان) وهى قرية[٢] من أمّهات القرى لضَمْرة وكِنانة وَغِفارٍ وفهرِ قريش، ثم فى (الطُّرَيفَة)، والطُّريفة قريةٌ ليست بالكبيرة على شاطئ البحر . واسم وادى آرة (حَقْل[٣]) وقرية يقال لها (وَبِعان[٤]) . و(خَلْصُ آرة[٥]) وادٍ به قرًى وأجزاع[٦] ونخل، وقد قال فيه الشاعر[٧] :

---

(١) هى من الفغوة، بمعنى الزهرة .

(٢) سقطت هذه الكلمة من نشرة الميمنى، وهى ثابتة فى الأصل .

(٣) عند البكرى فى رسمه وفى (قدس ١٠٥٢) : «حقيل» . وكنت أثبتها فى نشرتى الاولى «حقيل» والتصحيح للشيخ حمد مطابقا ما فى الأصل ومعجم البلدان ٣ : ٣٠٦ والسمهودى فى وفاء الوفا ٢ : ٢٩٢ قال : «أما حقيل ففى نجد . وبون شاسع بين الموضعين» .

(٤) رسم لها ياقوت والبكرى، وهو بفتح الواو وكسر الباء . وأخطأ البكرى إذ رسم لها مرة أخرى (ونعان) بفتح الواو والنون، وأحال إلى مواضع ذكرت فيها على الصواب .

(٥) يقول فيها النصيب، كما روى البكرى :

وكانت إذ تحل أراك خلص ... إلى أجزاع بيشة والرغام

(٦) جمع جزع بالكسر، وهو جانب الوادى ومنقطعه، قيل لا يسمى جزعا حتى تكون له سعة تنبت الشجر وغيره .

(٧) هو أبو المزاحم، كما ذكر البكرى فى ٤٤٩ — ٤٥٠ . والأبيات عند ياقوت (خلص، وبعان) والبكرى ٤٥٠، ١٠٥٢ . وكتب الشيخ حمد هنا تعليقا نفيسا، وهذا نصه :

لعل مما يفيد القراء أن ننقل شيئا من خبر قائلها عن كتاب (التعليقات والنوادر لأبى على الهجرى — نسخة دار الكتب المصرية) قال : وأنشدنى لعزلان الثمامى، من ثمامة بن كعب بن جذيمة بن خفاف :

خليلىَّ صُبَّانى ورحلى وناقتى ... على مَلَح الريَّان ثم دَعَانيا

فإن أنتما لم تفعلا ومررتما ... على حائط الزَّيدى فاستودعانيا

أُسائل عن عَمْقٍ وعن حُسن حاله ... ولولا ابنةُ الزيدى قلَّ سؤاليا

عمق الزروع قرب الفرع، وعمق المضيق بيليل قرب بدر . وقال : الزيديون من بنى عمران =

فإن بَخاص فالبُريراء فالحشَا ... فوَكْدٍ إلى النقعاء من وَبِعانِ[1]

= من مزينة ثم من بنى عثمان . والدهنا : قلت بين مر عنيب وبين السائرة . وله :

ألِمَّا بعمق ذى الزُّروع فسلِّما ... وإن كان عن قَصْد المطى يَجُور
فإنَّ بعمق ذى الزروع لبُدَّنًا ... مِنَ اسْلَمَ فى تكليمهن أجور
ولا تَعجزا عن حاجةٍ لأخيكما ... وإن كان فيها غِلظة وفجور
فما ضَرَّ صَرمُ الأسلميات لو بدت ... لنا بوم عَمْق أذرعٌ ونحور
وفى عِرسٍ قفّان علىّ أليّةٌ ... وفى الحَنَذيات الملاح نذور

وله فى نساء مزنيات :

فإن بوكد فالبُريراء فالحشا ... فَخاص إلى الرنقاء من وَبِعان

وكد : طرف أسود وراء مر بشوكان . والبريراء : أكيمة صغيرة . والحشا : بلد بين ر وشوكان ، وخلص آرة . والرنقاء هاهنا : قاع . وبعان بالحرة .

أوانس من حَىٍّ عداء كليهما ... طوامح بالأزواج غير غوان
جُنِنَّ جنونًا من بعولٍ كأنها ... قرودٌ تنازَى فى رباط يمان
فمُرّا فقولا طالبانِ لحاجةٍ ... وعُودا فقولا نحنُ منصرفانِ

فظفروا به فى الدهنا — وهى قلتة عميقة ـ فربطوا فى رجله رحى ثم رموا به فيها فهلك .

قال : هذا ما نقلته من كتاب الهجرى ، أوردته بطوله لاشتماله على شىء مما يتعلق بقائل تلك الأبيات . ولكن أهو أبو المزاحم الذى نسب البكرى الأبيات إليه ؟ الظاهر أنه هو : فصاحب التاج أنشد أحدها فى مادة (وبم) ونسبها لأبى المزاحم السعدى . والأصبهانى روى فى الأغانى ج ١١ ص ٧٩ بيتين لأبى المزاحم ، هما :

أعيَّرتمونى أن دَعَتنى أخاهم ... سُلَيم وأعطتنى بأيمانها سعد

ويفهم منهما أن المزاحم هذا سعدى حالف سليما فعد منهم : والهجرى ذكر أن صاحب الأبيات ثمامى من ثمامة بن كعب بن جذيمة بن خفاف . ومعروف أن خفافا بطن من سليم . أما معرفة عصر هذا الشاعر فتعلم من معاصرته لأبى وجزة السعدى الشاعر . وأبو وجزة هذا تابعى ، أى من الشعراء الإسلاميين . والهجرى الذى روى أبيات الرسالة من أهل القرن الثانى والثالث الهجريين » .

(١) صدره عند البكرى : « إن بأجزاع »، وفى الأصل : « فولد » تحريف صوابه فى ياقوت فى موضعيه . وروى البكرى « نوكز » و » فرقد » . و « النقعاء » رواية الأصل وياقوت فى رسم (وبعان) ، وهو موضع خلف المدينة ، وعند البكرى ١٠٥٢ « البقعاء » بالباء ، وهو من أرض ركبة . وعنده فى ٤٥٠ « النقعين » .

جَوارِيَ مِن حَيٍّ عِدَاء كأنَّها مَهَا الرَّمل ذِي الأزواج غيرِ عَوَانِ (١)
جُنِنَّ جُنوناً من بُعُولٍ كأنَّهـا قُرودٌ، تَبارَى في رِباطٍ يَمانِ (٢)

ثم يتصل [بمخاص آرة (٣)] (ذَرَهُ (٤))، وهي جبالٌ كثيرة متَّصلة ضعاضع (٥) ليست بشوامخ، في ذَرَاها (٦) المزارع والقرى؛ وهي لبني الحارث ابن بُهْثَة بن سُلَيم، وزروعها أعذاء. ويسمُّون الأعذاء العَثَرِيّ: وهو الذي لا يُسْقَى. وفيها مدرٌ وأكثرها عمود، ولهم عيونٌ [ماء (٧)] في صخورٍ لا يمكنهم أن يُجْروها (٨) إلى حيثُ ينتفعون به (٩).

ولهم من الشَّجر العَفار، والقَرَظ، والطَّلح، والسِّدرُ بها كثير، والنَّشَم، والتَّأْلب (١٠).

---

(١) عداء تكون مصدراً كالمعاداة، ووصف به هذا الحي، وتكون ممدود « العدى » يعني الأعداء، مدها للشعر. وعند البكري ١٠٥٢ : «حي عداء»، تثنية الحي. وعند ياقوت في (وبعان) : « حسنى غذاء » تحريف. ووصف الرمل بأنه ذو أزواج، يعني أزواج الوحش من البقر والظباء ونحوها. والعواني: جمع عان وعانية، وهو الأسير.

(٢) كلمة « تبارى » غير معجمة في الأصل مع وضوح حروفها، وقراءتها من ياقوت (وبعان). وفي ياقوت (خلص) : « تنادى ».

(٣) التكملة من ياقوت (ذرة) عن عرام. ولم يثبتها العلامة الميمني.

(٤) بفتح أوله وتخفيف ثانيه، كما عند ياقوت. ورسمها البكري « ذروة » بفتح أوله وسكون ثانيه مع زيادة الواو، ونقل فيها نص السكوني.

(٥) سبق تفسيرها في ص ٣٩٨.

(٦) سبق تفسير « الذرى » في ص ٣٩٧. وفي الأصل وكذا نسخة الميمني : « دوراها » بدل « في ذراها »، صوابه في ياقوت.

(٧) التكملة من ياقوت والبكري.

(٨) وكذا عند ياقوت. وعند البكري : « إجراؤها ».

(٩) سقطت هذه الكلمة من نشرتنا الأولى.

(١٠) تذكر في المعاجم في (ألب) و(تألب). قال ابن سيده : والتألب من عتق العيدان التي تتخذ منها القسي، ومنابته جبال اليمن، وله عناقيد كعناقيد البطم، فإذا أدرك وجف اعتصر للمصابيح، وهو أجود لها من الزيت. وتقع السرفة في التألبة فتعريها من ورقها. المخصص (١١ : ١٤٢).

وقد يعمل من النَّشم القِسِيُّ والسِّهام ؛ وهو خِيطَانٌ لا ورق له[١] . والإثرار[٢] له ورق يشبه ورق الصَّعتر وشَوكٌ نحو شوك الرُّمّان، ويقدح ناره[٣] إذا كان يابساً فيُقتَدَح سريعاً . والعَفَار وردُه بيضٌ طيِّبة الريح كأنها السَّوْسَن[٤] .

ويُطيف بذرَة قريةٌ من القرى يقال لها (جَبَلة) في غربيّه[٥]، و(السِّقَارة) قرية تتصل بجبلة ، وواديهما واحد يقال له (لَحْفٌ[٦]) وبه عيون . ويزعمون أن جَبَلة أوَّل قريةٍ اتُّخِذَتْ بتهامة. وبجبلة حصونٌ منكَرة مبنيّةبالصَّخر لا يرومُها أحد . ومن شرق ذَرَة قريةٌ يقال لها (القعْر) وقرية يقال لها (الشَّرْع[٧])وهما شرقيتان ، في كل واحدة من هذه القرى مزارعُ ونخيل على عيونٍ . وهما على وادٍ يقال له (رَخِيم) ، وبأسفله قرية يقال لها (ضَرْعاء) بها قصور[٨] ومنبر وحصون،

---

(١) لم يزد ابن سيده في المخصص (١١ : ١٤٢) في تحليـة النشم على أنه من عتق العيدان . وفي اللسان : شجر جبلي تتخذ منه القسي ، وهو من عتق العيدان .
و (خيطان) هنا جمع خوط ، بالضم لاخيط بالفتح . والخوط : الغصن الناعم . وأنشد في اللسان (خوط) :

ألا حبذا صوت الغضى حين أجرست بخيطانه بعـد المنام جنوب

وظنها العلامة الميمني خطأ فجعلها « عيدان » بدل « خيطان » ، وهو سهو منه .

(٢) بكسر الهمزة كما في القاموس واللسان . وفي القاموس أنه يسمى (الأنبرباريس) وفي اللسان أنه يسمى بالفارسية (الزريك) صوابه (زرشـــك) كما في تذكرة داود في رسم (أمباريس) ومعجم استينجاس ٦١٥ .

(٣) الـكلمة مهملة في الأصل . وقد قرأها الميمني « تارة » و ليست كذلك .

(٤) قال داود: هو باليونانية « إيرسا »، معناه قوس قزح، لاختلاف ألوانه في الزهر.

(٥) في غربيه ، سقطت من نشرة الميمني .

(٦) بفتح اللام كما نص ياقوت في رسمها .

(٧) قال ياقوت : مأخوذ من شرع الإهاب ، إذا شق ولم يزقق ولم يرجـل . وهو أوسع ضروب السلخ .

(٨) في الأصل : « قرية بها لها صرعا يضور » ، وصوابه في ياقوت برسم « ضرعاء » .

يَشْرَكُ بنى الحارث فيها هذيل (١) وغاضرة بن صَعصعَة (٢) .

ثم يتَّصل [بهـا] (شَمَنْصِير) ، وهو جبلٌ مَلمَلَمٌ (٣) لم يعلُه أحد قط ، ولا دَرَى ماعَلَى ذِروته ؛ بأعلاه القرود ، ويقال : إنّ أكثر نباتِه النَّبْع والشَّوحط والمياهُ حوالَيه ينابيع (٤) عليها النَّخيل والحَمَاط (٥) . وفى كلِّ جبال تِهامة الشُّقَّاح (٦) نبتَ فى حُردها (٧) وأسافلها — والحُرودُ (٨) : الجنُوب . والحَمَاط : التِّين . والشَّقَّاح : الرِّيباس (٩) . ويُطيف بِشَمَنْصِيرَ من القرى قرية كبيرة يقال لهـا (رُهَاط (١٠)) ، وهى بواد يسمَّى (غُرَان (١١)) وأنشد :

---

(١) ياقوت : « يشترك بين الحارث فيها هذيل » ، وهذا تحريف . وبنو الحارث هؤلاء هم بنو الحارث بن بهثة بن سليم ، كما سبق فى ص ٤٠٧ .

(٢) غاضرة : حى من بنى غالب بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . تاج العروس ٣ : ٤٥٠ . وقد وقعت فى نشرتى الأولى « عامر بن صعصعة » خطأ فى القراءة . وهى على الصواب فى نشرة الميمنى .

(٣) الململم : المستدير المجموع بعضه إلى بعض .

(٤) والمياه حوله ينابيع ، سقطت من نشرة الميمنى .

(٥) الحماط : شجر التين الجبلى . وفى الأصل « الحمـاض » هنا وفى الموضع التالى . والصواب ما أثبت .

(٦) فى الأصل هنا وفيما سيأتى «الشقح» تحريف . وقد فسره فيما بعد بأنه « الريباس » . والشقاح ، كرمان : نبت الكبر ، كما فى اللسان . وفى المعتمد لابن رسـولا الغسانى ٢٨٢ : « والكبر الذى يكون فى البلد الكثير الحرارة بمنزلة الكبر الذى يكون فى تهامة » . والريباس كلمة فارسية ، قال استينجاس فى معجمه ٦٠١ فى تفسيرها : A sour herb أى عشب حريف . وهو منطبق على الكبر والشقاح .

(٧) الحرود : حروف الجبل . كما فى القاموس (حرد) . وفى الأصل هنا : « حروزها » وفيما يأتى « الحرور » ، صوابه ما أثبت .

(٨) وأسافلها والحرود الجنوب ، سقطت جميعها من نسخة الميمنى .

(٩) انظر الحاشية رقم ٦ .

(١٠) بضم الراء ، قال ابن الكلبى : « اتخذت هذيل سواعا ربا برهاط » .

(١١) عند البكرى فى (شمنصير) : « غراب » ، تحريف . وقال فى (غران) : « فعال من الغرين ، والغرين والغريل هو الطين ينضب عنه الماء فيجف فى أسفل الغدير » .

فإن غُرَانًا بطنُ وادٍ أُحبُّه   لِسَاكِنِهِ عهدٌ علىَّ وثيق[1]

وبغربيه قرية يقال لها (الحُدَيبية[2]) ليست بالكبيرة ، وبحذائها جُبَيْل يقال له (ضُعَاضِع) وعنده حِبْس كبير يجتمع عنده الماء . والحِبْس : حجارة مجتمعة يُوضَع بعضُها على بعض . قال الشاعر :

وإنَّ التفاتى نحو حِبْس (ضُعاضع)   وإقبالَ عَينِى فى الظُّبَا لطَويلُ[3]

فهؤلاء القُرَيَّات لسعدٍ وبنى مسروح ، وهم الذين نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، ولهذيل فيها شىء ، ولفَهْم أيضًا . ومياههم بثُور، وهى أحساء وعيون ليست بآبار[4] .

ومن الحُدَيبِيَة إلى المدينة تسعُ مراحل، وإلى مكَّة مرحلة وميل أو ميلان.

ومن عَنْ يمينِ آرَةَ الطريق المصعد (الحَشَا[5]) ، وهو جبلُ (الأبْواء) ، وهو بواد يقال له (البُهْق) واد بكَنَفَتِه[6] اليسرى [وادٍ] يقال له[7] (شَسّ) وهو بلد مَهْيَمَة مَوبأة[8] ، لا تكون بها الإبل ، يأخذُها الهُيام عن نقوع بها

(١) أحبه ، هو ما فى البكرى . وفى الأصل : « حبه » مع الإهمال . وعند ياقوت « جنة » . و « عهد » هى فى ياقوت والبكرى : « عقد » .

(٢) بتخفيف الياء وتشديدها . سميت بشجرة حدباء كانت فى ذلك الموضع . وفى الحديث أنها بئر . وبعض الحديبية فى الحل وبعضها فى الحرم .

(٣) ياقوت : « عينى الظبا » بتثنية العين . والظبا : واد بتهامة . وفى الأصل : « عينى فى الصبى » ، وعند البكرى : « عينى الصبا » ، كلاهما محرف .

(٤) فى الأصل : « ليست بها » صوابه من البكرى ٨١٠ . وانظر ما سيأتى من الكلام على الثور قبل الكلام على « حد الحجاز » .

(٥) البكرى : « والحشا لخزاعة وضمرة » .

(٦) الكنف والكنفة : ناحية الشىء . وقال الشيخ حمد : « ولكنها فى الأصل كما علمت من النسختين المقابلتين عليه : بكفته » . وأؤكد للشيخ أن هذا علم خاطىء ، وأن بين الكاف والفاء فى الأصل نونًا ظاهرة معجمة .

(٧) فى الأصل : « وله » ، والتكملة التى أثبتها قبل من البكرى ٩٤٩ تقتضى ما أثبت .

(٨) موباة ، بفتح الميم : أراد كثيرة الوباء ، ولم ينص على هذه الصيغة فى المعاجم ، وفى الأصل : « بوباه » ، والوجه ما أثبت من ياقوت فى (شس) .

ساكرة لا تجرى[١] . – والهُيام : حمَى الإبل – وهو جبل مرتفع شامخ ليس به شىء من نبات الأرض غير الخَزَم والبَشَام . وهو لُخزَاعة وضَمْرة . وقال الشاعر[٢] فى البُعْق :

كأنَّكَ مردوعٌ بشَسٍّ مطـرَّدٌ ... يُقارِفُه من عُقْدة البعقِ هيمُها[٣]

و (الأبواء) منه على نصف ميل .

ثم (هَرْشَى) وهو فى أرضٍ مستوية ، وهى هضْبة ململَمة لا تنبت شيئا . أسفل منها (ودّانُ) على ميلين مما يلى مَغيبَ الشَّمس ، يقطعُها المُصعِدون من حجاج المدينة وينصبُّون منها منصرفين إلى مكة[٤] . ويتَّصل بها مما يلى مَغيب الشَّمس من عَن يمينها بينها و بين البحر خبْت — والخبت : الرمل الذى لا ينبت غير الأَرْطَي ، وهو حَطب ، وقد يُدبَغ [به] أسقِيةُ اللَّبنِ خاصّة — وفيها متوسِّطاً للخبتِ جُبَيل أسود شَديد السَّواد يقال له (طَفِيل) . ثم ينقطع عنك[٥] الجبال من عن يمنة ويسرة .

وعلى الطريق من ثَنِيةَ هَرْشى بينها و بين الُجحْفَة ثلاثة أودية مسمّيات :

---

(١) ساكرة بالراء ، بمعنى ساكنة ، وفى اللسان : « أبو زيد ، الساكر : الذى لا يجرى ، وسكر سكورا ، وسكر البحر : ركد . أنشد ابن الأعرابى فى صفة بحر :

* يقىء زعب الخرحين يسكر *

وعند البكرى ٤٤٩ وياقوت (٥ : ٢٦٢) : « ساكنة » .

(٢) هو كثير ، كما عند البكرى ٧٩٦ وياقوت فى (شمس) . ورواه البكرى أيضاً فى ٤٤٩ . وأنشده ياقوت فى (شمس ، بعق) .

وقبله :

وقال خليلى يوم رحنا وفتحت ... من الصدر أشراج وفضت ختومها
أصابتك نبـل الحاجبية إنها ... إذا ما رمت لا يستبل كليمها

(٣) المردوع : المنكوس فى مرضه . يقارفه : يدانيه . والعقدة : الموضع الشجير .

(٤) فى الأصل : « من مكة » ، صوابه فى ياقوت (هرشى) .

(٥) فى الأصل : « عند » .

منها (غَزال(١))وهو وادٍ يأتيك من ناحية شَمَنْصير وذَرَة . وفيها ماء آبار ، وهو لخزاعة خاصّة، وهم سكانُه أهل عمود . و (دَوْران(٢)) وهو وادٍ يأتيك أيضاً ٦
من شمنصير وذَرَة ، [وبه] بئران معلومتان يقال لإحداهما (رُحْبة(٣)) والأخرى (سكوبة) وهو لخزاعة أيضاً . والثالث (كُلَيَّة(٤)) وهو وادٍ يأتيك أيضاً من شمنصير وذَرَة وكل هذه الأودية تنبت الأراك والمَرْخ والدّوم —وهو المُقْل— والنخل . وليس هناك جبال . وبِكُلَيَّة على ظهر الطريق ماء آبار، يقال للآبار كُلَيَّة ، وبهنَّ يسمى الوادى . وبأعلى كليّة هذا أجْبال ثلاثة صغار منفردات من الجبال يقال لهنّ (شَنائِك(٥)) ، وهى لُخزاعة .

---

(١) وفيه قول كثير ، وأنشده ياقوت :

قلن عسفان ثم رحن سراعا طالعات عشــية من غزال

(٢) فى الأصل : « دوران » صوابه فى ياقوت . وأنشد لـكثير :

نادتك والعيس سراع بنا مهبط ذى دوران فالقاع

يقال فيه أيضاً « ذو دوران » كما فى هذا الشعر، وكما عند البـكرى ١٣٥٢.

وكلمة « ذو » تزاد كثيراً فى أسماء البلدان ، كما قالوا : ذو أثيل ، وذو حسم ، وذو العرجا ، وذات العلندى،وذات الإصاد .

(٣) وكذا عند ياقوت فى (دوران) .

(٤) بالتصغير ، وكانت مسكن نصيب ، وفيها يقول :

خليـلى إن حلت كليــة فالربا فذا أمج فالشعب ذا الماء والحمض

(٥) وكذا عند ياقوت فى رسمه ،قال : « كأنه جمع شنوكة بماحوله. قال نضر: شنائك: ثلاثة أجبل صغار منفردات من الجبال بين قديد والجحفة من ديار خزاعة . وقيـل شنوكتان شعبتان يدفعان فى الروحاء بين مكة والمدينة » . وفى صفة جزيرة العرب ١٨١ : « وشنوكتان يدفعان فى الروحاء » . وقال ياقوت فى رسم (شنوكة) : « شنوكة: جبل ، وهوعلم مرتجل». وأنشد لـكثير :

كذبن صفاء الود يوم شنوكة وأدركنى من عهدهن رهون

وجعلها البـكرى «سنابك» فى رسمها وفى رسم (هرشى) ، وقال: « سنابك على لفظ جمع سنبك : جبيلات مجتمعة مذكورة فى رسم هرشى » .

ودون الجُحفة على ميلٍ (غَدير خُمٍّ[١])، وواديه يصبُّ في البحر، لا ينبت غير المَرْخ والثُّمام والأراك والعُشَر . وغدير خُمٍّ هذا من نحو مطلع الشمس لا يفارقه ماء أبداً من ماء المطر ، وبه أناس من خزاعة وكنانة غيرُ كثير .

ثم (الشَّراة[٢]) وهو جبل مرتفعٌ شامخ في السماء تأويه القرود ، وينبت النَّبع والشَّوحط والقَرَظ، وهو لبنى ليثٍ خاصة ، ولبنى ظَفَرٍ من بنى سُلَيم . وهو من دون عُسْفان من عن يسارها ، وفيه عَقَبةٌ تذهب إلى ناحية الحجاز لمن سلك عُسْفان ، يقال لهـا (الخَريطة) مصعِدة مرتفعة جداً . والخريطة التى تلى الشَّراة جبل جَلَدٌ [صَلْدٌ[٣]] لا ينبت شيئاً . ثم يطلع من الشَّراة على (سايَةَ) وهو وادٍ بين حاميتين[٤] وهما حَرَّتان سوداوان ، وبه قُرًى كثيرةٌ مسمّاة، وطرق كثيرة من نَواحٍ كثيرة .

فأعلاها قرية يقال لها (الفارع) بها نخل كثير، وسُكانها من كل أفناء الناس[٥]، ومياهها عيون تجرى تحت الأرض ، فُقُرٌ كلُّها. والفقُر والقَنَا[٦] واحد، وواحد الفُقُر فقير .

---

(١) ذكر البكرى أن الذى احتفره « عبدشمس » كما احتفر أيضاً «زما» . وفيهما يقول:
حفرت خمـا وحفرت زما حتى ترى المجد لنا قد تما
وقال الفاكهى فى كتاب مكة : « وكان الناس يأتون خما فى الجاهليـة والإسـلام فى الدهر الأول ، يتنزهون به ويكونون فيه » . وعنده خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فى على عليه السلام : « من كنت مولاه فعلى مولاه » ، شروح سقط الزند ٣٨٩ .

(٢) بفتح الشين المعجمة وآخره هاء ، كما فى الأصل وياقوت . وعند البكرى : « شراء » وقال : « ممدود لا يجرى لأنه اسم أرض . هـكذا قول أبى عبيدة . وقال الأصمعى : شراء مكسور الآخر مثل حذام وقطام » .

(٣) التـكملة من البكرى . والجلد بالتحريك : الصلب . والصلد بالفتح : الذى لا ينبت .

(٤) فى اللسان : « الحوامى : عظام الحجارة وثقالها ، والواحدة حامية » .

(٥) أفناء الناس : أخلاطهم ، جمع فنو بالـكسر ، وفنا بوزن فنى .

(٦) جمع قناة التى تحفر الماء ، وتجمع أيضاً على قنى ، على فعول .

ثم أسفلَ منها (مَهايع(١))، وهى قرية كبيرة غنّاء. بها ناس كثير، وبها منبر، ووالى ساية(٢) من قِبَل صاحب المدينة، وفيها نخل ومزارع وموزٌ ورمّان وعنب. وأصلها لولد علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، وفيها من أفناء الناس، وتُجّارٌ من كلّ بلد.

ثم خَيْف يقال له (خيف سلّام(٣)) والخيف: ما كان مجنباً عن طريق الماء يميناً وشمالا متّسعاً، وفيه منبر وناسٌ كثير من خزاعة. ومياهها فُقُرٌ أيضاً، وباديتها قليلة، وهى جُشَمُ وخُزاعةُ وهُذَيل. وسلّامٌ هذا رجلٌ من أغنياء هذا البلد من الأنصار.

وأسفل من ذلك (خَيف ذى القَبْر)، وليس به منبر وإن كان آهلا، وبه نخل كثير ومَوز ورمّان، وسكانه بنو مسروح وسعد وكنانة(٥)، وتُجّارٌ ألفاق(٦)، وماؤه فُقُرٌ وعُيون تخرج من ضَفّتى الوادى كلتيهما. وبقبر أحمد بن الرِّضا(٧) سمّى.

---

(١) قال ياقوت: «كأنه جمع مهيم، وهو الطريق الواسع».

(٢) قرية غناء: جمة الأهل والبنيان والعشب.

(٣) قرأتها فى النشرة الأولى: «ووال ينتابه» وهو خطأ نبه على صوابه الشيخ حمد مطابقاً لقراءة الميمنى فى نسخته.

(٤) ويقال أيضاً بتخفيف اللام فى قول، ذكره ياقوت فى رسم (لوية).

(٥) سقطت الواو قبل «كنانة» فى نشرة الميمنى، والصواب إثباتها كما فى الأصل.

(٦) أى مختلفون، جمع لفق بالكسر، وأصله أحد لفقى الملاءة وهما شقتاها. ورسمت الكلمة مهملة الحرف الأخير فى الأصل مع ميل به إلى التقعر.

(٧) الرضا: لقب على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى، أبو الحسن. روى عنه ابنه محمد، وأبو عثمان المازنى النحوى، والمأمون بن الرشيد وغيرهم، استشهد بطوس سنة ٢٠٣. تهذيب التهذيب. وذكر ابن قتيبة فى المعارف ١٦٩ أن المأمون بعث إلى على بن موسى الرضا فحمله إلى خراسان فبايع له بولاية العهد بعده، وأمر الناس بلباس الخضرة. وذكر محمد بن على بن حمزة العلوى أنه ليس للرضا من ولد من ذكر أو أنثى إلا محمد بن على بن موسى، وقبره ببغداد بمقابر قريش. فيكون ما ذكره عرام هنا خطأ. البكرى ٧٨٧. وانظر ترجمة (محمد بن الرضا) فى تاريخ بغداد ٩٩٧.

٧ب (خيف ذى القبْر)، وهو مشهور به وأسفلَ منه (خَيف النَّعَم[١]) به منبر، وأهله غاضرةُ وخزاعة وتُجّار بعد ذلك وناس . وبه نخيل ومزارع ، وهو إلى وَالِي عُسفان ، ومياهه عيون خرّارة كثيرة .

ثم (عُسْفان) ، وهو على ظهر الطريق لخزاعة خاصّة ، بها مِنبر ونَخيل ومزارع كثيرة .

ثم [إن فصَلْتَ من عُسْفان لقيتَ[٢]] البحرَ ، وتذهب عنك الجبالُ والقرى ، إلاّ أوديةً مسمّاة بينَك وبين مَرّ الظّهران ، يقال لوادٍ منها مَسِيحة[٣] ووادٍ يقال له (مُدْرَكة[٤]) وهما واديان كبيران بهما مياه كثيرة ونخيل ، منها ماء يقال له (الُحديبية) بأسفلِهِ ، يصبّان من رؤوس الحرّة مستطيلين إلى البحر.

ثم (مَرُّ الظَّهْران[٥]) . ومرٌّ هى القرية ، والظَّهران الوادى، وفيه عيون كثيرة ونخيل وجُمّيز ، وهى لأسلم ، وهذيل ، وغاضرة .

ثم تخرج منه فى (بحرين[٦]) ، ثم تؤمُّ مَكّةَ منحدراً من ثَنِيَّة يقال لها

---

(١) وكذا عند ياقوت والقاموس (خيف) . وعند البكرى ٧٨٧ « خيف النعمان » .

(٢) التكملة من ياقوت فى رسم (مسيحه ، المدركة) .

(٣) رسم لها ياقوت ، وأما البكرى فقد ذكرها عرضاً فى ٢٢٦ ، ١٠٢٥ . وضبطت خطأً فى الموضع الأخير . وأنشد البكرى وياقوت لأبى جندب الهذلى :

إلى أى نساق وقد بلغنا ظماء من مسيحة ماء بئر

(٤) فى الأصل « يقال أمدركه » تحريف . وقد رسم ياقوت للمدركة وضبطها بضم الميم وفتح الراء . ولم تذكر عند البكرى لا رسماً ولا عرضا .

(٥) وذكر ياقوت أنه يقال « مر الظهران » وقال كثير عزة : سميت مراً لمرارتها . وقال أبو غسان : سميت بذلك لأن فى بطن الوادى بين مر ونخلة كتابا بعرق من الأرض أبيض هجاء (مر) إلا أن الميم غير موصولة بالراء . البكرى وياقوت . قال البكرى : وببطن مر تخزعت خزاعة عن إخوتها ، فبقيت بمكة وصارت إخوتها إلى الشام أيام سيل العرم، قال حسان :

فلما هبطنا بطن مر تخزعت خزاعة عنا فى الحلول الكراكر

والبيت نسبه ياقوت إلى عون بن أيوب الأنصارى .

(٦) كذا وردت مهملة بهذا الرسم. وقرأها الميمنى «طريق» وخط الأصل لايسمح بذلك.

(الجَفْجَف[1]) وبنجد في حدِّ مكة وادٍ[2] يقال له (وادي تُرَبَة[3]) ينصب إلى (بُستان ابن عامر[4]) وأسفل تُربة لبني هِلال. وحواليه من الجبال (الشَّراة[5]) و(يَسُوم) و(قِرقِد[6]) و(مَعدِن البِرَام[7]) وجبلان يقال لهما (شَوانان[8]).

---

(١) بفتح الجيمين. قال ياقوت: «وهو في اللغة القاع المستدير الواسع».

(٢) ياقوت: «وتنحدر في حد مكة في واد». وكنت آثرت عبارة ياقوت في نشرتي الأولى. وقال الشيخ حمد تعليقاً على عبارة ياقوت: ولكننا حينما نعلم ببعد وادي تربة عن مكة نستطيع أن ندرك الخلل هنا».

(٣) بضم ففتح، ومثلها في أسماء البلدان «عرنة» بمكة.

(٤) قال الأصمعي وأبو عبيدة وغيرهما: بستان ابن عامر إنما هو لعمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، ولكن الناس غلطوا فقالوا بستان ابن عامر وبستان بني عامر، وإنما هو بستان ابن معمر. وقوم يقولون: نسب إلى حضرمي بن عامر، وآخرون يقولون: نسب إلى عبد الله بن عامر بن كريز. وكل ذلك ظن وترجيم.

وقال البطليوسي في الاقتضاب: بستان ابن معمر غير بستان ابن عامر، فأما بستان ابن معمر فهو الذي يعرف ببطن نخلة، وابن معمر هو عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي. وأما بستان ابن عامر فهو موضع آخر قريب من الجحفة، وابن عامر هذا هو عبيد الله بن عامر بن كريز. عن ياقوت.

(٥) ياقوت: الحجاز جبال تحجز بين تهامة ونجد، يقال لأعلاها السراة كما يقال لظهر الدابة السراة. والسراة: جبال تمتد من اليمن حتى أطراف بوادي الشام.

(٦) وجدت تعليقاً للشيخ حمد بخطه على نسخة الأستاذ رشاد عبد المطلب من نشرة الميمني هذا نصه: قرقد جبل تدعه وأنت متوجه إلى الطائف بعد أن تجوز قرية الزيمة على يسارك، ويسميه أهل تلك الجهة قردد، تحريفاً».

(٧) وكذا في صفة جزيرة العرب ١٢١ ومعجم البلدان (٧: ٣٥، ٥٦) وعند ياقوت (في رسم معدن البرم) والزمخشري في كتاب الجبال ١٥٥ «البرم» بوزن قفل. وأنشد ياقوت للقحيف:

لقد نزلت في معدن البركة نزلة فلأيا بلأي من أضاخ استقلت

وأنشد في اللسان لأبي صخر الهذلي:

ولو أن ما حملت حمله شعفات رضوى أو ذرى برم

وقال الزمخشري: «وضاخ سوق بها بناء وجماعة ناس لبني عميلة، وهي معدن البرم». و«وضاخ» التي ذكرها الزمخشري لغة في «أضاخ». انظر الزمخشري ٥ ومعجم البلدان (أضاخ).

وسيأتي قبل الكلام على (الطائف) بلفظ «البرم».

(٨) ذكره البكري في رسم (السين المهملة)، ٧٦٥ وعرضا بالسين المهملة أيضا في ٧٨٨. وذكره الزمخشري ٨٨ في السين المهملة، أما ياقوت فقد ذكره في الشين المعجمة مرة، وأخرى في السين المهملة، واستظهر أن يكون تصحيفا. وعند الهمداني ١٧٢ «شوان» بالمعجمة.

واحدها شَوَان . وهذه الجبال كلُّها لغامدٍ ، ولخثعم ولسَلول ، ولسُوَاءة بن عامر ، ولعَنَزة . وكلُّ هذه الجبال تُنبت القرَظ ، وهى جبال متقاودة بينَها فُتوق .

وقال الشاعر يصف غيثاً :

أنجـد غـوريٌّ وحـنَّ مُتْهِمُه

واستنَّ بَيْنَ رِيِّقَيْهِ حَنْتَمُه[1]

وقُلت أطـراف السَّراة مطعَمُه

وفى جبال السَّراة الأعناب ، وقَصَبُ السكر ، والقرَظ ، والإسحِل . وفى كلِّ هذه الجبال نبات وشجر من الغَرَب والبَشام ، إلا يسوم وقِرقِد ، فإنهما لا ينبتان غير النَّبع والشَّوحَط ، ولا يكاد أحد يرتقيهما إلاَّ بعد جهد ، وإليهما تأوى القُرود ، وإفسادها على أصحاب قَصَب السُّكَّر[2] كثير . وفى هذه الجبال أوشال عِذاب وعيون ، غير قِرقِد ويَسُوم فليس فيها إلاّ ما يَجْتمع فى القِلَاتِ[3] من مياه الأمطار ، بحيث لا يُنال ولا يعرف مكانه .

وقال الشاعر فى يَسُومَ وقِرقِد :

سَمِعتُ وأصحابى تُحَثُّ رِكابُهم بنا بين رُكنٍ من يسومَ وقِرقِد[4]

فقلت لأصحابى قِفُوا لا أبالكم صُدورَ المطايا إنَّ ذا صوتُ مَعبدِ[5]

والطريق من بستان ابن عامر إلى مكة على (قَفَل) . وقَفَل : الثنية التى

---

(١) استن : مضى مسرعا . والريق : أول الشيء . وريق المطر : أول شؤبوبه . والحنتم : سحاب . وفى الأصل : « عنتمة » صوابه فى ياقوت (السراة) .

(٢) ياقوت : « قصب السكر الذى ينبت فى جبال السراة » .

(٣) القلات : جمع قلت بالفتح ؛ وهى كالنقرة فى الجبل يستنقع فيها الماء .

(٤) البكرى ٧٨٨ : « تخب ركابهم . . من يسوم وبدبد » .

(٥) ياقوت فى رسم (قرقد) : « إنه صوت معبد » .

تُطَالِعك على (قَرْن المنازل) حِيَالَ الطائف ، تَلْهَزُكَ[١] مِن عن يَسارِك وأنت تؤمُّ مكة ، متقاودة ، وهى جِبال حمر شوامخ ، أكثر نباتها القرَظ .

ومن جبال مكة (أبو قُبَيْس[٢]) . ومنها (الصَّفا) و (الجبل الأحمر[٣]) وجبل أسودُ مُرتفع يقال له (الهَيْلاء) يُقطع منه الحجارةُ للبناء والأرحاء . و (المَرْوةُ) جبل إلى الحمرة ماهُوَ[٤] . و (ثَبِير[٥]) جبل شامخ ، يقابله (حِراء) ٨ وهو جبل شامخ أرفع من ثَبِير ، فى أعلاهُ قلة شاهقة زَلُوج[٦] . وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتقى ذروتَه ومعه نفَر من الصّحابة فتحرّك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسكُنْ حِراء فما عليكَ إلا نبىٌّ أو صِدِّيق أو شَهِيد[٧] » . [وليس بهما نباتٌ ولا فى جميع جبال مكة إلاّ شىءٌ يسير من

---

(١) أصل اللهز الدفع والضرب . واللاهز : الجبل يلهز الطريق ويضربه ، وكذلك الأكمة تضرب الطريق .

(٢) ساق ياقوت فى (١ : ٩٤) أقوالا كثيرة فى علة تسميته .

(٣) ذكره ياقوت فى رسم (الأحمر) .

(٤) هذا تعبير نادر ، و « ما » فيه زائدة ، أى « إلى الحمرة هو » . ومثله ما ورد فى مشارق الأنوار للقاضى عياض ج ١ ص ٣٢٤ من قوله فى حديث تميم الدارى عن الدجال . « لا ، بل من قبل المشرق ما هو » قال : « ماهنا صلة وليست بنافية ، أى من قبل المشرق هو » .

(٥) وفى مكة أثبرة أخرى ، ثبير الزنج كانوا يلعبون عنده ، وثبير الخضراء ، وثبير النصع وهو جبل المزدلفة ، وثبير الأحدب . عن ياقوت .

(٦) الزلوج : الملساء يزلج من يرتقيها .

(٧) انظر معجم البلدان (حراء) . وفى معجم البكرى ٤٣٢ : « اثبت حراء فإنما عليك نبى أو صديق أو شهيد » . والذى فى صحيح البخارى فى فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعثمان وعمر ، فرجف بهم فقال : اثبت أحد ، فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان » .

وجاء فى فتح البارى (٧ : ٣٣) تعليقاً عليه : « هو الجبل المعروف بالمدينة ، ووقع فى رواية لمسلم ولأبى يعلى من وجه آخر عن سعيد : حراء . والأول أصح . ولولا اتحاد المخرج لجوزت تعدد القصة ، ثم ظهر لى أن الاختلاف فيه من سعيد ؛ فإنى وجدته فى مسند الحارث بن أبى أسامة عن روح بن عبادة عن سعيد ، فقال فيه : أحد أو حراء ، بالشك . وقد أخرجه أحمد من حديث بريدة بلفظ : حراء ، وإسناده صحيح ، فقوى احتمال تعدد القصة . وتقدم فى أواخر الوقف من حديث عثمان نحوه ، وفيه حراء . وأخرج مسلم من حديث أبى هريرة =

الضهياء يكون فى الجبل الشّامخ[(١)]] ، وليس فى شىء منها ماء . ثم جبال (عرفات) تتّصل بهاجبالُ الطائف،وفيها مياهٌ كثيرة أوشال، وكظائمُ فقُرٌ[(٢)]، منها[(٣)] (المُشَاش) وهو الذى يخرج بعرفاتٍ ويتّصل إلى مكة . [ومن قُعيقعان إلى مكة[(٤)]] اثنا عشر ميلا على طريق الحرف[(٥)] إلى اليمن . و(قُعَيْقِعان) : قريةٌ فيها مياه وزروعٌ ونخيل وفواكه ، وهى اليمانية[(٦)] . وبين مكة والطّائف قريةٌ يقال [لهـا] (راسب) لَخثْعَم ، و (الجوْنة[(٧)]) : قرية للأنصار ، والمعدن (معدن البُرْم[(٨)]) ، وهى كثيرةُ النّخيل والزرع ، والمياهُ مياهُ آبار ،

= ما يؤيد تعدد القصة ، فذكر أنه كان على حراء ومعه المذكورون هنا، وزاد معهم غيرهم . والله علم » .

(١) التكملة من ياقوت فى رسم (حراء) . ولم يثبتها الميمنى . وانظر للضهياء ماسبق فى ص ٣٩٦ .

(٢) فقر: جمع فقير ، وقد سبق تفسيره لعرام وقرأها الميمنى « يفر » محرفة ، وفسرها بقوله « يزيد » ، حسبها من،الوفر،وهما .

(٣) فى الأصل : « كضائم » تحريف . والكظائم : جمع كظامة بالكسر ، وهى قناة فى باطن الأرض يجرى فيها الماء . وقال الأصمعى : هى آبار متناسقة تحفر ويباعد ما بينها ، ثم يخرق مابين كل بئرين بقناة تؤدى الماء من الأولى إلى التى تليها تحت الأرض ، فتجتمع مياهها جارية ، ثم تخرج عند منتهاها فتسيح على وجه الأرض . والفقر سبق تفسيرها فى ص ٤١٣ . والنص محرف عند ياقوت فى رسم (المشاش) .

(٤) التكملة من ياقوت فى (قعيقعان) . ولم يثبتها الميمنى .

(٥) كذا . وعند ياقوت « الجوف » بالواو .

(٦) وكذا فى نقل ياقوت: ، يعنى الفواكه اليمانية .

(٧) كذا أثبتها ياقوت فى رسمها وقال : « قرية بين مكة والطائف » . ورسمت فى الأصل « الجوية » معجمة الحروف ، وقرأها الميمنى « الجوبة » . قال الشيخ حمد : « وهى فيما أرى الحوية بالحاء المهملة المفتوحة فواو مكسورة فياء مثناة تحتية مشددة فتاء التأنيث : قرية من أشهر قرى الطائف لا تزال معروفة بهذا الاسم وإن لم يرد ذكرها فى المعاجم القديمة كغيرها من كثير من مواضع بلاد العرب » . لكن تقييد ياقوت لها ، وكونها بين مكة والطائف لافى الطائف نفسها ، يعارض ما توهمه الشيخ .

(٨) سبق الكلام عليه فى حواشى ص ٤١٦ .

يَسقُون زروعهم بالزّرانيق(١) .

و (الطّائف(٢)) ذات مزارع ونخيل وموز وأعناب وسائر الفواكه، وبها مياهٌ جارية وأودية تنصبُّ منها إلى تبالة . وجُلُّ أهل الطائف ثقيف وحِمير ، وقوم من قريش ، وغَـــوث من اليمن(٣) ، وهى من أمهات(٤) القرى .

و(مُطَار(٥)) : قرية من قراها كثيرة الزّرع والموز . و (تبَالة) أكبر منها ،

---

(١) جمع زرنوق بالضم أو الفتح . والزرنوقان : حائطان يبنيان على رأس البئر من جانبيها فتوضع عليهما النعامة ، وهى خشبة تعرض عليهما ثم تعلق فيها البكرة يجرى فيها حبل الدلو فيستقى به. وقد زرنق زرنقة، أى سقى بالزرنوق . . ويقال أيضاً فى الفعل منه « تزرنق » . وفى حديث على : « لا أدع الحج ولو تزرنقت » ، أى ولو خدمت زرانيق الآبار فسقيت لأجمع نفقة الحج .

(٢) ذكر ياقوت تعليلات كثيرة لتسميتها .

وقال البكرى : وإنما سميت بالحائط الذى بنوا حولها وأطافوه بها تحصينا. وكان اسمها وج . قال أمية بن أبى الصلت :

نحن بنينا طائفا حصينا يقارع الأبطال عن بنينا

ومصيفها معروف من قديم الزمان ، قال النميرى فى زينب بنت يوسف أخت الحجاج ، يصف نعمتها :

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

(٣) «وغوث من اليمن » لم ترد فيما نقل ياقوت عن عرام (٦ : ١١) . وفى اليمن أغوات ، أحدها غوث بن أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان بن عمرو بن مالك بن زيد ابن كهلان . والآخر غوث بن طيئ بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . وكذلك الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان . والغوث بن أدد بن زيد بن كهلان . نهاية الأرب (٢ : ٢٩٦ ، ٣١٠) والمعارف ٥٣ والصحاح والتاج واللسان (غوث) .

(٤) فى الأصل (أميات) وإنما تجمع الأم ، على (أمات) و (أمهات) ويغلب الجمع الأول فى مالا يعقل . لكن المعروف فى مثل هذا التعبير (أمهات) ، وقد سبق للمؤلف نفسه عند الكلام فى (ودان) ص ٤٠٥ .

(٥) البكرى . « قال أبو حنيفة : أخبرنى أبو إسحاق البكرى أن بمطار أبد الدهر نخلا مرطبا ونخلا يصرم ، ونخلا مبسرا ونخلا يلقح » .

وقد ضبطها هو وياقوت بضم الميم . وانظر الهمدانى ١٢١ ، ٢٤١ .

بينهما ليلتان . وبالطّائف مِنبر، وبتبالة منبر . وأهلها سَلُول، وعُتَيل ، وغامد ، وعامر بن ربيعة ، وقيس كُبَّة[١] .

وفى حدّ تبالة قرية يقال لها (رَنْيَة[٢]) ، وقرية يقال لها (بِيَشة[٣]) ، و(تثليث) و (يَبَمْبَم[٤]) و (العقِيق ، عقيق تَمْرَة[٥]) وكلُّها لعُقَيل ، مياهها بثور[٦] . والبَثْر يشبه الأحساء يجرى تحت الحصى على مقدار ذراع وذراعين ودون الذِّراع ، وربما أثارته الدواب بحوافرها .

---

(١) قيس كبة : قبيلة من بجيلة، كما فى اللسان(٢ : ١٩٢) . وفى معجم ما استعجم٦١ : « وكانت قيس كبة — وكبة فرس له — ابن الغوث بن أنمار ، فى بنى جعفر بن كلاب »

(٢) رسم لها ياقوت والبكرى ، وهى بفتح الراء ، ثم عاد ياقوت ورسم لها فى (زبية) بفتح الزاى المعجمة ، وقال : « كذا هو مضبوط فى كتاب عرام » .

(٣) وقد حذف الأحوص منها الهاء فقال :

تحل بخاخ أو بنعف سويقة ورحلى ببيش أو تهامة أو نجد

وهى غير المأسدة التى تضاف إليها السباع ، فتلك بيشة السماوة التى يقول فيها مزرد :

لأوفى بهـا شم كأن أباهم ببيشة ضرغام غليظ السواعد

هذا ما ذكره البكرى ، أما ياقوت فجعل المأسدة بيشة تهامة لا بيشة السماوة . وكذا صنع الشيخ محمد بن بليهد فى صحيح الأخبار (١ : ١٧٦) وقال : « وفى هذا العهد يقيم بها قبيلتان ، وهما بنو سلول وبنو معاوية ، وهما فيها مدينتان ، مدينة بنى سلول يقال لها الروشن ، ومدينة بنى معاوية يقال لها نمران » .

(٤) ذكر هذا الموضع والموضعين قبله حميد بن ثور الهلالى فى قوله :

إذا شئت غنتنى بأجزاع بيشـة أو النخل من تثليث أو من يبمبما

(٥) يقال لكل مسيل ماء شقه السيل فى الأرض فأنهره ووسعه : (عقيق) . وفى بلاد العرب أعقة كثيرة ، منها هذا العقيق ، ومنها عقيق اليمامة ، ومنها عقيق المدينة وهو مشهور ، سمى بذلك لأنه عق عن حرتها أى قطع ، ومنها العقيق الذى ببطن وادى ذى الحليفة ، ومنها عقيق القنان ، تجرى فيه سيول قلل نجد وجباله . وفى العراق عقيق البصرة .

(٦) انظر ماسبق من الكلام على البثور فى ص ٤١٠ س ٧ .

حـــــد الحجاز

حَـــدُّ الحجاز

قال عَرّام : حد الحجاز من (معدن النَّقْرة[١]) إلى المدينة ، فنصف المدينة حجازىّ ونصفها تِهامى[٢] . ومن القرى الحجازية (بطن نَخْل) ، وبحذاء بطن نخل جبلٌ يقال له (الأسود) نصفه نجدى ونصفه حجازىّ ، وهو جبل شامخ ، ولا ينبت غير الـكلأ[٣] ، نحو الصِّلِّيان[٤] ، والعَضْوَر ، والغَرَز[٥] .

ثم (الطَّرَف[٦]) لمن أمَّ المدينة ، يَـكْنُفُه ثلاثةُ جبال : أحدها (ظَلِم) وهو جبل أسود شامخ لاينبت شيئاً ، و (حَزْمُ بنى عُوَال) وهما جميعاً لغطفان[٧] . وفى عُوال آبار منها (بئر ألية) ، اسم ألية الشّاة ، و (بئر هَرْمة)

---

(١) ياقوت : النقرة ، بفتح النون وسكون القاف ، ورواه الأزهرى بفتح النون وكسر القاف . وفى اللسان : « ابن الأعرابى : كل أرض متصوبة فى هبطة فهى النقرة ، ومنها سميت نقرة بطريق مكة ، التى يقال لها معدن النقرة » .

قال ياقوت : وهذا هو المعتمد عليه فى اسم هذه البقعة .

(٢) وذكر ابن أبى شبة أن المدينة حجازية. وأما مكة فهى تهامية، والطائف حجازية.

(٣) فى الأصل : « غيرا كلا » ، صوابه من ياقوت . وحذف لام التعريف يدور كثيراً فى خط كاتب الأصل .

(٤) بكسر الصاد وتشديد اللام المكسورة وتخفيف الياء . وفيه المثل : « جذها جذ العير الصليانة » . انظر اللسان (صلل) .

(٥) هذه الـكلمة لم يثبتها ياقوت عن عرام فى رسم (الأسود). ورسم الغين فى الأصل يشبه الخاء فلذا قرأتها فى النشرة الأولى « الحرز » ثم وجدت الميمنى قد صححها بـ « الغرف » . قال الشيخ حمد : صواب الـكلمة الغرز بالغين لا بالخاء ، وهى كذلك فى الأصل . والغرز . نوع من النبات شبيه بالثمام موصوف فى معاجم اللغة ومعروف فى بلاد العرب .

(٦) الطرف ، بالتحريك كما ضبط ياقوت فى رسمه .

(٧) لم يذكر الجبل الثالث، وقد نبه على ذلك الأخ المحقق الشيخ سليمان الصنيع . قال: « والثالث اللعباء ذكره ياقوت فى معجمه عن ابن موسى » . انظر رسم (عوال) فى معجم البلدان . وقال الشيخ حمد تعليقا على هذا الذى كتبته : « أقول : قد نبه على هذا السمهودى فى وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٤٧ قبل الأستاذ الصنيع » .

و (بئر عُمَير) ، و(بئر السُّدرة[(١)]) وليس بهؤلاء ماء يُنتفع به[(٢)] . و (السُّدُّ) ماء سماه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسدِّه . ومنها (القَرقرة[(٣)]) ماء سماء ، لاتنقطع هذه المياهُ لكثرة مايجتمع فيها ، ومن السُّدِّ قناةٌ إلى (قُبَا) .

ويحيط بالمدينة من الجبال (عَير) : جبلانِ أحمران من عن يمينك وأنت ببطن العقيق[(٤)] تريد مكة[(٥)] : ومن عن يسارك (شَوْران[(٦)]) ، وهو جبلٌ يطلُّ على السدِّ ، كبير مرتفع .

وفى قِبلىّ المدينة جبلٌ يقال [له] (الصَّارِى) واحدٌ[(٧)] ، ليس على هذه

---

(١) عند البكرى ١٣٢٦ : « حفيرة السدرة » .

(٢) العبارة واضحة فى الأصل مع إهمال الهمزة الأخيرة فى « هؤلاء » و « ماء » . وجعلها الميمنى : « وليس بها ما ينتفع [به] » .

(٣) فى الأصل : « وهو القرقر » ، وصوابه « القرقرة » ، وهى التى يقال لها « قرقرة الكدر » .

(٤) هذا عقيق المدينة .

(٥) قال ياقوت : « وذكر لى بعض أهل الحجاز أن بالمدينة جبلين يقال لهما : عير الوارد ، والآخر عير الصادر ، وهما متقاربان . وهذا موافق لقول عرام » .

(٦) شوران بفتح الشين . ومما ورد فيه من الأخبار أن (البغوم) ، صاحبة ريحان الخضرى ، نذرت أن تمشى من شوران حتى تدخل من أبواب المسجد كلها مزمومة بزمام من ذهب ، فقال بعض الشعراء :

ياليتنى كنت فيهم يوم صبحهم ... من نقب شوران ذو قرطين مزموم
تمشى على نجش تدمى أناملها ... وحولهـا القبطريات العياهيم
فبات أهـل نقيم الدار يفعمهم ... مسك ذكى ويمشى بينهم ريم

(٧) أى ليس جبلين كما أن عيرا جبلان . قال ياقوت : « والصارى بلغة تجار المصريين هو شراع السفينة . قال الجوهرى : الصارى الملاح » . وقول ياقوت إنها لغة تجار المصريين و ، فإن هذا المعنى يعرفه العرب قديما . وفى حديث ابن الزبير : « فأمر بصوار فنصبت حول الكعبة » . وأنا أرى اشتقاقه من صرى يصرى ، إذا علا . ويقولون : صرت الناقة عنقها ، إذا رفعته من ثقل الوقر . وأنشد :

* والعيس بين خاضم وصارى *

نبتٌ ولا ماء ، غيرَ شَورانَ ، فإنَّ فيه مياهَ سماء كثيرة يقال لها البَجَرَات(١) ، و « كُرُم(٢) » و « عَيْن » وأمماوم مايكون السن(٣) وفى كلها سمك أسود ٩
مقدار الذراع وما دونَ ذلك ، أطيبُ سمك يكون .

وجبلٌ حذاء شَوران هـذا يقال له (مَيطان(٤)) به ماء بِئْر يقال لها (ضَفَّة(٥)) وليس به شيء من النبات ، وهو لسُلَيم ومُزَينة . وبحذائه جبل يقال له (سِنٌّ(٦)) وجبال شواهق كبار يقال لها (الحِلَاء(٧)) ، واحدهاَ حَلَاءة(٨)

---

(١) ياقوت : « بالتحريك وقيل : البجيرات بالتصغير » . وهى عند البكرى ٩٠٦ (البحرات) بالحاء المهملة ، وكذا فى وفاء الوفاء ٢ : ٣٣١ .

(٢) انظر رسمه عند البكرى .

(٣) كذا وردت هذه العبارة فى الأصل، ومن الواضح أن السياق سرد أسماء لعيون . وقد علق عليها الشيخ حمد تعليقا عجيبا ، قال حفظه الله : « للأستاذ العذر فى جهل بعض المواضع التى لم يسر فيها ولم يجد من النصوص ما يوضح مواقعها توضيحا تاما ، ولكن ماعذره فى جهل الكلمات اللغوية — وهو اللغوى الذى عانى نشر بعض المعجمات اللغوية — ونعنى بالكلمات مانجده متداولا فى معجمات اللغة المطبوعة ؟ فى ص ٥٥ — من النشرة الأولى — ما هذا نصه: (وامما وهم مايكون السن) وعلق الأستاذ قائلا : كذا وردت هـذه العبارة فى الأصل . ولو رجع إلى كتب اللغة لوجد أن الأمماء هى أمكنة تجتمع فيها المياه وتبقى مدة طويلة » (كذا . ولست أدرى أى المعاجم المطبوعة ورد فيها هذا النص الغريب الذى ساقه الشيخ) . ثم قال الشيخ : « وإذن فالجملة هى (وأمماء وهو ماء يكون السنين) ! ؟ وهكذا وردت هذه الجملة فيما نقله السمهودى فى وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٣١ عن عرام » .

وأترك التعليق على هذا التعليق للقارئ المنصف .

(٤) ضبطه ياقوت بفتح الميم ، والبكرى بكسرها . وفيه يقول معن بن أوس المزنى :

كأن لم يكن يا أم حقة قبل ذا بميطان مصطاف لنا ومرابع

(٥) فى الأصل : « ضعة » ، صوابها من معجم البكرى فى رسمه وفى (ظلم) أيضاً .

(٦) وهذا يطابق ما فى ياقوت من قوله فى رسمه : « والسن أيضاً : جبل بالمدينة قرب أحد » . وقال أيضاً فى (الحلاءة) : « وقال عرام : يقابل ميطان من جبال المدينة جبل يقال له السن » . لكن عند البكرى ٨١٩ ، ٩٠٦ « شى » ، بكسر الشين .

(٧) بفتح الحاء وكسرها ، كما ذكر ياقوت ، وهى عند البكرى ٣٨٩ ، ٩٠٦ : « الجلاء » بكسر أوله على لفظ جمع جلهة) . وقال الفيروزبادى : « وبالكسر واحدة الحلاء ، لجبال قرب ميطان تنحت منها الأرحية » ، وضبط فى اللسان بالفتح .

أنشد الزمخشرى فى كتاب الجبال ، لابن الرقاع : =

لاتنبت شيئاً ولا يُنتفَع بها ، إلاَّ ما يُقطَع للأرحاء والبناء ، يُنقَل إلى المدينة وما حواليها .

ثمَّ إلى (الرُّحْضية[١]) قرية للأنصار وبنى سليم ، من نجد[٢] ، وبها آبار عليها زروع كثيرة ونخيل . وحذاءها قرية أو أرض يقال لها (الحِجْر[٣]) ، وبها مياهُ عيون وآبار لبنى سُلَيم . وحذاءها جُبَيل ليس بالشَّامخ ، يقال له (قُنَّة الحِجْر[٤]) .

وهناك وادٍ عال يقال له (ذو رَوْلَان[٥]) لبنى سُلَيم ، به قرًى كثيرة تنبت النخيل ، منها (قَلَهى[٦]) وهى قرية كبيرة ، و (تَقْتُد[٧]) قرية أيضاً . وبينهما جبل يقال له (أديمة) . وبأعلى هذا الوادى رياض تسمى (الفِلَاج) جامعة للناس أيامَ الربيع ، وفيها مُسُك كثيرة[٨] يكتفُون به صيفهم وربيعهم إذا

= كانت تحل ذا ماء الغيث صبحها بطن الحلاءة فالأمرار فالسررا

(١) كذا ضبطها ياقوت . أما البكرى فقد جعلها « الرحيضة » بهيئة مصغر (الرحضة) . انظر ٦٤٠ ، ٨٧٤ ، ٩٠٨ .

(٢) وكذا فى ياقوت (القنة) . البكرى : « وهى من نجد » .

(٣) بكسر الحاء ، لكن ضبطت عند البكرى (الحجر) بالتحريك ، وهو خطأ .

(٤) فيها يقول الشاعر :

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا أروم فآرام فشابة فالحضر

وهل تركت إبلى سواد جبالها وهل زال بعدى عن قنينته الحجر

(٥) فى الأصل : « دورلان » تحريف ، وصوابه من ياقوت فى رسمه والزمخشرى ٦٩ . ويقال أيضاً (ذو ورلان) بكسر الواو كما عند البكرى ١٢٧٨ ، ٩٠٧ . والورلان : جمع ورل ، بالتحريك ، وهو دابة على خلقة الضب إلا أنه أعظم منه .

(٦) بفتح اللام ، ياقوت والبكرى ١٠٩٣ . قال البكرى فى اشتقاقه : قال الأصمعى : والعرب تقول : غدير قلهى ، أى مملوء .

(٧) بفتح التاء الثانية وضمها ، كما ذكر ياقوت ؛ والضم للزمخشرى فيما نقل ياقوت عنه ، والبكرى ٣١٧ .

(٨) فى الأصل : « مساك كثيرة » ، تحريف صوابه من ياقوت فى (تقتد) ، وجاء فى ياقوت (الفلاج) : « مساك كبير » وهو إنما يريد الجمع ، لأنه سيسرد فيما بعد أسماء غدران كثيرة ، وقد سبق تفسير (المساك) فى ص ٣٩٧ س ٧ .

أمطِروا . وليس بها آبار ولا عيون . ومنها غدير يقال له (المُختبِي[١]) لأنه بين عِضاهٍ وسِدْر وسَلَم وخِلاف[٢] ، وإنما يؤتَى من طَرَفيه دون جنبيه ، لأن له حرفاً لا يَقدر عليه أحد[٣] . ومنها قَلْت[٤] يقال له (ذات القَرنين) لأنه بين جبلين صغيرين ، وإنما ينزع الماء منه نزعا بالدِّلاء إذا انخفضت[٥] قليلا . ومنها غدير يقال له (غدير السِّدرة) من أنقاها ماء ، وليس حواليه شجر.

ثم تمضى مُصعِداً نحو مكة فتميل إلى واد يقال له (عُريفِطان معن[٦]) ليس به ماء ولا رِعْى . وحذاءه جبال يقال لها (أُبْلَى[٧]) ، وحذاءه قُنّة يقال لها (السَّودة[٨]) لبنى خُفاف من بنى سُلَيم ، وماؤهم

---

(١) عند البكرى ٩٠٧، ١١٨٧: « المجني » ، والصواب ما هنا كما يفهم من التعليل، وهو المطابق لما عند ياقوت فى (الفلاج) .

(٢) الخلاف : شجر الصفصاف ، ويسمى « السوجر » أيضاً ، وأصنافه كثيرة، كلها خوار ضعيف . قال الأسود :

كأنك صقب من خلاف يرى له رواء وتأتيه الخؤورة من عل

(٣) ذكر الشيخ حمد تعليقاً أن فى وفاء الوفاء ٢ : ٣٦٩ نقلا عن عرام : « لأن له حرفين لا يقدر عليه من جهتهما » .

(٤) سبق تفسير (القلت) فى ص ٤١٧ .

(٥) جعلتها فى نشرتى الأولى « انخفض » اعتماداً على ياقوت فى (القرنين) : أما الميمنى فجعلها « انخفضت » تصحيحاً لما فى الأصل وهو « انخفظت » . قال الشيخ الفاضل مصححاً معلقاً : « وأقول : إن الصواب — فيما أرى — ما جاء فى الأصل (يعنى صواب الأصل ، وهو « انخفضت » لا « انخفظت » ، فالماء كما يفهم من كلام عرام بين جبلين صغيرين ، فوارده يحتاج إلى أن ينخفض قليلا لكى يصل إليه فينزعه بالدلو » .

(٦) فى الأصل : « معرن » بالإهمال ، صوابها من ياقوت فى (عريفطان ، أبلى) . وقرأها الميمنى « عريفطان معرفة » وهو سهو فى القراءة والتحقيق .

(٧) أبلى هذه بالقصر ، وهى غير (أُبلى) ككرسى ، وهو جبل معروف عند أجأ وسلمى . وقرأها الميمنى سهواً : « جبل يقال له أبلى » .

(٨) كذا ضبطت فى معجم البلدان . وهى عند البكرى ٩٩ ، ٨١٥ (الشورة) بفتح الشين .

(الصَّعْبِيَة[1]) وهى آبار يُنزَعَ عليها، وهو ماء عذب وأرض واسعة. وكانت بها عين يقال لها (النَّازِيَة[2]) بين بنى خُفاف وبين الأنصار، فتضارَبُوا[3] فسدّوها، وهى عين ماؤها عذب كثير، وقد قُتل ناس بذلك السبب كثير، وطلبها سُلطان البلد مرارا بالثمن[4] الكثير فأبوا ذلك.

وفى أُبْلَى مياه منها (بئر مَعُونة) و (ذو ساعدة[5]) و (جَمَاجم) أو (حَمَاحم) شكٌّ[6] — و (الوَشْباء) وهذه لبنى سليم، وهى قِنان متصلة بعضها إلى بعض، قال فيها الشاعر:

ألاَ ليت شِعرى هل تغيّرَ بعدنا أَرَوم فَآرامٌ فشابةُ والحَضْر[7]
وهل تركت أُبْلَى سوادَ جِبالها [وهل زال بعدى عن قُنَيْنَتِها الحِجر][8]

---

(١) فى الأصل: «الصعيدة»، صوابه من ياقوت فى رسمها ورسم (السورة) وكذا القاموس (صعب) حيث يقول: «والصعبية: ماء لبنى خفاف».

(٢) قال البكرى: «على لفظ فاعلة من نزا ينزو». ونزا ينزو: طفر ووثب.

(٣) قال الشيخ الفاضل تعليقاً: «فى وفاء الوفاء ج ٢ ص٣٨٠: فتضاروا، وفى ياقوت: فتضادوا، بالدال تصحيف. والأستاذ اختار كلمة تضاربوا كالأستاذ الميمنى، ولكنى أرى فتضاروا أصوب». وأقول: إن كتابة الأصل تحتمل قراءتى وقراءته، فقد رسمت الكلمة «تضاربوا» ولكن وضع فوق الراء فى الأصل ما يشبه الشدة وفوق الباء ضمة. ولا ريب أن التضارب ومعناه التنازع والاختلاف أدنى إلى قوة العبارة من «المضارة» بمعنى تبادل الضرر.

(٤) كلمة «بالثمن» ثابتة فى الأصل. ولا أدرى كيف فاتت العلامة الميمنى فأثبتها زائدة على الأصل معتمداً على معجم ياقوت رسم (الصعبية) ومعجم ما استعجم ص ٦٠ وذكر مع ذلك أن «الأصل بياض» مع ثبوتها واضحة فى الأصل.

(٥) ساعدة، هى فى الأصل علم من أعلام الأسد.

(٦) رسمت هذه الكلمة فى الأصل رسماً رديئاً بحيث يظنها القارئ من عبث القلم. لذلك لم أثبتها فى النشرة الأولى، ولكنى وجدت بعد عثورى هذه المرة على نشرة العلامة الميمنى أنه استطاع قراءتها وقال تعليقاً عليها: «كذا بالشك من السكونى فى معجم ياقوت ومعجم ما استعجم ٦٠، ٢٢٢٤٤».

(٧) ياقوت فى رسم (أبلى): «فالخضر».

(٨) التكملة من ياقوت. وفى الأصل: «وهل تركت ليلى».

[وحذاء أُبْلَى جبل يقال له (ذو المَوْقَعَة[١]) من شرقيها ، وهو جبل[٢]] معدن بنى سُلَيم، يكون فيه الأَزْوَى[٣] كثيراً ، وفى أسفل من شرقيه بئر يقال [لها] (الشَّقِيقة[٤]) . وحذاءه من عن يمينه من قِبَل القبلة جبل يقال له (بُرْثُم) وجبل يقال له (تِعَار) ، وهما جبلان عاليان لاينبتان، فيهما النُّمْران[٥] كثيرة .

• وفى أصل بُرْثم ماء يقال له (ذنبَان العِيص[٦]) ، وليس قُرب تِعار ماء . و [الخَرِب] : جبل بينه وبين القِبلة، لا يُنبت شيئاً ثابتاً[٧] . قال الشّاعر :

بليتُ ولا تبلى تِعارُ ولا أرى   يَرَمْرَمَ إلاَّ ثابتا يتجــدد[٨]
ولا الخَرِب الدانِى كأنَّ قِلالَه   بَخَاتٍ عليهنَّ الأَجلّة هُجَّدُ[٩]

---

(١) هى عند البكرى (الموقعة) فى رسمها وفى ص ١٩٩ .

(٢) وهذه التكملة أيضاً من ياقوت فى رسم (الموقعة) .

(٣) بدله عند ياقوت نقلا عن عرام (اللازورد)، والوجه مافى الأصل والبكرى ٩٩. واللازورد : حجر من الأحجار الكريمة .

وقال داود فى تذكرته : معدن مشهور يتولد مستقلا بجبال أرمينية وفارس ، ويوجد فى وجوه المعادن ، وأخلصه الكائن فى الذهب . وأجوده الصافى الرزين الشفاف الضارب زرقته إلى خضرة ما وحمرة .

(٤) وفيه يقول ابن مقبل :

خِياض ذى بقر لخزم شقيقة   قفر وقد يغنين غير قفار

وجعلها ياقوت بلفظ (الشقيقة) فى رسمها .

(٥) فى الأصل : « النمر كثير » وصوابه من ياقوت فى (برثم) و (تعار): النمران جمع نمر ، ومثله ذئب وذؤبان .

(٦) وكذا عند ياقوت . وعند البكرى ٦١٦ ، ٨١٤ : « ذنابة العيص » .

(٧) وقعت محرفة فى النشرة الأولى : « نابتا » تحريفاً مطبعيا .

(٨) كلمة (ثابتا) ليست واضحة فى الأصل. وإثباتها من معجم ياقوت فى (يرمرم) .

(٩) قلال : جمع قلة ، وهى قمة الجبل. والبخاتى : جمع بختى ككرسى، وهى جمال طوال الأعناق . والأجلة : جمع جلال ، والجلال ، بالكسر : هو غطاء كل شىء ، وهو أيضاً جمع جل الدابة الذى تلبسه لتصان به . وهجد : جمع هاجد وهاجدة ، وفى الأصل: « جهد » صوابه من ياقوت (يرمرم، الخرب) . وقد روى البكرى ٩٩ البيتين برواية مخالفة .

ويجاوز عينَ (النَّازِية[١]) فيرد مياها[٢] يقال لها (الهَدَبيّة[٣]) وهى ثلاثة آبار ليس عليهن مزارع ولا نخل ولا شجر ، وهى بقاعٍ كبير[٤] يكون ثلاثة فراسخ فى طول ماشاء الله[٥] ، وهى لبنى خُفاف بين حَرَّتين سوداوين ، وليس ماؤهنّ بالعذْب ، وأكثر ماعندها من النَّبات الحَمْض .

ثم ينتهى إلى (السُّوَارقية[٦]) على ثلاثة أميال منها ، قرية غنَّاء كثيرةُ الأهل ، فيها منبر ومسجدُ جماعةٍ[٧] وسوق كبيرة تأتيها التُّجار من الأقطار ، لبنى سُلَيم خاصة . ولكلّ [من[٨]] بنى سليم منها شىء ، وفى مائها بعض ملوحة . ويَستعذِبُون[٩] من آبارٍ فى واد يقال له (سوارِق) ، ووادٍ يقال له (الأبْطُن[١٠]) ماء خفيفاً عذباً . ولهم مزارع ونخيل كثيرة وفواكه ، من موز وتين ، ورمَّان ، وعِنب ، وسفرجل ، وخَوخ ، ويقال له الفِرْسِك[١١] . ولهم

---

(١) كلمة النازية لم يظهر فى الأصل منها إلا (النا) .

(٢) فى الأصل (مياه) ، وصوابه فى البكرى ، وعند ياقوت (الهدبية) : « ماءة » .

(٣) فى الأصل : « العدمة » صوابه من ياقوت والبكرى ٩٩ .

(٤) القاع : أرض واسعة سهلة مطمئنة مستوية لا حزونة فيها ولا ارتفاع ، تنفرج عنها الجبال والآكام . وعند ياقوت : « بقاع كبيرة » ، جمع بقعة ، وكذا عند البكرى ٩٩ : « فى بقاع واسعة » .

(٥) فى الأصل : « ما سال منه » ، صوابه من ياقوت والبكرى .

(٦) بضم السين وفتحها . ويقال أيضاً : « السويرقية » ، بلفظ التصغير .

(٧) ياقوت عن عرام : « جامع » .

(٨) التكملة من ياقوت .

(٩) الاستعذاب : استقاء الماء العذب . وفى الحديث أنه « كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا » ، أى يحضر له منها الماء العذب .

(١٠) كذا ضبط بضم الطاء فى ياقوت (السوارقية) والبكرى (أبلى) .

(١١) وقيل فاكهة مثل الخوخ فى القدر . وقال الجوهرى : « ضرب من الخوخ ليس يتفلق عن نواه » وقيل : هو التين . قال شمر : « سمعت حميرية فصيحة سألتها عن بلادها ، فقالت : النخل قل ، ولكن عيشتنا امقمح ، امفرسك ، امحاط . طوب — أى طيب — فقلت لها : ما الفرسك ؟ قالت : هو متين عندكم » . ولفظ الفرسك ورد فى الفارسية بمعنى الخوخ : A peach . استينجاس ٦١٨ .

خيلٌ وإبل وشاء كثير ، وهم بادية(١) إلاّ من ولد بها فإنهم تانُون(٢) فيها ، والآخرون بادون حواليها ، ويَميرون طريق الحجاز ونجد فى طريقِ الحاجّ .

والحدُّ (ضَرِيَّة) وإليها ينتهى حدُّهم على سبع مراحل ، ولهم قرًى من حواليهم ، منها قرية يقال لها (القِيَّا) ماؤها مأجٌ(٣) مِلح نحو ماء الشُّوارقية ، وبينهما ثلاثة فراسخ . وبها سكانٌ كثير ونخيل ومزارع وشجر . وقال الشاعر :

ماأطيبَ المذْق بماء القِيَّـــا(٤) وقد أكلتُ بَعده بَرْنِيَّا(٥)

وقرية يقال لها (المَلْحاء(٦)) وهى ببطن وادٍ يقال له (قَوْرَان) يصبُّ من الحَرَّة(٧) ، فيه مياه وآبار كثيرة عِذابٌ طيّبة ، ونخل وشجر . وحواليها هَضبَات (ذى مَجَر(٨)) ، قال فيهنّ الشاعر :

* بذى مَجَرٍ أسْقِيتِ صوبَ الغَوادى(٩) *

---

(١) فى الأصل « ىلاىه » بدون إعجام ، صوابه من ياقوت . على أن العبارة قبله محرفة عنده ، إذ هى « وشاء و كبراؤهم بادية » .

(٢) كذا فى الأصل . وكنت قرأتها فى النشرة الأولى « ثابتون » . قال الشيخ الفاضل حمد : إن معنى « تانون » ماكثون ، من تنأ ، وسهلت الهمزة . نبه على هذا الأستاذ الشيخ عبد الرحمن المعلمى اليمانى .

(٣) المأج : الملح . ياقوت : « أجاج » . وجعلها الميمنى « أجاج » ولم ينبه على الأصل ، مع أن مافى الأصل صحيح .

(٤) المذق : اللبن الممذوق بالماء ، أى الممزوج به . البكرى : « بماء قيا » .

(٥) البكرى : « قبله » بدل « بعده » . والبرنى : ضرب من التمر أصفر مدور ،

(٦) قال البكرى : ١٠٠ « سميت بالملحاة بطن من حيدان » .

(٧) هى حرة سليم التى تسمى حرة النار .

(٨) ضبطه ياقوت بفتح الميم وسكون الجيم ، وجعل تحريكه فى الشعر بعد للضرورة . أما البكرى فضبطه بالتحريك .

(٩) ياقوت: « غوادى ».

وذو مَجَر : غدير كبير فى بطن وادى قَوران هذا . وبأعلاه ماء يقال له (القَف (١)) ماء آبار كثيرة، عذبٌ، ليس عليها مزارع ولا نخل ، لغِلظ موضعها وخشونته . وفوق ذلك ماء يقال له (شس (٢)) ماء آبارٍ عِذاب . وفوق ذلك بئر يقال لها (ذات الغَار) عذبة كثيرة الماء تَسقِى بَوادِيَهم . قال الشاعر — وهو عُذَيرة بن قُطَّابٍ (٣) السُّلَمىّ :

لقد رُعتمونى يومَ ذى الغار رَوعةً ... بأخبار سَوءٍ دونهنَّ مشيبى

نَعَيتم فتى قيس بن عَيلانَ غُدوةً ... وفارسَها تَنعَوْنه لحبيب (٤)

وحذاءها جبل يقال له (أقراح (٥)) شامخ مرتفع أجرد لاينبت شيئاً، كثير النُّمور والأراوىّ .

ثم تمضى من المَلْحاء فتنتهى إلى جبل يقال له (مُغار (٦)) فى جوفه

---

(١) بدله عند البكرى ١٠٠ : « ليث » . ووقعت فى النشرة الأولى « القفا »، سهواء.

(٢) أصل معنى الشس الأرض الصلبة التى كأنها حجر واحد ، والجمع شساس وشسوس .

(٣) ياقوت وكذا ابن تغرى بردى : « غزيرة بن قطاب » . وعند البكرى ١٠٠ . « قال ابن قطاب » . وعند الطبرى : « عزيزة » . وغزيرة بن قطاب السلمى ، كان مقدم سلم فى ثورتهم على السلطان فى خلافة الواثق ، فكان يحمل ويرتجز ويقول :

لابد من زحم وإن ضاق الباب ... إنى أنا غزيرة بن قطاب

الموت خير للفتى من العاب

وظل يقاتل إلى أن قتل وصلب . وذلك فى سنة ٢٣٠ . النجوم الزاهرة (٢ : ٢٥٧ ـ ٢٥٨) والطبرى (١١ : ١٢ ـ ١٤) .

(٤) لم يروه ياقوت . وعند البكرى : « عقوة » بدل « غدوة » . لحبيب أى تنعونه لمحب له . وعند البكرى : « لحبيبى » ، وتوجه على أن التقدير : لهو حبيبى .

(٥) لم يرسم له ياقوت ، ورسم له البكرى وتكلم عليه فى « أبلى » .

(٦) عند البكرى ١٠٠ : « معان » .

أحساء ، منها حِسْى يقال له (الهَدّار[١]) يفور بماء كثير وهو فى سَبَخ[٢] بحذائه حاميتان[٣] سوداوان فى جوف إحداهما ماءة ملحة[٤] يقال لها (الرفْدة[٥]) ، وواديها يسمَّى (عُرَيْفِطان) ، وعليها نخيلات وآجام يستظل فيهن المارُّ ، وواحدها أُجُم[٦] ، وهى شبيهة بالقصور ، وحواليها حُموض[٧] وهى لبنى سُلَيم . وهى على طريق (زُبَيدة) يدعوه بنو سُليم (منقا زبهدة[٨]).

وحِذاءها جبل يقال له (شُواحِط) كثير النُّمور كثير الأراوىّ . وفيه ١١ الأوشال تنبت القَضْور والثَّغَام .

وبحذائه وادٍ يقال له (بِرْك) كثير النبات من السَّلَم والعُرفُط وأصناف الشجر ، وبه ماء يقال له (البُوَيرة[٩]) وهى عذبة طيبة من (بئر شك) . وهى

---

(١) الكلمة غير واضحة فى الأصل فهى « المدار » مهملة ، وإثباتها من ياقوت فى (مغار ، الهدار) والبكرى ١٠١ وكذا رسم (الهدار) . والهدار أيضاً : من نواحى اليمامة كان بها مولد مسيلمة الكذاب . قال ياقوت : « يجوز أن يكون من الهدر ، وهو إبطال الدم ، أو من هدر البعير ، إذا شقشق بجرته » .

(٢) السبخ ، بالتحريك : المكان يسبخ فينبت فيه الملح وتسوخ الأقدام .

(٣) سبق تفسير « الحامية » فى ص ٤١٣ .

(٤) ياقوت عن عرام : « مليحة » . والمليحة والملحة بمعنى واحد .

(٥) هكذا ضبطها البكرى بالحروف فى رسمها ، ولم يضبطها ياقوت . وضبطت فى القاموس بفتح الراء .

(٦) الأجم ، بضمتين : الحصن ، وبضم وضمتين : كل بيت مربع مسطح . وأنشدوا فى لك قول امرئ القيس :

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أطما إلا مشيدا بجندل

(٧) فى الأصل : « حموس » بالمهملة ، صوابه بالضاد المعجمة . والحموض : جمع حمض ، كما فى القاموس . والحمض ، بالفتح : ما ملح وأمر من النبات .

(٨) كذا فى الأصل . وفى معجم ياقوت : « منقازبيدة » . انظر رسم (مغار) . وقرأها الميمنى « منقا » ، سهواً .

(٩) قال ياقوت : « تصغير البئر التى يستقى منها الماء » .

الغيقة الشَّجوةُ[1] لكنَّها لا تُنزَف. وهنالك (بُرْثُم) وهو جبل شامخ كثير النُّمور والأروى، قليلُ النباتِ إلا ما كان من ثَغام وغَضْور وما أشبهه.

وحذاءه وادٍ يقال له (بَيْضَان[2]) به مياه آبار كثيرة، وأشجار كثيرة، يُزرع على هذه الآبار الحنطةُ والشَّعير والقتّ[3].

وحذاءه وادٍ يقال له (الصَّحْن)، قال فيه الشاعر:

جَلَبْنا من جنوب الصَّحنِ جُرداً ... عِتاقاً شُزَّباً نَسْلُ النَّسْلِ[4]

فوافَينا بهـا يومَىْ حُنَينٍ ... نبىَّ اللهِ جِدًّا غـيرَ هَزْلِ

به ماء يقال له (الهَبَاءَة)، وهى أفواه آبار كثيرة مخرقة الأسافل، يفرغ بعضها فى بعض من موضع الماء عذبة طيِّبة[5]، يزرع عليها الحنطة والشعير وما أشبهه. وماء آخر، بئر واحدة، يقال لها (الرِّسَاس[6]) كثيرة الماء لا يزرع[7] عليها لضيق موضعها.

---

(١) كذا وردت « بئر شلك وهى الغيقة الشجوة ». ومما هو جدير بالذكر أن « شجوة » واد بتهامة، و « غيقة » بين مكة والمدينة.

(٢) رسم له البكرى، ولم يرسم له ياقوت.

(٣) الكلمة مهملة فى الأصل. والقت: الفصفصة والرطبة، وهى التى تسمى « البرسيم » فى لسان المصريين. انظر تذكرة داود.

(٤) الجرد: جمع أجرد وجرداء، وهو الفرس القصير الشعر. والنسل: مصدر نسل ينسل، بمعنى أسرع. ياقوت: « سرها نسلا لنسل ». البكرى: « سيرها نسلا لنسل » وشزبا: جمع شازب، وهو الضامر. وفى الأصل: « سربا » بالإهمال. وللشيخ حمد الفضل فى هذا التصحيح الذى فاتنى فى النشرة الأولى.

(٥) ياقوت « بعضها فى بعض الماء الطيب العذب ».

(٦) كذا ضبطه البكرى فى رسمه، وذكره أيضاً فى « شواحط » ولم يرسم له ياقوت. وفى الأصل: « ارساس » وكثيراً ما يهمل كاتب النسخة لام التعريف.

(٧) البكرى فى (شواحط): « لا يزدرع ».

وبأسفل بيضانَ هذا موضعٌ يقال له (العِيص) به ماء، يقال له (ذَنَبانُ العِيص[١]) . والعيص : ما كثرت أشجارُه من السَّلَمِ والضَّالِ ، يقال له عِيص وخِيس[٢] .

وحذاءه جبل يقال له (الحرَّاس[٣]) أسود ليس به نباتٌ حسن ، وفى أصله أضاةٌ[٤] ، يقال لها الحُوَاق[٥] تُمسك الماء من السَّماء كثيراً ، وهو كلُّه لبنى سُليم .

وحذاء ذلك قرية يقال لها (صُفَيْنة[٦]) بها مزارعُ ونخلٌ[٧] كثير ، كلُّ ذلك على الآبار . ولها جبل يقال له (السِّتار) . وهى على طريق (زُبَيدة[٨]) يعدِل إليها الحاجُّ إذا عطشوا .

وحذاءها مياهٌ أخرى يقال لها (النُّجير) ، [وبحذائها ماءة يقال لها (النَّجارة) بئر واحدة[٩]] ، وكلاهما فيه مُلوحةٌ وليس بالشَّديد[١٠] .

---

(١) انظر ما سبق فى حواشى ص ٤٣٠ .

(٢) الخيس والخيسة : الشجر الكثير الملتف . وفى الأصل : « حبس » تحريف .

(٣) ذكره البكرى فى رسمه ، وفى (الستار) ، وفى (شواحط) . وفى إحدى نسخ أصله : « الحراض » ، ولم يرسم له ياقوت ، بل لم يذكره ، بتتبع فهارس وستنفلد .

(٤) الأضاة : الغدير ، والماء المستنقع من سيل أو غيره ، والجمع أضوات وأضا .

(٥) فى الأصل : « الحقائق » مهملة النقط . صوابه من البكرى فى رسمه وفى (شواحط) والزمخشرى ٤٩ والقاموس (حوق) . وهو ككتاب وغراب ، كما ذكر البكرى وصاحب القاموس .

(٦) رسم لها ياقوت ولم يرسم البكرى لها ولم يذكرها . وهى كالعيبة يكون فيها متاع الرجل وأداته .

(٧) وقعت فى نسخة الميمنى : « ونخيل » محرفة عما فى الأصل .

(٨) ياقوت : « الزبيدية » .

(٩) التكملة من ياقوت فى رسم (النجير) ، ومما سيأتى . وعند البكرى ٧٢١ و ٣٣٦ ، « النجار » و « النجير » . ولم يرسم لهما ياقوت فى الثاء ، بل جعلهما « النجارة » و « النجير » بالنون ، فى رسمهما وفى « نجل » .

(١٠) كذا فى الأصل وله وجه . وعند ياقوت : « وليست بالشديدة » .

وأسفلَ منهما بصحراءَ مستويةٍ عمودان طويلان (١) لا يرقاهما أحدٌ إلا أن يكون طائراً ، يقال لأحدهما (عمود البانِ) ، و (البانُ (٢)) : موضع ، والآخر (عمود السَّفح) ، وهو من عن يمين الطريق المُصعد من الكوفة (٣) على مِيلٍ من (أُفَيعِية) و (أُفاعِية (٤)) هضبة كبيرة شامخة ، وإنَّما اسم القرية (ذو النَّخل (٥)) ، وهي مرحلة من مراحل الطريق ، وبها مِلح ، ويُستَعذَب لها من النِّجارة والنُّجير (٦) هاتين ، ومن ماء يقال له (ذو مَحبَلة (٧)) . وعن يسارها ماءة يقال لها (الصُّبحيَّة (٨)) وهي بئر واحدة ليس عليها مزارع ،

---

(١) وكذا وردت العبارة مطابقة في ياقوت (البان ، وعمود) عن عرام . وعند البكري ٧٢١ ولم يصرح بالنقل : « وأسفل منهما هضبتان طويلتان » . وهذا تفسير للعمودين ، أي إنهما هضبتان عاليتان يشبه كل منها عمود البيت . وإطلاق (العمود) على الهضبة لم تعرفه معاجم اللغة .

(٢) البان بلفظ ذلك النبات المعروف عند ياقوت . وعند البكري في رسمه وفي (الستار) : « ألبان » كأنه جمع لبن .

(٣) عند البكري ٧٢٢ : « من الكوفة إلى مكة » .

(٤) ضبطه البكري بضم الهمزة ثم قال : « هكذا روى عن عمارة بن عقيل . وغيره يرويه أفاعية بفتح الهمزة ، وكلا المثالين موجودان في الأسماء والصفات ، وضم الهمزة في أفاعية أثبت ، وهو الذي اختاره أبو حاتم وغيره » .

(٥) كذا في الأصل . وأنشد البكري ٣١٤ لجميل :

وقد حال أشباه المقطم دونها وذو النخل من وادي قطاة وتعنق

وعند ياقوت : « ذو النجل » بالجيم ، وكذا عند الزمخشري ٦٧ .

(٦) سبق تفسير الاستعذاب في ص ٤٣١ . كما سبق الكلام على (النجارة) و(النجير) في الصفحة السابقة .

(٧) رسم لها ياقوت ، وذكرها أيضاً في (نجل) ، ولم يذكرها البكري . وفي الأصل : « مجيلة » . وظنها الميمني « ذو نخيلة » .

(٨) رسم لها البكري ، ولم يرسم لها ياقوت ولم يذكرها في معجمه ، بتتبع فهرس وستنفلد .

ويُستعذَب منها لأهل أفاعية . وحذاءها هضبة كبيرة يقال لها (خَطمة[١]) ، ولابَةٌ[٢] — وهى حَرْشَفة[٣] حَرَّة سوداء لاتُنبت شيئاً — يقال لها (مَنِيحة[٤]) ، وهى لجسْر وبنى سليم .

وقرية يقال لها (مَرّان) قرية غنّاء كبيرة ، كثيرة العيون والآبار والنخيل والمزارع ، وهى على طَريق البصرة لبنى هلال وجَسْر[٥] ، ولبنى ماعز[٦] ، وبها حصن ومِنبر ، وبها ناس كثير . وفيها يقول الشاعر[٧] :

أَبعْدَ الطِّوالِ الشُّمِّ من آل ماعزٍ
يُرجِّى بمَرّانَ القِرى ابنُ سبيلِ[٨]

---

(١) الذى عند البكرى ٧٢٢ : « حدمة » بالضم وبضمتين .

(٢) اللابة : الحرة ، والجمع لاب ولوب .

(٣) الحرشفة : الأرض الغليظة .

(٤) فى الأصل : «سحه» بالإهمال ، وإثباتها من البكرى ٧٢٢ .

(٥) سقطت هذه الكلمة من النشرة الأولى .

(٦) ياقوت فى رسم (مران) : « وجزء لبنى ماعز » .

(٧) قال الشيخ الفاضل : لم يخرج الأستاذ البيتين الواردين فى (مران) وهما من قصيدة من عيون المراثى تقع فى ١٨ بيتا أوردها الهجرى كاملة وذكر قائلها والمرثى بها . قال : وأنشدنى أبو كليب حر بن الأشهب ، من بنى عامر بن ربيعة ، للتميمى ، فى ماعز بن مالك البكائى ، وهى تامة هاهنا :

أتانى نعى للأغر ابن مالك فبت وليلى بالعراق طويل
فبت أعزى النفس أن يشمت العدى وفى النفس من وجد عليه غليل

وقد أورد أبو تمام فى الحماسة بعضها .
قلت : انظر أيضا شرح المرزوقى ص ١٠٦٢ — ١٠٦٣ .]

(٨) فى الأصل : « حى بمران القرى » ، صوابه من ياقوت .

١٢ مررنا على مَرّان ليلاً فلم نَعُج على أهل آجامٍ به ونخيلِ[(١)]

ومن خلفه قرية يقال لها (قُبَاء[(٢)]) كبيرة عامرة لجسر ومحارب وعامر ابن ربيعة من هوازن، بها مزارعُ كثيرة على آبار، ونخيل ليس بكثير. وبحذائها جبل يقال له (هَكْران)، وجبل يقال [له] (عُنٌّ). قال الشاعر:

* أعيان هَكْرانَ الخُدَاريَّات[(٣)] *

وهو قليل النَّبات، في أصله ماء يقال له (الصَّنو[(٤)]). وعُنٌّ هذا في جوفه مياه وأوشال. قال فيه الشاعر:

فقالوا هِلاليُّونَ جئنا مِنَ أرضنا إلى حاجةٍ جُبْنا لها اللَّيلَ مِدْرَعا[(٥)]

وقالوا خَرجْنا مِلْ قفا وجُنوبِهِ وعُنٌّ فهَمَّ القابُ أن يتصدَّعا[(٦)]

و (القفا[(٧)]): جبل لبنى هلال حِذاءَ عُنٍّ هذا. وحذاءه جبل آخر

---

(١) ياقوت: «آجام بها».

(٢) قباء هذه هي التي في الطريق من مكة إلى البصرة. وهي غير قباء المدينة.

(٣) أعيان، بالنون في أصل النسخة، ويطابقه ما رواه ياقوت من عرام في (هكران). وعند البكرى ٧٢٢: «أعيار» جمع عير. والخدارى بضم الخاء: الأسود، يوصف به السحاب، والعقاب، والبعير، والشعر.

(٤) لم يرسم لها البكرى ولا ياقوت، وذكرها الأول في (الستار) والآخر في (هكران).

(٥) أي دخلنا في جوفه كما يدخل اللابس في مدرعه. والمدرع كمنبر: جبة مشقوقة المقدم.

(٦) هذه الرواية تطابق رواية ياقوت في (عن). ورواية البكرى: «في القفا».

(٧) رسم له البكرى، وقال: «على لفظ قفا الإنسان». ولم يرسم ياقوت.

يقال له (بُسّ[١]) ، وفى أصله ماء يقال له (بقْعاء[٢]) لبنى هلال، بئر كثيرة الماء ، ليس عليها زرع . وحذاءها أخرى يقال لها (الُحدود[٣]) . وعُكاظُ منها على دعوة[٤] .

و (عُكَاظ) صحراء مستوية ليس لها جبل ولا علَم[٥] إلاَّ ما كان من الأنصاب التى كانت فى الجاهلية . وبها الدِّماء من دماء البُدْن كالأرحاء[٦] العظام .

وحذاءها عين يقال لها (خُلَيص) للعَمْرِيِّين[٧] . وخُليص هذا رجل

---

(١) وضع فى الأصل علامة إهمال فوق السين توشك أن تكون ثلاث نقط ، فظننتها « بيش » . وقد نبه الشيخ الفاضل على هذا الصواب .

(٢) البكرى : « نقعاء » . وعند ياقوت بالباء ، كما هنا . وقال : « نقعاء بين الحجاز وركبة ، وهى من أرض ركبة » .

(٣) ياقوت : « الحدود : مخلاف من مخاليف الطائف » . وعند البكرى : « الجرو » .

(٤) البكرى : « على دعوة وأكثر قليلا » .

(٥) حقق الشيخ محمد بن بليهد موضع سوق عكاظ اليوم فى بحث مسهب فى نهاية الجزء الثانى من كتابه « صحيح الاخبار » ، ولكنه نقل عن عرام نصا غريبا لست أدرى من أين نقله ، وهو قوله « هو فى أرض مستوية ليس بها جبال . وإذا كنت فى عكاظ طلعت عليك الشمس على حرة سوداء ، وبها عبيلات بيض ، كان العرب يطيفون بها فى جاهليتهم وينحرون عندها » .

(٦) فى الأصل : « كالأدخال » ، وفى إحدى نسخ البكرى : « كالأرحال » ، والوجه ما أثبت من أصول البكرى . انظر رسم (عكاظ) .

(٧) وكذا عند البكرى ٩٦٠ . وكلمة (العمريين) ضبطت فى معجم البكرى بضم ففتح ، وفى صفة جزيرة العرب للهمدانى ١٢٠ : « ويسكن شرقى الطائف قوم من ولد عمرو ابن العاص » .

وهو ببلاد تسمَّى (رُكْبة[1]) . قال الشاعر :

أقول لركبٍ ذاتَ يومٍ [لقيتُهم] ... يُزَجُّون أنضاءً حَوافِيَ ظُلَّمَا[2]

مَنَ انتُم فإنّا قد هوينا مجيئكم ... وأنْ تخبرونا حالَ رُكبة أجمعا[3]

تم كتاب أسماء جبال مكة والمدينة وما يتصل بها ، بحمد الله

وعونه وحسن توفيقه ، وصلى الله على سيدنا

محمد كلما ذكره الذاكرون ، وسها عن ذكره الغافلون .

---

(١) ركبة بلفظ الركبة التي في الرجل . وهي بين مكة والطائف . وفي اللسان : « بين غمرة وذات عرق » . ويقال: إن ركبة أرفع الاراضي كلها ، ويقال: إنها التي قال فيها ابن نوح: « سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء » . وفي فضائل مكة للهمدانى أن عمر بن الخطاب قال : أن أخطئ سبعين خطيئة بركبة أحب إلى من أن أخطئ خطيئة واحدة بمكة .
وروى مالك في الموطأ أن عمر بن الخطاب قال : « لبيت بركبة أحب إلى من عشرة أبيات بالشام » : قال مالك : « يريد لطول الأعمار والبقاء ، ولشدة الوباء بالشام » .

(٢) لم أجد مرجعا لتحقيق هذين البيتين على طول التنقيب . وكلمة « لقيتهم » ليست في الأصل ، وبتثبتها يلتئم الكلام . والتزجية : السوق . والأنضاء : جمع نضو ، بالكسر ، وهو البعير المهزول . والحوافي : التي حفيت أقدامها من السير . والظالع : الذى به الظلع ، وهو غمز شبيه بالعرج .

(٣) ورد صدر البيت في الأصل بهذه الصورة :

* من اسم ناانا قد هو بنا مجيكم *

وأثبته كذلك في النشرة الأولى . وبعد اطلاعى هذه المرة على نشرة الميمنى وجدته قرأها هذه القراءة القريبة . فلله الفضل . والحمد لله على ما أنعم .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفهارس العامة

للمجلد الثـــانى

من نوادر المخطوطات

١ – فهرس أسماء النبات [1]

(١) انظر ص ٣٧٣ .

* ماوضع بين قوسين فهو ماورد فى الحواشى فقط .

٢ — فهرس الحيوان

٣ — فهرس الأعلام

ب

خ

د

ز

س

ش

ص

غ

ف

ق

ك

ل

م

٤ ـ فهرس القبائل والطوائف ونحوها

٥ – فهرس البلدان والمواضع ونحوها

٦ – فهرس الأشعار

أنصاف أبيات

شعر فارسى

٧ – فهرس الأرجاز

٨ – فهرس الأمثال

---

٩ – فهرس الكتب

التى وردت فى أثناء نصوص النوادر

(١) مشارق الأنوار النبوية ، من صحاح الأخبار المصطفوية .

١٠ – فهرس اللغة (*)

ا – مافسر فى صلب النصوص

(*) هذا الفهرس وما بعده هو للمجلدين الأول والثانى معا ، كما نبهت على ذلك فى ص ٤٤٨ س ١٥ من المجلد الأول ، وما وضع تحته خط فهو مما فات المعاجم المتداولة . وما وضع بين قوسين فهو مما فسر استطرادا .

ب — ما فسر فى الحواشى

ز

س

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

غ

ك

١١ ــ فهرس الكلمات الأعجمية

ا ــ مافسر فى الصلب

ب ــ مافسر فى الحواشى

مراجع الشرح والتحقيق

يضاف إلى ماورد فى نهاية المجلد الأول

المراجع التالية :

الآثار الباقية ، للبيرونى . ليبسك ١٨٧٨م .

أدب الكتاب ، للصولى . السلفية ١٣٤١ .

الأزمنة والأمكنة ، للمرزوقى . حيدرأباد ١٣٣٣ .

أساس التقاويم ، لجرجس فيلوثاوس . المصرية ١٣٣٣ .

الاقتضاب ، شرح أدب الكتاب ، للبطليوسى . بيروت ١٩٠١م .

أمالى الزجاجى تحقيق عبد السلام هارون . المؤسسة العربية الحديثة ١٣٨٢ .

إمتاع الأسماع ، للمقريزى ، تحقيق محمود شاكر . لجنة التأليف ١٩٤١م .

الإنصاف ، لابن الأنبارى . الاستقامة ١٣٦٤ .

بلغة الأريب ، فى مصطلح آثار الحبيب ، للزبيدى . مصر ١٣٢٦ .

بلوغ الأرب ، للألوسى . الرحمانية ١٣٤٣ .

التاج ، للجاحظ ، تحقيق أحمد زكى باشا . الأميرية ١٣٣٢ .

تاريخ الجبرتى = عجائب الآثار .

تخليص الإبريز إلى تلخيص باريز ، لرفاعة الطهطاوى . بولاق ١٢٥٠ .

التعريف والإعلام ، فيما أبهم فى القرآن من الأسماء الأعلام ، تحقيق محمود ربيع . الأنوار ١٣٥٦

الجامع الصغير ، للسيوطى . حجازى ١٣٥٢ .

جمهرة اللغة ، لابن دريد . حيدر أباد ١٣٥١ .

الجواهر المنيفة ، فى أصول أدلة مذهب أبى حنيفة ، للزبيدى . الإسكندرية ١٢٩٢ .

حاشية الدمنهورى على الكافى . الحلبى ١٣٤٤ .

الخطط التوفيقية ، لعلى مبارك . بولاق ١٣٠٦ .

ديوان أمية بن أبى الصلت . بيروت ١٣٥٣ .

ديوان أوس بن حجر . فينا ١٨٩٢ م

ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس . دار الكتب ١٣٦٩ .

ديوان العجاج . ليبسك ١٩٠٢ م .

ديوان المتلمس ، مخطوطة الشنقيطى بدار الكتب المصرية .

الروض الأنف ، للسهيلى . الجمالية ١٣٣٢ .

الرياض النضرة ، للمحب الطبرى . الحسينية ١٣٢٧ .
سيرة عمر بن عبد العزيز ، لابن الجوزى . المؤيد ١٣٣١ .
شرح إحياء علوم الدين ، لمرتضى الزبيدى : طبع الميمنية ١٣١١ .
شرح حزب البر للشاذلى ، لمرتضى الزبيدى : طبع السعادة ١٣٣٣ (١) .
شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنبارى ، تحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف ١٩٦٣ م .
صحيح الأخبار ، عما فى بلاد العرب من الآثار ، لمحمد بن بليهد . السنة المحمدية ١٣٧٠ .
صفة جزيرة العرب ، للهمدانى . ليدن ١٨٩١ م .
طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ، تحقيق محمود شاكر : دار المعارف ١٩٥٢م .
عجائب الآثار ، للجبرتى . الشرفية ١٣٢٣ .
عجائب المخلوقات ، للقزوينى . مطبعة المعاهد .
كتاب البسوس = كتاب حرب بكر وتغلب (٢) .
كتاب الجبال ، للزمخشرى . تحقيق دى كراف . ليدن ١٨٥٦ م .
كشف الظنون ، لحاجى خليفة . تركيا ١٣١٠ .
مجاز القرآن ، لأبى عبيدة ، تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين . السعادة ١٣٧٤ .
المحبر ، لابن حبيب ، تحقيق الدكتورة إيلزة ليختن . حيدر أباد ١٣٦١ .
المزهر للسيوطى . دار إحياء الكتب ١٣٦١ .
مشارف الأقاويز ، فى محاسن الأراجيز . جمع جاير . ليبسك ١٩٠٨ م .
مشارق الأنوار ، للقاضى عياض . السعادة ١٣٣٢ .
معجم الحيوان ، لأمين المعلوف . المقتطف ١٩٣٢ م .
معجم ما استعجم للبكرى ، تحقيق مصطفى السقا . لجنة التأليف ١٣٦٤ .
مقاتل الطالبيين ، تحقيق السيد أحمد صقر . عيسى الحلبى ١٣٦٨ .
المكتبة الجغرافية . نشر دى جويه . ليدن ١٨٧٠ — ١٨٩٤ .
الميسر والأزلام ، تأليف عبد السلام محمد هارون . لجنة التأليف ١٩٥٣ م .
نسب قريش ، للمصعب الزبيرى . دار المعارف ١٩٥٣ م .
نشوة الارتياح ، فى بيان حقيقة الميسر والقداح ، للزبيدى . طبع ليدن ١٣٠٣ .
نور الأبصار ، للشبلنجى . بولاق ١٢٩٠ .
وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى ، للسمهودى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . السعادة ١٣٧٤ .

(١) طبع باسم « تنبيه العارف البصير ، على أسرار الحزب الكبير » .
(٢) انظر مراجع المجلد الأول ص ٤٤٥ .

دليل الفهارس العامة

مضامين المجلد

مؤلفات ومحققات أخرى

للمؤلف

مجلد		
١	الميسر والأزلام (بحث تاريخى اجتماعى أدبى لغوى)	
١	تحقيق النصوص ونشرها (أول كتاب عربى فى هذا الفن)	
٢	معجم شواهد العربية (مستمد من مئات المراجع)	
٧	الحيوان ، للجاحظ	شرح وتحقيق
١	البيان والتبيين ، للجاحظ	» »
١	العثمانية ، للجاحظ	» »
٢	رسائل الجاحظ	» »
٦	مقاييس اللغة ، لابن فارس	» »
٢	مجالس ثعلب	» »
١	جمهرة أنساب العرب	» »
١	شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنبارى	» »
١	الاشتقاق لابن دريد	» »
٤	شرح الحماسة ، للمرزوقى	» »
١	وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم	» »
١٠	الألف المختارة من صحيح البخارى	» »
١	مجالس العلماء للزجاجى	» »
١	أمالى الزجاجى	» »
٤	كتاب سيبويه	» »
١	همزيات أبى تما	» »
٢	تهذيب سيرة ابن هشام	» »
٢	تهذيب إحياء علوم الدين	» »

بعون الله تعالى قد تم طبع كتاب :

[نوادر المخطوطات]

فى ٨ مجموعات

مصححا بمعرفة لجنة التصحيح بشركة :

[مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر]

القاهرة فى { سنة ١٣٩٥ هـ
سنة ١٩٧٥ م

ملاحظ المطبعة
رجب أحمد علام

مدير الشركة
محمد محمود الحلبى

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٣/٤٦٧٤ م